

د. علي كريم سعيد

عراق ٨ شباط ١٩٦٣

من حوار المفاهيم

إلى حوار الدم

مراجعات في ذاكرة

طالب شبيب





طالب شبيب

■ ولد في الرميثة عام ١٩٣٥، وجاء الأول على تلاميذ متوسطة الديوانية فقبل في بغداد "كلية الملك فيصل"، لكنها أغلقت بعد سنتين بسبب تحولها إلى مركز لنشاط المعارضة.

■ حصل على منحة لدراسة الهندسة في لندن، فترأس هناك رابطة الطلبة العرب. وبعد عودته إلى بغداد في ١٩٥٨ خدم كضابط احتياط في قاعدة الرشيد الجوية، وأصبح في نفس العام عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث - قطر العراق، وفي ١٩٥٩ عضواً في القيادة القومية، و ١٩٦٣ وزيراً للخارجية، ثم منفيًا إلى بيروت والقاهرة.

■ شغل وظيفة دبلوماسي مدة أحد عشر عاماً، وسفيراً في أنقرة وبون ولندن، وممثلاً دائماً للعراق في هيئة الأمم المتحدة.

■ جهر بمعارضة حكومة الرئيس صدام حسين بعد تورطها بمشاريع وحروب لا تصب في مصلحة العراق والوطن العربي، وسأهم في تأسيس الجمعية

عراق ٨ شباط ١٩٦٣
من حوار المفاهيم
إلى حوار الدم
مراجعات في ذاكرة
طالب الشبيب

- د. علي كريم سعيد
- عراق ٨ شباط ١٩٦٣ — من حوار المفاهيم إلى حوار الدم
- مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب
- الطبعة الأولى ١٩٩٩
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
- دار الكنوز الأدبية
- ص . ب : ٧٢٢٦ — ١١ — بيروت — لبنان
- هاتف / فاكس : ٧٣٩٦٩٦

تصميم الغلاف والإشراف الفني : طالب الداود

ISBN 1900700077

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	956.7043
رقم التسجيل	٤٧٣٢٣

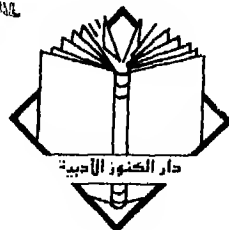
956.7043
C.B.-
ع

د. علي كريم سعيد

عراق ٨ شباط ١٩٦٣
من حوار المفاهيم
إلى حوار الدم
مراجعات في ذاكرة
طالب الشبيب



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Shelving & Circulation



Dr. Ali Karim Said Abdullah

Iraq of 8th February 1963
From The Dialogue of Conceptions
To The Dialogue of Blood
Reviews in Talib Ash – Shibib's Memory

Dar Al Konoz Al – Adabiah

1999

ISBN 1900700077

إلى جميع الذين دخلوا حوار الدم والنار بنية
ودوافع وطنية سليمة، مخطئين كانوا أم محقين،
قتلى أم موتى أو ما زالوا يتابعون
مشهد الاغتصاب والإخفاق في العراق

المحتوى

١١	تقديم
	الذاكرة
	الوحدة الوطنية بين المثقف والسياسي
	القلق الواعي أم الترحال حتى الموت
	أحلام تسبق الرحيل وإرادة البيت المفتوح
٢٣	محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية
	ثورة الشواف ١٩٥٩
	خطة الإغتيال
	التنفيذ بأسلحة مصرية
	آثار المحاولة
	فؤاد الركابي بين عبد الناصر وعفلق
٣٧	المؤتمر القومي الثالث
	الهرب سبباً لحضور المؤتمر
	انعقاد المؤتمر القومي الثالث، والاستقالة من الوحدة
	استبعاد الضباط البعثيين
	أجواء ونتائج المؤتمر
٤٥	التهينة لثورة رمضان: صوت صادق ويد قوية
	كل شيء في سبيل الإعداد للثورة
	المدني يقود العسكري
	من نكسة الهاشمي إلى اعتقال السعدي
٦١	الإغتيال بالدبابة
	الغدارة بيدي أنفع
	يرون صورته في السماء
	بين الزعيم (عبد الكريم قاسم) والعقيد (عبد السلام عارف)
	عبد السلام يشارك في التوجيه
	الإستفادة من عبد الغني الراوي بعد دراسة شخصيته
	إذاعة الصالحية مقراً جديداً لقيادة الثورة
	قيادة الجيش والسلطة بيد البعث
	الرعب في خدمة الثورة
	ماكو زعيم إلا كريم

- قتال شديد والضحايا أقل من التوقعات
الهاتف يرن مرة أخرى
لا أريدها حرباً أهلية
ملحق رقم ١ : المرات التي استخدم فيها الجيش ضد الشعب
٩٥ استسلام عبد الكريم قاسم وإعدامه
يونس الطائي وسيطا
الخطأ القاتل
الهجوم الأخير: الإستسلام
شهادة مختلفة ومهداوي آخر
مصير شعبية عبد الكريم قاسم
عبد الكريم قاسم : ماله وما عليه
بين مسيلمة الكذاب وأبو رغال
ملحق رقم ١ : قاسم الجنائي يتكلم
ملحق رقم ٢ : مهداوي آخر
ملحق رقم ٣ : المقاومة المدنية والعسكرية
١٢٩ بين رغبة التعددية وسلطة الحزب الواحد
١٣٧ من الداخلية إلى الإرشاد
طريقة نخذ ولا تسأل
مشاكل خارج البعث
١٤٩ الخلاف ينتقل إلى داخل الحزب
سهولة إدارة الفوضى :
تغيير الأمين القطري للحزب
انعقاد المؤتمر القطري العادي
قرارات التأميم الاشتراكية بين عبد السلام عارف ونجيب الدين حسيب
١٦٥ الحرس القومي
رؤساء بلديات رؤوسهم معصوبة
مع العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت
دولتان ومرجعيتان
ظواهر لا يمكن السكوت عليها
مواجهة بين الجيش والحرس القومي
لجنة تحقيق برئاسة أحمد العزاوي
وزير الدفاع يأمر بقتل الشيوعيين المتعاونين
١٨١ شيوعيون وبعثيون، حظ الانتساب من حوار المفاهيم إلى حوار الدم
طلبنا من التحقيق نتائج سريعة فحصلنا عليها! مقتل قيادة الحزب الشيوعي
الشوط الثاني من حكم البعث في العراق

صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي
حظ العراق سيئ!

ملف الوحدة، إخفاق الوعي وإخفاق التجربة، نرفض الممكن ونطلب غيره ٢٠٥

مع عبد الناصر

هذا أمين: إنه رجل مخبرات جيد

في الأزهر الشريف

ميثاق ١٧ نيسان

عبد الناصر والعراق

صعوبات أخرى

دقة محاضر محادثات الوحدة

بين المطرقة السورية والسندان العراقي

جمال عبد الناصر: هذا الكرسي جلس عليه فرعون

وحدة الفاطميين والعباسيين والأمويين

لقاءات عربية: مع محسن العيني، مهدي بن بركة، وقادة الجزائر

المسألة الكويتية ١٩٦٣ ٢٢٩

مناقشات لجس النبض

اجتماعات بمحمدون الخاصة تسبق الإتفاق الرسمي

القضية الكردية ٢٤٧

الاحتكام للقوة مرة أخرى

الموقف الخارجي ومصادر التسليح

كانت "اللامركزية" عهداً بعيداً

قاتل عبد الكريم سياسياً وقتلوا فنياً

جرائم لم نأذن بها

الملف الأمني ٢٦٩

إيليا زغيب، كتب عنه هاني الفكيكي ما سمعه من الآخرين

أرادها دولة جاسوسة

أمريكي ينقل كلمة سر حزبية

تخريب العلاقة مع إيران

رعونات كبرى وصغرى: تصفية نساء وزارة الخارجية

اجتمعت فيه خصال القسوة والتردد والغموض

مع مصر الناصرية

مع الاتحاد السوفيتي

ناصر الحايي ولطفي العبيدي

السعدي يتوسوس من وجود إرادة خفية

٢٩٣	البيرة المسلحة، حركة حسن السريع ٣ تموز ١٩٦٣
	قطار الموت
٣٠٧	الطائفية
	الثورة تلد انقلاباً، التهيئة للمؤتمر القطري الاستثنائي التكميلي
٣١٧	لحزب البعث العربي الاشتراكي - قيادة قطر العراق ١٩٦٣
	لعبة مزدوجة
	لقاء بعد منتصف الليل
	مؤتمر حزبي يؤدي إلى انقلاب عسكري
٣٤٣	بين الشبيب والبكر وصادم وعفلق
٣٤٣	مع أحمد حسن البكر
	خوف لا يمكن تجاوزه
	بين رغبة التقاعد وخشية القتل
٣٥٢	مع صدام حسين
	الدولة ضد القانون
	مع الأمير طلال بن عبد العزيز
	أقسم أمامي على الإخلاص للعراق والأمة والحزب
	على خطى البكر
٣٥٨	مع ميشيل عفلق
	أشخاص آخرون
	ملحق رقم ١ : وعود البكر
٣٧١	أوراق ورسائل شخصية
	رسالة إلى جورج بوش
	رسالة إلى عبد الله بشارة
	رسالة إلى عبد الله الأحمر
	رسالة إلى كمال خرازي
	رسالة إلى قاسم حول: حول فيلم الحسين بن علي (ع)
	رسالة جوابية من آل غور
	نحو طريق للعراق (مقالة)
	أيوب السوري مقابل نتيهاو
٣٩١	مصائر مجموعة من المساهمين في ٨ شباط ١٩٦٣
٤٠٣	فهرس الأسماء
٤٢٤	ملحق الصور

تقديم

عندما تقف أمام المرأة، تشاهد من مستوي وزاوية معينة، صورة منعكسة عليها، تتغير ملامحها إذا ما أتيت بحركة بسيطة أو طرفت عيناك. وتستطيع انطلاقاً من مستويات وزوايا أخرى أن تحصل على ما لا نهاية من الصور المختلفة لنفس الشكل وأمام نفس المرأة. وتتضاعف الاحتمالات بتغير الناظر بسبب العدد اللانهائي من المستويات والزوايا والفروقات الهائلة بين ناظر وآخر عقلاً وخلفية ومنطقاً.

لذلك اتفقنا أنا والمرحوم طالب شبيب أن يحافظ كل منا على حقه في رؤية خاصة بشرط الصدق والقناعة بما نكتب. وهو منهج يساعدنا على استيعاب وجهات النظر الناقدة والمخالفة على أساس نسبية الحقيقة وتمايز صورها ومقاطعها، وإدراك عدم قدرة الآخر على ادعاء امتلاكها كاملة.

وقد خالفت الأيديولوجيات النسقية الشمولية والعقائد غير الصبورة هذه القاعدة، فطالبت معتققيها أن يتجمد نظرهم عند رؤية صورة واحدة أو مقطع واحد من الصورة ورفعها إلى مستوى المقدس فتتشجع روح الرعاع والقطيع الكامنة، وتنتعش الأوهام التي سبق أن هيمنت على أذهان الوطنيين والقوميين فأسكرتهم وأنستهم مدنييتهم العريقة والصداقة والتراحم والحقوق. وحق عليهم القول الكريم "كل حزب بما لديهم فرحون". الآية.....

ووسط تلك المساورة بين الأيديولوجيات والعقائد المنفصلة عن الواقع والتجاذب أو التناوب بين مفاهيم مجردة ترعرع طالب حسين الشبيب وتميز عن كثيرين من أقرانه بميله الشديد للقراءة والعقلانية، لكن شدة دورة دولا ب النار كانت أقوى من الإرادات، فجرفت الجميع لينخرطوا في صراعات مريرة تحت شعارات رومانسية كبرى، بررت للمناضل أن يسحق كل من يعتقد أنه يقف في وجه تحقيقها.

ونأمل هنا أن نعالج مقطعاً واحداً من واقع تلك الصراعات فنعطي صورة متميزة تضاف إلى ما كتب حول حركة ٨ شباط^(١) فنسهم في تراكم الصور والوقائع لعل ذلك يساعد مؤرخاً لبيباً أن يستكمل مستقبلاً صورة ما حدث في العراق في ١٤ رمضان ١٩٦٣ وبما يسهم مع جهود أخرى في تفسير سر ارتباك العراق منذ الاستقلال الوطني ١٩٢١ وحتى اليوم لنأخذ العبر ونتجنب الأسباب الحقيقية لذلك ولنحقق رجاءنا في منع المخطئين أياً كانوا من احتقار ضحاياهم والإفلات من عقاب التاريخ المعنوي.

ومبكراً أدرك طالب الشبيب أن السلطة في العراق لا تقوم بواجبها كحامية للقانون بل تستخدم، هي نفسها، وسائل غير مشروعة كالمعتقلات السرية والاعتقال والتعذيب، فحاول مرة من داخل المؤسسة وأخرى من خارجها الاختلاف والتصويت ضد القرارات الكيفية وطالب المجلس الوطني لقيادة الثورة بتطبيق القانون والخضوع له، والتوقف عن التدبير السري لشؤون الدولة، وجعل أحد أبنية الحكومة مقراً للقيادة القطرية الحاكمة، وبسبب معرفته عمق الأخطاء تقبل شبيب نقد المقربين ولوم غير المتفهمين وأولئك الذين لا يجيدون غير كيل التهم والشكوك.

الذاكرة

بعد انصرام ٣٥ عاماً على تجربة ٨ شباط ٦٣ توقعت منه أن يتحدث عنها ببرود خال من العواطف المشحونة. لكنه تكشف عن عاطفة مكنونة فירתعش وتطفر دموعه وهو يستعيد المشهد ويكرر (قررت أن لا أقول ولا أفعل إلا ما أعتقد أنه صحيح وحقيقي فلا أكذب مهما كان الثمن والتبعات).

١ - من أجل تجاوز الجدل النظري والسياسي حول تسمية حركة أو ثورة أو انتفاضة، فنسطلق كما فعل استاذنا الدكتور علي الوردي على ١٤ تموز اسم "ثورة" وعلى ما سواها "حركة"، لأن جميع العراقيين تقريباً، عرباً وكرداً، أحزاباً وجمعيات، ومذاهب وأديان، هبوا دون تردد لتأييدها، بدون انتظار، كما يفعل الرعاع الذين ينتظرون هبوب العاصفة فيركبون الموجة، في حين ينقسم الشعب وتنقسم الآراء حول بقية الحركات، ولا يعادل ثورة تموز في الإجماع عليها غير ثورة العشرين لكنها تقع خارج مجال بحثنا. كما أن نوار ٨ شباط لم يطلقوا على تحركهم في البداية اسم ثورة بل أسموه "انتفاضة" هدفها استعادة روح ثورة ١٤ تموز. وفي كل الأحوال فإن المسميات مجرد اصطلاحات لا تنطبق بالضرورة على المفاهيم الحقيقية للأشياء، لأن المفاهيم السياسية غالباً ما تكتسب مضامينها من النسق الفكري والسياسي لمن يطلقها.

ومن الجدير ذكره إن صورة ٨ شباط لا تستكمل إذا لم تدون شهادة أربعة أشخاص: علي صالح السعدي أمين سر الحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الإرشاد، وحازم جواد وزير الداخلية ووزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية، وطالب شبيب وزير الخارجية وعضو القيادتين، واحمد حسن البكر رئيس الوزراء (رئيس الجمهورية لاحقاً)، لأن الأربعة المذكورين عاشوا أكثر من غيرهم مراحل وأعداد التجمع القومي المعارض الذي ضمّ البعث والحركة الناصرية وبقية حلفائهم المتضررين وتنفيذ الحركة التي انتهت بمقتل الزعيم عبد الكريم قاسم وعدد من أتباعه ومن كوادر الحزب الشيوعي، وتولوا أهم مناصب الدولة، ثم أسسوا بانقسامهم جناحي أزمة السلطة وعلى أيديهم تفجرت وتناثرت، ليتربع على أنقاضها الرئيس عبد السلام عارف الذي وفر لجميع أطراف الخلاف السياسي فرصة نادرة للمراجعة والتفكير داخل السجون.

وبعد غياب السعدي والبكر واعتزال حازم جواد بقي طالب شبيب وقد راقبته عن كثب في مناسبات وأوضاع مختلفة، فأدركت تدهور صحته وقرب رحيله، ففاجأته بقليل من الدبلوماسية وكثير من الجرأة قائلاً: ستموت وأنت مصنف في صف اليمين المتسلط أو الانتهازي، في وقت وجدتك متمرداً بجيوب خالية ورأس مليئة، متوقد الذكاء، طلق اليمين ونظيف السريرة وعشت أيامك الأخيرة على مساعدة ابنك وأقربائك، ولن يفيد المرء "أن يدلي بشهادته للدود". فلماذا لا تدافع عن نفسك؟

بدأنا التسجيل الصوتي ولم يكن الأمر سهلاً بسبب ظروفه النفسية والصحية ونوبات الشعور بعدم الجدوى التي تتناوبه بين فينة وأخرى فاستنقذنا من ذاكرته بعض ما علق بها على شكل فرص نقتنصها كلما كان ذلك ممكناً. تطلب الأمر وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً لإنجاز هذا العمل الذي نضعه بين أيدي القراء والذي، كما سيشاهده القارئ مكون من قسمين:

أولاً: المتن ويحتوي ذاكرة الشبيب الشفهية المفرغة من آلة التسجيل ولم أتدخل فيها إلا تصنيفاً وتحويل الجملة المحكية إلى مكتوبة مع المحافظة على أكثر ألفاظه كما وردت.

ثانياً: الهوامش وكتبها جميعاً، استكمالاً وتوثيقاً وإضاءةً ونقداً فجاءت

كثيرة لان التسجيل الشفهي تفوته أشياء وتفاصيل عديدة، وتعتمدنا الإقلال من التحليل في المتن والهوامش لنترك للقارئ أن يحلل ويركب بعيداً عن ميولنا وعواطفنا.

وفي كل الأحوال فإن ما سنضعه بين يدي القارئ ليس مذكرات بل ذاكرة أخطر تسعة أشهر في تاريخ العراق السياسي الحديث والمعاصر لأنها سترسم الخط البياني الهابط على مدى عقود قادمة وتضع الملامح التمهيدية لصورة الهجوم المتواصل بلا رحمة ضد خميرة البلاد الكامنة في مدنيته.

والأستاذ شبيب الذي نعرض لذاكرته سيدافع بإصرار ودبلوماسية معقولة عن النية الحسنة للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٣، لكنه لا يدافع عن الفعل السياسي السيئ الذي رافق الصراع الداخلي. والذي كان البعث والناصريون والحركيون والشيوعيون أطرافاً أساسية فيه. ولن ننقل كل شيء تستعيده الذاكرة لكي لا يكون ما نكتبه تاريخاً للتشوه والقسوة، لكن الضمير يمنعنا أيضاً من التغليس عن كل شيء والمنطق يريد من التاريخ أن يكون عبرة الحاضر والمستقبل، فكيف نميز بين الخير والشر وكيف نعتبر إذا ما غلّسنا؟.

الوحدة الوطنية بين المثقف والسياسي

لعل أهم دافع لعرض وقائع ٨ شباط هو الرغبة في لفت النظر إلى وهمية وضيق مبررات النزاعات الوطنية (العراقية-العراقية) سياسياً واجتماعياً (بين أحزاب وأيديولوجيات). ومذهبياً (الطائفية). وقومياً (بين عرب وأكراد وأقليات).

فهي وهمية: لتسرب مفاهيم أيديولوجية بمضامين مدرسية جاهزة إلى الحياة السياسية العراقية مما جعل الحوار يدور بين مفاهيم غير قادرة على استيعاب التناقض القائم بين شكل السلطة الذي صممه المستعمر ورغبة المجتمع في توسيع شراكته السياسية وتحقيق حاجاته الضرورية الملموسة، وبسبب تجاوب المستفيدين ومعارضة المتضررين صار التنوع انقساماً وخفق المتقنون في طرح مشروع طوعي للوحدة الوطنية فاستعان السياسيون بالقوة

لتأمين وحدة مرتبكة.

وهي ضيقة: لنجاح أهل الحكم دفاعاً عن مصالح ذاتية في ترسيخ واصطناع صراعات وهمية ما كان لها أن تكون، فمذ الاستقلال الوطني حتى عام ١٩٥٨ تم توظيف آليات أيديولوجية لإدامة الهيمنة غير الشرعية وتبرير منع المجتمع من الارتقاء إلى الحياة البرلمانية الحرة بوصفها أرقى مرتبة في سلم المدنية السياسية بدلاً عن بدائية السلطة المطلقة المنحسرة. ومنذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٨ جاءت زعامات تسعى إلى إشراك الشعب ولكن بما يخدم أيديولوجياً مصالح السلطة التي رفعت عالياً شعار (وحدة الموقف والرأي) وهو شعار الديكتاتورية الأساسي في كل زمان ومكان، وقد استفادت السلطات المتعاقبة من مشاركة المعارضة غير المقصودة لها في تسفيه الديمقراطية البرلمانية. وتشجيع المواجهات العنيفة ضد التقاليد الاجتماعية المحلية والمشاعر الدينية. وفي تبني مفاهيم فلسفية حادة داخل مجتمع لا ينقسم أبناؤه بشدة إلى فقراء وأغنياء، بل يعيش غالبيتهم فوق خط الفقر والمتوسط، ولم تصل حالتهم حدود الأزمة الثورية ليختاروا الاحتراق بالثورة على حياتهم القائمة. ولذلك كانت نزعة الوطنية والاستقلال والتضامن العربي عندهم أقوى من حاجات الغذاء والكساء والسكن، فلم يُسيّسوا في النصف الأول من القرن العشرين معاناتهم من المرض والقحط وكان ذلك قبل أن يصل تأثير الأيديولوجيات.

ومنذ عام ١٩٦٨ دشّن العراق لأول مرة في تاريخه الحديث والمعاصر سلطة الحزب الواحد، الذي يدعي تمثيل الشعب والذي توسعت عضويته من بضع مئات إلى مئات الآلاف، مسلحين ببنادق ومفاهيم منحرفة، وتسخيرهم كعيون وأزلام متحمسين، تكفي أعدادهم لحراسة هيمنة السلطة على كل شيء من زاخو إلى الفاو.

لكن كل تلك الإجراءات والاحتياطات لم تجعل العراقيين يتنازلون عن اعتدادهم الذي يستمدونه من حضارتهم العتيقة، ومن الأثر العظيم والمثير الذي تركه فيهم رموز الحضارة العربية والإسلامية. وفي مواجهة تلك الممانعة الشعبية العراقية التي تحولت إلى ميل عام مشترك، اتخذت السلطة

الشمولية القائمة دفاعاً عن مصالح ضيقة، من القتل والاستبداد وسيلة لحل مشكلاتها مع الناس، بل ونشرت الموت تحت شعارات ديمagogية مثيرة لشغف الأنصار.

وعلى طول الخط الواهم، حاول زعماء وسياسيون صغار اكتساب شرعية القتل والتأديب الجماعي انطلاقاً من مقولات السيادة والوحدة والتقدمية والصالح العام... الخ، وصادروا الحريات وعاملوا شركاءهم في الوطن كأنهم مرتدين وكفرة، وشنوا حروباً عبثية داخلية وخارجية ولا ندري أية قضية مميزة تصدت لها أو حققها الانقلابات العسكرية التالية لثورة ١٤ تموز حتى تجيز لنفسها القتل والتشريد وتهديم العمران وتجريم من يخالفها الرأي.

إن اتخاذ الموت وسيلة أولى للمعالجة آثار دهشة المهتمين الاجتماعيين في الوطن العربي وفي العالم وصار يحلو لهم وصم تاريخ العراق القديم والوسيط والحديث بالتعسف والدموية. ودفعهم إلى التنقيب المغرض في الماضي بحثاً عن أعمال وشؤون متفرقة مماثلة لقياسها على ما تقتضيه الزعامة السياسية المعاصرة التي لم تشوه الواقع الراهن فقط بل ألحقت الضرر بسمعة الماضي أيضاً، فإذا قلت عن فلان انه صنو سعد بن أبي وقاص، فلن ترسم لسعد غير صورة الوحش، وتشوه صورته الحقيقية كفاتح وهاد لدين جديد نشر الحضارة والتسامح بقوة العقيدة والقوة الحسنة قبل السيف.

الدافع الآخر لاهتمامنا بذاكرة ٨ شباط هو محاولة إصلاح الضرر التربوي الذي تركته في الأبناء الرواية المغرضة لأحداث التاريخ. وليس غريباً إذا قلت أن أكبر مكتبة في العراق كانت بحوزة مديرية التحريات الجنائية لطول قوائم الممنوعات والممنوعين وكثرة الكتب المصادرة. ولا أبالغ إذا قلت أن أقسام التوجيه التابعة لأجهزة الأمن ومؤسسات الرقابة قد نجحت في كتابة جوانب من تاريخ العراق السياسي المعاصر مباشرة أو تحت ضغطها المتواصل. فاستمعنا إلى محاضرين وكتاب ومؤرخين وصحافيين من مواقع الهيمنة الحكومية، يجرّمون ويغيّرون الأوصاف ويلفقون ويستنتجون بسماجة ويتناولون الأحداث بالجملة، ويتجاوزون معاناة

الشعب العراقي والمنافي والمشانق وأدب السجون وأولئك الذين غيَّبوا عن الحياة وكانوا مازالوا يرفلون بها، وبعد ذلك فعلى الجميع التصديق والابتلاع.

فلم يبق أمام الكتاب الرافضين غير الانزواء وتغيير حرفتهم أو الكتابة بما لا يتعارض مع الخط الواحد، وعندما غادر بعضهم إلى الأقطار العربية المجاورة واجهوا وسطاً متأثراً بالإعلام الرسمي فترددت على مسامعهم ذات الاسطوانة التي تضع المخطئين محل حماية الوطنية والقومية وتضع الضحايا في موقع المشاكسين. ووصل الأمر حد تزوير الوثائق التاريخية فقد نشر د. فاضل البراك مدير المخابرات العامة السابق برقيتين قال أن السفارة البريطانية في بغداد أرسلتهما إلى لندن، وتؤكد صيغتهما على عمالة الزعيم بكر صدقي للمخابرات البريطانية. مدعيّاً من موقعه كمسؤول أن حكومته عثرت على البرقيتين بوسائلها الخاصة. وعند قراءتهما نجدهما تخالفان أسلوب التخاطب المعروف، فالسفرات لا تكشف في مراسلاتها الخبرة العادية أسماء العملاء خصوصاً إذا كانوا رؤساء حكومات أو زعماء كما هو حال بكر صدقي الذي كان قد بادل الإنكليز الكراهية وقاد انقلاباً ضدهم وتحالف مع الزعيمين الوطنيين جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي. لكن البراك من أجل تشويه امتداد خط بكر صدقي في الحاضر لم يتورع عن التلفيق والتزوير على الماضي مستغلاً منصبه الحكومي الخاص.

وكتابتنا ذاكرة ١٤ رمضان / ٨ شباط، نوع من كشف التجربة المرة ودعوة حيادية لصدق الرواية التاريخية. فقد عشنا تجربة الحكومات المتعاقبة في تزوير وقائع التاريخ الحديث والمعاصر، لكن ذلك أوصلها وأوصل العراق برمته إلى طريق مسدود، غير أن المقدمات المزيفة برهنت بأن ما يخفيه الساكتون في صدورهم سرعان ما يندفع إلى الخارج عشوائياً مدمراً عندما تحين أول فرصة للانفلات فيدور دولا ب الدم ليُدمر ما تم بناءه خلال سنوات الاستقرار الشكلي الفاصلة بين انتفاضة وأخرى، فتتجدد الأهوال وتنتعش السجون وأرصعة المنافي وتتوسع المقابر.

القلق الواعي أم الترحال حتى الموت

وإذا كان لكل فرد شيء ما بداخله يميزه، ففي أعماق طالب الشبيب، اختلطت بقوة خصال التمرد بالعقلانية، تمرّد أحاطه بعقلانية مبكرة وبثوابت قومية. ورغم هيمنة أجواء الدبلوماسية الرتيبة الباردة على محيطه، حافظ بداخله على منظومة مزدهرة من القلق الواعي الذي يعود لإحساسه بفراغ يمسك بدواخل كل عراقي في المنفى. ذلك الفراغ الذي لا يمتلئ قبل عودتهم أعزاء إلى الوطن. ولذلك ظلت بغداد تنن وتخفق في أعماقه، فلا يكف عن ترديد قول الجواهري:

حييت سفحك عن بعد فحبيبي يا دجلة الخير يا أم البساتين

وقد أدى امتناع العيش الكريم داخل الوطن بأعداد كبيرة من العراقيين إلى الهجرة، لكن ترحال الشبيب استمر حتى الموت، عاكس به تيار الاستسلام ومنطق الرتابة. فلم يخضع، بل ظل ممسكاً بزمام نفسه، مستعداً للتضحية بكل شيء من أجل الخلاص الوطني الشامل، مانعاً فرديته أن تطغى، فوجد في تجنب الخلاص الشخصي الحل الأقل عاراً!! ورفض أن ينال ملء جفونه مسترخياً في غرف منافي بلاد الظلام البعيدة والباردة ورفض ترك الأشياء وراءه لدورة الزمن الطويلة. ولم يقدم نفسه كشكل أو دمية داخل بدلة غالية الثمن بل أراد أن يعرفه الناس من خلال آرائه وقدرته العقلية ليكتشفوا تدريجياً أنهم إزاء رجل ممتلئ، ومن جانبه اهتم بالأشخاص بالقياس إلى صدقهم وكيفية تفكيرهم، وليس مظهرهم أو مناصبهم وأرقام حساباتهم.

شيء واحد كان يسرق الشبيب من نسقه السياسي الإنساني، لصالح عقلانية باردة هو عندما يُحاط بشعارات مثيرة وبراقة يتغلب فيها العام على الخاص أو يتغلب فيها عقل الجماعة الذي يتميز بروح انفعالية، تتوتر بشدة وتوافق على قرارات قاسية عند الأزمات على حساسية العقل الفردي الحر المتنافس، ولذلك نجده عندما تتطلب السياسة يندفع متجاوزاً ومضحياً بكل ما يقف بوجه الخطة السياسية العامة. وكنت عندما تتنابه هذه المشاعر أحذره من وجود رواشب باقية عنده من الروح الشمولية العاصفة السابقة، فهي لا تضمحل في الذهن بسرعة اضمحلال آثارها المادية.

أحلام تسبق الرحيل

أسوأ معاناته كانت عندما فوجئ بتغيير اللعبة السياسية الدولية تجاه العراق والتي استهدفت إخراج القرار العراقي من أيدي أبنائه لصالح القوى العظمى بعد أن غامرت به الحكومة العراقية. فأصبحت المكانة السياسية لا تتحقق لأسباب منطقية أو نتيجة تاريخ وجهد مبذول، بل صناعة تخصصت بها المطابخ السياسية بين لندن وواشنطن. فيرتفع شأن هذا ويضغط ذلك بمساعدة المال والإعلام والهيمنة في حين يبرزح الشعب المظلوم يائساً تسحقه أجهزة متخلفة ونتيجة لذلك اكتشف طالب أنه وشخصيات كثيرة غيره أصبحوا غير مطلوبين !!، فلم يعد يسعى إليه سوى نفر من بقايا المناضلين "اللاجئين". واكتفى بعض أصدقائه القدامى بالسؤال وإلقاء التحية كلما تجشم هو ومرّ بمفاهيم البعيدة في حين قضى قبل ذلك حياة مترعة، سعى للقائه خلالها المهتمون بالمنطقة من عراقيين وعرب وشخصيات إقليمية وعالمية، خصوصاً عند اشتداد الأزمات.... وكان شبيب يعرف ما يريدون!! وبكرم مقصود يعطي تصورات الغنية بالتنبؤات وسعة الإطلاع، وبالحرارة التي يستقيها عادة من حوار في الظل مع أصدقائه المناضلين الميدانيين، لتمييزهم بالصدق، فيتزود من خارج الصالونات الكلاسيكية برأي واقعي يستعين به لليوم التالي.

ورغم ذلك التطور الداعي لليأس، عرف شبيب بخبرته كيف يصبر "ويكسر الاتجاه" ليتجاوز الإحباط بأقل قدر من الخسائر وما كانت سفرته الأخيرة إلا محاولة جديدة لكسر اليأس، حالماً بتحقيق هدفين أحدهما أربكته وأتعب روحه وهو سعيه لتأسيس حركة سياسية وسط بين تطرف آخر، ولكن رجال ليسوا وسطاً!! ولا يعتنون سوى بهمومهم الشخصية وليس بمصالح كل الشعب، فكان سعياً عبثياً بل مستحيل.

وأما حلمه الثاني فكان تأسيس مركز عراقي للدراسات الإستراتيجية. بعد أن تخلفت الحكومة والمعارضة عن إنشائه. المركز الذي سيقدم استشارة مدروسة للمعارضة العراقية والجمعيات الشعبية، وللدولة إذا رغبت إدارتها في الاستماع، في اختياراتهم المستقبلية. كانت رغبته عظيمة في إقامة

"رف ثالث" غير متأثر بالعصبيات ففكر بالتفاصيل والأسماء والطريقة، ووضعنا معاً خريطة للاهتمامات الاستراتيجية للدولة العراقية، بدراسة القوى التي تحمي النظام القائم، ومعرفة مكان قوة المعارضة وعقلانياتها لإبرازها وبحث إمكانيات التعايش السياسي والاجتماعي في العراق بدراسة تركيبة المجتمع وميوله التاريخية.

إرادة البيت المفتوح

تمتع الشبيب بأدب مدني جم، وكان سياسياً من الطراز الأول تجتمع فيه خصال كثيرة، ثائراً مأزوماً، غير هياب، شديد الذكاء، لا يعتني كثيراً بالمظاهر والمال، إلا بما يجعل حياته تستمر ويديم بيته المفتوح. قال عنه الدبلوماسي المعروف مشتاق طالب بمذكراته (عندما قابلته وجدته أحسن بعثي سلوكاً وأوفرهم أدباً وأكرمهم خلقاً) وكان عبد الناصر قد امتدحه وعبر عن إعجابه بحماسة وتفهمه في الرسالة التي بعث بها إلى المشير عامر في اليمن فوراً بعد حركة ٨ شباط، ونشرها هيكل في سنوات الغليان ويقول فيها: "وطالب شبيب وزير خارجية وذكي لبق متحدث وقد استرحت إليه".

غلب شبيب الشأن العام فلم يعطِ فرصه لكتابة مذكرات شخصية عن نفسه متروياً وعقلانياً في السياسة متطرفاً ومتمرداً في حياته الخاصة بل جبار على نفسه وصحته. حافظ الشبيب على تماسك عقلي فائق فلم يصب بعمدية أو مجانية سياسية وكان يقول أن من يريد أن يكون قائداً عليه أن يفتح داره ويتحمل مسؤولية ذلك. وبين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ تحولت داره الخاصة إلى ما يشبه مقراً للقيادة العراقية لحزب البعث العربي الاشتراكي واختفى بها علي صالح السعدي وحازم جواد وفيصل حبيب الخيزران لفترات طويلة واشتبّه بعض المؤرخين بأنها كانت مركزاً حزبياً ولم تكن كذلك. كان في أواخر أيامه يعتقد أن صحته ستساعده فذهب معي إلى طبيبي الخاص وتحاور معه حول مشاكله التي تشبه مشاكله الصحية وبعد خروجنا قال لا تخف فنحن أقوىاء. لكنه بعد مغادرة دمشق اكتأب وتشاءم وتساءل أكثر من مرة "من أين يأتي الإنسان بملكة الموت؟ إنها شجاعة لا امتلاكها" ولم

يرتكب طالب المرارة لأسباب شخصية إنما فرضها عليه الهم العراقي العام وحاجته في شوط عمره الأخير إلى الاستقرار ولكن بكرامة. ولم يكن تفضيله للإقامة بدمشق خلال سنواته الأخيرة سوى اختيار لطريق الكفاح وعدم التورط باللعبة التي اكتظت بها الساحات الأخرى، رغم أن جميع فرسانها سعوا إليه وعرضوا عليه إقامة تجعله أوسع حالاً وأكثر ثراءً.

أقام شبيب أيامه الأخيرة بمنزلي في لايدن. كان عصيباً ومحبطاً. أراد من الموت أن يأتي ولم يجد القوة في أن يذهب إليه بنفسه.

ودعته خائفاً، فأرسلت ولدي فراس لمرافقته في رحلته الأخيرة إلى لندن، وفي أيلول ١٩٧٧ جاء نبأ رحيله.

لم ابك الشبيب بل افتقده، لم ابكه لأنني حدثته طويلاً عن الموت وموتنا المحتمل، فكان يفهمه وينظره، لكن ليس قبل العودة إلى العراق.

كنت أحاول تقديم هذا الكتاب قبل هذا الوقت، لكن مشاكل صحية عارضة حالت دون ذلك، وبعد انجاز مسودته الأصلية ساعدني على وضع اللمسات الفنية الأخيرة كل من الدكتور محمود أمين شمسة، محمد رشاد الشيخ راضي، أبو أيوب، الدكتور أحمد الموسوي، رضوان الكليدار، محمد مظلوم، طالب الداود وأخي فراس كريم سعيد، فلهم من الشكر والتقدير

علي كريم سعيد

دمشق ١٩٩٨/٩/٢٢

محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية

في نهاية عام ١٩٥٨ قرر الأمين القطري لحزب البعث في العراق الأستاذ فؤاد الركابي تعويض نقص أعضاء القيادة القطرية المعتقلين والهاربين والمتوقفين عن العمل، وبعد الحصول على موافقة الأمين العام للحزب ميشيل عفلق تم إضافة كل من أياد سعيد ثابت ومدحت إبراهيم جمعة وأنا (طالب شبيب) إلى عضوية القيادة القطرية. وكانت الاجتماعات تنعقد في دار فؤاد الركابي عندما كان وزيراً للإعمار. وحين ذاك علمنا إن العقيد عبد الوهاب الشواف يتسهيأ للقيام بثورة انطلاقاً من الموصل، يؤازره فيها الضباط القوميون في بغداد وعلى رأسهم رفعت الحاج سري وعبد الكريم فرحان وناظم الطبقجلي وآخرين لم تعد الذاكرة تحصيهم.

آنذاك كنت تلميذاً في دورة ضباط الاحتياط ومسؤولاً عن تنظيمات البعث في الكلية، كما أصبحت ممثلاً للحزب في اجتماعات الجبهة القومية التي سميت "التجمع القومي" الذي تأسس مباشرة إثر طغيان الشيوعيين على الشارع العراقي بعد عزل عبد السلام محمد عارف وغلق صحيفة الجمهورية التي كانت قلماً للقوميين والبعثيين، وإثر اتساع موجة الاعتداءات العشوائية ضد منتسبي التيار القومي.

حصل ذلك تحت سمع وبصر حكومة عبد الكريم قاسم، مما دفع ممثلي الحركات القومية إلى عدم التفريق بين الشيوعيين وممثلي السلطة وعلى رأسهم رئيس الحكومة.

ووسط تلك الأجواء غير المؤاتية فرض حزب البعث العربي الاشتراكي نفسه كقوة مواجهة تتميز عن بقية القوى القومية بالحماس والانضباط التنظيمي والسياسي الشديد. في حين أخذت الأوضاع تميل تدريجياً نحو المواجهة المصيرية، خصوصاً بعد أن سيطر على القوميين والبعثيين شعور بعدم وجود مكان لهم في تلك المنافسة التي انحازت السلطة فيها إلى جانب التيار الشيوعي المعارض للوحدة وللسياسة القومية في العراق. ولذلك لجأ حزب البعث إلى سياسة تجميع القوى فنجح في إقناع الأطراف القومية الأخرى بتأسيس "التجمع القومي"، وكعضو في القيادة القطرية كلفني فؤاد الركابي بممثيل حزب البعث فيه، وكان يحضر اجتماعاته كل من :

الدكتور محمد صديق شنشل	عن حزب الاستقلال
الدكتور هشام الشاوي	عن الرابطة القومية
حامد الجبوري	عن حركة القوميين العرب
طالب حسين الشبيب	عن حزب البعث العربي الاشتراكي

شكري صالح زكي
الدكتور عزت مصطفى
الدكتور احمد عبد الستار الجوارى
ناجي طالب
عدنان الراوي
عن المحامين
عن الأطباء
عن الأساتذة والمعلمين
عن الضباط القوميين المستقلين
يحضر أحياناً عن الرابطة القومية

وللأمانة هناك آخرون لا أتذكر أسمائهم ، وقد عقد التجمع ثلاثة اجتماعات بكامل أعضائه.

وبعد تزايد ضغط وإرهاب "المقاومة الشعبية" وهي ميليشيا شيوعية ، بدأ عدد المشاركين في اجتماعات "التجمع القومي" يتناقص. وتدرجياً تعذرت إمكانية عقدتها دورياً ، لعدم وجود البيت الآمن وعدم استعداد ممثلي الحركات للمغامرة. وأستطيع القول إن التجمع القومي انتهى عملياً ككيان وكجبهة بعد نشأته بأشهر واقتصرت أعماله على لقاءات مختصرة أو ثنائية. وغالباً ما كان يلتقي فيها فؤاد الركابي وناجي طالب وشكري صالح زكي . وكان شكري على اتصال بنجيب الربيعي ومن خلاله بأحمد صالح العبدى الذي تميّز بطاعة رئيسه رغم عدم مشاركته أفكاره . فلم يرغب العبدى بسياسة الاعتماد على الشيوعيين وكان يشارك القوميين في الخوف من تسلطهم ، لكنه لم يكن وحدواً على طريقتنا : أي الوحدة الاندماجية الفورية مع مصر (الجمهورية العربية المتحدة) . وبالمقابل يتصل فؤاد الركابي بالضباط مثل صالح مهدي عماش وحسن مصطفى النقيب وآخرين.

وقد انحصر جهد التجمع القومي في المرحلة الأولى على إخراج استقالة الوزراء القوميين من حكومة عبد الكريم قاسم بصورة موحدة ومثيرة. وبالفعل نجحنا وأعلنت استقالة الوزراء محمد صديق شنشل وناجي طالب وفؤاد الركابي إضافة للوزير الكردي بابا علي ، كما استقال عضو مجلس السيادة خالد النقشبندی ، أما نجيب الربيعي فأبلغناه بالواسطة رغبتنا أن يستمر في منصبه حتى لا يحصل فراغ سياسي في حالة وقوع انقلاب مفاجئ أو اغتيال فردي ضد عبد الكريم قاسم ، إذ ستؤول السلطة دستورياً إلى نجيب الربيعي بسبب وجوده على رأس مجلس السيادة.

ثورة الشواف — ١٩٥٩

كنت قد أصبحت ضابطاً لركن القسم الفني للقاعدة الجوية في بغداد ، عندما حدثت الثورة في الموصل . وقد علمنا في القيادة القطرية أن عبد الوهاب الشواف سيتحرك بين لحظة وأخرى، ولم نكن مهيين للقيام بأي عمل يفيد عند إعلان ثورته . وكان رد فعلنا الوحيد هو نقل إقامة فؤاد الركابي إلى وكر سري قريب من منطقة البتاوين في الرصافة . وأصدرنا بياناً تؤيد فيه

ثورة الشواف ووُزِعَ في بغداد وفي مناطق أخرى من البلاد وأشرف على التوزيع خالد علي الصالح باعتباره مسؤول العلاقات مع الألوية (المحافظات) .

حين ذاك كانت بغداد منطقة إرهاب لكل قومي وخصوصاً البعثيين، وتضج محكمة المهداوي كل ليلة بهتافات معادية لنا ، وبالشتيمة لجمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة . وترتفع الشعارات الشيوعية المطالبة بالسحل والإعدام ، وشعارات كثيرة أخرى مثل "اللي ما يصفق عقلي" وغيرها . وكنا نعيش حالة من الذعر والخوف وأصبحت اجتماعاتنا الحزبية مخاطرة كبيرة، وتوزيع المنشور السياسي يجلب تهمة شنيعة للقارئ والموزع . ويستطيع كل من عاش تلك المرحلة أن يتصور الحالة النفسية المتوترة التي سادت الشارع السياسي العراقي حينذاك . وقد لعبت منظمات "صيانة الجمهورية" التي أسسها الحزب الشيوعي كمنظمات "أنصار السلام" و "الشبيبة الديمقراطية" و "المقاومة الشعبية" دوراً في تصعيد التوتر والخوف بإعطاء نفسها حق تفتيش الناس والبيوت واعتقال المواطنين بصورة كيفية وغير قانونية .

وخرم القوميون والبعثيون من السند القانوني لرد اعتداءات الشيوعيين عليهم . وكان التلفزيون العراقي منبراً ضد كل شأن قومي وبعثي ، بل ويغذي ويمرض على الإرهاب .

وبعد أيام قليلة من فشل الشواف بدأت محاكمة الضباط الطيارين الذين ساهموا بقصف وزارة الدفاع . وأذكر أن أوامر صدرت لجلب الضباط وبشكل خاص ذوي الميول القومية للتفرج على عملية الإعدام . وكانت تلك هي المرة الأولى في حياتي التي أشاهد فيها تنفيذ إعدام حقيقي ومباشر بضباط كنا نعرف أسماءهم عن بعد. لكننا الآن نشاهدهم بملابس حمراء خاصة، وقد انزلوا من سيارات الإسعاف محمولين لأن أحداً منهم لم يكن قادراً على السير ، فشدوا إلى الأعمدة ولم تكن أرجلهم تحملهم . وكنا وسط جمهرة كبيرة من الضباط والجنود يهتفون "إعدام، إعدام!!" وهو شعار رفعه الحزب الشيوعي مطالباً عبد الكريم قاسم بتصفية كل الرموز الباقية من التيار القومي في الجيش . وهكذا شاهدنا عملية الإعدام البشعة^(١).

خطة الاغتيال

كان شعورنا مزيجاً من الخوف والاشمئزاز ، وأصبحنا لا نفرق بين البقاء على قيد الحياة أو

١ — نفذت سلطات قاسم إثر محاولة الشواف، حكم الإعدام بكل من: العقيد عبد الله ناجي، النقيب قاسم العزاوي، الملازم أحمد عاشور، الملازم فاضل ناصر، المقدم علي توفيق، المقدم يوسف كشمولة، النقيب هاني الدبوني، النقيب محمد سعيد قاسم، النقيب صديق علي، الملازم حازم خطاط، المقدم إسماعيل هرمز، الرائد مجيد الجلي، فاضل الشكرة، نافع داوود، محمد أمين، سالم حسين، مظفر صالح، محسن إسماعيل، العميد الركن ناظم الطبقجلي، العقيد احتياط رفعت الحاج سري، الرائد داوود سيد خليل وعزيز شهاب.

وكان تنفيذ الحكم في ناظم ورفعت وداوود وعزيز في أم الطبول قد تم بقرار لم ينل إجماع القضاة.

الموت في مثل ذلك الجو من الخوف والإرهاب ، ولم تعد الحياة ثمينة ولذلك عندما دعا المرحوم فؤاد الركابي لاجتماع القيادة القطرية واقترح خطة لاغتيال عبد الكريم قاسم وافق عليها أكثرية أعضاء القيادة الحاضرين . وكنا خمسة : فؤاد الركابي ونحالد علي الصالح وأياد سعيد ثابت ومدحت إبراهيم جمعة وأنا، وحضر معنا عبد الله الركابي . ولم اكن اعلم هل كان عبد الله على وجه التحديد مجرد مرافق لفؤاد بوصفه ابن خالته والأمين على أسرارهِ وإقامته ومعيشته، أم كان عضواً في القيادة . فلم ارغب بالسؤال، إلا إن الأمر اتضح لي نسياً عندما لاحظت عدم مشاركته بالتصويت ، فكنا اثنين رافضين (أنا ومدحت) مقابل ثلاثة موافقين على خطة الاغتيال فؤاد ونحالد وأياد.

وقد اعتبر فؤاد الركابي ذلك التصويت كافياً لاكتساب خطته الشرعية الحزبية ، لأن القيادة القومية لم تكن حينذاك سوى ميشيل عفلق . ولذلك اعتقد فؤاد الركابي إن اخذ رأيها ليس له أهمية خصوصاً وإن الأمر يتعلق بسر خطير مثل محاولة اغتيال شخص سيؤدي موته إلى تقويض النظام القائم برمته . لقد ناقشنا أمر الاغتيال في بداية عام ١٩٥٩ أي بعيد فشل ثورة الشواف واشتداد المضايقات لمنتسبي التيار القومي^(١).

كانت خطة الركابي بسيطة وترتكز على ما يلي : أن يتم نصب كمين محكم لسيارة عبد الكريم قاسم في وسط شارع الرشيد وبالذات منطقة "رأس القرية" حيث يمكن الهرب من هناك بعد تنفيذ العملية عبر الأزقة إلى شارع الجمهورية . وفوراً بعد مقتله يتحرك بعض الضباط القوميين الموجودين في الخدمة وخصوصاً في مقر وزارة الدفاع لاحتلالها بعملية مباغتة وسريعة بعد تجريد بعض الضباط الأمراء من أسلحتهم ويتولى الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس

١ - كانت قيادة البعث القومية شبه غائبة بعد إقدام ميشيل على حل تنظيم الحزب في القطر العربي السوري وظل هو يدير أعمال القيادة القومية منفرداً . وكانت تلك فترة إحباط للتنظيم القومي بكامله . أما اجتماع القيادة القطرية الذي أنجز فيه القرار (محاولة الاغتيال) فقد تغيب عنه عضواً القيادة صالح شعبان وسعدون حمادي اللذان فرّوا إلى سورية دون موافقة القطرية العراقية على سفرهما ومن هناك سافر حمادي إلى بيروت . كما كان علي صالح السعدي منذ عام ١٩٥٨ وكذلك حازم جواد مسجونين، واعتاد شمس الدين كاظم التغيب عن حضور اجتماعات القيادة ، ولم يبقَ عملياً غير فؤاد ونحالد لذا جاء إلحاق طالب ومدحت وأياد كمحاولة لإعادة هيكلتها . وكان طالب حينذاك ضابط ركن الجناح الفني في قاعدة بغداد الجوية برتبة ملازم ثاني (ضابط احتياط) ، وقد حصل على ميزة البقاء في بغداد بفضل المقدم الطيار الركن خلف الجنابي آمر كلية الطيران العراقية. الذي تمكن من تربيته في ذلك المركز بفضل صداقته مع فاضل عباس حلمي آمر معسكر الرشيد . وعندما التحق وجد أمامه صديقاً دراسته المهندس الملازم هشام صفوت وكان عضواً في الحزب الشيوعي ، وصباح محمد علي (بعثي) ، وكلاهما يعمل في الجناح الفني. وكان الثلاثة حريجي انكلترا ويعرفون هوية بعضهم السياسية. ويقول شبيب أن هشام صفوت الذي قتل في ١٥ رمضان ١٩٦٣ لم يش به رغم معرفته اليقينية بأن شبيب بعثي ومعارض لنظام قاسم ، وظل على صداقته معه حتى لحظة مغادرة شبيب المعسكر.

السيادة وحسب القانون (بصورة أوتوماتيكية) السلطة مؤقتاً ، بالتنسيق مع الحاكم العسكري العام اللواء الركن احمد صالح العبدى .

وأكد لنا فؤاد الركابي أن نجيب الربيعي مُطلع على خططنا وسيشارك فيها، وأضاف أن هناك عدداً من الضباط الأصغر رتبة وسنا سيقودهم صالح مهدي عماش في محاولة للسيطرة على بعض معسكرات بغداد . وتكلفت أنا بإبلاغ محمد صديق شنشل بتفاصيل الخطة ، وبدوره ابلغ حركة القوميين العرب كي يتأهبوا وقد ساهمت بالتحضيرات رغم تصويتي أنا ومدحت إبراهيم جمعة ضدها ، وحينها أكدنا للبقية بأن الحزب الشيوعي أوسع تنظيمًا وأكثر قدرةً واستعداداً، وسيكون أسرع منّا لاحتلال المواقع الهامة داخل وزارة الدفاع وفي قطعات الجيش^(١).

رأينا ذلك لمعرفةنا الجيدة بميول الشارع العراقي المؤيد لعبد الكريم قاسم و حلفائه، و لم نكن حتى ذلك الحين مشبوهين من قبل أجهزة السلطة فامتلكنا القدرة على الاحتكاك بالناس دون

١ - كانت الخطة بسيطة ولكنها محكمة ، فقد تقرر أن يقف شابان في طرفي شارع الرشيد أحدهما مقابل وزارة الدفاع في باب المعظم والثاني في الباب الشرقي وكل منهما يعتبر نقطة إنذار مبكرة ، يُنبه تلفونياً عن مرور الزعيم إلى شارع الرشيد ، ويذهب الإتصال إلى شقة حازم البكري في رأس القرية . وحينها يستعد فريق الاغتيال المتكون من سليم عيسى الزبيق وسمير النجم وحاتم حمدان العزاوي وعبد الوهاب الغريزي وعبد الكريم الشبيخلي واحمد طه العزوز وصدام التكريتي إلى غلق الشارع وإمطار سيارة الزعيم بالرصاص والقنابل اليدوية ، ثم الانسحاب عبر الأزقة الضيقة (عكد النصارى) إلى شارع الجمهورية حيث تنتظرهم سيارة علي حسون لنقلهم إلى وكر حزبي في العلوية. وتمّ فعلاً تنفيذ العملية في ٧ تشرين الأول أي بعد ثلاثة أسابيع من إعداد الضباط القوميين في أم الطبول . وقد حصل خطأ فني أدى إلى مقتل الغريزي وجرح النجم وصدام في حين قتل سائق الزعيم وجرح هو ومرافقه قاسم الجنسلي . ولم يكن عبد الكريم قاسم يتنقل بموكب من السيارات لحمايته . وبعد بضعة أيام أُلقي القبض على الموجودين في الوكر ، في حين تمكن آخرون من العبور إلى سورية . وذكر د. تحسين معلة إن قيادة الحزب "أبلغت منظمة الأطباء البعثيين أن تسهيء فرقة للإسعافات لكن الأمر أُلغي بعد إلقاء قاسم خطابه في كنيسة مار يوسف . لكن العملية نفذت فجأة وفوراً بعد إعداد رفعت وناظم . وفي صباح اليوم التالي جاء أياد ثابت واصطحبني إلى وكر العلوية الذي أعرفه جيداً ، فقد بنى الدار المهندس فؤاد الركابي ، ومالكه الأسبق أخي فاضل معلة واستأجرها الحزب من مالكها الجديد" . وجد الدكتور معلة في الدار سمير النجم يعاني من بقية نزف خفيف من جرح في كتفه الأيسر واستقرت الرصاصة في الرئة فضلاً عن إصابته بخدوش عديدة من طلقات في الرقبة . وبعد تضميد النجم ، عُلِم معلة بوجود مصاب آخر ، ويقول "وجدت شاباً أصفر الوجه نحيف يرتدي دشدشة بيضاء فسألته ما بك ؟ قال : عندي طلقة في رجلي . وبعد فحصه وجدت جرحاً على الساق لم يصل إلى العظم ، واخبرني انه أخرجه بموسى الخلاقة في الليل وكان هذا الشاب هو صدام التكريتي ، فضمدت جرحه وذهبت لجلب لقاح وجراح" . وذهب د.تحسين معلة إلى د.خلدون درويش لطفي (بعثي) وكان رئيس الأطباء المقيمين وطلب منه اللقاح فتخوف وعاتبه ورفض المساعدة. فذهب معلة إلى د.عزت مصطفى وحصل منه على حقنتين ضد الكزاز حقنهما لسمير وصدام ثم انصرف باحثاً عن د.عبد اللطيف البدري (جراح بعثي) فوجده مختفياً في دار أخته في المأمون الذي رافقه إلى الوكر لكنه قرر صعوبة إجراء العملية . هنا ترك د.معلة المكان وكان فيه أياد وغانم عبد الجليل وحاتم حمدان والشبيخلي والزبيق وآخرين . وعندما أُلقي القبض على معلة أنكر كل شيء فأُفرج عنه بعد عشرة أيام بكفالة ، وبعد عشرة أخرى اعتقل لمواجهة سمير النجم الذي قد اعترف عليه[1].

معرفتهم بتوجهاتنا السياسية.

وفي هذه الأثناء جرى تسريح من الجيش ، واستدعاني آمر الجناح الفني وقال لي: سيسحلونك إذا بقيت هنا والمحرزون كثيرون!! وفي اليوم التالي نشر أمر تسريحي وإلقاء القبض عليّ. وعندما ذهبت إلى الدار وجدتُها محاصرة وتعاني من مضايقة الشيوعيين المنتشرين في كل مكان.

آنذاك بدأنا نبحث جدياً في التنفيذ المستعجل لخطة الاغتيال، ورغم معارضتنا فإن القرار الذي حصل على أكثرية ثلاثة مقابل اثنين اكتسب الشرعية وأصبح علينا الالتزام والعمل بإخلاص لتنفيذه^(١).

١ - لم تكن محاولة اغتيال الزعيم في رأس القرية أول وآخر محاولة يتعرض لها وتستهدف حياته فقد سبقتها وتلتها محاولات ومشاريع محاولات كثيرة أهمها:
أولاً: مشروع لاغتياله عند زيارته مدينة كربلاء المقدسة بمناسبة إحتفالات ١٤ تموز، وتم بالتنسيق مع المكتب العسكري للبحث على أن تتحرك بعد اغتياله قوة لاحتلال وزارة الدفاع من الداخل، والاستيلاء على السلطة، وألغيت الخطة لكثرة الجماهير التي أحاطت به خلال الزيارة.
ثانياً: محاولة اغتياله عند زيارته مدينة الصويرة خلال إفتتاحه مشاريع عمرانية وتعليمية فيها لكنها ألغيت لنفس السبب السابق.

ثالثاً: مشروع لاغتياله من قبل البعث في ٢٣/١١/١٩٦٢ عند إفتتاح سد دربندخان جنوب مدينة حلبجة، ينفذه الطياران الملازم واثق عبد الله والملازم خالد محمد نوري بإشراف حردان التكريتي، ولم تنفذ لمصادفات غريبة تتعلق بصلة القرى الوثيقة بين سائق طائرة قاسم والطيار المكلف بإسقاطها، في حين ذكر الفكيكي إن العملية لو تمت لأدت إلى تدمير سد دربندخان[2].

رابعاً: وضع حزب البعث خطة لاغتياله خلال لقائه بالرئيس السوري ناظم القدسي في منطقة (الربطبة) الحدودية، وأستهدف قصف طائرته عند هبوطها بمطار (ج3) قرب الحدود السورية، لكن العملية تأجلت بعد حسابات احتمالات النجاح والفشل. ويقول منذر الوندائي انه كان صاحب الفكرة، وتكفل بتنفيذها بالتنسيق مع الضباط القوميين في قاعدة الحباينة الجوية وبينهم عارف عبد الرزاق الذي اشترط على منذر موافقة عبد الكريم فرحان وعند الاتصال بفرحان اشترط بالمقابل حضور عارف عبد الرزاق إلى داره وإعلان موافقته الشخصية. وحينذاك أدرك الوندائي بأن كليهما لا يرغبان بالمساهمة أو التعاون ولذلك تمحجج كل منهما بموافقة الآخر شرطاً لموافقته، فتأجلت العملية[3].

خامساً: محاولة اغتياله عند زيارته لمعمل الأحذية الشعبية في الكوفة، في سياق زيارته لمدينة النجف الأشرف في ١٦ تموز ١٩٦٢ ، على أن تتبعها تحركات في بغداد، ولم تنفذ لوصول معلومات عنها إلى أجهزة السلطة.

سادساً: مشاريع فردية كثيرة بينها مشروع لاغتياله من قبل مدحت الحاج سري، لكن الأخير هرب إلى سوريا بعد محاولة الاغتيال في رأس القرية ورودود إسمه في التحقيقات وبعد سنتين من هربه كلف عبد الكريم قاسم أخيه اللواء فاتح الحاج سري بالسفر إلى دمشق وإعادة مدحت، فسافر وعاد برفقته إلى بغداد. وهناك أعمال ومصادمات كثيرة جرت بينها أعمال فردية قامت بها منظمات البعث في بغداد وبعض المدن الرئيسية كالموصل والناصرية والحلة والنجف، [تتم فيها بعثيون من شيوعيين بضربهم بأسلحة غير نارية، الهدف منها الردع والانتقام من التحريض والمحاورة الاجتماعية[4].

وكان فؤاد الركابي رحمه الله صريحا وصادقا في كل شئ ولا يخفي عنا خططه، وأخبرنا بأدق تفاصيل الخطة التي اعتمدت على رصد عبد الكريم قاسم وحساب خروجه وعودته إلى الوزارة، وخاصة عند مغادرته إلى داره في الكرادة الشرقية بين الخامسة والسادسة عصرا. وعلى الطريق في منتصف شارع الرشيد كانت هناك شقة للمحامي حازم البكري استخدمناها مركزا لمراقبة عبد الكريم قاسم ، ويتواجد فيها الفريق الذي سينفذ العملية، وتم اختيار أفرادهم وأعدادهم من قبل عضو القيادة القطرية خالد علي الصالح وساعده مدحت إبراهيم جمعة خصوصا في نقل السلاح إلى الشقة المذكورة .

التنفيذ بأسلحة مصرية

ناقشنا في القيادة القطرية أسماء مرشحي تنفيذ عملية اغتيال قاسم واحداً واحداً، وليس صحيحا إن فؤاد الركابي انفرد في اتخاذ القرارات . أما إذا قصد بفرديته عدم إبلاغ القيادة القومية، فهي لم تكن موجودة عمليا . وقد قال لي حين سافرت إلى دمشق ثم بيروت ، قبيـل العملية بأيام: يا طالب أرجو أن لا تخبر أحدا ، أمرك أن لا تخبر أحدا ، فإذا نجحنا في التنفيذ والاغتيال فسيكون السر معك ، وإذا فشلنا فسيموت السر معك . وأضاف: انه لم يبلغ الجمهورية العربية المتحدة بموعد العملية رغم معرفتها بنيتنا القريبة . وحينذاك لم يكن مسموحا لأحد منا — أعضاء القيادة القطرية — الاتصال بمصر إلا عبر فؤاد الركابي.

وللأمانة أذكر إن بعض الأسلحة التي قدمتها مصر لعبد الوهاب الشواف ، استلمها حزب البعث بطريقة أو أخرى وأوصلها إلى بغداد . وكانت هي أسلحة التنفيذ في محاولة الاغتيال . وقد جاءت إلى الشواف ضمن أسلحة أخرى ومحطة إذاعة سرية من مصر عبر الأراضي السورية في بداية عام ١٩٥٩ بإشراف مباشر من عبد الحميد السراج وتم تنسيق الأمر مع السفارة المصرية من قبل فؤاد الركابي للحصول على بعض ذلك السلاح ، وكانت السفارة تعلم علم اليقين بما نخطط له .

كما علمت إن هناك مبلغ عشرين ألف دينار أو جنيه مصري قد استلمها الحزب لتمويل وإدامة نشاطه وأعمال التحضير للعملية ، خصوصا وإن حصل جمع الاشتراكات الحزبية كان غير كاف ويتم بطريقة عسيرة في ذلك الجو الإرهابي الذي كنا نعيشه. فقد كان مجرد الاتصال أو عقد الاجتماعات الحزبية أمرا في منتهى الخطورة.

آثار المحاولة

وصلت بيروت وكنت اعلم علم اليقين أن المحاولة ستنفذ في رأس القرية بشارع الرشيد. وأن

عملية أخرى ستجري بعد اغتيال قاسم للسيطرة على وزارة الدفاع من الداخل، يتعاون فيها الضباط البعثيون المبلغون مع الضباط القوميين ويتجاوب معهم الفريق نجيب الربيعي الذي سيحل مباشرة وبصورة روتينية محل عبد الكريم قاسم.

صممت أن لا اخبر القيادة القومية ولا المؤتمر القومي الثالث المنعقد في بيروت ولا حتى القيادات الجديدة التي سينتخبها المؤتمر بما يُحضر له الحزب في العراق. وقد انتخبني المؤتمر عضواً في القيادة القومية، مسؤولاً عن شؤون أمانة السر، وهو منصب يعني المسؤولية عن جميع صلات الحزب بفروعه في الأقطار العربية والأوربية، ويعادل ما اتفق على تسميته فيما بعد بمكتب التنظيم والاتصال القومي، وأصبح المرحوم خالد الشيرطي مسؤولاً مالياً. كما انتخب لعضوية القيادة القومية الجديدة مدحت إبراهيم جمعة وفؤاد الركابي وفيصل حبيب الخيزران. وبقينا أنا وفيصل في بيروت في حين سافر فؤاد ومدحت إلى القاهرة.

حينها بدأت تتسرب تفاصيل عن محاولة الاغتيال الفاشلة وورود اسمي في محكمة المهداوي فأصرت القيادة القومية أن أبقى في بيروت ريثما تتكشف الأوضاع، ويتقرر ما يمكن فعله على المستوى التنظيمي في العراق. وكان فؤاد الركابي قد استقر في القاهرة في حين لجأ عدد كبير من قيادة الحزب إلى سورية بعد أن ساعد وجود جثة عبد الوهاب الغريزي التي خلفها الهجوم ضد قاسم وراءه على كشف هوية الفاعلين^(١).

استدعاني ميشيل عفلق وكنت حينها معاونه الأول بوصفي مسؤولاً عن مكتب الأمانة

١- أحيل ٥٧ متهماً إلى محكمة المهداوي التي انعقدت في ١٩٥٩/١٢/٢٦، حوكم منهم ٢١ متهماً غيابياً وصدرت بحقهم أحكام بالإعدام والسجن، وبينهم اياد سعيد ثابت واحمد طه العزوز وسليم عيسى الزريق وعبد الكريم الشيعلي وحاتم حمدان العزاوي وطه ياسين وصادم التكريتي وياسين عبد الجبار السامرائي وفاضل عبد الغفور وخالد علي الصالح وعلي حسون وتحسين معله وكريم شنتاف وحازم البكري وعبدالله الركابي وحاسم قره علي واحمد مرعي ويسرى سعيد ثابت، وصدرت الأحكام بتاريخ ٣١ اذار ١٩٥٩. وتنازل عبد الكريم قاسم عن حقه في تنفيذ الأحكام الصادرة، ف جاء بعده بسنوات صدام التكريتي لينفذ قرار الموت بشركائه فقتل قائد المحاولة فؤاد الركابي بعد اتهمه بالتجسس لصالح امريكا، وقتل سعدون البيرماني في حادث سيارة أودى بحياة جميع افراد عائلته، ومات الزريق بظروف غامضة، ويعتقد بالثاليوم، وأغتيل عبد الكريم الشيعلي ونجا سمير عزيز النجم من محاولة قتل مؤكدة عندما أسقطت طائرته التي مات فيها عضو القيادة القومية السوداني محمد سليمان. وتمكن خالد علي الصالح من النفاذ ببلده والعيش بقية عمره متغرباً في القاهرة واقطار عربية أخرى. ونجا د. تحسين معله من عملية تفجير سيارته في الكويت ويعيش الآن منفياً. وقضى احمد طه العزوز جل سنوات عمره بين السجن والخوف من غضب رفيقه وقتل غام عبد الجليل برصاص رفاقه واقاربه وقضى طالب الشبيب سنوات طويلة حتى الموت في الغرب، ويعيش عبد الله الركابي منذ أكثر من ربع قرن لاجئاً سياسياً. ويذكر ان صدام حسين ألحق متأخراً في العملية بسبب تغيب أحد المكلفين بالتنفيذ، وكان حينها نصيراً لم يكتسب عضوية الحزب العاملة.

وفي مقابل انتقام صدام من شركائه في العملية، كان عبد الكريم قاسم قد تنازل عن حقه وابقى عليهم الحق العام فقط متجاوزاً على نفسه وعلى سائقه المغدور، وعلى مرافقه قاسم الجنابي بعد ان قدم الاعتذار للجنابي ولعائلة السائق.

في الحزب، وسأل: هل تعلم شيئاً عن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم؟ قلت: نعم، وأعلمته بالخطة كاملة وبأسماء المنفذين والمديرين ودور الضباط البعثيين والقوميين المحتمل في حالة نجاح المحاولة. وأبلغته بمشاركتي في بعض أعمال الأعداد للعملية رغم معارضي لها، وقلت له: إن احتفاظي بالسر كان بسبب تعليمات مشددة من القيادة القطرية العراقية، وقد كنا مقتنعين بضرورة عدم إبلاغ أحد لخطورة الأمر ولغياب وجود القيادة القومية عملياً.

لقد صدقت أسوأ ظنوني، فبعد ضرب عبد الكريم قاسم في رأس القرية، لم يذهب الضباط البعثيون والقوميون إلى وزارة الدفاع، بل ذهب إليها الشيوعيون والقاسميون وسيطروا على كل شيء. ولم يتحرك الفريق نجيب الربيعي ولا اللواء الركن أحمد صالح العبيدي وإنما ظهرت صورة عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون من المستشفى وخطب مندداً بالمحاولة وأشعر العراقيين بأنه لو سقط لفقاد المتآمرون البلاد إلى دمار شامل وتحولت إلى "شـنـر مـنـر"، وحسب الشعب وشكر الجماهير على ردة فعلها المؤيدة له. تلك الجماهير التي خرجت فغطت شوارع بغداد والأحياء والمدن، وتحول الأمر من نصر لنا إلى شكل احتفالي بالنسبة للنظام ومؤيديه، وفرصة للملاحقات والاعتقالات والتسريحات من الجيش ودوائر الدولة لكل المشتبه في تعاونهم مع حزب البعث، وإلقاء القبض على أكثرية كوادره في بغداد اثر اعترافات مجانية صدرت من "شاكر حليوة" الذي أطلق عليه العقيد فاضل عباس المهداوي اسم "مستيقظ الضمير"^(١).

١ — انعكست محاولة اغتيال قاسم في ٧/١٠/١٩٥٩ على الشيوعيين أيضاً فوقوا مدهوشين من امكانية سقوط قاسم المفاجئة باغتيال أو انقلاب عسكري أو محاولة للسيطرة على السلطة من داخل المؤسسة الحكومية المعادية لهم. يقول ثابت حبيب العاني: "شعر المكتب السياسي بالحاجة إلى تنشيط اللجنة العسكرية واعاد الاتصال بنا بعد ان اهتممنا خلال الفترة السابقة، قمنا بتطهير صفوف التنظيم العسكري (الشيوعي) من الانتهازيين والوصوليين والقاسمين من الضباط. ومع استمرار التداعيات الناجمة عن الحملة السياسية والاعلامية ضد الشيوعيين برزت فكرة السيطرة على السلطة"، و اضاف يقول "وكان من ابرز الداعين إلى ذلك الزعيم جلال الاوقاتي الذي قامت خطته على فكرة الاستيلاء على وزارة الدفاع، فالذي يستولي عليها يستولي على السلطة"، و اضاف العاني ان جلال الاوقاتي قال: "لو أصبح عبد الكريم قاسم سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي، لازم ننزيمه لانه سوف يدمرنا ويدمر نفسه" وقال الاوقاتي "لدينا القوة الجوية ويتطلب الامر لواء مشاة" فأجبت "لدينا لواء ٢٧ الموجود في الوشاش، وكان أمره الزعيم الركن حميد امين (شقيق المدعي العسكري العام ماجد محمد امين) وهو قاسمي، ولكن هناك رفاق على رأس الانسواج مثل العقيد الركن عبد الرضا عبيد أمر الفوج الأول والعقيد ابراهيم الجبوري أمر الفوج الثاني والمقدم غازي دخيل أمر الفوج الثالث والمقدم الركن علي خالد ضابط ركن اللواء". وعلق الاوقاتي "مطلوب حركة جماهيرية أو اضرابات أو مسيرة نقوم خلالها باعتقال قاسم ونجبره على التوقيع على التنازل ثم نرسله إلى احدى الدول الاشتراكية"^[5]. وحينها قدّم العاني تقريراً للمكتب السياسي للحزب الشيوعي قال فيه يوجد لدينا في الجيش العراقي "خمسة آلاف ضابط منهم خمسمائة ضابط بين ملازم وزعيم منتظم في الخلايا واللجان الحزبية، والى ومائتي ضابط اصدقاء يدفعون تبرعا شهرياً" وتضمن التقرير وجود ثلاثة آلاف جندي اعضاء في الحزب الشيوعي^[6]. لكن المكتب السياسي انتقد تقرير اللجنة العسكرية لانها لم تُقدّر ان حكم عبد الكريم قاسم وطني ووصف التقرير للجنة العسكرية بالمغايرة التي تستهين بالجماهير.

تأثر جهازنا الحزبي بمحاولة الاغتيال سلباً وإيجاباً : سلباً على شكل اعتقالات وتسريجات وهرب إلى الخارج . ولم يكن الأثر الإيجابي محسوباً ، فقد فوجئنا بأن فشل العملية كان أكثر أهمية لنا من نجاحها ، لأنها لو نجحت لاستلم الشيوعيون السلطة بصورة تلقائية ، إذ لا يوجد بديل عنهم لكن الفشل أبقى على حياة عبد الكريم قاسم فترة من الزمن كانت كافية ليحصل تغير خلالها في مزاج الشارع العراقي ، وليستعيد القوميون نشاطهم ، تدفعهم في ذلك مشاعر الاستفزاز والتحدي خصوصاً بعد أن وقفت مجموعة من شباب البعث بصلاب في قاعة محكمة الشعب مثل أياد سعيد ثابت وأخته يسرى وخالد علي الصالح وسليم عيسى الزبيق ، مما استثار النخوة والشجاعة وروح التحدي لدى البعثيين وأدى إلى انعطافة لم يسبق لها مثيل بالنسبة إلى حركة سياسية صغيرة عددياً وعمرها قصير نسبياً كمنظمة البعث في العراق ، فازداد تعاطف التيار القومي واحترامه للبعث وقيادته ووثقوا بقدرته على المبادرة ومواجهة نظام قاسم^(١).

١ - استغل البعثيون شد الاعصاب فضربوا في رأس القرية قبل تسلل التراخي إلى جسد حزبهم . لكن المحاولة اتضح بعد فشلها انها كانت من نوع "اضرب واهرب" ولم تكن مشفوعة بأعمال تهدف إلى السيطرة على السلطة . مما دعا القيادة القومية للحزب إلى ادانة قيادة (فؤاد الركابي-خالد علي الصالح) . وفي آب ١٩٦٠ انعقد المؤتمر القطري لحزب البعث وقرر بالإجماع ما يلي "ان المؤتمر القطري يعلن عن شجبه للاغتيال السياسي وقرّر ان محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم من قبل القيادة القطرية السابقة ، انما هو خرق لعقيدة الحزب ، وانحراف عن اسلوبه الانقلابي الشعبي ، والمؤتمر يؤيد كل ما جاء في بيان القيادة القومية حول الموضوع".

لكن الجراة التي اظهرها شباب البعث داخل محكمة الشعب اوضحت بصدق تمسكهم بعقيدتهم الحزبية السياسية ، واظهرت البعثيين أمام الرأي العام العراقي بمظهر الشبان الشجعان المخلصين لأفكارهم وشعاراتهم حول الوحدة العربية واستعادة اجماع ومكانة الدولة العربية الاسلامية . وانهم طراز خاص من المتهمين الذين لم تمهدهم محكمة المهلوي ، لأن جميع من حاكمتهم سابقاً نفوا التهم الموجهة اليهم أو اعلنوا ندمهم على الانحراف في المواقفات . لكن هؤلاء دافعوا بنقطة عن عقيدتهم وانتمائهم ، وتحدث بعضهم عن واجبه القومي في توحيد الامة العربية ، وتحولت المحاكمة إلى نزال استطاع من خلاله البعثيون ولأول مرة ان يعلنوا على الملأ آراءهم ، فلم يظهر كطلاب سلطة بل اصحاب موقف ومبادئ . وقد عاملهم المهلوي باحترام وباسلوب مختلف عن طريقته للمهينة التي تعامل بها مع رجال العهد الملكي أو المتأمرين على حكم قاسم أو أولئك الذين ارتكبوا جرائم ضد سجناء سياسيين . واستطاع البعثيون ان يميزوا عن الشيوعيين باهتماماتهم القومية وبشعارات الامة الخالدة ، وعن القومييين العرب والناصرين بطرحهم فكرة التلازم بين الفكر القومي والاشتراكي ، واعطوا، نظرياً، حق المواطنة لكل ساكن على الارض العربية وخلص لوحدها وقوتها . وربما يكون ظهورهم الشديد اكسبهم عداوة الملايين من محبي عبد الكريم قاسم لكنه اعطاهم مئات المعجبين الاشداء الذين انضموا للحزب وهم يعرفون انه مدرسة شجاعة ومقاتلة ، فكانوا القوة التي انتصروا بها فيما بعد . فقد كانوا فئة قليلة لكنها متماسكة وبأماكنها التغلب على كثر بشرية كبيرة فاقدة للاتجاه وبقية مرتبكة. لكن محاولة الاغتيال علمت البعث بأن القوة وحدها لا تكفي وان النصر يتطلب التخطيط والعمل داخل القوات المسلحة، وهو ما ستركز عليه قيادة السعدي الجديدة . ويذكر ان القيادة القومية للبعث اصدرت بياناً في ١٣/١/١٩٦٠ ورد فيه "ان تمادي قاسم في اغتيال قادة الشعب والجيش والشباب اللقائدي في العراق عن طريق السحل في الشوارع دون اتهام أو محاكمة . . . هو الذي دفع قسم من الشباب الوطني للدفاع عن النفس بهذا الاسلوب"[7].

ورغم الشقوق التي ظهرت في الجدار القومي بسبب الخلاف بين عبد الناصر وحزب البعث فقد استعدت قوى التيار القومي في العراق لوضع البعث في طليعتها في المعركة المصيرية ضد النظام وضد الشيوعيين العراقيين في الشارع وفي قاعة محكمة الشعب علناً وبإرادة ذاتية عراقية لا تعتمد في اختياراتها الأساسية على أية جهة خارجية.

ومن حسن الحظ كان علي صالح السعدي وحازم جواد خلال الإعداد للمحاولة معتقلين، وقد أطلق سراحهما قبيل تنفيذها، فلم يتمكنوا من الاشتراك بها أو حتى الاتصال بالحزب، وبالتالي لم يرد إسماهما في التحقيقات والاعترافات الواسعة. فتمكنوا من عبور الحدود إلى سوريا ثم العودة إلى العراق والانكباب على إعادة بناء تنظيم الحزب بعد أن تهدمت هيكلية وتحوّل الجميع بين هارب أو معتقل أو مختفى.

لكن عبد الكريم قاسم قدّم إلينا بتراجعته عن تنفيذ أحكام الإعدام بالفريق الذي حاول اغتياله فرصة ذهبية جديدة. فقد فهم مؤيدو حزبنا تراجعهم ذلك ضعفاً له وقوة لنا، وبدورنا استثمرنا تلك الفرصة إلى أبعد الحدود^(١).

١ — بعد منتصف ليلة ١٣/٣/١٩٦٠ القى قاسم خطاباً قال فيه: "ان تمسكنا بالوحدة الوطنية بخدم الجمهورية ويعزز مكانتها بين الدول ويجعلها سنداً للدول العربية" وقال " لا ينجي العرب والاكرد والتركمان الا بالتكاتف مع بعضهم وبال دفاع عن كيان الوحدة العراقية الصادقة . اتركوا الطيش ويجب ان تسبوا وراء التفكير العميق" وتساءل "ارأيتم أولئك الذين تصدوا لي في الطريق ؟ هل كانوا يسرون بأسس يقبلها ضميركم ؟" وذكر مرافقه : "ان الله حفظه فهو شاب اشترك معي بأخلاص ليلة الثورة" . واعتذر لعائلة سائقه المقتول كاظم عارف قائلاً "الله يرحمه ويقتض من اجله . . . لقد اعتدوا هؤلاء علينا بوابل من الرصاص والنيران وارادوا ان يجعلوا هذا الشعب يتقاتل مع بعضه فتسيل البرك من الدماء" وقال "ان القانون يحفظ مصلحة الجميع . . انكم عندي سواء . وان هؤلاء الذين اعتدوا عليّ ، ايها الاخوان ، قد اخبرت رئيس المحكمة العسكرية انني عفوت عن حقني الشخصي ، وليكن حسابهم عن الحق العام وعن قتلهم السائق، ولتكن الرحمة فوق العدل كما اخبرت . ولذلك صدر الامر الوزاري لتنفيذ الأحكام في الساعة الرابعة من هذا اليوم بحقهم وكانوا خمسة وهم: احمد طه العزوز وسليم عيسى واياذ سعيد وحמיד مرعي وشخص آخر وقد عفوت وخففت عن شخصين لندمهما ولأنني وجدت أسباباً تستدعي الرأفة وكان احدهما قد تصدى لي ورماني ، وربما كان سبباً في مقتل السائق وهو سمير، قد خففت حكمه إلى خمس عشر سنة وخففت حكم الآخر إلى خمس سنوات بعد ان كان محكوماً بالمؤبد مرتين وهذا محكوماً عليه بالإعدام. كما صدر مرسوم جمهوري رقم ٢٠١ في يوم ٢٦ كذلك لتنفيذ حكم الإعدام بمجرم آخر هو منذر أبو العيس (شيوعي) الذي اعتدى على أحد المواطنين وسبب قتله بصورة وحشية بين جبهة من الناس" . وقال "بعد ساعتين ونصف تقريباً ستنفذ أحكام الإعدام وانني اقول : ان الشخص الصالح هو الذي لا يعتدي على الآخرين ولكني اتسها الاخوات وايها الاخوان وجدت أن هذه الحادثة كانت موجهة الي بلذات وانني فرد منكم واسعى من اجل مصلحتكم واعطف عليكم وجميع ابناء الشعب ووجدت ان هذا اليوم هو آخر يوم من ايام العيد، وهذا اليوم هو اليوم الذي يلي العيد وهو يوم الخميس ، وهذا اليوم هو ليلة الجمعة والايام لدينا مقدسة ، فعليه قررت في هذه اللحظة ان ألتم بأمر الباري عز وجل { اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون } فقررت تأجيل تنفيذ حكم الإعدام حتى اشعار آخر ، وقد تكون هذه عبرة لمن اعتبر والسلام عليكم ايها الاخوان وارجو الله ان يوفقكم ويكمل جمهوريتنا وينصرها بعز من عنده والله يوفق والسلام عليكم".

الركابي بين ناصر وعفلق

وقف الركابي حائراً بين عبد الناصر وميشيل عفلق ، لكن المسافة التي كانت تفصله عن ناصر اقرب بكثير منها بينه وبين عفلق . ورغم الظروف السيئة المحيطة بحزب البعث في العراق إلا أن الوجود العراقي في جسم الحزب القومي كان قوياً ومؤثراً خصوصاً وإن الحزب في سورية مازال منحللاً بإرادة عفلق وربما عبد الناصر . وكان ذلك في عام ١٩٥٩ وهو نفس عام محاولة اغتيال قاسم وكان اكرم الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وصلاح الدين البيطار وزراء ، وكان الرئيس الأسد هناك في القاهرة ضمن القيادة العربية المشتركة، لكن حزب البعث (شريك عبد الناصر في الوحدة) ظل معزولاً عن اية ممارسة فعلية للسلطة وربما كان ذلك بسبب انعدام الود بين ناصر وعفلق ، واعتقد أن ناصر حرص لهذا السبب في مباحثات الوحدة أن يقول لعفلق : أنني لم أعرفك ولم أرك من قبل ولم أتعاط إلا مع اكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار ، فأنت يا ميشيل أين كنت ؟

وعلى العكس من ذلك اندفع عبد الناصر متجاوباً مع البعث في العراق ، يعطيه كل دعم ومؤازرة ويظهر له الود التام . واعتقد أن ذلك كان السبب وراء التفور الذي سيطر على العلاقة بين الركابي وعفلق .

وفي ما يخص شخصية فؤاد الركابي الذي يعرف القارئ انه اغتيل فيما بعد في السجن بعد أن حكمت عليه سلطة (البكر-صدام) بثلاث سنوات حكماً جزافاً . وبعد أن قضاه وحاًن وقت إطلاق سراحه دسوا له شخصاً قاتلاً ليقطع وريده بسكين ويُترك ينزف بدون إسعاف لمدة نصف ساعة كانت كافية لكي يفارق الحياة .

كان الركابي، رحمه الله، دمثاً ودوداً صريحاً ومثلاً في رباطة الجأش وفي تشجيع المناضلين على مواصلة المسيرة مهما كانت الصعوبات.

وبغض النظر عن اختلاف مسيرتنا في ما يخص بقائي في حزب البعث في حين أسس هو تنظيمًا بديلاً بإسم الوندوين الاشتراكيين ، فإني بقيت وما أزال أكن له محبة واحتراماً وأقرب أنه كان قدوة في الشجاعة بين قادة البعث ، وهذا الأمر يصدق على علي صالح السعدي وحازم جواد .

كان الركابي، كما علي وحازم، عقلاً نياً ومؤمناً بالحزب ، يعتني ويدافع عن حياة كل عضو فيه ولم يطلب من أي حزبي القيام بعمل لا يكون هو مستعداً للقيام به . وهكذا كانت المسيرة البعثية التي تميز بها تنظيمنا في العراق .

وكان الركابي ضد قرار حل الحزب في سورية مثله في ذلك مثل ٩٩٪ من البعثيين العراقيين وفي ذلك يكمن سر عدم ودهم لميشيل عفلق . وتلك العداوة انعكست على واقع التنظيم الحزبي

في العراق ، وجعلت تدخلات عفلق فيه سلبية خصوصاً في تلك المرحلة التي لجأ فيها عدد كبير من البعثيين العراقيين إلى سورية، إثر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في ١٩٥٩^(١). تلك التدخلات التي ستؤدي في النهاية إلى ميل عفلق وتشجيعه إلى نوع من البعثيين سيسلكون مستقبلاً مسيرة سوداء بمباركته وستكون نهايتها المنطقية والعملية أن يقع الحزب فريسة بين يدي صدام حسين ويضطر عفلق إلى الاستسلام له والعيش بكنفه والتخلي عن رغبة الهيمنة التي طالما حرص على التمسك بها.

١ — كان عضو القطرية مدحت إبراهيم جمعة، وهو مشارك ومُخطِّط للعملية ، أول الواصلين إلى سوريا [8] وبعده بأيام وصل عبد الكريم الشبيخلي وكان تلميذاً في الكلية الطبية ومشاركاً في العملية ، ثم فيصل حبيب الخيزران وعبد الستار الدوري وشفيق الكمالي وفالح الجول وفواد الركابي وعلي السعدي وحازم وجواد وعبد الله الركابي وشكري الحديثي وأحمد العزاوي وفاضل الشاهر وفاتك الصافي وصدام التكريتي وهاني الفكيكي ، وكان شبيب قد ذهب إلى دمشق قبل التنفيذ بأيام لحضور المؤتمر القومي الثالث . ورغم كل شيء لم تود محاولة الاغتيال إلى حملة شاملة تستهدف كل متسبي البعث ، بل اقتصر على المساهمين الفعليين وعلى من ترد اسمائهم في التحقيق سواء كانوا مشتركين أم غير مشتركين في المحاولة ، لكنها لم تتحول إلى ذريعة لتصفية حزب البعث أو إلى اعلان حله . ويذكر ان مكتباً بإسم "مكتب العراق" تأسس بدمشق برئاسة السعدي وعضوية شبيب والخيزران [9]. وقد سبق محاولة الاغتيال إرسال عدد من المنفذين إلى خارج العراق بينهم عبد الكريم الشبيخلي لغرض التدريب على استخدام السلاح وتدريب آخرين في مكان ناءٍ من منطقة الفرات الأوسط.

مراجع:

- [1] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق ١٩٩٥.
- [2] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، تجرّبت في حزب البعث في العراق، دار الرئيس للنشر، لندن وقبرص، ١٩٩٣، ص ٢١٥.
- [3] صالح الجبوري، ثورة رمضان ١٩٦٣ في العراق، صفحة ١٢٨. وعبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، دار البراق ١٩٩٣، لندن، ودمشق.
- [4] عارف عبد الرزاق، مقابلة، لندن ١٩٩٨.
- [٥] طالب عيسى القاجي، مقابلة، ميونيخ، ١٩٩٠.
- [6] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، العدد الثامن سنة ١٩٩٥، ص ٢٠.
- [7] ثابت العاني، رسالة العراق، مصدر سابق، ص ٢٠.
- [8] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، ص ٣٦.
- [9] هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ١٤٠.
- [10] حنا بطاطو، العراق، الجزء الثالث — الشيوعيون والبعثيون، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٢، ص ٢٨١.

المؤتمر القومي الثالث

قدمت نفسي للآمر بعد أداء التحية العسكرية بكل النشاط المعهود لضباط الاحتياط ، فرد التحية العسكرية وطلب إليّ الجلوس قائلاً : انك ستكون مسؤولاً عن أربعين فنياً من براد إلى حداد وقادح ، وجميعهم درس في احسن الثكنات والمعاهد البريطانية ، وستستعرضهم صباح كل يوم بالإضافة إلى سرية جنود ومراتب ، ومسؤولي مخازن وستكون مسؤولاً عن صيانة وإدامة طائرات الفيوري Fury والسبايت فاير Spit Fire (قاذفات اللهب) . فارتبكت وقلت : لم أر في حياتي طائرات من هذا النوع ، وسألته : كم طائرة لدينا من الفيوري ؟ فأجاب : صفر . فسألت : وكم من السبايت فاير ؟ أجاب : صفر . فقلت : ماذا سأعمل إذن ؟ قال : سأعطيك عمل لثلاثة اشهر وبعدها تأتينا لعمل آخر ، فأذهب الآن لاستعراض جنود السرية والفنيين صباح كل يوم وقم بالإجراءات العسكرية الروتينية كالتيثت من الحضور وأداء السلام العسكري وإبلاغ النائب الضابط المسؤول عن المستودعات ، وهي كثيرة ، أن يعيد جرد موجوداتها ويوزع السرية حسب ما هو موكل إليها في حالة إعادة الجرد الاعتيادية ، وقم بجولة معهم ثم عُدْ إلى مكتبك لتستلم منهم تقريراً يومياً وأسبوعياً حول أعمال الجرد.

وهكذا بدأت دوامة العمل في المعسكر تدور . وعلى بعد ستمائة متر من مقرنا كان هناك حاجز وأسلاك شائكة تقف خلفها أول دفعة من طائرات الميغ الروسية التي كنا ننظر إليها من بعيد بإعجاب وفرح ولكن لم يكن لأحد منا حق الاقتراب منها ، بما في ذلك الفنيون ، وحينذاك فقط فهمت سر المسؤوليات الوهمية التمويهية التي أسندت إليّ.

الهرب سبباً لحضور المؤتمر

بعد حركة الشواف وأحداث الموصل نُصِّبْتُ عضواً في القيادة القطرية وأعطاني الحزب واحدة من السيارات الثلاثة التي كان يملكها للتنقل وأداء المهمات مستغلاً بدلي العسكري التي تمنح إلى حماية والصيانة.

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت باستدعائي من قبل الأمر الذي سألني : هل لديك سيارة ؟ قلت نعم قال خذها وغادر المعسكر حالاً فقد وصلنا أمراً بتسريحك وسيعلق بعد نصف ساعة على لوحة الإعلانات وسيقرأه الجنود ، قلت سيدي لدي راتب وملابس وإجراءات تسليم قال انج بنفسك وانس كل شيء قبل أن يستلموك ويسحلوك.

النظر لهذه المسألة داخل المؤتمر، الأول: يرى أن حل الحزب كان خطأ تاريخياً لأنه عمود الوحدة الفقري والفكري والتنظيمي وهذا ما كانت تميل إليه أكثرية قواعد الحزب في كل أنحله الوطن العربي والمنظمات البعثية المقيمة في أوروبا. والغريب أن ميشيل عفلق الذي بدأ بقرار حل الحزب انتهى إلى الميل لهذا التيار وحرص على أهمية إعادة التنظيم بآية طريقة كانت. الاتجاه الثاني: ويقوده فؤاد الركابي وعبد الله الريمائوي مسؤول الحزب في الأردن ويرى أن قيام الوحدة العربية تستدعي حل حزب البعث والأحزاب المماثلة في كل مكان من الوطن العربي يلتحق بالجمهورية العربية المتحدة.

وكان هناك اتجاه ثالث يقف رافضاً لكلا الاتجاهين وبين مريديه بهجة أبو غربية الذي قال: "ليس علينا حل الحزب ولا ندخل في خصام مع عبد الناصر" لكنه لم يقدم أية فكرة عن كيفية معالجة الموقف، ووقف منيف الرزاز مع بهجة أبو غربية في حين وقف العراقيون جميعهم عدا فؤاد الركابي ضد حل الحزب واكتسبنا في هذا المجال وضوحاً كاملاً وأطلق علينا اسم "الكتلة العراقية" رغم مساندة أردنيين وفلسطينيين ولبنانيين لنا^(١).

وإني أرى أن المشكلة برمتها كانت مفتعلة من قبل ميشيل عفلق لأنه اتضح فيما بعد بأنه كان صاحب فكرة حل الحزب أو منفعها المقتنع بها. ولو لم يكن مقتنعاً بإمكان التوصل مع عبد الناصر إلى حل وسط لهذه المسألة يضمن قيام الوحدة وبقاء الهيكل التنظيمي للحزب بشكل من الأشكال بعد الاتفاق عليه. وكانت تلك الأفكار والأطروحات التي قسمت البعثيين إلى أجنحة غير واضحة ولم يكن حاملها متأكدين أو واثقين من نهاياتها. ولكن المؤتمر وبسبب تلك الاختلافات وحفاظاً على رضى عبد الناصر وجد في عدم إعادة بناء التنظيم في سوريا بادرةً للتخفيف من أزمة الحزب المتصاعدة معه رغم رغبة أكثرية كوادره في استعادة التنظيم.

١ — تميز فؤاد الركابي بنفوذ ممتاز وسمعة طيبة وكان أول قائد للبعث في العراق وأول وزير بعثي فيه لكنه مال إلى جمال عبد الناصر فنسق مع الريمائوي واختلف مع ميشيل عفلق حول طبيعة العلاقات مع العربية المتحدة. وكانت لفظة الركابي قومية عامة بطابع عراقي في حين سادت بعد رحيله لغة ومفردات أخرى سيطرت عليها نكهة أيديولوجية تستمد تحليلاتها ومفاهيمها النظرية من شموليات قومية متمرسة منشأها الأيديولوجيا القومية السائدة بين مفكري سوريا ولبنان. وكان الركابي قد جرّ الحزب إلى محاولة اغتيال قاسم متناغماً مع إرادة الإدارة والمباحث المصرية، وليس معروفاً لحد الآن بدقة دور العسكريين البعثيين والقوميين في تشجيعه لتنفيذ تلك العملية. ومهما يكن فإن حزب البعث اتخذ بعد فترة من المناقشات موقفاً واضحاً وصادراً يجرّم فيه الاغتيال السياسي ويؤكد سعيه لتحقيق أهدافه بالنشاط بين الجماهير. لكن خطوة الركابي المرفوضة مبدئياً وبغض النظر عن مضمونها، أدت إلى توسع غير معهود في قاعدة الحزب. وربما كان ذلك بسبب المحاكمات العلنية التي أتاحتها محكمة المهدياوي وظهر فيها البعثيون وهم يدافعون عن أنفسهم بأسلوب سياسي جماعي متكافئ، وتحدثوا بعض الشيء عن مبادئهم في تحقيق الوحدة العربية ورفضوا إدانة أهدافهم حتى عندما اعترفوا بفعلتهم أو ندمهم على سلوكهم اسلوب الاغتيال.

لكن إجرأنا لم يوقف الاتصالات والمشاورات الجانبية بين البعثين السوريين بشأن اختيار أنسب الطرق لاستعادة الهيكل التنظيمي للحزب وقد كسب هؤلاء الرأي العام البعثي داخل سوريا وخارجها، رغم وجود بعض الكوادر المؤيدة للانضواء تحت القيادة الكاملة لجمال عبد الناصر.

وإلى حد ذلك التاريخ لم يحتفظ حزب البعث بأية تنظيمات مدنية داخل سوريا عدا المنظمات الحزبية الوافدة والتي تكونت من اللاجئين والطلبة العرب الدارسين في جامعة دمشق ومعاهدها وبينهم عراقيون كثيرون. ورغم عدم خرق البعثيين للشرط الناصري فان الخوف لازمهم من احتمال أن تعتبر أجهزة عبد الناصر الأمنية وجود التنظيمات الحزبية اللاجئة والوافدة إخلالاً أو تأمراً لإسقاط الوحدة. . . وقد تحلى البعثيون، رغم عدم قناعتهم بمبدأ حل الحزب، بضبط النفس والصبر حتى لا يقال عنهم انهم أثاروا الصعوبات بوجه نظام الوحدة العربية. ولم يقرروا العمل المباشر لإعادة بناء الحزب في سوريا إلا بعد حلول الانفصال وسقوط الشرط الأول لحل التنظيم. ولم ينفع صبر البعث في سوريا من عدم إلحاق الضرر بالعلاقة مع ناصر وذلك بسبب توقيع الأستاذين أكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار على ما سمي فيما بعد بوثيقة الانفصال، تلك الوثيقة التي كان لها وقع صاعق على كل مواطن عربي وعراقي وبشكل خاص البعثيين، وأدت إلى خلافات وانشقاقات في صفوف الحزب فخرج فؤاد الركابي وشكل تنظيمًا ناصرياً بإسم "الوحدويين الاشتراكيين". في حين وقف الرباوي وكان لاجئاً في القاهرة ضد إعادة التنظيم في سوريا وضد استقالة الحوراني (نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة) والوزراء البعثيين الثلاثة.

وفسر حزب البعث استقالة وزرائه بأنها كانت أشبه بصافرة إنذار للحكم الوحدوي الذي ضم مصر وسوريا كي ينتبه إلى خطر السقوط ويصحح مسيرته، وساعده في ذلك أن بعض القوى القومية كحركة القوميين العرب قد اتخذت موقفاً مماثلاً، وعلى سبيل المثال: أذكر أن الأستاذين جورج حبش وهاني الهندي جاءا إلى بيروت للاجتماع بالقيادة القومية لحزب البعث وخلال اللقاء فوجئنا أن موقفهم اشد حدة من موقفنا. وقد اعتقدنا حينها أن موقف الحركيين يعود إلى معارضتهم لسلوك المباحث المصرية وللبرنامج الناصري للتطبيقات الاشتراكية في مصر ثم نسخة على علاقته وتطبيقه في سوريا. وفي حقيقة الأمر لم تكن تلك التطبيقات "الاشتراكية" سوى تعزيز لرأسمالية الدولة بمعزل عن تفاعل الفئات الشعبية والمنظمات السياسية.

ولا ادري من كان صحيحاً بطرحه النظري ؟ ولكن المؤكد انه لا يمكن تحقيق الاشتراكية ولا تحقيق الوحدة بغير الوحدويين، وان تسلط المباحث المصرية والمكتب الثاني السوري الذي أصبح عبد الحميد السراج رمزاً له، لا يصلح درياً لوحدة عربية راسخة.

استبعاد الضباط البعثيين

كان إرسال الضباط البعثيين القادة وبينهم الرئيس السوري حافظ الأسد في مهمات شكلية بمثابة إبعاد قسري أثر بشدة على تماسك سلطة الوحدة وعلى مشاعر أعضاء حزب البعث وسبب لهم خيبة أمل كبيرة.

وقد علمنا فيما بعد أن الضباط البعثيين المبعدين إلى القاهرة كانوا يعقدون اجتماعات وينظمون أنفسهم ومناصريهم خارج وداخل سوريا. ووضعوا لأنفسهم هدفاً رئيسياً هو الدفاع عن الوحدة كلما تسنى لهم ذلك، خصوصاً إثر تحسُّسهم بوجود تحركات ومشاورات بين بعض ضباط الجيش السوري للقيام بحركة انقلابية انفصالية، فقرروا تأسيس "اللجنة العسكرية" لتكون أداة التصدي القادرة على إسقاط وقلب أية حركة انقلابية ضد نظام الوحدة العربية.

ونأى الضباط (مؤسسو اللجنة العسكرية) بها عن إشراف وأساليب القيادة القومية التي رأوا أنها مسؤولة عن تردي مشروع الوحدة بسبب إذعانها لفكرة حل الحزب في سوريا. لقد أصبحت القيادة بالنسبة لهم مسؤولة عن إظهار الحزب والوحدة كأنهما نقيضان لا يمكن أن يعيش أحدهما بوجود الآخر.

وكان هذا في نظرهم خطأً تاريخياً كبيراً وغير ضروري لكي يضطر الحزب إلى التورط به وتحمل مسؤوليته. بل أن ما جرى يؤكد أن المتفاوضين من أجل إقامة الوحدة لم يعطوا أهمية كبيرة إلى مبدأ توفير مستلزمات البقاء لها بعد قيامها، وذلك عزز فقدان الثقة في إمكانية ميشيل عفلق وطاقمه على تجاوز أزمة الحزب المفتعلة، في وقت أثارت استقالة الوزراء البعثيين من حكومة الوحدة نوبة شك جديدة بين الطرفين.

ولم يقتصر الشعور بالإحباط من إدارة ميشيل عفلق لقيادة الحزب على العسكريين وحدهم بل هناك المئات من المدنيين الناقمين على قرار حل التنظيم، لكن ما كان يعرفه السوريون لم تطلع عليه جيداً منظمات الحزب في الأقطار العربية الأخرى التي تمسكت بأسماء بعض رموز القيادة التاريخية وتم رفع بعضهم عند كثيرين إلى مستوى القديسين، رغم تخلفهم وبطئهم في التعامل مع المتغيرات.

وفعلاً فقد كنا نحن العراقيين نحتاج إلى بعض الوقت لكي نفهم أن القوة الضاربة في الحزب وهم الضباط، ويتعاطف معهم مدنيون كثيرون، لم يكونوا مقتنعين بإدارة ميشيل أو بخطه ومسيرته.

وأساء للوضع أكثر إقدام أكرم الحوراني على دعم الحركة الانفصالية وجراً معه صلاح الدين البيطار ليقع على وثيقة سيئة مع زعماء الانفصال، تلك الوثيقة التي كادت أن تلحق بسبب توقيعها بالضرر بسمعة البعث، لولا ردة الفعل السريعة من قبل منظمات الحزب

وإصدارها بيانات ضد حركة الانفصال وتأيداً لجمال عبد الناصر وقد فعلت قيادة قطر العراق ذلك فوراً^(١).

ولم ينفع أكرم الحوراني بعد يوم واحد من وضع توقيعه على الوثيقة حينما اخذ ييكى بكاء النساء في مأتم. وقد أطلق عبد الناصر عليها اسم "وثيقة الانفصال عن الوحدة".

إن عملية الاستقالة من الوزارة ومن منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة كانت بمثابة المسمار الذي دق في نعش الوحدة. وعندما قابلنا جمال عبد الناصر أنا وميشيل عفلق في وقت مبكر من شهر نيسان ١٩٦٣ قبل محادثات الوحدة الثلاثية قال لنا بصراحة : لا اعتبر أنكم استقلتم من الوزارة بل استقلتم من الوحدة.

أجواء المؤتمر وبعض نتائجه

كان المؤتمر الثالث وكذلك الرابع قريين زمنياً من بعضهما وبخلاف القضايا ويعتبران مرحلة فاصلة في تاريخ حزب البعث وفي علاقته بعبد الناصر. وكان ميشيل عفلق هو السوري الوحيد الذي حضر المؤتمرين متحدثاً بذلك قرار حل الحزب في القطر العربي السوري. ومن جانب آخر فقد انعقد المؤتمران في ظل أجواء غاية في الأهمية للمنطقة والعالم، تميزت بحساسية العلاقة بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية العربية خصوصاً في أعقاب حركة الشواف والمد الأحمر المدعوم من قبل قاسم والسوفيت. وكان جمال عبد الناصر قد خطب في دمشق وتحدى خروتشيف قائلاً : نحن في العالم العربي لا نخضع للقرار السوفيتي. وأطلق مقلوته الشهيرة في وصف عبد الكريم "بقاسم العراق". فقابل قاسم ذلك بتوجيه

١ — أصدرت قيادة قطر العراق لحزب البعث في ١٩٦٢/٩/٢٩ بياناً تحت عنوان "لترتفع عالياً راية الجمهورية العربية المتحدة ولتقبر مؤامرات الانفصاليين عملاء الاستعمار والرجعية"، ونصه: "كشف التمرد العسكري في الإقليم الشمالي عن هويته الرجعية الانفصالية وارتباطاته بمخططات مشبوهة هي أوسع من واقع الإقليم الشمالي الداخلي ومن طبيعة الحكم في الجمهورية العربية المتحدة. فبالرغم من تشبث بيانات الانقلاب بأن التمرد جاء انتفاضة على الأوضاع الدكتاتورية وسياسة التسلط في الجمهورية العربية المتحدة وبالرغم من تلويح بيانات الانقلاب للشعب بالحرية والديمقراطية فإن العناصر العربية المؤمنة وعلى رأسها حزبنا المناضل تعي أن أخطاء الحكم ونقائصه لا يمكن إصلاحها بما يحقق مصلحة الشعب إلا ضمن الالتزام بالمفهوم القومي الاشتراكي الديمقراطي التقدمي الذي يضع صيانة وحدة إقليمي الجمهورية العربية المتحدة والدفاع عنها ضد المؤامرات الرجعية والاستعمارية والشعبوية في أوليات مهامه النضالية. إن معالجة أخطاء الحكم في الجمهورية العربية المتحدة لا تتم إلا ضمن الوحدة نفسها وضمن مسؤولية الدفاع عن كيان هذه الوحدة. لقد عبر الشعب العربي في سوريا عام ١٩٥٨ بإجماع تاريخي عن رغبته العارمة بالوحدة وعن إيمانه بها واستعداده للنضال في سبيلها. وإن ما حدث من أخطاء اقترفها حكام الجمهورية العربية المتحدة خلال حكم الوحدة لم تغير من إيمان الشعب العربي بالوحدة وتمسكه بها بل أنها كشفت عجز حكام الجمهورية العربية المتحدة عن استيعاب المضمون التقدمي للوحدة وعن حقيقة القوى الشعبية المؤمنة بها .."

المهداوي وماجد أمين بكيل النعوت إلى مصر بدءاً من "المشير الفطير، والحشاشين" ثم مهاجمة عبد الناصر ومعاونيه بأسمائهم. هذا وسادت الأجواء العربية كلها شيء من الغموض وفقدان الاتجاه فالجميع يستعد للصراع دون أن يمتلك خطة أو هدفاً محدداً.

وحينذاك كان البعث مثقناً بالجراح بعد فشل الشواف ، وسادت أجواء من عدم الثقة بينه وبين القوميين بسبب تصرفات غير مسؤولة، في وقت كان في أمس الحاجة إلى علاقات طيبة معهم، وليس من شك أن ذلك يعود إلى تعثر العلاقة بين ممثلي البعث في حكومة الوحدة والأجهزة المصرية خصوصاً رجلها المعتمد في سوريا عبد الحميد السراج الذي كان يشرف بنفس الوقت على سياسة عبد الناصر "العراقية" وعلى العلاقة بين مصر والأحزاب القومية في العراق بما في ذلك مع البعث رغم الخصومة بينهما. وزرع ذلك عدم الثقة رغم الاحترام الذي نكنه لعبد الناصر فقد كنا نذهب إلى السجن ونحن نهتف بحياته.

في مثل هذه الأجواء التقيت بميشيل عفلق وكنت مثل كل بعثي في الوطن العربي احمل له في قلبي إعجاباً كبيراً فيه نوع من التأليه، لكن لقائي الأول معه حمل نوعاً من خيبة الأمل فلم يتمكن من بعث النار في صدري ولم يجرى في ما جئت احمله من آمال وآلام ثورية إلا إننا كنا مدربين على انتظار النبوة فاعتقدت مؤقتاً أن في صمته شيء من الحكمة.

لقد نجحنا نحن العراقيين في إقناع المؤتمر القومي الثالث بأن نجاح البعث في العراق في استلام السلطة سيساهم في إنقاذ الوحدة واستعادة التوازن العقائدي والجغرافي إليها، ذلك التوازن الذي كان مفقوداً بين سوريا ومصر ، فلم يكن رجال سوريا في وحدة ١٩٥٨ شركاء في القرار السياسي الذي هيمن عليه المصريون تماماً. وبهذا يكون المؤتمر الثالث قد مهد للقرار التاريخي الذي اقره المؤتمر الرابع والذي شكل الأساس الشرعي للاستعداد لإقامة دولة البعث في سوريا والعراق والاستقلال حزب البعث عن خط عبد الناصر مع استمرار الارتباط بالعربية المتحدة باعتبارها الأداة الوحيدة القائمة والمتاحة لتحقيق الوحدة العربية المنشودة ولتحقيق التقدم السياسي العربي^(١).

١ - لم يستطع عفلق خلال المؤتمر القومي الثالث التغلب على الركابي فخطط لإضعافه بفصل حليفه عبد الله الريمائي بحجة ابتعاده عن الحزب واقتربه الشديد من عبد الناصر وقد نجح في ذلك. وكقدمة لحشد القوى للمؤتمر الرابع الذي انعقد في صيف ١٩٦٠ هياً لإحضار الوفود من الأقطار العربية ومن المنظمات الحزبية الوافدة، وجاء من العراق علي السعدي وعبد الستار الدوري وتحسين معلة وحازم جواد وطالب شبيب وحبيب الدوري وهاني الفكيكي وحبيب الخيزران وسعدون حمادي وحسن وادي، وغيرهم ، وجاء من بريطانيا عبد الجبار الشطب وعضو احتياط (بهاء شبيب) وحضر من لبنان جبران مجدلافي وعبد الوهاب شحيطلي وخالد يشرطي ومن الأردن سليمان حديدي وبهجة أبو غربية وكمال ناصر وغيرهم كثيرون . وكان المؤتمر على درجة كبيرة من التنظيم والتعبئة وبسببه تمكن عفلق من تجميد فؤاد الركابي الذي ترك وراءه فراغاً قيادياً رغم عدم تمكنه من كسب البعثيين بعد خروجه من الحزب. ولم يتمكن عفلق من هزيمة الركابي إلا بعد فشل محاولة اغتيال قاسم التي أظهرت الركابي مرتكباً، وبعد تمكنه من فصل

وكان من نتائج المؤتمر الثالث أيضاً انتخاب قيادة قومية جديدة وجعل بيروت مقراً لها، بعيداً عن تسلط رجال المكتب الثاني في دمشق. وأصبحت، لأول مرة، عضواً في القيادة القومية مع كل من فؤاد الركابي ومدحت إبراهيم جمعة وفيصل حبيب الخيزران. ولم يكن اختيارهم لي بسبب مواهب الشخصية وإنما بحكم عضويتي في القيادة القطرية العراقية، ولأن القيادة القومية الجديدة أجمعت على إن مفتاح البعث هو العراق، ولم يكن شأني سيرتفع بهذه السرعة لولا اختيار فؤاد الركابي لي لتمثيل العراق في المؤتمر الذي انعقد في تموز أو حزيران ١٩٥٩ في بيروت. وهكذا وجدت نفسي فجأة مسؤولاً عن تنظيمات الأقطار العربية والمنظمات الحزبية في أوروبا وأصبحت صليتي بميشيل عفلق يومية بوصفه أمين السر العام.

حليفه الريماوي. وكان البعثيون قد انشغلوا في المؤتمر في البحث عن طريق خاص بهم للوحدة العربية، يتميز عن أسلوب وسياسة جمال عبد الناصر، وكان ظاهراً تأثر حوار البعثيين داخل المؤتمر بمثقي سوريا ولبنان الذين تميزت ثقافتهم عن الثقافة الناصرية لكنهم لم يتناقضوا معها. وخلال انعقاد المؤتمر الرابع حضر صلاح الدين البيطار إلى بيروت وأقام دعوة لأعضائه في بحدون دون أن يجرؤ على حضوره، وحذر أعضاءه من رغبة عفلق بفصل فؤاد الركابي ولم يعتبر أن السير في ركاب عبد الناصر جريمة تستحق الفصل من الحزب وقال ليس إعداد الكوادر أمراً سهلاً ليحري فصلهم بسهولة. وتحدث عن أهمية المحافظة على الديمقراطية داخل الحزب. لكن عفلق كان قد احكم خطته ونفذ ما عقد العزم عليه. وكنا نحن الدماء الجديدة التي صوتت وحقت له رغبته.

التهئية لثورة رمضان صوت صادق ويد قوية

ازدادت قوة البعث في العراق بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية بشارع الرشيد في بغداد عام ١٩٥٩. واقتنعت قيادة حزب البعث المدنية أن العسكريين القوميين والبعثيين، سيستمرّون في ترددّهم وتذبذبهم السياسي إذا هي لم تبادر بوضع خطة إسقاط النظام وتنفيذها. ورغم الوعي بضرورة تجنب المحاولات الفردية، فقد بحثنا عدة مشروعات للتخلص من قاسم بينها إسقاط الطائرة التي سيستقلها لافتتاح سد دربندخان أو إلى الرطبة، أو اغتياله في كربلاء خلال حضوره احتفال ديني، ويكون مقدمة لتدبير عسكري في بغداد.

أقترحت المشاريع كلها من قبل عبد الستار عبد اللطيف وصالح مهدي عمّاش في المكتب العسكري وكان السعدي يأتي بها إلى القيادة القطرية، نحللها ونناقش احتمالات النجاح والفشل بما في ذلك الجوانب العسكرية الفنية، فنرفض أو نوافق. ولكي يكون عملنا أكثر نضجاً، قال السعدي: أنا لا أستطيع إقناع العسكر بأن رفاقهم المدنيين قادرون على معالجة كل الجوانب الفنية المطروحة. فلم لا نضيف نصف المكتب السياسي إلى عضوية المكتب العسكري لتوسيعه وجعله مؤسسة عسكرية وسياسية وكانت تلك نقلة ذكية وحضارية في عملنا. وهكذا أبلغ المكتب العسكري بإضافة حازم جواد وأنا إلى عضويته بالإضافة إلى رئيسه السعدي. كما أبلغ بموافقة القيادتين القطرية والقومية على القيام بثورة بشرط موافقتها على الشكل النهائي للعمل. وبذلك لم يعد قرار الثورة فنياً مرهوناً بإرادة العسكريين بل أصبح مدنياً ثم عسكرياً. ورغم أن المدنيين لم تكن لديهم معرفة بوسائل القتال العسكرية لكن إرادتهم كفيلة بإيجاد الدور والوسائل المفيدة والرافدة للعمل العسكري. فقيادة الحزب المدنية هي التي قررت أن تكون كتيبة الدبابات الرابعة نقطة انطلاق حركتها القادمة.

كل شيء في سبيل الأعداد للثورة

وعلى مدى سنتين بُذلت جهود كثيرة لنقل ضباط الدروع البعثيين الشباب إلى الكتيبة الرابعة. وجاء اختيارها دون غيرها بسبب قربها من مرسلات البث الإذاعي ومن مخازن العتاد

والوقود، ولان قائدها المقدم خالد مكي الهاشمي ضابط بعثي^(١).

ولقلة عدد ضباط الصف والجنود المنتظمين في صفوف حزب البعث، كان يجب حشد اكبر عدد من الضباط المواليين، المتقاعدين والعاملين في قطعات أخرى يوم إعلان الثورة إلى مقر الكتيبة الرابعة، ليصبح عددهم كافياً للقيادة والرماية والسياسة داخل الدبابات . وكان استبعاد ضباط الصف عن قيادة الدبابات أكثر ضماناً لنا.

وكانت القيادة القطرية وحدها التي تعين الضباط أو تضيفهم إلى مجلس الثورة المزمع إعلانه، ولم يكن ذياب العلكاوي عضواً في مجلس الثورة إلا بعد نجاحها ، وربما يكون قد حضر بعض اللقاءات هنا أو هناك ، لكن ما كتبه برسالته إلى العميد خليل إبراهيم ليس كله صحيحاً^(٢). فمن الناحية العملية لم يكن هناك أي مجلس لقيادة الثورة بل كان مجرد فكرة في أذهاننا، وأولئك الذين حضروا معنا اجتماعاً واحداً أو اجتماعين قبل ٨ شباط رشحوا لعضوية المجلس فيما بعد . وكل شيء كان تحت إمرة القيادة القطرية، بشكل خاص علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وكريم شنتاف. وكان حمدي عبد المجيد منتدبا للعمل في سوريا ، ومحسن الشيخ راضي معتقلاً منذ فترة طويلة ، وحيد خلخال استبعدناه لكي يقوم ببناء وتجديد نشاط الحزب في حال فشل الثورة. وصباح يوم الثورة وبينما كان الجميع يتصورون أشخاصاً كثيرين في عضوية مجلس قيادة الثورة ، في حين كنا أنا وحازم جواد عضوي القيادة القطرية الوحيدين الموجودين عملياً في قيادة الثورة ، وعندما نذيع التعليمات والتوجيهات من مراسلات البث الإذاعي تأخذ طريقها للتنفيذ بلا نقاش ، لأنه لم يكن هناك أحد يشاركنا القرار السياسي قبل إطلاق سراح علي ومحسن وكريم والتحاقهم بنا . أما الآخرون بمن فيهم احمد حسن البكر فكانوا قادة تنفيذيين . وحتى في داخل المكتب العسكري للبعث فقد كنا نحن الثلاثة علي وحازم وأنا أعضاء فيه وقيادة له في نفس الوقت ، لنا أن نوافق أو نرفض اقتراحاته. وفي المجال السياسي كان لابد أن نقوم بخطوة تعبوية إلى جانب التعبئة العسكرية ، فقد لعبت قيادة حزب البعث الدور الحاسم في إقامة نوع من الجبهة القومية أو "التجمع القومي"^(٣) وحضرت اجتماعاته ممثلاً للبعث وحضر عن القوميين محمد صديق شنشل الذي

١ — ضباط كتيبة الدبابات الرابعة البعثيون غداة الحركة هم: صلاح الطبقجلي (رائد) والملازمون سعدون فليح العاني ، وجدي ناجي، هاشم عبد الجبار، سعدي طعمة الجبوري، عدنان دحام العزاوي، طارق صادق، كامل نعمة، هاشم إسماعيل، رياض قدو، نعمة فارس، محمد الويس وغيرهم.

٢ — ذياب العلكاوي . رسالة شخصية إلى العميد خليل إبراهيم حسين . موسوعة ١٤ تموز - عبد الكريم قاسم ، السقوط.

٣ — سماها الشيوعيون بجبهة "أعداء الشيوعية" وقال عنها سلام عادل السكرتير الأول للحزب الشيوعي قبل عام ١٩٦٣ متوهماً أنها ضعيفة : "ان الوضع العام يتميز بتفكك جبهة أعداء الشيوعية التي قامت من أكثر من ثلاث سنوات . . " ويذكر ان هذه الجبهة كانت نظرية ولم يرافقتها على الأرض أعمال مشتركة بقيادتها ، لكنها

ربطتني به علاقة صداقة خاصة ، واستمعت باستمرار إلى نصائحه الصادقة الصادرة عن دراية وحصافة.

المدني يقود العسكري !

أكدت نجاحاتنا في إقامة "التجمع القومي" كغطاء سياسي ، وفي تشكيلة المكتب العسكري الجديدة وفي قيادة إضراب السيارات وتعطيل حركة المرور ثم تعطيل الدراسة رغم اعتقال العشرات من الطلبة البعثيين ومؤيديهم وغيرها من النشاطات ، بأن المدني يقود العسكري وأصبحت قيادة حزب البعث المدنية قوة يخشاها ويحترمها قادة الوحدات العسكرية بل ويوافقون على الخضوع لها^(١).

كانت ضرورة لتوحيد رأي وكلمة القوميين بمختلف اتجاهاتهم ضد الشيوعيين وضد عبد الكريم قاسم. واستمرت الجبهة قائمة شكلياً حتى ٨ شباط ، رغم خروج حركة القوميين العرب منها بسبب استقالة الوزراء البعثيين السوريين من وزارة دولة الوحدة وغضب عبد الناصر منهم.

١ - تكونت تشكيلة المكتب العسكري الجديدة من علي السعدي رئيساً وعضوية حازم جواد وطالب شبيب ، أحمد حسن البكر ، صالح مهدي عماش ، عبد الستار عبد اللطيف ، وخالد مكي الهاشمي ومنذر الوندلاوي وحردان التكريتي. وفي نهاية عام ١٩٦٢ أضيف العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والعقيد ذياب العلكاوي لتعزيز المكتب برتب كبيرة ، وأيضاً بسبب تغيب حردان لوجوده في كركوك وخالد الهاشمي الذي انفهار أمام عبد الكريم قاسم . وستتحول تشكيلة المكتب الأخيرة بعد نجاح الثورة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد إضافة هاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي وعبد السلام عارف وسعدون حمادي وعبد الغني الراوي وطاهر يحيى التكريتي وكريم شنتاف وحامدي عبد المجيد ، وبحق حضور اثنين من أعضاء قيادة فرع بغداد بحسب الحاجة والاختصاص فضلاً عن الرئيس الأول أنور عبد القادر الحديشي بصفته سكرتير المجلس . أما المكتب العسكري الأصلي السابق على التشكيلة الجديدة فاعضائه هم علي السعدي رئيساً وعضوية صالح مهدي عماش وعلاء الدين الجنابي ومنذر الوندلاوي. ودخل سامي سلطان محل محمد علي السباهي الذي خرج بسبب ميله لفؤاد الركابي وجمال عبد الناصر ، وفي الغالب كان الفكيكي يحضر الاجتماعات معاوناً لعللي السعدي . واتبع هذا المكتب طرقات تنظيمية وأخلاقية شديدة الانضباط ، وهو القائد الحقيقي للتنظيم العسكري البعثي. وجاء المكتب الجديد كخطوة تنفيذية متقدمة كانت بمثابة لجنة تنفيذ التحرك العسكري والسياسي وقد وضعت تحت تصرفها كل إمكانيات الحزب العسكرية والسياسية. ويرى طالب الشبيب[١]: إن هناك قيادة واحدة للثورة تعمل سراً وتتكون من علي وحازم وطالب يقودون الحزب المدني والعسكري ويتعاونون مع البكر لإقامة علاقات طيبة من ضباط برتب عالية وتحضيرهم للمساهمة بالثورة عندما يتطلب الأمر كالعقيد طاهر يحيى التكريتي والعقيد عبد الغني الراوي والعقيد رشيد مصلح والمقدم الجوي عارف عبد الرزاق والمقدم عبد اللطيف الحديشي والمقدم سعيد صليبي والمقدم حسن النقيب والعقيد عبد الكريم نصرت والمقدم خالد الهاشمي والمقدم عبد الستار عبد اللطيف وأنور عبد القادر الحديشي . وكان حزب البعث منذ المؤتمر القومي الثالث قد ركز نشاطه اللاحق كله ليخدم هدفاً واحداً فقط هو إسقاط واستلام السلطة ، وحتى لا يحصل ما حصل أثناء محاولة اغتيال قاسم من تناقض بين القطرية والقومية فقد حرص البعثيون في العراق على عرض مشروعهم على المؤتمر القومي الرابع الذي انتخب مندوبيه للمؤتمر الخامس وكانوا : علي وحازم وطالب ومحسن وحامدي وشنتاف والحيزران والفكيكي وخالد وصديقي أبو طبيع وحسن ذهب وبهاء شبيب وحسن وادي وهؤلاء عرضوا مشروعهم للاستيلاء على السلطة فوافق عليه المؤتمر.

إن أهم ما أعطته تلك النجاحات للعسكريين هو الاطمئنان إلى قدرة وإمكانية المدنيين البعثيين في مواجهة وعرقلة تنظيمات الحزب الشيوعي التي يحتمل أن تتصدى للثورة دفاعاً عن نظام قاسم . كما أكدت أن البعثيين ليسوا مجرد فرق اغتيال وإنما هم مؤسسة قوية عسكرية ومدنية فعالة ومبادرة.

وفي أول اجتماع للمكتب العسكري بتشكيلته التنفيذية نوقشت أفكار اشمل من الاغتيال الفردي لشخص الزعيم عبد الكريم . وقد فرض وجود المدنيين فيه بحث الشأن السياسي فيه أيضاً . فتسائل عبد الستار عبد اللطيف : لماذا لا نقتاله بدبابة بدلاً من بندقية؟ وتأسيساً على هذه الملاحظة توسعنا بأفكارنا وتحضيراتنا لنصل إلى الشكل النهائي الذي وصلنا إليه .

وفي أجواء التحضير للثورة جاءني الأستاذ محمد صديق شنشل وسيطاً وقال: اقترحوا لنا ثلاثة وزراء بعثيين وسيعينهم عبد الكريم قاسم فوراً . ورجاني ان اخبر قيادة الحزب ان الاقتراح صادر عن قاسم مباشرة ، فأجبنه : يا أستاذ صديق ان هذا الاقتراح لم يحصل إلا تحت ضغط إضراب الطلبة المخرج للحكومة . ثم إن بياناتنا وصحافتنا الحزبية السرية تدعو بشكل متواصل إلى إسقاط حكومة قاسم ، فكيف تطلب ان ندخل الوزارة ونحن على أبواب ثورة . نرجو منك ومن كل أعضاء التيار القومي ان تعلموا إننا صوت صادق ويد قوية . وسنطرح بالنظام وليس بيننا وبينه أي حوار . ونرجو أن لا ندع مثل هذه المبادرات تنسينا أمرنا وأنفسنا فقد حكمنا على نظام قاسم بالانتهاء^(١).

كنا نثق تماماً بإرادتنا على إزاحة عبد الكريم قاسم . وكان يهمنا جداً ان لا تتعاون معه اية جهة قومية ، خوفاً من تميع المعركة ، ومن حرماننا من مساعدة القوميين عند إعلان الثورة . فقد كنا في معركة مصيرية ولا بديل عن الذهاب في الصراع حتى نهايته.

وكان إبرام أول قرار حزبي قطري لبدء العمل على إسقاط الحكومة القاسمية قد حصل في اجتماع القيادة القطرية بشباط ١٩٦٢ . وتقرر فيه ان يكون البكر رئيساً للوزراء وصالح مهدي عماش وزيراً للدفاع والإبقاء على مجلس السيادة (نجيب الربيعي ومحمد مهدي كبة ، وخالد

١ — تركزت خلافات الضباط القوميين مع قاسم حول الشعور بالغبن فيما يتعلق بمخصصهم من المناصب الحكومية السامية . في حين ميز البعثيون أنفسهم عن بقية القوميين كدعاة فكرة اجتماعية ، ووحديون عرب يتحدثون عن الاشتراكية والمساواة ، فكسبوا للتيار القومي شباباً ووجوهاً لم تكن من حصته الكلاسيكية . وبلغ إيمان البعثيين بأفكارهم حد الرومانسية وخرقة التحدي إلى الدرجة التي لم تستطع فيها محكمة المهادوي وجلاس قاعتها ان يفرضوا عليهم جو السخرية المعتاد . ففرضوا أنفسهم كمتهمين سياسيين وأصحاب رأي . وباستثناء سعيد قزاز لم تواجه محكمة الشعب ، قبل البعثيين ، غير متهمين متملقين ونادمين بما في ذلك عبد السلام ورشيد عالي وغيرهم . فقد مزج البعثيون بين المنظمة السرية ورومانسية الفكرة القومية الشاملة ليضعوا على أفكارهم نوع من القدسية والالتزام وعلى أنفسهم شعوراً بامتلاك القوة التاريخية الغائية المندفعة نحو تحقيق "الرسالة الخالدة" .

النقشبندي) ، وان لا تشترك قيادة الحزب القطرية في الوزارة عدا حميد خلخال وذلك تعبيراً عن رغبة البعث في قيادة السلطة دون الغوص في تفاصيل مشاكلها، وكى لا تنحرف تحت ضغط مغرياتها الكثيرة . وتقرر الاعتماد في التغيير على ضباط البعث الموجودين في وحدات فعالة قرب بغداد، وعلى القادرين على الالتحاق بوحدات قريية . وأوصى الاجتماع ان تعتمد القيادة في التنفيذ بالدرجة الأولى على البعثيين بجناحيهم المدني والعسكري.

وسأقول لك بأني اشعر بالسخرية من أولئك الذين ينسبون قرار الثورة إلى هذه الجهة أو تلك . واعلم ان القرار اتخذته قيادة البعث القطرية العراقية ووافق عليه المؤتمر القطري الثالث ثم المؤتمر القومي الخامس . ولم يعلم عبد الناصر ولا القيادة القومية بتفاصيل أو موعد إعلان الثورة. وان أهم رجال الخطة قراراً وتحضيراً وتنفيذاً هم علي وحازم وطالب والبكر وعماش وعبد اللطيف والوندائي وقيادة فرع بغداد . وكما قلت سابقاً كان محسن مسجوناً وحمدي بسوريا وحميد مستبعداً وحردان بعيداً والهاشمي منهياراً .

وفي مرحلة من مراحل الصراع والتحضير فوجئنا بمحاولات للتطبيع من قبل مصر مع حكومة عبد الكريم قاسم تحت شعار التضامن العربي وأدركنا أن ذلك سيكون على حساب التيار القومي في العراق وذلك يعني أيضاً أن عبد الناصر قد بدأ يقتنع بنهاية الجمهورية العربية المتحدة كأداة للوحدة ويتقبل قاسماً حاكماً للعراق.

ورغم تمكن عبد الكريم قاسم من تحقيق اجتماع في الرطبة مع الرئيس السوري ناظم القدسي، وانهقاد الاجتماع الوزاري لجامعة الدول العربية ببغداد بدعوة من وزير الخارجية هاشم جواد ومشاركة مصر فيه، فقد دفعت مشاعر التحدي أغلبنا إلى نقيض ما كان يسير عليه التيار الحكومي العربي.

وفي ذلك الظرف تجاذبنا خطان: أن نمضي قدماً في الهجوم أو نأخذ دور المدافع، فقررنا المبادرة والهجوم، وجاءت الفرصة عند زيارة أحمد بن بيلا لبغداد، وكان قاسم يرغب عن طريقه في التقرب للحصول على دعم وفك الحصار العربي عنه، وأعتقد أن عبد الناصر شجع بن بيلا على زيارة العراق. وتصرفت قيادة قطر العراق دون العودة إلى القيادة القومية، وقلبت السحر على الساحر، وأحبطت أشياء كثيرة في آن واحد، وذلك بعد أن تمكنت من قيادة التظاهرة الكبرى التي خرجت برغبة شعبية عامة وتهيئة بعثية منضبطة، فغطت مظاهر الاستقبال التي حملت شعارات معارضة للحكومة على الزيارة الرسمية وكان أهم شعار مطروح فيها هو "بن بيلا أهلاً بيك حزب البعث يحملك" ورفع فيها علم حزب البعث الذي هو علم فلسطين المحتلة.

وحينها لم يمتلك الحزب الشيوعي الشجاعة للتصدي للمظاهرة العفوية التي تمكنت من قيادتها وكتبت صحيفة Economist عن تلك المظاهرة قائلة "رايات البعث تغطي استقبال بن بيلا" وأشرفنا كقيادة قطرية على المظاهرة عن كثب (من الرصيف) واعتبرناها تمريناً على

قدرتنا في الحشد والاندفاع، وامتحاناً لقدرة خصومنا في مواجهة إصرارنا، وقد تأكدنا من ضعف أجهزة الدولة في حالة مبادرتنا بعمل مفاجئ ضد الحكومة.

وعندما اقتربنا من إعداد قوانا واشتد نشاطنا، وشى بنا الشيوعيون وأشاروا بصحافتهم إلى قلب قوتنا "كتيبة الدبابات الرابعة"، باعتبارها مركز التحرك "المعادي"، وكان ما كان من إرسال قاسم على أمر الكتيبة خالد الهاشمي وتحذيره، وبدوره اعترف لقاسم بوجود ثلاثة آلاف قطعة سلاح خفيفة من رشاش ومسدس وقنابل يدوية، كانت الكتيبة تحتفظ بها وأعادها فوراً إلى مخازن وزارة الدفاع (ولم يكن قاسم يعلم بوجودها)، ووعده بإفراغ الدبابات من الماء والوقود^(١).

من نكسة الهاشمي إلى اعتقال السعدي

قطعنا شوطاً كبيراً في التهيؤ لمعركة فاصلة، وكنا كلما اقتربنا من التنفيذ نشعر أننا مقبلون على مواجهة ضمنية قاطعة. فإما أن يكون انقلاباً بعثياً أو لا نكون. وبدأنا نتجاوز كبوة الهاشمي بالاتصال الجاني بضباط كتيبته. وقام علي صالح السعدي بتلك المهمة وكان يعرفهم جميعاً، ولم يمر وقت طويل حتى أقنعهم بالارتباط به، وكان أدأؤه متميزاً وشجاعاً، ومفخرة

١ — هناك أدلة كثيرة على ضعف خالد مكي الهاشمي وبينها، أولاً: أن الضباط عبد الجبار السعدي أخير حزب البعث أن الهاشمي إنهار عند مقابلته قاسم، ووعده بتغييرات داخل الكتيبة وسلمه قائمة بأسماء ضباط بعثيين، وعلى ضوئها أعتقل عمال، وبدأ قاسم يتهيأ ويجمع معلومات لإحالة عدد كبير من الضباط على التقاعد لكنه فوجئ بالحركة. ورغم ذلك لم يعاقب البعث الهاشمي بسبب علاقته الطيبة بالسعدي وقربه من عمال. لكن السعدي ظل أرقاً وسأل الزعيم قاسم قبل إعدامه فيما إذا كان الذي أخبره بالحركة موجوداً بين القادة البعثيين داخل القاعة؟ وكان واضحاً شك السعدي بأن المخبر هو أحد قياديي الصف الأول. ولو استعرضنا أسمائهم لما عثرنا على شخص آخر غير الهاشمي تدور حوله الشبهة. ثانياً: لم يلتحق الهاشمي بالحركة بعد إعلانها إلا بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً، أي بعد اتضاح حظوظ نجاحها، رغم أن عبد الستار عبد اللطيف إبلاغه في يوم ٧ شباط بموعدها، وقد فسّر تأخره بالغضب من عدم إبلاغه مبكراً. ثالثاً: يقول عبد الكريم فرحان: "زارني في داري خالد مكي الهاشمي وكانت زيارته مفاجئة لم أتوقعها وحيرت في معرفة أهدافها، لكنني قررت التزام الحذر، وبعد حديث قصير أبدى استعداده للعمل معنا. قلت: أنت تعرف شروطنا، فهل أنت موافق عليها؟ أجاب بالإيجاب ثم أقسم على القرآن وبعد قليل خرج. عجبت للأمر إذ كان بعثياً متحمساً خصوصاً بعد أن أصبح مرشحاً لتولي منصب رئيس أركان الجيش. ومهما يكن فلاني لم أره مرة ثانية ولم يسع إلى لقائي وظهر لي بعد ذلك عدم جديته أو التزامه ولعله أتى لمعرفة أي الفريقين أقوى وأهم واقرب للوصول إلى الهدف"^[2]. أما خالد مكي نفسه فيبرر ذلك بقوله "كنت آنذاك أمر كتيبة الدبابات الرابعة وقد استدعيت من قبل عبد الكريم قاسم لمقابلته، حيث وردت إليه معلومات تفيد بأن هناك تحركاً لحزب البعث العربي الاشتراكي في الكتيبة وإشرافي، واخذ يهددني ويتوعدني وحذرتني من إقامة أي نشاط حزبي داخل الكتيبة. ولهذا لم استطع إقامة أي اتصال مع الحزب، وكان أمر عبد الكريم يقضي بتفريغ دبابات الكتيبة من الماء والكانزولين بعد انتهاء كل تدريب"^[3]. ولذلك لم يشارك الهاشمي في اجتماعات المكتب العسكري الجديد ولا تلك التي سبقت ٨ شباط بأيام.

يملك مؤشرات كافية عن وجودها ، لكنه لا يعرف بالضبط أين يضرب ؟ لتكون ضربته حاسمة . وكان سباقاً لم تكن مرئيين فيه ، وكان قاسم مكشوفاً يقود دولة بلا أسرار ، ويعمل في مؤسساته الحساسة المدنية والعسكرية موظفون وضباط ينتمون إلى مختلف الاتجاهات السياسية في البلاد .

وفي ٤ شباط ١٩٦٣ اجتمع المكتب السياسي للبعث ، علي السعدي وحازم جواد وأنا وكرم شنتاف في داري فوضعنا اللمسات النهائية للخطة وإقراراً أخيراً للتشكيلات التنفيذية كالمجلس الوطني لقيادة الثورة ، ومجلس الوزراء والقيادة العامة لقوات الحرس القومي وغيرها . وبعد إتمام الخطة والمصادقة عليها ، ودراسة كافة التعديلات المقترحة من المكتب العسكري وقيادة فرع بغداد ، وتثبيت يوم ٨ شباط موعداً لإعلان الثورة ، شعرنا بالرغبة للاحتفال ، فذهبت بسيارتي لشراء الويسكي وبعض اللوازم ، وذهب حازم إلى حيث تنتظره قيادة فرع بغداد بناءً على موعد سابق لإبلاغهم بآخر نسخة من واجباتهم المتسقة مع حركة الوحدات العسكرية . ولم يكن معنا في ذلك الاجتماع أي ضابط ، لكن اجتماعاً آخر تقرر في اليوم التالي ٥ شباط في منزلي أيضاً وسيحضره كل أعضاء المكتب العسكري . بمن فيهم الضباط المقترحون لعضوية المجلس الوطني كالعلكاوي ونصرت . وكنت انتظر مساء اليوم نفسه عودة بهاء من اجتماع لجان الإنذار في الأعظمية وأخي الملازم عماد الشبيب .

وعند عودتي بلوازم الاحتفال وبعد عبور جسر العطيفية ، رأيت سلاط خشبية موضوعة على جدران منزلنا المحاط بعدد من الانضباط العسكري . وبتلقائية بادرت لإطفاء محرك سيارتي ونورها وصففتها وراء السيارات الواقفة على الجانب الآخر من الشارع ، فأشعل الأمر علي اثنين من الانضباط العسكري الذين تابعا بدراجتيهما الناريين سيارة أخرى سبقتني في الدخول إلى الشارع . وللتجربة اتصلت من تلفون خارجي ، قلت للمتحدث أريد ان أتكلم مع (طالب الشبيب) فأجابني انه موجود في الحمام وسيكلمك . وحينذاك أدركت استيلاءهم على الدار (الرجال والسلاح) . فقلت يا ابن الـ (...). أنا طالب شبيب وأنت "قواد" ، واعلم إذا أنت أو غيرك مسستم شعرة واحدة من المعتقلين فسنعاقبكم انتم وعوائلكم وأطفالكم وأنت شخصياً تحت مراقبتنا ، نحن نعرفكم جميعاً ، ثم أغلقت السماعة^(١) . وأظنهم استجابوا للتهديد ولم

١ - يقول بهاء الشبيب : عدت في مساء ٤ شباط إلى دارنا بعد اجتماع مطول في الأعظمية لترتيب مهمات الإنذار التي شكلت قبل ٨ شباط بشمانية اشهر وضمت العشرات من أعضاء وانصار الحزب وعسكريين متقاعدين توزعت مهماتهم بين السيطرة على الجسور ومداهمة بيوت الضباط القادة واعتقال الضباط غير المبلغين بكلمة السر ، والبلغنا الجميع ان يتأهبوا وحملت معي ورقة تضم الاسم الأول لكل عضو والمهمات والسلاح المطلوب . وما إن دخلت حديقة دارنا حتى حبّ بوجهي حوالي عشرين رجل أمن من الجانبين وقادوني للدخل . ففوجئت بعلي السعدي وشنتاف معتقلين ، وفوراً اختلقت شجاراً مع أحد الضباط ومنعته من تقتيشي لاني ضابط فأشار إلى وجود انضباط عسكري معهم وهم بضربي فهاجمته أختي (أديبة) التي فهّمت ما اقصدته وتشاجرنا أنا وهي معهم بالأيدي ، وتظاهرت بالإغماء ←

يمسوا أحداً بسوء . وقد تملكني وأنا أتحدث على الهاتف مع رجل الأمن شعور المقاتل وسط الميدان بل وحضر في أعماقي الجواهري الكبير :

أنا حثفهم ألج البيوت عليهم أغري الوليد بشتهم والحاجبا

تركز هدي على إنقاذ حازم جواد والاتصال بأحمد حسن البكر لمنع أعضاء المكتب العسكري من الحضور غداً إلى داري . . . كان حازم جواد مسؤول فرع بغداد ويجمع بقيادته الآن ولم اكن اعلم أين يجتمعون لكنني اعلم انه لم يذهب بعيداً وسعود قريباً لأن سيارته مازالت واقفة أمام منزلي . وفجأة وقع نظري على سعد قاسم حمودي ماشياً صوب داري التي لم تكن وكراً حزبياً سرياً ، ولم تتفق على إشارة خاصة مع أكثر القادمين إليها ، بل كانت منزلاً عائلياً وكنا نفترض بكل القادمين إليها الاعتماد على حسهم الأمني وحذرهم الخاص ، وكانت أشبه بمضافة مفتوحة للبعثيين القياديين ، وللاقارب القادمين من الفرات الأوسط الذين طالما أثقلوا ميزانيتي الشحيحة أصلاً .

أخبرت سعد بما حصل وسألته فأشار إلى بيت قريب هو بيت صباح محمد علي (عضو قيادة فرع بغداد) وقال ان حازم موجود هناك . طرقت الباب فخرج صباح وأنكر معرفته بحازم جواد . قلت : أنا طالب شبيب عضو القيادة القطرية وحازم جواد مسؤولكم، وقد داهم

فدفعني إلى الحمام فابتلعت نصف الورقة ورمت هي النصف الآخر في المرحاض . وكانت (أديبة) قد فعلت الأمر نفسه مع السعدي وعاونته في التخلص من أوراق خطيرة فيها أسماء مجلس الوزراء ومجلس الثورة والتعيينات العسكرية في اليوم الأول للثورة والقيادة العامة للحرس القومي . وحينها قام السعدي وقال يا رجال الأمن والاستخبارات باسم قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي أحذركم من الإساءة والاعتداء ومن يسيء سيحاسب هو وعائلته حساباً عسيراً إلا إننا سنتسامح مع من ينفذ واجبه حسب الأصول وبأدب . فهدأه الضابط المسؤول . وإنشاء الانتظار رن التلفون وطلب المتحدث طالب شبيب فقالوا له انتظر ان طالب شبيب في الحمام . وحينها سمعنا بوضوح صوت طالب يهددهم من الاعتداء على عائلته ورفاقه ، فارتحنا واطمان علي السعدي . ثم نقلونا مع عشرات من صناديق الأسلحة والقنابل والمنشورات التي عثروا عليها في بيتنا إلى مديرية أمن الكرخ للتحقيق الأولي وهناك فوجئنا بدخول أخي عماد معتقلاً وهو ضابط في القوة الجوية وقع في الكمين المنصوب بدارنا . والحقوه بنا بملابسه العسكرية . وفي منتصف الليل نقلونا إلى مديرية الأمن العامة في السعدون وتبادلنا النظرات متعاهدين على الصمود . وكأخ أكبر شعرت بمسؤولية تجاه عماد فحدثته عن الصمود . وفي الصباح نُقلنا وقابلنا في وزارة الدفاع أمر الانضباط العسكري عبد الكريم الجدة فحدثنا عن وساطة قريبنا العقيد المتقاعد خلف الجنابي وقال نحن نعرف انكم بريئون من التآمر على سيادة الزعيم ونطلب مساعدتكم بتزويدنا بالمكان المحتمل لاختيكم الجرم طالب الشبيب وأسماء قادة المؤامرة العسكريين وساعة التنفيذ . فأجبت به بأن طالب سافر لعلاج زوجته في الخارج والضباط كلهم يحبون سيادة الزعيم ولا اعتقد بوجود مؤامرة . فانهال علينا بسيل من الشتائم واخلدنا مساعدوه وأوسعونا ركلاً وضرباً . وفي صباح اليوم التالي أخذونا إلى عبد الكريم الجدة ثانية فسألني فأنكرت فضربني بالعصا التي يحملها الضباط الأمراء ، فزفت عيني ونقلت إلى الطابعة ثم إلى السجن رقم واحد بمعسكر الرشيد وكانت قاعته تعج بالمتعقلين القوميين والبعثيين والإسلاميين ، وبالألاف من الشيوعيين والأكراد وقابلت هناك عادل عبد المهدي المنتفحي ود . مسارح الراوي ود . عبد العزيز الدوروي .

الأمن الآن داري وجئت لأحذر حازم من العودة إليها ، فخرج حازم .

اعتُقل في تلك العملية علي السعدي وكرم شنتاف وعماد شبيب وبهاء شبيب ، وتمكن السعدي ببراعته المعروفة من التخلص من ورقة سجل عليها بعض الأسماء بينها ضباط "الصدمة الأولى" الذين سيقودون أرتال الدبابات إلى الدفاع والإذاعة والمرسلات ومعسكر الرشيد ، وفعل ذلك أخي بهاء . لكن السعدي اخذ معه إلى المعتقل "كلمة السر" التي تربط القيادة بكتيبة الدبابات الرابعة ، ولم يكن أحد غيره يعرفها وذلك توخيًا للسرية المطلقة ، وهذه الكتيبة تمثل مركز وقلب الحركة وبدونها لا يكون هناك عمل . وشر البلية ما يضحك ، فقد همست حينذاك لنفسي قائلاً : لقد عدنا بالويسكي وفقدنا كلمة السر وأمين السر^(١) . وكنا بدون كلمة السر عاجزين عن الاتصال بضباط الحركة والمنفذين الأساسيين . ولم يبق من القيادة القطرية غير اثنين فقط ، حازم جواد وأنا ، ولا يفصلنا عن موعد إعلان الثورة غير ثلاثة أيام . ووسط ذلك الحرج ومشاعر اليأس تذكرنا اسم أحد الضباط وأظنه "قاسم" ويسكن الجعفر ، وبعد بحث واستفسارات مضنية وصلنا له . قال : انه لم يسمع بشخص اسمه علي السعدي ولا يدري عن ماذا نتكلم . فطلبنا إليه مرافقتنا إلى مركز شرطة الجعفر القريب ليرى بنفسه سيارة السعدي تقف هناك ويتأكد انه معتقل . جاء وشاهد واقتنع ، وسلمنا كلمة السر فانتقلتُ صلاحيات ومهمات علي التنفيذية إلى حازم جواد.

وقد كنت ، وأنا أحوم حول داري وقبل ان أرى سعد قاسم حمودي وأصل إلى حازم ، قد تمكنت من الاتصال هاتفياً بأحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وأخبرتُهما بما حدث وبأهمية ان لا ينما بمنزلهما لأن رقمي هاتفيهما موجودان في منزلي تحت اسمي "هيثم" و"أبو صلاح" . وقلت لهما : سأتصل بكما في وقت متأخر من هذه الليلة لتتفق علي موعد ومكان آخر لاجتماع يوم الغد . وكانت ملاحظتي الأخيرة توحى بنوع من الإرادة والعزم اللاشعوري علي الاستمرار في تنفيذ الخطة.

وفي اليوم التالي ه شباط اجتمعنا وقررنا مواصلة العمل ، لأن الأمن بدأ جدياً بملاحقتنا وسيتابع ذلك وستكون النتيجة واحدة إذا أقدمنا أو امسكنا . كما قررنا مواصلة الاجتماعات

١ — حار البعثيون وتساعلوا في سرهم : مَنْ يا ترى اخبر جهاز الأمن ؟ وهل كانت الدار مراقبة منذ فترة ؟ لكنهم علموا فيما بعد ان مهندساً اسمه "عدنان البدرائي" صديق بهاء الشبيب وجارهم هو الواشي . واراد مقابل ذلك ان يحصل علي قرار بنقله من البصرة إلى بغداد ليكون قريباً من خطيبته . وعُثر علي وشايته في دفتر صغير داخل مفكرة الحاكم العسكري العام احمد صالح العبدى عند إلقاء القبض عليه وتفتيشه ، وورد فيها ان البدرائي اخبر عبد الجبار حمزة صديق عبد الكريم قاسم قائلاً : إذا أردتم مسك قيادة البعث فأذهبوا إلى بيت طالب شبيب . وبعد نجاح الحركة جيء به إلى مكتب حازم جواد الذي اقترح إعدامه . ثم تقرر الإغفاء عنه لان أخواته الثلاث بعثيات ومن عائلة صديقة للحزب ، وقد تزوج منلر الوندواوي من احدهن فيما بعد .

بالمعتقلين ووضعنا آلية جديدة لتحركاتها، وحددنا موعداً للاجتماع بمسؤولي الجان الإنذار في الساعة الثامنة من صباح ٥ شباط . ورغم ثقتنا بأن بهاء لن يعترف فقد طلبنا منهم تغيير محلات إقامتهم ما أمكن ذلك مع اخذ الحذر والترقب . وكان على تلك اللجان ان تقوم بأعمال كبيرة واحتلال منائر المساجد على الطريق الرابطة بين الدفاع وأبو غريب واحتلال نادي الأولمبي ومفارق الطرق والجسور المؤدية لوزارة الدفاع وإلى معسكر الرشيد لمنع الضباط من الالتحاق بوحداتهم وعدم السماح لأحد بالمرور إلا بتعليمات وموافقات خاصة ، وعرقلة محاولات محتملة سيقوم بها الشيوعيون والقاسميون للتظاهر . وفعلاً تمكنا صباح ٨ شباط من إرباك الدولة وتفكيك تماسكها واعتقال عشرات الضباط، وإعطاء القيادات العسكرية والمدنية الحكومية انطباعاً بأن ما يجري على الأرض هو عمل كبير وشامل يحسب لكل شيء حسابه .

وبعد ان قمنا بكل ذلك ذهبنا إلى دار حازم جواد في حي المعلمين بكرخ بغداد ، ويقع في منطقة خلفية من كراة مريم وهو حي جديد بني بعد ثورة ١٤ تموز لرتاح قليلاً استعداداً لغد متوتر مليء بالمواعيد من الفجر حتى منتصف الليل .

وفي آخر اجتماع مهم للمكتب السياسي مع المكتب العسكري وبعض الضباط المنفيين في بيت المقدم عبد اللطيف الحديثي ، تم توزيع الواجبات والضباط المساهمين على زمر صغيرة ، حوالي خمسة ضباط في كل زمرة ، تنام كل واحدة في بيت أحد أعضائها . ثم يخرجون في الموعد المحدد صباحاً بملابسهم المدنية وأسلحتهم البسيطة بسياراتهم الخاصة إلى مركز

سعيد مطر بمنطقة الفحامة . وكلف نجاد الصافي وهاشم قدوري وسعدون الزاوي وبهاء شيب بمهمات أخرى . وكان هاني الفكيكي قد تكلف بتنظيم الاعظمية لفترة من الزمن . وهناك في مناطق أخرى من بغداد مجموعات من فرق الإنذار تقوم بأعمال مماثلة كالمجموعة التي احتلت مركز شرطة المأمون وحولته إلى مقر للحرس القومي وسمحت بإذاعة بيان الحركة قبل إعلانها بدقائق وتشكلت من: قحطان السامرائي وحمود الزاوي وجاسم قره علي وعصام الراوي وفائز ضياء وفرات الزهاوي وحاتم قدوري وأكرم العاني . ومجموعة أخرى أدارتها سعاد أديب، وتكونت من صلاح مكي وحسن غافل ومهدي نجم، بُلغت يوم ١٣ رمضان بضرورة حضور اجتماع حزبي في الساعة من صباح ١٤ رمضان في دار طارق عزيز في الكراة خارج فوجدوا هناك آخرين مثل أحمد كرتينة وعباس أحمد، وصار العدد حوالي خمسة عشر شخصاً، فوجئوا في الساعة الثامنة والنصف بأحد الزاوي يطرح أمامهم كيساً كبيراً من السلاح ثم يخرج مسرعاً، وحينها وقف أحدهم وصاح: يا رفاق اليوم هو يوم الثورة، ثورة الحزب، فقبلوا بعضهم وتعانقوا وبعد سماع البيان رقم ١ خرجوا على شكل مجموعات، كل مجموعة من أربعة أشخاص، وكان طارق عزيز دليل المجموعة التي تضم صلاح مكي وحسن غافل وحسين علي ومهدي نجم إلى دار العقيد فاضل عباس المهدي حيث حصلت مواجهة مع حراسه فاضطرت المجموعة إلى اللجوء إلى حديقة الدار المجاورة واستطاع المهدي الخروج والدهاب إلى وزارة الدفاع، فانسحبت المجموعة لتأمين مهام أخرى في ساحة التحرير [8]. وفي الكرخ حيث توجد الفرقة الحزبية الأولى المتكونة من قحطان العاني ومحمود ناصر تركي ومهدي العبيدي وخلف عبد الأخوة وسامي مهدي ودرع ظاهر السعد، ومسؤولها صباح المدني، وقد أبلغها بضرورة إخفاء المستندات من البيوت والبقاء في يوم الجمعة ٨ شباط قرب الراديو وكان قحطان العاني يعرف أن الحزب سيستلم السلطة لأنه كان عضواً في قيادة الإضراب الطلابي.

سؤال : ما زلت انظر باستغراب إلى عدم تأجيل الحركة ، ما الذي شجعكم على الاستمرار ؟

طالب شبيب : كانت خطة الثورة قد وضعت بشكلها الكامل عام ١٩٦٢ ومنذ ذلك الحين أجرينا إنذارات أسبوعية للجهازين المدني والعسكري للتدريب على الخطة ككل وعلى جزئياتها ، فضلاً عن تعيين مواعيد حقيقية لإعلان الثورة وتأجيلها أكثر من مرة . وكانت الإنذارات والتسهيبة بمثابة تمرين نادر وتدقيق وتقويم للخطة . فبعد كل إنذار تصلنا اقتراحات وتعديلات من الجهازين العسكري والمدني فنناقشها ونصوب ما نراه مناسباً . وفي كل مرة يتحسن الأداء . وفي الحقيقة كان كل إنذار يمكن ان يكون يوماً للتنفيذ أي إنشائها لم تكن إنذارات تطبيقية "مدرسية" ، وإنما كان كل بعثي ومنذ مدة طويلة يجلس كل يوم جمعة قريباً من المذيع متأهياً ، ينتظر سماع البيان الأول للثورة وأعصابه مشدودة ، يراجع ما يجب عليه القيام به^(١).

كما درسنا مع المكتب العسكري عدة مرات كل الإمكانيات العسكرية المحيطة بمدينة بغداد . وتأكدنا من قدرتنا في كل الأحوال على هزيمة النظام وحسبنا كل شيء بدقة . وكمثال على تدريباتنا ابلغ علي السعدي أحد الضباط بأن بعض الرفاق سيزورونه أثناء إشرافه على تدريب وحدته ليتأكدوا من إمكانيته على ضبطها وتحريكها كما يشاء وكان الضابط هو حميد

١ - تكررت إنذارات البعث ومواعيد قيامه بحركة ، وتكرر معها إنذار الشيوعيين لمنظمتهم، الأول يستمر استعداداً للتغيير والثاني لمقاومة التغيير . البعث يوجل ويكتشف في كل مرة ضعفاً في خطته فيقومها والشيوعي يشعر بحرج أمام عبد الكريم قاسم وأجهزته لأنه اعتاد تحذيرهم من خطر بدأ وهماً . ومع تكرار الأمر وعدم حصوله فقد قاسم ثقته بمصادر المعلومات ، وربما فقد ثقته أيضاً بخصومه البعثيين الذين يقولون ما لا يفعلون . فلم يكثر كثراً خصوصاً وهو يلمس ويرى كل يوم التأييد الشعبي الثابت له عندما يمر بشوارع بغداد أو يزور إحدى المدن والأحياء البغدادية باستثناء القليل منها ، فيزداد ثقة بنفسه . تلك الثقة التي استمد الكثير منها في حياته المهنية المترعة بالنجاحات والتي توجت بوصوله إلى حكم العراق . فتوقع الشعب لكنه لم يتوقع نجاح عمل يؤدي إلى إسقاطه . وربما استناداً إلى الوقائع التي فكر بها عبد الكريم قاسم كان صالح مهدي عمال متخوفاً من إمكانيات النجاح ، وكان عبد الستار الدوري يرى ان الظروف الذاتية للعراق والبعث غير ناضجة لتسمح بقيام ثورة أو إدارة السلطة، ووقف مثل هذا الموقف عدد قليل من البعثيين بينهم قحطان العاني[9].

واعتقد ان تسامح قاسم وعدم استخدامه التعذيب الوحشي والقسوة ومعاقبة الزوجة والأطفال والأخوان ... الخ مما مارسه الحكومات التالية ، ساعد البعثيين في تنفيذ خطتهم ضده . فلم يكن قاسم وحده يعرف بوجود حركة يُخطط لها ضد نظامه بل علم بذلك مجلس الوزراء بكامله وعدد من المهتمين . فقد حدثني الدكتور مكي الاوقاف ان خالها هاشم جواد (وزير خارجية قاسم) اخبرهم ان مجلس الوزراء بحضور قاسم أعظم أكثر من مرة بمحاولة سيقوم بها البعثيون[10]. ولم يكن صعباً على السلطة جمع مائة بعثي في بغداد وتعذيبهم وقتل من لا يعترف منهم لتصل إلى النتائج التي تريدها . لكن حكومة قاسم لم تكن تفكر بمثل تلك الأعمال تحت اية ظروف أو ضغوط ، لأن أكثر أعضائها سياسيون أحرار غير مقيدين بأيديولوجيا تقول لهم : ان إرادة الكون والتاريخ تقف معهم ، وان عليهم من أجل سعادة الملايين التضحية بمئات الأشخاص .

عبد الله التكريتي ، فذهبنا لنفاجأ انه قام بإخراج وحدته إلى شارع فرعي وجعلها تروح وتجيء بما في ذلك الدبابات التي صعدت أثناء حركتها قليلاً إلى الشارع العام . وكان بتصرفه يرغب ان يقول لنا انه يثق بجنوده وضباط صفه ويستطيع ان يحركهم كما يرغب . ومن جانبنا أرضينا رغبتنا في التأكد من قدرة ضباطنا وإمكانيتهم .

مراجع:

- [1] طالب شبيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
- [2] عبد الكريم فرحان . حصاد ثورة ، مرجع سابق، صفحة ٦١.
- [3] مقابلة مع خالد مكي الهاشمي في ٨٥/٣/٥ ، راجع صالح الجبوري ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ . ص ١٧٤
- [4] مقابلة مع هاشم المشاط في ألمانيا ١٩٩٧
- [5] مقابلة مع مظفر النواب ١٩٩٨ - لايدن هولندا
- [6] رسالة من بهاء شبيب بتاريخ ٩٨/٣/٢٩
- [7] رسالة من بهاء شبيب م . م . س .
- [8] مقابلة مع د. مي الأوقاتي ود. جميل منير العاني ، فيردن ، هولندا ١٩٩٦ . البحث عن مجموعة اغتيال الأوقاتي.
- [9] عبد الستار الدوري، مقابلة، لندن، ١٩٩٨.

الاغتيال بالدبابة

لم يكن في صباح ٨ شباط عام ١٩٦٣ ما يميزه عن بقية أيام ذلك الشهر في بغداد. أشعة الشمس هادئة، والرياح نسيمات تطوف الأجواء. كان يوم الجمعة (العطلة الأسبوعية) حيث حركة العربات والبشر بطيئة مقارنة مع بقية أيام الأسبوع، فضلاً عن مصادفته في شهر رمضان (١٤ منه). ومعظم أهالي بغداد الصائمون وغير الصائمين يسهرون الليالي ويتأخرون في الاستيقاظ صباحاً، ووسط ذلك الهدوء كانت أعداد السيارات المتجهة إلى "أبو غريب" المنطلقة من عند معسكر الوشاش (الزوراء حالياً) أكثر نسبياً من أي يوم الجمعة رمضاني آخر. وبحكم العادة فإن الناظر يتصور إنها متجهة إلى الحبانية لقضاء العطلة والتمتع بالسماء الصافية على ضفاف البحيرة. غير أن بعض السيارات وعلى غير العادة كانت تتوقف عند منعطف إلى يمين الطريق العام لتدخله إلى موقع عسكري هو كتيبة الدبابات الرابعة في معسكر "أبو غريب" وكانت سيارتنا إحدى تلك السيارات المنعطفة إلى تلك الطريق الفرعية بنفس الوقت الذي دخلته سيارات خاصة تقل حوالي ثلاثين من رفاقنا المكلفين. وهناك على باب الكتيبة وقف أربعة ضباط يفسحون المجال للسيارات بالدخول بعد الاستماع إلى كلمة السر "رمضان مبارك"، وكنت أقود سيارة فيات وعلى يميني جلس الملازم رياض قدو وفي يده "غدارة" وفي الخلف حازم جواد مسلحاً بمسدس وحملت على جانبي مسدساً فضياً نوع "برنو" لم استلمه إلا ذلك الصباح. ووصلنا إلى المعسكر في التاسعة صباحاً بالضبط، ولم نكن أول الواصلين ولا آخرهم^(١).

١ — في نفس وقت انطلاق سيارة طالب إلى مقر الكتيبة، انطلقت من امكنة مختلفة سيارات أخرى قاصدة مقر الكتيبة، بينها سيارة المقدم عبد اللطيف الحديثي انطلاقاً من دار العقيد ذياب العلكاوي في حي دراغ، وجلس إلى جانب الحديثي العقيد طاهر يحيى التكريتي والعقيد العلكاوي، وفي المقعد الخلفي جلس العقيد رشيد مصلىح التكريتي وإبراهيم عباس الدليمي ويتوسطهم العقيد أحمد حسن البكر، كما جاء سامي سلطان ونصيف جاسم العاني ومجموعتهم بسيارة سامي. وانور عبد القادر الحديثي بسيارته يصحبه عدنان العزوي والملازم وجدي ناجي والملازم سعدي طعمة الجبوري والمقدم علي عزم. وجاء بسيارته كل من العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والمقدم سعيد صليبي والمقدم عبد الستار عبد اللطيف والمقدم محمد المهناوي والرئيس أول جميل صيري البياتي والنقيب الركن سعد وهيب السامرائي والنقيب أحمد عبد الجبار الجبوري وعلاء الدين الجنابي والملازمين عدنان خير الله طلفاح وعدنان شريف التكريتي وصلاح الطبقجلي وعدنان دحام الجبوري وطارق صادق وكامل نعمة وحيد عبد الله التكريتي ومظفر يونس الدبوبي ومحمد إسماعيل الويس وفليح عبد الجبار الخريبط ووليد محمود سيرت وفارس حسين وجاسم شبوط وفاصل جاسم وعزيز الخطيب العاني وسليم الإمامي ونعمة فارس وسعدون فليح العاني وهاشم إسماعيل. ونام بعض

←

بدأنا في السابعة من صباح ذلك اليوم ١٩٦٣/٢/٨ (١٤ رمضان) بتناول فطور بسيط أعدته الحاجة والددة حازم جواد ثم ارتدى كل منا بدلة عسكرية للضباط وكانت بدليتي مستعارة من المقدم عبد اللطيف الحديثي وهو أطول مني بضع سنتيمترات مما جعلني لا أبدو بالقيافة العسكرية المطلوبة من الضباط داخل الجيش العراقي، وما أقلقني قليلاً هو الخرق الذي حصل فيها عندما نزعنا عنها التاج وأبقيت نجمة واحدة لكي تتلاءم مع عمري ووضعني الذي لم يكن مناسباً لرتبة المقدم، إذ لم أتجاوز حينذاك الثامنة والعشرين. أما بدلة حازم جواد فكانت مناسبة ومزينة بنجمتين. وعلى أية حال لم يكن أمر القيافة أهم ما يعنيني بل السلاح حيث لم تكن لدينا سوى غدارة لم نجربها ومسلس حمله حازم جواد وأصبحت الرشاشة من نصيبي. وفي تمام الساعة الثامنة وحسب موعد مسبق جاء إلى الدار الملازم الأول رياض قدو ومعه مسدسه الفضي الذي أشرت إليه وأصبح من نصيبي فيما بعد. وكان الملازم قدو يظن إنه سيصحب حازم جواد في جولة يزورون خلالها رفاقهم في أبو غريب والكتيبة الرابعة. تلك الكتيبة التي تقرر منذ زمن طويل أن تكون نقطة انطلاق الثورة التي قرر حزب البعث العربي الاشتراكي - قيادة قطر العراق - القيام بها ضد حكومة عبد الكريم قاسم.

سأل رياض قدو، حازم جواد بعد تناول الشاي: ما هو برنامج اليوم؟ وأي الوحدات ترغب أن ترى وتزور؟.. فسمع الأستاذ حازم يقول له بنبرة مختلفة: "يا رياض اليوم هو يوم

الضباط الشباب في الكتيبة لتسهيل الوضع لرفاقهم في صباح اليوم التالي، كما جاء بقية الضباط من وحدات أخرى وكذلك آخرون متقاعدون، حيث جاء أكثرهم بملابسهم المدنية لكي لا يلفتوا النظر واستبدلوها بملابس عسكرية فور وصولهم وبعضهم غيرها داخل السيارة ثم اندفعوا فوراً نحو الدبابات.

وفي الحبانية تمكن ضباط بعثيون، على رأسهم المقدم داود الجنابي من الاستيلاء على اللواء الثامن إنتظاراً لوصول العقيد عبد الغني الراوي لاستلام قيادته.

وعلى مستوى القوة الجوية ذهب رائد الجو مندر الوندواوي إلى قاعدة الحبانية في ٧ شباط مساءً بعد منتصف الليل للسيطرة عليها يعاونه ضباط بعثيون: حامد جواد وعبد اللطيف عبد الرزاق وواثق عبد الله ويونس صالح وعمانوئيل سليمان وصباح سالم واسامة وهي وفهد السعدون (ليس بعثياً)، وقد عمل الوندواوي منذ ١٩٦١، انطلاقاً من قاعدة الحبانية والسرب السادس بالذات، على بناء منظمة حزبية متميزة في القاعدة.

ومن قيادة الحزب وصل إلى أبو غريب حازم وطالب وهاني والدوري للإشراف على الإذاعة وإصدار التعليمات الحزبية وإذاعة إشارات متفق عليها سلفاً مع البعثيين إلى جميع أنحاء القطر. كما وصل عدنان القصاب وعبد السلام عارف. وهؤلاء جميعاً إضافة إلى قيادة فرع بغداد وبعض كوادره كانوا المساهمين المبلغين الأوائل. ويستثنى حردان التكريتي الذي فضل أن تكون مساهمته كدفعة ثانية وخالد الهاشمي المبلغ لكنه تأخر حتى منتصف النهار، وضباط آخرون في وحدات معسكر الرشيد مثل محمد علي سعيد وفليح الساعدي وجبار السوداني وطه الشكرجي وطاهر التكريتي وثامر الوندواوي، فضلاً عن المخطط والمدير رقم واحد: علي صالح السعدي وكذلك كريم شنتاف وصالح عماش وبهاء عماد الشيب. ولم يتم تبليغ القوميين لأن البعث وجد أن جناحيه المدني والعسكري يكفيان وكذلك حرصاً على السرية. ولم يُبلغ بعض البعثيين لعدم وجودهم بمراكز قرية أو لأن ظروفهم لا تسمح باشتراكهم. وابلغ بعض الضباط صباح يوم الحركة كطاهر يحيى ورياض القدو، وكان عدد الضباط المبلغين قبل صباح ٨ شباط ٢٦ ضابطاً فقط.

الجد". وبعد أن أستوعب المفاجأة، رد رياض بشيء من الدهشة والاستغراب وربما بقليل من الاستنكار قائلاً: "كيف لم تبلغني بذلك؟ فأنا الآن لا أحمل من السلاح إلا هذا المسدس".. وأستمر متسائلاً.. ماذا لديكم من أسلحة؟ واتجهت عيناه صوب غدارتي.

الغدارة بيدي أنفع

كان هذا اللقاء هو الأول بيننا (أنا ورياض) لكن الألفة تمت في نفس لحظة التعارف، وسارت الأمور بيننا فيما بعد وكأننا زملاء عمل وسلاح منذ زمن طويل. فقال لي: يا طالب هل جربت استعمال الغدارة؟ أحبته بالنفي، فأضاف: "أنني طبعاً سأكون مكلفاً بمصايتكم ومرافقتكم ولذلك أرجو أن تأخذ مسدسي وتعطيني الغدارة لأنها بيدي أنفع، خصوصاً وأن مهمتكم ستكون بالتأكيد أعمالاً أخرى". وافقت على كلامه فوراً وحصل ارتياح لأنني كنت قد تدرّبت على استعمال المسدس في مناسبات اجتماعية عديدة، بينما لم أستعمل الغدارة طوال حياتي، ولم أكن أعرف على وجه التحديد كيف سيكون أداؤها لو احتجت إلى استعمالها. أبلغنا رياض قداماً إن مهمتنا ستبدأ بعد زمن يكفي لأن نصل في تمام الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم إلى مقر كتيبة الدبابات الرابعة. وكانت المسافة محسوبة بدقة بحيث نصل في الوقت المحدد. وحسينها بسيارة بسرعة معقولة تجنباً للإثارة ولفت الأنظار. ومن هناك ستجده بسيارتنا ومعنا جهاز تسجيل وأشرطة وأناشيد وطنية إلى مراسلات البث الإذاعي المباشر في أبو غريب. ولا تبعد المراسلات عن الكتيبة سوى مائتي متر. وتقع في طريقنا إلى الكتيبة. وإن الأمور مرتبة بشكل دقيق وسيكون باستقبالنا أمر سرية المراسلات وهو ضابط بعثي مبلغ بسلعة الصفر، ليرشدنا فوراً إلى أستوديو احتياطي معد أساساً من قبل إدارة عبد الكريم قاسم لاستخدامه في التسجيل والإذاعة الاضطرارية فيما لو حصل طارئ أو أي خلل آخر. وكان أعداد هذا الأستوديو قد تم منذ إنشاء المراسلات ولم يستخدم إلا نادراً، كما وستصحنا إلى محطة البث ثلاث دبابات من الكتيبة الرابعة يقودها كل من المقدم عبد الستار عبد اللطيف والمقدم محمد المهدي والرئيس أول جميل صبري، ولكن لن يكون في هذه الدبابات أي عتاد - خفيف أو ثقيل - كما إنها معرضة للعطل: لأن واحدة منها أو جميعها ربما تكون مفرغة من ماء التبريد فقد تصل أو لاتصل. لكننا نحن الثلاثة أنا وحازم ورياض يجب أن نصل للمراسلات حتى لو سرنا على الأقدام، مهما كانت الظروف لنذيع البيان الأول وما يتبعه من بيانات وتوجيهات أخرى لإذاعتها إلى أن يتم الاستيلاء على إذاعة بغداد الرئيسية في الصالحية. وأنداك تعود مراسلات أبو غريب إلى واجباتها الأصلية وهي استلام الإشارات من إذاعة بغداد وبثها إلى كافة أنحاء العراق.

ولم تدم احتجاجات رياض قداماً بعد أن علم أن الأمر قد حزم بصورة لا عودة فيها، وأن كل المكلفين بمهمات سينطلقون لتنفيذها في الساعة التاسعة صباح هذا اليوم دون مراجعة

القيادة، وليس هناك وسيلة اتصال بين أطراف العمل للمراجعة أو التوقف عن التنفيذ المتشعب والمعقد والمتباعد. وليس بالوسع الآن غير الإلزام والتنفيذ حرفياً بما متفق عليه، وفي الحقيقة فإن القُدو استدرك وركز اعتراضه بأنه لو ابلغ مسبقاً لاستطاع ان يجلب أسلحة أكثر كفاءة وهي متوفرة لديه. وهكذا عندما أُرِفَ الوقت خرجنا نحن الثلاثة من دار حازم جواد ، وكانت الحاجة والدته تقف على باب الدار رافعة المصحف ، مررنا من تحته وقبلناه. وطلب مني الأستاذ حازم قيادة السيارة بالسرعة المتفق عليها. وفي ذات الوقت كان يفترض برفاقنا الذين ناموا داخل الكتيبة ان يكونوا قد رصدوا بعيون مفتوحة أي طارئ، وقام واحد منهم على الأقل منذ الساعة السادسة صباحاً باستطلاع مستمر لمعسكر أبو غريب للملاحظة ما إذا كان هناك أمر غير عادي، كما يقومون مبكراً باعتقال الموالين للحزب الشيوعي ولقاسم ليصبح أمر الكتيبة مأموناً.

وفور وصولنا مقر الكتيبة ترحلنا فوجدنا رئيس عرقاء طويل القامة (وكنيت على معرفة سابقة به) بيده رشاشة ينتصب أمامنا واقفاً برجولة وهمة تبعث على الثقة أطلق صفارة إنذار أدت حالا إلى انتعاش غريب في نفوسنا . فما أن انطلقت الصفارة حتى فتحت أبواب الردهات وخرج الضباط والجنود وضباط الصف ، وركض كل منهم نحو دبابته يزيح عنها الغطاء، وساهمنا معهم بأيدينا بسحب تلك الأغطية تشجيعاً لهم ، وبعد لحظات كانت الدبابات جاهزة للتحرك. بمن فيها الثلاث الأولى الأقرب إلى الباب والتي سترافقنا بقيادة عبد الستار والمهداوي وصبري ، وبالفعل كانت هي وسيارتنا الفيات أول الآليات التي تحركت إلى يسار الطريق نحو أبو غريب .

أما بقية الدبابات فتحركت على يمين الطريق باتجاه الحبانية وهدفها السيطرة على مخازن العتاد لأن جميع الدبابات، كما أشرنا، بلا سلاح ولا يستطيع قادتها إطلاق النار سوى من أسلحتهم الشخصية. وكان على رأسها دبابة يمتطيها أحمد حسن البكر، تتبعه عن قرب دبابة فيها العقيد طاهر يحيى التكريتي ودبابات أخرى يقودها ضباط معظمهم متقاعدون أو ممن مازالوا في الخدمة بكتائب أخرى، لكنهم مبلغون بساعة الصفر ومكان الانطلاق^(١).

١ — سميت الدبابات الأولى التي توجهت لتنفيذ مهماتها بارتال (الصدمة الأولى) وكانت على الشكل التالي : رتل الإذاعة : ثلاث دبابات يقودها : العقيد ذباب العلكاوي، الرائد عبد اللطيف الحديثي، والقيب أحمد عبد الجبار الجبوري والملازم حميد عبد الله التكريتي والملازم إبراهيم عباس الدليمي. ورتل المرسلات بقيادة حازم وطالب : ثلاث دبابات يقودها عبد الستار عبد اللطيف ومحمد المهداوي وجميل صبري والقيب سعد وهيب السامرائي والملازم رياض القُدو. ورتل وزارة الدفاع: بقيادة العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت والملازم وجدي ناجي والملازم شبوط جاسم والملازم طارق صادق والرائد سعيد صليبي وعدنان شريف التكريتي وغيرهم وتكونت من ثماني دبابات على دفتين. ورتل معسكر الرشيد : العقيد طاهر يحيى والمقدم أنور الحديثي والمقدم رشيد مصلح التكريتي والملازم عدنان خير الله وغيرهم وتكون من ثلاث دبابات.

يُرُونُ صورته في السماء :

وما كادت سيارتنا مع الدبابات الثلاث تقطع نصف المسافة أي حوالي مائة متر حتى شاهدنا الدخان يتصاعد من مائدة دبابية محمد المهدي، ولم نفاجأ بذلك إذ علمنا مسبقاً أن بعضها خال من ماء التبريد، وظل أملنا أن تصل الدبابتان الأخريتان إلى باب مرسلات الإذاعة سالمة لتمكننا من أداء دورهما وهو قطع الطريق والتصادم دونما عتاد مع أية مدرعة قد تأتي لمهاجمتنا، وحرفها عن الطريق ثم استخدام الرشاشات الشخصية لمقاومة من هم على ظهرها. ومهما يكن فقد كنا مصممين بما معنا من وسائل أن نصل ونتمم واجبنا بتشغيل الإذاعة. كما كانت ثقتنا غير محدودة بقدره الرتل الذي يقوده البكر على النجاح في التزود بالعتاد والعودة إلى بغداد، وربما يعود إلى تلك الثقة وإلى ذلك التصميم عدم التفكير بوضع خطة طوارئ للهرب في حالة الفشل.

وصلنا إلى باب المرسلات وترجل كل من ستار وصبري من دبابتهما وجاء محمد المهدي ماشياً على قدميه، وكان هناك عدد من جنود الحراسة يقفون على الباب الرئيسي. نظرنا حولنا فلم نر صاحبنا أمر السرية الضابط البعثي المبلغ بالحركة والذي وعد باستقبالنا وإرشادنا فوراً للاستوديو الخاص الاحتياطي. إلا أن بدلاتنا العسكرية، رغم بدلي غير المناسبة، جعلت الجنود يقابلونا بالتحية العسكرية. وقد ساعدنا كثيراً استرشادنا بنصيحة المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف الذي قال لنا قبل الوصول للمرسلات: يجب أن نحافظوا على صور عبد الكريم قاسم وعلى شعارات حكومته مرفوعة خارج البناء (في البداية على الأقل) لأن الجنود يحبونهم ويرون صورته في السماء. أما الضابط البعثي أمر سرية المرسلات فقد اعتذر فيما بعد عن تأخره في المساهمة بالثورة بإصابته بإسهال شديد، ولم يكن ذلك المرض الشائع عند العراقيين يمنعهم عن أعمالهم الاعتيادية فكيف في مثل هذا الأمر الهام؟

دخلنا أنا وحازم ورياض شاهرين مسدساتنا وبنديقية يتيمة، وفوراً صرخنا نحن الثلاثة بصوت واحد " أوقفوا الإرسال حالاً" وفوجئنا بوجود ما يقرب من عشرين فنياً يعملون في القاعة أمام أجهزتهم المختلفة، ويضع بعضهم السماعات على آذانه. نظروا إلينا بدهشة وكأننا أناس نزلوا من القمر، لكنهم وبحركة سريعة وعفوية لا تصدر إلا عن موظفين لم يعودوا على الحرية والممانعة، ذهبوا إلى حيث توجد أجهزة الإيقاف الكهربائي-السويجات- فأوقفوا البث ورأينا المؤشرات التي تدل على الإرسال تتحرك وتميل إلى الصفر. حصل ذلك في التاسعة وبضع دقائق. وحينها طلبنا إلى الفنيين إرشادنا إلى استوديو الإذاعة الاحتياطي الخاص، فأنيرى أحدهم قائلاً بلهجة الصادق الائق " يا أستاذ لقد سُجِبَ الاستوديو قبل أسبوع واحد، أن معلوماتكم عن وجود استوديو - إذاعة مؤقتة- دقيقة، لكنه سُجِبَ!

وقع حديثه علينا وقع الصاعقة، فلو صح ما يقول فإنه سيعني إصابة الحركة بكاملها بمقتل،

إذ ان بث البيان الأول يُعد أهم جانب في العملية الثورية، ومثابة إشارة لكل الطيارين ان يطيروا ويأشروا قصف وحماية مواقع محددة ومرسومة، وإلى أعداد هائلة من البعثين ممن تم تبليغهم ان يستمعوا لإذاعة بغداد كل يوم جمعة ليكونوا جاهزين للانطلاق لتنفيذ واجباتهم المرسومة سلفاً بمجرد سماع البيان الأول، فضلاً عن توقع التحاق أعداد هائلة من الأنصار ومن الضباط القوميين بالحركة. وإذا لم نذع البيان الأول فستكون العواقب وخيمة وسيؤدي الأمر إلى ارتباك خطير جداً.

تملكني أنا وحازم هدوء غريب. وهناك مقولة تقول : عندما يقابل الإنسان الموت سيكون ذهنه أكثر صفاء من أي وقت مضى في حياته. وفي تلك اللحظات شعرت بهدوء وبصفاء وتركيز، وأهم من ذلك تملكني استعداد للقيام بأي شيء يمكن ان يؤدي إلى إنقاذ الموقف. صحيح أني لم أتذكر حينها هذه المقولة، لكنني تأكدت من صحتها وانطباقها على موقفنا أنا وحازم، فيما بعد، عندما راجعت في ذهني تلك اللحظات الحرجة. إلا أن الملازم رياض توتر وسحب أقسام رشاشته مهدداً، وحدث ما لم يكن في الحساب ان انخرطت الرصاصات وبدلاً من ان تستقر في سبطانة رشاشته، انزلت ساقطة على الأرض الواحد تلو الأخرى، فاكشفنا باهتين بأن الأسلحة التي خبأها الحزب لمدة تصل إلى ثلاث سنوات هي أسلحة غير مجربة، وتمنينا ان يكون حظ الآخرين ممن يحملوا مثل أسلحتنا أفضل من حظنا. وارتب على ذلك اية نتائج سلبية لأننا لم نواجه أي نوع من المقاومة وان المسدسين كانوا كافيين للتهديد وتنفيذ المهمة.

وهنا تطوع أحد الفنانين مخاطباً "أستاذ ليس هناك من فائدة لتخويف الفنانين لأن الاستوديو قد سحب من قبل مجموعة من ضباط الانضباط العسكري قبل أسبوع واحد، وفي يوم الجمعة الماضي على وجه التحديد، صُعبنا أكثر وأصبنا بوجوم غريب . لكننا تصرفنا بهدوء لإدراكنا بان احتلال المرسلات والبرق منها هو اخطر فصل في الحركة، ولا بد ان يكون تصرفنا متناسباً مع أهمية الهدف رغم إحاطة أسباب الإحباط من كل جانب . فدبابتنا بلا سلاح وأمر سرياً الحراسة لم يكن موجوداً والإذاعة غير موجودة والأسوأ من ذلك ان الدبابات التي ستوجه إلى بغداد تحتاج لحماية الطائرات وهي لن تطير قبل ان يستمع طياروها للبيان الأول للثورة، كما ان هناك سرباً من طائرات الميغ ١٧ موجود في معسكر الرشيد ومهيأ للإقلاع بمجرد صدور الأوامر من عبد الكريم قاسم أو من قيادة القوة الجوية أو حتى بمبادرة من الضباط الشيوعيين وكنا نعلم ان معظم الضباط في ذلك السرب شيوعيون ومؤيدون لقاسم وسينفذون دون تردد، فيما لو صدرت إليهم الأوامر. وعلى اية حال فقد وضع المكتب العسكري خططاً لعرقلة تحرك اللواء التاسع عشر وطائرات الرشيد بإبلاغ ضباطنا الطيارين وغيرهم بالبقاء أيام الجمع داخل المعسكر، ولكننا نشك بأنهم سيتصرفون جيداً قبل الاستماع إلى بيان الثورة الأول، ولم يدر

بحسبنا إطلافاً إننا سنصل للمرسلات ولا نجد الإذاعة خصوصاً وإن المعلومات التي وردتنا حتى أيام تؤكد وجود وجاهزية جهاز الإذاعة الخاص.

مرت علينا هواجس ثقيلة وشريط رهيب من التوقعات قبل أن يواصل المهندس الفني حديثه ليفاجئنا بما يشبه البشارة التي تسبب الصدمة قائلاً: "ليس هناك ستوديو ولكن بإمكانكم أن تديعوا ما تريدون إذاعته دون أن تتوفر لكم الأمور الفنية للبث الموسيقي الأوتوماتيكي، ولا محسنات الأداء وذلك بربط ميكروفونا على البث مباشرة بحيث يمكنكم الكلام في هذا الميكروفون، أما الأناشيد أو الموسيقى فبإمكانكم استخدام جهاز التسجيل الذي يجوز تكتم" وأضاف "لكن الواضح لن يكون بالشكل الكامل المطلوب، إلا أن الناس سيسمعون!!".

كانت تلك كلمات سحرية وقعت منا موقع الإنباء. معجزة. وفعلنا انطلق المهندس المذكور وجلب ميكروفونا وربطه في أرضية إحدى الغرف، وأتم كل شيء بسرعة فائقة واستعد حازم أمام اللاقطة، ووقفت عند الباب شاهراً مسدسي حماية له، ووقف رياض في القاعة لمراقبة الفنيين الذين أمرتهم أن يبدأوا البث. وفوراً انطلق صوت حازم بقراءة البيان^(١)

١ - نص البيان رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي الكريم،
لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهتر التي سخرت موارد البلاد لتطمين شهوراتها وتأمين مصالحها، فصادرت الحريات وداسن الكرامات وخانت الأمانة وعطلت واضطهدت المواطنين.

أبناء الشعب الكرام
قامت ثورة الرابع عشر من تموز لتحرير وطننا من الأوضاع الاستعمارية المتمثلة بالحكم الملكي وسيطرة الإقطاع وسياسة التبعية ولتحقيق أوضاع ديمقراطية بنعم فيها الشعب بحياة كريمة، ولكن عدو الله وعدوكم المجرم الخلد استغل منصبه واندفع بكل الوسائل الدنيئة والأساليب الإجرامية لإقامة حكمه الأسود الذي أفقر البلاد وصعد الوحيدة الوطنية وعزل العراق عن ركب العروبة المتحررة وطعن أماننا شعبنا القومية.

أيها المواطنون
إن حرصنا على سلامة وطننا ووحدة شعبنا ومستقبل أجيالنا وإيماننا بأهداف ثورة تموز العظيمة وقد حملنا مسؤولية القضاء على الطغمة الفاسدة التي تسلطت على ثورة الشعب والجيش فأوقفت مسيرتها وعطلت انطلاقها وقد تم ذلك بموازنة كافة القوات المسلحة الوطنية، وتأيد جماهير الشعب.

أبناء الشعب الكرام
إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الطافرة لثورة تموز المجيدة لا بد، من إنجاز هدفين: الأول تحقيق وحدة الشعب الوطنية، والثاني تحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإدارته ولا بد لإنجاز هذين الهدفين من إطلاق الحريات، وتعزيز مبدأ سيادة القانون. إن قيادة الثورة المتمثلة بالمجلس الوطني لقيادة الثورة إذ تؤمن بهذا وتعمل على تحقيقه تؤمن كذلك بما يزرع به هذا الشعب من روح وطنية وثابة وما يتجلى فيه من عزم ثوري وما يتصف به من وعي عميق، لهذا نأمل أن يترفع المواطنون في هذا اليوم المبارك عن الضغائن والأحقاد وأن

←

وحينذاك كان رتل من اربعين دبابة تقريباً يقترب من معسكرات العتاد، ولكنه ظل الطريق ولم يتوقف عندها، ف وقعت مشادة بين احمد حسن البكر (قائد الرتل) وطاهر يحيى التكريتي، فقال طاهر للبكر : "ان المجنون هو الذي يتبعك في ثورة، قل أين وجهتنا؟" والحسن

ضد الشعب، مما اضعف الحكم الجديد سياسياً، حتى ان جرحى القصف هربوا فوراً بعد حصولهم على الاسعافات الأولية من المستشفى، خوفاً من ان تتحول جروحهم إلى دليل إتهام ضدهم. ويذكر ان هذا الحي نفسه تعرض في عام ١٩٩١ إلى قصف امريكي بسبب وجود منشآت عسكرية حكومية قريبة منه وليست فيه. ولكن وبعد التحقيق والتدقيق تبين ان إتهام الوندائي بذلك العمل لايقوم على أساس من الصحة، لأن البغداديين يؤكدون ان الطائرة القاصفة كانت روسية من نوع ميغ، في حين طار مندر بهوكر هنتر، وذلك يعني ان واحداً من إثنين قصف الحي الشعبي، إما واثق عبد الله أو فهد السعدون. وإذا علمنا ان فهد قد صرح أكثر من مرة بأنه شارك في الحركة لكسي ينتقم من الشيوعيين!! فسندرج ان الذي فعلها هو فهد السعدون والله أعلم.

وعلمنا ايضاً ان قصفاً مماثلاً لحي شعبي في الزعفرانية المجاورة لمعهد التكنولوجيا (جامعة الحكمة سابقاً) ولخيمين فلسطينيين بناهما قاسم، وتوفيت قي ذلك القصف فتاة عمرها ١٧ سنة وطفل عمره ٩ سنين. وعندما سألنا مصدر الخبر أجاب ان الطائرة القاصفة كانت من نوع ميغ ايضاً وان القصف قد حصل قبل الظهر أي قبل تدخل طائرات كثيرة أخرى بإدارة أمر القاعدة عارف عبد الرزاق، ويذكر ان منذر واثق وفهد جاؤوا من خارج قاعدة الجبانية ولم يطر كل منهم غير مرتين فقط[1] ويجرنا هذا الحديث المؤلم إلى المرات التي استخدم فيها الجيش العراقي منذ تأسيسه في معارك مدنية داخلية. وفي هذا الشأن يقول د. حسان عاكف حمودي أن الجيش العراقي استخدم منذ تأسيسه حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ضد المدنيين حوالي ٤٥ مرة، في مواجهة مظاهرات جماهيرية وتحركات فلاحية وعشائرية واضرابات عمالية وانتفاضات وحركات كردية، واستعان احياناً بسلح الجو البريطاني[2].

ومن امثلة استخدام الجيش :

١٩٢١ استخدم برسي كوكس الجيش العراقي لأول مرة ضد الاكراد العراقيين. وكان ذلك قبل التتويج. فالجيش العراقي تأسس قبل تأسيس الدولة العراقية بقليل، من قبل مؤمر للمستعمرات البريطاني المنعقد في القاهرة.

١٩٣٣ استخدم الجيش ضد الاثوريين بقيادة بكر صدقي وأوامر حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني[3].

١٩٣٥ بأمر من ياسين الهاشمي (رئيس الحكومة) ضرب الجيش مدن وقصبات الفرات الأوسط. وفي نفس العام اعاد الجيش ضرب الرميثة بقسوة بأمر من رشيد عالي الكيلاني، وبعد اتمام الضربة قال رشيد عالي " الآن اقدر ان افخر بالجيش العراقي". فأجابه بكر صدقي الذي نفذ الضربة والأوامر : " على العكس أنا لا أفخر بجيش قتل ابناء شعبه"[4].

١٩٥٢ بقيادة نور الدين محمود ضرب الجيش المحتجين في بغداد والنجف و كربلاء والحلة والديوانية والناصرية والبصرة وعموم ارياف الفرات الأوسط وقصباتها، على سلوك السلطة وتفريطها بالسيادة الوطنية، وحينها وقف الشعب مهموماً ومستغرباً ومستاء من غرابة وقسوة جيشه الوطني.

١٩٥٨ قتل الرتل المدني الذي خرج مع الملك فيصل الثاني مستسلماً للثورة.

١٩٧٦ ضرب المسيرة السنوية التقليدية في اربعينية الحسين بن علي (ع) واعتقال وإعدام المساهمين، وكان تصرف الوحدات العسكرية أسوأ من الشرطة السيارة.

١٩٨٠-١٩٩٠ استخدم الجيش ضد الشعب في الاهوار وكردستان، فتحول الجيش إلى آلة طيعة وفقد حياديته.

١٩٩١ ضرب انتفاضة آذار/شعبان مستخدماً كلمة الاعداء ضد سكان المدن العراقية.

وهكذا نجد ان الجماهير نجحوا في الجيش منذ تأسيسه، أحدهما ما انفك يزجه بحروب داخلية لا تنتهي، وآخر يراه وطنياً ويأمل بابعاده عن التكتلات السياسية ويريده حامياً للحدود والدستور.

الحظ اكتشفوا الخطأ بسرعة وعادت الدبابات إلى المخازن، وكان أمر سرية الحراسة ذلك اليوم ملازم مهندس (بعثي) وقد نجح في استبدال خفارتيه التي كانت يوم الأربعاء إلى يوم الجمعة مع ضابط آخر، وهو امر ممكن ومعتاد حينذاك، حيث يتعاون الضباط بينهم في تبادل الخفارات حسب ظروفهم وحاجاتهم. فكان الامر سهلاً على الضابط الخفر، لكنه شديد الخطورة بالنسبة لخطة الثورة بكاملها. إذ بدونهم لن ننجح في الحصول على العتاد، وهو عنصر حيوي واساسي في عملنا ذلك اليوم.

بين الزعيم والعقيد

ومن أبواب المرسلات تطلعننا إلى عودة الدبابات بعد أن تزودت بالعتاد وتجاوزت الوقت المقرر، وكنا قد وضعنا ٤٥ دقيقة لذهابها وعودتها، لكنها تأخرت ساعة ونصف . ولم نعرف سبب التأخر ولكننا لم نقلق خصوصاً بعد بدء الطائرات بالعمل ونجاح مهمتنا في إذاعة البيان الأول بصوت حازم مرة وبصوتي أخرى واستمرارنا بإذاعة البيانات بصورة حققت أثراً سلبياً على قادة الجيش الذين تصوروا أن الأمر استتب لنا فاستسلم أكثرهم للأمر الواقع وتصرفوا بسلبية ولازموا بيوتهم وتهربوا من الأوامر التي وصلتهم من قاسم شخصياً بواسطة الهاتف . ولم يستفد الشيوعيون من توجيهاتنا العلنية لأنهم كانوا مبالغين . وأستطيع القول بأننا حتى تلك اللحظة كنا قد أنجزنا المرحلة الأولى والهامة من الخطة .

وفي الساعة العاشرة والنصف بدأت الدبابات العائدة من مخازن الذخيرة تظهر في الأفق وقد رنا أنها أصبحت محملة بالعتاد، وتبادلنا التحية بالإشارات مع ضباط الدبابات الأربع الأولى ، وكنا نعرفهم وهم ضباط الكتبية الشباب الذين كان ينتظرهم مصير أساوي عند بوابة الدفاع بعد أقل من ساعة . وتنازلت الدبابات بنفس الاتجاه ، وكنا نراقب بالتناوب الطريق العام لمعرفة ما يجري على الأرض . وحينها أخبرونا أن الدبابات الثلاث المرافقة لنا أصبحت مسلحة بالكامل وإن قدرة الدفاع أصبحت جاهزة . وفي المقابل بدأنا ببيت الموسيقى والمارشات العسكرية وبعض الأناشيد القومية المصرية ونشيد "الله أكبر".

وفي غرفة مجاورة لنا، غرفة الضابط المتغيب المسؤول عن الحراسة، كان يوجد خط تلفوني سري (خاص)، ولم نكن نعرف بوجوده. وفجأة رن الجرس فيه فتقدمت إلى تلك الغرفة وكان الجهاز موضوعاً على مكتب أمر السرية ، رفعت سماعة الهاتف ليأتي من الطرف الآخر صوت عبد الكريم قاسم قال: أنا الزعيم عبد الكريم!! من المتكلم؟ ماذا يحدث؟ وكنت أغلق الجهاز فوراً، لكنه يبدأ بالرنين بعد أقل من دقيقة واحدة، وبعد مكالمات عديدة دون أن أرد عليه قررت قطع الخط بسحب أشرطة من الحائط وذلك بعد ما يزيد على نصف ساعة من الرنين المستمر. فانقطعت صلاته بنا. أقدمت على ذلك تقديراً مني بأننا ابغنا عبد الكريم قاسم

برسالتنا بإعلان الثورة عليه بواسطة المذيع، ولم يكن لدينا ما نقوله، ولا نحن على استعداد لسماع ما يمكن أن يقوله.

وفي الساعة الحادية عشرة تقريباً وصلت سيارة مدنية فسمح لها بالمرور وكان يقودها المهندس عدنان القصاب وإلى جانبه يجلس العقيد الركن عبد السلام عارف بدلتته العسكرية الكاملة القيافة، واتجهت به السيارة بعد أن تبادلنا التحية (وكنا نعرف بعضنا)، إلى مقر الكتيبة الرابعة. وبعد دقائق توجهت ماشياً إلى هناك فوجدت أحمد حسن البكر فتمشينا وسط عاصفة ترابية أثارتها خمس دبابات كانت تلف وتدور حوله والغبار يعلو وجهه وهو يتحدث مع عبد السلام عارف.

عبد السلام يشارك في التوجيه

سألت أحمد البكر: أبا هيثم ما شأن هذه الدبابات؟ أجاب: أن الخطة تقتضي أن نرسل ثمانية دبابات إلى بغداد وقد أرسلت الثمانية. وهنا تدخل عبد السلام قائلاً: يجب تعزيز كل دبابة أرسلت بأعداد تتناسب مع المهمة المعهودة إليها، فلا بأس من إرسال أربع أخرى إلى وزارة الدفاع حيث عبد الكريم قاسم، ودبابة أخرى إلى الصالحية لأهمية الإذاعة. وتعزيز دبابات معسكر الرشيد التي يقودها طاهر يحيى وآنور عبد القادر. وكان هذا أول تدخل ومساهمة من عبد السلام في تنفيذ خطة الثورة التي لم يكن يعلم عنها شيئاً إلا بعد أن وصل المهندس القصاب إلى داره وأبلغه أن يرتدي بدلتته العسكرية ومرافقته إلى معسكر "أبو غريب"، فالثورة اندلعت منذ عشر دقائق فقط!! وكان القصاب قد وصل إلى دار عارف في التاسعة وعشر دقائق ولم يكن يعرف أننا تأخرنا قليلاً في إذاعة البيان.

وصل مباشرة بعد عارف والقصاب كل من الأستاذين هاني الفكيكي وعبد الستار الدوري عضوا قيادة فرع بغداد لحزب البعث واستقبلناهما أنا وحازم على الباب وتعانقنا وقلنا لهما أن يستلما مهمة إدارة الإذاعة والبث ريثما يتم تشغيل الإذاعة في الصالحية وأرشدناهما إلى الغرفة التي استخدمناها للبث ثم توجهنا حازم وأنا إلى مقر الكتيبة حيث تم تجهيز ناقلة جنود تسلك إلى ظهرها كل من أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وحازم وأنا. ورافقتنا ثلة من الجنود الذين أتى بهم أحمد حسن البكر لحراستنا. واتجهت ناقلتنا نحو دار الإذاعة في الصالحية.

وعلى الطريق بالقرب من معسكر الوشاش "الزوراء" رأينا شخصاً يكال له الضرب، فأوقفنا الناقلة وسألنا عن السبب فقيل أنه كان يهتف بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم فأمرنا بتركه وشأنه، وواصلنا السير ولم نصادف في بقية الطريق سوى عدد قليل من الناس المتفرجين الذين قابلونا بالتصفيق، وأظن أنهم قدروا أو عرفوا أن ركاب الناقلة هم -قيادة الثورة-. وإلى حد

تلك اللحظة لم يكن هناك أي تظاهر أو تجمع مؤيد أو مناهض للثورة في منطقة الكرخ بكاملها. وعند اقترابنا من مدخل الإذاعة (إذاعة الصالحية) ترجلنا وكان في استقبالنا المقدم عبد اللطيف الحديشي حاملاً غدارته التي أطلقها في الهواء تحية، وقادنا إلى دار الإذاعة التي سيصبح مكتب مديرها العام مقراً لقيادة الثورة^(١).

ولم يكن الأمر حتى تلك اللحظة قد سار بلا حوادث مثيرة. فعندما كنا أمام كتيبة الدبابات الرابعة نهض بالسير مجموعتين واحدة نحو مخازن الأسلحة وأخرى إلى المرسلات صادفنا على جانبي الطريق العام رتلا من الفوج الآلي الثاني وكان متجها إلى شمال العراق للاشتراك في العمليات العسكرية ضد الثوار الأكراد. وكانت السيارة الأولى التي تتقدم الفوج تقل أمره المقدم داود مجيد، فأشار له أحمد حسن البكر ومجموعة الضباط المتحلقين حوله بالوقوف وأمره بالنزول، وخاطبه البكر "ولدي لقد قررنا القيام بثورة وأمامك حلان، إما أن تنضم إلينا وإما أن تعتقل". وبعد برهة قليلة من التفكير أجاب المقدم داود أنني على استعداد يا سيدي أن اشارككم بالثورة، وأعلن قراره ذلك لضباط الفوج. ولاحظنا الفرح العارم الذي اجتاحت جنود ومراتب الفوج بعد أن عرفوا أن مساهمتهم ستكون بمثابة العدول عن إرسالهم إلى شمال البلاد والقتال ضد أبناء وطنهم، وتعريض حياتهم للخطر. فانضموا لصفوف الثورة حيث لا خيار، ولكنهم فرحوا لأنهم اختزلوا شعارها إلى إسقاط الدكتاتور الذي أراد دفعهم إلى الموت في جبال كردستان. وكان هذا في الواقع نصرا معنويا لنا، إذا أن خطة الثورة لم تكن تمتلك على الأرض غير الدبابات، وعملية الاستيلاء على بغداد تحتاج أيضا إلى مشاة^(٢). ولم يكن في بغداد قوة مشاة غير اللواء العشرين-لواء عبد الكريم قاسم- الذي دخل به إليها عام ١٩٥٨ بعد أن أكمل عبد السلام مهمته في الاستيلاء على الإذاعة وقصر الرحاب ومقتل العائلة المالكة. وكان هذا اللواء مدللا من قبل الزعيم عبد الكريم، يتبع به

١ — ليس ما يقوله شبيب من أن الكرخ كله حتى وصولهم للإذاعة لم تكن قد حصلت فيه مقاومة تذكر، ربما الصحيح هو أن الطريق بين الإذاعة وأبو غريب قد أصبحت سالكة. لأن ذياب العلكاوي والحديشي وحيد التكريتي وجدوا قرب الإذاعة مظاهرات وتجمعات معارضة، وحصل بينهم ما يشبه الاشتباك إذ أطلق حميد عبد الله التكريتي من دبابته التي شاركه فيها العلكاوي رصاصا إلى الأعلى لتفريقهم.

٢ — يقول العقيد ذياب العلكاوي في رسالة إلى خليل إبراهيم حسين: "أتذكر أن المرحوم البكر كان قد وجه قبل ليلة من التنفيذ سؤالا إلى حازم جواد قائلا "تري من سيرافق أبي قيس (العلكاوي) مثلاً وهو ذاهب للإذاعة من المشاة؟" فأجابته حازم جواد: "ليصطحب معه سيارتين لوري فارغتين وشبابنا المنتشرون بدءاً من جامع البرموك إلى مخفر شرطة المأمون، شبابنا الذين يرتدون بزة الحرس القومي هم مشاة أبي قيس".

لكن التحاق الفوج الآلي الثاني سمح للدبابات بالرافقة من قبل مصفحتين من الفوج المذكور، حملتا حوالي ثلاثين جندياً، وواجهت القوة فعلاً في ساحة كرامة مرم على بعد أمتار من مدخل الإذاعة مظاهرة شارك فيها شيوعيون وقاسميون جاعوا من الشاكرية والنشواكة يهتفون بتضامن الجيش مع الشعب، وأحاطوا بالدبابات ولما فتحت الدبابات النار فوق الرؤوس تمكنت من المرور رغم استمرار التظاهر[5].

دائماً ويغدق عليه بكثير من وسائل العناية والترفيه والرواتب الإضافية. ورغم وجود عدد من الضباط البعثيين والقوميين فيه إلا إن إمكانية السيطرة عليه معدومة إطلاقاً، وما كنا نأمله من ضباطنا الموجودين فيه أن يجندوا إخوانهم من القوميين والمناصرين لعرقلة ومنع اللواء المذكور من التحرك، وقد وضعنا خطة لذلك^(١).

الاستفادة من عبد الغني الراوي بعد دراسة شخصيته :

وبعد الفوج الآلي الثاني توجهت أنظارنا إلى الحبانية حيث كان لدينا أمل غير مؤكد في السيطرة على اللواء الثامن الموجود في الحبانية، وكنا قد اتفقنا مع ضباطه البعثيين وعلى رأسهم المقدم داود الجنابي أن يرتبوا أمرهم على استلام الخفارات في صباح يوم ٨ شباط، وبالفعل نجحوا بذلك، ولكن قيادة اللواء بالكامل كانت تتطلب قائدا عسكريا برتبة أعلى.

ودبّرت قيادة الحزب الأمر مع البكر للاستفادة من عبد الغني الراوي الذي كان من أكثر الضباط الأحرار حماساً للقيام بعمل فوري في فترة التحضير ووضع الخطط للإطاحة بالنظام الملكي، ورغم حماسه واستعداده للمقامرة، وعمله المستمر على شحذ همم الآخرين ضد نظام قاسم، لكن مخاوفنا منه تأتي من زاوية أخرى. فقد كنا نحذر منه لصراحته في الحديث بصورة تؤدي للكشف عن نواياه وخططه، ولأنه يأمن الكثيرين ممن لا يجب أن يكونوا موضع الاهتمام والائتمان على الأسرار، فضلاً عن تسرعه المعروف في وضع الخطط وتنفيذها دون دراستها ودون أداء وإتقان كامل أو مشورة في وقت يكون فيه التشاور والنقاش العميق

١ — دخل عامل جديد، غير متوقع، لصالح خطة الحركة في السيطرة على معسكر الرشيد. فقد تمكن بعض الضباط من إطلاق سراح السجناء البعثيين في السجن رقم ١ وبينهم بهاء الشبيب وعماد الشبيب وصالح مهدي عمّاش و د. مسارع الراوي وعبد العزيز الدوري وعادل عبد المهدي المنتفكي وآخرون. وهؤلاء بحثوا الأمر واتفقوا على فتح أبواب السجن كلها وإطلاق جميع السجناء وجرهم إلى مسيرة على شكل تظاهره كبيرة تدخل إلى مقر اللواء التاسع عشر، وحصل ذلك بالفعل فدخل عمّاش ومعه عدد من الضباط مقر اللواء قبل وصول دبابات يحمي وانور، وتم تجريد ضباطه من أسلحتهم، وأخبر طه الشكرجي عبد الكريم قاسم تلفوئياً بأن لواءه قد انضم إلى الثورة. ثم ذهب بهاء الشبيب والملازم عماد الشبيب والطيار جبار السوداني بدبابه خالية من العتاد إلى القاعدة الجوية، وأدى وصول الدبابه ووقوفها في مدخل القاعدة إلى رفع معنويات شباب البعث جنوداً وضباطاً فاستولوا على مدخل القاعدة واعتقلوا جميع الضباط الطيارين الملتحقين بالقاعدة من الخارج. وكان بين ضباط القاعدة البعثيين طاهر التكريتي وثامر الوندائي. ومن أجل السيطرة على القاعدة الجوية وبهو الضباط فيها، ذهب طاهر التكريتي وبهاء الشبيب إلى الضباط المسوول عن كلية ضباط الاحتياط الذي منحهم السلاح، والتحق بهم بعض طلبتها من القوميين والبعثيين. فتمكنوا من تطويق بهو الضباط وأحبطوا بمساعدة الضباط البعثي فليح الساعدي محاولة أحد الضباط الشيوعيين (خوري حميد) الإقلاع بطائرة ميغ ثم استقبلهم المقدم عزيز أمين أمر القاعدة الجوية معلناً عدم تصديه للثوار[6]. وفي هذه الأجواء دخل رتل طاهر يحمي وانور الحديثي ليمسك السيطرة التامة على المعسكر، ولا بد من الإشارة إلى أن هذه النتيجة لم تكن لتحقيق لولا القصف الجوي الذي قام به مندر الوندائي.

ضرورياً لمعرفة نقاط الضعف وحقيقة الموقف، وتأكيد نقاط القوة واستخدامها. وقد أحيل عبد الغني الراوي على التقاعد كغيره من الضباط القوميين، لكنه ظل على صلة بحزب البعث عن طريق احمد حسن البكر وعلى صلة بتنظيمات الضباط القوميين الذين كنا نأمل التحاقهم فور إعلان الثورة.

استغل البكر عفويته وتدينه فكون معه علاقة صداقة وثيقة، وهو يعلم انه ضابط جريء، يستطيع إنجاز المهمة التي سيكلف بها مهما كانت التضحية المطلوبة منه. وأقام البكر صلة فردية معه بناءً على توصية بشأن حدود التعامل معه صادرة من المكتب العسكري للحزب للاستفادة منه في ساعة الصفر فقط، وعدم إخباره بالخطة إلا في اللحظة الأخيرة. وان لا يبلغ إلا بالمهمة المعهودة إليه، وهذا ما حصل فعلاً. ففي مساء السابع من شباط ١٩٦٣ حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أي قبيل السحور توجه البكر والعكاوي إلى دار عبد الغني الراوي، بعد أن تأكدوا من وجوده فيها. وهناك قضوا وقتاً كافياً لإبلاغه بأن صباح الغد سيكون موعد اندلاع الثورة، وطلبوا إليه تهئية نفسه للانطلاق بسيارته إلى الحبانية وهناك سيجد ضباط خفر اللواء الثامن بانتظاره على باب المعسكر. وأعطى كلمة السر للمرور، وتكلف باستلام قيادة اللواء والزحف به نحو بغداد، كما اعلموه ان داوود الجنابي وبقية الضباط سيكونون عند وصوله قد اعتقلوا أمر اللواء، وذلك رغم معرفة البكر ان أمر اللواء المذكور وبقية الضباط سيكونون في إجازة وغير موجودين (في الجمعة). لأن الضباط غير المبلغين والذين ليست لديهم خفارة يفضلون المبيت في منازلهم أيام الجمع، عندما تكون وحداتهم قريبة كالحبانية والمحاويل والرشد وأبو غريب، مما يعني إن أكثر الضباط الشيوعيون والمؤيدين لقاسم ستصطادهم سيطرات الحرس القومي عند التحاقهم صباحاً بوحداتهم. وأغلب الظن ان البكر اخبر الراوي باعتقال أمر اللواء لتشجيعه على الالتزام والذهاب والإيحاء بان كل شيء يجري بدقة محسوبة. وكانت آخر توصية ابلاغها البكر للراوي هي التزام الحذر كل الحذر وان لا يتصل بأي شخص حتى لحظة وصوله الحبانية.

ولأهمية اللواء الثامن أردنا التأكد من ان الراوي سينفذ تلك المهمة، وانه سيحرص على سرية الحركة، فلا يلجأ على سبيل المثال إلى كتابة وصية يوثقها من قبل رجل دين أو شاهد عدل!! ولذلك اخترنا وقتاً متأخراً جداً لإبلاغه، ولم يتركه البكر إلا بعد تناول السحور معه واقترب الوقت من الثالثة صباحاً. وزيادة على ذلك كلفنا أحد الشبان البعثيين ان يكون موجوداً في الساحة القريبة من متنزه الزوراء (معسكر الوشاش) لمراقبة السيارات القادمة من الجسر والمتجهة إلى أبو غريب للتعرف على سيارة الراوي بعد ان وصفنا له لونها ونوعها وشكل سائقها الذي سيكون ضابطاً بيزته العسكرية.

وعاد الشخص ليخبرنا انه شاهد في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة سيارة بنفس المواصفات

تسير بسرعة مذهلة للدرجة ان سائقها لم يستطع الاستدارة إلى طريق الحبانية، فأضطر ان يلف الساحة دورة أخرى ثم انطلق باتجاه الفلوجة (فالحبانية). وعلمنا فيما بعد انه وصل واستتب له الأمر بمعية الضباط البعثيين، وباشروا فوراً باستدعاء من يعتمدون عليهم ويثقون بهم من الضباط للالتحاق بهم ولاستكمال أعمال إعداد اللواء وتجهيزه للزحف على مدينة بغداد، فوصلوا إليها في الساعة الثانية والنصف عصر يوم ٨ شباط، وبذلك أصبح لدينا قوة أرضية لا يستهان بها، تتكون من دبابات الكتيبة الرابعة والفوج الآلي الثاني واللواء الثامن وقوات صغيرة أخرى إضافة إلى قوات الحرس القومي^(١).

الحدث الآخر الذي سبب لنا إرباكاً في لحظات عملنا الأولى تمثل في انقطاع التيار الكهربائي المفاجئ عن منطقة أبو غريب، بينما كنا نبث بيانات الثورة الأولى ونتيجة لذلك انقطع البث خمس دقائق عانينا خلالها الكثير من القلق لما يمكن ان يجلبه أمر انقطاع البث للقوات المسلحة العراقية بكاملها وإلى الوحدات العسكرية المتحركة نحو بغداد، وإلى جماهير الحزب والقوميين وأنصارهم من تصور بأن الثورة قد انهارت، وفي الحقيقة لم تكن نخشى شيئاً في بغداد بعد تأمين العتاد واقترب الدبابات من قلب المدينة فضلاً عن قوات الفوج الثاني الذي بدأت فوراً بممارسة أعمال المرافقة والحماية وحراسة مراكز القيادات، كما ان القوة الجوية تسيطر على أجواء بغداد انطلاقاً من الحبانية بصورة كاملة بعد قيام منذر خلافاً لخطة الحزب بضرب قاعدة الرشيد الجوية. وكان البكر قد أصبر على عدم تدمير الطائرات الجاثمة لما يسببه ذلك من خسارة للجيش والبلاد. ولكن الوندائي أدرك ان الهوكر هتتر لا تصمد بوجه طائرات الميغ ١٧ و ١٩ التي يقودها طيارون شيوعيون أو موالون لقاسم وهي فوق ذلك تفوق طائرات الحبانية عدداً وتسليحاً. وعلى الرغم من أننا حشدنا وأنذرنا ضباطنا العاملين في معسكر الرشيد بالتواجد هناك يوم الجمعة لمنع الضباط الشيوعيين من الإقلاع بطائراتهم، لكن الوندائي (وكان محقاً) عندما وجد ان ذلك ليس بكاف، بل رآها مقامرة لا يستطيع هو ان يقبل بها، وصدق ظنه إذ خف الطيارون الشيوعيون والقاسميون فور سماعهم البيان رقم واحد إلى ارتداء

١ - في هذا السياق يقول عارف عبد الرزاق في لقاء خاص مع د. علي عبد الكريم في لندن عام ١٩٩٨ بأنه مع داود الجنابي وبقية الضباط البعثيين والقوميين قد هياؤا اللواء الثامن قبل وصول عبد الغني الراوي. وان الطيار حامد الضاحي أبلغه بأن قائد الفرقة الرابعة المدرعة عبد الجبار السعدي يبحث عنه فكلّمه هاتفياً وقال له "ان أمن مكان له أن يأتي عنده" فجاء وطلب إليه ان يأمر بفتح المخازن، وقد فعل فحصلنا على اسلحة. واضاف عارف عبد الرزاق: "أمرت داود الجنابي بفتح الباب وخط الهاتف وان لا يفتح إلا بأمره. وطلبت من منذر ان يذهب مؤقتاً ليشغل وظيفة آمر الانضباط العسكري لكي يمكننا التحكم بكل شيء. وبوجودي وقبل وصول غني الراوي أعلننا تعيين محمد يوسف طه وأمين شاهين وعبد الجبار علي الحسين أمراء لأفواج اللواء الثامن، وعندما لم يحضر أمين شاهين (غير مبلغ) أترنا الرائد مزهر جواد الذي جاء بملابسه المدنية. رتبنا كل شيء بمحاسب ولم يكن أحد منا يستهدف عبد الكريم قاسم شخصياً فلم يكن هو محصنا بل الحزب الشيوعي كان هدفنا.

قبعاتهم وبدلات الطيران استعداداً للإقلاع. إلا أنهم وقبل أن يصبحوا جاهزين فوجئوا بطائرة مندر الوندائي تقصف المدرج والطائرات ليتعطل السرب بكامله ويصبح المدرج غير صالح للإقلاع والهبوط. واسترجاعاً لما حصل حينذاك أرى أن ما قام به مندر كان درساً عسكرياً ممتازاً لو ترجم على المستوى الفني الاستراتيجي العربي والاستفادة منه في المواجهة مع إسرائيل حيث حصل العكس إذ قامت الطائرات الإسرائيلية بتوجيه الضربة الأولى للطائرات العربية وهي جاثمة على مدارجها. وكان مندر الوندائي في آخر اجتماع للمكتب العسكري قبل الثورة قد قال لنا: دعوا القوة الجوية عليّ، وفعلاً تسابق مع الزمن لضمان وجود الضباط في القاعدة يوم الثورة، ورتب دخول الطيارين غير المنتسبين لقاعدة الحباينة إليها ودخل معهم بعد منتصف ليلة ٨/٧ شباط ٦٣، لأن مندر نفسه كان منقولاً منها.

ومساعدة الضباط وضباط الصف البعثيين مثل حامد جواد وعبد اللطيف عبد الرزاق الاعظمي ويونس العاني ووائل عبد الله وتحسين محمد علي وأسامة أيوب صبري ومحمد علي حمزة وفهد السعدون وكلهم ملازمين عدا الرائد يونس محمد صالح وهو آمر سرب، سيطر الوندائي على القاعدة دون علم آمرها المقدم عارف عبد الرزاق ليس لعدم الثقة به، بل لضمان السرية التامة. وكانت طائرة مندر الهوكر هنتر أول طائرة تحلق فوق رؤوسنا في أبو غريب ثم تلتها طائرتا الميغ يقودهما فهد السعدون ووائل عبد الله^(١).

١ — استطاع الضباط المشاركون في حركة ٨ شباط أدوارهم على الأرض ومن السماء كلما أتحت لهم الفرصة منذ عام ١٩٦٢. وحفظوا عن ظهر قلب واجباتهم، وتحسسوا إمكانيات الخطأ، وبادروا إلى تقويم خططهم. وفعل ذلك مندر الوندائي بطائرته أكثر من مرة خلال التدريب مخلقا فوق الدفاع ومعسكر الرشيد. ولذلك ذهب إلى أهدافه مباشرة. وكان الخطر عمل قام به هو قصف قاعدة الرشيد وتمكنه من منع الطيارين فيها من الإقلاع وكان الطيار خالد سارة وخيري حميد قد امتطيا طائرتيهما استعداداً للإقلاع وقد استفادت الخطأ من ضعف أمر القاعدة الضابط عزيز أمين الذي انتسز أول فرصة للاتصال بالوندائي وإبلاغه استعداداته للتعاون، فطلب إليه مندر غلق المدرجات بمحلات الوقود الضخمة وقد فعل. وفي ذلك اليوم تلقى عبد الكريم قاسم أكثر من أربعين طلعة جوية تركزت أكثرها على مقره وعلى ارتال الانضباط العسكري والآليات الملحقه بوزارة الدفاع. ولم تسقط غير طائرة واحدة، يقول قائدها فهد السعدون أنه سقط على أرضية إسطبلات المنصور بعد انفصاله عن كرسي الطائرة وفتح المظلة التي أعاقها أسلاك التليفون، وبعد استعادته لوعيه الذي فقده لثوان انتبه إلى "أصوات صراخ وعويل من مجموعة من الناس تعدوا بانجماهي بهراوات ويصرخون اقتلوا المجرم." فأطلق ثلاث رصاصات لإيقافهم، وفي تلك اللحظة انتشلت سيارة أوبل ونقلته إلى جامع دراغ وبعد تفتيشه وجدوا في جيبيه ورقة وزعها عليهم مندر الوندائي كتب عليها كلمة السر "رمضان مبارك" وكانت كافية للوثوق به. ويذكر أن المسؤول المباشر عن أسر السعدون كان صباح عبد القادر وهو الذي أعاده إلى الحباينة. ويضيف: "عندما عدت إلى الحباينة وجدت أن عدد المشاركين قد ازداد وكان الجميع يتصوروني ميتاً، إما بسبب سقوط طائرتي أو بتصفيتي من قبل الأحياء الشعبية (الغوغاء)". وحينذاك أشرف المقدم عارف عبد الرزاق على العمليات وأرسل برقيتين الأولى تأييداً لمجلس قيادة الثورة والثانية إلى كافة القواعد الجوية يأمرهم بمنع الطيران مهما كانت الأسباب، والمخالف يعاقب بالإعدام.

ويذكر أن طائرات الحباينة تكونت من سربين أحدهما من ١٥ طائرة هنتر والثاني من ١٤ طائرة ميغ ١٧، أما قاعدة

←

دام انقطاع التيار الكهربائي خمس دقائق، وكنا نخشى ان تكون قوة الانضباط التي تمتلئك حوالي ٤٠ عربة مدرعة وألفي عسكري بقيادة العميد عبد الكريم الجدة ومقرها وزارة الدفاع وهي القوة الوحيدة المتبقية بين يدي عبد الكريم قاسم، قد بادرت إلى السيطرة على محطة كهرباء الدورة وقطعت التيار الكهربائي والبث عنا.

وكانت خطة الثورة قد تحسبت لمثل هذا الأمر فعهدت إلى الملازم بهاء شبيب ومعه عدد من المهندسين والفنيين البعثيين في محطة كهرباء الدورة السيطرة عليها ومقاومة أية محاولة لقطع التيار الكهربائي عن منطقة أبو غريب حيث المرسلات، إلا ان اعتقال بهاء الشبيب مع علي السعدي وشتاف وعماد الشبيب قبل أربعة أيام جعلنا عاجزين عن الاتصال بمجموعته وعن ملء الفراغ واتخذ الاحتياطات اللازمة. فلم تتمكن من إبلاغ المكلفين^(١).

فوجدنا بعد خمس دقائق بعودة التيار الكهربائي، وكانت المفاجأة أكثر طرافة عندما علمنا ان أوامر روتينية سابقة صادرة عن السلطة إلى جنود ومراتب سرية الحراسة ان يبادروا أوتوماتيكياً وفوراً ودون انتظار أية أوامر إلى تشغيل المولد الكهربائي الاحتياطي الموجود في قبو المبنى. بمجرد انقطاع التيار الكهربائي، وهو أمر يحصل عادة في بغداد، وبادر الجنود فعلاً دون ان يدركوا أهمية مايقومون به بالنسبة لنا، إلى تشغيل المولد الاحتياطي الذي لم نكن نعلم بوجوده، فعاد التيار وعدنا للبث. وأخبرونا فيما بعد ان الدبابة التي يقودها سعيد صليبي اصطدمت بأحد أعمدة الكهرباء في طريقها نحو وزارة الدفاع، فأدى الاصطدام إلى قطع التيار عن اجزاء من الصاحية وجانب من منطقة أبو غريب.

الرشيدي فتضم طائرات ميغ ١٧ و ١٩ وطائرات اليوشن. ومنذ الساعة الثانية عشرة ظهراً بدأت مساهمة حردان التكريتي الذي أرسل خمس طائرات من قاعدة كركوك الجوية، وارسل معها طائرة شحن محملة بصواريخ لدعم تسليح الطائرات القاصفة. وحول مساهمة عارف عبد الرزاق سألته بواسطة الأستاذ احمد الحوي في القاهرة، فأجاب " ساهمت في أحداث ١٤ رمضان ٦٣، وكنت أمراً لقاعدة الحبانية ورغم عدم تبليغي لكنني كنت اعلم بنية الانقلاب، فتواجدت في القاعدة وطيرت ٤٤ طلعة لقصف مقر قاسم بوزارة الدفاع" ويقول الأستاذ الحوي : " ان البعثيين لم يستثنوا فقط عارف عبد الرزاق من التبليغ وإنما كل القوميين، حتى ينفردوا بالسلطة. وكان تبليغ الراوي بسبب حاجتهم الماسة للواء الثامن. " ويضيف " إن القائمين على ١٤ رمضان لم يبلغوا القوميين لارادتهم في الانفراد بالسلطة، وقد وشى عماش قبل ذلك إلى قاسم عن نية القوميين بالقيام بانقلاب، وكان هدفه ان لايسبق القوميون البعثيين بحركتهم، وقد رأس البعثيون عبد السلام لكسب تأييد عبد الناصر والضباط القوميين[7].

١ — كان ضابط الاحتياط بهاء الشبيب منسب كمهندس مناوب في مصلحة الكهرباء فتكلف بمتابعة ومسؤولية إدامة محطات الكهرباء، وعلى سبيل المثال تم تكليفه مع هاشم قدوري واثنين من رفاقهما من شعبة الكراة بواجب السيطرة على محطة كهرباء بغداد في معسكر الرشيد، وكانت مهمة بهاء تسهيل مهمة دخول رفاقه إلى المحطة للسيطرة عليها وعلى مركز الشرطة، والاستيلاء على السلاح وتوزيعه على بعض عمال الكهرباء البعثيين والقوميين، ثم الانطلاق إلى دار الحاكم العسكري العام احمد صالح العبدى لاعتقاله أو قتله، وتقع في منطقة المعسكر خلف محطة الكهرباء[8].

إذاعة الصالحية مقراً جديداً لقيادة الثورة

قادنا المقدم عبد اللطيف الحديشي بعد استقباله لنا عند مدخل الاذاعة بالصالحية، إلى غرفة المدير العام للاذاعة والتلفزيون التي أصبحت مقراً للحركات ولقيادة الثورة. وكنا أمرنا بنشر عربات وجنود من الفوج الآلي الثاني حول المنطقة. كما وصلت دبابات أخرى إلينا للدفاع عن هذه المؤسسة الحساسة. واخبرنا عبد اللطيف الحديشي ان عبد الكريم قاسم كان قد اعد شريطاً مسجلاً جاء به للاذاعة جاسم العزاوي، وحاول اجبار الموظفين على بثه، وبينما كان يتجادل معهم وصل الحديشي إلى مشارف مبنى الاذاعة فأخبره احد الشباب البعثيين المتواجدين هناك بوجود شخص من قبل قاسم معه الشريط الذي يحمل نداء قاسم إلى الشعب. فأطلق الحديشي إطلاقاً من دبابته في الهواء، سمعها الجميع بما في ذلك مندوب قاسم، فغادر فوراً ووقع الشريط بحوزتنا، وسمعنا نضبه بعد نجاح الثورة.

وفي الحقيقة لم اسمع نداءً دموياً يدعو ويحرض على القتل الشامل والمحق والإهلاك مثلما دعا إليه صوت قاسم في ذلك الشريط^(١). واعتقد ان النسخة الأصلية مازالت محفوظة في دار

١ - ارسل عبد الكريم قاسم كاسيتين سجل عليهما نداءين موجهين إلى الشعب العراقي، احدهما بيد المقدم جاسم العزاوي (أو ربما بيد مرافقه حافظ علوان) لإذاعته من اذاعة بغداد في الصالحية ونضبه: "السلام عليكم ايها الضباط، السلام عليكم يا أبناء الشعب. ايها الضباط يا أبناء الشعب، ان نفرأ من اذئاب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والعسكريين من اذنايه يحاولون الانقضاض على جمهوريتنا ولكن شعبنا المظفر، شعب ١٤ تموز، واقف لانزال الضربات الخاطفة بهم، بأذئاب العهد المباد والخونة. أبناء الشعب، ان النصر معنا واننا صمنا على سحق الاستعمار وأعوانه فلا تلتفتوا إلى الخونة الغادرين، فإن الله معكم، وسيعلم الداسون، سوف يعلمون عندما نوجه لهم الضربات الخاطفة اليهم وقد بادروا لتوجيهها اليهم. . . ان الله ينصركم أبناء الخير الفياري. ايها الضباط، اسحقوا الخونة والغادرين، اسحقوهم، انني الزعيم عبد الكريم قاسم أقوى واشد عزماً في سبيل الفقراء والنصر لشعب العراق المظفر."

اما النداء الثاني فقد سجله الزعيم وسلمه، كما اخبرنا يونس الطائي [9] إلى الراحل سعيد الدوري كاتب خطباته، لإذاعته من مراسلات الحرية في سلمان باك. وهذا النص مأخوذ مباشرة من صوت الزعيم على الكاسيت: "من الزعيم عبد الكريم قاسم إلى أبناء الشعب الكرام وإلى أبناء الجيش المظفر، ان اذئاب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمفسدون الذين يحركهم الاستعمار لسحق جمهوريتنا، الذين يحاولون بحركات طائشة النيل من جمهوريتنا ولتقويض كيانها. ان الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لاتسحق وانها تسحق الاستعمار وتسحق كل عميل خائن، نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة. وتقوية كيان البلاد. فنحن لانقهر وان الله معنا. أبناء الجيش في مختلف القطاعات والكتائب والافراد، ايها الجنود البررة مزقوا الخونة اقتلوهم، اسحقوهم انهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر. وإنما النصر من عند الله وان الله معنا. كونوا اشداء اسقطوا الخونة والغادرين. أبناء الشعب في كل مكان، اسقطوا الخونة والغادرين وقتلوهم في كل منعطف وفي كل زاوية. انهم خونة، انهم اذئاب الاستعمار، والله ينصرنا على الغادرين. والله ينصرنا على الاستعمار وعلى اذنايه واعوانه. (الساعة الثانية بعد الظهر يوم ١٩٦٣/٢/٨)".

واختلفت الآراء حول مصير الكاسيتين، ولكن كما يبدو ان الأول تركه حاملة في اذاعة الصالحية، والثاني لم يصل إلى

الاذاعة. وارى ان مجادلة موظفي الاذاعة وعدم استجابتهم لجاسم العزاوي أو ربما (حافظ علوان) لبث نداء قاسم كان سببه النداء الذي اذعناه من مرسلات أبو غريب، وطلبنا من المشرفين على اذاعة وتلفزيون بغداد عدم بث أي شيء قبل وصول أوامر الثورة الجديدة اليهم، وذلك لان تلفزيون بغداد استمر ببرامجه الاعتيادية صباح يوم الجمعة رغم ايقافنا للبث الاذاعي من الصالحية^(١).

وفي طريقنا إلى الصالحية على ظهر الناقلة اقترحت على حازم جواد ان نستدعي مذيعين محترفين، اصواتهم معروفة وأليفة للناس، إلى مقر الاذاعة لياشروا بأنفسهم اذاعة الأوامر والبيانات الصادرة عن "المجلس الوطني لقيادة الثورة"، والذي بدأت البيانات تذاع بأسمه. وكان مبرر الاقتراح هو ان استخدام مذيعين رسميين سيُطمئن المواطنين ويحسبهم بامتلاكنا زمام الامور بأقتدار تام، وان مقاليد السلطة بأيدينا فعلاً.

وحينذاك كانت تصلنا آلاف البرقيات على شكل رزم فعهدنا إلى احد الضباط مسؤولة استلامها وقراءتها. وان لايسمح ببث أي منها قبل ان يعرضها علي شخصياً، أي عدم اذاعة البرقيات كما تأتي والهدف هو اخراج صوت الثورة أكثر اتزاناً وتوازناً والتزاماً. وفي حينه دبجنا برقيات كثيرة بأنفسنا واذعناها من مرسلات أبو غريب واذاعة الصالحية بدعوى انها وصلت من قادة وأمرء الوحدات العسكرية. لكن الامر تغير بعد انصرام ساعات النهار الأولى حيث بدأت تصل برقيات حقيقية من شباب بعثيين وقوميين من مختلف أحياء بغداد ومدن العراق. وكان شعار الوحدة والحرية والاشتراكية وأمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، هي العلامة المميزة لأكثر البرقيات الواصلة. ولذلك اتفقنا ان نجري عليها تعديلات بسيطة لكنها ضرورية لابراز الطابع الوطني وغير الحزبي للثورة، وتجنبنا انفراد المنحى العربي الذي قد يثير حساسية الاخوة الاكراد.

أكدنا استمرار اهداف ثورة ١٤ تموز لصيانة الوحدة الوطنية ودعم الاخوة العربية الكردية واحترام حقوق الأقليات والتقييد بسياسة عدم الانحياز. وقد راعينا هذه الامور ايضاً في نص البيان الأول الذي كتب في البداية على صورة معينة ثم عدل من قبل فيصل حبيب الخيزران عندما كان مازال عضواً في القيادة القطرية، لجعل طابعه وطنياً وقومياً شاملاً، والابتعاد عن

سلمان باك، لكنه ظهر لدى الثوار فيما بعد مما يؤكد ان الدوري لم يكن بدرجة المسؤولية التي تصورها قاسم، فقرر عدم المغادرة.. اما سكرتير قاسم (جاسم العزاوي) فقد اتصل الزعيم بمنزله، وبعد محادثة قصيرة اغلق قاسم السماعة بوجه العزاوي، واستدار قائلاً: "ان جاسم خائن"^[10]. وقد سمعت من ابناء المهديوي منور وفراس بأن والدهم حذر قاسم مراراً منه وكان يراه خائناً.

١ - نص نداء التحذير هو " إلى جميع موظفي ومستخدمي اذاعة البث بتلفزيون بغداد، اقطعوا البث حالاً بأمر من هذه القيادة وسيحاسب المسؤولون عن مخالفة هذا الامر".

التركيز على بعثية السلطة، لئلا تتحسس أي من الجهات المكونة للموزائيك الوطني والقومسي والاجتماعي العراقي. لهذا اخذ الضابط المكلف يعرض على البرقيات قبل اذاعتها، فأستبعد الكلمات المثيرة للحساسيات، فحذفت كلمة الوحدة من بعضها والاشتراكية من اخرى، وابقيت بعضها على حالها كما جاءت، واحياناً حذفنا " امة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة". اما البرقيات الواصلة من الشباب الناصري القومي فكنا نذيعها مباشرة.

انههم سبل البرقيات بلا انقطاع ذلك اليوم، وفي الساعات الاخيرة منه، وصلت برقيات حقيقية ومباشرة من أمراء الوحدات العسكرية ومن ضباط متقاعدين عرف عن الكثير منهم ولاؤهم لعبد الكريم قاسم أو حيادهم. ومن البرقيات التي وردت وأثارت ضحكاً كثيراً وابتهامات ذات دلالة على وجوه الحاضرين، برقية من اللواء صالح زكي توفيق الذي عرف بتزلفه وتشيعه لقاسم وللحزب الشيوعي، وترديده فيما يكتب ويقول للشعارات السياسية الشيوعية واشادته بالحدود بعبد الكريم قاسم زعيماً أوحداً عبقرياً على رأس جمهورية عراقية خالدة.

قيادة الجيش والسلطة بيد البعث

توافد علي مبنى الإذاعة ذلك النهار عدد كبير من الضباط حضروا ببدايتهم العسكرية مستعدين تماماً للقيام باية مهمة تعهد إليهم. وكان أغلبهم من البعثيين والقوميين الذين لم يبلغوا بساعة الصفر. ولم تكن لدينا خطة متكاملة لاستيعاب هذا العدد الكبير من الضباط والاستفادة منهم، مع أننا قمنا بتكليف وإسناد مهام قيادية، كل حسب اختصاصه، لجميع الضباط الذين التحقوا بنا صباحاً في أبو غريب. لكن الوضع هنا مختلف فقد غصت دار الإذاعة وضائق بأعدادهم الكبيرة^(١). وكنا مجتمعين في غرفة القيادة عبد السلام والبكر وحازم وأنا،

١ — بعد ساعات من انتقال القيادة إلى الإذاعة واتخاذها مقراً لقيادة الثورة، اكتظ المبنى بالضباط الملتحقين بملابسهم العسكرية رغم ان بعضهم متقاعدين وجميعهم غير مبلغين. ووصل عددهم حوالي ٩٠ ضابطاً بينهم عشرين بعثياً، وتجمع بين الآخرين الميول القومية على اختلافها.

واخبرنا الأستاذ علاء الجهدري [11] بأن العدد الأكبر من الضباط القوميين الشباب كانوا منظمين في كتلة العميد عبد الهادي الراوي [12] الذي حافظ حتى ما بعد ثورة ١٤ تموز على نشاطه الكتلوي مع ضباط ارتبطوا بتوجهاته القومية الإسلامية. وقد أثار كثرة عدد الضباط القوميين في دار الإذاعة بعض الاحلام والأفكار لدى أنصار الراوي، اتصلوا به قائلين مادماً الأكرية، فلماذا لا نعتل البعثيين بمن فيهم البكر وعبد السلام وحازم وطالب والآخرين ونستولي على السلطة ونعلن الوحدة مع العربية المتحدة.

لكن الراوي رفض قائلًا: لقد زارني البكر قبل أسبوعين وكان معي العميد عبد المنعم المصرف والمقدم جابر حسن حداد ومعه عماش وعبد الستار عبد اللطيف، وأكد لي ما نصه: "سيعمل كل منا على دعم الطرف الآخر إذا ما قام بحركة"

وكان الحديثي يدخل علينا بين حين وآخر لإبلاغنا ما يدور حولنا وما يصله من أخبار الوحدات المتحركة. وفي مواجهة كثرة الضباط الملتحقين تحرك عبد السلام ليقوم بأول دور له بعد إعلانه رئيساً للجمهورية. فقال والابتسامه تعلو وجهه: اتركوا لي الأمر وسأقوم بتوزيع الضباط على القطعات.

وما كان غير معروف لعبد السلام هو ان خطة حزب البعث لأحكام سيطرته المطلقة على السلطة اقتضت إبلاغ الضباط البعثيين الذين سيسيطرون على الوحدات بصورة سرية ان يلتزم كل منهم بدوره المناط به، وينفذه بحذافيره. ولا يستمع لاية أوامر مهما كان مصدرها، الا إذا جاءت من احمد حسن البكر أو من القيادة القطرية. وحصل ذلك فعلاً، ولم تفلح تدخلات عبد السلام الذي اقترح توزيع بعض قطعات اللواء الثامن وسرايا وفصائل من الفوج الآلي الثاني على مواقع مختلفة من حيث درجة أهميتها، وتكليف بعض الضباط القوميين الذين حضروا مبنى الإذاعة بالتوجه لإمرتها. وبرر اقتراحه لضمان ان تكون جميع الوحدات الموجودة في بغداد موالية تماماً^(١). فوافقنا على اقتراحه وأذيعت أسماء الضباط المعيّنين من الإذاعة مباشرة وتفرقوا لاستلام مناصبهم.

وأضاف "وستكون علاقتنا كعلاقة الشيخين أبو بكر وعمر". ويقصد بذلك ما حصل في سقيفة بني ساعدة من موازنة عمر لأبي بكر، ووفاء أبا بكر بتوريثها لعمر وتسميته خليفة قبل موته.

ويُعتقد ان العهد البكري كان مجرد مخدر، اقتنع به الراوي فأمر ضباطه بالانتظار وقال لهم: "يجب إعطاء البعثيين الفرصة لتحقيق الأهداف القومية المشتركة". وبعد ثلاثة اشهر وجد الراوي نفسه معتقلاً بقصر النهاية ومحاصراً بـلوم أنصاره الذين ما انفكوا يذكرونه بموقفه الأخلاقي غير المناسب!! وكان معتقلاً معه سبعين من القوميين بينهم ٥ مدنيين منهم عبد الله الركابي وعلاء الحيدري (اصولهما بعثية) ومن الضباط العميد عبد النعم المصرف وجابر حسن حداد وجميل السعودي ومبدر الويس (الذي فر من قصر النهاية) وعامر خالد حمدان وعماد نعمة عزيز. ويذكر ان البكر كرر إعطاء اليهود وخانها عشرات المرات كوعده للنأيف والداوود وخيانتهم، ثم لحدان التكريتي وسكوته عن مقتله، ومع نعمة كاظم الرماحي وهو بعثي من الفرات الأوسط نقض عهده معه عندما أراد إضعافه، ووعده مكرم الطالباي قبل ١٧ تموز بمشاركة الحزب الشيوعي بكل شيء إذا وصل إلى القصر الجمهوري وبعد استلامه السلطة حمل المشاركة شرطاً تعجيزياً، وبه تهرب من الالتزام.

ورغم احتياطات البعثيين فقد حصل القوميين يوم ٨ شباط على مراكز مهمة فأصبح عارف عبد الرزاق قائداً للقوة الجوية ثم استقال لعدم تنصيبه عضواً في مجلس الثورة. وصار صبحي عبد الحميد مديراً للحرركات العسكرية، ومحمد مجيد معاوناً لرئيس أركان الجيش وعبد الكريم فرحان قائداً لموقع بغداد ثم للفرقة الأولى، وشكري صالح زكي وناسجي طالب وزيرين وغيرهم.

١ - توزعت أفواج اللواء الثامن على الشكل التالي: الأول إلى وزارة الدفاع بقيادة محمد يوسف طه لمساندة قوة الدبابات التي تحاصر الوزارة. والفوج الثاني بقيادة عبد الجبار علي الحسين. والثالث بقيادة الرائد الركن مزهر جواد، إلى الكاظمية، ويقود اللواء المذكور العقيد عبد الغني الراوي.

وتوزعت سرايا الفوج الآلي الثاني بين مفاصل حيوية عديدة في بغداد، كما زودت قيادة الثورة بالحراسات الخاصة، أي انسها لعبت دور المشاة وبعض المهمات الضرورية.

لكننا كنا نعرف ان ذلك لن يحصل، وما جرى على ارض الواقع هو غير ما أراده عبد السلام. فقد استمرت الوحدات مرتبطة بأمريها الذين عيّنهم قيادة الحزب قبل تنفيذ الثورة، ولم يكونوا ليستقبلوا أي قائد جديد إلا إذا صدرت لهم أوامر موثقة من قيادة الحزب أو من احمد حسن البكر مباشرة، ولذلك لم يستلم أي من الضباط الذين عينهم عبد السلام عارف إمرة الوحدات الجديدة. وحينذاك وصلتنا أنباء جديدة طيبة تؤكد ان طاهر يحيى وانور عبد القادر دخلا معسكر الرشيد واستوليا عليه بالكامل. وقبلها سمعنا بتحجيد قاعدة الرشيد الجوية إثر ضربها من قبل طائرة الوندائي. وأصبحت بعد دخول يحيى وانور تحت سيطرة الضباط البعثيين والقوميين المنتسبين إليها. أما اللواء التاسع عشر، وهو لواء عبد الكريم قاسم، فقد أمر أفرادها بإيداع أسلحتهم إلى المشاجب، وقد عمل الضباط البعثيون والمعتقلون الذين خرجوا من سجن رقم واحد على إرباك الأجواء داخل مقر قيادة اللواء قبل وصول يحيى وانور، وكان بينهم الضابطان محمد علي السباهي وحيد السراج اللذان سعيا تدريجياً للسيطرة على اللواء.

الرعب في خدمة الثورة

وعلى المدخل الرئيسي للمعسكر قام انور عبد القادر الحديثي بعمل مرعب، لا أعرف ماذا ستكون نتائجه علينا، لكنه اثر كثيراً على معنويات الجنود والضباط داخل المعسكر. فقد تجمهر أمام بوابة معسكر الرشيد الرئيسية حشد من الجنود وضباط الصف وبعض الضباط والمدنيين يهتفون "ماكو زعيم إلا كريم" و"عاشت الجمهورية العراقية الخالدة"، وأنداك نلادى انور الحديثي على أحد المحتافين وطلب منه إعادة هتافه، ولما أعاده أطلق عليه انور من مسدسه الذي صوبه نحو رأس الجندي مباشرة فسقط على الفور ميتاً. وفرغت الساحة من كل المتظاهرين بسبب ما سببته العملية من رعب وذعر^(١).

علمنا كل ذلك من طاهر يحيى الذي كلمنا تلفونيا وابلغنا نجاحه، وقال ان عبد الكريم قاسم كلمه بالتلفون من وزارة الدفاع متسائلاً عن مطالب الثوار، فأجابه يحيى إننا نريد رأسك في حين يظل قاسم يلح على المفاوضة والتفاهم، وقال في إحدى مكالماته. . . "أرجو معاملتي

١ — تعاون البعثيون من منظمة الكرامة مع الدبابات النازية إلى معسكر الرشيد، فحاصروا مدخل المعسكر، واحتلوا محطة الكهرباء ومنعوا الضباط القاسميين المتحقيين من دخوله، وجاءت الدبابات لتستغل حالة الصدمة والفوضى التي تنهبط فيها قوات وصنوف المعسكر. فدخل يحيى ومرافقيه مقر اللواء ١٩ وسيطروا عليه مستغلين ضعف أمره فاضل عباس حلمي الذي حضر متخاذلاً مسلماً. وتعاون معهم الضباط طه الشكرجي والملازم عزيز الخطيب، وقاد الأخير إحدى الدبابات وتوجه للسجن رقم واحد، وساهم بإخراج المعتقلين الذين ساهموا في السيطرة على القاعدة الجوية ومفاجأتهم النقيب الخفر عبد القادر الشكاكي، فسلمهم مفاتيح المشاجب وقادهم إلى حيث بهو الطيارين قسم اعتقالهم، وعرقلة الضباط الذين حاولوا امتطاء طائراتهم. وبعدها قطعوا اتصالات المعسكر بالعالم الخارجي ماعدا خط واحد استخدمه يحيى وانور وانتهت العملية.

كما عاملت سوريا النحلوي عندما أطيح به في انقلاب، وامنح طائرة اذهب فيها إلى بلد اختاره، أو أي بلد تختارونه انتم" ... وكان يحى يكرر عليه ان رأسه هو المطلوب.

ماكو زعيم الاكريم

نعود لوزارة الدفاع حيث تقدمت الدبابات الأربع الأولى بقيادة ضباط الكتيبة الرابعة الشبان فعبرت في حوالي الساعة الحادية عشرة نهر دجلة من الغرب باتجاه وزارة الدفاع، لتجد نفسها وسط تظاهرة كبيرة أعدها الحزب الشيوعي بعد صدور بيان الثورة الأول. وكانت لدى القيادة الشيوعية الميدانية فترة لا تزيد على الساعة والنصف بين إذاعة البيان ووصول الدبابات إلى الدفاع. وكما يبدو كان هذا وقتاً كافياً لتعبئة مجموعة كبيرة للتجمع والتظاهر. وزاد في حماس المتظاهرين واستعدادهم للحضور ان إنذاراً جزئياً كان الحزب الشيوعي قد وجهه لأعضائه ليلة السابع من شباط، كما ان خروج قاسم من داره متجهاً لمقره تحف به الجماهير هاتفة "ماكو زعيم الاكريم" فوصل الوزارة محبباً الناس وهو بكامل صحته وعافيته.

كان ذلك بعد إذاعتنا انه قتل على أيدي بعض الضباط القوميين، وهذا كله ألهم حماس مؤيديه وتفاؤلهم وعلى رأسهم الشيوعيون الذين تصوروا ان ما يحدث لا يتعدى حركة عمرد صغيرة في معسكر من المعسكرات، وان الزعيم حي يرزق محاط بالانضباط العسكري وبمعاونيه المقربين الذين يأمنهم^(١).

كان شعور المتظاهرين حول مبنى الدفاع، حسب ما أرى، مزيجاً من النشوة بنصر قادم وتطلع من قبل الشيوعيين بالذات لاسترداد واستعادة ما أخذ منهم على مستوى السنة الماضية من مواقع ونفوذ في السلطة. وأعتقد وحسب ما سمعت من كثيرين ان تصرف المتظاهرين أوحى وعبر عن وحشية ما سيعقب هزيمة الحركة الجديدة.

أحاط المتظاهرون بالدبابات الأربع الأولى وصعدوا فوقها، وفتحوا أغطيها وخرجوا قادتها من الضباط وقتلهم بالخنجر والسكاكين وسحبوا جثثهم وقطعوها إرباً. ولم يكن ممكناً فيما بعد جمع الجثث إلا قطعاً في توابيت مغلقة كشهداء اغتسلوا بدماهم^(٢).

١ — في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة صباح ٨ شباط أذيع ما يلي : يا أبناء شعبنا البواسل يا قطعات جيشنا الباسلة، إليكم هذا النبأ السار: بعد ان دك أبطالنا نسور الجو وكر المجرم الخائن، وبعد ان تحركت جميع قطعاتنا العسكرية، معلنة الثورة ضده، عازمة على ان تدك صرجه، وان تقضي على كل مفاسده، وخيائاته، هب إخواننا جنود وضباط وزارة الدفاع، وأردوا المجرم العميل قتيلاً، فسقط صريع جرمه وخيائته وتكره لهذا الشعب ولهذا الجيش البطل. انتهى".

٢ — هاجمت الدبابات الأربعة الأولى فور وصولها مدخل وزارة الدفاع، فتمكن الجنود والجماهير من حرق دبابتين، قتل فيها الملازم وحدي ناجي والملازم طارق صادق والملازم شبوط جاسم واصيب آخرون، وكان الأخير أول ضابط بعثي يقتل في ٨ شباط ١٩٦٣.

بعد تلك الحادثة وصل رتل آخر من الدبابات يقوده العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، الذي أخبرني قائلاً: "أدخلت دبابتني وسط جموع تهتف بحياة عبد الكريم قاسم، ورغم أن واجبي هو مهاجمة وزارة الدفاع، إلا أنني وجدت نفسي ودبابتي وكل الرتل أسرى وسط تلك الجموع، وسيكون مصيري القتل إذا ما وجهت مدفعي لمهاجمة وزارة الدفاع ولذلك فتحت بوابة الدبابات وخرجت محيياً الجماهير ورددت معهم نداءهم المعروف "ماكو زعيم الاكريم" وبذلك مررت بدبابتي، تتبعني دبابات أخرى كرر قاداتها مافعلته. وما ان وصلنا على مقربة من النادي الأولمبي حتى استدرنا ثانية بصورة مفاجئة نحو مبنى وزارة الدفاع. وبدأنا حالاً اقتربنا من المتظاهرين بإطلاق النار فوق الرؤوس".

وكان ذلك بطبيعة الحال كفيلاً بتفريقهم خصوصاً وأن أوامر منع التجول باستثناء أفراد الحرس القومي - الذي أعلن تشكيله توا - كانت تتكرر وتمتص أعداد الناس من الشوارع ليتقلص عددهم ويختفي مع مرور الوقت أي أثر لهم، بينما استمرت الدبابات بالوصول فضلاً عن وصول طلائع اللواء الثامن وسرايا من الفوج الآلي الثاني لتضرب طوقاً كاملاً حول وزارة الدفاع.

قتال شديد والضحايا أقل من التوقعات

دار داخل الدفاع قتال عنيف وشرس بين القوات المهاجمة والمدافعين من قوات الانضباط العسكري. وعلمنا أن كلاً من أمر الانضباط العسكري العميد عبد الكريم الجدة والمرافق الاقدم لعبد الكريم قاسم العقيد وصفي طاهر، قد ابديا بسالة كبيرة للتصدي للهجوم. وبقي عبد الكريم الجدة يقاتل خلف النافورة الامامية أمام البوابة الداخلية للوزارة حتى أصيب بطلق ناري. وجيء صباح اليوم التالي بجثته وجثة وصفي طاهر إلى دار الاذاعة ووضعنا في الحديقة الامامية.

أصاب وصفي طاهر رصاصتان بصدرة، واحدة اخترقت القلب تماماً. وبسبب شدة المعارك وارتفاع صوت النار كانت تقديراتنا للقتلى والدمار تفوق الواقع، لأن ضحايا الجانبين بعد

يقتل في ٨ شباط ١٩٦٣.

أما أول ضابط قتل في ٨ شباط فكان عميد الجو الركن جلال جعفر الأوقاتي في حوالي الساعة الثامنة والنصف (وحسب الوثائق البريطانية السرية أن القتل تم في الثامنة وعشر دقائق). ونفذ عملية قتل الأوقاتي كل من: ماهر الجعفري وغسان عبد القادر وعدنان داود القيسي وأكرم عبد الكريم أسود ومحمد رجب حمدان. ويقول أقرباء جلال الأوقاتي أن محمد ثامر (لاعب كرة القدم وحامي هدف فريق المصلحة ومنتخب العراق) كان شريكهم ودليلهم إلى بيت جاره جلال جعفر الأوقاتي [13].

انفضاض المعركة كانت قليلة جداً^(١). ويذكر ان أعداداً كبيرة من افراد الانضباط العسكري قد استسلمت لنا في الحادية عشرة مساء يوم ثمانية شباط، ويبدو ان قائدها عبد الكريم الجدة قد قتل قبل ذلك بقليل فأصبحت بلا قائد فأستسلم أكثريتها واقتيدت إلى معسكر خارج بغداد بعد تجريد افرادها من اسلحتهم، ولم يحصل لأحدهم بعد ذلك أي أذى.

الهاتف يرن مرة أخرى

تلك الليلة كانت حافلة بال telefونات من قاسم، وكان قادراً ان يتصل بنا في أي مكان يشاء، لأننا لم نقرر ضمن الخطة الرئيسية السيطرة على شبكة الهاتف لسبب بسيط هو ان قاسم كان في كل الاحوال سيظل قادراً على الاتصال بأمرء الوحدات والضباط والقادة والمعسكرات ومقرات القوات باللاسلكي أو telefونات السرية الخاصة. وكنا بحاجة ماسة لقواتنا القليلة في مكانات أكثر أهمية، ولذلك اهلنا هذا الموضوع وبقي عبد الكريم حراً يتصل بمن يشاء. اتصل بالمرسلات ثم بمعسكر الرشيد وغيره من معسكرات بغداد ومحيطها ودار الاذاعة وإستتجد بكافة الوحدات البعيدة عن العاصمة بعد ان يئس من استشارة أو تحريك اية قوة داخل بغداد. وكان جواب القادة الاعتذار لعدم القدرة على القيام باية مهمة أو تحرك، وبعضهم امروا بدالة وحداتهم الاعتذار وإبلاغ قاسم بعدم وجودهم. وهكذا انصرم النهار وحل المساء وادرك قاسم يقيناً انه فقد الامل في استلام نجدة أو ناجد، بعد ان اتصل بالمرسلات ثم بمعسكر الرشيد وغيره من معسكرات بغداد ومحيطها، وكان قاسم حينها مضطراً إلى التنقل بين سراديب وزارة الدفاع وبين محكمة الشعب الملاصقة لوزارة الدفاع، بعد ان ترك مكتبه في الطابق الأعلى الذي اصيب اصابة مباشرة بصاروخ.

لا أريدها حرباً أهلية

اعاب كثيرون على قاسم عدم استغلال القوة التي كانت معه في وزارة الدفاع والمؤلفة من ٤٥ مدرعة وألفي جندي، ليخرج بها ويفاجئ الثوار مهاجماً. لكننا حسبنا حساب ذلك، فكانت مهمة الدبابات الثلاثة التي رافقتنا إلى المرسلات ان تسد الطريق بوجه أي هجوم عسكري سيستغل فراغ ذهاب الدبابات إلى مخازن الاسلحة وعودتها. كما ان شبابتنا المزروعين على طول الطريق الضروري التي ستقطعه مدرعات قاسم إلى معسكر أبو غريب

١ — نضع مجموع اسماء قتلى صبيحة ٨ شباط

— يقول عارف عبد الرزاق ان الضابط الطيار محمد حسام الجبوري تمكن بضربة واحدة من قتل جميع جنود رتل من السيارات وخلف وراءه ١٩٨ جثة من جنود الانضباط العسكري بوزارة الدفاع.

سيهاجمونها انطلاقاً من الجوامع والمباني التي احتلوها^(١). يضاف إلى ذلك القوة الجوية التي ستضرب أية قوة أو رتل يتحرك باتجاهها.

وتلك كانت ضمانات كافية لعرقلة القوة التي يفترض خروجها من الدفاع، وحينها سنكسب الوقت الكافي لعودة الدبابات التي يقودها البكر مزودة بالعتاد والوقود والماء. ولذلك لم نشعر بالخوف رغم ان عمال حاول زرعه فينا، وكان يتوقع ان يخرج في مواجهتنا عشرون ألف شيوعي مسلح، وستكون مقاومتهم ضارية. وكان يرى ان الدبابات غير قادرة على دحر الجماهير الذين سيقتلون ضباطها. ولكن الواقع ان الشيوعيين لم يتمكنوا من حشد أكثر من خمسمائة شخص، ولم يحملوا غير عدد قليل من الاسلحة الخفيفة نصف الآلية وكانت معنوياتهم متدنية، لان عدداً كبيراً منهم انتمى في فترة المد الشيوعي، ولن يصمد في مثل المعركة التي فرضناها عليهم غير العقائدين، ولان قاسم تخلّى ورفض تسليمهم السلاح للمقاومة^(٢).

بقي مع عبد الكريم قاسم حتى ذلك الحين كل من العميد طه الشيخ احمد مدير الحركات العسكرية بوزارة الدفاع والعقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي عرفت بمحكمة الشعب والمقدم قاسم الجنابي والقيب كنعان خليل. اما بقية الضباط فقد انسحب أكثرهم وتسلموا تحت جنح الليل هرباً عبر نهر دجلة، بينهم اللواء احمد صالح العبدى الحاكم العسكري العام والعميد سعدون المدفعي ورئيس الاستخبارات العسكرية العميد محسن الرفيعي وسكرتير قاسم المقدم جاسم العزاوي وغيرهم، وبقي عدد آخر من الضباط داخل الوزارة متخفين وغير متحمسين للقتال، وإنما انصب جهدهم على حماية انفسهم^(٣).

١ — يذكر ان بعض المدنيين البعثيين اعلنوا عن الحركة من مكبرات صوت الجوامع، قبل اذاعتها من مرسلات الاذاعة في أبو غريب [14].

٢ — يقول قاسم الجنابي " اقولنا للتاريخ، تجمع الناس في باب وزارة الدفاع وكان هناك مخزن في الوزارة للأسلحة، وطالبوا بالسلح ولكن عبد الكريم قاسم رفض توزيع السلاح وقال: "انا لا اريدها حرباً أهلية سنعالجها". [15]. كما اتصل معي الشيخ (ع م س للحزب الشيوعي) من ساحة التحرير بوزارة الدفاع وتحدث مع وصفي طاهر، وكان حاضراً معه رشدي العامل والشاعر مظفر النواب، اتصل معي من بناية مرجان وقال: " نحن موجودون بساحة التحرير نحتاج إلى سلاح واثنين من الضباط لقيادتنا إلى معسكر الرشيد". وأكد له امكانية ضبط معسكر الرشيد وكان معهم جنود كثيرون في الساحة لكن وصفي طاهر اكد ان الزعيم لا يوافق ويرى ان الحركة ستفشل [16]. وقال يونس الطائي: " ان العميد سعيد مطر بقي في ٨ شباط في وزارة الدفاع حتى الساعة الرابعة عصراً، وبعده لم أره، وكان منزعجاً من عبد الكريم قاسم. وقبل ان يفتني أو يغادر الوزارة متسللاً، قال لي: "لا يعطي السلاح للشعب، مشيراً لعبد الكريم قاسم" وأضاف الطائي " أظن ان وصفي طاهر كان يعاني مثل سعيد مطر، لكنهما لم يرغباً بمعارضته أو تكديره مباشرة". ويذكر ان سعيد مطر كان قد تسلل متخفياً إلى كردستان العراق ليبدأ من هناك تأسيس مقاومة شيوعية.

٣ — ما تقدم في الصفحات الماضية يمثل شرحاً لحطة الحركة التي يمكن ان تعطى عنوان (عضة السم) الذي يباغت ضحية أكبر منه حجماً بجمرة وسرعة مستغلاً استرخائها، فيعض اضعف واضطر منطقة في جسمها (جوزة الرقبة)

←

مطبقاً فكيه دون فكاك ومهما حصل. هي عضه تجمل رأس الضحية وبقية جسمها محايدين في معركة تخصهما أساساً. فيتركز جهد الضحية في سباق عبثي محمود للخلاص من الفكين المطبقين، وتدرجياً تفقد المبادرة وترتبط أسيرة بالعضة وبالفكين المطبقين. ويصبح حالها حال من يدور حول نفسه عبثاً ليرى حلمة أذنه. وهكذا تعجز الضحية عن استخدام قواها الأخرى، ويخرج جسمها الكبير من الصراع، بل ويعجز بقية النوع (القطيع) المراكب لها عن المعاونة والاقتراب حيث فكاً السبع المنطبعان بإرادة وقوة على عضو رهيف، يتضرر بسرعة وتتوقف عليه الحياة.

وهكذا كانت خطة البعث، فقبيل دخول قاسم مبنى وزارة الدفاع (القفص، المصيدة)، تمكن المدنيون البعثيون في يوم عطلة رمضاني من مفاجأة وإعاقة عدد هائل من الضباط على مدخل الجسور ومفارق الطرق المؤدية إلى وزارة الدفاع وأبو غريب، ومعسكر الرشيد ومدخل مدينة الضباط. ومنع الضباط الشيوعيون والقاسميون من الالتحاق بوحدهاتهم بعد سماع بيان الحركة الأول، واحتجازهم، داخل الجوامع وفي مكانات أخرى، وإعادة الضباط غير المسيسين إلى بيوتهم. ففقد عبد الكريم قاسم المئات من مناصريه ضباطاً ومواطنين. وتمكن عدد قليل جداً من الشباب من حاملي البنادق والمسدسات التمرکز في مناطق استراتيجية من منع مؤيدي قاسم من أبناء الثورة والكاظمية والشعلة والقاهرة والحرية والزعفرانية الكرادة والبياع ومناطق الإسكان الشعبي الجديدة وغيرها من الوصول حيث يحاصر الزعيم لمد يد العون له. وجميع هؤلاء تفرجوا من بعيد على الطائرات القاصفة تذهب وتعود واستمعوا لأصوات المدفعية والرمائية، مجردين من السلاح لا يملكون غير العواطف التي لا يمكن توظيفها لمصلحة المحاصرين الذين يضيق حولهم الخناق ويتميز الحصار بمدركات ودبابات وطائرات تحوم وتضرب، وملتحقين جُدد فيكسب المحاصرون قوة وزمناً ضرورياً، في حين يخسر المحاصرون وتضعف معنويات الجنود والضباط داخل المعسكرات الأخرى فيلتزمون الحياد أو يبحثون عن الخلاص بتأييد الحركة. ولم يقدم العون غير سكان الأحياء المحيطة بوزارة الدفاع على شكل مظاهرات في شارع الرشيد وباب العظم، وهؤلاء امتصها نظام منع التجول، ورماية الدبابات والمدركات ونشاط الحرس القومي، ليتلاشى وجودهم بعد فترة قصيرة خصوصاً بعد ان رفض عبد الكريم قاسم تزويدهم بالسلاح لكي لا يتسبب بحرب أهلية أو لكي لا تتكرر أعمال شبيهة بأحداث الموصل. وهكذا كانت وزارة الدفاع تماثل رأس الضحية، ومعسكرات الجيش القريبة والبعيدة وسكان المناطق والأحياء والمدن تمثل أطراف وجسد الضحية. والطرق الرابطة بينها وبين وزارة الدفاع تماثل الرقبة الواصلة بين الرأس والجسد، وهي التي أطبق عليها وامسك بها المهاجمون بقوة. وكلما مر الوقت كانت نيران الطائرات ومدافع الدبابات تآكل الرأس المحاصر في مبنى الدفاع في حين تبقى الوحدات والأحياء الأخرى مرتبكة وبلا قيادة.

ولابد ان عوامل كثيرة تدخلت وساعدت على إنجاح خطة المهاجمين وكانت: أولاً: بقاء الشيوعيين وحدهم تقريباً في ميدان الدفاع عن النظام، بسبب طريقتهم الاستفزازية السابقة في النشاط السياسي التي تدفع عن الميدان اية قوة أو هيئة تؤيد نظام قاسم ومستقلة عنهم. ثانياً: امتناع قاسم عن تشكيل الحزب السياسي الوسيط ليقف بين الحركات المتطرفة، وليدافع أعضاؤه عنه بمسؤولية والتزام وعصبية، كما يفعل منتسبو الأحزاب دفاعاً عن سلامة سياسة أحزابهم وقادتها. وكما اخبرني يونس الطائي انه وآخرون اقترحوا على قاسم أكثر من مرة تأسيس ذلك الحزب، فكان رده: " الشعب كله حزبي، وإذا أسست حزباً ستحول إلى دكتاتورية" [17] ومعلوم ان هناك فرقاً جوهرياً بين ديكتاتور وديكتاتورية. ثالثاً: افتقد التصادم بين قاسم والشيوعيين رغبة الآخرين وحاسمهم له، وكسر التحالف الاضطراري بينه وبينهم، فقاسم أراد تمييز نفسه والاستقلال عنهم. والشيوعيون أرادوا المحافظة على نفوذهم ودفع الخطر الداهم عن أنفسهم. رابعاً: فقدان بعض قادة القوات المسلحة معنوياتهم ورغبوا في عدم التورط بسبب توسع حركات الشمال. خامساً: فقدان المرجعيتين الإسلاميتين الشيعية والسنية لحماستها للسلطة، بل وإعلان عداوة المرجعية السنية علناً للنظام بسبب التعديلات التي أدخلت على قانون الأحوال الشخصية [18].

←

أما النقيب كنعان خليل حداد فأمر انضمامه إلى عبد الكريم قاسم والبقاء معه حتى الموت فيه شيء من الغرابة، فلم يعرف لحد الآن ماذا كان يربطه بقاسم؟ فقد كان كما دلت محتويات جيبونه بعد استسلامه وتفتيشه على أنه كان ذاهباً إلى موعد غرامي، يقضيه في يوم عطلة. وخلال سيره على الطريق بسيارة مكشوفة سمع نبأ الحركة فقرر تحويل وجهته إلى وزارة الدفاع، لكنه اصطدم بالضابط إبراهيم التكريتي فقتله برشاش كان معه في السيارة، ثم التقى بحاملة جنود تابعة للفوج الآلي الثاني وكان ركابها يهتفون بسقوط قاسم، فأوقفهم وأطلق عليهم فقتل وجرح الجنود التسعة الذين كانوا فوقها. ولم يكن هناك أي دليل على أن ما قام به كان دفاعاً عن النفس، كما لم يكن عملاً حاسماً في مسيرة ما كان يجري في بغداد واجوائها يومذاك، وربما كان احساسه بالتورط جعله يقاتل حتى الموت ودون تردد^(١).

سادساً: سن القانون رقم ٨٠ وتأسيس شركة النفط الوطنية. وبشكل عام كانت خطة ٨ شباط ١٩٦٣ ذكية استثمرت بنجاح عدداً قليلاً من الضباط وبضع مئات من المدنيين البعثيين لتتمكن بسرعة خاطفة من إطاحة نظام شعبي بكل مقاييس العالم الثالث والشرق الأوسط، فانتصرت على قوة تملك أعداداً من الضباط والموالين تفوق عشرات المرات ما لديها. وقد وضع الخطة عبد الستار عبد اللطيف وعمّاش بتكليف من السعدي ودرسها واقرها المكتب السياسي المؤلف من علي وحازم وطالب وكريم. ولم يحضر محسن وحميد وحدي.

١ — أخبرني هاشم الياسري أن كنعان خليل حداد كان شيوعياً غير مكشوف، وابن آخت العميد عبد الكريم الجدة قائد الانضباط العسكري والمريد المخلص لعبد الكريم. ويرى الياسري أن هذه أسباب كافية لحماس كنعان حداد لعبد الكريم قاسم ووقوفه معه ضد ثوار رمضان [19].

ملحق رقم ١

المرات التي استخدم فيها الجيش العراقي ضد الشعب

تجاذب الجيش، منذ تأسيسه خطان، أحدهما يراه وطنياً يمثل وحدة البلاد، ويأمل بابتعاده عن التكتلات السياسية الداخلية ليظل حامياً للحدود وللدستور. وآخر ما انفك يزجه بحروب داخلية "واستخدم الجيش العراقي قرابة ٤٥ مرة ضد المظاهرات الجماهيرية والتحركات الفلاحية والعشائرية وإضرابات العمال والثورات الكردية وغيرها. وفي مناسبات عدة جرى الاستعانة بسلاح الجو البريطاني...^(١).

ومنذ ما بعد ثورة العشرين وحتى الآن يحاول الجيش دون جدوى، السيطرة على الأوضاع الأمنية الداخلية، وربما يعود السبب إلى تركيبة الجيش الغريبة عن نسيج المجتمع في بداية تأسيسه، ثم إلى القيادات السياسية والعسكرية التي امتلكت طموحات مناقضة لطموحات أغلبية المجتمع بعد الثورة.

ويمكن بسهولة ملاحظة أن العراق لم يستطع طوال عشرات السنين من الاستقلال الوطني الحصول على خمس سنين متواصلة ومستقرة. ومما يؤسف له أن أكثر المهتمين بخشون من وقفة نقدية ومن إعطاء رأي شجاع يساهم في حل الأزمة جذرياً وإراحة النفس والمجتمع من أزمة دورية تقضي على الاستقرار السياسي والاجتماعي. وبسبب عجز الجيش من امتلاك حريته والتوافق مع تنوع المجتمع، عجز المجتمع كله من التمتع بثروات العراق الكبيرة، وذلك يفرض أهمية دراسة الظاهرة دراسة معمقة.

ونأخذ هنا نماذج لاستخدامات الجيش في شؤون داخلية:

أولاً: على الجبهة الكردية زجت الحكومة المركزية الجيش بصورة مستمرة، خلق قاعدة مؤسفة وثابتة في ذهن الكرد، وهي أن عليهم قبل المطالبة بشيء ما لأنفسهم، أعداد العدة العسكرية والتفكير حتماً بالتمرد ونتائجه مثل الصعود للجليل. فلم تبق السلطات لهم سوى أحد خيارين، إما التمرد أو الطاعة للدولة النامية. وكان أول استخدام للجيش العراقي ضدهم حصل في ٣١ آب ١٩٢١ بأمر من برسي كوكس، لإخماد بعض مظاهر الرفض وكان ذلك قبل تنويع الملك فيصل الأول، لأن الجيش العراقي تأسس بقرار من مؤتمر المستعمرات المنعقد في القاهرة قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة بقليل.

ثانياً: في ١٩٣٣ لإخماد حركة النساطرة تنفيذاً لقرار حكومة ياسين الهاشمي ذات التوجه "القومي" وكان عبد القادر الكيلاني وزيراً للدفاع واتخذ قراره بالتنسيق مع رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ووزير الداخلية حكمت سليمان، ونفذه القائد العسكري بكر صدقي، وتمت الضربة على مرحلتين. الأولى في

١ - د. حسان عاكف حمودي - واقع النظام الملكي وثورة ١٤ تموز، الثقافة الجديدة، عدد ٢٧٤ شباط ١٩٩٧.

١٩٣٣/٨/١١ وقتل فيها أكثر من ستمائة شخص. وفي المرة الثانية زحف الجيش وحصد منهم المئات بعد تجريدهم من أسلحتهم الشخصية، فقتلوا غُزْلاً، وسميت العملية بـ "عين الأرناب"^(١).

وفي الحقيقة لم تكن حركة الآشوريين تمثل خطراً يتطلب قراراً بالإبادة، فهي تمثل أقلية لم تتجاوز حينذاك الآلاف، ويجدر ملاحظة أنه رغم عمق المأساة، فقد مجد الشعب بأغليته خطوة الجيش، ربما لاختزانه ذكرى مؤلمة عن استخدام الإنكليز للآشوريين جنوداً في قمع الثورات العراقية، خصوصاً ثورة العشرين. وأغلب الظن أن شعوراً هستيرياً بوحدة الوطن وضد تقسيمه قد اجتاحت العراقيين بعد أن رفع الآشوريين شعارات تطالب بوطن مستقل.

ثالثاً: في عام ١٩٣٥ وبقرار من ياسين الهاشمي تدخل الجيش ضد سكان الفرات الأوسط لقمع انتفاضتهم، وبدأت العمليات في ١١ أيار حتى ٩ تموز ١٩٣٥، بمساندة طائرات القوى الجوية التي أسقطت القنابل على رؤوس الفلاحين وأحرقت القرى في مناطق العشائر في الدغارة والرمثة والحمزة وغماس وعفك وكذلك عشائر سوق الشيوخ، وبعد انتصاره على الانتفاضة فرض الغرامات عليها.

وفي نفس العام أمر وزير الدفاع رشيد عالي الكيلاني القائد العسكري بكر صدقي بضرب وإخضاع مدينة الرميثة وبعد إخماد ثورتها، قال الكيلاني لصدقي "الآن أقدر أن أفخر بالجيش العراقي". فأجابته صدقي "على العكس أنا لا أفخر بجيش يقتل أبناء شعبه"، ويروي ذلك الزعيم فؤاد عارف الذي رافق الاثنين في جولتهما الحربية إلى الرميثة^(٢) ويذكر أن انتفاضة الرميثة وسوق الشيوخ وغيرها من مدن الوسط والجنوب لم تكن حينذاك موجهة ضد وزارة ياسين الهاشمي أو الكيلاني، بل ضد السياسة الإنكليزية في العراق.

رابعاً: وفي ١٩٥٢/١١/٢٣ شكل الفريق الركن نور الدين محمود وزارة عسكرية، شغل فيها هو منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والداخلية، فضلاً عن رئاسته لأركان الجيش. وبأمر مباشر منه إلى قائد موقع بغداد "طلب تفريق كافة الاجتماعات والمظاهرات بعد إنذارهم بالرمي" وعمم قائد الموقع ذلك الأمر على الوحدات بعد أن ذيله بتوقيعه: الزعيم الركن عبد المطلب أمين قائد القوات في ١٩٥٢/١١/٢٤. وبذلك اتجهت القوات لضرب انتفاضة تشرين الثاني في بغداد والنجف وكربلاء والحلة والديوانية والبصرة... الخ، وفيها وقف العراقيون مدحوشين لا يجدون تفسيراً لتصرف دولتهم المشين.

ويذكر أن نور الدين محمود كان قائداً للقوات العراقية عندما وقع الجيش المصري في حصار القالوجة، فأحجم عن مساعدته مستخدماً شتى الذرائع، وكان عبد الكريم قاسم أحد أمراء الألوية الذين أصروا على التدخل لفلح الحصار عن الجيش المصري، وبعد رفض نور الدين محمود، رتب قاسم أمره وأعد لوائه سراً للتحرك ليلاً لمساعدة الجيش المصري خلافاً لأوامر قيادته العسكرية، لكنه فوجئ عشية التحرك

١ — ستانفورد، مأساة الآشوريين، ص ١٧٤ - ١٧٥ عن سمير خليل (كنعان مكية) جمهورية الخوف، بالعريسة، ص ٢٦٤.

٢ — حامد سالم الزبادي: التوجيه المنعوي في الجيش العراقي، مصدر سابق. عن كتاب عبد الغني الملاح — تطوّر الحركة الديمقراطية في العراق، ص ١٣٤.

بتحقيق اتفاق بين القيادتين العربية والإسرائيلية لفك الحصار^(١).

خامساً: في عام ١٩٥٦ أرسل نوري السعيد فوجاً عسكرياً بقيادة عبد الوهاب الشواف لمساندة شرطة " القوة السيارة" لإخماد انتفاضة النجف التي أعلنت ضد الإنكليز بسبب تحالفهم مع فرنسا وإسرائيل وعمالهم لضرب مصر ونظام جمال عبد الناصر، فيما سمي بالعدوان الثلاثي. ومن حسن الحظ أن المقدم عبد الوهاب الشواف كان وطنياً وتصرف بود ولم ينجر لضرب المواطنين ، بل وقف بوجه الأعياب الأمن والشرطة ومنع تطور الاضطرابات، وأوقف أعمال القتل والنار بين الشرطة السيارة وأبناء المدينة، وذلك أكسبه سمعة طيبة وكانت تلك واحدة من الأسباب التي رفعت اسم وسمعة الجيش في نظر الشعب، بل ساعد في تحول الجيش إلى ملاذ يلجأ إليه الشعب من عدوان حكومة نوري السعيد وذراعها " القوة السيارة" وارتفعت شعبيته أكثر بإعلان ثورة ١٤ تموز.

سادساً: في عام ١٩٥٨ قتل ضباط برتب عالية العائلة المالكة ومرافقيها، كما تلقت العائلة المذكورة حماية من مدرعة تابعة إلى رتل يقوده عبد الرحمن عارف (رئيس الجمهوري لاحقاً) رغم تلويح الرتل الملكي براية بيضاء واتفاقه على التسليم قبل الخروج من محبته، تلك المأساة سجلت تحولاً وبداية لتسلسل ضباط شباب "مترفين" انفتحت شهيتهم للسلطة السياسية، فحرفوا الجيش العراقي وحولوه من قوة تقليدية تستخدم في توطيد الأمن الداخلي إلى قوة تقوم بحماية مشاريع سياسية وأيديولوجية يقودها زعماء من الدرجة الثانية، ويحكمون مستندين إلى شرعية القوة بعد سيطرتهم على الجيش العراقي بمؤامرة عسكرية لعب فيها بعض الضباط دوراً يؤكد استعدادهم للخروج على القانون. وعندما استتب لهم الأمر نقلوا الجيش من قوة لكل الشعب، تقف " فوق الميول والاتجاهات" إلى قوة فرض عليها الالتزام بإرادة معينة ضد بقية الإرادات المتضمنة في التنوع العراقي الكبير. وأصبح ذلك الوضع المستحدث أشد خطورة منذ عام ١٩٦٨ .

سابعاً: في حزيران ١٩٦٣ قام الزعيم صديق مصطفى يضرب المدنيين في مركز مدينة السليمانية وقد قتل العشرات من المواطنين الأكراد العزل، وحصلت أعمال مماثلة بنفس التوقيت في مدينة كركوك، وقبلها استخدم الطيار فهد السعدون طائرتيه في قصف تجمعات مدنية في حي الكرييمات والزعفرانية ومخيم فلسطينيين (بناها قاسم) في مدينة بغداد، وحملت تلك الضربة في طياتها آثار السياسة والإيديولوجيا ، واستعمل الجيش مرة أخرى في ١٨ تشرين الثاني عندما أمر عبد السلام عارف القوات المسلحة بضرب قوات الحرس القومي ومكاتب حزب البعث ومنظماته الشعبية خصوصاً في بغداد والموصل والرمادي ومناطق أخرى، ومهما يكن فقد كان الحرس القومي قوة محلية بأسلحة شخصية يدوية، ولم يكن هناك مبرر لاستخدام الدبابات والأسلحة العسكرية الاستراتيجية ضده. غير أن استخدام الجيش أصبح أمراً يسيراً لدى قياداته السياسية والعسكرية وأصبح الحاكم لا يخجل من احتمائه به من الشعب.

ثامناً: في عام ١٩٦٤ استخدم الجيش ضد منتسبي الحركة الكردية قنابل حارقة محرمة دولياً وقد لقي ذلك احتجاجات الشعب العراقي بأكمله.

١ — راجع خليل إبراهيم، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم.

تاسعاً: في عام ١٩٧٧ بأمر من قيادة — البكر، صدام — استخدم الجيش في ضرب المسيرة الدينية السنوية الراجلة من النجف إلى كربلاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين (ع) بما فيها من تحدي للثقاليد والمشاعر. وأمرت بإيقاف المسيرة التي تشكل جزءاً هاماً من الحياة الروحية للمجتمع. وبسبب إصرار السلطة، تظاهر المشاة في الصحراء رافضين العودة قبل إتمام مسيرتهم المسالمة، ففوجئوا باللواء المدرع السادس من الفرقة الثالثة المدرعة ومقره المسيب واللواء الثامن الآلي من الرمادي يطوقان تجمع (الزوار - المشاة) الاعتيادي في منطقة خان النص لياشرا القمع والتفريق وإلقاء القبض على العشرات منهم، وعقدت محكمة خاصة، حكمت بالإعدام على مجموعة منهم بعد اتهامهم بالعمالة والجاسوسية!!
عاشراً: ومنذ عام ١٩٦٤ حتى ١٩٨٠ أصبحت مهمة الجيش داخلية فقط عدا محاولات اضطرابية فجائية باهتة.

حادي عشر: السنوات اللاحقة منذ عام ١٩٨٠ وحتى الآن تحول الجيش العراقي إلى وسيلة بيد نظام عدو للشعب، وتغيرت تركيبته القيادية، ليفسح الفتيون والمتفوقون إلى ضباط يتمتعون بميزة التبعية للسلطة مهما كانت نوع الأوامر التي تصدرها، ومهما كانت رغباتها وأوامرها. فنفذت أبشع الجرائم كحلبجة والأنفال ومذابح الأهوار.

ثاني عشر: إدخاله في لعبة دولية لا تخدم مصلحة العراق والأمة العربية.

ثالث عشر: ١٩٩١ ضرب انتفاضة آذار / شعبان إثر فشل السلطة والجيش في مواجهة خططها بعد احتلال الكويت، فاستدار على الشعب وقصف المدن بصواريخ بعيدة المدى، واستخدم ضد المواطنين مصطلح "الأعداء"^(١) وخاض ضدهم حرباً بكل معنى الكلمة.
هذا فضلاً عن بناء السلطات العراقية المتعاقبة، منذ أكثر من ٧٥ عاماً، أجهزة أمنية واستخبارية مهمتها الدائمة كبح الشعب والوطنيين بشكل خاص، موفرة كل وسائل المراقبة والتعذيب بلا حدود.
كما جرت محاولات استخدام الجيش في الصراعات بين البلدان العربية كسوريا ولبنان بدفع من رجال العهد الملكي في عهد نوري السعيد وتوفيق السويدي الذي كتب إلى سفير بريطانيا ببغداد في ٥ حزيران ١٩٥٨ متحججاً لضرب سوريا والكويت يقول: "إن الخطر الشيوعي أصبح يهدد الحكومة العراقية من سوريا والكويت"^(٢).

وواضح أن السياسيين وقفوا دائماً وراء زج الجيش في أعمال الشغب وتلاعيباً بأمزجة وتوجهات ضباطه، فلم يخضع الجيش يوماً لرغبة ضباطه بل كانت تدخلاته العنيفة في كثير من الأحيان مثار استياء بين الضباط. ولذلك من الخطأ نسب عملية ضرب منطقة الفرات الأوسط إلى بكر صدقي كضابط بل يتحملها ياسين الهاشمي رئيس الوزراء ووزير دفاعه الذي اتخذ القرار وأملاه على صدقي.
ومن غير المستبعد أن تكون تلك الأوامر وغيرها سبباً في الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي بمساندة أبو التمن والجادر جي. ولأن الحس الشعبي الفطري من الصعوبة أن يخطئ، نرى المواطنين رغم

١ — حسن العلوي — دولة الاستعارة القومية، ص ١٨٤ .

٢ — د. حسان عاكف حمودي — ثقافة جديدة — مصدر سابق

تدخلات الجيش ظلوا ينظرون إليه حتى نهاية الستينات نظرة احترام، ولكنهم لم يكونوا وداً للقيادات السياسية الحاكمة ولا حتى لقيادات الجيش المسيية أو المؤجلة أو المتعصبة.

ويمكننا أن نستنتج من الأرقام أن الجيش لم يستخدم ضد الشعب في فترتين فقط. أولاً: عهد الملك فيصل الأول منذ ١٩٢١ حتى ١٩٣٣ ، وعهد عبد الكريم قاسم من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣.

لقد ابهر العسكريون بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فسعوا جميعاً إلى تكرارها رغم أن الأولى جاءت من أجل الاستقلال وترحيل الإنكليز عن البلاد، وكانت الانقلابات الأخرى مجرد خروج على القانون وتوظيف القوات المسلحة لمصالح حزبية سياسية وأحياناً من أجل مكاسب شخصية، وأدى ذلك إلى جرجرة الجيش والمجتمع على مدى أكثر من ربع قرن إلى مآزق وحروب أوصلت البلاد إلى الخضيض.

لقد تحولت مهمة الجيش داخلية فقط ، عدا محاولات اضطرارية باهتة وفجائية، ليس مخططاً لها. أما مهمته الأساسية فحُصرت في حماية النظام وقتال الكرد في شمال العراق. ولم تكن مساهمته في حرب تشرين تتناسب مع قدرته أو عقيدته التي يدرسها الضابط في الكلية العسكرية، حيث يدرس المواجهة مع العدو الصهيوني والجغرافية الواصلة بين فلسطين وبغداد... الخ. وعندما حصلت الحرب في عام ١٩٧٣، وجد العسكريون العراقيون أنفسهم بلا ناقلات دبابات ولا اية وسائل سريعة ومتطورة تمكنهم من الانتقال لمواجهة عدوان إسرائيل ضد سوريا ومصر أو نصرة شعب فلسطين، وهذا ما حصل في ايلول عام ١٩٧٠، فبمجرد اشتعال المعركة وجد الجيش العراقي نفسه غير قادر على تنفيذ وعده بنصرة الفلسطينيين أو على الأقل حمايتهم بسبب عدم صدور الأوامر من القيادة السياسية^(١).

١ — حسن النقيب مقابلة، كردستان العراق ١٩٨٢ .

مراجع:

- [1] خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز صفحة ٣٤٢، وصالح حسين الجبوري صفحة ١٧٥. ومقابلة مع عارف عبد الرزاق لندن في ١٧/٥/٩٨.
- [2] د. حسان عاكف حمودي - واقع النظام الملكي وثورة ١٤ تموز - الثقافة الجديدة شباط - العدد ٢٧٤ - ١٩٩٧.
- [3] د. سمير الخليل (كنعان مكية) - جمهورية الخوف، دار الزوراء، بيروت، صفحة ٢٤٦
- [4] عبد الغني الملاح - تطور الحركة الديمقراطية في العراق صفحة ١٣٤ - وراجع العقيد الركن حامد سالم الزيايدي أو أحمد الزيايدي - البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية، دار الروضة، بيروت، ١٩٩٠
- [5] صالح حسين الجبوري - ثورة ٨ شباط صفحة ١٤٩ - وراجع خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز، السقود. رسالة من ذياب العلكاوي لخليل إبراهيم صفحة ٣٤٤.
- [6] رسالة من بهاء الشبيب في ١٠-٤-١٩٩٨.
- [7] رسالة من أحمد الجبوري في ١٩٩٦/٣/٥.
- [8] رسالة من بهاء الشبيب في ١٠/٤/١٩٩٨.
- [9] يونس الطائي مقابلة ١٩٩٥.
- [10] يونس الطائي مقابلة ١٩٩٥.
- [11] علاء الحيدري من التيار القومي العربي (عضو مكتب سياسي) مقابلة عام ١٩٩٤.
- [12] ضابط حر، عضو هيئة محكمة الشعب، رفض توقيع وثيقة إعدام رفعت وناظم ولم تكن كتلته تنتمي لحركة القوميين العرب أو للعربي الاشتراكي لكنها تتفق معهما، وقرينة من قيادة الحركة
- [13] مقابلة مي الاوقاتي وجميل منير، فيردن - هولندا، ١٩٩٦.
- [14] فتى الاعظمية - دار الطليعة بيروت ١٩٧٩.
- [15] عبد الكريم قاسم، موسوعة ١٤ تموز، - السقوط، صفحة ٤٠٢.
- [16] مقابلة مع مظفر النواب، برلين، ١٩٩٤.
- [17] مقابلة يونس الطائي - دمشق ١٩٩٥.
- [18] موقف الشيخ عبد العزيز البدر، والشيخ الزهاوي وتحالفاتهم وتدخلاتهم السياسية ضد السلطة بعد ان اشتبهوا بعدم التدخل.
- [19] لقاء مع هاشم الياسري، دمشق، تموز ١٩٩٧.

استسلام عبد الكريم قاسم وإعدامه

بدأ التلفون الموجود في غرفة أمر سرية حراسة مرسلات "أبو غريب" يرن بصورة مستمرة مباشرة بعد إذاعة بيان الثورة الأول. وتناوبت وحازم جواد على رفع السماعة، وكان المتكلم يصيح بصوت عال: أنا الزعيم عبد الكريم قاسم. من المتكلم؟ فنقل السماعة دون إجابته. تكررت اتصالاته عدة مرات بينما نواصل بث ما بحوزتنا من بيانات وتوجيهات وكنا نخشى أن يرفع السماعة أحد الإداريين أو الفنيين أو الجنود خلال انشغالنا ليفاجأ بصوت عبد الكريم قاسم حياً، وقد أذعنا قبلها بقليل خبر مقتله في وزاره الدفاع على أيدي ضباط مؤيدين للثورة. ولو حصل ذلك فسنواجه مشكلة جديدة، إذ ربما يصدق العاملون هناك بأنه مازال حياً وقادراً، وعلى الجميع طاعته، مما سينفي مصداقية بياناتنا وادعاءاتنا. فلم يكن من بد غير قطع الاتصال نهائياً. فقطعت به بنفسه باقتلاع الأسلاك من الجدار مباشرة. وفي واقع الحال لم تكن لدينا نية للاتصال بعبد الكريم قاسم تلفونياً. ولم نكن بحاجة ماسة إلى التلفون كوسيلة للاتصال. وتعمدنا عدم وضع مركز تلفونات بغداد ضمن قائمة الأهداف الأولى التي يجب السيطرة عليها، اقتصاداً للجهد والقوة. وهو ما جعل قاسم قادراً على الاتصال برجالنا في أي مكان يشاء، مستخدماً التلفونات العامة والسرية، واستمر على ذلك الحال حتى استسلامه.

سبق قاسم دباباتنا في الوصول إلى وزارة الدفاع^(١)، بعد أن مر بشوارع بغداد محيياً الجمهور الذي بدا يحتشد هناك. وقد تألف القسم الأكبر من التجمع الشعبي أمام وزارة الدفاع من أعضاء الحزب الشيوعي ومؤيديه الذين تصرفوا مقتنعين بأن الحركة ليست سوى تمرد عسكري بسيط على الرغم من مباشرة الطائرات قصف مقر قاسم.

حصل الاتصال الثاني بيننا وبين عبد الكريم قاسم حينما هاتفنا في محطة إذاعة بغداد محاولاً التحدث مباشرة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة، الذي انتقل إلى هناك، وبعد فشله سعى

١ — خرج قاسم من داره متجهاً إلى معسكر الرشيد حيث القوة الأرضية الضاربة ولواؤه التاسع عشر وقاعدة الرشيد الجوية ومركز أنصاره ضباطاً وجنوداً. فاستوقفه العميد طه الشيخ أحمد ونصحه بالذهاب إلى وزارة الدفاع لقيادة المعركة من هناك فدخل الاثنان ومعهم رئيس الأركان أحمد صالح العبدى والعميد عبد الكريم الجدة والعقيد وصفي طاهر في المصيدة، ثم التحق بهم الزعيم فاضل عباس المهدي وعدد كبير من الضباط القادة، ليضعوا أنفسهم تحت حصار لا فكاك منه [١].

للاتصال بمعسكر الرشيد الذي سيطر عليه الثوار وعلى قاعدتي بغداد وكركوك الجويتين^(١). فتحدث إلى العقيد الركن طاهر يحيى التكريتي طالبا السماح له بترك بغداد والاتفاق على المكان الذي يرغب أو نرغب أن يسافر إليه مع معاونيه. وكان جواب طاهر يحيى باستمرار هو: إننا غير مستعدين للتفاوض. ويجب عليك أن تستسلم دون قيد أو شرط، وإننا نريد رأسك. وكرر يحيى ذلك على مسامع عبد الكريم قاسم في جميع مكالماته^(٢).

يونس الطائي وسيطاً

وفي الساعة الثانية ليلاً أرسل عبد الكريم قاسم يونس الطائي للتفاوض. وكان رئيساً لتحرير جريدة الثورة، وصديقاً شخصياً مقرباً منه. فجلبته إحدى المدرعات إلى دار الإذاعة بعد أن أعطيناه الأمان. ومازلت أتذكر يونس الطائي لحظة دخوله علينا بوجهه الشاحب المضطرب غاية الاضطراب وقد غطى شعر رأسه وبدلته تراب ابيض نتيجة لاحتكاكه "ببياض" الجدران، مما يعطي انطباعاً عن حالة عبد الكريم قاسم وجماعته المحاصرين في سرداب الوزارة تحت الرماية والقصف المستمرين. فتساءلت مع نفسي: إذا كانت حالة من قضى في السرداب ساعة واحدة بهذا الشكل، فكيف ستكون حالة الآخرين؟ وأيقنت ان القضية برمتها قد

١ — في كركوك قام حردان التكريتي وهو عضو في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري للبعث، باعتقال قائد الفرقة الثانية، ومباغته الضباط الشيوعيين واعتقالهم، والسيطرة على المواقع المهمة وعلى القاعدة الجوية. ثم ابرق في حدود الساعة الثانية عشرة ظهر ٨ شباط بحجر القيادة بسيطرته على كركوك وعلن تأييده لها.

٢ — يقول طاهر يحيى: اخبرني يونس الطائي ان عبد الكريم قاسم سيتصل بي. وعندما رن جرس التلفون قال عبد الكريم قاسم: لا أريد مساعدة من غيرك، أرجو أن تحاول مساعدتي للخروج من العراق مع جماعتي الذين هم معي في وزارة الدفاع. فقلت: وكيف يكون ذلك؟ أجاب: "أن تكلم الجماعة وأنا واثق من أنك ستؤثر عليهم وتحصل الموافقة". فقلت له: على ما يظهر أنك لا تدري ماذا عملت بتصرفاتك، أنا حاضر لمساعدتك وأنا واثق من ان الجماعة الآخرين سيوافقون على مساعدتك أيضاً، لكن علي شرط ان تجلب معك رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي. فقال: هذا طلب مستحيل فأجبته طلبك مستحيل أيضاً. وهناك محكمة عادلة على ما أظن ستشكل لمحاكمتك. فقال شكراً ومع السلامة وهكذا انتهت المكالمة".

أما يونس الطائي الذي نقله من وزارة الدفاع إلى معسكر الرشيد النقيب الركن احمد الحديثي فیری ان من المستحيل ان يجرؤ طاهر يحيى التحدث مع قاسم تلفونياً أو مباشرة كما ادعى ذلك أمام شبيب ومجلس الثورة. لأن يحيى قضى درس الكلية العسكرية تحت إمرة قاسم وقضى بقية حياته المهنية كضابط تلميذاً ومريداً له وعضواً في منظمته للضباط الأحرار. ولا يمكن ان يتصرف مثل هذا التصرف خصوصاً وأنه يمتلك بعض الأصول والحدود. كما أني قابلته في معسكر الرشيد في نفس اليوم ولم افهم منه ما يؤكد ادعاءه أمام قيادة الثورة، أمام علي وحازم وطالب والبكر وعبد السلام ومحسن وعماش، بل سمح لي ان أعاتب ضباط قاسم المعتقلين عنده، عندما قلت لهم أمامه: ختمت زعيمكم الذي أحببتموه. ولم أنصرف كذلك إلا لمعرفتي بما يكنه طاهر يحيى لعبد الكريم قاسم من احترام. أما ما قاله للمجلس فيأقي في سياق الردح بعد إسدال الستارة وغياب عبد الكريم قاسم نهائياً.

انتهت، سواء بقي قاسم على وجه الحياة أم انتحر.

كانت مطالب يونس الطائي هي نفسها مطالب عبد الكريم التي ردها على أسماعنا بواسطة الهاتف. والفارق الوحيد هو محاولة الطائي استدرار عطفنا وبشكل خاص عطف عبد السلام عارف حين خاطبه قائلاً: ان الرجل انتهى وبالإمكان إبداء الرحمة والعطف والسماح له بالخروج بالطريقة التي ترتأونها، وإلى المكان الذي تريدون^(١). ولم يكن يونس الطائي يعرف ان قراراً بالتصفية الجسدية قد اتخذ فعلاً. إذ لم يدر بخاطرنا ان ندعه يترك العراق بأي شكل من الأشكال وذلك لأسباب كثيرة منها ما هو سياسي وعدلي، ومنها ما هو احترازي وأمني. لأن خروجه سيثير إذا ما أقام في إحدى الدول الاشتراكية مشاكل نحن في غنى عنها.

وفي الحقيقة لم نحسب إننا سنقع في مثل هذا الإشكال أو هذه المساومة والمفاوضات، لاعتقادنا السابق بأن قاسم لن يستسلم، وسيقتل إما بالهجوم أو بالانتحار. خصوصاً وأنه قاتل حتى آخر لحظة، وقَتَلَ وهو يقاتل من داخل وزارة الدفاع فلا بد وأنه يعرف نهايته ويقتدي بالتقليد العسكري ويضع حداً لحياته بدلاً من الاستسلام. وكنا نتصور ان الرجل لديه من الشجاعة ما يدفعه لذلك. ومن الإدراك بان ما فعله بالعراق وبثورة ١٤ تموز بالذات، وإعدامه لرفاقه وزملائه، وما سببه من مذابح في الموصل وكركوك لا يمكن ان يسمح له بالخروج سالماً.

١ — يقول يونس الطائي[3]: إن أهم ما كان يشغل بال الزعيم بعد يأسه من النجدة هو مصير مناصريه الذين بقوا معه في وزارة الدفاع، وكان يعتقد إن الانقلابيين يريدونه هو دون غيره، وربما سيكون استسلامه فدية لهم أو على الأقل يضمن فيه عدم قتلهم.

وهناك أكثر من شاهد يؤكد ما ذهب إليه يونس الطائي في إن قاسم أراد حقن الدماء بعد قناعته بنهاية سلطته. منها انه رفض تسليم الجماهير المؤيدة له سلاحاً تدافع به عنه، خصوصاً وإنها تمكنت بسلاحها الخاص الخفيف من تدمير دبابات الدفعة الأولى. وكان واضحاً إنها إذا امتلكت سلاح البازوكا والمضادات الأخرى ستخلق أزمة كبيرة للثوار. ثانياً: طالب في تلفوناته مع الإذاعة ومعسكر الرشيد وعبر يونس الطائي بحماية أصحابه وعاتب عبد السلام عارف قبل دقائق من إعدامه على عدم التزامه بوعده بعدم إيذاء جماعته مشيراً إلى المهداوي المدمى. ثالثاً: لم يمنع زملاءه من التسرب هرباً واحداً بعد الآخر بل نصح بعضهم باستغلال الظلام وذلك يشمل رئيس الأركان أحمد صالح العبيدي الذي خرج بعد أن نصحه قاسم بذلك، فتسلل عبر نهر دجلة إلى جهة الكرخ راغباً في الوصول إلى بستانه على طريق بعقوبة، وكان العبيدي عندما سمع بخبر الحركة قد سارع ملتحقاً بزعيمه في وزارة الدفاع، وكان الأفضل لو ذهب قبل التحاقه إلى بغداد الجديدة لاستخدام كتيبي الدبابات الموجودتين هناك، ولم ينسحب العبيدي من وزارة الدفاع بإرادته بل نصحه عبد الكريم قاسم. رابعاً: ويمكن أن يكون قاسم قد طمع بمحاكمة علنية يكسبها من الثوار خصوصاً بعد ان وعدوه "بمحكمة عادلة ستشكل وتنظر بأمره". تلك مؤشرات تؤكد ان رغبة قاسم في الاستسلام لم تكن ضعفاً صدر عنه في اللحظات الأخيرة، بل تؤكد انه سعى لإنقاذ جماعته وهو أمر اقرب لشخصيته التي لم يعرف عنها غير الشجاعة والإقدام كما أشارت كل تقارير رؤسائه ونجاحاته الحربية العريضة في كل المهمات التي كلف بها، فلا يعقل ان حالماً مثله يوافق ان يضرب أمام جنوده أو يصدق على وجهه.

لذلك كله اببلغنا يونس الطائي قرارنا بالرفض، واعدناه إلى وزارة الدفاع حيث عبد الكريم قاسم وجماعته. لكن الطائي عاد إلينا ثانية بعد مقابلته لقاسم، ليواصل المفاوضات دون أن يكون لديه شيء جديد. ولم يكن لدينا نحن أيضاً أي شيء نعطي له. كما لم نتدب شخصاً بعينه لإدارة تلك المفاوضات. بل كان الطائي يأتي ليجلس بيننا وكأنه أحدنا فتحدث إليه بصورة جماعية، ولم نعتبرها مفاوضات. لقد أدركنا الأمور وتعاملنا مع القضايا بصورة جماعية، وحسمنا أموراً كثيرة بصورة مباشرة وفورية ولذلك قلنا للطائي أن مهمته انتهت^(١).

١ - قال يونس الطائي[4]: " بدأت رحلتي كوسيط بين قاسم ومجلس الثورة عندما تحدثت هاتفياً مع طاهر يحيى في معسكر الرشيد. وكنت في قاعة الشعب مع الزعيم والعبدى وكنعان حداد. فقال يحيى تعال إلى معسكر الرشيد وأهلاً وسهلاً، وأرسل سيارة لتأخذني. قابلت يحيى وكان أنور عبد القادر الحديدي يلازمه ولا يتركنا لوحدها. قال يحيى: سارسلك إلى الإذاعة ولكن قبل ذلك أريدك أن ترى الضباط الذين اعتمد عليهم الزعيم وهم أسرى خائفون. فبصقت وقلت لهم الستم عسكرياً، فلماذا لم تدافعوا عن زعيمكم؟". وقال وصلت للإذاعة مفاوضاً. وفي مدخلها أمسكني عمالش قائلاً: حجى الخزينة فارغة؟ وأعادها ثلاث مرات. . . تأسفت لذلك لأنني شعرت بأن أول عمل قام به عمالش هو تفتيش الخزينة والبحث عن المال. استقبلني عبد السلام يحيط به حازم جواد وطالب شبيب اللذان منعاني من الانفراد بعارف وكانت علاقتي به طيبة. قلت: ان إيقاف القتال سينقذ خمسمائة شخص على الأقل. رد عارف: يروحوا ألف شخص. وأستدرك: ان قاسم سيخرج بعد فترة ومن أجل خاطرك سوف لا نعتدي عليه. قلت لعبد السلام: طلبت مني بعرفات وأنا وعدتكم، ان أتوسط بينك وبين قاسم لتصفية القلوب، فرفعت يديك أمام حشد من الناس كانوا يتفرجون داعياً إلى مساندة الثورة والزعيم. لكني أدركت ان الآخرين لن يمكنوني من الانفراد بعارف بل تأكد لي من تصرفات السعدي وحازم وطالب ان عبد السلام لم يكن مؤثراً. وعند توديعهم لي أمر السعدي بتفتيشي فوجدوا مسدسي الذهبي فأخذوه مني وأعطاه لعبد السلام. وعند البوابة اتفقنا على الاستسلام لكن السعدي أضاف شرطاً: ان ينزع الزعيم بمجامته وحاكيته ويضعها على متنه، فاتفقنا. ركب مع عبد الكريم نصرت إلى الدفاع وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، على ان يتم الاستسلام في الساعة صباحاً يوم ٩ شباط: اخرج أنا أولاً ماشياً أمام رتل فيه قاسم والآخرين. مقابل ذلك وعدوني بالالتزام بشرط قاسم بعدم قتل أي من رجاله وبالموافقة على تسفير الزعيم للخارج بعد مرور فترة، أي عندما تهدأ الأمور. وكنت قد طلبت مغادرته فوراً لكن عارف طمانني. عدت إلى الزعيم عبر سراج الوزارة الحديدي ركباً على متن سيارة كنعان حداد وقلت للزعيم بحضور العبدى وآخرين: وافقوا على وقف النار والتسليم بشرط نزع النجمات. فلم يوافق، فرفعت السماعة على عبد السلام، فقال له الزعيم لماذا نزع النجمات؟ لكن قاسم اقتنع بعد فترة فذهبت قبل الساعة إلى موقع بغداد حيث عبد الكريم فرحان للإشراف على التنفيذ وكى ابلغهم بموافقة الزعيم حتى لا ينفلوا تسهيدهم بتدمير بناء محكمة الشعب. ويقول الطائي لم اكن مترباً عندما وصلت للإذاعة بل كنت بكامل قيافتي. ولم يكن الزعيم في السرداب بل كنا بقاعة محكمة الشعب المفروشة جيداً. ولم ينزل للسرداب غير مرة واحدة في نهار ١٩٦٣/٢/٨ لفترة قصيرة حين ألقى آخر خطاب له على الموجودين فيه. ويذكر قاسم الجنابي[5] ان قاسم لم يكن في الملجأ وإنما في اللوج بقاعة الشعب ومنها استسلم. وحسب الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا وهو شاهد عيان ان قاسم انتقل إلى أمرية الانضباط في مدخل الوزارة وبقي هناك حتى استسلامه[6] في حين تركز القصيف على المبنى الرئيسي للوزارة. ويقول الطائي: اثر شتم طه الشكرجي لقاسم على الهاتف أمر قاسم بإحضار سيارته ركبناها أنا وهو للذهاب لمعسكر الرشيد وفي باب الوزارة ترجل ثم دخل غرفة أمر الانضباط ووضع صوية (مدفأة) علاء الدين أمامه جالساً على كرسيه ومسنداً رأسه، ونام من الساعة الواحدة حتى الثانية والنصف بعد الظهر وكان شيئاً لم يكن ثم عاد إلى قاعة المحكمة.

الخطأ القاتل

انقطعت المفاوضات بالواسطة بيننا، فلجأ قاسم مرة أخرى إلى التلفون وكان يجيبه ضابط أوكلنا إليه الرد على مكالماته، فيقول له : ان الوضع قد تغير وعليه الاستسلام دون قيد أو شرط.

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف تلك الليلة اخذ مني الإعياء مأخذه لأنني لم اتم خلال ليلتين ويومين سوى ثلاث ساعات. فذهبت إلى غرفة كبيرة، وكانت اكبر غرف الإذاعة وتتوسطها طاولة جلس حولها عدد من الضباط القوميين وغيرهم من ذوي الرتب والنياشين الكبيرة، كل أتى بقيافته كاملة ليحصل على شرف المساهمة ويضمن وظيفة افضل في الحكومة الجديدة القادمة التي ستكون لديها مئات الوظائف الكبيرة الشاغرة بعد تغيير الطاقم القاسمي.

طلبت منهم ترك الطاولة ونمت فوقها حتى الخامسة صباحاً. وحينما استيقظت لم ألحظ ان شيئاً قد حصل غير ورود أنباء عن تعزيز السيطرة على بغداد ومواقعها العسكرية، خصوصاً وان كتائب الدبابات الأربعة الوحيدة الموجودة في بغداد قد أعلن أمرتها لضباط بعثيين موثوق بمجراتهم وإخلاصهم، وكذلك السيطرة على المرافق الحيوية كمحطات توليد الطاقة الكهربائية والاتصالات الهاتفية. وبدأت القيادة تشعر بارتياح اكبر وتهتم ببعض الأمور العامة كالطلب من الخبازين وأصحاب الأفران الالتحاق بمصالحهم والجنود والضباط لثكناتهم واستثناءهم من قرار منع التجول العام، والنظر في الطلبات الواردة للسماح للفنيين والعمال المشرفين على بعض المرافق الحيوية لاستمرار الحياة في مدينة بغداد.

كان إطلاق الرصاص حتى صباح ٩ شباط مستمراً بين القوة الكبيرة التي تحاصر وزارة الدفاع والقبر الذي تحصن فيه عبد الكريم قاسم مع بعض ضباطه. وفي الحادية عشرة من صباح نفس اليوم اتصل قاسم وقال : نريد الاستسلام!! ولم يذكر أي شرط عدا ما اتفقنا عليه ووعدنا به يونس الطائي سابقاً.

سرى في أجواء مجلسنا شعور غريب. وعن نفسي فقد شعرت بمزيج من الغرابة والحيرة. إذ كنت أعرف بالضبط ما ينتظر هذا الرجل إذا ما وافق ان يأتي مستسلماً. ولا بد ان يكون قد قرر مصيره النهائي وما قد يتعرض له من إذلال وتعذيب. وفكرت بأنني لو كنت بمحلله، وقد وضعت نفسي بنفس الموضع عندما ذهبت للاستيلاء على المرسلات فتعاهدت مع حازم جواد بأن لا نستسلم إذا ما تعرضنا لهجوم في أي حال من الأحوال، وسيبقى كل منا رصاصة واحدة في مسدسه ليطلقها على نفسه، وإن ضَعُفَ أحد منا عن فعل ذلك يقوم رفيقه بتنفيذ الأمر ليتولى بعدها مصير نفسه.

فعلنا ذلك لأننا نعرف يقيناً ما سنلاقه في حالة الفشل من إهانات وتعذيب وما سنجر عليه من اعترافات. وإن مصيرنا سيكون الموت في كل الأحوال ودون أدنى شك. ولم استطع أن أفهم كيف يسلم الرجل نفسه. فهل هو حب الإنسان للحياة؟ أم أملاً في شفاة عبد السلام عارف؟ أم توقع نجدة في آخر لحظة تنقذ الموقف؟ ولم تكن الهواجس أن وجدت سوى تعبير عن شدة تمسك الإنسان بالحياة عندما تحين لحظاته الأخيرة.

واستجابة لطلب الاستسلام أعلننا تعيين الرائد محمد علوان، الذي كانت هناك نية لتعيينه معاوناً لرئيس الاستخبارات العسكرية، ليذهب ويشرف على عملية الاستسلام. وابلغنا عبد الكريم قاسم تلفونيا بأن الضابط المذكور سيتقدم نحوه، غير مسلح ويحمل علماً أبيض. وطلبنا منه التهيؤ لاستقباله خلال خمس دقائق. وفعلاً دخل الرائد علوان المبني وتوجه نحو البناء الداخلي وحينما صار على بعد أقل من عشرة أمتار عن المدخل أطلقت عليه عدة رصاصات من أحد الموجودين في الداخل فسقط قتيلًا.

أثرت تلك الحادثة على نفوسنا، فأصدرنا أمراً فورياً إلى القوات وهي كثيرة لتفتح المكان، وتجلب قاسم بالقوة لأنه خان العهد الذي قطعه بالاستسلام دون مقاومة، وقتل ضابطاً غير مسلح. وعلمنا بأن أجواء الضباط المحيطين بالدفاع أصبحت مشحونة واستيقظت فيهم الأحقاد والحميمات، والكل يرغب في الانتقام من تلك المجموعة التي لم نستطع حتى بعد استسلامها أن نعرف منها هل كان قاتل الضابط المغدور هو عبد الكريم قاسم أم المهدي أم طه الشيخ أحمد. وأغلب الظن أنه كنعان خليل حداد لأنه يعرف أن مصيره الموت حتماً، بسبب تورطه بقتل ثمانية جنود وضابط هو الرائد إبراهيم التكريتي وهو في طريقه للانتحار بوزارة الدفاع. كما اعتقد أن كنعان كان ارعن.

ومن ناحيتنا فلم تلعب الأسباب الشخصية للثأر دوراً في تقرير مصير قاسم وجماعته ولا عند عبد السلام عارف أو البكر. ولكن حادث الضابط المغدور حسم الأمر ورجح قرار التصفية. وكان ذلك الضابط مؤمناً وساهم في الثورة منذ بدايتها، ونفذ جميع المهمات التي كلف بها، ووافق على المغامرة والذهاب إلى حيث يتحصن المحاصرون. فكان شجاعاً ومضحياً وأخاً لزملائه الضباط. وفي الواقع أن كل واحد منا اعتبر في تلك اللحظة نفسه أخاً للآخر. وتلك الرابطة تعززت أكثر برابطة الكفاح والقتال المشترك التي تنغرس عادة عند رفاق الثورات والحروب^(١).

١ — أفادت الرسائل والملاحظات الكثيرة التي تركها أو كتبها الضباط الذين ظلوا حتى آخر لحظة في وزارة الدفاع أن حرس وزارة الدفاع هم الذين أطلقوا النار على الرائد محمد علوان وأردوه قتيلًا. وكان السبب هو عدم إبلاغهم بصيغة الاتفاق، ولم يصدر لهم أي أمر بالرمي.

ويقول يونس الطائي: بعد الاتفاق على التسليم جاء فاضل عباس المهدي وطه الشيخ أحمد، فآخروهم الزعيم عبد

المهجوم الأخير: الاستسلام

هاجمت القوات الكبيرة قبو وزارة الدفاع بنار كثيفة من الرشاشات، وبعد فترة قصيرة ظهرت يد تلوح بمنديل ابيض. فتقدمت نحوها قوة قادرة على ابادته أي شيء يتحرك، في حالة انطلاق اية إشارة بعدم الالتزام^(١). ولم يحصل شيء من ذلك، وتمت عملية الاستسلام وأخيرتنا القوة المهاجمة بأن عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد والمهداوي وغيرهم أصبحوا بين يديها. فطلبنا تأمين سلامتهم وجلبهم إلى الإذاعة دون تعريضهم لأية إهانات أو إصابات من أي كان. وتم نقلهم بسيارات مدرعة إلى الصالحية حيث مقر القيادة المؤقت الذي كان يغص بالرجال العاملين وبحشد من الضباط القوميين وبعض البعثيين واغلبهم كانوا ما يزالون دون تكليف عسكري، فسعى أكثرهم من اجل الحصول على منصب مناسب إلى المبالغة بالتودد وإلفات النظر. ورغم التصرفات المتملقة المموجة، لم نجد المبرر المقبول والمعقول لخدلان هؤلاء الضباط بصرفهم إلى بيوتهم، كما لم تكن لدينا مهمات محددة لتكليفهم بها، لانشغالنا بأمور أهم وأدق.

مرت لحظة ترقب غريبة ومشحونة بانتظار وصول الأسرى. وقد ضاعف مقتل الضابط محمد علوان غدراً من مشاعر الانتقام وألهب الأجواء بنيران من الحقد والكراهية، واخرج روح الرعاع عند بعضهم من مكنها. وكنت أقف في مدخل الإذاعة ومعني عدد من الأشخاص بينهم صبحي عبد الحميد (أصبح وزيراً للخارجية)، عندما وقفت المدرعة الأولى أمام الباب الخارجي فترجل منها راكبوها. وكان أول من تبرع بالضرب والشتن على عبد الكريم قاسم ومن معه هم الجنود وضباط الصف وبعض الضباط، فتدخلنا لحمايتهم، وتحملنا أنا وصبحي ضربات كثيرة وبصاق من أشخاص عديدين. وتمادى بعضهم محاولاً إلحاق الأذى الشديد بهم^(٢).

نحاطبتهم بصوت عال قائلاً: أيها الجبناء، قبل يوم واحد كان سيدكم، تبوسون يديه

الكريم بأنه أرسلني لوضع ترتيبات التسليم، فعارضوا ذلك قائلين: كيف ذلك، انهم سيعدمونا في كل الأحوال؟ قال قاسم: إذا كانوا سيعدمونا لا نستسلم. واستمر الجدل بينهم حتى آخر لحظة حول التسليم أو عدمه. وبسبب عدم قناعة ضباط الحرس بفكرة التسليم أهملوا، وربما دون قصد القتل، إبلاغ الجنود عن حضور ضابط للإشراف على عملية التسليم، وليس هناك من مبرر لدى قاسم أو المهداوي والشيخ احمد لقتل الرائد علوان.

١ — بدأت عملية تطهير وزارة الدفاع بتحاشي الهجوم من الباب الرئيسي لتفادي الخسائر. وتسلت القوات من الباب الجنوبي أي من ناحية الحسابات العسكرية. وكانت القوات قد هاجمت هذا المدخل في الليل الماضي، فتقابل الجنود وتقاتلوا تحت ظلام دامس، واقتتله نداءات تحرض جنود الحرس على التسليم ووعدهم بحفظ حياتهم. وكانت تخرج بين حين وآخر من نفس الباب مجموعات من الجنود تحمل (شراف) بيضاء علامة على الاستسلام، لكن القتال الشديد استمر طوال الليل من غرفة لأخرى.

٢ — قال المقدم عبد المنعم حميد وهو شاهد عيان ان الضابط عزيز شهاب لطعم عبد الكريم قاسم في باب الإذاعة فوقعت سدارته، مما حدا بالرائد صبحي عبد الحميد منعه من الاستمرار بعمله وناول قاسم سدارته^[8].

وأرجله والآن تريلون إهانتته بعد ان انهزم في معركة لم يكن فيها متخاذلاً، عيب عليكم!! ووضعنا أنا وصبحي عبد الحميد أيدينا وأجسادنا لتغطية مرورهم ودخولهم إلى المبنى، وساعدنا في ذلك آخرون.

اقتيد عبد الكريم ورفاقه إلى إحدى غرف الإذاعة، وأظنها غرفة الموسيقى الشرقية حيث وقف قاسم وإلى جانبه كنعان وطه ثم المهداوي. كانوا أربعة. ووقفنا نحن بمواجهتهم علي السعدي وحازم جواد وأنا (طالب شبيب) وعبد الستار عبد اللطيف واحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الستار الدوري وصالح مهدي عماش، ولا أتذكر وجود محسن وهاني وشتناف.

دار بيننا حديث غير منظم، سادته حالة من التوتر. ولم يكن هناك أي شيء يمكن تسميته بمحاكمة. وكل كلام قيل أو يقال عن إنشاء هيئة حاكمتهم إنما هو نوع من "التسفيط" والتخيل (الخيال) !! ومن الممكن ان يكون قد تدخل علينا رجال يبحثون على موقف معين مثل خالد مكّي الهاشمي، وكلهم يبحثون على الإعدام أو الإسراع به. لكننا لم نستمع إلى أي من هؤلاء، ولم يكن لديهم علينا حق التقرير أو الاقتراح، بل الطاعة والتنفيذ، إذا لم تنسجم توتراتهم ومطالباتهم مع ما كنا قد قررناه أصلاً، أو مع ما سنقرره.

تصرف علي صالح السعدي مع عبد الكريم قاسم والآخريين بحدة، وساق له الإهانات وشتمه وسأله عن اسم الشخص الذي ابلغه بسر ثورة رمضان. فرفض قاسم الإجابة، فكرر السعدي متسائلاً: فيما إذا كان الراشي موجوداً الآن بيننا في هذه القاعة؟ فرد قاسم بالنفي.

وفي تلك المواجهة الخطيرة كان كل ما يهم عبد السلام عارف هو استغلال ظرف قاسم للحصول منه على اعتراف بدوره في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. إذ أخرج مصحفاً صغيراً من جيبه وظل يلح طوال الوقت القصير محلفاً قاسم ليعترف بان عارف وليس قاسم هو كاتب البيان الأول لثورة ١٤ تموز وهو واضع خطة الثورة ومنفذها.

كان عارف يتوقع ان يفوز باعتراف مناسب يصدر عن عبد الكريم قاسم في لحظة ضعف أخيرة، ليوظفه فيما بعد تاريخياً. ولكنه لم يحصل على شيء وظل قاسم صامتاً أو يطالب بمحاكمة كالتّي أجراها لعارف وغيره. وفي النهاية تدخلت جزءاً وقلت لعبد السلام: لقد كان بيان ١٤ تموز رقم واحد بسيطاً، ويستطيع أي شخص ان يكتب مثله، فلماذا أنت مشغول بالأمر وما هي قيمة وعبقريّة ذلك البيان؟ دعنا من هذا كله!

وما ان اضطر عبد السلام للسكوت حتى انهالت على قاسم أسئلة كثيرة مثل: لماذا أعلنت ضم الكويت دون تنفيذ الأمر أو الاستعداد العملي له؟ ولماذا لم تستعد القوات وتحرك فعلياً لاحتلالها واكتفيت فقط بالإنذار، في حين أمرت القوات ان تأخذ مواقع دفاعية؟ ولماذا لم يطلع

وزير خارجيتك (هاشم جواد) على الأمر، وتركه يفاجأ بسماع الخير من الإذاعة؟ بل ان الحاضرين حاسبوا قاسم عن تفاصيل شخصية غير هامة وغيره عبد الستار عبد اللطيف بهزيمته أمام الدبابات رغم شعبيته^(١).

كنا نتكلم جميعاً في آن واحد وبصورة متوترة. وتختلط الأسئلة مع بعضها ومع مهمات وإجابات أسرانا. ولم يرد قاسم إلا بأنني أريد محاكمة.

١ — وفيما يتعلق بالسخرية من شعبية قاسم، يقول المقدم قاسم الجنابي (المراقب الأقدم لعبد الكريم) وهو شاهد عيان داخل الدفاع وخلال حوار الإذاعة الذي وجه فيه عبد الستار عبد اللطيف كلامه إلى عبد الكريم قاسم قائلاً: "إنك مسيطر والشعب معك، دبابة واحدة أسقطتك"[9]. (راجع في نهاية الفصل الملحق رقم واحد تحت عنوان قاسم الجنابي يتكلم.

ان السخرية من قاسم بسبب شعبيته يجدها البعض نقطة لمصلحة قاسم. ويراه آخرون دليلاً على مسابرة للفئات البسيطة الجاهلة أو غير المتعلمة التي تتأثر بالمظاهر، وتشكل نسبة عالية منها رعا تصف وتراكم دون تفكير أو تعقل. ورغم ذلك لا بد ان نشر إلى ظاهرة تستحق النظر وهي ان الجمهور العراقي العريض ظل منذ رحيل قاسم ولحد اللحظة الراهنة حذر من تأييد كل الحكومات التالية. وظلت ذاكرة عهد عبد الكريم قاسم مثيرة للاهتمام أكثر من غيرها، وطيبة في أذهان كثيرين. بل ان قاسم ظل يضيق على كل الحكام اللاحقين بسبب إدمان الشعب على مقارنتهم به.

وبعد قاسم لم تأت سلطة تمتلك نفس الشعبية والبساطة، بل عاشت السلطات اللاحقة عزلة حقيقية خصوصاً بين أبناء الأحياء الفقيرة وفي أوساط الفئة المثقفة والمدنية من بغداد وحواضر وأرياف العراق الأخرى. وان العدل يفرض ملاحظة اضطراب الحكومات المتعاقبة وأبرزها الحالية، إلى اللجوء لوسائل قهرية قاسية لتنظيم الشباب والناس في مؤسساتها، والاختفاء وراء شعارات الوحدة العربية والقضية الفلسطينية، وكأنها تسعى لبث الحذر من هذين الشعارين بين أوساط الفئات الاجتماعية المتضررة من الممارسات الحكومية القاسية.

وبسبب شعبيته حرصت القيادة الجديدة، بعد مقتله وجماعته، على عرض جثته على شاشة تلفزيون بغداد كي يتيح لكل مواطن ان يتحقق من وفاته. لعل ذلك يساهم في ان يفقد مؤيديه بعض وساوسهم وآمالهم، ويتوقفون عن مقاومة لا طائل منها. لكن ما رافق العرض التلفزيوني كان أمراً مؤسفاً، الخفر في ذاكرة الغالبية الساحقة من العراقيين عندما نفذ أحد الجنود أوامر صدرت إليه من القيادة بشد شعر الزعيم عبد الكريم قاسم "الميت" ورفع ثم البصق بقمم ممتلئ في وسط وجهه أمام شعب جلس كله متسماً يشاهد تلك الشاشة البائسة. ولم يعرف القادة الجدد انهم بما فعله الجندي، قد ظهروا وكأنهم يرسلون رسالة رعب لشعب ادعوا أنهم ثاروا من اجله. فجاءت تلك، رسالة استفزاز هجينة لا تنتمي إلى حضارة إنسانية عمرها سبعة آلاف عام. وكأنها رسالة تقول: ان الحكومة الجديدة قاسية. كما إذا تعني بأن الثوار ادعوا لفكرة: ان لهم الدبابات وللصومهم التعاطف الشعبي.

كان ذلك المشهد التلفزيوني أسوأ اللقطات المسجلة في تاريخ العراق المعاصر، فلم يكن قاسم أسوأ العراقيين حتى يُميز بهذه المعاملة عن غيره؟ بل ربما كان صراعاً لعب فيه قاسم دور أكثر المتصارعين وداعة وتسامحاً واقلهم هجينة، واقلهم أدجلة وتشريعاً للقتل، فقد سن عملياً قاعدة "عفا الله عما سلف" وكان فيها اقرب إلى عقلية العراقيين البسطاء قبل عصبية الأيديولوجيا الواردة. وقال عنه محمد حديد انه كان اقرب اقرب أقرانه العسكريين إلى روح التسامح وفكرة الديمقراطية، فقد ظلت مناصب الدولة في عهده موزعة على الجميع وليس على تيار سياسي واحد[10].

سألناه لماذا قتلتم زملاءك في الثورة مثل رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي وآخرين، وقد ساءموا معك في التنظيم والثورة؟ رد: أنا حاكمهم علنا واطلب لنفسي محاكمة.

وعندما استمعت إلى الندوة التي نظمها وأذاعها د. نجم عبد الكريم، لم استطع سوى تشخيص صوتي في حالات نادرة. ولم يكن هناك شيء مفهوم، ولا أريد أن أؤكد أو أنفي أي شيء من الأشياء التي لم أعد أتذكرها، أما ما سجلته هنا فمازلت أتذكره شخصاً أمامي.

شهادة مختلفة ومهداوي آخر

كان قاسم مصفراً ومشدوهاً، عيونُه زائغة ورأسه وبدلته مكسوة بالغبار. واعتقد أن صورته تلك كانت طبيعية لأي شخص يوضع في مكانه. فقد انقلب المشهد في كل شيء، الوجوه والأحداث. لكنني لم ألاحظ حركة أو بادرة قد صدرت عنه تؤكد على تصرف متخاذل أو مهين رغم أن أكثر كلامنا وأنظارنا كانت مركزة وموجهة إليه، ورغم أنه أحس بنيتنا على قتله فوراً.

أما طه الشيخ أحمد فتصرف هو الآخر بذهول واندهاش. وعندما سألناه عن دوره كان يريد: أنا ضابط وعبد الكريم قاسم هو قائدي المباشر، وامرني أن أبقى معه في وزارة الدفاع، فبقيت معه ونفذت أوامره بحكم كونه القائد. وربما كان طه الشيخ أحمد أحسن الأربعة حالاً.

وكان فاضل عباس المهداوي رابط الجأش رغم الاعتداء عليه ونزيفه الغزير، ورغم محاولة عبد الستار الدوري وهو أحد القادة الكبار التحرش به وتذكيره بمحكمة الشعب ممراً نطاقاً عسكرياً على وجهه (خده)، لكن المهداوي لم يتحرك ولم يقل شيئاً. فسحبت الدوري وقلت له: عيب، إذا كانوا قد مارسوا التعذيب فلا يجب أن نفعل مثلهم^(١).

رفض الرجال الأربعة أن تعصب أعينهم عندما أعلمناهم بقرار الإعدام. وخرجنا جميعاً من القاعة وبقي الرماة، وتم الرمي وحينها علمت من الرماة فور خروجهم، إن قاسم هتف بشيء لم يميزوه لكن الوحيد الذي ميزوا ما قاله هو المهداوي الذي هتف بصوت عال: "عاش

١ — سألت الأستاذ عبد الستار الدوري، فتردد، ثم كتب لي رسالة فيها جملة واحدة بخط يده قال فيها: "أنا شاهد ما شافش حاجة!".

لكن الدوري عاد في لقاء شخصي بلندن عام ١٩٩٨ فأكد لي على صحة ما قاله طالب شبيب حول موقف المهداوي المتماسك في الإذاعة كما أكد حصول سوء فهم والتباس بينه وبين شبيب ففي حين اعتقد شبيب أن الدوري أساء إلى المهداوي، يقول الدوري أنه كان يحسح الدم عن وجه المهداوي مستخدماً سدارته وليس نطاقه^(١)، ولم يحصل شيء غير هذا [١١].

الشَّعْـ. . ؟" ولم يكملها^(١). (حول المهداوي يمكن مراجعة الملحق رقم اثنين في نهاية هذا الفصل).

لقد تحدث كثيرون حول مشهد محاكمة ومقتل قاسم. والحقيقة فان أياً من القادة السياسيين والعسكريين (عدا الرماة) لم يكن موجوداً داخل القاعة عند تنفيذ القرار. ولم يكن معنا خلال الحوار الذي أسميناه (محاكمة) غير الرماة. وكانت الغرفة صغيرة جداً والبقاء فيها أثناء التنفيذ ضرب من الجنون، ويشكل خطورة كبيرة بسبب احتمال ارتداد الرصاص. غير ان حازم جواد احتفظ بالشريط الذي سجل الحدث بكامله، فاستمعت إليه واستنسخته، وهو يختلف تماماً عن الكاسيت الذي يمتلكه السيدة التي أهدته لإذاعة نجم عبد الكريم.

وان كل من يدعي غير ما قلت إنما يبالغ أو يروي ما سمع به من آخرين، علماً إنه لم تكن هناك اية فرصة للتفرج على ما جرى في تلك الغرفة من "محاكمة" وتنفيذ، لعدم وجود شبابيك زجاجية تطل على ما بداخلها.

أما التركيز على عبد الغني الراوي باعتباره رئيساً للمحاكمة وانهاهه أو تسجيل ملاحظات عليه، فهو أمر ليس بدقيق. لأن المحاكمة التي رئيسها الراوي لم تكن موجودة عندما اعدم قاسم، بل تشكلت على الورق لإخراج أمر إعدامهم قانونياً^(٢). ولم تكن المحاكمة غير الحوار الذي

١ — أشرف على تنفيذ الإعدام بقاسم ورفاقه النقيب المظلي منعم حميد والملازم نعمة فارس الجياوي، وعرضت الجثث بالتلفزيون بهدف تدمير معنويات المقاومة التي كانت مازالت بعض فلولها مستمرة ببعض أحياء بغداد والكاظمية. وعندما كان طالب شبيب يحدثني في هذا الأمر تدخل حسن الحاج ودای العطية (وكان جالساً وهو من الجيـل الأول للبعثيين العراقيين) قائلاً: "مساء نفس يوم إعدام عبد الكريم قاسم ذهبت للإذاعة فوجدت احمد حسن البكر ومعه عبد الستار عبد اللطيف. فوجدته مهموماً، ولا يتوقف عن لف السجائر وتدخينها. قال لي عبد الستار عبد اللطيف: تعال أريك أين قتلنا عبد الكريم قاسم. فصاح به البكر: ألا تتحمل؟ فرد لطيف: لا، لا أتحمـل. فدخلنا إلى غرفة تقع مباشرة بعد مدخل مبنى الإذاعة على اليسار وكانت صغيرة وفيها طاولة صغيرة عليها بعض "السفرطاسات". فأرأينا آثار دماء في الزاوية وعلى الحائط. قال: لطيف هنا قتلنا قاسم وكنا نريد محاكمته، ونأخذ منه اعترافاً بأنه لم يكن للمخطط الوحيد لثورة ١٤ تموز، ولم يكن كل شيء فيها، ونأخذ منه اعترافاً بدور وحقوق الآخرين، كي نذيعه على الملأ. لكن علي السعدي جاء وقطع علينا رغبتنا، وقال لعبد الكريم قاسم: "أنا كنت اعمل تحت السرداب (تنظيم سري)، ولكني الآن نصف الدولة" .. وتابع عبد الستار عبد اللطيف معلقاً على كلام السعدي بانفعال وكأنه يؤسس للخلاف الذي عصفت بحكومة حزب البعث بسرعة فيما بعد، قال بانفعال: لعد إحنا اللي طلعناهم من السجن وسويناهم نص دولة، إحنا شنو كرخنجية؟"

ويقول ودای العطية: كان عبد اللطيف منفعلاً ولم ينم منذ ثلاثة أيام.

٢ — نص البيان الذي أذاعته إذاعة بغداد يوم ٩ شباط ١٩٦٣: "لقد تم الغاء القبض على عدو الشعب عبد الكريم قاسم، ومعه فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد من قبل القوات المسلحة وقد تشكل مجلس عربي عسكري لمحاكمتهم، وقد اصدر المجلس العربي العسكري الحكم عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص، ونفذ فيهم

أجرت به قيادة الثورة لبضع دقائق معهم. فضلاً عن إن العقيد عبد الغني الراوي لم يكن شخصاً هاماً ولا عضواً في مجلس قيادة الثورة حتى تلك اللحظة ليجري تحميله تلك المسؤولية. بل كان ضابطاً ينفذ ما ترتأيه القيادة القطرية. وكلف برئاسة محكمة لم تنعقد ولم تحاكم الرجال الذين تشكلت من أجلهم، ولم يحضر أي من زملائه أعضاء الهيئة أي اجتماع. ولم يشمل ذلك الراوي فقط، بل لم يستطع أي من المساهمين معنا أن يتدخل في القرارات التي كانت تتخذها جهة واحدة فقط هي القيادة القطرية التي كانت تجتمع في الأيام الثلاثة الأولى اجتماعات "طيارة" داخل مبنى الإذاعة في وسط الاكتظاظ، فيتفق أعضاؤها بسرعة ويعلن علي السعدي، رأي القيادة فينفذه الجميع إلى درجة صار معها مفهوماً بالنسبة للآخرين بأن أي رأي يقوله علي السعدي أو حازم جواد إنما يمثل رأي قيادة الحزب، وكان المتواجدين من القيادة حينذاك علي السعدي وحازم جواد وطالب شبيب ومحسن الشيخ وراضي وكريم شنتاف وحدي عبد المجيد وينسقون مع احمد حسن البكر الذي يحضر معهم أحياناً ليس كعضو في القطرية وإنما كضابط بعثي معتمد ممثل للمكتب العسكري.

القيادة القطرية فقط كانت تمسك بيدها كل الخيوط، خصوصاً بعد تعيين ضباط بعثيين على رأس الوحدات الفعالة في بغداد ومحيطها، وهؤلاء لا يمثلون إلا بتعليماتهم المباشرة أو بواسطة احمد حسن البكر وهو أمر قررناه قبل الثورة.

ولم نكن حتى ذلك الوقت قد شكلنا قيادة عسكرية، وشارك العسكريون في الحدث السياسي من خلال وجود البكر وعماش وعبد الستار عبد اللطيف وحردان التكريتي ومنذر الوندائي في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري.

ولابد من الإشارة إلى أن سيارة أخرى جاءت مع المدرعتين وضمت اثنين من معاوني عبد الكريم قاسم العسكريين وقد حوصرا في مكان آخر من وزارة الدفاع. وهذان بالإضافة إلى قاسم الجنابي جيء بهما مع عبد الكريم قاسم إلى نفس الغرفة وكانوا مترين مغربين، يرتعدون من الخوف، وسرعان ما تم نقلهم إلى غرفة مقابلة في حركة اعتبرت إنقاذاً لهم من الإعدام فعلاً تم فيما بعد صرفهم إلى بيوتهم^(١). ولم يكونوا ليصدقوا ذلك خصوصاً بعد سماعهم نبأ إعدام

الحكم رمية بالرصاص في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم. "

التوقيع :

رشيد مصلح التكريتي

الحاكم العسكري العام

ويذكر ان رشيد مصلح نفذ به حكم الإعدام بعد اقل من عشرين عاماً من قبل حكومة البكر - صدام باعتباره جاسوساً أمريكياً.

١ - يقول يونس الطائي: إن قاسم الجنابي أخبره بعد انصرام فترة قصيرة عن ٨ شباط بأن الذي أنقذه من الإعدام ونقله من الغرفة التي كان فيها عبد الكريم قاسم هو المقدم عرفان عبد القادر وحدي (ضابط ناصري يمشي الآن لاجئاً

←

عبد الكريم ورفاقه^(١١) فضلاً عن عرض تلفزيون بغداد لجثثهم.

في تلك الفترة كانت تجري في بغداد تحركات عسكرية مكثفة، بينما استمر إطلاق النار على القطعات المتحركة، والتظاهرات المعادية كما في الكاظمية والشيخ عمر والكريمات والشواعة وأحياء أخرى. مما اضطرنا إلى إصدار البيان الشهير والحازم الذي أخذ اسم (رقم ١٣)، وسمى الشيوعيين لأول مرة بالمقاومين للثورة والمدافعين عن الفردية والديكتاتورية العسكرية، وتوعد من سيتعرض إلى أفراد القوات المسلحة بأشد العقوبات، وتنفيذها فوراً ودون رحمة.

ولم يصدر البيان المذكور، ولا صدر لغرض إباحة الدماء وسفكها، وإنما سعياً لإيقاف الاقتتال وحقق دماء أفراد لا ضرورة لهدرها، سواء من الشيوعيين أو من القوات المسلحة. فقد كانت مقاومتهم انطلاقاً من بنايات مدنية وحارات شعبية ضيقة في الجمهورية والكفاح والكاظمية، غير مجدية، وكان بإمكاننا إصدار أوامر فورية للمدرعات بتدمير المقاومة وإسكات نيرانها. لكن ذلك كان سيتسبب بكارثة لسكان تلك المناطق. خصوصاً وأن المشاة يصعب عليهم دون المدرعات احتلالها. وكان الرمي يأتي من الأسطح والنوافذ العلوية الصغيرة، وسيؤدي استخدام القوة والسلاح الثقيل إلى هدم البيوت على ساكنيها وموت العشرات. وهذا ما كنا في غنى عنه. فكل شيء انتهى والمقاومة الباقية لا تستحق أي بطش^(١٢).

من الغرفة التي كان فيها عبد الكريم قاسم هو المقدم عرفان عبد القادر وجدي (ضابط ناصري يعيش الآن لاجئاً سياسياً في القاهرة)، وغير معروف بدقة مع من أعضاء مجلس الثورة تحدث لكنه ساعدني واتشلتني مما كان فيه عبد الكريم قاسم وأصحابه.

١ — سأل الأستاذ عبد المنعم الخطيب وهو دبلوماسي عراقي يقيم حالياً في لندن الرئيس العراقي الأسبق عبد السلام محمد عارف في الطائرة التي نقلتهما معا إلى نيودلهي لمقابلة جواهر لال نهرو. وكان الخطيب مترجماً لعبد السلام، سأله: "هل كان ضرورياً عرض جثة الزعيم عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون العراقي. وأي مكسب حققته الثورة من ذلك سوى استياء الناس واشمئزازهم؟" . . .
أجاب عبد السلام عارف: "لو لم نعرض الجثة هذه في التلفزيون لما صدّقنا الشعب بأننا انتصرنا، وإن قاسم لم يعد حياً." [12].

٢ — كان الشيوعيون نصف مستعدين لاستقبال ٨ شباط، لكنهم فوجئوا بدقته، وترأى لهم أن حجمه أكبر من حقيقته بكثير. ولأنهم كانوا يتوقعون انقلاباً عسكرياً، حذر مكتبهم السياسي في أواخر عام ١٩٦٢ فرع حزبهم بکردستان وطلب منه تنظيم فرق مسلحة في الريف والمدن وقيادتها بالتعاون مع المكتب العسكري الذي يقوده تللو ويشرف عليه سلام عادل، استعداداً لمقاومة أية محاولة انقلابية. وسعى بمختلف الطرق إلى تحديد قاسم من البعثيين.

وعندما اقتنع قاسم بوجهة نظرهم لم يسمح بضربة شاملة لتنظيم البعث، بل بادر بضربات استكشافية كاعتقال عمال وجابر حسن حداد ومداومة بيت طالب شبيب واعتقال السعدي وبعض الضباط، بهدف معرفة حقيقة ما كان يجري، لتوجيه ضربة رئيسية واعتقال المدبرين. وكان ما يجري سباقاً مع الزمن، الشيوعيون وقاسم يرغبون معرفة أين يضربون؟ والبعثيون يستعدون لاستعداداتهم ليضربوا قبل فوات الأوان. واستجابة لتحذير الشيوعيين استدعى عبد الكريم، خالد مكي الهاشمي أمر كتبية الدبابات الرابعة وصارحه بالأمر، فأنهار الأخير وقرر تسليم السلاح الخفيف ←

ذلك دون غيره كان السبب وراء إصدار بيان رقم (١٣) الذي أثّرنا إذاعته في ساعة متأخرة من الليل، بعد الإعلان عن تشكيل الحكومة ووصول اعترافات الدول بها، وبشكل خاص بريقة الرئيس جمال عبد الناصر القوية والمشجعة والمباركة.

ورغم أن ما ذكرته يمثل حقيقة وسبب صدور بيان رقم ١٣ إلا أن الشيوعيين اعتبروه بياناً مشتموماً أباح سفك الدماء. وأستطيع التأكيد أن أحداً من الجنود المنتشرين في بغداد لم يقتل بعد إذاعة هذا البيان الرادع، وسكت الرصاص الذي كان يطلق عشوائياً على الجنود بعد أقل من ساعة من إذاعته.

ومن ناحية أخرى فإن قيادة الثورة لم تكن هي المبادرة في إصدار بيان رقم ١٣، بل جاء

وتفريغ مياه الدبابات حتى لا يمكن استخدامها. ولأن الشيوعيين نصف مستعدين فقد جاءت مقاومتهم غير منظمة وعلى شكل محاولات جزئية لا صلة أو ترابط بينها، فقد احتلوا مدينة الكاظمية ولم يفعلوا بعد احتلالها شيئاً، ولم يقدموا أي جهد للمحاصرين في الدفاع والمناطق الأخرى. كما تظاهر مئات منهم أمام وزارة الدفاع وفي الرشيد وساحة التحرير بلا خطة أو نظام، ورغم تمكنهم من تدمير دبابتين من الدبابات الأربعة التي شكلت الصدمة الأولى كما سيطروا على الشوكة وبعض المناطق والطرق، لكنهم لم يحضروا لذلك ولم يتفقوا مع قاسم لتزويدهم بالسلاح، فكانوا عندما يريدون مطالبته بشيء، يعبرون عنه بالمظاهرات ويضعونه على شكل شعارات جماهيرية فوضوية تتحدى الدولة التي يدافعون عنها. ولذلك ما أن حضر ذياب العلکاي ولطيف الحديثي إلى الصالحية حتى أمروا جنودهما بالرمي للأعلى، وضرب الملازم حميد التكريتي إطلاقاً من دبابته فتفرق الجمع أو لجأ إلى حارات الشوكة الضيقة، وذلك لم يزج مؤقتاً قيادة الحركة ولم يعقها عن تنفيذ خطتها. وقاموا بمظاهرات كبيرة في مدينة الثورة التي بناها قاسم وسكنها قادمون من جنوب البلاد باحثين عن عمل في العاصمة. لكنها كانت تظاهرات فقط وليست فعلاً منظماً ضد حركة قائمة وتقدم بتنفيذ خطتها. واستمرت المظاهرات انتظاراً للسلطة الجديدة كي تردعها كما هي العادة، وفعلًا ذهب الرائد سعدون غيدان (أصبح نائب رئيس وزراء ووزير داخلية) انطلاقاً من معسكر الرشيد على رأس مجموعة من الدبابات لتفريقهم وقد نجح.

وعلى مستوى المعسكرات قام الشيوعيون بمحاولات فردية، رغم كثرة عددهم، ولم ينجحوا في إثارة مقاومة جادة تستطيع أن تصمد زمناً كافياً لتصل إلى قادة الوحدات الأخرى لعلها تمنعهم من التسليم بالوضع الجديد. فتحرك بمعسكر الوشاش بعض الضباط والجنود وقامت مجموعة منهم بمهاجمة مقر كتيبة الدبابات الرابعة التي انطلقت منها دبابات الحركة الأولى، وكانوا يتصورون أن قيادة الحركة ومركز اتصالاتها كان ما يزال موجوداً في تلك الكتيبة. وثاروا في مناطق كثيرة، لكن جميع محاولاتهم ظلت غير مترابطة ببعضها، وعندما تفشل تنتهي وتسحق، وعندما تنجح فنجاحها يبقى محلياً ومقطوعاً ولا يعني شيئاً مهماً. (حول المقاومة في بغداد وبعض المعسكرات يمكن مراجعة ملحق رقم ثلاثة في نهاية هذا الفصل).

أما البيان رقم ١٣ فكان نصه هو: "نظراً لقيام الشيوعيين العملاء شركاء عبد الكريم قاسم في جرائمه بمحاولات يائسة لإحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع إلى الأوامر والتعليمات الرسمية، فعليه بحسب الأمر القطعيات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادة كل من يتصدى للإخلال بالأمن. وإننا ندعو جميع أبناء الشعب المخلصين للتعاون مع السلطة الوطنية بالإخبار عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم" [13].

وبعد صدور بيان رقم ١٣ خفت صوت النار وكان ظهر يوم ١٠ شباط هو آخر يوم تسمع فيه إطلاقات رصاص متفرقة في بغداد، ويعتقد أن تلك كانت آخر جيوب المقاومة.

تلبية للطلبات الملحة التي تلقتها من قادة الوحدات العسكرية التي كانت تقوم بالحراسة والحماية وأعمال الدورية لحفظ قرار منع التجول، وقد استأذنوا القيادة باستخدام الأسلحة الثقيلة لهدم الأماكن التي تصدر عنها إطلاق نارية معادية وقاتلة أحياناً. ولم نكن لنسمح بذلك، بل أذعنا بدلاً منه البيان الشديد الشهير، تخويفاً وردعاً لمن يريد أن يستمر بمقاومة لا طائل من ورائها.

مصير شعبية عبد الكريم قاسم

سؤال : عندما قررتم تصفية قاسم جسدياً، هل أخذتم بنظر الاعتبار شعبيته خارج مؤسسات الدولة؟ ألم تشعرُوا أن قتله سيعزز دورة دولا ب الدم الذي سيسيل لمدة طويلة في وداي الرافدين؟

طالب الشبيب: قررنا أن كريم قاسم لديه تعاطف من بعض الأوساط الشعبية، في المناطق الأكثر جهلاً والأقل تماساً بالتيارات السياسية العامة. وكانت تلك الأوساط تصدق ما يذيعه من أنه أبو الفقراء . . . الخ، وهذا بالضبط كان السبب الذي جعلنا نمهد لثورتنا بعمل شعبي معارض للنظام هو أوسع ما مر على الساحة العراقية. فقمنا بإضراب طلابي دام أكثر من أسبوعين (أي حتى سقوط النظام) وأغلقتنا نتيجته جامعة بغداد وعدد كبير من ثانوياتها ومتوسطاتها. كما قمنا بتظاهرتين كبيرتين الأولى دعت لتأميم حصّة فرنسا من البترول العراقي نصرة للثورة الجزائرية وحكومتها الفتية الثورية الجديدة وكانت المظاهرة بعثة مائة بالمائة، وشهدت انطلاقها بعيني رغم عدم السماح لي بالمشاركة فيها باعتباري عضواً في القيادة القطرية. لذا سرت على الرصيف متفجراً، راغباً أن أرى مباشرة مدى دقة التقارير الحزبية التي كانت تؤكد قدرة الحزب على تجنيد أعداد كبيرة وتسييرها، وتوفير المستلزمات من شعارات ولافتات وحماية . وقمنا بتظاهرة شعبية حاشدة ساهم فيها حوالي مائة ألف نسمة جاعوا لاستقبال أحمد بن بيل والوفد المرافق له في الساحة المقابلة للمطار القديم (المثني)، ولم يجرؤ الحزب الشيوعي على منعنا أو التحرش بنا، ولم تجرؤ قسوات الأمن ولا الشرطة ولا الانضباط العسكري على منعنا.

لقد تمكنا من تحويل مظاهرة عفوية عظيمة فضلاً عن استقبال قيادة الثورة الجزائرية، إلى التأثير على معنويات خصومنا السياسيين. فتصرفنا بنجاح وذكاء واستثمرنا تعاطف الجمهور المحتشد في المطار مع ثورة الجزائر فارتفعت شعاراتنا مع إننا حزب سري. وقد عني ذلك لنا وجود إمكانية واقعية لتحجيم شعبية عبد الكريم قاسم بعد إسقاطه عسكرياً، خصوصاً إذا أمكننا تحييد قوة الحزب الشيوعي المنظمة والكبيرة. وفي حال نجاح ذلك سيبقى تأثير قاسم محصوراً بين أوساط شعبية غير منظمة وغير قادرة على الارتداد العفوي المعاكس. ولم تكن لدينا

خشية من أي حي من أحياء بغداد لأننا لم نتوقع ان يبرز الشيوعيون بهذه الحدة والحماسة للدفاع عن عبد الكريم قاسم بالسلاح والأرواح مما سبب ردود فعل انتقامية لم تكن موضوعية ضمن خطة الثورة. لم نكن راغبين بالانتقام، فقد أطلقنا سراح الجميع حتى مرافقي عبد الكريم قاسم، وأطلقنا سراح من حمل بيان قاسم الذي طالب بقتلنا وسحلنا إلى الإذاعة. لكن قتل الزعيم عبد الكريم قاسم كان قراراً ضمناً سابقاً إذ كنا نتصوره ميتاً إما في الهجوم أو ان ينتحر.

لم نكن نرغب بإقامة عهد من الدماء، وحتى الأربعة لم نكن راغبين في إعدامهم جميعاً، فما عدا قاسم والمهداوي كان يمكن ان يخرج منها سالماً كل من طه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد، لكن الأخير تورط وقتل عدد من الجنود والضباط دون مبرر، والأربعة قتلوا الضابط الذي سار باتجاههم رافعاً يافطة بيضاء.

يرتبط اسم المهداوي بثرات وأحقاد، وإذا لم نقتله فليس هناك سجن يحمله من طالبي الثأر منه. وعبد الكريم قاسم أنهى نفسه كلياً بإعدام ناظم ورفعت في لحظة غير موفقة إذ لم يكن لعمله اية ضرورة، فقد تم التنفيذ بعد مضي أكثر من سنة على اتهامهما. كما حاكم ٣٩ شخصاً وحكم عليهم بالإعدام وأكثرهم ضباط من مدينتي الموصل وكركوك.

ورغم ان قاسم بدأ بعد ذلك بتخفيف هجومه ضد القوميين ومنع اعتداءات الشيوعيين ضدهم. لكن ذلك كله لم ينفع أو يفيد في غفران دم هؤلاء. فقد كنا لا نجد ما نقوله لعوائلهم إذا تركناه يغادر العراق بطائرة إلى اية منطقة في العالم حياً يرزق.

والحقيقة ان الثورات العراقية كلها اصططغت بالدم، بكر صدقي صفى غيره وتمت تصفيته، وجماعة صلاح الدين الصباغ حاولوا تصفية غيرهم فتمكن الوصي من تصفيتهم. وقاسم صفى العائلة المالكة وقتل قزاز وبهجت العطية ثم قتل داخل قاعة صغيرة في إذاعة بغداد بعد حوار مرتبك حضره علي السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وعبد الستار عبد اللطيف وصالح عماش واحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الغني الراوي وستار اللوري وخالد مكي الهاشمي.

وأذكر إني قلت: إذا حاكمنا قاسم كما يطلب، فلن تكون محكمة منتظمة وربما تصبح مهزلة كمحاكمات المهداوي. وليس لائفاً تعذيبهم أو إذلالهم ولذلك افترض تنفيذ امرنا بإعدامهم بسرعة رحمة بهم.

ورغم انه لم يصدر من عبد الكريم قاسم ما يدل على انه تصرف مهين، فقد كان شعوري شخصياً اتجاهه هو الاحتقار لأنه سلم نفسه ولم ينتحراً.

عبد الكريم قاسم، ماله وما عليه

كان قاسم وطنياً وراعياً لمصالح الفقراء. ولم تكن مشاريعه لمصلحتهم بهدف الدعاية والادعاء، وإنما آمن بها ونفذها بحماس. لكنه كان دكتاتوراً فردياً، ظلت البلاد طيلة فترة حكمه تحت دستور مؤقت. فنظر للسياسة نظرة عسكري محترف، فأساء لعلاقته مع جميع الأحزاب، اصطدم بالقوميين وانتهى بعلاقة ليست طيبة مع الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين، بعد أن ترك للشيوعيين فرصة الهيمنة على الشارع السياسي العراقي والإساءة حتى لأقرب أنصاره وحلفائه^(١).

١ - وعلى سبيل المثال معاملتهم لكل من صديقي قاسم وعضوي الوطني الديمقراطي محمد حديد وهديب الحاج حمود. يقول محمد حديد: كان الشيوعيون يتظاهرون بين فترة وأخرى أمام وزارتي اعتقاداً منهم بأن الثورة ما زالت لم تصل إليها بعد، فقد احتجوا على وزارة المالية دون أن يكون لهم اهتمام بشؤون المال والأعمال. وقال: أرى أن عبد الكريم قاسم قرب الشيوعيين بسبب ضغط القوميين عليه رغم أنه كان وحدياً بلا اندفاع^[14]. أما هديب الحاج حمود فتصدوا له خلال وجوده في الوزارة وخارجها ورفعوا ضده شعارات مثل: "هديب إقطاعي شلون تأمن بيه اسمع يا كريم!!"

وحاولوا الإيحاء بأن الإصلاح الزراعي في خطر بسبب وجود هديب على رأس الوزارة، رغم أنه كان رمزاً لجماعتهم (قبل الثورة) في الشامية، اتخذوا منه تبرعات ووضعوا له موقعا خاصاً بينهم وكان سلام عادل يزوره ويلجأ إليه أيام العهد الملكي عندما كان أحد قادة تنظيم الفرات الأوسط. لكنهم نسوا بسرعة أن هديب جلب للمنطقة أول مضخة ماء وأول حاصدة شلب وأسس مدرسة بجانب مضيف آل الحاج حمود، وأوقف (في العهد الملكي) سياسة ضرب الفلاحين عند تقصيرهم ومقابل ذلك سن نظام الغرامة على المقصرين بحيث تذهب لمنفعة الفلاحين المجتهدين، لأنه كان يرى أن الفلاح حتى ينتج يجب أن لا يهان. ومنع العطاء على "الأخضر" حيث أمكن ذلك وقام بإعطاء الفلاحين ٦٠% من إنتاج الأرض وتسليم موارد الفلاحين لهم على دفعات حتى لا يصرف الفلاح كل موارده في الأشهر الأولى ويلجأ بعدها للمرابين، وفكر بإقامة مشروع بسيط للإسالة يدفع هو ثلثي تكاليفه والفلاح الثلث الآخر. وكان يساعد الشيوعيين فيلجئون إلى مضيفه في الإيشان فيحميهم من الشرطة التي لا تذهب لاعتقال أحد قبل أن يأذن لها صاحب المضيف وفي إحدى المرات كدّخل قائد الفرقة مزهر الشاوي والمتصرف عباس البلداوي لدى هديب من أجل تسليم بعض المطلوبين لاشتراكهم بمظاهرة سياسية وبينهم إنعام العبايبي ومدحت إبراهيم جمعة وصالح العبيدي ومجيد الحاج حمود، واتفق الجانبان على التسليم مساء وإطلاق سراحهم صباح اليوم التالي. ومرة قامت سلطة نوري السعيد بإيقاف هديب بتهمة غريبة هي "العيش بدون مكسب واضح" فتحول السراي إلى مضافة له، ودافع عنه حين ذاك توفيق منير وناجي يوسف وعدد من المحامين الوطنيين. فكان معارضا لحكومة نوري السعيد واستقطب أبناء المنطقة إلى الدرجة التي جعلت الحاج رايح العطية يتضايق من شعبيته فأرسل من يقول له: أن الوصي يعرض عليك النيابة أو يجعلك عيناً إذا أردت ذلك. فرفض هديب العرض بأدب لاحترامه الكبير للحاج رايح. واستمر في التحدي مشاركا في الانتخابات ممثلاً للجبهة الوطنية في الفرات الأوسط فاضطرت السلطة للتزوير خصوصاً بعدما انسحب عبد الشهيد الياسري^[15]. وفي عهد الثورة عندما تم تعيينه وزيراً للمعارف بالوكالة أصدر قراراً بإعطاء الذين كانوا مطاردين في عهد حكومة نوري السعيد حق الأولوية في القبول بمن فيهم عرجي السنوات السابقة واستفاد من ذلك الشيوعيون أكثر من غيرهم.

كل ذلك التاريخ والود مع الشيوعيين لم يجعل هديب ينجو من العصبية التي تغلب بسببها رعايهم على عقلائهم ويذكر أن هديب الذي كان تلميذاً وصديقاً لعبد الكريم قاسم منذ أن كان الأخير معلماً في مدينة الشامية كان قد

كان عليه ان يستفتي الشعب على دستور دائم وان يفسح المجال لحرية الأحزاب، ولانتخابات ديمقراطية حقيقية. وأنا واثق انه كان سيفوز رئيساً للجمهورية دون منازع لو قام بتلك الخطوات، فشعبيته كانت عظيمة، ولم يكن بحاجة للديكتاتورية مع الشعبية التي حظي به .

الخطأ الثاني هو اصطدامه بشعار الوحدة العربية الاندماجية الفورية. وكان بإمكانه ان يترك حماس أنصارها واختلافهم حول أشكالها للبرلمان أو الاستفتاء عليها وتركها للمؤسسات الديمقراطية حيث سيتحمل داخلها كل طرف سياسي أمام المجتمع نتائج موقفه. ومن يدري لو ان قاسم فعل ذلك، لربما يكون قد ساهم في تطوير الوحدة المصرية السورية التي كانت تعاني من هيمنة طرف على آخر ومن ممارسات جهاز حكومي غير ديمقراطي، فيساعد على تغيير شكل إدارتها مع بقائها، أي بتحويلها إلى كونفيدرالية أو فيدرالية، وحينذاك لا أحد يستطيع وضعه في خانة أعداء الوحدة أو يحمله مسؤولية عدم تحققها.

بين مسيلمة وأبو رغال ١١

لم التقى بعبد الكريم قاسم قبل جلبه إلى محطة الإذاعة وإعدامه غير مرة واحدة، فلم اكن في مركز وظيفي أو شعبي يسمح بمقابلته. وقد نظرت إليه إما سجاناً أو شخصاً معادياً، شذ عن الخط القومي وانحرف بثورة ١٤ تموز. وعند تخرجي من كلية ضباط الاحتياط، وقف قاسم خطيباً لمدة ساعة ونصف، وصف خلالها عبد الناصر بمآثر وسماته "بمسيلمة الكذاب"^(١)، فأثر

استقال من حكومة قاسم تنفيذاً لرغبة الجادرجي الذي اختاره للوزارة ممثلاً للحزب الوطني الديمقراطي ، في حين استمر محمد حديد رغم رغبة الجادرجي باستقالته.

١ — كانت هناك في بغداد ساحة رئيسية اسمها ساحة جمال عبد الناصر (كرادة مريم، قرب الإذاعة) فعدل نظام (البكر - صدام - عماش) اسم الساحة فأصبح ساحة جمال عبد الناصر (أبو رغال) . وأثار ذلك استمزاز كل العراقيين رغم ان بعضهم يشعر بأسف شديد من تدخلات عبد الناصر غير الموفقة في الشأن العراقي. ولا نبالغ إذا قلنا ان عبد الناصر خلال سنوات حكمه الأولى كان سريع التدخل والتورط بمشكلات خارج الأراضي المصرية، مستنداً إلى مصدر وحيد هو تقارير المباحث المصرية. وفي العراق استعجل العداوة مع عبد الكريم قاسم فبحث مع عبد السلام عارف بدمشق مصير عبد الكريم قاسم، ولم تكن ثورة تموز قد مضى على قيامها خمسة أيام فقط. وسمع قاسم بذلك ولم يضرها، بل عاتب عارف ونصحه بعدم تكرار الأمر، لكنه لم ينس ونظر لذلك على انه استعداد للغدر والتآمر وضرب تحت الحزام. كما ان ناصر أرسل إلى ضباط الموصل وعلى رأسهم الشواف إذاعة سرية وسلاحاً تم تهريبه عن طريق الأراضي السورية، وجاء إلى دمشق زائراً وأطال سفرته انتظاراً للعملية المبيتة، ولم يكن قد فات على الثورة عام واحد. ورغم ان قاسم قام اتجاه مصر بخطوات إيجابية وودية لم تقم بمثلاً جميع الأنظمة العربية تجاه بعضها لحسد الآن. تلك السياسة الناصرية المتسارعة في التدخل حذرت قاسم من تسليم العراق لناصر، بل ان البعثيين في سوريا كانوا ناديين لأنهم شاركوا بتسليم سوريا لناصر الذي منح إدارتها للمباحث. هذا ولم تكن الشعارات المرفوعة ضد قاسم تحمل مصداقية منطقية كافية. فلم تكن مصر نفسها أقامت أي نوع من الانتخابات ولا ادعت إنها تؤمن بها، بل ان

←

ذلك المشهد في نفسي وتميزت غيظاً وشاركتي عدد من الضباط الاحتياط البعثيين لأن وصفه المذكور سيعطي للشيوخين مادة جديدة للهرج والسخرية. وبالنسبة لي كان وصفه ذاك لعبد الناصر نقطة افتراق لم أر قاسم بعدها قبل حضوره للإذاعة معتقلاً.

ولم امتلك الفرصة لفحص الرجل ودراسة شخصيته. وقد قال لي السفير الهندي وكان صديقاً لقاسم ويزوره بمقره: ان ثورتكم خلصتني من ليالي السهر الطويلة وغير المجدية لان قاسم كان يدعوني باستمرار لزيارته بعد الساعة الثانية عشر ليلاً، واضطر للبقاء معه حتى الثالثة بعد منتصف الليل ويقرأ لي أحياناً خطاباتة بالعربية وأنا لا افهمها جيداً، وأحياناً يقدمها لي هدية.

وكان قاسم يأمل في بناء علاقات طيبة مع الهند وبعض الدول البارزة في كتلة عدم الانحياز ليحتل مكاناً مناسباً فيها، في حين كان لعبد الناصر يداً بارعة فيها، وطريق قاسم إليها مسدودة، لأن حركة القومية العربية خارج العراق كانت في عنفوانها والعالم كله ينظر إلى عبد الناصر مثلاً لها وناطقاً باسمها. ولم يكن حتى حزب البعث قادراً على الخروج على عبد الناصر في هذا المجال، بل كان يمكن له العمل بجانبه أو التحالف معه باعتباره شخصية مثيرة عربياً وعالمياً.

وفي الأخير فقد كان من الصعب علينا وصف قاسم بأوصاف تدينه غير الفردية والديكتاتورية، لأننا وبعد هزيمته وجدنا ان ركنه الخاص في وزارة الدفاع يتكون من غرفة نوم واحدة. وحمام جيد بمستوى أوربي، وغرفة جلوس صغيرة جداً، وكان عفيف اليد وليس عفيف اللسان. وكانت عينه شبعانة فلم يطمع وهو حاكم العراق الوحيد بستان أو قطعة ارض، في حين سعى كل حكام العراق الذين سبقوه والذين خلفوه للكسب والاستيلاء وسرقة المال العام، خصوصاً كتلة صدام حسين وخير الله طلفاح والحيتان من أنجالحم وأصدقاء أنجالحم الذين امتصوا العراق تراثاً وثروة حتى وهو يزرع تحت حصار مزدوج ظالم، واتجهت عيونهم باستمرار إلى بيوت الآخرين وبساتينهم، يطمعون بكل شيء وأي شيء رغم عظيم ثروتهم!!

وفي كل الأحوال فقد كان قاسم لا يستحق المصير الذي آل إليه ولا ندري بأي شيء تأمل

ناصر سخر في محادثات الوحدة من البرلمان ومن مبدأ الديمقراطية وفصل السلطات، لكنه طالب قاسم بمنح العراق الديمقراطية رغم ان الثورة العراقية كسرت سابقتها ولما يمر عليها غير اشهر ولا بد من وقت لترتيب وبناء مؤسساتها الجديدة. لكن ناصر لم يكف منذ البداية عن إرسال السلاح والقنابل ووسائل الدعاية السرية وكل شيء يستجلب العداوة عن بعد. فلم يلتق الرجلان حتى يختصما، ولا بد ان الوسطاء لعبوا دوراً في تأجيج الصراع وكان ناصر أسرع في الاستجابة حتى من محكمة المهداوي، فقد سبقها إلى المحكوم ورفع شعارات عجز نظامه ومجموع الأنظمة العربية حتى الآن عن تحقيقها. ولا بد انه لو اختار طريق المصالحة بدلاً من الاستجابة لطرف دون آخر لوفر للعراق فرصة ذهبية للاندماج مع جيرانه العرب بصورة إيجابية ومفيدة.

أو فُكّر وهو يستعد لتلقي رصاصات سيطلقها تلاميذ مدرسته الوطنية العسكريين^(١)، الذين تمثلوا فوراً بعد قتله بطريقته في الحكم، لكنهم فشلوا أن يصيبوا ما أصاب من عفوية وشعبية.

سؤال: ما نوع المقاومة المدنية التي واجهتكم في بغداد، وهل قسمتم المدينة إلى أحياء مؤيدة وأخرى معادية؟

طالب شبيب: لم نعتبر أن هناك مناطق عدوة لنا في بغداد، ولم نتصور أن الشيوعيين

١ - لابد أن أسئلة وتوقعات كثيرة جداً مرت بذهن قاسم وهو يتربح خروج الطلقات من فوهات البنادق الموجهة إلى صدره. وربما تسأل: هل يستحق ما اقترفه أو ما قام به من أعمال أن يقتل بهذه الطريقة؟ ولابد أن شريطاً قد مر بذهنه وأمام مخيلته منذ أن كان ملازماً، عندما فاجأ تلاميذه بالكلية العسكرية وكان بينهم عبد السلام عارف والبكر وعبد الرحمن عارف وظاهر يحيى ومحيي محمود والدراجي وظاهر وفاضل عباس المهدي وغيرهم، فاجأهم بمحدث ولغة غير معهودة داخل الجيش، وكان أول ضابط يقوم بذلك، حدثهم عن الوطنية والاستعمار البريطاني ووعدهم بيوم يتمكنون فيه من طرد العسكريين الأجانب من البلاد.

لابد أن يكون قد تذكر إضافة لذلك معارك كردستان ثم حرب فلسطين وتحريره لقلعة كيش والبيارات وإبداعه في نقل القوات خلال المواجهة مع الإسرائيليين، ومخالفته للقيادة العسكرية العربية عندما خطط سرا لفك الحصار عن الجيش المصري المحاصر بالقاهرة، وتنسيقه مع عفيف البزري رئيس أركان الجيش السوري وعبد الحميد السراج في (الفرق) على مساعدة سوريا في حال تعرضها للاحتلال من قبل الجيش العراقي الذي كان بإمرة الإنكليز، وإنقاذه لبغداد من الفيضان ١٩٥٤ وتأسيسه لحركة الضباط الأحرار التي وصل عدد منتسبيها إلى حوالي مائتي ضابط مختلفي الاتجاهات بما في ذلك خلية بغداد المهمة التي قادها رفيق دربه رفعت الحاج سري، ثم قيادته ثورة تموز، ومشاريعة في خدمة الفقراء التي تركزت على بناء المدارس وإيصال الكهرباء للريف والأحياء الفقيرة وبناء المساكن الشعبية والمعامل وإيجاد مناصب العمل ومشاريع الري وتوزيع الأراضي على مئات الآلاف من الفلاحين وتعويض صرائف بغداد بمساكن شعبية، وتوسيع الجامعة والمعاهد وصار الدخول لها بواسطة الاجتهاد والعلامات وليس المحسوبية والقبول الخاص أو الاستثنائي. وسن قانون رقم ٨٠ الذي أمم أكثر من ٩٩,٥٪ من الأراضي العراقية وجلب أساتذة مصريين لسد نقص المعلمين بعد توسيع المقبولين في المدارس. وسلم مصر جميع الوثائق التي عُثر عليها في الخارجية العراقية ونحصر مصر وسورية خصوصاً التي تتعلق بمحلف بغداد والقواعد الصاروخية النووية في باكستان وتركيا. وأسس جيش التحرير الفلسطيني. وباقتراح من حكومته تأسست منظمة الأوبك. وأسس صناعة الصلب والأسمنت والكيماوية. وتضاعف دخل العراق واشتدت حركة السوق والبيع والشراء. وابتعد الطابع الأسري والطائفي، الذي اعتمدته الإنكليز، عن السلطة. وأخرج العراق من منطقة الإستراتيجي محمراً الاقتصاد العراقي من التبعية والهيمنة وبدلاً من ذلك جعل غطاء العملة العراقية ذهباً يعادلها تماماً، فلم يطبع أوراقاً ولم ينتفع ولم يدع غيره ينتفع بصورة غير مشروعة من أموال الوطن. ولم يخض حروباً بالنيابة، وغير ذلك كثير وكثير. بما يؤكد أن خصومه لم يعترضوا عليه لأسباب تتعلق بالسلوك بقدر ما كان صراعاً على توزيع المراكز في السلطة، فاستعانوا بجهات إقليمية ودولية لها مصالح في العراق لإسقاطه، فتالت عليه الضربات والمشكلات المرتبة والتي انتهت بسقوطه، إلى درجة أن السفير البريطاني في العراق وصف حالة عبد الكريم قاسم بذلك قائلاً عنه أنه "فقد القابلية للتغلب على مشاكله"^[16].

ويذكر أن وزراء عبد الكريم قاسم أودعوا معتقل معسكر الرشيد وتم التحقيق معهم فوراً، فبين أنهم لم يرتكبوا أية مخالفات شخصية، دخلوا وزاراتهم وخرجوا منها دون أية مكاسب شخصية أو تجاوزات قانونية.

سيدافعون بشدة عن نظام قاسم خصوصاً بعد أن وجه لهم ضربة قاسية، وبعد خروجهم من معركتهم مع السيد محسن الحكيم متعبين، وتأثير ذلك على مؤيديهم في الأوساط الشعبية حيث تقلصت قدرتهم في الحديث عن أحياء أو مدن شيوعية، وكان الشيوعيون قد ارتكبوا خطأ جسيماً عندما لم يتوقفوا عن معركتهم ضد المرجعية بل تصرفوا باستعلاء وعجرفة معتقدين أن من يختلف معهم في العراق سيخسر حتماً وبذلك خسروا أصدقاء مقربين لهم.

وأعتقد أن قسوة قوات المشاة وخصوصاً خلال عملها في مدينة الكاظمية يعود إلى شدة قائدها عبد الغني الراوي وبعض التصرفات الفردية لضباطها، ولا أعتقد أن عبد الغني الراوي يتحمل كل ما حصل، وفي كل الأحوال فلم يقتل في الكاظمية أكثر من ستة أشخاص، وفي المواجهة في وزارة الدفاع لم يتجاوز العدد عشرين قتيلاً، وعدد آخر في مناطق متفرقة أخرى.

ملحق رقم ١

قاسم الجنابي .. يتكلم !

[كان المقدم الركن قاسم أمين الجنابي قد كتب تقريراً في ٥ / ٤ / ١٩٦٥ (في عهد عبد السلام محمد عارف) رفعه إلى الجهات الرسمية]

أنهى مجلس الوزراء جلسته المنعقدة في ٧ شباط الموافق لـ ١٣ رمضان في الساعة الثانية والنصف عند منتصف الليل، وبعدها رافقت عبد الكريم قاسم في جولته العادية الليلية التي كان يكررها كل ليلة تقريباً. وفي هذه الليلة اتجهنا إلى بيت يحيى الجدة في الأعظمية والذي كان صديقه وكثيراً ما كان يزوره ويتصل به هاتفياً. كانت دار يحيى الجدة تقع مقابل دار عبد السلام ولكننا لم نراية حركة تلفت النظر. طلب مني عبد الكريم أن أذهب إلى دار مصطفى علي وزير العدل السابق في بغداد الجديدة، ولم أكن أعرف موقعه ولكنه رسم لي مخططاً ودلّني على بيته وكانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف بعد منتصف الليل.

أخذت سيارة الحرس المرافقة التي كان فيها ٣ - ٤ حراس بعد أن طلبت منهم ترك السيارة والبقاء لحراسة عبد الكريم قاسم، وصلت الدار وبلغت برغبة الزعيم بمقابلته ولكنه قال أنه سيأتي إلى دار الزعيم عبد الكريم في السعدون، وعدت راجعاً إلى دار يحيى الجدة وأبلغت الزعيم النتيجة. بلغت الساعة الثالثة والنصف ولما سمع عبد الكريم قاسم ما قلته له غادر الدار وذهب إلى داره في السعدون. دخل الزعيم داره، أما أنا فبقيت في الدار المجاورة والمستأجرة لمبيت فصيل الحماية وهو نفسه فصيل الدفاع والواجبات اللواء (١٩) قديماً والذي دخل بغداد مع اللواء صبيحة ١٤ تموز وكان يقوده النقيب حافظ علوان الذي تعين بعد الثورة مرافقاً للقائد العام للقوات المسلحة، وكان الفصيل يقسم إلى وجبتين نصف يرتاح ونصف آخر يقوم بالحراسة. كنت نائماً عندما أيقظني العريف قائلاً: سيدي الإذاعة تذيع بيانات خلي لحضر الفصيل للدفاع. ذهبت إلى دار الزعيم ووجدته لا زال يفطر وهو يعلم بما حدث وقال لي: سنذهب إلى معسكر الرشيد وطلب مني أن أتصل باللواء التاسع عشر الذي يقوده العميد الركن فاضل عباس حلمي. اتصلت هاتفياً حسب الأمر، وكان المتكلم مقدم اللواء الرائد الركن عزيز جعفر الصندوق، الذي طلب منه عبد الكريم قاسم بعد أن عرفه بنفسه تهيئة سرية في باب المعسكر وكرر عليه أنا جاي أنا جاي.

وبينما كان الزعيم يهيم بمغادرة داره وإذا بالزعيم الركن طه الشيخ أحمد يصل، حيث كانت داره قريبة من دار الزعيم لا تبعد سوى حوالي ٥٠٠ متر (حوالي أربعة بيوت) فاقترح علي الزعيم أن نذهب إلى وزارة الدفاع، وقال هؤلاء قلة بعثيين، ولم يرد عليه عبد الكريم قاسم، والتحق كذلك النقيب حافظ

علوان لتبديلي إذ أن خفاري قد انتهت.

خرج عبد الكريم قاسم وسار بسيارته وتبعته سيارة الحرس باتجاه وزارة الدفاع عبر الباب الشرقي ووصلنا شارع الجمهورية وكان الوضع عادياً وكان يحيط الناس والناس تحييه ودخلنا وزارة الدفاع وصعد عبد الكريم قاسم إلى مقره، وفي هذه الأثناء التحق عبد الكريم الجدة بنا.

اقترح طه الشيخ أحمد تطبيق خطة أمن بغداد لإنهاء الحركة. أخذ مقر عبد الكريم قاسم يتصل بأمري الوحدات ويعطي الأوامر الشفهية لتطبيق الخطة. وكان الجواب أنهم مستعدون وسينفذون الأوامر ولكن أحداً لم يتحرك ولم ينفذ أي أمر انتظاراً لتطور الموقف.

كان هناك كتيبة دبابات في ملعب الشعب اتصلوا بها هاتفياً وبُلتغ وت كان الجواب: نعم ، ولكن لم تتحرك. أقولها للتاريخ. تجمع الناس في باب وزارة الدفاع وكان هناك في الوزارة مخزن للأسلحة، وطالبوا بالسلح، ولكن عبد الكريم قاسم رفض توزيع السلح وقال: أنا لا أريدها حرباً أهلية، سنعالجها.

اتصل عبد الكريم قاسم هاتفياً باللواء التاسع عشر وكان المتكلم المقدم الركن طه الشكرجي الذي شتم عبد الكريم قاسم ، فألقى عبد الكريم قاسم بسماعة الهاتف قائلاً: اصبر أنا جايك . وركب سيارته واتجه إلى باب وزارة الدفاع ولحقناه أنا وحافظ والطائرات تقصف الوزارة، وعند وصوله باب الوزارة أوقفه عبد الكريم الجدة وأمسك بسيارته وأصر على عدم خروجه من الوزارة.

اتصل عبد الكريم قاسم بالإذاعة وكان التلفزيون يشتغل فقط، وظهرت صورته بالتلفزيون وقال أنه سيأتي لإذاعة بيان، وهم بالخروج ولكن طه الشيخ أحمد منعه من الذهاب واقترح أن يسجل خطاباً ويرسله مع السكرتير الشخصي. وكان مسؤولو الإذاعة يعتقدون أن عبد الكريم مقتول حسب إذاعة الثوار من أبي غريب، واصطدموا بالواقع وأخرجوا صورة الزعيم بالتلفزيون. كان في وزارة الدفاع فوج واجبه الدفاع عنها وعن عبد الكريم قاسم، أرسل عبد الكريم قاسم حافظ علوان ليلغ أمره بإعطاء الأوامر لفك الحصار عن وزارة الدفاع وقتال المحاصرين ولكنه لم ينفذ. وأرسله ثانية لتبليغه بالحضور لمقابلته ولكنه لم ينفذ.

لقد قاتل الجنود وضباط الصف بدون قيادة ضابط. لم تطوق وزارة الدفاع في الساعات الأولى ولكن مع مرور الوقت كلما أرسلت مفرزة من الانضباط العسكري لمنع وصول الثوار لتطويق وزارة الدفاع لم تعد المفرزة.. وتذوب كالملح، وما أن خيم الظلام إلا وكان صوت الثورة هو الأقوى ومركزها الأمان وأخذ المترددون ينضمون إلى الثوار.

وكان عبد الكريم قاسم يعتقد أن الضباط سينفذون أوامره، وكان كلما تكلم مع ضابطاً على الفراد أبدى استعداده وقال نعم، سنخرج وسننفذ الأمر، ولكن ما أن يقفل عبد الكريم سماعة الهاتف، فإن أوامره لم تنفذ.

جاء تبديل الموقف، ووضع عبد الكريم قاسم بموقف حرج، عندما خرج الرائد عبد الله مريوش أحد أمري سرايا الدفاع بحجة تخليص الزعيم (الحرب خدعة) من وزارة الدفاع غير أنه طوق الوزارة ووجه بنادق سريته نحو الوزارة. بدأ الثوار يتوافدون ويحيطون بهم، والقطعات التي كان يقاتل بها عبد الكريم قاسم أخذت تخرج دون عودة أو تصوب أسلحتها ضده أو انهزمت تاركة وحداتها

لدرجة أننا لم نتمكن من الوصول إلى مكتب وزير الدفاع (مقر عبد الكريم قاسم) بعد أن طوقنا الشوار في
بنية الانضباط العسكري التي كانت قرب الباب الرئيسي للوزارة، وخيم الظلام وأرسل فصيل ضد
الدرع بقيادة الملازم ابن أخ عبد المجيد جليل مدير الأمن العام، وقد سحب هذا الفصيل من الفرقة
الخامسة قبل فترة قصيرة وأضيف إلى فوج الدفاع ولم يكن ملاكه كاملاً. وبما أن يوم الثورة كان يوم جمعة
وهو عطلة، فإن أكثر مراتبه كانوا عند أهاليهم.

وصلت قطعات المظليين وقطعات من الفوج الآلي وقوات أخرى وتمكنوا من احتلال باب وزارة
الدفاع ومنطقة فوج الدفاع، حيث تمكنت وحدات الفوج الآلي الذي يقوده المقدم داود عبد المجيد أن
تدخل منطقة الهندسة وتتقدم إلى الطريق الرئيسي، ويفصل بين الانضباط ومقر الوزارة، ولم يبق إلا الطريق.
في هذه الأثناء اقترح أحدهم أن تنتقل إلى قاعة الشعب التي كان موقعها في ظهر الوزارة لأن المنطقة
طوقت بأجمعها واقترحت أن نخرج على طريق المستشفى علنا نصل إلى منطقة الثورة أو نموت.

أخذ الرصاص ينهمر بغزارة وأخذت المقاومة تنهار، وساحة المناورة تضيق، ولم يعد هناك أمل،
وعندها اقترح عبد الكريم قاسم على اللواء أحمد صالح العبدى الحاكم العسكري العام أن يخرج بنفسه إلى
الطريق حتى يتجوز من الموت المحتم من جراء شدة النيران، وفعلاً خرج وسلم نفسه إلى الثوار.

أجرى عبد الكريم قاسم عدة مكالمات هاتفية مع عبد السلام عارف وطاهر يحيى، كما أجرى مكالمات
هاتفية معهما السيد يونس الطائي صديق عبد الكريم قاسم وصاحب جريدة الثورة الذي جاء إلى وزارة
الدفاع متطوعاً. قال الطائي لعبد الكريم قاسم: الثوار إخوانك وأنا سأفأوضهم، رفع راية بيضاء وخرج من
الدفاع وذهب إلى دار الإذاعة.

وفي صبيحة اليوم الثاني خلق عبد الكريم قاسم ذقنه وكان صائماً.. وليس هناك أي أمل، ومع هذا
قرر أن يقاوم حتى يموت ولن يستسلم. حاول الطائي إقناعه بعد أن عاد من مفاوضة الثوار، وقال: حقناً
للدماء عليه أن يسلم. وأنه وعد أن محاكمة عادلة ستجرى له، ولم يرد عبد الكريم قاسم.

وضع عبد الكريم قاسم كميناً من الرشاشات في قاعة الشعب، فلما دخل المهاجمون القاعة لم يطلب
فتح النار على المهاجمين وقرر التسليم. استلمنا العقيد الركن محمد مجيد، ولما كان النقيب حافظ قد أرسله
عبد الكريم قاسم لاستصحاب أمر فوج الدفاع الذي رفض المجيء وبذلك تأخر عن الالتحاق لشدة
الرمي، وركب الزعيم مدرعة ومعه طه الشيخ أحمد وأنا والمهداوي، ركبنا مدرعة ثانية واستلمنا هادي
خماس، واعتذر لي شخصياً وقال: أنا متأسف، أنا قمت بواجبي لأنه صديقي، كان الخديث في أثناء
الطريق، ولكني قلت له: أنك أديت واجبك.. فرد قائلاً: إن عرفان وجدي في دار الإذاعة وأنا كلمته
هاتفياً وقال أن قاسم لا يمس أذى أو سوء وعلاقتي معه منذ الطفولة حيث كان صديقي وكنا في محلة
واحدة ومدرسة واحدة. نسيت أن أقول أنه في وزارة الدفاع جردونا من الرتب العسكرية.

وصلنا دار الإذاعة وترجلنا من المدرعات وضرب المهداوي ضرباً مبرحاً وحتى بالأحذية منذ نزوله
من المدرعة حتى دخوله القاعة، وعندما دخل عبد الكريم قاسم الباب خيم على الجنود السكون وحاول
رفع يده، ولكنه منع من بقية الضباط ولما تقابل مع صالح عماش في الممر هناك بالثورة وأدخلنا في قاعة
من القاعات ودخل علينا كل من السادة: أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الستار عبد اللطيف
وعلي صالح السعدي وعدد من الضباط الآخرين، حدثت مشادة كلامية بين علي صالح السعدي
والمهداوي. قال علي صالح السعدي إلى المهداوي: ولك ماذا فعلت بالبلد.. (إش سويت بالبلد).

فرد عليه المهدي: إطلع .. أنا أحكي مع عبد السلام. فرد علي صالح السعدي: أنجب وإلا قتلتك. قال أحمد حسن البكر بعد أن وقف بجانبني: إشجلبت بهذا الشخص (يقصد عبد الكريم قاسم) وأنت شخص ممتاز وطيب. فقلت له: أنا خدمت بلدي ولم أخدم شخصاً، وعندئذ قال عبد السلام إلى عبد الكريم قاسم: كيف تخلي قاسم الجنابي يفتح باب ويسد باب وهو الرجل الثائر الشجاع؟ وجه عبد الستار عبد اللطيف كلمات قاسية إلى طه الشيخ أحمد، فرد عليه طه الشيخ أحمد: أنا أستاذك، لا تنسى كنت تلميذي.

وجه علي صالح السعدي سؤالاً إلى الزعيم عبد الكريم قاتلاً: حاولنا أن نقوم بمحاولة انقلاب قبل ١٤ رمضان وانكشفت من قبلك، فمن الذي أخبرك بها؟ لا بد وأنه أخبرك بها شخص يشك بوجوده هنا. فأقسم عبد الكريم قاسم، ولأول مرة أسمعهم يقسم بشرفه، قاتلاً: إن الذي أخبرنا غير موجود الآن في القاعة، فرد أحدهم قاتلاً: هذا من أين له الشرف؟ .. فرد قاسم: لك شرفك، ولي شرف أعتر به. وقال عبد السلام: أخوان هذه الأسلحة التي اشتريت يجب أن لا توجه لبعضنا البعض، ولكنها يجب أن توجه لصندوق الأعداء.

صف جماعة عبد الكريم قاسم بصف واحد، وأنا اصطفت معهم، فانتبه عبد السلام وقال: قاسم أنت وين؟ أخرج من الصف، وفي هذه الأثناء دخل علي عرفان وجدي وعبد المنعم حميد وغيرهم من الضباط وأخذوني إلى خارج القاعة.

جاء علي صالح السعدي وأوصى بي خيراً لعلاقتي العائلية وعيشنا منذ الطفولة فقال: أكيد أنت ما متريك (لم تناول فطورك) وطلب لي ماعون تشريب فأكلته.

دخل عبد الستار عبد اللطيف وقال لي: قاسم أنت رجل شهيم، بس أريد أن أفهم، أنا في إنكلترا حكيت حكاية أمام الملحق العسكري وعادل جلال، فمن الذي وشى بها وأوصلها إلى الزعيم كريم، فقلت له أن هذه الحكاية لم تصل من شخص وإنما وصلت من مصادر عديدة أخرى.

وفي هذه الأثناء دخل حازم جواد أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة (وزير الداخلية) وقال لي: إني أنقل لك رأي الحزب بك وهو رأي جيد وممتاز ولذلك عفا عنك الحزب وعفونا عنك، فقلت له شكراً وهذا دين في رقبتي لا أنساه.. ثم دخل حردان وقال أنا سأرسلك إلى ثكنة الخيالة ستبقى كم يوم والأمور تهدأ وتذهب إلى البيت، وأخذني ضابط إلى الثكنة مقابل البلاط القديم وبقيت ثلاثة أشهر وبعدها انتقلت إلى سجن رقم (١) وأحلت إلى المحكمة العسكرية التي يتولى رئاستها المقدم (اللواء) السيد هاشم السامرائي وأفرج عني. (انتهى تقرير قاسم الجنابي).

ملحق رقم ٢ مهداوي آخر

تشرط الريادة، شجاعة مستقرة، وقدرة على استيعاب حذر الآخرين من الجديد الذي يخترق حكم العادة المفروضة. ويبدو ان الدفاع عن شخصية فاضل عباس المهداوي يتطلب تحقق هذين الشرطين. فقد استحل كثر من الهجوم عليه دون تدقيق. وكتبوا عنه تحت سقف سلطات تعاقب حتى الموت من ينصفه. وطالب الشبيب يخرج عن هذه القاعدة ويروي بعيدا عن ضغط ذلك السقف، ودون تملق أو خوف من "العادة"، موقف المهداوي في لحظاته الأخيرة.

اشترك المهداوي في حركة رشيد عالي الكيلاني وأسرته الإنكليز في الحياينة. ومنذ حرب فلسطين ١٩٤٨ التي شارك فيها، ظل موقفه السياسي محسوما ضد النظام القديم، وارتبط مبكرا بفكرة عبد الكريم قاسم الانقلابية للتخلص من الوجود الإنكليزي وتعزيز الاستقلال الوطني، والتحق بحركة الضباط الأحرار التي تأسست بقيادة عبد الكريم قاسم في نهاية الأربعينات على أرض فلسطين من طه الشيخ أحمد ورفعت الحاج سري وفاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر وطاهر يحيى ومحيي عبد الحميد والدراجي وخليل إبراهيم والرفيعي وآخرين.

وتمكن المهداوي مع رفاقه صباح ١٤ تموز من تنفيذ واحدة من أهم وأخطر أجزاء خطة الثورة بالسيطرة على اللواء الأول (لواء الأمن) واعتقال العميد الركن وفيق عارف (أخو رئيس الأركان رفيق عارف) وكانت مهمة لواء الأمن حماية بغداد ومواجهة أي تمرد قد يقع ضد حكومة نوري السعيد. وعينت الثورة المهداوي أمرا للواء لدوره ومكانته في الحركة وليس لأقدميته كما يقرر جزافاً صبحي عبد الحميد [17] لأنه لم يكن أقدم ضباط اللواء، ولان قيادة الثورة وعبد الكريم قاسم بنفسه أرسل في ليلة ١٣ تموز ١٩٥٨ المقدم أحمد حسن البكر وعبد الرحيم الراوي إلى المسيب لإبلاغ المهداوي وليس غيره بساعة التنفيذ كي يقوم بتنظيم أمر السيطرة على اللواء صباح اليوم التالي. وقال له العميد الركن وفيق عارف عند اعتقاله: "يا فاضل أنت ذهبت بدرب المؤامرة، وعين الإنكليز ليست غافلة والمشقة ستلتف حول عنقك وليس عنقي..." [18].

وفي ١٨ تموز عين رئيسا للمحكمة العسكرية العليا الخاصة التي أطلق عليها الناس اسم "محكمة الشعب"، تلك المحكمة الفوضوية التي اعتادت ان تقوم بكل أعمالها في جلسات علنية منقولة بالث مباشر على شاشة التلفزيون. فتستجوب المتهمين وتسخر منهم وتعبر عن ما تتصوره بطريقة بانسة ومقررة أحيانا، ولكنها ترك للمتهمين هامشا واسعا للرد والمناقشة والتعبير. وتستخدم مستشارين قانونيين ويتطرح بداخلها الادعاء العام ومحامو الدفاع، وتُبرئ وتدين وتحكم بعقوبات مختلفة مرصودة من قبل صحافة تمتلك حرية نسبية وتمتلكها أحزاب وتيارات. وتعبر المجموعات السياسية والشعبية عن موقفها

من القضايا التي تعالجها المحكمة على شكل تظاهرات وشعارات مرفوعة حتى قبل ان تصدر المحكمة أحكامها. وتمتلي قاعتها بمتفرجين ومهرجين وأهازيج وأشعار . . . الخ.

لكن تلك المحكمة الفوضوية ظلت حتى هذه اللحظة تتحدى كل السلطات التالية في ان تقيم مثلها أو الفضل أو أكثر حرية منها. فلقد آحلوا محلها الاغتيال السياسي، وبدلاً من العلنية المهداوية الساخرة، نشأت المحاكم السرية والقتل السري والتعذيب وتهديد الشرف بصورة تتجاوز وتفوق ما سمع به الإنسان منذ تأسيس حضاراته الأولى ولحد الآن. ولم يستطع نقاد المهداوي التمثل بقول الشاعر:

إذا عبت امرأة فلا تأتبه فذو اللب مجتنب ما يعيب

وإذا أوردنا إحصاءات حقيقية فسنجد ان محكمة الشعب كانت اقل المحاكم السياسية العراقية قسوة، فلم تصدر فيها أحكام سوى بحق رجال حملوا السلاح بوجه السلطة القائمة (بغض النظر عن صحة أو عدم صحة موافقهم). وربما تكون أخطاء بحق ناظم ورفعت وعدد آخر لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من زملائهم (رغم ان رفعت احتفظ بجهاز إرسال يربط مديرية الاستخبارات العسكرية العراقية بالسفارة المصرية ورغم اعترافات صريحة عن اتفائه مع ناظم والشواف)، لكن الاثنين كانا يستحقان العفو لتاريخهما، فرفعت الحاج سري الذي رافق قاسم في حرب فلسطين وكان أحد مساعديه الذين يثق بهم، وواحد من أهم الناشطين في حركة الضباط الأحرار خصوصاً مسؤوليته الأولى عن منظمة بغداد العسكرية، كان يجب معاملته على أنه رجل مبادئ، والشواف لم يكن يستحق السب أبداً.

لكن المحاكم التالية لمحكمة الشعب أصدرت ودون ان يرف لرؤسائها جف من عشرات الآلاف من أحكام الإعدام والمؤبد ضد العراقيين، وصادقت على عشرات قوائم القتل التي تسبق المحاكمة، وعلى الآلاف من قتلى التعذيب فتركت آثاراً غائرة في كل بيت، تلك الآثار التي تعكس نفسها بفوضوية نادرة كلما تضعف السلطة أو يحصل فلان أمني في البلاد. بل ان قاعة الشعب التابعة للمحكمة تحولت بعد سقوط قاسم إلى مسلخ بشري، قتل فيها خلال شهر واحد أضعاف ما حكمت به محكمة المهداوي خلال أربع سنوات ونصف تشكل عمر حكومة قاسم. وما يؤسف له ان بعض السياسيين مازالوا يحصرون الاستبداد والكيفية والديكتاتورية بعهد قاسم وبمحكمة المهداوي دون غيرهما، ويرون العدالة في أشكال الحكومات الأخرى التي سمعنا قضائتها يحكمون بالشكل التالي: " وزعوا خمسمائة عام على هؤلاء!! " في إشارة إلى حشد من المتهمين السياسيين داخل قفص الاتهام.

وفي هذا السياق يقول الشاعر العراقي كاظم السماوي: " حاكم المهداوي أساطين العهد المباد على جرائم محددة ارتكبوها، وسخر منهم، ولم يحصل في محكمته ما يندش كبرياء القوميين، لكن الحزب الشيوعي، والأجواء الحماسية الرعاعية أحياناً، شجعت في تحويل المحكمة إلى (هوسه)، واعتقد ان المهداوي كان يتصور بأن الجمهور الذي يحضر قاعة المحكمة يمثل التنوع الشعبي كاملاً، لذلك حاول إشراكهم في المحاكمة والقرار، وهو ما جعل المحكمة تقفز فوق الأصول القانونية أثناء جريان جلساتها، لكن تلك المظاهر لم تؤثر على الصيغة القانونية لأحكامها" [19].

وكانت الصدمة الأولى التي وجهت للمحكمة وأشعرتها بالحرج والحذر، عندما استضافت نوعاً جديداً من المتهمين، كانوا شباب حزب البعث اثر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، فاستمعت لأول مرة إلى رجال غير آسفين على ما قاموا به، بل أكدوا ان عملهم لم يكن شخصياً أو لمنفعة خاصة. بل هم أعضاء في تيار يناضل من اجل توحيد الأمة العربية في دولة واحدة قوية. وحولوا المحاكمة إلى مناسبة

للتعريف بحزبهم وبصورة غير مباشرة بأفكارهم، كما تركوا انطباعاً عند أنصارهم وأعدائهم على حد سواء بأنهم شجعان ولا يتلقون الضربات بل ويردونها. وهناك أدلة كثيرة بأن المهدياوي عامل البعثين كمتهمين (وطنيين) فلم يصفهم بالعمالة واحترمهم بل زار أكثر من مرة عائلة سليم عيسى الزبيق وقدم لها مساعدة [20].

وفي كل الأحوال فقد شكلت محكمة المهدياوي رغم سخريتها وتقلعها، تحدياً صريحاً، ومازالت تتحدى كل المحاكم التي أنشأتها الحكومات والأحزاب منذ سقوطها حتى الآن، بعلنيتها وبحرية المتهم في ان يقول شيئاً في بث تلفزيوني مباشر [21]

ويشهد متهمون كالدكتور تحسين معلقة وغيرهم بأن التحقيق الذي سبق المحاكمة جرى دون ضغط أو تعذيب جسدي لكن السلطات بعد محكمة الشعب قتلت عشرات آلاف السياسيين بسبب الرأي واشتغلت بالتشهير والقتل والسموم وتذويب رجال الفكر والإعلام والسياسة بأحواض الأسيد.

في وزارة الدفاع

ويشهد كل شهود العيان الذين وردت شهاداتهم في رسائل ومذكرات منشورة داخل وخارج العراق ان المهدياوي وقف في ٨ شباط داخل وزارة الدفاع ضد الاستسلام، ومع القتال حتى الموت. وبأنه كان حراً بداره عندما اتصل به ممثلو الحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد طالبين إليه مرافقتهم إلى كردستان للخلاص بنفسه وبعائلته، وكان حينها قد سمع البيان رقم ٥ الذي يطالبه بالتسليم. "عفت" وقال: "سنقود المقاومة" فردت زوجته "ان الأكراد سيغادرون إلى الشمال فلماذا لا نذهب معهم". فتسرها قائلاً: "لن اهرب ولن يقول أحد عني جبان"، واتجه صوب الدفاع مع ابنه النائب ضابط صادق وأخيه النائب ضابط عبد الجبار إلى حيث يحاصر قاسم، فدخل الحصار بإرادته، وقاتل وقتل هو وابنه وأخوه في معركة كان بإمكانه الانسحاب أو الهرب منها كأحمد صالح العبدلي وسعيد مطر ومحسن الرفيعي والعزاوي وعشرات غيرهم ويقول يونس الطائي "لم تكن معنويات المهدياوي خلال حصار وزارة الدفاع ضعيفة وكان قاسم قد صاحنا أنا وهو وكانت بيننا خصومة، كما لم تبد على عبد الكريم قاسم ولا على أي من رجاله مظاهر الخوف". ويقول ابنه منور المهدياوي ان والده كان يعرف انه مقتول وأنه سيترك عائلته بلا معيل وان "دار سكنا لم تكن ملك لوالدي بل ورثتها أُمي عن زوجها السابق. ولم نرث منه غير مكتبة كبيرة متميزة ومتنوعة فكان محباً للأدب وصديقاً للجواهري الكبير ولعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وكاظم السماوي". وقال "أذكر ان محمود البريكاني جاءنا بعد مقتل والدي وطلب إعارته بعض الكتب النادرة" [22].

وأكّد الشاعران كاظم السماوي ومظفر النواب ان المهدياوي كان ابن بلد يعكس بتصرفاته روح ابن الحلة أكثر مما يعكس روح المسؤول العسكري.

ورغم ذلك لقبه غورنر في كتابه (العرب) قائلاً "لقد استحق المهدياوي لقب جزار بغداد" وسمّاه آخر بالغمي الجبان وكرر أياذ ثابت وغيره نفس الأوصاف، في حين وصف أياذ ثابت صداماً بمناسبة قمعه الانتفاضة آذار/شعبان ١٩٩١ بأنه "عادل وديمقراطي".

أما موقفه في الإذاعة فيضيف المقدم قاسم الجنابي الذي اقتيد معه في مدرعة هادي خماس إلى الإذاعة وحضر معه الحوار الذي سمّي محاكمة قائلاً: "دخل علينا السادة أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف

وعبد الستار عبد اللطيف وعلي السعدي وعدد من الضباط (بينهم حازم وطالب بزي الضباط) وحدثت مشادة كلامية بين السعدي والمهداوي، قال السعدي للمهداوي: ولك اشسويت بالبلد. أجابه المهداوي: إطلع.. آني احكي مع عبد السلام. فرد السعدي: إنجب (إخرس) وإلا قتلتك [23]. وكانت تلك كما هو واضح مشادة وليس تخضعا.

وبعد كل ذلك كتب كثيرون عن مقتل قاسم وسيرة سلطته تحت سقف سلطة معادية لنظامه، فخاضوا في تفاصيل ليس لها وجود، وأضاف بعضهم مشاهد درامية انفردوا بها دون غيرهم، وسعوا في رواياتهم لاستكمال التشويق لعلمهم انهم يتحدثون عن شخصيات مثيرة سيتوارث الناس ذكراها لفترة طويلة. وبلغت الجراءة عند بعضهم مثل محمود شيت خطاب الذي لم يكن موجودا في مشهد الحوار الأخير ان يدعي كذبا انه شاهد عيان ويتفرد بتفاصيل مسينة وغير صحيحة وهو يعرف انها غير صحيحة!! وفعل مثله كثيرون من الممثلين والضعفاء. وقد تأكدت بعد تنقيب وبحث أن جميع الذين كتبوا لحد الآن عن مشهد محاكمة قاسم وجماعته الأخير، لم يكونوا حاضرين في ذلك المشهد، بل نقل أحدهم عن الآخر دون تدقيق وقال عن نفسه أنه شاهد عيان. لكن التاريخ كعادته دار دورته وبدأ التنقيب المحايد. وأستطيع ان أؤكد ان الكتاب في هذه القضية كانوا حتى فترة قصيرة شهود اتهم متحيزون، عدا حسن العلوي من العراقيين، ونسباً حنا بطاطو من خارجهم.

ملحق رقم ٣

المقاومة المدنية والعسكرية

يبدو أن الأرقام التي يعطيها شبيب تخص فقط معركة وزارة الدفاع لأن استعراضاً بسيطاً للأسماء والصدامات التي دارت في بغداد وضواحيها تؤكد سقوط ضحايا من الطرفين أكثر بكثير. وإذا أخذنا "الكاظمية" نموذجاً، واستناداً إلى ستار البابر وعمرو آل ياسين وإبراهيم الموسوي وهاشم الياسري وعدد من الشيوعيين الذين عاشوا تجربتها سنجد بأن النتائج مختلفة... .

فاليوم قرر قبل ٨ شباط تنشيط تنظيماته بأعمال الإضراب وتوزيع البيانات وغيرها من النشاطات لإخراج وإرباك نظام قاسم وإظهاره غير قادر على ضبط الوضع، وأيضاً لإبقاء تنظيمه في حالة تأهب وجاهزية يقظة استعداداً للمساهمة بمخطة إسقاط النظام. وقد غدت جريدة الحزب السرية "وعى الطليعة" المعنويات وحثت على تحضير المستلزمات كالسيارات والدراجات والأسلحة الخفيفة. وتبلغ الأعضاء الحزبيين بالتواجد كل يوم جمعة قرب المذيع أو في أمكنة محددة تسمح بمساهمتهم الفعالة حال سماع نداء هام، وكانت ساحة الزهراء التي تعتبر مفتاح المدينة أحد أمكنة التجمع التي يحضر إليها بعض البعثيين صباح كل جمعة.

ولم يكن تنظيم حزب البعث في "الكاظمية" ضعيفاً، بل ضم حوالي ٦٠ عضواً ونصيراً، يخف بهم عدد كبير من المؤيدين، ويقف على رأسه حمزة الباهلي الذي منحه الحركة رتبة ملازم، لكنه جرح صباح ٨ شباط ونقل إلى البيت في العطفية لعلاج، لعله بيت صباح محمد علي أو بيت هاشم زيدان. وكان من بين أعضاء الحزب الذين حضروا: مدحت محمد جميل ومعز الخطيب وعبد الرزاق لفته ومحيي الخطيب وإبراهيم الموسوي وسهيل السهيل وعمرو آل ياسين وعبد الحسين مسلم وهادي الرياحي وستار البابر وسعدي أصلان وأحمد شبوط وزهير الدوري وهاشم الياسري وحسين ونوري الزكم وإبراهيم التميمي ورياض القيسي وهاشم زيدان وسهير الكتي ووليد الخشالي وحكمت الطائي وعدنان الإدلسي وسعيد العبد الله وسعدي طعمة الجبوري (ملازم متقاعد) وعبدو الخالصي وصباح رحيم وقاسم حسن وعبد الرضا القصاب. ومع توسط النهار تزايد عدد الملتحقين والمستعدين لحمل السلاح.

ورغم ذلك كله كان عدد الشيوعيين أكبر بما لا يقاس، إذ طبعوا المدينة بطابعهم إلى درجة أن مفارزهم في مناطق أخرى من بغداد كانت تطلق سراح المشتبه بهم إذا صرحوا أنهم من أبناء "الكاظمية"، فكل "كظمائي وطني أو ديمقراطي!!". ولم تكن حركة ٨ شباط مفاجئة جداً للشيوعيين لذلك تمكّنوا من تنظيم صفوفهم بسرعة بقيادة عضو سكرتارية الحزب هادي هاشم الأعظمي والمقدم المتقاعد عضو اللجنة العسكرية خزعل علي السعدي وحدي أيوب العاني عضو منظمة بغداد، فبسطوا سيطرتهم على مركز القضاء بكاملة وأغلّقوا مداخل المدينة ومخارجها القريبة والبعيدة كجهة مفرق معسكر الوشاش عند منطقة مطار المثنى المدني، بعد أن احتلوا مديرية الشرطة والقائمقامية وشرطة النجدة وأمانة العاصمة وكافة

المؤسسات، حتى المساجد اتخذت كمراكز لبلاغاتهم ولدائياتهم، ووزعوا الأسلحة الخفيفة، وظهر رجالهم يربطون على أذرعهم قطعة قماش بيضاء كتب عليها (م ش - أي مقاومة شعبية) ومسلحين ببنادق ومحاريب وحديد وخشب وسكاكين وبينهم نساء عرفن بحماسهن مثل بنات الجرجفجي وزهرة الوردية التي صعدت إلى منارة جامع " الدروازة " وأخذت تعرض الجمهور وتدعو للمقاومة، وغيرهن. ودارت بينهم وبين الشرطة معارك أهمها معركة النجدة التي استمرت أربع ساعات وانتهت بقتلى بينهم ثلاثة شرطة وأربعين جريحاً واحتراق جميع مكاتب وآليات المركز، لذلك كافات قيادة الحركة قائد شرطة الكاظمية محمد أمين محمود على مقاومته بترقيعه إلى رتبة عميد وتعيينه مديراً عاماً لشرطة العراق.

أما البعثيون فقد احتلوا مركز شرطة الباغيات في العطيفية والذي تحول إلى مقر للحرس القومي، ومنه سيروا دوريات للرصد والحراسة الجسر الحديدي الرابط بين كرخ ورصافة بغداد. كما رافقوا القطعات العسكرية كأداء هدفهم التقليل من خسائر الجيش والمدنيين واضطروا أكثر من مرة إلى إفهام الضباط المغيرين بأن "الكاظمية مدينة عربية مقدسة، فيها شيوعيون كثيرون وبعثيون وقوميون وإسلاميون من جماعة الخالصي وغيرهم ولذلك يجب التمييز بين المعادين للثورة وبين المواطنين الآخرين".

ومنذ فجر ٩ شباط توجه الرتل العسكري المؤلف من دبابات ومدركات من اللواء الثامن بقيادة داود الجنائي وتآلف من الكتيبتين الأولى والثانية عدا سرية واحدة ذهبت للمساهمة في حراسة الإذاعة في الصاحية (مقر قيادة الثورة)، والكتيبة الثالثة التي بقيت مع القوات التي تحاصر وزارة الدفاع. توجه الرتل إلى ساحة عبد المحسن الكاظمي فوجدها خالية يتصاعد الدخان من أبنيتها لا سيما مركز النجدة ولم تكن هناك مقاومة غير إطلاقات متفرقة صدرت عن بعض المنازل. بعدها تحرك إلى ساحة الزهراء فكانت خالية أيضاً إلا من إطلاقات متفرقة تصدر عن مقاومين من بعض أسطح المنازل، فانحذت القوات مواقعها ووجهت مدافعها باتجاه مداخل أحياء المدينة السكنية وانتشر الجنود المدمجون بالسلاح على أسطح الأبنية للساحة الرئيسية، في حين انسحب الشيوعيون ليتحصنوا في الأعدادية وفي مركز الشرطة، وقد قرروا القتال رغم التحذيرات المتكررة الصادرة عن آمر القوة العسكرية بواسطة المايكروفون، تلك التحذيرات التي اختلطت مع نداءات إذاعة بغداد وأصوات القصف المدفعي والجوي الآتية من وزارة الدفاع القريبة.

وقد أثبتت التحقيقات فيما بعد أن عدداً من المقاومين انسحبوا إلى حيث يأمنون، لكن الأكثرية دخلوا في مواجهة غير متكافئة كان مسرحها مدرسة الأعدادية ومركز الشرطة، ومصالحة نقل الركاب (الأمانة) وتقابل المتقاتلين أحياناً وجهاً لوجه، وسرعان ما فرضت نوعية الأسلحة والدبابات نفسها لتنتهي المعركة بمقتل أكثر من عشرة شيوعيين عند " تانكي " الماء كما سقط من القوة المهاجمة داخل ساحة المدرسة رئيس عرفاء وعدد من الجرحى بينهم الملازم " ثابت الألوسي " فضلاً عن قتلى مدنيين محايدين مثل الحاج صادق القهوجي وإمرأة عمياء لم تكن قادرة على تصور طبيعة ما يحدث. وعلى إثر ذلك انسحب الشيوعيون إلى الأحياء الشعبية القديمة كالفضوة والبحية والقطانة والمحيط وأم النومي التي كانت أساساً معقل قوية لهم. وبالمقابل تقدم الجيش إلى "باب الدروازة" ليقترب منهم ويوجه

مدافعه وهاوناته إلى معاقليهم، وقد ردّ فعلاً على إطلاق الكلاشنكوف بقذائف من مدافعه مما أدى إلى سقوط قتلى وخسائر أخرى، وذلك أدى إلى اعتراض البعثيين المرافقين على ضرب الأحياء لاحتمال سقوط أبرياء.

وكان رد الضباط : " والله نحن عسكريين وننفذ الأوامر بحذافيرها " . وفي هذا السياق حصلت مشادة كلامية حادة بين مدحت محمد جميل وأحد الضباط (وربما كان المقدم صديق عبد العزيز) عندما أبلغه قائلاً: "نحن مبلغون بالرد على الكلاشنكوف بقذائف المدفعية". فأصر مدحت على موقفه وأقنع قائد القوة بأهمية عدم تعريض المدنيين للإصابة ، فأمر بوقف قصف المناطق الشعبية المكتظة.

وفي اليوم التالي توغلت القوات داخل الأحياء الشعبية حيث رفعت الأعلام البيضاء، وجرت اعتقالات غير منظمة للمواطنين أثبت التحقيق عدم صلتهم بالمقاومة وأطلق سراحهم ولكن بعد قضاء فترة طويلة ينتظرون دورهم في التحقيق، كما ارتكبت القوة خطأ كبيراً عندما أقامت محاكمات صورية فحكمت بالموت على عدد من المقاومين بينهم أحد الزعماء الشعبيين " سعيد متروك " الذي نفذ به الحكم عند سياج أعدادية الشعب في الخيط، وكان هذا الرجل يمتلك جاذبية وشعبية وشجاعة اضطرب بسببها إلى المساهمة في المقاومة متصوراً أنه يدافع عن أهله ومدينته ولم يكن شيوعياً بل قاسمياً متعاطفاً.

سقط في تلك المعارك عدد من الشيوعيين المحليين مثل عبد الأمير الخالك وإبراهيم الحكاك وناظم جودي وعلي عبد الله الذي كان قائداً لفيلق المقاومة الشعبية، ومحمد الوردي، وقتل رئيس نقابة المعلمين في باب مركز الباغيات بإطلاق الرصاص عليه ودامت المقاومة ثلاثة أيام وثلاث ليال ولم يهدأ الوضع حتى صباح ١١ شباط ، لكن الاعتقالات استمرت وتحوّل نادي قريش إلى مركز مشهور للتحقيق يثير اسمه الرعب في قلوب الناس.

وعندما انصرفت الأيام الأولى العصيبة عاد الشبان البعثيون مرهقين من السهر والتوتر إلى منازلهم ليواجهوا عناء مريراً من أولياء أمورهم الذين ينظرون إلى تلك المصادمات على أنها ستؤدي إلى إضعاف المجتمع المدني العراقي. أما الشيوعيون فقد قاتلوا خلالها وكأنهم يدافعون عن مطلق وجودهم وعن آخر أيامهم!!

وفي هذا السياق اتهم الشيوعيون والقاسميون جماعة الخالصي بالتعاون مع السلطة الجديدة ضد أهالي المدينة، فرد الشيخ مهدي الخالصي قائلاً: " في ٨ شباط ركز الشيوعيون على الكاظمية لمنع حركة القوات القادمة من الناجي تجاه وزارة الدفاع " وقال " قتل الشيوعيون من جماعتنا بينهم عباس حاج حنظل وحسن السعدي، مما اضطّر الشيخ محمد الخالصي إلى الخروج إلى الصحن الشريف واحتلاله".

مراجع :

- [1] مقابلة مع يونس الطائي ١٩٩٥ دمشق - السيدة زينب، بحضور الدكتور أحمد الموسوي.
- [2] رسالة من طاهر يحيى التكريتي إلى خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط.
- [3] يونس الطائي، مقابلة، ١٩٩٥، دمشق، بحضور الدكتور أحمد الموسوي.
- [4] يونس الطائي، مقابلة، مصدر سابق .
- [5] قاسم الجنابي رسالة لخليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، مصدر سابق، ص ٤٠٦.
- [6] رسالة من الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا إلى خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، (السقوط) ص ٤١١.
- [7] مقابلة مع يونس الطائي دمشق ١٩٩٥.
- [8] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط، ص ٤١٤.
- [9] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز اللغز الحير، السقوط ص ٤٠٨.
- [10] محمد حديد، مقابلة، ١٩٩٨، بريطانيا.
- [11] عبد الستار الدوري، مقابلة، لندن، ١٩٩٨، في دار الأستاذ نوري البحراني.
- [12] أورد الأستاذ عبد النعم الخطيب هذه المحادثة ليدلل على قلة ثقة الشعب العراقي بحكوماته وبياناتها، وقد أجرى الحوار بينه وبين عبد السلام عارف خلال زيارة الأخير رسمياً إلى الهند.
- [13] جريدة الوقائع العراقية ١٥ شباط ١٩٦٣.
- [14] محمد حديد، مقابلة، لندن، ١٩٩٨.
- [15] مقابلة مع مجيد الحاج حمود في لندن ١٩٩٨.
- [16] د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافد، لندن، ١٩٩٦.
- [17] صبيحي عبد الحميد، ص ١٩١.
- [18] منور المهداوي، مقابلة، ١٩٩٣، برلين.
- [19] كاظم السماوي، مدير الإذاعة والتلفزيون في عهد قاسم، مقابلة بدمشق ١٩٩٥.
- [20] منور المهداوي، مقابلة، برلين ١٩٩٣.
- [21] مقابلة مع تحسين معلل دمشق ١٩٩٥.
- [22] مقابلة مع منور المهداوي، برلين، ١٩٩٣ .
- [23] قاسم الجنابي، رسالة إلى خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز - عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٤٠٦.

بين رغبة التعددية وسلطة الحزب الواحد

سؤال : ما هو شكل نظام الحكم البديل، أو شكل الممارسة السياسية الذي كنتم قد هيأتم لبنائه بعد وصولكم إلى السلطة؟

طالب الشبيب: لم يتبادر إلى ذهن قيادة حزب البعث في العراق، قبل استلام السلطة، أن تنفرد في الحكم. بل اتجه التفكير باستمرار إلى أهمية مشاركة القوى الوطنية التي لم تدخل معنا في صراع جذري في الإدارة والحكم. وأعطينا الموافقة مباشرة فور الفوز بالسلطة لكل صحفي أو تيار سياسي تقدم بطلب نظامي لإصدار جريدة. فقد جاءنا في اليوم الثالث للثورة وزير الإرشاد الدكتور مسارع الراوي يحمل ثلاثين طلباً لإصدار صحف، فناقشنا الأمر في مجلس قيادة الثورة وقررنا أن كل صحيفة لا تعادي الثورة تجاز. فصدرت ثلاثين صحيفة متعددة التوجهات والانتماءات في بغداد.

ومنذ البداية حاولنا إشراك جميع الأحزاب السياسية في كافة المجالات، فتمثل في الوزارة الحزب الوطني الديمقراطي بشخص الأستاذ حسين جميل، وعن الحزب الديمقراطي الكردستاني بابا علي وفؤاد عارف، ومن القوميين شكري صالح زكي وناجي طالب.

وجميع هؤلاء تعاونوا معنا، وصاغ حسين جميل بقلمه وبتكليف من حازم جواد قانون المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد أن وضعنا خطوطه العامة وأقره المجلس الوطني بعد خمسة أيام من الثورة، وساعدنا حسين جميل في المفاوضات مع الملا مصطفى البرزاني. كما أشركنا ممثلي الأحزاب المذكورين حتى قبل المفاوضات مع الهيئات التي يمثلونها. وتم تعيين شخصيات كثيرة غير بعثية في أخطر مناصب الدولة. وتقدمت شخصياً باقتراح تأسيس أحزاب للمعارضة تجاز علناً، وأيدي كثيرين وكانت حجتنا هي ضرورة إخراج الأحزاب من حياتها السياسية السرية إلى العلنية والانفتاح للتخلص من أمراض العمل السري الذي غالباً ما يشكل غطاءً لارتكاب المعاصي والأخطاء ويجعل نمو الشخصيات ممتنعاً.

ومنذ البداية حرصنا على ضم الأشخاص المتمين لجمعيات وأحزاب أخرى إلى التشكيلات الحكومية، وضمهم للوفود الرسمية والشعبية، وبين أولئك ممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني

وحزب الاستقلال وحركة القوميين العرب والنقابيين المعروفين بغض النظر عن انتماءاتهم، وكان الأمل يحدونا لإقامة جبهة داخلية متينة وعريضة.

وفي الشهر الأول للثورة ظهرت فكرة ممتازة كادت أن تؤدي إلى إعلان تأسيس مجلس استشاري لعموم البلاد، يكون فيه لحزب البعث دور مميز، دون الحاجة لجعل البعثيين أغلبية مطلقة فيه. ويساهم في المجلس جميع شرائح المجتمع، المثقفون والعلماء والفنيون وممثلو المنظمات الشعبية والمهنية. وإن تعرض على أعضائه الذين يجتمعون دورياً مشاريع القوانين والميزانية قبل تحويلها إلى المجلس الوطني لإقرارها.

وفعلاً وضعنا قوائم بأسماء ٢٠٠ شخصية معروفة، تضمنت أبرز الأشخاص وأكثرهم شهرة في مجالاتهم الخاصة وبين الأوساط الاجتماعية والثقافية.

إن الدافع الحقيقي وراء فكرة توسيع المشاركة السياسية، هو مبدأ سابق اتفقنا عليه قبل الثورة وهو تجنب خطأ السلطة القاتل في اللجوء إلى الفردية. وبدلاً منه العودة إلى المجتمع بطريقة مناسبة لظروفنا واستشارته في نوع وطريقة إنجاز المشاريع الوطنية والقومية. لكن هذه الفكرة لم ترَ النور بسبب ترجيح أصحاب الحملة الثورية المزايذة لفكرة الانفراد الكلي بالسلطة بحجة الحاجة إلى وقت يكفي لتسيئة البلاد للدخول بمشاريع توسيع المشاركة السياسية سواء كان مجلساً استشارياً مدنياً أم برلمانياً.

وقد أدى قرار الانفراد بالسلطة إلى تأخر حزب البعث قومياً عن القيام بأية تجربة ائتلافية أو ديمقراطية دستورية حتى قيام حركة ١٦ تشرين الثاني بسوريا حينما تأسست جبهة وطنية ومجلساً للشعب وشكل من أشكال المجالس المحلية أو البلدية.

لكنني أؤكد أننا كبعثيين لم نفكر منذ البداية بإقامة حكم الحزب الواحد أو بجرمان الناس حرياتهم، ولا بفكرة مسبقة معادية لبقية الحركات أو لإلغائها، لكن ذلك لم يمنع التأثير الكبير الزاحف إلى جسد الحزب من الموجة الاشتراكية العالمية على شكل إجراءات ظهرت لأول مرة عملياً داخل الحزب والدولة العراقية بعد تغيير منصب علي صالح السعدي من وزارة الداخلية إلى وزارة الإرشاد، فقرر بصورة مفاجئة ودون إخطار القيادة تقليص حرية الصحافة، وطلب من جميع أصحاب الصحف تقديم طلبات جديدة لإصدار صحفهم، ولم يوافق إلا على ثلاث منها، اثنتين حكوميتين وواحدة مدعومة من الحكومة وهي جريدة العراق ويصدرها

(الفكيكي). ومنذ تلك اللحظة بدأت المسيرة الرسمية للدكتاتورية وحاول كثيرون الترويج لها^(١).

وأذكر مرة طرحت على مجلس قيادة الثورة أهمية خروج الحزب للعلن، خصوصاً وأن كوادره وقادته يمارسون السلطة ويتقلدون المناصب الرسمية. فعارضني الجميع ما عدا حازم جواد، ولا ادري إذا كان حازم جواد قد فعل ذلك مداراة أم بقناعة.

قلت حينها ان العراق يحكمه تشريعاً مجلس قيادة الثورة وهو مؤسسة سرية أعضاؤها غير معلنين وغير منتخبين، وتوجهه قيادة حزبية أعضاؤها أيضاً غير معلنين ويقودون حزباً سرياً، كما ان بعض كوادرننا يطالبون مجلس الثورة بسن قوانين سرية خاصة. ولم يبق سوى ان تنصب خيمة تغطي بها العراق كله ونعتبره بلداً سرياً بكل معالمه^(٢).

١ — يأتي حديث شبيب هذا صحيحاً من الناحية النظرية، وربما يعكس في بعض جوانبه رغبة السيد شبيب الشخصية في إقامة نظام مدني. لكننا لا نملك دليلاً على أن أعضاء الكتلة المنافسة لعلي صالح السعدي، عسكريين ومدنيين، كانت تزعمهم فكرة الانفراد بالسلطة. فلم تكن أحزاب البعث والشيوعي أو الحركة تعطي للبرلمان أهمية. فجميع القوى كانت حينذاك ترى انها قادرة على إنجاز آمال الأمة العربية والعراق دون الحاجة إلى البرلمان. ورغم انها كانت تدفع رجالها للمساهمة في الانتخابات البرلمانية أينما أتاحت الفرصة، لكنها لم تفكر إطلاقاً في تنفيذ خططها الكبرى بواسطة البرلمان، وإنما بحسم معركتهم بانقلاب يتم بسرعة ووضع السلطة تحت تصرفهم لتحقيق أمانهم الثورية. أما رغبة شبيب في التعددية فتعود لرأيه الشخصي، وقد عبر عنها السفير البريطاني في بغداد في برقية أرسلها إلى دولته بعد أيام من ٨ شباط ٦٣ يقول فيها: "وزير الشؤون الخارجية (طالب شبيب)، رجل شاب في حوالي الثلاثين، ويتكلم إنكليزية رائعة، حصل على شهادة الهندسة من جامعة لندن، واختبرني انه متزوج من زوجة إنكليزية. وكان مضطرباً ولكن ودياً. في جوابه على أسئلتي أوضح ان الوزارة ورئيس الجمهورية كليهما مسؤولان أمام المجلس الوطني لقيادة الثورة. وان هذا المجلس يتكون من مجموعة من الضباط والمدنيين، وسوف يكون موجوداً إلى أن يستبدل بأسرع ما يمكن بمجموعة تشريعية منتخبة كما ينبغي. وقد أكد على انها ليس (أكبر ليس) مجلساً عسكرياً . . . وان أهمية كلمة مؤقت في عنوان رئيس الجمهورية، لإظهار انه لن تكون هناك دكتاتورية رجل واحد، ومن المفترض انه عني بأن تعيين عارف رهن بتأكيد نهائي. . . [1]."

٢ — كان البعثيون في العراق وهم على رأس السلطة في ١٩٦٣، ثواراً يحكمون، وليسوا حكماً ثائرين، وفي ذلك يكمن سر توترهم، وسر شدة ردود أفعالهم وعدم رويتهم حتى في تناول خلافاتهم. وكل واحد منهم نار ثائرة يتصور ان العالم سيتغير على يديه. ولذلك طرح محمد زكي يونس رئيس مكتب العمال القطري وهو من فلسطيني العراق اقتراحاً للمؤتمر القطري الرابع المنعقد بأيلول ٦٣ فكرة تبني قانون سري يمنح العمال والفلاحين حصانة ضد القوانين المرعية. فوقف حسن الحاج وادي العطية وهو حقوقي وقال: ان أحد أركان القانون هو نشره حتى يصبح حجة على المخالف[2].

وعندما طالب أحدهم مناقشة الاقتراح أو الاقتراح عليه، رد عليه آخرون بأن العمال والفلاحين هم أكثرية أبناء الشعب وإذا اكتسبوا حصانة فلماذا نحتاج إلى قوانين. ورغم ان اقتراح سن قوانين سرية في ١٩٦٣ يعد أمراً شاذاً، لكنه لم يطلو إلى الأبد، بل يعرف كل المطلعين ان الحكومة العراقية الحاضرة يجري تسيرها بقوانين علنية وأخرى سرية توزع على مستوى معين من المسؤولين على شكل "تعليمات" لا يعرفها الا الأتباع والمقربون، لتجعل تصرف مستوى معين من الموظفين الحزبيين متمثلاً إلى درجة مخيفة بالنسبة لكل شخص موجود خارج منظمة السلطة السرية. وبجهدنا كنعان ←

وكانت لرغبة السرية أسباب كثيرة منها حاجة الأقلية السياسية للاستمرار في الحكم. ولا بد إذن من علل وأسباب تساعد في تبرير استمرارها على رأس السلطة، منها التعلل بوجود أعداء داخليين وخارجيين يتآمرون على سلامة الثورة، وأخرى تتعلق ببريق الموجهة الثورية اليسارية العالمية التي بدأت تزحف على المنطقة وهي بدورها تنظر إلى البرلمان على أنه أسلوب غير ثوري في ممارسة الحرية والتقدم.

وفي وسط تلك الدوامة والقصور الشديد واجهت قيادة الحزب مهمات خطيرة مثل محادثات الوحدة الثلاثية، وظهور خلافات غير متوقعة مع قيادة جمال عبد الناصر الذي رفع شعارات ثورية مستمدة من طريقة الحكم الديكتاتورية التي تمارسها مجموعة الدول الاشتراكية. فتصاعد الجدل النظري بين البعث وعبد الناصر حول شكل الممارسة الديمقراطية للبلاد في المستقبل، ثم الحوارات البعثية - البعثية بين سوريا والعراق.

تلك المشاكل أبرزت صعوبات كبيرة، تضخمت أكثر خلال ممارسة السلطة، وترتبت عليها انقسامات داخلية وأشكال التحالفات القادمة. ولأسباب كثيرة تمكن أحد طرفي النزاع من كسب الصراع داخل المؤتمر القطري وانتخاب ممثلين يؤيدون تيار علي صالح السعدي إلى المؤتمر القومي السادس الذي سيعقد قريباً. وعند انعقاد المؤتمر التقى العراقيون بمجموعة سورية على رأسها صلاح جديد فتعاونوا على دفع المؤتمر لتبني أفكار جديدة لم تنص عليها لوائح الحزب ودستوره السابق.

خرج المؤتمر بصيغة فكرية جديدة تختلف تماماً عن الأفكار التي نشأنا عليها. فقد انتمينا إلى حزب يأمل في إقامة حياة سياسية برلمانية حرة، ويؤمن بحق الملكية الخاصة وبحرية التجمع والرأي والنشر وتعدد الأحزاب. ففوجئنا بتغيير دستور الحزب في ظرف أيام وبدون مقدمات.

استيقظنا فجأة لنجد أنفسنا أمام مهمة جديدة هي تثقيف الجهاز الحزبي فوراً لنظرية حكم الحزب الواحد ولكن تحت شعار مستعار من الأدب السياسي السوفييتي هو (الديمقراطية الشعبية). وخطورة الأمر أنه لم يكن تنظيراً جديداً وتغييراً على مستوى الأفكار وحسب، بل أفكار للتطبيق لأن الحزب كان حاكماً في اخطر بلدين عربيين هما سوريا والعراق. وبسبب

مكية[3] في جمهورية الخوف بأن "قيادة الحزب الحاكم في العراق أصدرت عام ١٩٧٧ قانوناً يعطيها الحق في إصدار قوانين سرية. ويمكن في هذا الشأن العودة للقانون ٧٨ سنة ١٩٧٧ رقم ٢٧ الصادر في ٦ تموز بمجريدة الوقائع العراقية العدد ١٩٧٩/١٤. لكن مكية يقول: إن هذا العدد من الوقائع لا يمكن الحصول عليه للأشخاص العسائدين بسبب سرية القرارات المنشورة فيه، إذ ظل مقتصرًا على الإدارات الخاصة.

ذلك دخلنا في خلافات حول مسائل لم نكن قد هيأنا أنفسنا وجهازنا لها، ولم نخطط أو ننفذ أي شيء عملي في سبيلها.

كان عبد الناصر أيضاً يقول ويتبنى نفس الأفكار التي أقرها المؤتمر السادس. وكان الأجدر ان نطور مفاهيمنا الخاصة للديمقراطية والمشاركة السياسية ونقدم نموذجاً مفيداً لنا وملفناً لنظر عبد الناصر لكي لا يذهب بعيداً في فرديته المتنامية. وهكذا عكسنا الأمر وبدلاً من الديمقراطية ظهرنا وكأننا نخطط للديكتاتورية رغم أننا كنا خارجين توأ من صراع دموي ضد نظام اتهمناه بالديكتاتورية، وملأنا الدنيا صرخاً حول حرية الرأي وحرية الصحافة والأحزاب. وكان من السهل على المواطن البسيط ان يقارن بين فعلنا الحاضر، وما كنا نتحدث به قبل اشهر أو أسابيع، أيام عبد الكريم قاسم.

لقد تنبهنا لخطورة هذا الأمر، رغم ان موجة الرفض اليساري العاصفة اجتاحت حينذاك كل شيء، وتحولت بتشجيع من بعض القادة إلى مجرد مزايمة فوضوية ومضرة. فبقلم ياسين الحافظ كتب دستور جديد اقره المؤتمر وكان دستوراً للمعارضة وليس للحكم والقيادة والتنمية والبناء، وشكل غطاءاً للسرية وللشخصيات القاصرة التي لا تمتلك مؤهلات للتعامل المباشر مع الجماهير. وتلك الغوامض لعبت دوراً أكثر سلبية وأكثر سوءاً مع نظام (البكر - صدام) منذ عام ١٩٦٨ والتي تجسدت بوجود منظمات سرية يقودها قادة الدولة ووزراؤها لقتل وملاحقة الخصوم السياسيين في الحارات والطرقاات وليس داخل المؤسسات الشرعية والمحاكم، فحكموا بلاداً لم يعرف شعبها لحد الآن آلية تكوين القرار السياسي في بلادهم، رغم معرفتهم بآلية تطبيقه التي غالباً ما تتم سراً بكواتم الصوت والاعتقال والغدر المتنوع الأشكال.

وهكذا وبين ليلة وضحاها أصبح دستور الحزب يقنن عقائدياً لسلطة الحزب الواحد. وبدأنا نسمع حرفياً الصيغة الستالينية الواردة من الاتحاد السوفيتي، وهي صيغة سياسية تخفي نزوعاً شديداً للديكتاتورية والفردية. وحينذاك كان الجميع، بعثيون وشيوعيون وناصريون مأخوذون بالشعارات المتطرفة وبدعاية النجاحات المظهرية السوفيتية المزعومة. فكانت موجة متحمسة لم تعط لنفسها الفرصة لرؤية وتقدير قوة الرأسمالية العالمية كنظام اقتصادي قوي ومتجدد.

لقد لعب ياسين الحافظ وعلي صالح السعدي وصلاح جديد وآخرون، كل بطريقة الخاصة، دوراً في بث تطرف وحماس غامض، وأرادوا تلقين القواعد الحزبية مفاهيم جديدة لم يسبق ان تعرفوا عليها، فكانوا يقرأون الشيء ويحاولون تقنيته وتطبيقه بواسطة السلطة التي يسكن بها في اليوم التالي، فوصلت الهواجس اليسارية عند بعضهم ان فسروا الانقلابية الواردة بدستور الحزب بأنها دعوة للانقلاب السياسي العنيف وغير التدريجي، رغم انه يعني

الانقلاب على الذات من اجل خلق إنسان جديد قادر على تحمل مسؤوليات التغيير الواقعي الذي سيحقق عبر المؤسسات الشعبية والدستورية الشرعية^(١).

١ - هذا الأمر الذي يتحدث عنه شبيب لم يدم طويلاً إذ حصل انشقاق أساسي في الحزب مباشرة بعد المؤتمر القومي السادس ، وتم إخراج طرقي التطرف من الحزب اليمين واليسار، وبعد ذلك استعاض الحزب عن التدخل في الدستور وتغييره كلما تطلبت السياسة، بجعل مقررات الحزب القومية تلعب دوراً تنظيرياً بنفس درجة أهمية دستور الحزب، وقد لى ذلك وبطريقة أكثر نجاعة الحاجات الفكرية لمواجهة المتغيرات المتسارعة بصورة أفضل من الحالات السابقة وصار بإمكان البعثيين وبطريقة أكثر واقعية مراجعة أفكارهم بين مؤتمر وآخر. فما يبقى منها غير مراجعة يعدُّ تراثاً ومرجعية، وما يجري أضاقته وتعديله يعدُّ حياة وحيوية جديدة مضافة. وبهذه الصورة تم إيجاد نهج يختلف عن العفلية التي تخندقت وراء الدستور القلم مرعوبة من رياح التغيير، كما تم تجاوز الأفكار غير الناضجة للمعجبين باليسارية اللفظية.

هنا ولم تكن الخلافات داخل البعث في العراق تنظيمية وشكلية فقط، بل وحصلت مشاكل ذات طابع فكري أيضاً، لكن المواجهة بين الحرس القومي والجيش كانت قد غطت على صراعات كثيرة أخرى، وعلى سبيل المثال فقد عانى الحزب منذ نهاية ١٩٦١ من خلاف تجسد في تبلور خط يساري متطرف تحت اسم "الكادحين العرب" وذلك نتيجة لفصل عبد الإله البياتي وصفاء صادق وعبد الأمير الشريفي ومحمد الزبيدي من الحزب وتجميد ١١ عضواً وفصل عدد من الأنصار ومعاقبة قحطان خلف الذي أظهر تأييداً لهذه المجموعة، بتهم مختلفة مثل: تخبطات ماركسية، ويسارية لفظية.

وكان قرار الفصل وراء تشكل مجموعات ليست قليلة من كوادر الحزب التي أخذت تتداول بطريقة سرية أفكاراً متطرفة قياساً بأطروحات البعث والحركات القومية الأخرى. ثم تدريجياً تطور أمرها ليصبح بعد استلام الحزب للسلطة في ٨ شباط ١٩٦٣ شكلاً تنظيمياً سرياً وقف على رأسه قيس السامرائي ووثاب السعدي ومحمد حسين رؤوف وحبيب الدوري وسعيد الرهيمي وطارق الدليمي (أبو زياد) وعبد الإله البياتي وعي حاسم السامرائي وهناء الشيباني وعبد الجبار محسن وفالح عبد الجبار. وشنت حملة اعتقالات ضده في أيار ١٩٦٣ إثر اعتقال فالح عبد الجبار وجبار محسن ومعهما نشرة للتنظيم موقعة باسم "لعيف من اليساريين" وأدى ذلك إلى اعتقال قيس ووثاب ورؤوف والدوري والبياتي وعي السامرائي من قبل قيادة الحرس القومي. وتضمنت النشرة نقد النظام فيما يتعلق بسياسة الملاحقة والتعذيب والسياسة الخارجية المتصادمة مع المعسكر الاشتراكي ونقد برنامج العمل الشعبي الذي ورد فيه "إن العمال والفلاحين حلفاء للثورة" فاعتبروا ذلك دليل على أن سلطة ٨ شباط ليست للعمال والفلاحين.

واستمرت فترة إنشاء تنظيم مستقل عن البعث حتى بعد سقوط سلطته في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وحينذاك تحول "الكادحين العرب" إلى "المنظمة العمالية الثورية" وانتمى إليها ونهض بها إضافة للسابقين: درع ظاهر السعد ومحمد عيد الطائي (الشهيد أبو يوسف) وعبد الحمداي (مسؤول البصرة، وقتل في عهد صدام حسين) ومحمود حياوي ومجيد السعيد وكامل مدحت وعبد الأمير معلقة.

بعدها ذابت المنظمة العمالية تدريجياً في صفوف الحزب الشيوعي العراقي بصورة مقصودة واستوعبت القيادة المركزية أكثريتهم وبينهم فالح ووثاب وحازم النعيمي وصباح نعمو وحيد جمعة وسعيد الرهيمي، وتركهم محمد عبد الطائي إلى حزب البعث الذي لم يكن قد ابتعد عنه أساساً، بل كانت المرحلة نفسها قلقه بحث خلالها البعثيون عن سبيل لاستعادة رص صفوفهم بعد شعورهم بخيانة البكر وعماش وبعض كبار القادة العسكريين لمصلحة عبد السلام عارف.

وكان أكثر جماعة الكادحين قد جاؤوا من تنظيمات بغداد وتأثروا بقراءات ماركسية وتروتسكية، وبشكل خاص بآراء ميشيل بابلو الذي زار العراق وكان سكرتيراً للألمية الرابعة ومقرها في باريس .

مراجع:

- [1] د. حامد البياتي، الوثائق السرية البريطانية، مرجع سابق.
- [2] حسن ودائي، مقابلة دمشق، صيف ١٩٩٥ .
- [3] د. سمير الخليل (كنعان مكية)، جمهورية الخوف، بيروت لبنان ١٩٩٠.

من الداخلية إلى الإرشاد

تخلّى علي صالح السعدي عن وزارة الداخلية فأضاف أعباؤها إلى جملة المهام الحكومية والحزبية التي اضطلع بها حازم جواد. وكان لذلك نتائج إيجابية محدودة، وأخرى سلبية كثيرة، كنا غافلين عنها، ولم ننتبه لها إلا بعد وقوعها.

واهم الجوانب الإيجابية كانت إيقاف منهج السعدي في إدارة متصرفيات الألوية، وتمكين حازم جواد الذي حل محله وزيراً للداخلية، من تعيين متصرفين جدد، تميزوا بقدرتهم على ضبط الشؤون الإدارية وإقامة علاقات معقولة بين السلطة والشعب.

أما الجوانب السلبية فكثيرة أهمها: إشغال حازم بمهام الداخلية، مما قلل من تركيزه على وزارته الأخرى، الأكثر خطورة "وزارة شؤون رئاسة الجمهورية" والتي كان يرصد ويوجه ويضبط من خلالها تصرفات وقرارات الرئيس عبد السلام محمد عارف، والحد من طموحه في مجالات كثيرة. كما اشغله عن دوره كأمين سر للحزب، ولم يكن أكثر البعثيين يعرفون حتى ذلك الحين أن حازم كان يدير إضافة لمهامه الوزارية، أمانة سر الحزب^(١).

والسلبية الثانية: هي حصول السعدي بخروجه من الداخلية إلى وزارة الإرشاد على فرصة وفراغ أكبر خصصه للحرس القومي، لتمكينه من أن يحل بصورة شبه تامة محل منظمات الحزب.

والسلبية الثالثة: وتتعلق بتصورنا الخاطئ عن هامشية وزارة الإرشاد، فقد رنا أن إعطاءها للسعدي إضعافاً له. لكنه اخذ الفرصة ليفعل ما يشاء. ولم نتابع ما كان يجري في وزارته من ترتيبات وتدبيرات، ولا إلى ما يقوله ويفعله مع خاصته. وأصبحنا نسمع من الإذاعة والصحف أخبار زيارته للمحافظات وتصريحاته المثيرة، بعد أن يكون الأذى قد حصل

١ — كان هناك اتفاق داخل القيادة القطرية قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ وهو إن كل قائد حزبي بدرجة عضو قيادة قطرية أو قومية، يتسلم منصباً وزارياً أو إدارياً رئيسياً في الدولة، عليه أن يتخلّى عن مسؤولياته الحزبية الرئيسية، دون أن يتخلّى عن عضويته في القيادة. وبما إن أمانة سر الحزب أعباؤها كثيرة، وإن علي السعدي أصبح نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، فقد تخلّى عنها إلى حازم جواد لقربه منه، وباعتباره العقل التنظيمي الثاني في مسيرة الحزب التنظيمية بعد سجن محسن الشيخ راضي، وبسبب ظروف ما بعد محاولة اغتيال قاسم في رأس القرية. لكن علي السعدي ظل يتصرف بل ويمارس دور أمين سر الحزب. ولم يكن حازم عندما أسندت إليه سوى واحد من أهم أفرع علي صالح السعدي.

وبلغ مداه. وكنت كوزير للخارجية أتلقى شكاوى من دول عديدة بسبب تصريحاته العدائية غير المسؤولة ضدها. وذروة السوء حصلت عندما أطلق جمال عبد الناصر في خطابه بمناسبة ٢٣ تموز ١٩٦٣ "عيد الوحدة المصرية السورية" علي صالح السعدي اسم (رجل الملذات)^(١).

حينها حاولنا التخفيف من غضب المصريين وغلواء علي السعدي، فطلبنا عن طريق السفارة المصرية تخفيف الهجوم الإعلامي ضده. وانبرت أنا، بتشجيع من حازم جواد للدفاع عنه. فأرسلت علي طارق عزيز الذي بدأ يكتب في جريدة الجمهورية مقالاً أسبوعياً بصفحة كاملة بإسم حديث الأربعاء، يحاكي فيه مقالة هيكل الأسبوعية الشهيرة (بصراحة) في الأهرام، ويعكس فيها وجهة نظر قيادة حزب البعث والحكومة العراقية في أحداث الساعة، وأملت عليه مقالة بصفحة كاملة دفاعاً عن السعدي، ونفي ما أشيع أو نسب إليه من سلوك مبتذل والإشادة بتاريخه القيادي ودوره النضالي.

نشر المقال في اليوم التالي وأذيع نصه بالراديو، ولم يعلم السعدي إلا بعد أن قرأه، وقيل له إن طالب شبيب أملاه علي طارق عزيز، فأبطل تلفونيا شاكراً وممتناً. ولا بد أن أذكر إن ما دفعني لكتابة المقال هو الرغبة في منع السعدي من الدفاع عن نفسه بنفسه، لأن دفاعه حينذاك سيتحول إلى هجوم، وسيذهب فيه بعيداً إلى عداوة اشد واكبر. ولكل فعل رد فعل اشد منه،

١ — قبل الكثير عن تصرفات علي السعدي خلال زيارته مع عمّاش وطالب إلى القاهرة وزياراته الأخرى خلال مباحثات الوحدة، وفي الحقيقة، لم يكن في تصرفاته ما يستدعي مثل ذلك النقد. فقد كرر في القاهرة ما كان يقوم بمثله في بغداد. فيستغل كل الفرص الممكنة ليتخلص من الالتزامات الرسمية ويذهب للاجتماع بأصدقائه من الطلبة العراقيين والعرب الدارسين في جامعة القاهرة وبمحاسنتهم في أماكنهم ومرافقتهم أحياناً إلى الملتون أو الشفيلد، ويدخل معهم في مناقشات مكشوفة يذيع خلالها ما يعتبره البعض أسراراً حكومية، ويستشهد بأراء عبد الناصر الواردة في المفاوضات المغلفة. خصوصاً آراءه المتعلقة بسياسته تجاه الاتحاد السوفيتي وحركة القوميين العرب والشيعيين ومستقبل العلاقات العراقية المصرية. وكانت المباحث المصرية تنقل لعبد الناصر يومياً آراء ومناقشات السعدي. لكن ذلك لم يكن شائناً، أو محالاً للابتزاز، ولا يصح بسببه وصف السعدي بالتسهل والتزاقية. واعتقد بأن وصف ناصر له برجل الملذات استهدف حرقه سياسياً بين صفوف البعثيين والقوميين العرب، وكان بمثابة إشارة خضراء لمن يرغب استبعاده عن السلطة. واعتقد إن معركة سوريا والعراق بالنسبة لعبد الناصر تجيز له استخدام تلك الوسائل، لأنها معركة لا حدود لخطرها، فأجاز استخدام وسائل غير مقبولة في معركة ليست عادية. أما علي السعدي نفسه فلم يكن رجلاً ملذات، بل شاب حيوي لا يجد حرجاً في ارتياد أماكن لم يعتد ارتيادها المسؤولون الحكوميون. وعندما تعرفت شخصياً على الشبيب والفكيكي والعزاوي والشيخ راضي والدوري وغيرهم، لم أجدهم يختلفون عن السعدي كثيراً. وفوق ذلك فقد تميز بحس اجتماعي طبقي خاص، دفعه إلى الظهور بمظهر "ابن البلد البسيط والشجاع، الذي يتصرف بلا عقد"^[1].

ويذكر إن ناصر قال عنه قبل الخلافات في رسالة كتبها إلى المشير عامر في اليمن ويقول فيها: "السعدي أمين عام حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو صريح ومغرور، كان في السجن وقت قيام الثورة، وأظن أنك لاحظت انه لم يذكر في خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلياً، كما تجاهله في المحادثات، ولكن انطباعي عنه انه وطني مخلص"^[2].

وهكذا سنضع مسيرة النضال العربية في مهب رياح التصريحات المصرية وردود علي الفوضوية. السلبية الرابعة: وكانت خسارة الدولة للجهاز الإعلامي بكامله بسبب إهمال علي التام لوزارته.

وعلى سبيل المثال: في أحد الأيام وقبل ذهابي لاجتماع مجلس قيادة الثورة شاهدت التلفزيون يعرض فيلماً عن الحرب الكورية ويعكس وجهة النظر الأمريكية. وعند الاستعلام فهمت انه واحد من سلسلة أفلام تصل إلى المديرية العامة للإذاعة والتلفزيون كهدية من مصلحة الاستعلامات الأمريكية ويثنها تلفزيون بغداد بصورة منتظمة دون تدقيق أو رقابة.

وحسب تقديري فإن أحداً لم ير تلك الأفلام، لا الوزير ولا المدير العام للإذاعة والتلفزيون. وعند التمام مجلس قيادة الثورة في نفس اليوم، وكان السعدي حاضراً، سألته عما إذا كان مطلعاً على ما يثنها تلفزيون بغداد؟ وما إذا كنا نقبض ثمناً مقابل ما نذيعه من دعاية لمصلحة مكتب الاستعلامات الأمريكي؟ فسألني باستغراب: وماذا رأيت؟ قلت: دعاية أمريكية رسمية تبرر حربها ضد كوريا، وتهاجم الصين التي أيدت نظامنا الجديد. كما ليس لدينا أية مشاكل مع كوريا الشمالية التي لديها تمثيل قنصلي في العراق، ولنا بحاجة لمشكلات.

فقال السعدي: لا علم لي بذلك. فأجبت: إذا كنت وزيراً للإرشاد ومدير العام عبد الستار الدوري وهو من قيادي الصف الأول في الحزب وعضو قيادة فرع بغداد، ومررت عليكم هذه الأمور الخطيرة، فذلك يعني إننا فاقدين للجهاز الإعلام وهو أخطر أجهزة الدولة. وتمثلت بقول الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة اعظم

لذلك أكرر إن نقل علي من الداخلية ضيع علينا الإعلام، وأعطاه الحرية الكاملة، وحرره من الواجهات الرسمية. ولم يكن يرغب بأكثر من ذلك^(١).

كان يقضي نصف وقته في سوريا، والنصف الآخر في العراق، وقلما تجده في وزارته عندما تسعى إليه. ولا يمكن إن تلتقيه إلا محاطاً بثلة من زملاء الصف، يترددون عليه ويقضي وقته معهم في المجالس والأمكنة العامة، يتناقشون بأصوات عالية في شؤون الدولة في مجالس مفتوحة يستطيع كل شخص أن يلتحق بها ليستمع إلى أدق الأسرار.

١ — وفي لندن عام ١٩٩٨ عندما سألت الأستاذ عبد الستار الدوري الذي كان حينها مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون عن الأمر. أجاب: بأن عرض تلك الأفلام في تلفزيون بغداد كان تقصيراً وإهمالاً، وإذا كنا نبحث عن المسؤول فإن وزير الخارجية طالب شبيب هو أول من يتحمل تلك المسؤولية، لأن السفارات لا ترسل كما هو معروف هداياها أو إرسالاتها إلى دوائر الدولة إلا عبر وزارة الخارجية، التي تطلع عليها ثم تأمر بتوزيعها على الدوائر المحلية كل بحسب اختصاصه[3].

طريقة خذ ولا تسأل ١١

وكما قلنا ينشغل السعدي بخاصته أكثر من اجتماعات القيادة القطرية للحزب ومجلس الثورة. أما اجتماعات مجلس الوزراء فكان إذا حضر يتدخل بشؤون الوزارات، ويعطي رأيه بما يعنيه وبما لا يعنيه. وبما يعرف وما لا يعرف عنه شيئاً، إلى درجة أن الوزراء بدأوا يتساءلون بعد كل جلسة، فيما إذا كان ما يقوله السعدي هو أوامر وقرارات صادرة عن القيادة القطرية أم هو رأيه الشخصي؟ ويلحون بأسئلتهم أكثر عندما يكون حديثه أو تدخله أكثر بعداً عن الواقع والمنطق وعن قابلية التنفيذ.

ولذلك لم تكن المشكلة التي عانينا منها في ١٩٦٣ تعبيراً عن خلافات رأي بين مجموعة "حازم وطالب" من جهة، وعلي السعدي ومن إلتف حوله فيما بعد من جهة أخرى، ولم تكن تلك صورة حقيقية لما حصل في أروقة السلطة.

المشكلة كانت باختصار أزمة علي في السلطة ١١ وظهرت منذ الأيام الأولى لنجاح الثورة عندما تصور كثيرون أنه الرجل الوحيد القوي في الدولة والسلطة، مما عزز شعوره بالقوة ودفعه إلى التصرف بعدم تحرز، وعدم التشاور عندما يتخذ قرارات مهمة، رغم إن المكتب السياسي للحزب كان يجتمع كل يوم في مقر المجلس الوطني لقيادة الثورة الذي كان سابقاً مقراً لمجلس السيادة و (قصر الرحاب) أو القصر الملكي.

وكنا بين حين وآخر نسمع من الإذاعة أو من آخرين صدور أوامر منه، تتعلق بإطلاق سراح أو اعتقالات وتعيينات هامة جداً في وزارته، دون عرضها على القيادة أو مجلس الوزراء، وعموماً فقد كان ما يقوم به خارج دوامه الرسمي لا يبعث على الرضا ولا يليق بمكانته الحزبية والحكومية، ولم يكن تصرفه يمت إلى فكر سياسي معين أو إيديولوجيا خاصة، وإنما سلوك خاص وتصرفات أثبتت لكل الذين شاركوا في السلطة، بعثيين وغير بعثيين، فوضويته غير المحدودة. حتى الأستاذ ناجي طالب وكان إنساناً مطلعاً، دمثاً وحريصاً، قد تحسس من حالته ونصحنا أن لا تكون هذه هي الطريقة التي سيستقر الحزب على انتهاجها مستقبلاً في حكمه. لأنها ستهدد البلاد والحزب بنتائج خطيرة جداً ومن الواجب الحد من التصرفات الشخصية. ولم يكن ناجي طالب متحاملاً ضد علي السعدي، كما لم يعرف عنه التحامل على أحد.

ربما يعتقد من يسمعي: اني متحامل، ورغم ذلك لا أستطيع أن امنع نفسي من القول إن علي تمتع بسمات انفعالية وعاطفية حادة تجعله لا يصلح للسلطة ولا يحترمها ولا يقدر المسؤوليات التي تنجم عن كل تصرف أو تصريح يصدر عن المسؤول. فكان وهو في السلطة اقل إلزاماً ومسؤولية منه قبل استلامها. وهذه كانت مفاجأة مأساوية ستؤدي إلى نهاية ثورة رمضان.

فوق ذلك لم يكف عن توجيه الإهانات المباشرة وغير المباشرة لبعض المسؤولين وكبار العسكريين، كوزير الدفاع صالح مهدي عماش الذي يصفه بالجبان المثير للإحباط، ويقول له بوجهه: "أن الثورة ما كانت ستنجح لولا دخولك السجن". وقد حصلت يوماً مشادة شخصية بين علي وعماش في مكتب حازم جواد كادت أن تصل إلى الضرب بالأيدي عندما قال علي لصالح عماش: أنت جبان ومتقاعس وإن الثورة أنعمت عليك بمنصب وزير للدفاع ورتبة فريق بعد أن كنت مقدماً، وأنت لا تستحق ذلك.

كان يوجه الإهانات بدرجة أقل إلى رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف، ويقول أنه شخص ليس بذي قيمة، وأنه (أي السعدي) الذي اختاره وفضله على ناجي طالب رئيساً شكلياً للجمهورية. ويظل يردد: إن عبد الكريم قاسم سرق من عبد السلام ثورته ولن نسمح له بسرقة ثورتنا. وذلك كله يصل إلى أسماع المسؤولين وعبد السلام عارف نفسه.

أوجدت تصرفاته حاجزاً بيننا. ودون اتفاق مسبق جمع بيننا أنا وحازم نفس الرأي في سلوك علي الذي لا يليق بمسؤول حكومي كبير. ولم يتدخل في وحدة موقفنا أي شأن شخصي. فقد كنت أكره للسعدي حباً واحتراماً كبيراً، ونظر إليه حازم نفس النظرة. وحاولنا نصحه لكنه لم يتوقف، وظل يسافر إلى الأولوية دون إخطار القيادة. فثبت خطباته ونفاهاً بها من الإذاعة. وأذكر مرة في خطاب ألقاه في مدينة الموصل أنه طالب الجماهير أن تزحف لسحق ذوي الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء. وغير تلك من الصيحات الغوغائية التي تنطلق عادة من أشخاص لا يريدون إقامة الدولة، وإنما من معارضة تريد إسقاطها.

ومن مكتب حازم جواد اتصلنا به فوراً بالموصل. وتحدث إليه حازم وبعد أخذ ورد أخذت السماعه وقلت له: يا علي إذا أردت أن تبطش بذوي الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء فعليك أن تبدأ بنفسك، لأنك الوحيد في قيادة البعث وجهك أحمر وكرشك منتفخ ما شاء الله. يا علي أنت نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وعضو بارز في قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة. وبإمكانك إصدار الأوامر إلى الأجهزة المختصة لاتخاذ إجراءات تجدها مناسبة وضرورية دون الحاجة إلى تكليف الجماهير وتحريضها لتحقيق لك رغباتك. وانتبه إلى أنك جزء من قيادة الثورة، ولست قائدها. وكررت عليه: أنك جزء من قيادة الثورة ولست المسؤول الوحيد فيها، ولم تعد أميناً للسرا. وقلت: إذا كنت ترى أهمية أي أمر فعليك أن تحضر الاجتماعات لتتشارع وتتفق وتتصرف بعدها حسب خطة مدروسة وليست فوضوية. وسألته: من هم أصحاب الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء الذين تود القضاء عليهم؟ حدد أسماءهم وأماكنهم وأخطارهم لنفتح لائحة بهم ونقرر رسمياً شيئاً بحقهم حسب القوانين، لأننا لسنا معارضة، بل حكام للدولة. وختمت حديثي قائلاً له: أنك تبوأ منصباً لا تستحقه

وان تصرفك هو تصرف غوغائي. فأجاب بصوت هادئ : أرجوك يا طالب لا تكن قاسياً عليّ، فهذه تجربة جديدة علينا جميعاً، وكل إنسان يخطئ^(١).

وترادف خطاب السعدي في الموصل مع استفهامات وردتنا من معظم متصرفي الألوية (المحافظات) حول برقية أرسلها كوزير للداخلية يطلب فيها من جميع المتصرفين عدم استقبال الوجهاء في مكاتبهم، وحثهم على وضعهم بالسجون والمواقف بدلاً من معاملتهم باحترام.

وشكا المتصرفون بأن تلك التعليمات ستدفع العامة والعمال والفلاحين إلى الاعتداء على الناس. وقالوا بأنهم يشعرون بالحيرة عندما يأتيهم شخص معتدى عليه مشتكياً، فهل يسعفونه وينصفونه أم يضعونه بالسجن لأنه وجيه ؟. واستفهم آخرون بسخرية مريرة: كيف سنعيز بين الوجيه وغيره ؟ . وكان جميع المتصرفين بعثيين معروفين ويتصلون بحازم جواد باعتباره أميناً للسر.

أما احمد حسن البكر فقد شعر أن علي السعدي رفعه ووضعه على الرف، فقد كان رئيساً للوزراء في حين يصرح السعدي بأسم الحكومة ويقرر أشياء كثيرة دون علمه ومعرفته، لذلك فقد هدد بالاستقالة مرات عديدة مبرراً ذلك بأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية الفوضى والتجاوزات أمام ضميره وأمام الناس. وقد قال مرةً وبالحرف الواحد، وسمعت ذلك منه مباشرة : في الأيام الأولى للثورة كان الناس يحيوني بما فيهم جلاس المقاهي والمارة. أما الآن فإنهم ينظرون إلي بكراهية وتجهم حيث صرت أتفادى نظراتهم واكره الخروج بسيارة رئاسة مجلس الوزراء المعروفة من رقمها الخاص.

مشاكل خارج البعث

لم نكن وحدنا نشتكي من السعدي، بل اشتكى منه عضوا القيادة محسن الشيخ راضي وحمد عبد المجيد، فضلاً عن أعضاء في القيادة القومية عند زيارتهم للعراق. فقد نصحونا بعدم التصرف كمعارضة، بل كرجال دولة، وبالاتعاد - جهد الإمكان - عن المنتديات الصاخبة.

١ - أكد ذلك أيضاً اللواء الركن عبد الكريم فرحان في كتابه حصاد ثورة قاتلاً ما معناه إن علي صالح السعدي بعد استقباله في مطار الموصل من قبله وبقية المسؤولين ورؤساء الدوائر والزعماء الأكراد والشيوخ والوجهاء، تركهم وذهب إلى حيث حَمَلَةُ أفراد الحرس القومي على أكتافهم وانطلقوا به باتجاه المدينة. وكان السرور بادياً على وجهه وهو يردد معهم شعارات حزب البعث. وأضاف عبد الكريم فرحان في نفس الصفحة من كتابه : " وقد علمت باللقاء الوزير (السعدي) كلمة مرتجلة في الجماهير هاجم فيها الرجعية والإقطاع وأعداء الثورة، وطالب بسحقهم حتى العظام "[4].

وبدلاً من ان يلتزم السعدي بذلك فقد تجاوز في إهاناته حدود البعث إلى ممثلي الفئات السياسية الأخرى، لاسيما القوميين الذين اتهمهم بالجن، في الوقت الذي كنا فيه نبذل جهوداً لجمعهم حولنا في إطار سياسي أوسع من إطار الحزب، مثلما كنا قد جمعناهم بنجاح في فترة سابقة قبل الثورة في (التجمع القومي) الذي ضم حزب البعث وحزب الاستقلال وحركة القوميين العرب وغيرهم. لكن السعدي لم يحسب للقوميين حساباً ولم يعطهم اعتباراً، واعتقد بعدم إمكانية جمعهم على منافسة البعث.

وفي الحقيقة فقد كان لجميع البعثيين وهم خارج السلطة أسلوب يتسم بالتعبير عن الثقة بالنفس والاستعداد للمنافسة. غير ان هناك فارقاً كبيراً بين طريقة تفكير الحزب وهو في المعارضة وطريقة تفكيره وهو على رأس هرم السلطة وقيادتها. لذلك فقد كان تسفيه أعضاء أساسيين في التيار القومي ليس في مصلحة الحزب. واعتقد انه كان من الأفضل للسعدي أن يُقَصِّر نقده للقوميين على موقفهم التأمري ضد سلطة البعث بدلاً من الشتيمة والاستخفاف، خصوصاً انه كان يقود حزبا حاكماً يأمل في توحيد القوى القومية وبناء تيارها القوي القادر على إقامة الوحدة المنشودة.

لم يقتصر الأمر على التدخلات الإدارية ومشاكسة القوميين، بل لجأ السعدي إلى الصحافة فقد كان يملأها بتصريحات حول الشؤون السياسية الدولية. ويحاور من خلالها الماركسية والشيوعية المحلية والعالمية. كما كان يتكلم عن كمال جن بلاط وأمور أخرى كثيرة بطريقة (خذ ولا تسأل!!)، وكأنني الآن أتخيله قد قضى حياته في نضال سري بين الأوكار والمتعقلات صامتاً وفمه مغلقاً، وفجأة وجد نفسه حراً وقد زالت كل القيود، فتحول مثل طفل صغير وسط مخزن ألعاب كبير، لا يدري اية لعبة يختار ويلعب! .

كما أثار إشكاليات كثيرة منها أنه أعاب على الوزراء لأنهم كانوا قد سمحوا لسائقهم أن يفتحوا لهم أبواب سياراتهم. حيث كانت العادة الرسمية أن يجري إبلاغ السائق والبواب بخروج الوزير ليكون متأهباً وباب سيارته مفتوحاً استعداداً للانطلاق. أما السعدي فكان يهين السائق ويشتمه إذا ما همّ وفتح له الباب. وكان يعتبر ذلك غير داخل ضمن وظيفة السائق. وكان يرى ان منع السائق من ذلك العمل هو سمة من سمات تواضع المسؤولين وثورتهم وشعبيتهم. وقد أثار ذلك سواق السيارات أنفسهم، فاشتكوا لأنهم ما عادوا يعرفون ما هو واجبهم.

ولذلك اكرر ان الأزمة كانت أزمة علي في السلطة. ولم يكن خلافاً معه عقائدياً، بل كان أزمة أسلوب وسلوك يتنافس فيهما العقلاني مع العاطفي. ولم يكن بين حازم وعلي أي تنافس على مستوى الخصال وتبادل الأدوار. وكل ما في الأمر ان حازم جواد كان يعرف جيداً ويفهم

دوافع ونقائص السعدي، ولم يشأ ان يأخذ أياً منها له فقد كان يبذل جهداً كبيراً لبناء علي وجعله متماسكاً. وكنا جميعاً نفعل ذلك ونقوم بالتعويض عنه وبناء دوره طوال فترة العمل السري. وكل من يعرف الأوضاع الداخلية لقيادة الحزب وأعمالها يعرف ان علي صالح السعدي تغيب طوال الأشهر الثلاثة التي سبقت الثورة، ولم يبق إلا بتلك الأعمال التي طلب منه القيام بها بسبب انشغاله بشؤون خطبته وزواجه^(١).

سؤال: زار السعدي النجف وكربلاء والكاظمية ومناطق عراقية كثيرة ولم يصدر عنه ما يوحي بعصبية مرضية أو مذهبية معينة. ولم يظهري منه ما يدل على موقف منحاز من المظاهر الاجتماعية أو الدينية لأسباب تتعلق بمصالح سياسية ضيقة. فلماذا فجرتم بوجهه ما أوحى برغبته في منع طقوس إسلامية شعبية؟

طالب شبيب: ان اخطر مبادرات علي السعدي الفردية كان عقده مؤتمراً لمتصرفي الألوية المختصة وإبلاغهم بأوامره. يمنع الطقوس الإسلامية السنوية التي يمارسها المواطنون في عاشوراء بمناسبة مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أو بمناسبات دينية أخرى. وإجازته استخدام القوة ضد ما اسماء (بالرجعية). فقد كان ذلك قراراً غير مدروس وغير مستوعب ويضر بالتقاليد كما يضر بعلاقة السلطة بالمتجمع، إضافة إلى انه أمر لا يدخل ضمن اختصاصات وزارته.

١ — ربما يحق لشبيب ان يقول ذلك عن الأيام القليلة السابقة لحركة ٨ شباط، أي المرحلة التنفيذية الأخيرة من الحركة. غير ان السعدي كان قد ساهم في بناء تلك القوة والروحية العالية التي خططت ونفذت ١٤ رمضان، حيث انه لم يكن كأي عضو في القيادة بل كان رائداً ومبادراً وقائداً أولاً ومباشراً في كل شيء. فقد أعطى بطريقته الحبيبة شبه الفوضوية شعوراً بالثقة والقوة، وامتلك أسلوباً خاصاً في كسب الأصدقاء وإدخالهم في الحزب، ولا شك ان شجاعته كانت أول خصاله. وبشيء من التدقيق نجد انه قد استلم أمانة سر الحزب بعد تمزقه شبه التام الذي تلا محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، فقد كان الحزب موزعاً بين سجين ومختفى وهارب إلى سوريا، فقاد فريقاً قيادياً متكوناً منه وحازم وعحسن وطالب وكريم والخيزران وحديد، ولم يكن في تلك القيادة الشابة منافس له. فقد أعاد هولاء بناء الحزب وثبتوا أقدامه عسكرياً ومدنياً وفاجأوا العراقيين والعرب بنجاحهم.

كان السعدي هو البادئ في بناء نواة المكتب العسكري، وهو الذي أوعز لعلاء الدين الجنابي بالمشاركة في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تحت قيادة عبد الكريم قاسم. ثم طور المكتب العسكري وأصبح مسؤوله المباشر حتى إسقاط النظام. وهو الذي اقترح حضور طالب وحازم اجتماعاته ليعطيه الصفة السياسية والعسكرية. وهو الذي قام بكسب أهم الضباط مثل البكر عندما أمضى معه فترة في السجن ومعلوم انه لا يمكن تخيل نجاح الحلف الذي اسقط قاسم بدون شخصية البكر. وكان السعدي حتى يوم ٤ شباط (حينما اعتقل) المسؤول المباشر عن كتيبة الدبابات الرابعة وتنظيم القوة الجوية، وهو الذي خطط لاختراق الكتيبة الرابعة واقترحها مركزاً لعملية الحزب العسكرية. وكان القائد الفعلي (الرمز) لفرع بغداد الذي قاد إضراب البنزين والطلبية ومسيرة استقبال بن بلة. وظلت قيادة الفرع مغلصة له حتى بعد تفجر الخلاف البعثي — البعثي.

وأستطيع التأكيد ان السعدي لم يكن يقصد بموقفه هذا الإساءة إلى طائفة أو مذهب إسلامي بعينه، ولم يصدر عن خلفية طائفية، بل كان قد فكر بطريقة (ثورية) متسريعة. ولم يكن السعدي وحده يفكر حينذاك بهذه الطريقة، بل يجاريه أكثر السياسيين العراقيين المتأثرين بموجة (ثورية) عالمية طاغية.

لكن ذلك لا يبرر موقفه في أمر يُعدُّ من أخطر شؤون الدولة العليا، ولا يحقُّ لوزير أو ايئة وزارة معينة التصرف به، بل لا يحقُّ ذلك لأي مسؤول بمفرده، مهما كان مركزه. وقد فوجئنا بذلك وتوترت أعصابنا خصوصاً وانا اكتشفنا الأمر بمحض الصدفة^(١). ولم يكن ذلك من الأمور التي يمكن السكوت عليها أو التي نستطيع التسامح فيها. لان اللعب بمثل هذه القضية يعادل التآمر على وحدة الشعب كله.

ولو كنا متآمرين على السعدي وجماعته، كما يرى البعض، لتركناهم ينفذون قراراتهم المسيئة واللامبالية التي كانت ستسبب حتماً أحداثاً ومذابح يعلم الله وحده نتائجها، ولأعطى ذلك الفرصة الأكيدة لإقصائه نهائياً بحيث لا تقوم له قائمة. وفي الحقيقة فقد كنا قادرين بكل بساطة حتى بدون ذلك ان نعالج أمر طرده من كل مناصبه الحكومية بدلاً من إبعاده عن وزارة الداخلية فقط. لكننا لم نكن نرغب في التسامح معه لان تعليماته بشأن عاشوراء كانت (القشة التي قصمت ظهر البعير) والتي نفدَّ معها صبرنا وصبر الكثير من القيادات العسكرية وقيادات الحركات السياسية المشاركة لنا في المسؤولية. وكان إصرارنا على معاقبته يتأكد

١ - لواء كربلاء يضم كلاً من مدينة كربلاء والنجف والكوفة وفيها مرقد الإمام الحسين والإمام علي ومسلم بن عقيل عليهم السلام. وقد روى لي حسن وداي متصرف (محافظ) اللواء المذكور انه ذهب بعد انفضاض الاجتماع إلى مكتب حازم جواد بمقره القديم كوزير دولة لشؤون الرئاسة في قصر الرحاب لإخباره برغبته بالسفر إلى لبنان. وعندما قال له حازم: كيف ذلك وشهر محرم على الأبواب ؟ ولا يمكن ترك لواء كربلاء في مثل هذه الأيام، أجاب: ان أيام النضال انتهت، وأشعر بالتعب.

اتصل حازم بطالب فحضر، وتحدثنا مع وداي الذي اعترف بما دار في اجتماع متصرفي الألوية مع وزير الداخلية (السعدي). وقال وداي: بدلاً من عودتي لكربلاء لتنفيذ التعليمات الجديدة، قررت عدم العودة والاستقالة لعدم قدرتي على تنفيذ ما تقرر بحضور السعدي ومدير الأمن العام جميل صبري البياتي ومدير الشرطة العام أحمد أمين محمود (وكان ضابط شرطة صغيراً رفع إلى رتبة زعيم) ومدير الداخلية العام علاء الدين البكري (وكان محققاً عدلياً بسيطاً). وهؤلاء هم الذين قرروا منع ممارسة الطقوس الدينية المعتادة في عاشوراء ومنع العزوات، وقد أبلغونا ان نقوم بإخبار علماء الدين والخطباء ان يقوموا بمدح الدولة كلما صعدوا المنابر الحسينية والقوا خطباً. وبدوري أرى ان هذا مستحيل ولا أستطيع تنفيذه. فوقف شبيب وقال سأذهب للبكر للتداول، ثم انتقل الثلاثة حيث البكر. وبعد التداول اتفق حازم والبكر وطالب على ان قرار المنع هذا ليس من صلاحية وزارة الداخلية ولا يت فيه إلا من قبل مجلس قيادة الثورة. ثم احسروا حسن وداي ان ينتظر في بغداد إلى اليوم التالي. ومساء نفس اليوم تم إقصاء السعدي من وزارة الداخلية. وأخبر وداي تلفوياً من قبل طالب بأنه يستطيع الآن السفر إلى كربلاء[5].

بشكل خاص عندما تتخيل الهيجان الشعبي الذي لم تكن مهئين لمواجهة ١١.

ان أمر تنظيم الطقوس وممارستها يحتاج إلى هيئة أكبر بكثير من ان يذهب علي صالح السعدي إلى بيت صديقه علاء الدين البكري المعين مديراً عاماً لديوان وزارة الداخلية، فيخرج منه بأمر لا يعرف نتائجه، في حالة تطبيقه، إلا مَنْ عاش في مدن النجف و كربلاء والحلة والديوانية والناصرية والبصرة والعمارة وسائر مدن وقصبات وسط العراق وجنوبه.

سؤال : هل كان علي السعدي متأثراً بموجة اليسار التي اكتسحت العالم، فسعى منسجماً معها ومع ميوله الخاصة المتطرفة ليقبل من التزامه بطقوس الدولة الرسمية وشكلياتها ؟ وهل كان ذلك سبباً لعدم هضمه أو تمثله لشخصية وهندام الموظف الحكومي التي لم يرغب بها، وفي قضائه أوقاتاً طويلة مع أصدقائه في الأحياء الشعبية حيث كان يجالس أصنافاً ومستويات من الناس مختلفة وأحياناً ارتياد المطاعم الشعبية الليلية ؟ رغم إني، كمتتبع لحياة السعدي، لا أرى ان سلوكه كان مبتدلاً، بل انه كان قد أنجز أعمالاً مهمة باستمرار بما في ذلك الجوانب الأساسية من عناصر خطة رمضان ١٩٦٣.

طالب شبيب : ربما ولكن ليس إلى الحد الذي ذهب هو إليه. فقد كان كاسترو يخطب بالجماهير ست ساعات ويجبر مواطنيه على سماعه، كما يقوم بأشياء كثيرة متطرفة أخرى، غير انه لا يذهب إلى خمارات هافانا ليقضي فيها ليلاته، بل يركز اهتمامه على قضايا وشؤون دولته.

لذلك أقول اعطني أي مسؤول آخر غير علي صالح السعدي تقع السلطة كلها بين يديه، لكنه يخرج منها ويحاول قيادتها من خارجها. فليس هناك أسوأ من سلوك خروتشيف عندما ضرب بجذائه منصة الأمم المتحدة. وقد أخرجه ذاك من قيادة دولته لعدم لياقته. وصارت تلك الحادثة أمثلة، بل أضحوكة ١١ . فلماذا أساساً نحتذي بما هو سلمي وفوضوي من تصرفات القادة المتمردين ؟ .

سؤال : هل كان ميشيل عفلق يفضل سقوط حكم الحزب في العراق على ان يستمر علي صالح السعدي على رأسه ؟

طالب شبيب : لا أظن ذلك، أو لم يرد ذلك ولم يبحث. وحسب ما أرى فانه لم يرد في ذهن عفلق مثل هذا الأمر. حتى ان تغيير أمانة السر من علي إلى حازم لم تُستشر به القيادة

القومية، بل كان تدبيراً حزبياً داخلياً، اتفقنا عليه قبل سنتين من الثورة. وكانت خلفيته تستند إلى تجربة فؤاد الركابي الذي كان انشط أمين للسر، لكنه فقد فعاليتيه عندما عين وزيراً في حكومة عبد الكريم قاسم الأولى اثر ثورة تموز ١٩٥٨، فأنشغل وقصر في أدائه الحزبي، فقررنا تجنب تكرار تلك التجربة.

مراجع:

- [1] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، صفحة ١٠٨.
- [2] محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨.
- [3] مقابلة مع عبد الستار الدوري في لندن ١٩٩٨.
- [4] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، صفحة ٨٣.
- [5] مقابلة مع حسن الحاج وداي، دمشق، ١٩٩٥.

الخلاف ينتقل داخل الحزب

لم تكن الخلافات بمجد ذاتها أمراً خطيراً، إذ غالباً ما يحصل تباين في آراء السياسيين، حتى داخل الحزب أو الهيئة الواحدة. لكن اخطر ظاهرة واجهتنا هي وجود جيشين متقابلين في دولة واحدة، هما قوات الحرس القومي والجيش النظامي وكل طرف يقف بجاهزية مادية واستعداد نفسي تام، ضد الطرف الآخر.

وفي سياق البحث عن حل يمنع حصول ازمة أو مواجهة، اعتقدنا ان بقاء بعض أعضاء القيادة القطرية والملحقين بها دون مناصب حكومية هو الذي يقف وراء التجاوزات المعرّلة لاعمال الدولة والتي بدأت منذ اليوم الأول للثورة. فاقترحنا تسمية جميع أعضاء القطرية أعضاء في المجلس الوطني لقيادة الثورة، رغم معارضة عبد السلام عارف واحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وصالح مهدي عماش الشديدة، لكن معارضتهم لم تكن لها أهمية أمام رأي الحزب. فدخل المجلس محسن الشيخ راضي وحدي عبد المجيد وكريم شتاف وهاني الفكيكي وسعدون حمادي، مع حق استدعاء من نشاء من قيادة فرع بغداد حسب الحاجة والاختصاص، واتذكر ان بينهم كان د. فائق البزاز. لكن هذا الاجراء لم يغير واقع الحال.

سهولة ادارة الفوضى

أدت الفوضى إلى انشقاق في القوة . . فوجدنا انفسنا أنا وحازم جواد وسط مركز وعمور يلتف حوله الضباط البعثيون تعبيراً عن استيائهم وفقدان ثقتهم بعلي صالح السعدي الذي سبق وان كانت لهم علاقة طيبة به. وقد تسرب فقدان الثقة حتى إلى الضباط المحبين له، الذين رأوا فيه بطلهم.

قام هذا التكتل وصار واقعياً دون رغبتنا ليقف مقابل الكتلة الأخرى التي تكونت منذ اشهر. وانظم إلينا فضلاً عن الضباط، كوادر حزيون مدنيون، وموظفون كبار في الدولة، تمحوروا حولنا بصورة تلقائية ودون اتفاق مسبق، تعبيراً عن ردة فعلهم على التحريض الذي يقوم به علي السعدي ضد مؤسسات الدولة والسلطة. وكان ذلك مبرراً كافياً لقيام اتحاد عريض غير

معلن، يرفض الممارسات الفوضوية. وعندما فوجئ السعدي بوجود جهة قوية تتصدى لنزعاته، لا سيما في صفوف الجيش والشرطة، لم يعر بل استمر يهاجم القادة الحكوميين ويهدد النظام من جذوره.

وأخذت جماعة السعدي تضم إلى صفوفها كل الحزبيين الراغبين في الحصول على مراكز في السلطة. في حين إختار هو مؤسسة الحرس القومي لتكون اداته لتحقيق توزيع السلطة الجديد. وحلت اللقاءات في مقرات الحرس القومي محل الاجتماعات والندوات الحزبية الرسمية.

وقبل هذا التطور، كنا على درجة من الثقة بالنفس تكفي لأن نتجاهل الدعوات الصريحة للتكتل والتحريض، ولنستبعد فكرة تشكيل تكتل مضاد آخر. لكن تكرر التجاوزات والفضائح جعلنا محوراً يلتف حوله أكثر الكوادر العقلانية وجميع المتضررين من الممارسات العشوائية.

وبعد اتضاح ملامح الانشقاق، عُقد في داري اجتماع للقيادة القطرية حضره علي السعدي وحازم جواد ومحسن الشيخ راضي وحמיד خلخال وكریم شنتاف وانا. وكان العضو الوحيد المتغيب هو حمدي عبد المجيد المنتدب إلى العمل الحزبي في سوريا. ولم يكن احمد حسن البكر حتى ذلك الوقت عضواً في القيادة القطرية للبعث.

في ذلك الاجتماع قلنا : ان مصدر جميع الخلافات يعود إلى ازدواجية السلطة. وهو امر يمكن دراسته، ووضع الحلول القانونية له. خصوصاً وان السلطة بكاملها بين ايدينا، ولا ينازعنا فيها احد. فسيطرنا على مجلس قيادة الثورة وهو السلطة التشريعية كاملة، لا يقرر مجلس الوزراء شيئاً قبل ان يأخذ رأي قيادة الحزب وهو سلطة البلاد التنفيذية. اما الجيش فمازال لا يأخذ أوامره من غير قياداته الحزبية، حتى لو كانت صادرة من مجلس الثورة أو رئاسة الجمهورية. فالقوات المسلحة (جيش وسلطة واستخبارات) ملتزمة ومنضبطة، ويسيطر ضباط بعثيون على كل مرافقها العامة. فضلاً عن وجود جهاز شعبي شبه عسكري ينضوي بكامله في مؤسسة الحرس القومي وكل المؤسسات التي ذكرناها مطبوعة بصورة مطلقة، فيما لو كانت القيادة القطرية متفقة.

وقلنا ان سيطرة الحزب مطلقة ولا توجد قيادة للحزب غيرنا فلماذا لانقضي على الازدواجية الخطيرة بجعل جيش البلاد واحداً، ومنع الحرس القومي من القيام بدور الشرطة. وإذا نجحنا في ذلك فستكون لدينا سياسة واحدة ورأي واحد، يصدر عن القيادة الحزبية ويشعره مجلس الثورة، وينفذه مجلس الوزراء ومتصرفو الألوية. وبذلك تنتهي الفوضى والفوضوية التي تشل الآن مرافق الدولة.

ومنذ البداية تحدث علي صالح السعدي قائلاً : قبل الثورة كنا نلتقي هنا في بيت طالب

شبيب كل امسية تقريباً، نقرر كل شيء ونحل كل المشاكل، ومنذ وصولنا للسلطة أصبحت لقاءاتنا الشخصية قليلة وأصبحنا لا نلتقي إلا في اجتماعات نصطدم فيها أحياناً بسبب تناقض آرائنا الشخصية حول بعض القرارات، وأرى ان نعيد الحياة إلى تلك اللقاءات.

اجبته: اننا الآن على رأس دولة مهمة، ولها متطلبات كثيرة وخطيرة. وان المشكلة اكبر بكثير، وتوجد خطوط من الخلاف، ويجب علينا القيام بإجراءات متوازنة، تتناسب مع الرغبة في إزالة عوامل التناقض. فالقضية ليست محبة وود شخصي ومزاج وجلسات ولقاءات بل شيء آخر أكثر أهمية رغم إقرارنا بأهمية الصداقة والمحبة التي ما زالت تملأ قلبي ولا اعتقد انها زالت من قلوب الآخرين.

وقلت : إذا لم نتمكن من القضاء على الإزدواجية، فالامر الوحيد المتبقي هو الاحتكام ديمقراطياً إلى رأي الحزب بدعوة مؤتمره القطري قبل موعده. وطالبت بدعوة المؤتمر القطري للإجتماع في مدة اقصاها شهر واحد فوافق الجميع على الاقتراح.

تغيير الامين القطري للحزب

وقبل نهاية الاجتماع إلتفت علي صالح السعدي وقال : يا طالب، قبل الثورة كنت انت من المصيرين على أن أمين السر يجب ان لا يتولى وزارة تنفيذية هامة. وبحكم الواقع يقوم حازم جواد بمهام وزارتين هما الداخلية ووزارة الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية وكلاهما وزارة مهمة وخطيرة . وهناك تناقض في موقفك عندما يحتفظ حازم بأمانة السر والوزارتين. فأجبته : أنت على حق ويجب ان نختار أميناً قطرياً جديداً للفترة المتبقية، حتى إنعقاد المؤتمر . ولم يكن بيننا عضواً بلا وزارة أو غير متفرغ لأعمال مهمة غير حمدي عبد المجيد، فوافقنا عليه واستدعيناه من سوريا ليشغل منصبه الجديد.

وفي الواقع لم يقم حمدي بأي دور ، ولم ينعقد في فترة أمانته للسر التي دامت شهراً واحداً أي إجتماع . أما بياناه أمام المؤتمر القطري فلم يتعد نصف صفحة. قال فيه : انه لم يستلم أمانة سر الحزب إلا إسماء، ولم يفعل ولم يعلم شيئاً عن ما كان يجري فعلياً داخل الحزب، لانه كان متفرغاً لشؤون الحزب في القطر العربي السوري .

ولم يكن حازم جواد راضياً على تلك النتيجة، فعاتبني إلى حد التأنيب بعد نهاية الاجتماع. فقلت : لم يكن بإمكانني أن أكون بمنطقتين .

سؤال : لكن الأغلبية الساحقة من كوادِر وقواعد حزب البعث مالت مع خط علي السعدي، وأتمتكم بالتواطؤ مع كبار الضباط والموظفين ضد التوجه اليساري، وقد كنت واحداً من أولئك الشباب المتحمسين، فهل كان ذلك بسبب تركيزكم أنت وحازم والبكر على العلاقات الفوقية، أي على كل ما يتعلق بالدولة وشؤونها الأمنية وتحالفاتها.. الخ في حين ركز علي السعدي ورفاقه على البناء التحتي أو على الشارع والمنظمات الشعبية والحزبية القاعدية والحرس القومي؟ فمن كان منكم أكثر نضجاً، وأكثر وعياً لخطورة ما يجري ويهيم أو يحضر لمستقبل العراق؟

طالب الشبيب: بإمكانك أن تلاحظ إن إدارة السلطة السياسية في بلد غني ومهم مثل العراق، وإدارته بصورة فوضوية من قبل سلطة حزبية غير مستقرة وغير خاضعة لبرلمان سيودي إلى صراع شديد حول مكاسبها. وهذا الأمر برز في أوضح صورة في عام ١٩٦٣ عندما أضحت أجهزة الدولة العراقية بين يدي مجموعات تقرر ما تشاء بصورة غير منضبطة. وأصبح كل واحد يتمسك بسطوته ومكاسبه وطموحاته التي اعطتها له السلطة. ولم يكن بقدرة اية جهة، ومهما بلغت امكانياتها القيادية والعقلية، بل حتى لو امتلكت عقل نبي عقائدي مقدس، من ايقاف تلك الموجه المتطلعة والمتحدية. فلقد وجد البسطاء المحرومون المنتمين إلى الحزب والحرس القومي سهولة في ادارة الفوضى والتحلل من المسؤوليات في وقت كانت الدولة تحتاج إلى الانضباط والمسؤولية واحترام القوانين والاعراف والمؤسسات، وإرضاء الشعب وتوسيع قاعدة مشاركته بحيث لا يبقى في السلطة أي شيء غير خاضع للقانون.

وعلى نفس المنوال تصور السعدي وهو في اعلى مراكز السلطة، أنه يقود جناحاً معارضاً وقد ساعده على ذلك نشأة الجهاز الحزبي ذاته الذي تربى على عقلية المعارضة، فلم تتوفر الفرصة الكافية لتوعيته على أسس تناسب الوضع الجديد حيث الحزب يقود السلطة، أو تدريسه على آليات ادارة الدولة. بل كانت ثقافة الحزب وأدبياته بما فيها تلك التي كتبها ميشيل عفلق ممتلئة بدم السلطة والحكم وتنأى بالبعثيين عن شؤون السلطة.. لكنهم فوجئوا بتربعهم على رأس حكومة العراق المتعدد الاديان والقوميات والمذاهب والثروات والمتنوع بتياراته السياسية، بل أن الموجه الفوضوية جادلت في كل شيء ماعدا تطوير جهاز الدولة والتخطيط الاقتصادي^(١).

١- ليس صحيحاً أن الحرس القومي وجهاز حزب البعث كان وحده مقصراً فيما يتعلق بالتخطيط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، بل ان اية دراسة متأنية ستؤكد إن أياً من جناحي السلطة لم يفكر قبل الوصول إليها ببرنامج للتطبيق.

وأعطيك مثلاً: أرادت مديرية الأمن العامة العراقية توظيف عدد من البعثيين برتبة معلون أو موظف أمن . وصدر تعميم حزبي يشجع على التقدم للحصول على تلك الوظيفة . وكانت النتيجة أن أياً من البعثيين لم يتقدم للعمل في أمن الدولة رغم أن الوظائف المعروضة كانت توفر رواتب ومكانة مغرية . وهكذا كان الحزبيون ينظرون إلى جهاز الأمن باعتباره مؤسسة دنيئة ومعادية، رغم أن حزبهم هو قائد الدولة، وذلك صعب عملية الانتقال من المعارضة إلى السلطة. وكان علي السعدي من هذا النوع من البعثيين، لم تتغير عقليته واستمر بنفس المنهج، بل حاول هو وعدد كبير من المتطرفين عدم استلام مناصب حكومية ذات طبيعة إدارية، رغم اجتهداتهم للاحتفاظ بمكانة سياسية وحزبية قيادية. فكانوا مرتاحين إلى عقلهم المعارض لدولتهم. أما أنا وحازم جواد وعدد من أعضاء مجلس الثورة، يساندنا عدد غير قليل من كوادر الصف الأول الذين تسلموا مناصب حكومية رفيعة وأدركوا معنى المسؤولية والتضحيات المطلوبة جراء حملها، فقد تولينا مهمة قيادة الحزب قبل الثورة، ونفذنا خططها وعملياتها مباشرة، وتقلدنا مناصب حكومية خطيرة أبعدتنا عن العمل الحزبي التنظيمي والقاعدي المباشر. وينطبق هذا الأمر علي بصورة خاصة لان منصب وزير الخارجية وعضوية القيادة القومية يجعل أكثر وقتي ينقضي خارج البلاد.

تلك المسؤوليات أبعدتنا وربما أضعفتنا شعبياً وسياسياً بين الأوساط الحزبية البسيطة والشابة التي تصرفت على أساس تقسيم الحزب إلى حكام ومعارضين. وكنا نرى ونلمس هذه الظاهرة. ونحث على تغيير العقلية التي تؤدي إليها. لكن الأمر يحتاج إلى تعاون بين المكلفين بمسؤولية الدولة وأولئك المكلفين بإدارة الحزب والمنظمات، وليس التنافس بينهم^(١).

البعثيين والمعارضين الآخرين. وبهذا تكون سمة السلطة العامة في ٨ شباط هي فقدان الاتجاه. وعلى سبيل المثال فقد بلغت الأراضي المزروعة حنطة وشعير ٨،٢ مليون هكتار وتعطي ٥،٢ مليون طن، في حين تم في ١٩٦٣ زراعة ٣ ملايين هكتار أعطت ٤،١ مليون طن. كما انخفضت قيمة الانتاج الزراعي الاجمالي في عام ١٩٦٣ بالقياس للعوام ١٩٥٣، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢ [3].

١- سألت نفسي وعدداً غير قليل من أعضاء حزب البعث ممن شهدوا تلك المرحلة، وخصوصاً كوادره الوسطية، عن سر شعبية خط السعدي، فحصلت على اجابات متباينة من حيث الشكل ومتفقة من حيث الجوهر. وكانت اجابة محمد رشاد الشيخ راضي مختصرة وجامعة لاغلب تلك الآراء حينما قال: " إن تنظيم الحزب أصبح عملياً بعد ٨ شباط بإدارة محسن الشيخ راضي، وهو أحد رواد الجناح اليساري . وكما تعلم فان من بيده التنظيم يستطيع ابراز اسماء معينة واتزال اخرى، والتهمية لمن يشاء ولاية فكرة خصوصاً بين المنظمات القاعدية. وكانت آراء محسن مخالفة بشدة لافكار عيد السلام وطاهر يحيى ورشيد مصلح. ومن ناحية أخرى كان خط السعدي موجوداً بقوة داخل السلطة ويستطيع ان يقدم خدمات كبيرة لانصاره من خلال قيادته مباشرة لأطرافها، لكنه ايضاً موجود خارج السلطة عبر منظمات الحزب والحرس القومي والمنظمات الشعبية. اضافة إلى ذلك ان شخصية السعدي الواضحة والصریحة بذاتها كانت مقبولة ومثيرة وميالة بطبيعتها للسلوك المنفتح العريض، في حين إتسمت شخصية حازم جواد بالحدة والجدية، فضلاً عن تركيزه على إدارة الدولة ومراقبة الرئاسة وكافة الجوانب التنظيمية.

ان ضعف الشعبية بين الحزبين لم يطلني وحدي كوزير للخارجية، بل تأثر به كل من إستلم منصباً حكومياً مهماً، وأدرك خطورة وظيفته. لكننا وبمرارة وجدنا أنفسنا، بعد حين تحت ضغط لا يرحم من رفاقنا، فلم تسلم أية خطوة نخطوها من نقد العقل المعارض. وذلك وضعنا في منتصف الطريق بين السلطة وأهميتها ومتطلباتها، وبين تنظيم الحزب الذي تهاوى كلفة في الحرس القومي، معارضاً السلطة بتشجيع من علي صالح السعدي الذي تقلد أهم المناصب الحكومية.

إنعقاد المؤتمر القطري

في آخر إجتماع للقطرية قررنا تقديم موعد عقد المؤتمر القطري لمناقشة إختلاف مفاهيمنا حول كيفية ممارسة السلطة. وأعطينا الضوء الأخضر للبدء مباشرة بعقد المؤتمرات القاعدية التمهيدية للفرق والشعب والفروع لانتخاب قياداتها المحلية ومندوبيها للمؤتمرات الأعلى، ولم نفكر إطلاقاً بأن رفاقنا الذين إختلفنا معهم في الرأي والأسلوب، سيستغلون تلك التحضيرات لاستمالة القاعدة الحزبية ضدها.

وكان بإمكان أي مراقب أن يلاحظ السرعة العجيبة التي وصلنا بها إلى حدود التصادم، وإلى سيطرة الشعور بعجز محاولات الإصلاح، وإلى شلل أجهزة الدولة التي يتوقف عليها تلبية حاجات المجتمع. كما وشاعت بين قواعد الحزب وقياداته الوسيطة أنباء الخلافات، وذلك سيؤدي تدريجياً إلى انقسام مندوبي المؤتمر القطري الاعتيادي المزمع عقده في ١٣ أيلول ١٩٦٣ انقساماً عمودياً.

وسط تلك الاجواء الداخلية المتوترة والحرارة، اضطررنا إلى تلبية دعوة وجهها لنا جمال عبد الناصر لزيارة القاهرة من أجل تنقية العلاقات العراقية المصرية. وقد لبيناها — عبد السلام عارف وحازم جواد وأنال — واستغرقت الزيارة عشرة ايام. وبعد عودتنا بيومين أو ثلاثة، انعقد المؤتمر القطري الذي جرى اعتماد مندوبيه في غيابنا. وقد سمعنا فور وصولنا شكوى عن حالات تزوير وتجاوزات قد حصلت^(١)، وأخبرني أخي بهاء شبيب الذي فاز بعضوية المؤتمر القطري

وقد ساعد على اندفاع السعدي نحو القاعدة الحزبية، مشاعر الكراهية التي كان يلحظها على وجوه بعض رجال السلطة بسبب اقترابه من بسطاء الناس، فأخذ يجذر افكاره وسلوكه إلى الحد الذي اثار غواف البعض بإمكانيته قلب السلطة وتغيير مخطتها، وفي ذلك تكمن دوافع الخوف التي اصابته اصداؤه من الضباط منه، فأخذوا يبحثون عن محور آخر يضمن عدم التغيير الجذري للسلطة، خصوصاً وان شبح المخاوف التي اثارها فيهم عبد الكريم قاسم وانصاره مازالت ماثلة... [4].

١ — انعقد المؤتمر القطري الاعتيادي بعد عقد مؤتمرات الفرق التي يحضرها الاعضاء العاملون وقيادة الفرقة، فينتخبون

←

رغم محاولة اسقاطه، بأن ادارة المؤتمرات الفرعية كانت منحازة، واستحدثت شيئاً جديداً سمي — المؤتمر العام — ، كما جرت تنقلات وانتدابات بين الفرق قبيل انعقاد مؤتمراتها وذلك مخالف للنظام الداخلي. اضافة إلى عدم اجراء انتخابات بين صفوف العسكريين البعثيين بالرغم من كثرة عددهم واهمية دورهم في انجاح الثورة و حماية السلطة. ولم يكن ذلك قراراً صحيحاً، لا من الناحية المبدئية ولا من الناحية التكتيكية. اذ ليس عدلاً إعطاء العسكريين مناصب قيادية حساسة في الدولة والجيش دون ان يكون لهم رأي في السياسة.

وكان أوضح مثال على التلاعب هو حرمان عزت مصطفى (وزير الصحة) ومسارع الراوي (وزير دولة ورئيس مكتب المعلمين القطري) وأحمد عبد الستار الجوارى (وزير) من حضور المؤتمر، رغم مسئوليتهم عن مكاتب ونقابات قطرية، وهم جميعاً يؤيدون خطنا "أنا وحازم"، في حين دعي للحضور محمد زكي يونس "رئيس مكتب العمال القطري" و صدام التكريتي عن مكتب الفلاحين القطري، دون تقديم أي مبرر منطقي. علماً بأن مكتب المعلمين القطري هو أهم مكاتب الحزب المهنية، ويعرف جميع البعثيين الدور القيادي والنضالي الذي لعبه المعلمون في حياة ومسيرة الحزب، وفي وقت لم يعمل في مكتب الفلاحين القطري الذي تأسس بعد الثورة غير صدام التكريتي واربعة فلاحين جاءوا بهم من تكريت لضمان عضوية صدام حسين الموالي لكتلة البكر التكريتية داخل المؤتمر.

والمظهر الآخر المفصوح للتلاعب، كان في احضار نجاد الصافي مندوباً اصيلاً، دون مبرر أو سبب، وأذكر إن أحد المندوبين وقف وإتهم المشرفين على الانتخابات الفرعية بسوء الادارة والتزوير. وفي الحقيقة فإن التزوير دبر ليلاً وفي غياب ممثلي تيار حزبي بكامله، مما أدى إلى فوز هاني الفكيكي بعضوية القيادة القطرية بدلاً مني بفارق صوت واحد. فقد حصل الفكيكي على عشرين صوتاً، وحصلت أنا ٢٢ صوتاً، وكان الحد الأدنى للفوز على ٢٣ صوتاً، أي نصف

قيادة جديدة للفرقة ومندوبين لمؤتمر الشعب الذي يتكون منهم ومن مندوبي بقية الفرق ومن قيادة الشعب لانتخاب قيادة جديدة ومندوبين لمؤتمر الفرع الذي يعقد بمندوبي الشعب واعضاء قيادة الفرع، لانتخاب قيادة فرع جديدة ومندوبين للمؤتمر القطري وهكذا بقية الفروع. أما الذي جرى وسمي "مؤمراً عاماً" أو "تأسيساً" فقد انتخب مندوبوه مباشرة من مؤتمرات الفرق القاعدية، ظناً من المشرفين انهم يتجاوزون بذلك القيادات الاعلى ويمنعونها من حجز مقاعد مضمونة في المؤتمرات الاعلى. فالكل يعود إلى مؤتمر الفرقة ويتنخب، ومن يسقط في انتخاباتها لا يبقى له حظ آخر. واعتقد ان فكرة المؤتمر العام جاءت للتدليل على "شعبوية ديمقراطية زائدة" باجبار القيادات على النزول للقواعد والخضوع لأسئلة الحزبيين الشباب، وربما اراد "خط السعدي" بذلك التدليل على شعبيته الحزبية واستغلال تلك الشعبية لانتخاب مندوبين مواليين له. ولم يكن في ذلك خيانة للنظام الداخلي بل هو لائحة داخلية جديدة وافقت عليها القيادة القطرية، بغياب حازم وطالب، وأخذتها على مسئوليتها أمام المؤتمر القطري ثم القيادة القومية وقد أقر المؤتمر والقيادة القومية تلك اللائحة لمرة واحدة، وأصبحت شرعية.

اعضاء المؤتمر البالغ عددهم ٤٥ مندوباً. ولذلك أعيد التصويت على اسمينا أنا وهاني، فحصل هاني على ٢٣ صوتاً.

وقد رأيت بنفسي علي صالح السعدي يتنقل ويمارس الضغط على اثنين من الاعضاء الذين لم يصوتا لهاني في الجولة الأولى، ثم انتقل ليجلس بجوار خالد مكّي الهاشمي (معاون رئيس اركان الجيش) وقد علم أنه انتخبني في المرة الأولى واجبره على انتخاب الفكيكي بعد ان بدأ بكتابة الحرف الأول من أسمي على ورقته الانتخابية ، فمسك بيد الهاشمي المسكة بالقلم وبشيء من القوة والميانة الودودة والمزاح، أدار علي السعدي يد الرجل المسكة بالقلم قائلاً بصوت مسموع "هاني" ليتحول حرف الطاء إلى هاء ويكمل بقية الاسم. وبذلك أمنّ لهاني ثلاثة اصوات كانت كافية لفوزه. لكنه يعني ايضاً بان المؤتمر بقيّ رغم التلاعب والتحريض نصفه معنا.

ومن جانبه اعترف المرحوم علي السعدي لي بما جرى داخل المؤتمر القطري قبل وفاته عندما التقينا وتذاكرنا بعد سنين، حول تأريخ تفريطنا بسلطة الحزب بسبب خلافات ليست جوهرية. ويستطيع كل من يشك بروايّتي ان يستوضح الامر من خالد مكّي الهاشمي وهو حي يرزق وبإمكانه وحده ان ينفي أو يؤكد هذه الحادثة. فلقد استغل علي السعدي موقعه وهيئته الحزبية وقوة تأثيره، ثم استغل ان صديقه خالد مكّي الهاشمي كان متهماً بالتضامن معنا ضده أو ضد محسن وهاني وحدي، فأحرجه وجعله يرضخ لضغطه عليه. ولم يكن الهاشمي يتوقع ان جرة القلم تلك ستؤدي بمسار الازمة إلى الاسوأ^(١).

١- الشخص المقصود الذي اعترض على طريقة إدارة المؤتمر هو حسن الحاج وادي العطية، الذي وقف وسط القاعة وقال: "ان الحزب الذي لا يعطي لعضائه الديمقراطية، لا يمكنه إعطائها للشعب، فضجت القاعة. وفي عام ١٩٩٥ التقيت بالسيد وادي العطية بدمشق فقال: كنا نناقش مع بدء إنعقاد المؤتمر إحدى النقاط التي لم تعجب رئيس المؤتمر (هاني الفكيكي) فأحال النقطة فوراً على التصويت وأقبل المناقشة. فطلبت نقطة نظام، فلم يوافق بحجة انتهاء المذاكرة. فوقفت قائلاً: أتعرفون أين يجلس الان؟ فألتفت الجميع مذهولين. قلت: نحن في مبنى المجلس الوطني الذي بناه نوري السعيد ولم يستطع الجلوس فيه، وهذه الثريا الجميلة التي "تدندل" فوق رؤوسنا، لسنا نحن الذين أتينا بها، بل هي من خلفات العهدين السعدي والقاسمي. ولازم تعرفون ان سبب سقوط الحكم الملكي هو عدم إعطائه الحرية الكاملة للشعب، ولان مجلس النواب لم يكن يمارس حرية حقيقية وكان جلاوزة نوري يضيّقون ذرعاً بالنواب الوطنيين على قلائسهم، ويلجأون من أجل سد الطريق عليهم إلى غلق باب النقاش، ونحن إذا سلطنا نفس السلوك سيكون مصيرنا اسود. فهاج أكثر المندوبين بوجهي مستنكرين تشبيههم بنواب نوري السعيد وطالبي محسن الشيخ راضي بسحب كلامي فقلت لا افعل" [5].

وحول عدم شرعية حضور بعض المندوبين للمؤتمر القطري قال الدكتور تحسين معلّة: "ان شيئين غير شرعيين حصلّا، الأول مخالفة النظام الداخلي في طريقة عقد المؤتمر وفي اختيار ممثليه، استحداث (المؤتمر العام)، وقد اعترضت شخصياً على ذلك، فرد عليّ حسن العامري (وزير في حكومة البكر وصدام) قائلاً: هذه قضية تعب عليها الجماعة كثيراً، فكيف تعترض عليها؟ والنقطة الثانية هي عدم تقديم القيادة القطرية تقريراً موحداً عن اعمالها كما هي العادة، بل وقف بعض اعضائها وقدموا تقارير شخصية، وكان اثنان من اعضاء القيادة الحاضرين غير منتخبين هما هاني الفكيكي ←

سؤال: هل صحيح أن ميشيل عفلق ومحمد عمران وصلاح جديد وامين الحافظ الذين شكلوا وفد الوساطة السوري لحل الازمة قد همسوا في آذان طرفي النزاع الحزبي العراقي، كل على حدة، قبل انفجار الازمة بأشهر، بأن الامن السوري لديه معلومات بوجود مؤامرة امريكية للاستيلاء على السلطة بالتعاون مع احد الطرفين المختلفين ضد الآخر. مما ادى إلى زرع الشك والقطيعة بينكما، وإلى قطع اية امكانية في حل الخلاف؟

طالب شبيب: لم يحصل ذلك إطلاقاً. ولكنني اذكر ان الاستاذ ميشيل الذي كان يزور العراق ويقيم فيه فترات طويلة بوصفه الامين القومي للحزب آنذاك. وكانت صلاتي وحازم جواد به وثيقة. وهو يعرف بدقة حقيقة الانقسام، وظروف وتطورات الوضع السياسي العراقي. وكان يطلق على علي السعدي وجماعته اسم (العصابة الغيبة)، وقالها مرة في داري بحضور عدد كبير من كوادر الحزب، قال: "ان هؤلاء عصابة تنوي الاستيلاء على السلطة، ولكنها عصابة غيبة ستفقد السلطة حالاً بعد استلامها، ولو كانت عصابة ذكية لرما قبلنا بها".

ولا أكتفك فقد انزعجت من المسحة الانتهازية التي تحدث بها ميشيل عفلق امامنا، لكنني لم أعترض عليه لقناعتي بأن كلامه لم يكن كله خطأ. اما القول الذي أورده الفكيكي في كتابه حول إبلاغ القيادة السورية لطرفي النزاع العراقي، كل على حدة، بأن الطرف الآخر يتآمر عليه بمساعدة المحابر المركزية الامريكية فهو عار عن الصحة. فلقد زارنا من سوريا رفاق عديدون، بينهم من ذكرهم الفكيكي، حضروا معنا اجتماعات حزبية وحكومية كثيرة، شارك في بعضها عبد السلام عارف. ولا أتذكر انه قد ورد في تدخلاتهم اية تحذيرات من

وسعدون حمادي، بل جرى تعيينهم بعد ٨ شباط ولا يحق لهم حضور المؤتمر أوتوماتيكيا كباقي اعضاء القيادة المنتخبين" [6].

وفي الحقيقة وبعد تحر وجدت: أولاً: إن الحاضرين عن المكاتب القطرية هما فقط د. تحسين معلة ويعقوب الحمداوي كعضوين منتخبين. اما محمد زكي يونس وصادق التكريتي فلم يحضرا ممثلين لمكاتبهم كما قال طالب وإنما عن طريقي المؤتمرات الفرعية وبالتحديد عن فرقة الكرخ وكان حضورهما شرعياً. اما مسارع الراوي والجواري وعزت مصطفى فقد فشلوا في انتخابات المكاتب القطرية، وحصلوا على حظ آخر في المؤتمرات الفرعية لكنهم فشلوا فسقط حظهم في الحضور. ثانياً: ان عضوية هادي الفكيكي وسعدون حمادي في القطرية شرعية لأنهما صعدا للقطرية بواسطة مجلس قطري عقد بين ١٥ إلى ١٨ شباط في دار جعفر قاسم حمودي ووافق المجلس عليهما بعد ترشيح السعدي وحازم واعلان حاجة القطرية لهما، وذلك يعني ان عضويتيهم شرعية، لكنه لا يعني ان محسن الشيخ راضي والفكيكي لم يتقفا ويعملا لصالح عظمهما خلال التحضيرات التي سبقت المؤتمر القطري.

أي نوع كان، ولا اعتقد إن مثل هذه التحذيرات قد حصلت مع علي السعدي. فهذه حادثة ليس لها وجود في ذهني. وحازم جواد حي يرزق ويمكن سؤاله وسيؤكد أو يدحض ذلك.

إن خلافاتنا كانت ظاهرة إلى كل من يريد أن يراها. ولم تكن بحاجة إلى مَنْ ينكوها ويثيرها. كانت معروفة للحزب القومي الذي إنقسم من خلال نظرتيه إلى طرفي النزاع العراقي. فممنهم من رغب في تفادي المشكلة والسير مباشرة نحو وحدة الحزب، ومنهم من تحزب وناصر هذا ضد ذلك.

ومن ناحية أخرى استطيع ان اجزم بعدم صحة ماجاء بكتاب الفكيكي من أن لواء العقيد فهد الشاعر "قد جاء إلى العراق لمساعدة جناح معين في السلطة العراقية ضد آخر. بل أن اللواء المدرع المذكور جاء بمهمة رسمية محددة ومعلنة من قبل الحكومة السورية لمساعدة الجيش العراقي في حركات الشمال. واعتقد ان سلوك القوات العربية السورية الموجودة في العراق خلال أحداث ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وموقفها المحايد، ورفضها مجرد التفكير بالتدخل، رغم وجود ميشيل عفلق وأمين الحافظ وصلاح جديد وحمودي الشوفي وجبران مجد لاني ضمن الوفد السوري الذي تعرّض إلى إهانات مزعجة وجهت إليه من قبل بعض ضباط الجيش العراقي، وقد أكد الشوفي لنا ذلك. ولهذا فحديث الفكيكي عن وجود مهمة أخرى موكلة إلى اللواء السوري المدرع ليس صحيحاً ومحض هراء.

قرارات التأميم الاشتراكية بين عبد السلام وحسيب

والان وبعد أكثر من ثلاثين عاماً، برهنت الحياة اننا كنا على حق، واستطيع ان اقول ليساري ذلك الزمان وبكل بساطة: أنا كنت يمينياً، بل وأود ان اكون أكثر يمينية إذا كان كبت الحريات وتخريب بنية الدولة والتدخلات غير القانونية، وممارسات الحرس القومي الفوضوية هي يسارية. أما إذا كان الهدف هو العمل على توجيه الدولة باتجاه يساري اشتراكي وحدوي ملتزم ومسؤول فهذا ما حاولنا القيام به فعلاً، بدون ضجيج ودون علم الكتلة الحزبية المخالفة لنا. وأعطيك مثلاً شاهده حي يرزق، فقد استدعيت إلى مكتبي في وزارة الخارجية الدكتور خيرالدين حسيب، وأرجو أن يكون شاهد حق على ما أقول، استدعيتيه وكلفته أن يعد لنا لائحة قوانين للتأميم. فاستشار كبار موظفيه مستفيداً من التجربة المصرية ومن تجارب عالمية أخرى، وبدأ فعلاً بإعداد تلك الدراسة.

وكنت ابلغته بضرورة أن يبقى الامر سراً بيننا لأن القوانين ستفقد فعاليتها وغايتها إذا فقدت عنصر المفاجأة. وقلت له: لأحد يعرف بالامر غير أنا وحازم جواد وأنت.

واعتقد ان اللائحة التي أعدت حينذاك هي نفسها التي وضعت قيد التنفيذ في ١٤ تموز ١٩٦٤ في عهد عبد السلام عارف وسميت (القرارات الاشتراكية) ^(١).

أما إطلاق صفة اليسار على جماعة السعدي فهو أمر ليس دقيقاً أو واقعياً. لان تلك الجماعة لم يكن لديها أية فكرة حول التطبيق الاشتراكي. ولم تطرح أية أفكار اشتراكية للتطبيق. ولم تطلب من أحد إعداد دراسة حول الأمر، لا في اجتماعات القيادة القطرية ولا المجلس الوطني أو في أي مكان آخر، رغم قيادتهم للسلطة والحزب الذي يضع الاشتراكية في مقدمة أهدافه. واعتقد انني وحازم جواد كنا سباقين في هذا المجال. وكان خير الدين حسيب موضع ثقتنا، ومن اقدر المتخصصين العراقيين في مجال الاقتصاد السياسي، لكن القوانين الاشتراكية لم تر النور قبل تموز ١٩٦٤ ^(٢).

١- اكد المؤلف محمد جمال باروت ما ذهب إليه شبيب في كتابه (حركة القوميين العرب) فقال: "عهد بشكل سري إلى فريق من الخبراء الاقتصاديين برئاسة الدكتور خير الدين حسيب محافظ البنك المركزي العراقي بأعداد مشروع القرارات الاشتراكية". ويرى باروت ان الأعداد للإجراءات الاشتراكية كان هدفه اقامة تكتل اقتصادي متناغم يضم اقتصادات الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق لتنفيذ الوحدة الاقتصادية التي اتفقت عليها الدول الثلاث خلال محادثات الوحدة التي جرت بين شباط ونيسان ١٩٦٣، اذ أعلن وزير التجارة العراقي في اوائل آذار ١٩٦٣: "ان خطة العراق الاقتصادية ستودي خلال زمن قصير إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والوحدة الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق" [7].

ويدون الدكتور خير الدين حسيب شرع منذ تلك اللحظة يعد مشروعه، غير ان فشل ميثاق ١٧ نيسان الودودي، دفعه إلى انتظار ظروف جديدة مواتية. وليس هناك أدلة تؤكد بأن دوافع المشروع (التأميم) كانت اقتصادية بحتة، بل سياسية لمحاربة الاقتصاد المصري. لان جمال عبد الناصر بعد فشل التجربة الوحيدة المصرية السورية أخذ يتناول مشاريع الوحدة وشعاراتها وتطبيقاتها المعروضة عليه بحذر شديد. ولان الطريقة التي طبقت فيها القوانين الاشتراكية أيام الوحدة على الاقليم الشمالي (سوريا) قد جلبت استياء شعبياً كبيراً، وانحى كثيرون باللائمة على الوحدة والاعداء الخارجيين، وليس على التصرفات البوليسية للإدارة الوحيدة الناصرية والمشاكل الاقتصادية.

ولذلك وخوفاً من تكرار التجربة وإلحاق الأذى بفكرة الوحدة أعلن جمال عبد الناصر انه يتعين على كل بلد عربي يريد الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة ان يطبق المبادئ والقوانين الاشتراكية العربية. واعتقد ان خير الدين حسيب، وباعتباره ناصرياً، نشط على هذا الأساس لتقريب النظام الاقتصادي العراقي من المصري، فتمكن من اقناع عبد السلام عارف وطاهر يحيى باجرائه كخطوة نحو الوحدة العربية المنشودة والتي تكفل تنمية فعالة وسريعة. واعتقد ان كثيرين من متبسي التيار القومي العربي في العراق وعدداً من ضباط الجيش ذوي الرتب الكبيرة قد ساءلوا مؤقتاً قوانين التأميم ليس إيماناً بالاشتراكية ومبدأً للمساواة، بل لانها كانت موضوعة تلك الايام، ويؤدي عدم التظاهر بتأييدها ربما إلى إبعاد صاحبه عن السلطة السياسية.

٢- كانت اسواق العراق قبل قرارات التأميم الاشتراكية في تموز ١٩٦٤ المفاجئة التي اصدرتها حكومة عبد السلام عارف وطاهر يحيى التكريتي، تعيش حالة من الانتعاش والنهضة الاقتصادية الصناعية والتجارية. فقامت الدولة بتأميم ٣٠ مؤسسة صناعية خاصة وجميع البنوك وشركات التأمين. وحتى تأخذ القوانين الاشتراكية صفة اجتماعية، تقرر تمثيل العمال في ادارة عجلة الدولة الاقتصادية. وحل اسم (المؤسسة الاقتصادية) محل اسماء شركات عراقية خاصة كانت قد

←

سؤال: وهل صحيح أنك وراء تعيينه محافظاً للبنك المركزي؟

طالب شبيب: نعم كان خير الدين حسيب صديقي ويزورني في مكنتي بعد نجاح ثورة ٨

بدأت للتو تلعب في عالم التجارة والصناعة. وعلى سبيل المثال: كان هناك شخص يدعى "كافل حسين" يمتلك معملًا لإنتاج صابون محلي ناجح لفصل الملابس، وتطوير أنواع أخرى من المنظفات، وتمكنت ماركته "صابون كافل حسين" من اكتساب شهرة عظيمة في كامل الأراضي العراقية، واندثرت بنشوء صناعة صابون محلية قادرة على المنافسة محليًا، وربما سيكون بإمكانها الانتقال إلى الجوار العربي والإسلامي، لكن الدولة امت المعمل وتوقف الإنتاج وانتهى كافل حسين الذي اغتسل اغلب العراقيين بصابونه رغم المنافسة الحادة من صابون لوكس ولايف بوي والزنايلي السوري، ورغم الاستيراد المفتوح لبقيّة الماركات العالمية. فماذا جنت الحكومة؟ وماذا جنى العراق مقابل خسارة تلك الماركة الرائجة وتلك البداية الواعدة؟

وعندما ذهب موظفو الاستيلاء المتخصصون لاستلام معمل كافل حسين من صاحبه، وجدوا عنداً من (القلور الكبيرة وبابورات "بريمزات")، وقدرًا نحاسيًا كبيرًا (صفريه) وحاجات أخرى بسيطة للقطع وللتشغيل لا يبلغ ثمنها ليو بيعت في المزاد أكثر من ألف دينار عراقي. ولم يكن لدى المؤمنين (الغزاة) أية فكرة أو دراسة عن مصير المعمل أو تلك الأشياء البسيطة المؤممة. وبعد التأميم حاولت الدولة أن تنشئ بملايين الدنانير مصانع حديثة ومجدية اقتصاديًا بديلة لتلك المؤممة ففشلت. وربما أدرك بعض المتخصصين بعد فوات الأوان، أن المهم ليس المال الثابت وإنما الفكرة الصحيحة والاداء الصحيح والملائم للمحيط السكاني مع رأس المال المتحرك. فماذا يضرهم لو تركوا كافل حسين وامثاله يطورون مشاغلهم الفنية الناجحة في تلبية حاجات السوق المحلية والاجتهاد في توظيف ارباحهم لتوسيع دورة رأس المال والإنتاج والشراء التدريجي المحسوب للتكنولوجيا لتطوير الإنتاج كلما تراكمت الخبرة المحلية. لكن ذلك لم يحصل لأن الدولة لم تكن تعرف وظيفتها الأساسية ومبرر وجودها، ولأن إدارة السلطة كانت مغرضة وبعيدة تمامًا عن مبدأ المساواة السياسية والاقتصادية بين المواطنين. بل إن التاريخ اللاحق للسلطة سجل عليها كل أنواع الاضطهاد الطبقي والطائفي والعنصري. ولم تكن تلك الاجراءات بالنسبة للحاكم غير محاولة لاستكمال استحواد الدولة على القوة والمال. فلم يهنا لها بال وهي تنفرج على رجال بسطاء من وسط المجتمع العراقي يحققون ويمززون النجاح في عالم الشغل والمال والاختصاص، ولذلك قضت على كافل حسين الذي ربما سيكون اسمًا عظيمًا في عالم الاقتصاد العراقي الحر وقضت على غيره وعلى بوارق أمل كانت تلوح في الأفق.

وبعد أن أمسكت السلطة بالبلاد وبكامل اقتصادها بقوة، تندرت بخير الدين حسيب وأهانت اجراءاته، وصار هو وقوانينه الاشتراكية النكتة رقم واحد في مجالس عبد السلام عارف، في حين اطلق الشعب على طاهر يحيى اسم (حرامي بغداد)، رغم أن الرجل كان نزيها من الناحية المادية.

وسواء كانت الاجراءات الاشتراكية قد حصلت بإرادة حازم جواد وطالب شبيب وارشادهما، أو من بنات افكار الدكتور حسيب واللجنة المكلفة أم هي نقل مباشر للتجربة المصرية. فهي لم تنطلق من دراسة عميقة للواقع العراقي، ولم تصب في مصلحته الاقتصادية، بل تدهور معها اقتصاده بشكل سريع، ومنذ اعلانها بدأت الاسواق العراقية تفقد بصورة دائمة للمواد الاساسية وتعاين من الاختناقات، لأن الذي تحكّم بالعملية ودورة المال هم الموظفون الحكوميون وليس العرض والطلب. ولم يحتفظ حكام العراق بعد تلك التجربة من الاشتراكية بغير ملكيتهم الخاصة للدولة ذاتها وملكيتها الدولة للاقتصاد الوطني بكامله. ولم تنفع فيما بعد محاولات رئيس الوزراء الجديد عبد الرحمن البزاز عندما غيرها من الاشتراكية العربية إلى الاشتراكية الرشيدة، فظلت نسخة ناقصة أو نسخة مشوهة من أنظمة رأسمالية الدولة الديكتاتورية التي قامت في دول أوروبا الشرقية.

شباط، ولم تجر مناقشة أمر تعيينه حتى ذلك الوقت في اجتماعات القيادة القطرية أو في المجلس الوطني. فاقترحت في القيادة والمجلس تعيينه بمركز سام هو محافظ البنك المركزي العراقي، وهو من اخطر مناصب الدولة واهم من وظيفة وزير. لان الرجل قدّم لنا مساعدات وافضالا كثيرة في زمن عبد الكريم قاسم عندما كان رئيساً لاتحاد الصناعات العراقي اذ عين كثيراً من البعثيين في دائرته، فصدر امر بتعيينه في المنصب الجديد.

أما أديب الجادر فقد عرضتُ عليه سفارة العراق ببلن، وكان قبل إعلان الثورة مقترحاً وزيراً للنفط، لكنه خسر ذلك المنصب الوزاري قبل ان يتقلده وقبل إعلان الثورة، لأنه عندما فاز برئاسة نقابة المهندسين في زمن عبد الكريم قاسم بمساعدة البعثيين والقوميين، أرسل برقية شكر موقعة باسمه إلى عبد الكريم قاسم، وعندما زار قاسم مقر النقابة ألقى الجادر كلمة منقولة بواسطة الإذاعة والتلفزيون، وقال في كلمته واصفاً قاسماً بالزعيم الأوحـد، وكان علي السعدي موجوداً في داري عندما تلفظ الجادر بها، فأشار قائلاً: "هذا لن يكون وزيراً في حكومتنا، وأفعل ما شئت يا طالب الشبيب، لكنه لن يكون في الوزارة"، واستت أنا أيضاً منه فشطبنا اسمه، ولكن عرضت عليه بعد إسقاط قاسم سفارتنا في لبنان بحكم صلاته هناك وزوجته اللبنانية. وكان الجادر صديقاً عزيزاً وأشركناه بأعمالنا السياسية خلال فترة حكمنا.

المراجع:

- [1] كان البيان اقرب إلى الانشاء السياسي المدرسي، واحتوى على شعارات عامة. كتبه على الاغلب منيف الرزاز وعبدالله وعبدالدايم. وجاء به ميشيل عفلق واذيع في ١٥ آذار ١٩٦٣، وورد فيه ان ثورة رمضان جاءت لتنفيذ أهداف ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. لكن ذلك البيان لم يكن برنامجاً واقعياً لافتقاده إلى الآلية التطبيقية. وعكس ذلك انعدام خبرة أهل الحكم وتطير افكارهم بعيداً عن الواقع، فلجأوا إلى الوعود العريضة. لكن البيان أفصح بأن الاشتراكية لا يمكن تطبيقها قبل إقامة الوحدة العربية.
- [2] عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي، دار الكنوز الادبية، بيروت، ١٩٥٥، ص ٥٧-٥٨-٥٩.
- [3] عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي، نفس المصدر ونفس الصفحات.
- [4] رشاد الشيخ راضي، مقابلة في دمشق ١٩٩٥.
- [5] حسن وداي العطية، مقابلة في دمشق ١٩٩٥.
- [6] مقابلة مع د. تسحين معل، دمشق، ١٩٩٥.
- [7] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٥.

الحرس القومي

حقق الحرس القومي في الايام الأولى للثورة مكاسب كبيرة على حساب مؤسسات الدولة الشرعية، وتمكن بسرعة من ابتلاع جميع منظمات الحزب المحلية وأخذ دورها وحل محلها تدريجياً، ولا يستثنى من ذلك غير التنظيم المرتبط بالمكتب العسكري للبعث. وقد إنتقل البعثيون إلى مقرات الحرس وتواجدوا فيها. وصار كل بعثي تقريباً حارساً قومياً، رغم ان قانون تأسيسه لم يشترط على كل حارس قومي ان يكون بعثياً^(١).

١ — تشكلت القيادة العامة لقوات الحرس القومي من العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت رئيساً. وبسبب اصطدامه ببعض أعضاء قيادة الحرس القومي بقيادة الحرس الاقدم منه حزبياً تم استبداله أو قدّم استقالته ليحل محله مقدم الجرم منذر الوندائي. اما أعضاء القيادة العامة فهم :

- نجاد الصافي الذي منح رتبة رئيس.
- ابوطالب عبد المطلب الهاشمي ومنح رتبة رئيس.
- احمد العزاوي الذي منح رتبة ملازم.
- صباح المدني الذي منح رتبة ملازم.
- حازم سعيد الذي منح رتبة ملازم.
- عطا محي الدين الذي منح رتبة ملازم.

اما مكتب التحقيق فتكون من عمار علوش وناظم كزار وعبد الكريم الشخيلي وصدام التكريتي وغيرهم. تأسس الحرس القومي بقرار رقم ٣٥ في ٢٨ / ٢ / ١٩٦٣ . ونص القرار على " الغاية من تشكيله هي أعداد قوة من الشباب القومي العربي، تتدرب على استعمال السلاح لغرض معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العربي وصيانة الامن الداخلي بموجب تعليمات خاصة تصدرها وزارة الدفاع " ، وترتبط برئاسة أركان الجيش. وتفصيل واجباتها هي التعاون مع الجيش في صيانة الامن الداخلي وحماية المنشآت الحيوية وتعقب المجرمين والمعادين للجمهورية ومكافحة الدعايات المغرضة وتوجيه أبناء الشعب إلى مبادئ الثورة فضلاً عن مهمات الدفاع المدني ومكافحة الحريق وغيرها. ولم تشكل قوات الحرس يوم ٨ شباط، بل هي إمتداد للجان الانذار التي شكلها حزب البعث عام ١٩٦٢ ، لاستخدامها في الطوارئ والمهام الخاصة. وبعد دقائق من إعلان حركة ٨ شباط أعلنت "لجان الإنذار" حرساً قومياً. ونسزل أفرادها قبل اذاعة البيان الأول للحركة واحتلوا بأسلحتهم مراكز الشرطة ومنازل الجوامع التي استخدمت مكبراتها في التوجيه وإصدار الأوامر، وسيطروا على مفارق الطرق التي ستمر منها الحركة، وربطوا على أذرعهم قطع قماش كتب عليها (ح — ق). وقاموا باغتيال عدد من القادة استناداً إلى قائمة وضعت سلفاً وضيظوا الحركة فوق الجسور الحيوية، ولعبوا دور المشاة والأدلاء للدبابات. وتمكن حراس قوميون تساندتهم أليات الفوج الآلي الثاني واحياناً كتيبة الدبابات الرابعة من إيقاف تدفق الناس والجنود والضباط من الأحياء البغدادية نحو مراكزهم أو نحو وزارة الدفاع. فلم يبق لعبد الكريم قاسم نصيراً غير أبناء المناطق الملاصقة لوزارة الدفاع وشارع الرشيد وشارع الكفاح والجمهورية.

←

ولم يتحول الحارس القومي رديفاً للبعثي اذ لم تشغل قيادة الحزب القطرية بمهمات حكومية ليست ضرورية كثيرة، أنقلت اعضاءها باعباء يومية لأخطر وظائف الدولة خصوصاً علي السعدي وحازم جواد اللذين صار عليهما إدارة الحزب والإشراف على رئاسة الجمهورية وزارة الداخلية والارشاد ونيابة رئاسة الوزراء وشؤون مجلس الثورة وقيادة البلد سياسياً... الخ.

ولم تمض اسابيع حتى صارت مؤسسة الحرس القومي في بغداد جيشاً يضاهي عدده جميع القوات العسكرية الموجودة في معسكرات العاصمة. ومن أجل جعله قادراً على الوقوف بوجه الجيش، اقترح محسن الشيخ راضي برنامجاً لتدريب اعضاءه على استخدام الدبابات، وتم ذلك وتخرجت دفعات قتالية كثيرة. لكن غياب الانضباط وغياب الواجبات المحددة بقوانين، فضلاً عن إنتشار مشاعر التفوق الحزبي بين اعضاءه على آمريهم، جعل روح الالتزام والربط العسكري مفقودة، واشاع التسبب والتصرفات الكيفية.

ولذلك لم يستطع جهاز الحرس في اعماله، مضاهاة الادارة الحكومية والعسكرية، بل تحول بسرعة ودون رغبة منا إلى مجموعات لاتربطها رابطة مركزية مسؤولة واحدة. وتحولت تدريجياً من حماية الامن السياسي والاجتماعي إلى إزعاج الناس بالتدخل المباشر في شؤونهم وفي شؤون الادارة والتسيير الحكومي الذي سبب كثيراً من الارتباك والاحتكاك مع السلطات الحكومية. وتعرضوا للهيئات الدبلوماسية واخضعوا سيارات السفراء للتفتيش، كما لو كانت تعود لمواطنين عاديين، واجبروهم على النزول من سياراتهم وتفتيش جيوبهم واجسامهم. وكانت تصل إلى مقري كوزير للخارجية يومياً عشرات الشكاوي. وأسوأ ما في هذه الصفحة هو تبرعهم، دون تكليف رسمي، بمحاصرة ومراقبة بعض السفارات كالسوفيتية. علماً ان الاجهزة الامنية المختصة موجودة وتقوم باعمالها.

تضاعف حجم الحرس القومي خلال ايام إلى ارقام لم نكن بحاجة إليها ولا يمكن ضبطها. وأصبحوا يرون في علي صالح السعدي مثلهم الاعلى. في حين كان جهاز الحرس عندما انشئ

في حين تدفق من حي الاعظمية أنصار الحركة نحو وزارة الدفاع وتسلم كل منهم واجبه المكلف به. وقتلت مجموعة اغتيال خاصة زعيم الجو خلال جعفر الأوقاني. وكان أهم واجباتهم هو القيام باعمال متفرقة يشعر بسببها جميع المترددين بأنهم إزاء حركة واسعة ومدروسة (عسكرية ومدنية). فقد اثار الرجال المسلحون، بملابسهم المدنية، رعباً بين صفوف خصومهم، أكثر مما أثارته البزات الرسمية والعجلات العسكرية. ولم تكن الحركة تحتاج أكثر من اشاعة الارتباك بين صفوف الشيوعيين والعسكريين لتتمكن من أحكام سيطرتها. ويقول ذياب العلكاوي: "ان احمد حسن البكر كان قد وجه في آخر اجتماع قبل التنفيذ سؤالاً إلى حازم جواد قائلاً: ترى من من المشاة سيرافق أبا قيس (العلكاوي) وهو يقود الدبابات الثلاثة إلى الاذاعة؟" فأجاب حازم بثقة: "ليصطحب معه سيارتين لسوري فارغتين وشبابنا المنتشرون بدءاً من جامع اليرموك إلى مخفر شرطة المأمون، شبابنا الذين يرتدون بزة الحرس القومي هم مشاة أبي قيس" [1].

محدود العدد ومحدد المهمات، وسليم القيادة. ثم فتحت ابوابه لمن " هب ودب ". فأصبح حارساً قومياً عقائدياً كل من لبس البدلة وحمل السلاح، حتى لو لم تكن لديه مؤهلات أو أدنى فكرة عن أهداف مؤسسته وصلاحياتها. وكان علي السعدي يتردد على مقرات الحرس القومي ليلاً، وأحياناً يجالسهم ويتناول معهم الشراب، ويعتبر ذلك مظهراً شعبياً. وينتهي الأمر بهم في "توالي" الليل إلى مطعم "الحاتي للباجة". وهناك تلور النقاشات بصوت عال بما في ذلك اسرار الدولة واشخاصها وما لها وما عليها. ويصبح كل شيء في أفواه عامة الناس، ويتحول الذين كانوا يأكلون "الباجة" بعد منتصف الليل إلى مصدر للخبر.

كان علينا ان نعترف كقيادة لحزب البعث — قطر العراق — بأننا لم نضع للحرس القومي خطة مدروسة جيداً، تتعلق بمهامه وبمحصيره بعد نجاح الثورة. ومافكرنا به بدقة هو فقط المهمات المستعجلة خلال عملية الامساك بالسلطة، ليكون مفيداً للجيش، ويساعده في المحافظة على الامن. وقد أدت مؤسسة الحرس مهامها تلك بكفاءة مشهودة. لكن بعض رجاله اعجبتهم حالة الثورة والفوضى المرافقة لها، فأرادوا المحافظة على اجوائها.

لم تقتصر ممارسات الحرس القومي على بغداد وحدها، بل تجاوزتها إلى مدن البلاد الاخرى، وكانت تصلنا اخبار ممارسات أفرادها الفوضوية المضحكة المبكية بصورة متأسخرة، اي بعد خراب البصرة. وقد روى رفاق لنا بعد فقدان السلطة عن ممارسات "قراقوشية" لم نتصور انها يمكن أن تحصل في الواقع. وسأروي نماذج من حكايات كنت شاهداً عليها، ليس لأساهم في الفضح وإنما لأدافع عن العقلانية التي بسبب فقدانها عانت بلادنا ووصلت إلى حالتها الحاضرة المؤسفة.

رؤساء بلديات رؤوسهم معصوبة

تم تعيين محمود شيت خطاب وزيراً للشؤون البلدية باقتراح من علي صالح السعدي وكان يميل إليه ويعرفه من فترة سابقة. وخطاب بدوره يعتبر السعدي احد اصدقائه. وكان خطاب قومياً اسلامياً ذا سمعة طيبة وحميدة وعرف كضابط بكفاءته وامانته وصراحته، وقدم لنا موازنة مخصصة في ساعات حالكة خلال عهد عبد الكريم قاسم. وعندما عزم على تعيين رؤساء بلديات جدد في نواحي مختلفة من البلاد، قدم اسماء المرشحين إلى القيادة القطرية قبل عرضها على مجلس الوزراء، فأقرتها القطرية بعد اجراء تعديلات مناسبة ثم عرضها على الحكومة التي وافقت عليها بالاجماع. وبدأت وزارة البلديات في تنفيذها. وقد اعتنينا بأمر التعيينات البلدية لانها ستكون واحدة من النوافذ التي نطل منها على المجتمع بعد قسوة ممارسات الايام الأولى الاضطرابية للثورة. وفي أحد الايام وبعد إكمال إجراءات التعيين والتحاقهم بمناصب عملهم الجديدة، جاء شيت خطاب إلى مقر حازم جواد، وكنت موجوداً هناك ايضاً، ومع خطاب ستة اشخاص كأنهم خارجون تواً من غرفة إسعاف وتضميد، يحملون رؤوساً

معصوبة وأيدي وأرجلاً وأقداماً بحجرة. وكان منظرهم أشبه بتظاهرة أثار استغرابنا. فسألنا الوزير: "من هؤلاء يا حاج محمود؟". فقال إنهم رؤساء البلديات الذين وافقتم على تعيينهم، قام رجال الحرس القومي بضربهم تأديباً لهم، وطلبوا منهم أن لا يعودوا مرة أخرى إلى مراكز عملهم، لأن قيادات الحرس المحلية قد إختارت بنفسها رؤساء بلديات آخرين، وهم الآن يمارسون وظائفهم دون الرجوع إلى وزير البلديات.

مع العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت^(١)

قدم عبد الكريم مصطفى نصرت إستقالته من قيادة الحرس القومي معللاً: إنه لا يستطيع ضبط تصرفات أفرادهم. لأن كل واحد منهم يعتقد أن درجته الحزبية تؤهله لأن يكون أعلم من أصحاب الشأن وذوي الاختصاص فيما يجب عمله. ويكون ذلك أسوأ إذا كان مركز الحارس القومي الحزبي أعلى من أمره العسكري. فلم يحترموا الانضباط والتسلسل الإداري ولا الرتب العسكرية. وإنه، أي مصطفى نصرت، لم يعد يطبق تحمل ضغط الأعصاب ولا حجم شكاوى الناس ومؤسسات الدولة والجيش. كما إنه غير قادر على تنفيذ العقوبات أو تأمين سلامة تنفيذ الأوامر لعدم وجود الأداة بين يديه.

وقد أخبرني نصرت: "إن جولات علي السعدي على مقرات الحرس القومي وتصرفاته أمامهم وتحذره عن المسؤولين الآخرين وعن السفارات الأجنبية التي تتجسس على العراق!! وغير ذلك من الكلام الذي يشجع الحراس القوميين على تقمص شخصيته وعلى قلّة الالتزام، خصوصاً وإن ما يسمعونّه صادر من أعلى جهة في الحزب والدولة. وإنه، أي نصرت، يستقيل لعدم قدرته على أداء مهمته.

وعلى ضوء الاستقالة الآتفة تم تعيين ضابط حزبي قديم، يحترمه البعثيون، هو منذر الوندادي الذي وعد بضبط الحرس القومي، لكنه إضطرب مجبراً على مسايرتهم بدلا من كبح جماحهم. فاستمرت ممارساتهم المثيرة وتبادلهم إطلاق الناريومياً في بغداد مع قوة الحراسة المرافقة لعبد الكريم مصطفى نصرت الذي أصبح بعد إستقالته قائدا للفرقة الرابعة المدرعة، وهي الفرقة

١- العميد الركن المظلي عبد الكريم نصرت أضيف عضواً في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري قبيل ٨ شباط ٦٣ بأيام بهدف زيادة عدد الضباط من ذوي الرتب الكبيرة، ثم عين أول رئيس للحرس القومي، وقائداً للفرقة الرابعة المدرعة، ثم قائداً حزبياً في التنظيم العسكري للبعث بعد ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣. قتل نظام صدام حسين غدراً، ولفق تمثيلية سخيفة عن مقتله وعرضها في تلفزيون بغداد. وتمكن تنظيم يسار البعث من الحصول على النسخة الخاصة بالتحقيق السري الذي أجرته شرطة الكرخ العسكرية، وجاء التقرير الطبي مخالفاً لنتائج التحقيق التي أذاعتها سلطة ١٧ / ٣٠ تموز ١٩٦٨ عبر الراديو والتلفزيون، فقامت بطبعها بمطابع حزب البعث السرية (اليسار) على شكل منشور وتوزيع عشرات الآلاف منه في كافة أنحاء العراق. وعلى أثره قامت حكومة بغداد بتغيير إدارة الشرطة العسكرية ونقل الأطباء الثلاثة الموقعين على نتائج التحقيقات الطبية إلى مناطق نائية.

العسكرية الوحيدة الموجودة في بغداد، بمعنى إنه يقود قوة النظام وحماته من الضباط البعثيين الذين نفذوا ثورته. أما سبب إطلاق النار بين حراس قائد الفرقة ومسلحي الحرس القومي فمصدره إصرار عبد الكريم نصرت على عدم الامتثال للتفتيش عند الذهاب والعودة يومياً من وإلى منزله.

دولتان ومرجعيتان

أصبح روتينياً أن يدخل الحارس القومي إلى المحكمة، ويمد يده إلى قفص الاتهام ليخرج منه من يشاء من المتهمين، ويترك خلفه القاضي مندهشاً، خجلاً وخائفاً. لكن القاضي تجنبا للإحراج يضطر في النهاية إلى الخضوع والتظاهر بالموافقة، فيصادق على الفوضى. ويحصل مثل هذا الأمر بصورة أكثر صراحة وإزعاجاً خارج مدينة بغداد، بعيداً عن مركز قوة الدولة حيث تفقد المحاكم هيبتها ويحل الخوف محل الأمن والطمأنينة، بصورة تظهر فيها أجهزة الدولة الرسمية هزيلة وعاجزة أمام رأي عام صامت وربما شامت.

وهكذا بدانا نشعر بأن الدولة التي نقودها أخذت تنفك بفعل الأضرار التي يلحقها بها جهاز محسوب عليها وعلى الحزب الحاكم نفسه. فكانت هناك دولتان ومرجعيتان، يقع في الإحراج أمامهما حتى الحكام الفعليون.

ظواهر لا يمكن السكوت عليها

في أحد الايام، بينما كنت عائداً إلى منزلي بعد انتهاء اجتماع المجلس الوطني لقيادة الثورة، أوقفني على الطريق رجال الحرس القومي، رغم ان سيارتي معروفة لديهم وتحمل نمره (الخارجية ١)، فسألت أحدهم: لماذا أوقفتم السيارة؟ قال: لدينا إنذار. قلت: ومن أصدره؟ أجاب: القيادة.

وعندما وصلت الدار اتصلت بقيادة الحرس مستفسراً، فأجابني نائب القائد العام نجاد الصافي قائلاً: والله ليس لديهم ما يعملونه فأصدرنا لهم إنذاراً!! فقلت: وهل إزعاج بغداد كلها وإثارة قلق المواطنين وبث حالة من الرعب يجلب لكم الطمأنينة والأمن؟ إنكم تجعلون المواطن يعتقد ان الحزب والدولة مرتبكان وخائفان من عدو يترصدهما. وأضفت: ان عدم وجود أعمال لدى الحرس القومي لا يبرر ما تفعلون، فلماذا لا يذهبون إلى ثكناتهم أو تسرحون من ليس لكم حاجة بهم، وتكفونوا وتكفوا عن الناس شرهم؟

وكل ذلك كان يمكن معالجته بشيء من الحوار وببذل جهود استثنائية، دون الحاجة إلى استخدام السلاح. لكن شيئاً أخطر وأكثر صيبانية وفوضوية يحصل كل يوم وهو إقدام أفراد الحرس، دون أسباب موجبة ودون خطة محسوبة، على مضايقة وتفتيش ضباط الجيش وقادته،

وهم قوة مدججة بالسلاح واقل وأكثر تنظيمًا من الحرس القومي. ومن غير الممكن وليس معقولاً أن يوافق الضباط على خضوعهم للتفتيش أربع مرات باليوم عند ذهابهم وعودتهم، بمن فيهم الضباط البعثيون الذين بمسكون أهم المراكز والوحدات العسكرية والامنية.

ولذلك وكان أولي أمطروا مكاتب وزير الدفاع صالح مهدي عماش، ورئيس أركان الجيش طاهر يحيى التكريتي ومعاونيه خالد مكي الهاشمي، ومدير الاستخبارات محيي محمود، وقيادة المكتب العسكري للبعث بشكواهم وتظلمهم. وكان ذا مغزى أن الضباط لم يلحظوا خلال محتهم مع الحرس أي تعاطف من قبل علي صالح السعدي أو جماعته ولا من قبل قيادة فرع بغداد للحزب، بما يخفف عنهم ويشعرهم بوجود رغبة في تسوية الامر.

وعلى ضوء ماعرضت ولأسباب أخرى كثيرة، تحركنا مرات عديدة بهدف إيقاف تدهور الوضع وكان بين تلك التحركات، عقد اجتماع للقيادة القطرية في مكتب حازم جواد (بعد فترة قصيرة من الثورة)، ولم يكن علي السعدي موجوداً، وبعد التداول حضر السعدي فأبلغه حازم جواد بقرار تنحيته عن وزارة الداخلية. فقال السعدي: ارفض ذلك وأنا خارج من هذه الجلسة. فاجابه حازم اخرج واعتبر نفسك مفصولاً من الحزب منذ هذه اللحظة. وباليتمها حصلت ...

لكن السعدي استدار فجأة وجلس هادئاً كالتلميذ في كرسية، قائلاً: ولكن أرجو أن تسمحوا لي باختيار الوزارة البديلة. فاختار وزارة الارشاد. وفي الواقع لم تكن هذه الوزارة أهمية كبيرة، بل اعتبرناها خاضعة في أي وقت لتوجيهنا، مادنا في السلطة، فهي تنطق باسم الحكومة ولن تتحول مركزاً للاستقطاب.

انتهت الجلسة بخروج علي من الداخلية إلى الارشاد. في حين نقل مسارع الراوي من الارشاد إلى وزير دولة بلا وزارة وبلا مكتب. ولم يكن قرار القطرية حاسماً كفاية لكي يفهم الحراس القوميون انهم أخضعوا وعوقب رمز تسيبهم وفوضويتهم. كما ان التجربة العملية أثبتت ان وزارة الارشاد هي أهم مما تصورنا، خصوصاً إذا ما انتقلت من يدي مسارع الراوي وهو بعثي غير قيادي إلى يدي شخصية مثيرة مثل علي السعدي الذي جعلها مركزاً للاستقطاب ومركزاً ومقرراً للتأثير على الرأي العام البعثي وغير البعثي.

ولابد لي هنا من التأكيد بان أحداً منا لم يفكر في تعيين هاني الفكيكي وزيراً للداخلية بدلاً من السعدي. وان عبد الستار عبد اللطيف لم يكن في موقع يسمح له بعرض وزارة الداخلية على الفكيكي أو حججها عنه. فلم يحضر هاني اجتماعها عندما قررت تنحية السعدي وتعيين حازم في محله. فالقرار اتخذه المكتب السياسي الذي يتكون مني (طالب شبيب) وحازم جواد وعلي السعدي ومحسن الشيخ راضي وكریم شنتاف وحيد خلخال، بغياب حمدي عبد

المجيد، ولم يكن الفكيكي حاضراً في ذلك الاجتماع، رغم استدعائنا عضوين من قيادة فرع بغداد لأسباب تتعلق بالاختصاص والاستشارة، وكان أحدهم كما أتذكر د. فائق البراز (يعيش بأمريكا حالياً)، وأذكر أنه تحدث قائلاً: إذا خرج علي من الداخلية فلا يجب ان يحل محله غير حازم جواد. واعتذر حازم في البداية، ولكن لم يكن هناك بداً من قبولها. لأنه لم يكن بيننا من هو مرشح لها، ولم اكن أنا شخصياً أستطيع الجمع بين الخارجية والداخلية. ولم يفتح أي شخص آخر بمن فيهم الفكيكي، لا بأمر إخراج علي السعدي، ولا بتوزيع الحقائق الوزارية. وليس صحيحاً ما جاء بكتاب "أو كار الهزيمة" بأننا أنا وحازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف عرضنا على الفكيكي وزارة الداخلية، ولم يقف أحد ضد تسلمه الداخلية أو غيرها. وارى ان ما كتبه لا يعبر إلا عن بواطن حلمه في ان يكون وزيراً، ولو كنا نعرف ذلك لأعطيناه وزارة^(١).

مواجهة بين الجيش والحرس القومي

في تلك الفترة وبينما كانت الأمور تتفاعل، دخلت مكتب رئيس الجمهورية عبد السلام عارف في القصر الجمهوري لقضاء حاجات تتعلق بوزارتي، فوجدت عبد السلام يتحاور مع وزير الدفاع في موضوع التجاوزات اليومية على مؤسسات الدولة والجيش. وكنت في عجلة فاستأذنتهما علي ان أعود مرة أخرى. لكنهما أصرّا علي ان استمع إليهما. فتحدث صالح مهدي عماش قائلاً:

أنا لست عضواً في القيادة القطرية، وأريدك ان تستمع ليصل ما أقوله إلى أعضائها. وأضاف: انه يشعر بوجود تدمير بين قادة الجيش بسبب إهانات الحرس القومي لهم وإيقاف سياراتهم العسكرية على الحواجز، وتفتيش ركبها من الضباط ومعاملتهم بطريقة غير لائقة. وغالباً ما تأتي الشكاوى من ضباط بعثيين، شاركوا في الثورة. وتستطيعون الآن الاستفسار من وكيل وزير الداخلية ومدير الشرطة العام عن عدد الإصابات اليومية بين أفراد الحرس القومي بسبب سوء استخدام رشاشات بور سعيد المصرية الصنع، وهي ليست حسنة التأمين " وتثور " وتقتل الأفراد عندما يتمازحون أو يهدد بعضهم بعضاً لهواً ومزاحاً. وأحياناً

١ — بعد التدهور السريع الذي أصاب علاقة علي السعدي بالمسكرين، بعثيين وغير بعثيين، عقد اجتماع ضم الفكيكي والبكر وطالب وجردان وطاهر يحيى التكريتي وعبد الستار عبد اللطيف، واجمع الحاضرون على ضرورة إخراج علي السعدي من الحكم وتحذيره بأن الجيش مستعد لفرض ذلك الامر. وبعد مداولات وتهديدات من البكر بالاستقالة تقرر تغيير وزارة السعدي من الداخلية للارشاد. ويقول الفكيكي انه في مساء ذلك اليوم وقيل اجتماع المكتب السياسي لإقرار مام الاتفاق عليه، اتصل به طالب شبيب وعبد الستار عبد اللطيف وحاولا اقناعه باستلام وزارة الداخلية خلفاً للسعدي. ورفض الفكيكي ذلك الاقتراح، واقترح بالمقابل تعيين حازم جواد وزيراً للداخلية لانه الوحيد للمعادل للسعدي في قيادة الحزب والدولة[2].

تنطلق عند سقوطها من أيديهم أرضاً. وحسب علمي ان هناك ست حوادث قتل أو موت تحصل يومياً للأسباب المذكورة. كما ويرتاد عدد كبير من افراد الحرس القومي الملاهسي والحانات البغدادية الليلية، يفرضون على اصحابها ما يشاؤون، وعلى الفنانين والفنانات من طلبات الاغاني إلى طلبات "المضاجعة". وستجدون كلما تعمقتم في البحث ما يصم الآذان ويزكم الانوف. واذاف: ان كل ذلك مقبول ويمكن معالجته. ولكن الخطر الحقيقي سيكون في حالة دفع الامور إلى الاصطدام المسلح بين الجيش والحرس. ولن اسمح بذلك، بوصفي وزيراً للدفاع. وارجو ايقاف تلك الاستفزازات وإيقاف التشجيع الذي يلقيه الحرس القومي من علي صالح السعدي... انتهى كلام عماش.

اطرقت وفكرت ملياً بما قاله عماش ، وحاولت أن أجد أسباباً لما يحصل. وكنت قبل ذلك قد قدّرت بأن بعض الفوضى ربما تعود إلى شعور عدم الرضى لدى بعض اعضاء القيادة القطرية من مؤيدي علي السعدي الذي بات لا يحترم احداً ويتغيب عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء، بسبب عدم مشاركتهم في ادارة السلطة، فقررنا إلحاقهم بعضوية المجلس الوطني لضمان مساهمتهم في مناقشة وإقرار الاعمال الحكومية. لكن ذلك لم يخفف من الفوضى السائدة.

وحينها تذكرت وادركت بأن العقيد الركن عبد الكريم نصرت وهو أول قائد عام للحرس القومي، لم يقدم إستقالته لعدم كفاءته وإنما لعدم تمكنه من ضبط الفوضى. وان منذر الوندائي رغم شجاعته المعروفة، لم يكن أقوى ولا أشجع ولا أرجل من كريم نصرت، بل وجد نفسه غير قادر على السباحة ضد التيار، فسبح معه. وشكل التوافق بين القائد العسكري الجديد والقيادة العامة للحرس القومي كارثة لمسيرتنا وتجربتنا في السلطة^(١).

نقلت تحذير صالح مهدي عماش والقيادة العسكرية البعثية إلى القيادة القطرية للحزب، فتذمر علي السعدي وجماعته تذمراً سيتطور إلى خلاف شديد بيننا، بدلاً من استغلالها فرصة للمصارحة وإعادة التفكير والتقويم والعودة بالأمر إلى نصابها.

١ — من أكبر أخطاء القيادة العامة للحرس القومي هو استمراره بتأدية نفس المهمات التي قام بها في الأيام الأولى لحركة ٨ شباط [3]. وبذلك أخذوا تدريجياً دور الشرطي ومراقب التموين والمخاتير ورؤساء البلديات. في حين كان البعثيون قبل السلطة يحلمون بأفكار أكثر خطورة كالوحدة وتحرير الاراضي المحتلة ومكافحة التبعية الاقتصادية والثقافية والثورة على الاساليب القديمة والبحث عن مكان بين الحضارات المعاصرة. لكن تدخلهم بشؤون الدولة وضعها في خطر وأظهرها راکعة خاضعة وخائفة واخذت تكتسب احترامها الضروري من خوف المجتمع من الحرس القومي. اما الشعب فشعر بخوف لم يحس به من قبل بسبب وجود دولة أخرى غير نظامية وغير ملتزمة بمحدود قانونية تتحكم بعلاقته بالشؤون العامة، مما صادر من المجتمع حياته المدنية وخلق عزلة وحلداً بين المؤسسة والمواطنين الذين يميلون إلى الحياة العلنية الآمنة ويفضلون التعامل مع القوانين الرسمية.

لجنة تحقيق برئاسة احمد العزاوي

وعلى ضوء التطورات الخطيرة وبعد حادث رؤساء البلديات شكلنا لجنة تحقيق حزبية على مستوى عال برئاسة المرحوم احمد العزاوي^(١) وقامت بجولة على كافة ألوية وأقضية العراق، وأعدت تقريراً ضخماً حول نوع الممارسات والتجاوزات على المواطنين وضد أجهزة الدولة.

وبعد إتمام عملها حصل اجتماع في وزارة الداخلية حضره حازم جواد ومحسن الشيخ راضي وأحمد العزاوي وأنا. وعندما سألنا عن النتائج أجاب العزاوي ضاحكاً: لو عرفتم ما فيه لخدمتم الله على ما تعلمون. قلنا: نريد نسخة من هذا التقرير، قال: لا نستطيع إعطائه الآن، لأننا لم نستكمل صياغته النهائية، ولم نتوصل بعد إلى توصيات واقتراحات محددة، وأضاف مازحاً: "قد لا نسلمه لكم لأننا نعرف موقفكم من الحرس القومي، وبالتأكيد ستستخدمونه لمزيد من الدعوة إلى وقفه والتضييق عليه".

وفي الحقيقة لم نكن قد فكرنا حتى اللحظة الأخيرة في حل الحرس القومي لأننا أيضاً نظرنّا إليه كاحتياط مسلح يحمي الحزب، بشرط أن لا يوضع في مواجهة القوات المسلحة التي يسيطر على وحداتها الرئيسية ضباط بعثيون سيطرة تامة.

أردنا للحرس القومي أن يكون عوناً لحفظ الامن الداخلي، لأن جهاز الشرطة فاسد ولا يعتمد عليه، ولم نرغب في أن نزج الجيش في مهمات الأمن الداخلي التي ستشوه سمعته وتبعده عن وظيفته الاساسية وهي الدفاع عن ارض الوطن ضد اي عدوان خارجي محتمل، وتآدية دوره الموعود في مهمات التحرير القومي.

لكن النتائج لم تأت مطابقة للآمال، لذلك فكرنا بحل تبقى معه قيادات الحرس القومي وقواته الرئيسية موزعة على مراكز اساسية على رأس عدد محدود من الحراس المرموقين والمؤمنين، في حين يذهب البقية منهم إلى أسرهم واعمالهم مع الاحتفاظ بالملابس والسلاح في بيوتهم أو في اماكن امينة يتفق عليها. ويرافق ذلك تنقية الجهاز من العناصر الضارة والانتهازية، مع تشكيل جهاز خاص كفوء للانذار السريع بإمكانه الإشراف على نظام

١ — احمد العزاوي: عضو قيادة فرع بغداد وعضو القيادة العامة للحرس القومي وعضو القيادتين القطرية والقومية للبعث، ومسؤول مكتبه العسكري منذ عام ١٩٧١ اثر الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس السوري حافظ الأسد. وقد تم اغتياله بعد محاولات عديدة فاشلة من قبل جهاز المخابرات العراقية وعمالته في عام ١٩٧٥. وكان شخصية حزبية مرموقة وخطيرة وشهد وقائع البعث العربي الاشتراكي وتنبأ بخطر الدكتاتورية منذ ١٩٦٣ [4] وتنبأ بمستقبل مظلم للعراق تحت سلطة (البكر — صدام) لذلك استعجل رفاقه اطراف المعارضة للقيام بعمل جاد، فساهم في تأسيس التجمع الوطني العراقي الذي ضم الحزب الشيوعي (ق. م.) والبعث (اليسار) وحركة القوميين العرب والحركة الكردية واطراف معارضة اخرى. ومنذ استشهاده لم تستطع المعارضة انشاء تجمع بنفس الفعالية والرسوخ رغم اتساع رقعة المعارضين وأعدادهم.

مدرّوس للتعبئة. ومن أجل تحقيق ذلك اقترحنا، مباشرةً قبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث، اخراج منذر الوندائي من قيادة الحرس القومي وتسليمها إلى ضابط غير سياسي هو المقدم عبد الستار رشيد لكي يقوده استناداً إلى قواعد عسكرية فنية، فيخضع للأوامر الرسمية القانونية. وجاء الاقتراح بعد مداولات بين حازم جواد والبكر وعماش وجميل صيري ومحمد المهداوي وعبد الستار عبد اللطيف وآخرين، لكنه فشل لأن منذر رفضه بشدة^(١).

أما فكرة حل الحرس القومي فلم تدرس ولم تطرح بيننا، ولم تدر في خلد أحد من البعثيين باستثناء عبد السلام عارف وأولئك الذين التحقوا بالثورة قبيل وبعد إعلانها. وطرح عارف فكرة حل الحرس على هامش انعقاد المؤتمر الاستثنائي في ١١ تشرين الثاني ١٩٦٣، إلا إننا (حازم وطالب) أبلغناه بصراحة أن حله غير ممكن، ولكن ضبطه بصورة معقولة سيعيد الأمور إلى وضعها الطبيعي، وأفضل ما نقوم به الآن هو تشكيل قيادة كفوءة جديدة له، تحترم القوانين وتتدبر أمر منع أفراد من الخروج على الواجبات المقررة، وبذلك يتحول إلى احتياطي مفيد ومكمل للجيش والشرطة والأمن.

وعند انعقاد المؤتمر الاستثنائي لم يطرح أحد في المؤتمر أية ملاحظة حول مستقبل الحرس القومي. ولو كنا نرغب بحله لأذعناه مباشرةً خصوصاً بعد أن أعلنت وحدته التمرد علينا. وعلى أية حال فلم نحصل على الفرصة لتنفيذ ما فكرنا به من أجل تأهيل الحرس بسبب قيام عبد السلام عارف بانقلابه العسكري في ١٨ تشرين الثاني ٦٣ وإعلانه حله وانتهاء حكم حزب البعث.

إن ما يؤكد صحة ما ذهبت إليه من أننا لم نضمّر العداوة للحرس القومي، ولم نرغب بغير الإصلاح هو أن أيّاً من قادة الحرس الحاضرين في المؤتمر القطري الاستثنائي، الذي انتهى بتسفير علي السعدي وأركانها، لم يوقف أو يعتقل أو يجرد من مهنته ورتبته الحزبية. وكان يحضر المؤتمر كل من نجاد الصافي نائب القائد العام للحرس القومي وأحمد العزاوي عضو قيادته العامة فضلاً عن الوندائي وغيرهم، وقد خرجوا من المؤتمر سالمين وعادوا إلى

١ — يذكر أن المؤتمر القومي السادس الذي انعقد بدمشق، خلال الازمة الداخلية العراقية، بين ٥ — ٢٣ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٣ قد أشار إلى تمسكه بالحرس القومي رغم تحذيره من الأخطاء التي يرتكبها أعضاؤه. وأكد أن الحرس القومي هو حصن الثورة، ويجب توسيع تجربته ليصبح قادراً على تأدية مهام ثورية في ميدان البناء الاشتراكي، وفي توعية الجماهير الشعبية، والوقوف بحزم ضد أي خطأ يقع فيه بعض أفراد.

وواضح تأثير خط السعدي والمتحالفين معه من السوريين على أعمال المؤتمر القومي السادس الذي استخدم مصطلحات الاشتراكية الديمقراطية والعلمية وتسليم السلطة للعمال والفلاحين. فضلاً عن الموافقة على قيام وحدة ثنائية عراقية — سورية، يبقى فيها الباب مفتوحاً أمام مصر. وضرورة إقامة علاقات وطيدة مع الدول الاشتراكية. كما منح السعدي في أبعاد طالب شبيب وحازم جواد من عضوية القيادة القومية.

مقراتهم ليقودوا التمرد والثورة علينا. فلم تكن لدينا خطة ضدهم، بل كان هدفنا استعادة هيئة الدولة والقانون بحيث يأخذ الحرس مكانه فيها، وليس ليكون بديلاً عن كل شيء. بما في ذلك الدولة والحزب، ولا أن يصبح جهازاً عسكرياً محضاً موازياً للجيش النظامي، لأن أي بلد لا يهتم وجود جيشين. ومن الطبيعي أن تكون التجاوزات ضد القانون غير مقبولة حتى في أكثر البلدان تخلفاً وفوضوية.

سؤال: هل تعتقد أن القارئ سيكتفي، إذا تحدثنا عن الحرس القومي دون بحث الاتهامات الموجهة إلى بعض لجان التحقيق في بغداد وخارجها؟

طالب شبيب: في الأسبوع الأول للثورة، قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تشكيل لجنة عليا من مسؤولين في الحزب، لديهم معرفة تنظيمية وسياسية بتركيبة الحزب الشيوعي وأساليب العمل السري المعتمدة. وذلك بعد تكاثر عدد المعتقلين الشيوعيين ولعدم وجود لجان متخصصة تكفي للنظر في قضاياهم. وإيضاً بسبب عدم الثقة بالأجهزة التقليدية الموروثة من عهد عبد الكريم قاسم. وكان بين المكلفين بهذه اللجنة أعضاء من قيادة فرع بغداد وشعبها كنجاد الصافي وأبو طالب الهاشمي ومدحت إبراهيم جمعة وأحمد العزاوي وبهاء شبيب وعمار علوش ثم التحق بهم ناظم كزار وصادم التكريتي وعبد الكريم الشيخلي (قبل تعيينه معاوناً للملحق العسكري في بيروت).

واستطاعت هذه اللجنة في فترة قصيرة كشف الحجم الحقيقي للتنظيم العسكري للحزب الشيوعي، ولو كنّا عرفنا مدى سعته وامتداده قبل الثورة، لفكرنا ألف مرة قبل الإقدام عليها. إذ بلغ عدد منتسبيه بين القادة والضباط ونواب الضباط وضباط الصف ما يتجاوز الألفين^(١).

١ — حتى ١٩٦١ وصل أعضاء الحزب الشيوعي في الجيش إلى ٥٠٠ ضابط، وثلاثة آلاف من الجنود وضباط الصف من أصل خمسة آلاف ضابط (مجموع ضباط الجيش العراقي) ومائة وعشرة آلاف عسكري، وهو مجموع أفراد الجيش العراقي [5]. وبلغ عدد الضباط الذين يدفعون تبرعاً شهرياً للحزب الشيوعي حوالي ١٢٠٠ ضابط وآلاف من الجنود والمتعاطفين [6]. وبلي الشيوعيين من حيث عدد المنتسبين من أفراد القوات المسلحة تنظيم إخوان المسلمين ثم البعثيين والقاسميين [7]. وبسبب قوة الحزب الشيوعي ومعاملة قاسم القاسية للشيوعيين، فكر عدد من قادتهم العسكريين باستلام السلطة وكان أولهم الرئيس المتقاعد فاتح الجباري، تلاه في المطالبة بعد فترة (عام ١٩٥٩) خزعل السعدي وخليل إبراهيم. ثم الخطوة التي قدمها قائد القوة الجوية جلال الأوقاتي للإطاحة بقاسم، والتي تضمنت الاستعانة بوحيدات موجودة في بغداد للاستيلاء على وزارة الدفاع وتسفير قاسم إلى إحدى الدول الاشتراكية. لكن المكتب السياسي للحزب الشيوعي رفض التغيير ضد قاسم في اجتماع حضره كل من سلام عادل وزكي بحري وعمار عبد الله وعبد السلام الناصري ومرشح المكتب السياسي عزيز الشيخ. وكان هؤلاء جميعاً يضاف لهم بهاء الدين توري وثابت حبيب العاني يقفون ضد مبدأ استلام السلطة، ويستثنى منهم فقط سلام عادل الذي كان مع فكرة استلام السلطة،

←

مقارنة بتنظيمات القوميين. بمن فيهم منتسبو حزب البعث والتي لا يزيد أعضاؤها عن ٤٠٠ عسكري.

أما التنظيم الشيوعي المدني، فقد تمكنت لجنة التحقيق الخاصة من كشفه بسرعة، ونجحت بإعتقال قيادة الحزب وسكرتيره العام وداهمت كل مراكزه وأوكاره السرية ومخابئ أسلحته خلال أيام. وتمكنت من تجنيد عدد من قياديي الصف الثاني المتعاونين مع لجان التحقيق، في المطاردات إذ سمح لهؤلاء الخروج والعودة إلى المعتقلات لجمع معلومات عن كوادر الحزب الذين مازالوا أحراراً. وكانت تلك النجاحات سبباً في إطلاق سراح الكثير من المعتقلين عشوائياً أو المعترفين وغير المفيد للتحقيق.

وزير الدفاع عماش يأمر بقتل شيوعيين متعاونين

لعب عدد من الشيوعيين المتعاونين مع لجان التحقيق دور العميل المزدوج لحزبهم ولهيئات التحقيق. فيخبرون سكان الأوكار قبل مدهمتها بقليل ليتمكنوا من الفرار. لكن نجاح الحرس القومي في إلقاء القبض على بعض الهاربين من أوكارهم، كشف ازدواجية وتواطؤ أولئك الأدلاء، فعملوا بسرعة على سد الثغرة ومعاقبة المسؤولين عنها.

وأشهد أن الحرس القومي والجهاز الحزبي كانا ديناميكين وقاما بدورهما في التعقب والحماية والتحقيق بكفاءة عالية وحذاقة تعادل أو تفوق حذاقة الشيوعيين واجهزتهم الخاصة التي ساندت "محكمة الشعب" ضد القوميين أيام المد الشيوعي والمقاومة الشعبية.

وأرى ان اجهزة صدام حسين قد استفادت كثيراً من تراكم الخبرة، فتعلمت كيف يمكن حكم شعب غصباً عنه بواسطة ايجاد جهاز خاص منظم، يفهم آلية المعارضة، ويعيش افراده داخل المجتمع، يخدم الدولة وهو منفصل عنها بنفس الوقت. وبذلك يمكن الاحاطة بالخصم وتقليص مدى حركته وتدميره.

استغل صالح مهدي عماش (وزير الدفاع) فرصة غيابنا، أنا والسعدي، في القاهرة للتحضير لمجادثات الوحدة، فذهب إلى "قصر النهاية" ومعتقل "أبو غريب" ومعتقلات التحقيق الأخرى وطلب تسليمه حوالي عشرين شيعياً معتقلاً بينهم ١٨ من المتعاونين المزدوجي الولاء وأمر بإعدامهم، وبعد تنفيذ الإعدام ذهب إلى مجلس قيادة الثورة وحصل على قرار للمصادقة على قتلهم، رغم معارضة حازم جواد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وحيد خلخال وآخرين،

وهذه الجماعة بالإضافة إلى مجموعة خط آب ١٩٦٤، حطمت معتويات الشيوعيين وألحقت بها هزيمة أكبر من الهزيمة المادية التي لحقت بهم عام ١٩٦٣.

لان غيابنا رجع كفة العسكريين داخل مجلس قيادة الثورة^(١)، ولم تكن ازدواجية ولاء بعض المغدورين سبباً كافياً لقتل جميع المتعاونين، بل كان لبعضهم دور هام في إلحاق اكبر الضرر بتنظيمات الحزب الشيوعي العسكرية.

وعلى اثر مجزرة عماش المذكورة تقرر عدم تسليم المعتقلين إلى أي شخص مهما كانت صفته أو مركزه، خصوصاً أن عدد من أعضاء اللجنة الخاصة قدموا استقالاتهم وأبلغوني قراراتهم (وبينهم أخي بهاء شبيب)، فقدمت لهم الدعم والتأييد وطلبت منهم عدم الاشتراك بأي نشاط، قبل إيقاف الأعمال الكيفية الحقوق. وأخبرنا أعضاء اللجنة التحقيقية الرئيسية أن القتل في هيئات التحقيق أصبح نهجاً وثأراً من الماضي، أكثر منه عملاً أمنياً يستهدف حماية الحاضر، وبأن استمرار هذا النهج سيؤدي إلى قطع الأمل بالعفو والمصالحة.

منذ تلك الحادثة قررت القيادة القطرية ربط هيئة التحقيق كلها بمكتب جديد سمي بالمكتب الخاص ورئيسه عضو قيادة قطر العراق لحزب البعث هو محسن الشيخ راضي، وتم بوجود المكتب الجديد قطع صلة هيئات التحقيق بوزارة الداخلية ووزيرها حازم جواد ومدير الأمن العام جميل صيري البياتي. وبصراحة لا يمكن توجيه اية تهمة لمحسن الشيخ راضي الذي تسلم مكتبه بعد حوالي شهرين من الثورة، أي بعد تدمير البنية الأساسية للحزب الشيوعي.

أما قبل وجود المكتب الخاص فكانت هناك لجان مكلفة من القيادة القطرية ومجلس قيادة

١ — يتكون مجلس قيادة الثورة من المدنيين : علي صالح السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، محسن الشيخ راضي، حمدي عبد المجيد، كريم شنتاف، حميد خلخال، هاني الفكيكي، سعدون حمادي، ويصوت معهم من العسكريين عندما يتعلق الامر بالإعدامات كل من منذر الوندادي، عبد الكريم مصطفى نصرت، انور عبد القادر الحديشي، وأحياناً خالد مكي الهاشمي. أما اعضاؤه العسكريون فهم: عبد السلام عارف، احمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، طاهر يحيى التكريتي، ذياب العلكاوي، خالد مكي الهاشمي، كريم نصرت، عبد الغني الراوي، حردان التكريتي، منذر الوندادي وانور عبد القادر.

أما الشيوعيون الذين تعاونوا مع لجان التحقيق أو عملوا خطأ مائلاً بين الطرفين فمن بينهم: عباس خضير الخفاجي، عبد الوهاب عبد الرزاق (مرشح لجنة مركزية في فترة سابقة وأصبح وكيلاً مندساً على الحزب الشيوعي منذ ١٩٤٧)، حسين طه (عضو لجنة مركزية في مرحلة سابقة ايضاً واستدعي لمعاونة لجان التحقيق)، رسمي العامل (الذي تعامل مع بهجت العطية مدير التحقيقات الجنائية الملكية، ولم يحاسبه عبد الكريم قاسم)، وهاشم حسين (مسؤول الموصل).

و يعتقد الفكيكي إن عملية القتل تمت بسبب تسرب دعاية حول إمكانية أن يبدأ البعثيون والشيوعيون حواراً للتفاهم خصوصاً مع قادة الحزب الشيوعي المعتقلين، فجرى تدبير المجزرة المذكورة لقطع الحوار [8] وكان أحد أهم أبطال مجزرة عماش ضد الشيوعيين المتعاونين عبد الكريم الشيعلي الذي كوفئ، بدلا من معاقبته، بتعيينه معاوناً للملحق العسكري ببغروت.

الثورة، ومزودة بتعليمات خاصة لا تتضمن اية موافقات بالقتل. فلم نعط اية جهة، بعد اليوم الأول للثورة، صلاحيات بالقتل. وإن جميع الأحكام التي صادق عليها المجلس الوطني لقيادة الثورة قد جاءت بعد التنفيذ، أي بعد أن صارت أمراً واقعاً مفروضاً.

لم تكن اللجان المذكورة وحدها مسؤولة عن التصفية الجسدية للخصوم السياسيين، إنما حصلت أعمال فردية كثيرة خصوصاً في الأيام الأولى. ولم نكن نعرف بها، وساهم فيها طلاب ثار أو أشخاص ينتمون لحركات قومية وناصرية^(١) وكان أسوأها المجزرة التي نفذها عمال ضد الضباط في معسكر الرشيد، وأعمال قتل قيادة الحزب الشيوعي التي لم نكن بحاجة إليها.

ويجدر بنا الاعتراف بأن الخمسة أيام الأولى قد مرت بلا تخطيط وبلا قرار قيادي واضح نافذ، فحصل خلالها جل أعمال التعذيب والقتل. وكانت عشوائية قبلناها من أجل شل الجهاز العسكري الشيوعي.

١ — أصبح قصر النهاية مقراً للمكتب الجديد "المكتب الخاص" الذي تتبعه جميع هيئات التحقيق وفي مقدمتها مقر محكمة الشعب (سابقاً) ومركز تحقيق المأمون والنادي الأولمبي ونادي النهضة وكان تعيين محسن الشيخ راضي محاولاً لتفادي الأعمال الكيفية في تلك المراكز. لأن الشيخ راضي كان أعلى مرتبة حزبية من صالح مهدي وعماش واحمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح التكريتي الذين اعتادوا تغذية مراكز التحقيق التي مارست القتل ورمسي الجشت في مكائنات مختلفة لاسيما نهر دجلة. وهذه الحقيقة هي عكس ما تصوره الشيوعيون بأن رئيس المكتب الخاص يصبح مسؤولاً عن كل الجازر. ورغم أن الشيخ راضي لم يكن متعاطفاً مع الشيوعيين، لكنه كان واحداً من القادة المدنيين الذين لم يتبنوا أعمال القتل غير المبررة، ولم ينظروا للأمر بصورة ثارية، بل أدى تشكيل المكتب الخاص بداية الاحتكاك والاختلاف بين قيادة البعث المدنية من جهة وبين عبد السلام عارف وعماش والبكر وعبد الغني الراوي وغيرهم من جهة أخرى.

مراجع:

- [1] تحليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم (السقوط) ص ٣٤٤ رسالة ارسلها ذياب العلكاوي إلى تحليل إبراهيم.
- [2] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة ، مرجع سابق، ص ٣١٢ .
- [3] احمد العزاوي، لقاء بدمشق عام ١٩٧١ .
- [4] راجع كتاب هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق.
- [5] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، مصدر سابق، ص ٢٠ .
- [6] باقر إبراهيم، مقابلة بدمشق عام ١٩٩٤ .
- [7] ثابت حبيب العاني، مرجع سابق، ص ٢٠ .
- [8] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق ص ٧٦ و ص ٣٥٤ .
- [9] نشرة الطليعة، لسان حال حركة القوميين العرب ، صادرة في ١٣ شباط ١٩٦٣ ، مأخوذة من جمال باروت، حركة القوميين العرب ، مصدر سابق، ص ١٨٠ .

شيوعيون وبعثيون

حظ الانتساب : من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

سؤال : كان الشيوعيون بنصف سلطة وحكم البعثيون مرتين ، فهل حان الوقت لحساب الفوائد والأضرار التي لحقت بالاجتماع العراقي جراء احتراهما ؟ وهل من دروس مستفادة وجذرية ؟

طالب شبيب : ليس من اليسير الإجابة على هذا السؤال. فما حصل في الماضي تحكمت به عوامل متشابكة كثيرة داخلية وخارجية، كالإيديولوجيات والمناهج الوافدة من الخارج والمفاهيم والظروف المحلية الراسية والإلحاح في أدلة المفاهيم القومية البسيطة أصلاً وتحميلها مضامين معقدة ومتطرفة أو غير واقعية، أضرت بمسيرة الشعب العراقي ورجحت كفة الصراع والتصادم على كفة الوفاق والتكامل، وتركت آثاراً خطيرة على كلا الحزبين في نشأتها وتطورهما وحاضرهما، وربما ستؤثر على مستقبلهما.

اتسمت العلاقة بين الحزبين على طول الخط بالمنافسة الحادة بسبب تبنيهما شعارات واهدافاً متقاربة وتستهدف نفس الميدان، فكلاهما رأى في الاشتراكية ومعسكرها وحركات التحرر الوطني العالمية عوناً ونصيراً، وكلاهما طالب بالعدالة الاجتماعية وبإعطاء الحريات وتطبيق الديمقراطية البرلمانية وضمان حرية التعبير والتجمع وحقوق الإنسان . . الخ لكنهما تنكرا لكل ذلك بمجرد إمساكهما بالسلطة.

لكن التنافس بينهما اتخذ أسوأ أشكاله بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عندما حاول الحزب الشيوعي استثمار الواقع الجديد والمد الثوري الذي اكتسح العالم واستفاد من تعاطف حكومة عبد الكريم قاسم، للهيمنة الكاملة على الشارع العراقي والوقوف ضد شعار الوحدة العربية ومناهضة نظام جمال عبد الناصر واضطهاد الأحزاب التي لا تسير بركابه، فألغى وهو ما زال خارج السلطة كل مقومات الديمقراطية التي ظل يدعو إليها منذ ما قبل ثورة ١٤ تموز بفترة طويلة. والأسوأ من هذا كله كان عدم تخلي الحزب الشيوعي عن ممارساته السلطوية وعن طريقته في فهم الأمور حتى بعد ان تخلى عبد الكريم قاسم عن دعمه له ووقوفه ضد تجاوزاته، بل انه هبّ في ١٤ رمضان ١٩٦٣ حاملاً السلاح بوجه حزب البعث دفاعاً عن ديمقراطية قاسم رغم أنه كان حينذاك حزباً مضطهداً، تكتظ المعتقلات بمئات من أنصاره،

وعلى عكس ما رغبت استمرت سمة التصادم غالبية وكانت مبادرات العدواة تأتي باستمرار من طرف الحزب الشيوعي الذي لم يتوقف إطلاقاً عن تحريض قاسم ضدنا والإشارة إلى كتيبة الدبابات الرابعة محذراً بأنها ستقوم بمحاولة انقلابية ضد النظام^(١). وتكرر التحريض عندما دعونا للإضراب الطلابي الكبير قبيل ثورة ٨ شباط. فقد قاومه الشيوعيون رغم عدالة مطالبه ومقاصده ونجاحه في اغلب مدارس ومعاهد وجامعة بغداد. وأخيراً توجهوا مواقفهم العدائية باصطدامهم الخطير بنا يوم ٨ شباط وما تلاه من أحداث مؤسفة من قبلنا حطمت أوهام الوفاق والتفاهم.

ولم يكن ما حصل من تطورات سيئة بين الحزبين سوى انعكاس عملي عن الاختلاف النظري بين المنحى القومي والاممي وبين منظومتي مفاهيمهما. فلم يستطع الحزب الشيوعي العراقي تقدير أهمية الحركة القومية الجديدة وتأثيرها للتصاعد بل لم يستوعب ان ذلك المد القومي الذي بدأ يحتاج المنطقة في الخمسينات والستينات لم يكن "تقليعة" عابرة أو موجة طارئة. في حين ظن ان التبعية للمعسكر الاشتراكي ستحقق الانتصارات في المجالين الوطني والقومي والاممي، إذ فسر الشعار السوفييتي القائل ان "سمة العصر هي الصراع بين المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية". على انه لا نصر محلياً قبل حسم الصراع العالمي الكوني وبالتالي فلا أهمية للصراعات

أبناء الذوات والمتفوقين ككواكر للعمل في إدارة الدولة، لكن الحركة الوطنية المعارضة تمكنت من تحويل طلابها إلى بؤرة للمعارضة والتمرد. وبين طلابها طالب شبيب وعامر عبد الله ونوري عبد الرزاق وياقر إبراهيم الموسوي وموفق مصطفى العمري وهشام صفوت وغيرهم. وكانت القيادة القومية قد وجهت طالب شبيب للاتفاق مع الحبيب الشيوعي على هدنة تقوم على قاعدة "لا تلاقي ولا تصادم". ويدعي الشيوعيون انهم حاولوا طيلة عهد قاسم الاتفاق مع البعثيين. وبتكليف شخصي اتصل د. عبد الحسين شعبان بنوري عبد الرزاق وسأله حول حقيقة اتصال الشبيب به ؟ فأجاب "ان احداً من أقارب الشبيب اتصل بي عام ١٩٦٠ وأبلغني تخيمات طالب واستفساره عني... ولأن طالب كان صديقاً وزميل دراسة، اعتبرت الأمر مجرد تخمية من صديق" وذلك يعني أن الرسالة لم تصل إلى الحزب الشيوعي العراقي كما يجب بل انها لم تصل، وربما كانت الظروف الاستثنائية هي السبب الذي حال دون ذلك اللقاء. وكان نوري عبد الرزاق قد كتب في عام ١٩٦٠ موضوعاً في جريدة الشبيبة تحت عنوان "ينبغي استعادة التيار القومي"، وكان أشبه بدعوة للقاء[3].

١ - لم تصل إلى عبد الكريم قاسم تحذيرات عن الكتيبة الرابعة وعن انقلاب بعثي محتمل من الشيوعيين فقط بل فعلها آخرون أيضاً، فإذا عدنا إلى محاضرات محادثات الوحدة لرياض طه سنقرأ فيها ان علي السعدي اخبر عبد الناصر بان جماعة اكرم الحوراني في سوريا علموا بطريقة أو أخرى خطط البعث لاستلام السلطة في بغداد، فاخبروا قاسم بواسطة "شريف الراس" وكان ناطقاً بإسم الحوراني ويعمل في الصحافة العلنية فنشر فيها يقول "ان هناك مؤامرة في العراق". واذاف السعدي ان هذا يعني انهم تأمروا ضدنا وذكروا الأسماء "ووصل الخبر إلى بغداد ولو لم... الله يحميننا!!"[4]. اما الشيوعيون فلم يعتبروا أنفسهم وشاة بل مدافعون عن أنفسهم فقد قال عضو لجننتهم المركزية حامد ايوب: "لم تكن مجرد وشاة كما قد تتصورون ولكن كنا ندافع عن أنفسنا فقد تنبأنا لما سيحصل لنا وللمجتمع إذا ما نجح خصومنا، وقد تحقق ما تنبأنا به فعلاً بعد سقوط حكومة قاسم التي لم تستمع جيداً إلى تحذيراتنا".

والاهتمامات القومية والإقليمية، حتى بالنسبة لسكان الأقاليم التي تعاني مباشرة من مشاكل خاصة، إذا لم تنخرط في سياق النضال السوفييتي ضد أمريكا.

وكان ذلك تقييداً وإهمالاً مفضوحاً للمشكلات القومية الواقعية الضاغطة التي لن يتسنى لاية أمة ان تمتلك قدرة المساهمة بأي جهد عالمي قبل حلها. وبالمقابل أراد الشيوعيون فرض مفهوم غير واقعي لفكرة الأممية بدلاً من توظيفها بشكل عملي ومفيد يمكن من خلاله لعب دور أممي إيجابي في سياق تحقيق الأماني القومية والوطنية، من خلال التصدي للاستعمار ومنعه من التدخل في شؤون بلداننا وإقامة تضامن فعال بين الكتل الإقليمية كمجموعة الدول العربية أو الإسلامية أو العالم الثالثية. لذا فإن ما طرحناه على الشيوعيين لم يكن أمراً غريباً، فقد حصل ان تحقق ذلك في بلدان أوروبا الغربية التي لم تستطع ان تنطلق امياً لتحقيق أهداف ومصالح ذات بعد دولي إلا بعد ان اخذت قضايا أممها القومية مدياتها كاملة وبعد نضوج تجاربها الديمقراطية الداخلية تمهيداً للتعاون الإقليمي بين أمم القارة الأوروبية لتوحيد النظم ومعالجة الوسائل المشتركة بصورة يتوقع ان تؤدي تدريجياً إلى اضمحلال الكيانات الصغيرة ضمن كيان أوربي ديمقراطي واسع ومتقارب اجتماعياً. فكيف الامر إذن مع أمة عربية واحدة بلغة وتاريخ وارض وديانة وثقافة وميول وأحلام مشتركة.

فإذا عدنا لموضوعنا، سنجد الحزب الشيوعي في الوقت الذي أهمل فيه كل هذه الجوانب أراد بمختلف الوسائل منع القوى الأخرى من تبني أفكار مختلفة عن أفكاره، مما أدى إلى اصطدامه بالقوميين والبعثيين وكان الاصطدام برأي حتمياً^(١)، لأننا لم نختلف بالفكرة فقط بل

١ — في تلك المرحلة كان كلا الطرفين (الشيوعي والبعثي) يعيش حالة من الازدهار والعنفوان مدفوعاً بقناعة مطلقة بأهدافه وباعتقاد راسخ بأن حياة ومستقبل الأمة أو المجتمع متوقفة على نجاحه. فالفشل غير ممكن والنصر حتمي بإرادة من التاريخ !! تلك الإرادة الضرورية التي ستصل حتماً إلى غاياتها !! لكن دور الحزب سيدفع الأمور بسرعة أكبر بكثير. وكان كل طرف يعتقد جازماً انه يعرف خطة "التاريخ" ومن هذه المعرفة يستمد حقه الشرعي (الرسالي)، رسالة التاريخ أو الرسالة الخالدة في تصفية وإزاحة العوائق التي تقف في طريقه الذي أصبح طريق الأمة الوحيد، الأمر الذي جعل العقل ينزوي جانباً والتفاهم غير ممكن والتصادم حتمياً، وتطلب جولة طويلة ومفزعة من الالام والدماء والاحباطات لكي يصل كل منهما إلى قناعة أخرى. وكمقدمة للدم المسال تحاور الجانبان عبر صحافتهم السرية فكتب الشيوعيون محذرين ومتهمين، فيما ختمت صحيفة البعث الداخلية (الاشتراكي) ذلك الحوار بمقال بعنوان "تقطع اليد التي تمتد إلى الشيوعية". ويذكر زكي خيري في مذكراته [5] ان حزب البعث ابلغ كامل الجادرجي رده النهائي، ونقله الجادرجي إلى عامر عبد الله وقال فيه اننا "عازمون على هدم مقر قاسم على رأسه وان نصيحتهم الوحيدة للشيوعيين هي ان يتخلوا عن الدفاع عن قاسم نهائياً ويلتزموا الحياد!!". ومن يعرف الوضع جيداً حينذاك يعرف جيداً انه كان طلباً مستحيلاً.

أما خلفية امتلاك الأحزاب السرية للقوة في العراق فرمما جاءت من انعطافة سياسية حكومة نوري السعيد عام ١٩٥٤ نحو العنف، ومصادرتها للحريات وحل البرلمان مما أدى إلى إضعاف الأحزاب الليبرالية العلنية المسالمة وتجميد نشاط بعضها الآخر، فخلت الساحة للأحزاب السياسية السرية المتسامكة ليرث البعث والقوميون حزب الاستقلال، ويمتد

تبني كل منا عقيدة ثابتة هي مقاومة أي تغيير لا يكون هو طرفاً أساسياً فيه، خاصةً وأن الشيوعيين كانوا سيقاومون أي تغيير ليس شيوعياً.

وكان البعثيون يعرفون ذلك ويهيئون أنفسهم لرد فعل عنيف إذا ما حصل التعرض الشيوعي المحتتم والأكيد، رغم أن البعث لم يكن يعتبر الشيوعية فكرة عدوة له ولم يرَ الاصطدام بها أمراً مرغوباً أو مفيداً للامة والوطن. لكنه وفي كل مرة حاول فيها طرح شعاراته الخاصة على الجماهير، وجد نفسه في مواجهة الشيوعيين الذين لم يعطوا للسلام السياسي والاجتماعي أية فرصة بل صعدوا التحريض ضدنا من خلال مجريات المحكمة العسكرية الخاصة وأحداث الموصل وكركوك عام ١٩٥٩، التي كانت أمثلة صريحة على منهج الهيمنة المطلقة وعلى رغبة التصادم مع القوى التي تنوي الدخول بشعارات أخرى إلى الساحة السياسية العراقية. وكان الجدر أن يعبر الشيوعيون انتباهاً لما سيعكسه سلوكهم من أخطار على مستقبل العلاقات والتعاون بين القوى الوطنية. وشملت رغبة الهيمنة عندهم ليس فقط ساحة عمل الأحزاب القومية العربية بل تعدتها إلى الحزب القومي الكردي الرئيسي (البارتي) والحزب الوطني الديمقراطي ومضايقة زعمائه الكبار امثال كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل وهديب الحاج حمود^(١).

نشاط الحزب الشيوعي أكثر ويلجأ إليه شباب الوطني الديمقراطي، فينفرد الشيوعيون والبعثيون والقوميون العرب وحزب العربي الاشتراكي بالمعارضة السياسية، وتحمل الايديولوجيات الشمولية محل المطالبة البرلمانية التي أفسدها نظام نوري السعيد وتدخلات السفارة البريطانية. وهكذا تنازعت إرادات متماثلة كل منها يهدف إلى الانفراد بالسلطة لبناء نموذج سياسي، فوقع العراق ضحية تلك الخلافات.

١ - هاجمت جريدة اتحاد الشعب بصورة منتظمة، مباشرة وغير مباشرة سياسة كامل الجادرجي ووصفت الديمقراطية البرلمانية التي يطالب بها بديمقراطية الصالونات. وردت صحيفة الأهالي وهاجمت محكمة الشعب والأحكام الصادرة بحق البعثيين والقوميين. من فيهم المساهمون بمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم فحصلت بينهما مجادلة سياسية شقت صفوف التيار الوطني المحلي فذهب الشباب نحو الحزب الشيوعي والكهول إلى الحيات أو إلى الوطني الديمقراطي الذي اختلف زعماءه مع الشيوعيين حول بعض الأسس النظرية والطريقة الفورية العنيفة في معالجة القضايا والعلاقات السياسية. وكان غريباً أن الشيوعيين الذين وقعوا باستمرار ضحايا العنف السياسي غير القانوني، لم يرفضوا ذلك الأسلوب في معاملة خصومهم السياسيين كلما أتيت لهم الفرصة. وقد أدى تضيقهم على الوطنيين الديمقراطيين في بغداد والمحافظات الأخرى إلى عقد اجتماع كبير بين ٥/١١ و ١٩٥٩/٥/١٣ قرروا فيه تجميد نشاطهم الحزبي خلال الفترة الانتقالية. وهو مماثل قرارهم وقرار حزب الاستقلال عام ١٩٥٤ عندما حل نوري السعيد البرلمان وحكم البلاد بصيغة استثنائية ليست دستورية . . . مما دفع عبد الكريم قاسم في ٥٩/٥/٢٢ إلى انتقاد الممارسات الحزبية في خطاب علني. وكان حزبا الاستقلال والبعث قد سبقا الوطني الديمقراطي الانسحاب من جبهة "الاتحاد الوطني" لنفس الأسباب.

وقد أخبرني يونس الطائي قائلاً: عندما حصلت المظاهرة الكبرى بعيد العمال العالمي عام ١٩٥٩، جاء بعض أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي إلى عبد الكريم قاسم، وكنت حاضراً، فاشتكوا إليه ضرب الشيوعيين لهم، وكان يرافقهم الأستاذ محمد حديد (وزير المالية)، وأجهش بعضهم بالبكاء، فما كان من الزعيم عبد الكريم إلا أن أخرج مندليه وشاركهم البكاء بعد أن جلس مثل جلستهم ثم قال لهم "أنا مظلوم مثلكم واحتاج للبكاء، ولكن يجب أن تنتظر [6]."

طلبنا من التحقيق نتائج سريعة فحصلنا عليها!

في هذا السياق أود ان أذكر أيضاً بأن أمر الشيوعيين ومستقبل علاقتنا بهم كان قد بحث في اجتماع ضم القيادة القطرية والمكتب العسكري للبعث قبل ثورة رمضان. وكان صالح مهدي عماش عضو المكتب العسكري يقود حملة التسهيل من خطر الشيوعيين على اية محاولة سيقوم بها حزب البعث للوصول إلى السلطة، ويرى ان ٢٠ ألف شيوعي مسلح سيتصدون لنا بشوارع بغداد، ويجب اخذ ذلك بالحسبان عند التفكير بأي عمل ثوري.

ومن الطبيعي فإن موقفنا نحن المدنيين لم يصل إلى نفس الدرجة من الخشية، بل توقع بعضنا عدم خروج الشيوعيين إلى الشوارع دفاعاً عن قاسم بعد ان وجه إليهم ضربات قاسية ومريرة وقام بمنع صحافتهم من التوزيع. فأعتبرنا دوافعه التسهولية تعود إلى الصفة العدائية التي اتسم بها جميع العسكريين القوميين ضد الشيوعية والشيوعيين.

وقد كنا نحن -المدنيين في قيادة حزب البعث قيادة قطر العراق- بحكم عملنا في نفس ميدان عمل الشيوعيين اقل حدة وعداءً واقل تهويلاً لما يمكن ان ينجم عن وجود تنظيمات شيوعية واسعة من أخطار على مشروعنا للوصول إلى السلطة. ورغم ذلك فقد بحثنا الأمر في القيادة القطرية وبيننا كأعضاء لمكتبها السياسي وقدرنا الأمر على الشكل التالي : أولاً ان هناك أسباباً كثيرة للتصادم مع الشيوعيين وقد أصبحت لها جذور وتاريخ واقعي مثير، وهناك

والعشيرة أو التنظيم الأسري واصحاب الاملاك ومراكز أخرى كثيرة، على انهم أعداء أشداء للتقالييد، ووعودوا الجميع بثورة تمزق كياناتهم. وبسذاجة أحلوا محل طمأنينة العقائد الدينية التي استسلم منذ مئات السنين لها جميع المحتاجين إليها في مجتمعات الأرض وعاشوا معها في سلام كوني، عقيدة أخرى عقلية مسيحية بنسب من المفاهيم والمنوعات والموافقات والغوامض والمعميات، لأن الهدف هنا ليس الحقيقة الخالدة المتصورة، بل انتصار الجماعة المعينة، وليس العقل والمنطق معيار الحقيقة بل ادعاء العقل بعد حله داخل منظومة المفاهيم المرتبة بذكاء وعمق، لكنه ليس بالضرورة منسزه عن الخطأ.

في حين قدّم البعثيون أنفسهم، كما الشيوعيين، انهم ممثلين لكل فئات المجتمع العراقي وطوائفه، لكنهم وحدويون وغير معادين للدين ويشيدون بالتقاليد وغير خاضعين مثل الشيوعيين لاستراتيجية دولة كبرى. وكان خضوع الحزب الشيوعي في مجال استلام السلطة لحاجات وتكتيكات الدولة السوفيتية قد أدى إلى تعطيل حزبهم القوي القادر على قلب السلطة. ويعتقد البعض أن اتفاقاً سوفيتياً بريطانياً قد أخرّ حظوظهم في الاستيلاء عليها [8]. وهذه التبعية أبعدت عن الحزب الشيوعي أكثر السياسيين الفعالين الذين يفكرون بطريقة عملية، فلم يجدوا جدوى في الالتحاق أو البقاء في حزب لا يريد ان يقطع الشجرة بعد انضاجها.

ويذكر ان الحزب الشيوعي وضع في تموز ١٩٥٩ تقريراً يعترف فيه بالتجاوزات وبوجوب الوقوف ضدها، بما فيها التي لا تصدر عن الحزب، ووجه نقداً للمحكمة الفوضوية التي شكلها الشيوعيون في الموصل، فهم ليسوا دولة ١١ وكان هذا التقرير انتصاراً للتيار الذي وقف ضد استلام السلطة. وحينذاك كان سلام عادل يقود الرأي المؤيد لاستلامها ولكن بإجاء التيار المضاد شجع فكرة : "ان دور الشيوعيين لم يكن بعد" وتسمية تلك المرحلة بمرحلة البرجوازية الوطنية أو الديمقراطية الوطنية. وقد لعب بهاء الدين نوري دوراً خاصاً في هذا الاتجاه.

و ٩ شباط بوجود فرق اغتيال شكلها الحزب الشيوعي هدفها قتل قادة وكوادر حزب البعث ويرأسها حسن عويينة.

ولم يتسن لي الاطلاع على نتائج التحقيقات للتأكد فيما إذا كانت مجرد اختراعات لتبرير الامعان في سياسة تصفية واضطهاد الشيوعيين ام انه حقيقة. غير ان مجرد تداوله بيننا يعكس مدى عمق المخاوف التي اوجدتها مسيرة العلاقة بيننا وبينهم منذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣^(١).

وفي ٨ شباط ٦٣ وفي ظل الفوضى والخلافات حول الاسلوب والدوافع ، لم نكن قادرين على التفرغ لمراقبة الوضع أو لاقامة الدليل على التصرفات الثأرية والعدائية الصادرة من بين صفوفنا أو من حلفائنا القوميين، خصوصاً العسكريين الذين تحصنوا وراء حجج اهمها مبادرة الحزب الشيوعي للمواجهة صباح ١٤ رمضان وإرادته الاكيدة ضدنا . وقد جَرت تلك المبادرة والحجج إلى اشتباكات واعمال عدائية كثيرة لم يكن لها اية ضرورة واعطت مبرراً لكل الراغبين بالتأجيج وضرب الحركة الشيوعية.

لذا وبعد مرور كل تلك العقود ارى ان على الشيوعيين ان يعيدوا تقييم تلك المرحلة من تاريخ العراق السياسي بصورة أكثر جدية وعقلانية للوصول إلى فهم عميق لا يكون هدفه القاء اللوم فقط وإنما اخذ العبرة والاستفادة منها في معالجة المرحلة القاسية التي يمر بها وطننا في الحاضر. وليست صراحي هنا سوى محاولة للتقييم الشجاع ، رغم شعوري ان بعضه مؤلم بسبب ما رافقه من اساءات وآلام ودماء.

اما إذا تناولنا رد الفعل البعثي فسنجد انه ليس اقل قسوة ودموية عن ما كان يقوم به الشيوعيون، بل كان في احيان كثيرة اشد وأكثر دموية. واعتقد ان جميع القادة الأحياء من

١ — الشيء المؤكد ان لجنة للطوارئ وليس للاغتيالات كانت قد تشكلت برئاسة حسن عويينة، اما ماسمي بفرق الاغتيال فليس هناك دليل على وجودها. وقد وجهنا سؤالاً إلى أعضاء في قيادة الحزب الشيوعي بينهم عبد الرزاق الصافي وليد عباوي وحامد ايوب وكان جوابهم النفي المطلق. وسألت عامر عبد الله بواسطة د. جميل منير العاني [12] فنفى وجود مثل تلك الفرق. اما عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسي الذي كان موجوداً في العراق وظل على رأس عمله قبل وبعد ٨ شباط الأستاذ باقر إبراهيم الموسوي فلم ينفي وجود مثل تلك الفرق فقط بل ونفى وجود اية نية لتأسيسها [13]. وقد اثبتت الاحداث التي تلت ٨ شباط عدم وجودها، اذ لم تحصل اية محاولة ناجحة أو فاشلة لاغتيال أي من قادة حزب البعث في العراق فضلاً عن ان الحزب الشيوعي لم يقر ولم يلجأ في أي من مراحل تاريخه السياسي إلى نهج الاغتيال. لكن الشيوعيين ومنذ محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم طرحوا على انفسهم سؤالاً مثيراً هو: ماذا لو نجح خصوم عبد الكريم قاسم في اغتياله أو في انقلاب عسكري مفاجئ ؟ وإجابة على هذا السؤال وضعوا خطة طوارئ في عام ١٩٦٠ تضمنت شقين، الأول: وضع ترتيبات للتنظيم العسكري داخل القوات المسلحة والثاني: البدء فوراً بتوفير الاسلحة وتشكيل فرق مدنية صدمية صغيرة أطلق على منسوبها "خط حسين" أو "لجان الطوارئ". وكانت خططهم بمجملها سلبية لانها تقوم على انتظار مبادرة الخصم ليضرب أولاً، فيقومون بالتصدي له. وكان المفروض إما ان يبادروا أو يخففوا من أسباب العداوة مع الآخرين.

البعثيين والشيوعيين الذين اشتركوا في الصراع السياسي بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ يشعرون الآن بالندم من بعض ردود افعالهم في مجالات الصراع الداخلي بين الاحزاب والحركات الوطنية التي توالى بسبب خلافات ثانوية والتي تتعلق بطريقة العمل وليس الجوهر^(١).

الشوط الثاني من حكم "البعث" في العراق

اما الفترة الثانية من حكم "البعث" قيادة (البكر - صدام) فلا يمكن ارجاع قسوتها ضد الاحزاب الوطنية والقومية والاسلامية المعارضة إلى افعال سابقة أرتكبت ضد انصار الحكومة الحاضرة التي انتهجت منذ العام ١٩٦٨ وحتى الآن نهجاً ثابتاً يؤكد وجود سياسة تصفية ارهابية معدة سلفاً ليس فقط ضد الشيوعيين بل وضد وجود كل فكر وتنظيم في المجتمع العراقي. فلا شيء يُسمح به إذا لم يكن تحت مظلة أو من تدبير السلطة التي ربطت بين الانتماء للوطن والولاء لها ولحزبها. وكما نعلم فان احداً لم ينبج من الارهاب الدموي حتى البعثيون انفسهم. اما صدام حسين فقد خطط شخصياً ونفذ نظرية حكم الحزب الواحد، الحزب الخاضع لهيمنة فردية مطلقة ووسيلته لتحقيق خططه هي الارهاب المطلق والظلم المطلق وخنق الرأي الآخر تماماً.

ورغم اني اشك في صحة نسب المذكرات التي قيل ان حردان التكريتي قد كتبها أو املاها على احد اقاربه لانه حسب علمي لم يكن يهتم بالكتابة أو بتدوين التاريخ، وسواء فعل ام لم يفعل فأن الواقع العملي الذي تحقق فيما بعد على ما جاء في تلك المذكرات. بل ذهب النظام

١ - تلاشى الاحساس بالنصر لدى قادة البعث المدنيين بعد ٨ شباط باسابيع، واهتزت الافكار السياسية والآمال الوحدوية التي حملوها في رؤوسهم وثاروا من اجل تحقيقها، فحصلوا المرارة وتورطوا باعمال لم يكونوا ليتورطوا بها لو لا خجلهم من حلفائهم العسكريين الكبار. ولو جلس بعثيو وشيوعيو تلك المرحلة لشكروا لبعضهم قلة الخبرة، ولوجدوا ان عدائهم لم تكن حقيقة بل ان فهماً مغلوفاً دفع كل طرف إلى التصادم والبحث عن حلفاء من خارج نسيجهم، ففوجئوا بعد حين بأن رجالاً ليسوا على شاكلتهم ولا يشاطرونهم مبادئهم يعيشون في صفوفهم. وحصل ذلك أكثر مع البعث لمغريات السلطة وملاحقتها الكثيرة. كما لعبت الايديولوجيا غير الواقعية عند الشيوعيين والمواطف والآمال غير العملية عند البعثيين، دوراً خطيراً أدى إلى عدم تمكن الشيوعيين من استثمار الظلم الذي تعرضوا له في ٦٣، وعدم استفادة البعثيين من نصرهم الدموي. وكان اسوأ ما في هذه الصفحة ان الشيوعيين تصرفوا صباح ٨ شباط وكأنه آخر ايام حياتهم وحياة حزبهم. ويمكن الآن ولو بصورة متأخرة، مع الاسف، استعادة صورة ذلك العدد المائل من الشباب العراقي النبيل الواعد يتسابق في صراع داخلي عثي للدخول إلى السجن بحثاً عن حرية مفقودة ادعوا انها حرية حقيقية وليست شكلية ١ ولكنهم جميعاً حملوا فكراً يفتقر إلى الحرية التي يطالبون بها، إلى حرية الدولة التي زعمت عند استلامهم لسلطتها تمثيل الشعب بكامله غضباً عنه ١١ فلم تكن حرية ترفع قيود الدولة عن الفكر والممارسة لافراد المجتمع بل كانت تعني تقييد العقل الجماعي للمقيّد لحرية الافراد. واحياناً اعتبروا حرية الاختيار والتعبير الفردية نوع من الترف البرجوازي المعرقل للمسيرة "التاريخية" الهادفة لتحقيق "المصالح الثورية" والوحدة . . . الخ.

إلى ابعاد من ذلك شراسة وتآمراً على الشعب العراقي والامة العربية وضد الاخوة الاكراد^(١). وإذا كان لتلك المذكرات من فضل فانها قد حذرت منذ وقت مبكر بما قامت السلطة بتنفيذه بعد سنوات على شكل جرائم يندى لها الجبين بما في ذلك تشجيع امراض اجتماعية وتفرقة كثيرة فضلاً عن التآمر على كل محاولات التضامن العربي واحباط التقارب السوري العراقي الذي سعى إليه أكثر من مرة الرئيس السوري حافظ الأسد لتدعيم الموقف العربي، رغم تجاربه المرة مع نظام بغداد الذي انتحل وشوه اسم ومفهوم البعث العربي.

سؤال : تحدثت عن ردود فعل سلطة ١٩٦٣ ضد الشيوعيين، فإذا كان الامر كذلك فلماذا إذا لم تتخذوا قراراً بوقف اعمال الاعتقال العشوائي والتعذيب والإعدام ، بعد انصرام الايام الأولى ؟ ومن كان في تقديركم وراء استمرار دوران عجلة القسوة طوال الاشهر التسعة التالية ؟ ومن يتحمل مسؤولية القتل بلا محاكمة، كمقتل العقيد عبـد المجيد جليل والعقيد حسين خضر الدوري والزعيم الركن داود الجنابي والمقدم إبراهيم كاظم الموسوي وآخرين ؟ وهل يعود بعض ذلك الاندفاع القاسي إلى ايمانكم الشديد بدوركم في تحقيق اهداف وآمال الامة العربية التاريخية كالوحدة ؟ ام عائد إلى متوسط اعمالكم الصغيرة نسبياً ولخبرتكم المتواضعة في ادارة الدولة ؟

طالب الشبيب : هناك نقطة أولى يجب التوقف عندها وربطها بمجرى الاحداث. . . فعند اندلاع ٨ شباط، واجهنا مقاومة شديدة، وانكشف لنا وجود تنظيم شيوعي واسع داخل الجيش وخارجة، يمتلك الاسلحة وجميع أسباب المقاومة الدموية، فكان همّ الحزب الأول هو تأمين السلطة والقضاء على اية مقاومة مسلحة بكل الوسائل الممكنة، لذلك كانت اجهزة التحقيق مجازة في اعمالها من اجل تحقيق ما اردنا الوصول اليه: وهو النتائج السريعة وقد حصلنا عليها فعلاً.

١ — قال حردان التكريتي [14] "كنا عصابة من اللصوص والقتلة تسير خلف ميليشيات صدام للإعدام! فقد كنا نفرج عن المعتقلين السياسيين لنتقتلهم "ميليشيا الفداء" التي يشرف عليها صدام شخصياً" وكانت خطة احمد حسن البكر تدور حول إضعاف عبد الناصر والدور المصري والتآمر على سوريا لاسقاط نظامها السياسي . وفي الداخل ضرب وتدمير الحوزتين الاسلاميتين الشيعية والسنية، والتركيز على شخصية السيد محسن الحكيم ومحاربتها بكل الوسائل المتاحة، واختلاق الصراعات الموقوتة مع ايران للايحاء بارتباطها بالمسلمين الشيعة في العراق تمهيداً لاضعاف وضرب المرجعية في النجف رغم ما يجره ذلك على العراق من خسارة لمركزه القيادي المهم. والانتصار على الحركة الكردية. والقضاء على القيادة البارزانية كمقدمة لتدمير بقية الكيانات الكردية. وتصفية الحركة الشيوعية العراقية. ويتحدث حردان عن صرف مبالغ طائلة شهرياً في لبنان لشراء الصحف، وفي سوريا للتآمر، وفي الاردن لبناء قاعدة انطلاق، والقاهرة لاضعاف دورها، واليمن كممنطقة نفوذ.

وما جرى في مقرات الحرس القومي فيما بعد من فضائع في بغداد تحت سمعنا وبصرنا، أو في انحاء مختلفة من العراق بعيداً عن رقابة قيادة الحزب التي فقدت تدريجياً السيطرة على مؤسسة الحرس القومي، قد ادى إلى استقالة العقيد الركن المظلي عبد الكريم نصرت محتجاً، غير ان دعماً متعدد الاشكال قدمه بعض كبار العسكريين أدى إلى استمرار الفوضى والنهج الفوضوي وشكل غطاء لاعمال تصفية الشيوعيين الجارية حين ذاك بكل قسوة ممكنة .

ورغم عدم تخويل اية جهة أو أي شخص بحق الإعدام والقتل بعد انصرام اليوم الأول ، حيث انتهت فرق الانذار مهماتها في الساعات الأولى كقتل جلال الاوقاتي ومحاولات قتل فاشلة ضد سعيد مطر والمهداوي وماجد امين وعبد الكريم قاسم وغيرهم ، الا ان استمرار هذا النهج بعد ذلك يُعدُّ مخالفة . اما الإعدامات التي كانت تصدر بقرار مجلس قيادة الثورة فقد اوقفت نهائياً ولم نوافق بعد مرور الاسابيع الأولى على اقتراحات الإعدام من اية جهة جاءت. غير ان أمراً موازياً حل محل تلك القرارات وبدأ يجري في الاقبية والمعتقلات السرية بإدارة رجال معوجين امثال عمار علوش وناظم كزاز وعبد الكريم الشيكلي وصادق التكريتي وسعدون شاكر وخالد طبرة وأسماء أخرى معروفة ، وبدأ الارهاب يمارس بطرق أخرى دون علم وتوجيه القيادة القطرية . وحقيقة فانا لا ادري لحد الان هل كان علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي يعلمان بما يجري. ولكننا كنا نسمع عن جثث تطفو على سطح دجلة . وتتساءل عنم يقوم بذلك ؟ ولم تكن اجهزة التعذيب قادرة على الاستمرار لولا الخلافات التي بدأت تتفاقم ، وتحطم وحدة الموقف داخل قيادة الحزب ، وتجعلها غير قادرة على ردع تلك العناصر الدموية التي اعتادت ان تحصل على دعم واسناد بعض الضباط وأهمهم من حيث المركز والفعالية صالح مهدي عماش وطاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وبدرجة اقل احمد حسن البكر وهؤلاء وغيرهم جهزوا مراكز التعذيب الرئيسية في بغداد بالمال والسلاح دون علمنا وكنا نسمع بين حين وآخر ولكن دون ان يقدم احد وثائق وادلة رسمية وكان صالح مهدي عماش (وزير الدفاع) يستغل الفرصة في كل مرة نسافر فيها إلى خارج البلاد فيقوم بإعدام مجموعة جديدة من الشيوعيين، ولم يسلم منه حتى النادمون والمعترفون والمتعاونون مع اجهزة التحقيق، ويقوم بعد ذلك باحراج مجلس الثورة للمصادقة على اعماله. وقد شكلت تصرفاته تلك بداية خلافاتنا أنا وحازم معه ووقف علي السعدي وجماعته معنا.

ومن جانبي ومنذ البداية لم اساهم بالقتل أو التعذيب وصرحت بضرورة التمييز بين الفكر والممارسة أي اننا لسنا ضد الحزب الشيوعي الذي ناضل ضد الاستعمار ولم نكن نريد منع الفكرة الشيوعية بل ضد أولئك الذين يمنعون غيرهم من ممارسة حقوقهم، فقد صوت باستمرار وبلا تردد ضد قرارات الإعدام وكان ذلك موقفاً مبدئياً ألزمت نفسي به رغم اني كنت

الداعي بالاسراع في تنفيذ أول إعدام رسمي باشرته السلطة الجديدة للقادة الاربعة قاسم والمهداوي وطه وكنعان احتراماً لهم وتقليلاً من اعمال الاذلال ضدهم، خصوصاً وان قرار إعدامهم كان قد تقرر سلفاً قبل وصولهم للاذاعة. وربما يعود موقفنا من عقوبة الإعدام إلى تجربتي الطويلة في اوربا التي كانت حينذاك تضح نقاشاً حول الغائها. وان كثيرين لم يتفهموا موقفنا من هذه العقوبة بانه موقفاً ضميرياً خاصاً فذهبوا في تفسيره مذاهب شتى حتى ان علي السعدي قال لي مرة "انت وقفت ضد إعدام أي شيوعي بمن فيهم من قاموا باعمال دموية، فهل لماضيك تأثير عليك؟"، وانا اشهد ان علي السعدي وجميع اعضاء القطرية (وكلهم مدنيون) وقفوا باخلاص ضد اصدار قرارات الإعدام وتميزنا أنا وحازم جواد بموقف حازم ضد التعذيب وضد الفوضوية وطالبنا بالحد من حرية الحرس القومي في التحقيق والملاحقة وتجاوز القانون وبعودة الحياة العامة الاجتماعية والحكومية إلى سابق عهدها. اما الجناح اليساري الذي يقول بمصطلحات ماركسية مبهمه فقد كان أكثر تورطاً في تشجيع الوسط الفوضوي الذي انتعش واختبأ بداخله اشخاص مجرمون لا ينتمون لأي من اتجاهي الحزب، اشخاص كثيرون غريبو الاطوار، ساعدتهم الخلافات وتعدد مراكز النفوذ على نشر الفساد والجريمة، فشكّلوا ما يشبه الاجهزة السرية التي كانت تعمل لمصلحة وزير الدفاع والحاكم العسكري العام وغيرهم، ولم نشعر يوماً انهم كانوا ملتزمين بقراراتنا.

اما حوادث الإعدام الفوضوية وبشكل خاص مجزرة معسكر الرشيد ضد ضباط لم تكن سمعتهم سيئة فقد تمت بامر من صالح مهدي عماش وبحضور السعدي، اذ جيء بهؤلاء في الليلة الثانية للثورة وجرى ضربهم واهانتهم وادانتهم باعمال مختلفة ثم قتلهم. ولم نكن حينذاك في حالة اجتماع لنقرر أو نصادق على تلك الأحكام التي نفذت ولكننا عندما سمعنا بما حصل لم نعلق ولم نعترض واكتفيت شخصياً بعدم التصويت، وأسدل الستار على هذه القضية بعد ان اصدرنا في اليوم التالي أحكاماً رسمية بإعدام أولئك القتلى وغيرهم وبررنا قرارنا استناداً إلى مسؤولياتهم في جوانب من القمع خلال عهد عبد الكريم قاسم، فصادقنا على ما اقترح عليه عماش وسكت عنه السعدي واذيع القرار على لسان رشيد مصالح التكريتي وكان حاكماً عسكرياً عاماً.

ولم يكن هناك داخل القيادة في تلك الايام الحاسمة أي ميل لاعتبار مثل هذه الاعمال غير قانونية أو جرمية فقد كان هناك استياء من هذا أو رضا من ذاك ولكننا لم نكن لنختلف إطلاقاً على مثل هذا الامر. وكان سبب استياء بعضنا يعود إلى الشعور بالاحراج السياسي الاقليمي والدولي مع المعسكر الاشتراكي ومنظمات حقوق الإنسان وضغط وسائل الاعلام الاقليمية.

ولم يكن بالوسع تجاهل ذلك فشعرنا اننا محاطون وان الامور بدأت تفلت من ايدينا وربما تنقلب علينا اذ لم تكن القضية مجرد قتل اشخاص^(١).

صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي

اما احتمال وقوف قوة خارجية وراء ارتكاب الجرائم واعمال القتل، وهدفها جر حزب البعث إلى صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي فهو ما لا يستطيع الجزم به. وما اعلمه بالتاكيد هو ان بعضهم كان متطوعاً في الإشراف على تنفيذ القتل خصوصاً في الليلة الثانية والثالثة والرابعة بعد اعلان الثورة. وهؤلاء لم يكونوا بحاجة إلى تحريض، وحسب علمي انهم قاموا باعمالهم دون العودة لاحد ودون علم القيادة وارتكبوا ما ارتكبوه لأسباب ودوافع كثيرة ومختلفة.

ولا اكشف سراً إذا قلت ان عبد السلام عارف كان واحداً منهم، اراد الحاق الاذى باكبر عدد ممكن من الشيوعيين ولكن باسم حزب البعث. وعلى سبيل المثال : كانت محاكم عبد الكريم قاسم قد حكمت على ٣٧ شيوعياً بالإعدام بسبب تورطهم باعمال قتل في الموصل وكركوك، لكن قاسم يضع كعادته تلك الأحكام في الدرج ولا ينفذها، على قاعدة "عفا الله عما سلف" التي اشتهر بها ليس مع الشيوعيين فقط بل ومع كل الذين صدرت بحقهم أحكام بالموت. بمن فيهم الذين حاولوا اغتياله ورجال العهد الملكي. لكن عبد السلام وبعد استلامنا السلطة نبش الامر وجاء بملفهم إلى مجلس الثورة وطلب الاذن بتنفيذ الحكم بهم قائلاً : هذه الأحكام لم تصدر عنكم.

وللمرة الأولى وقفنا جميعاً موقفاً موحداً علي السعدي وحازم وانا وبقية قيادة البعث ورفضنا ذلك تماماً ووضحنا ان تنفيذها ليس ضرورياً لنا الآن وان سمعة الحزب ومكانته وكافة الظروف السياسية الداخلية والعربية والدولية لا تسمح بذلك. وامام هذا الواقع الخطير جرت مراجعة المشاكل الناجمة عن التحقيق في اجتماع مشترك بين مجلس الثورة والقيادة القطرية، اعلنا فيه عن استنكارنا لاعمال الإعدام (القتل) وذكرنا عماش بوجبات القتل التي ساقها في غيابنا^(٢)، وادت تلك المصارحة إلى الاصطدام بعبد السلام عارف الذي ردد "انكم البعثيون تريدون

١ — تصفحت الوثائق البريطانية حول حركة ٨ شباط فوجدتها تشمل المراسلات الانكليزية مع الحكومات الاقليمية ومراسلات مع قادة عرب، بصفحات تتجاوز المئتين، وقد لفت نظري عدم ورود اية اشارة فيها عن اعمال القتل والتعذيب ومصير الوف المعتقلين في جميع انحاء العراق. مما يؤكد ان الغرب كان يبحث في مصالحه السياسية بعيداً عن حقوق الإنسان .

٢ — نفذ عماش وغيره أعمال الإعدام بحق المتهمين بأحداث الموصل مثل ساطع إسماعيل وشاكر لهيي ومحمد عبد اللطيف وغيرهم كثيرون.

الاتفاق مع الشيوعيين"، وتحدث بعدم الرضا عن حوار قال انه جرى بين بعثيين وشيوعيين داخل قصر النهاية^(١)، وأعلن بصراحة رغبته في ان يستمر نهج تصفية وإعدام الشيوعيين بنفس الوتيرة وهدد بان أي توان سيؤدي إلى استقالته من رئاسة الجمهورية.

كان عبد السلام عارف حاقداً ويطلب ثأراً شخصياً واعتقد انه اخذ شتائم الشيوعيين له في عهد قاسم على محمل شخصي ولم يستوعب الصفة السياسية للامر، في حين كان عماش في تعامله دموياً معهم. وفي المقابل كانت لدينا، كقيادة للحزب، أسباباً كثيرة في عدم الاستسلام لإرادة عارف وعماش ويحيى ورشيد مصلح وأحياناً البكر وغيرهم ومن تلك الأسباب :

أولاً : لم نكن راغبين في بقاء حالة الصدام مع الشيوعيين لان ما قمنا به لم يكن ثورة ضد الشيوعية، وإنما اردناه انقلاباً ضد الديكتاتورية.

ثانياً : لم يكن لدينا قرار بان نبني حكم الحزب الواحد ولذلك لم نتخذ قراراً بحل الحزب الشيوعي رغم قسوة ردة فعلنا عليه. ولهذا اردنا ايقاف الإعدامات وقررنا ذلك رسمياً وكنا مقتنعين بان الحياة السياسية العراقية ستصبح يوماً ما برلمانية، يتنافس الجميع فيها وبذلك نكون قد عدنا إلى الرغبة في اسقاط الاستعمار وتسليم السلطة للشعب التي رافقت النواة الأولى لحركة الضباط الاحرار، تلك المؤسسة التي اجتمع فيها الضباط من جميع الاتجاهات السياسية^(٢).

ثالثاً : من الجانب القومي، كنا محرجين مع رفاقنا في سوريا الذين طالبوا بايقاف حمام الدم

١ — ويقصد بهذا ما أشيع حول حوار تم بين سلام عادل ورفاقه المعتقلين من جهة وعلي صالح السعدي وحازم جواد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي من جهة اخرى. وقد أكد زكي خوري في "مذكرات سياسي عراقي مخضرم" ان هيئة التحقيق الخاصة بقيادة حزب البعث رفضت التفاوض مع حسين احمد الرضي (سلام عادل) بعد اعتقاله عام ١٩٦٣، في حين يؤكد هاني الفكيكي في "اوكار الهزيمة" ان التفاوض قد حصل على شكل حوار داخل المعتقل. ويرى شبيب انه لم يكن حواراً بمعنى الكلمة بل كان تحقيقاً.

٢ — كان للحزبين عدد كبير من الضباط داخل مؤسسة الضباط الاحرار التي تأسست بداياتها على ارض فلسطين خلال حرب ١٩٤٨ وقادها منذ البداية المقدم الركن عبد الكريم قاسم وضمت رفعت الحاج سري وطاهر يحيى والمهداوي ووصفي طاهر وشفيق الدراجي وطه الشيخ احمد وعبد الوهاب الأمين وخليل إبراهيم حسين وعي الدين عبد الحميد ومحسن الرفيعي وعبد الكريم الجدة وغيرهم. وساهم ضباط شيوعيون وبعثيون في هذه الحركة قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

من البعثيين : طاهر يحيى واحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش ومنذر الوندلاوي ومحمد علي سعيد ومحمد علي السباهي وخالد مكي الهاشمي وعبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم مصطفى نصرت وحردان التكريتي وحسن مصطفى النقيب وعلاء الدين الجنابي وغيرهم.

ومن الشيوعيين : حسن عبود وعبد الرضا عبيد وجلال جعفر الاوقاتي وسعيد مطر وطه سلطان وسلمان الحصان وماجد امين وحسين خضر الدوري وخليل إبراهيم وخزعل علي السعدي وعلي شريف وعبد الرزاق غصيبة وإبراهيم كاظم الموسوي وداود الجنابي وغضبان السعد وكاظم عبد الكريم وعباس الدجيلي وهاشم عبد الجبار ومهدي حميد وجبار خضير وفتاح الجباري واحسان البياتي ومصطفى عبد الله ورشاد سعيد وعبد الرزاق الزبيدي وغيرهم.

وحقن الدماء. وكانوا بدورهم محرجين أمام الدولة السوفيتية باعتبارها المصدر الأول لتسليح جيشهم المرباط في جبهة المواجهة مع اسرائيل.

رابعاً : إذا كان لدينا في البداية عذراً اقتنعنا انفسنا به وقلنا للآخرين ان ما فعلناه كان دفاعاً عن النفس، فلم يعد لدينا في الواقع أي مبرر في ملاحقة الشيوعيين. ولهذا ايدنا الموقف القومي لحزب البعث وحاولنا ان نجعل منه سياسة، ففشلنا في حالات ونجحنا في اخرى.

ومن اجل ايجاد حل شامل لأزمة لجان التحقيق وايقاف التجاوزات شكلنا لجنة عليا للتحقيق في ممارسات الحرس القومي في عموم البلاد برئاسة المرحوم احمد الزاوي، لكن هذه اللجنة التي نُحِث في جمع معلومات كثيرة عن بغداد والالوية لم تطلعنا على تقريرها النهائي وقد بينا أسباب ذلك في مكان آخر من هذه الذاكرة.

ولذلك واجابةً على سؤالك يجب التنبيه إلى موقفين اثرا وعمّقا نهج التصادم بيننا، الأول : هو "الشرعية الثورية" التي اعطاها كل منا لنفسه، واندفاعه الايمان التي احسبنا بها. الثاني : نهج العداوة المزروعة في اعماق بعض الضباط والسياسيين، وربما المغرضين، للحركة الشيوعية. ففي الحالة الأولى استمددنا موقفنا من الشرعية الثورية وشرعية الدفاع عن النفس، اذ كان أول من قتل صبيحة ٨ شباط هم ضباط الدبابات البعثيون الثلاثة قرب بوابة وزارة الدفاع على ايدي شيوعيين ووجدت جثثهم مقطعة وموذرة من السحل والطعن فجمعت جمعاً وكان ذلك امراً مؤلماً. وإذا ما ربطنا الامر ببيان الحزب الشيوعي الذي اعطى لاعضائه ومناصريه حق قتل البعثيين والثوار، فسيكون البعث قد وجد نفسه في موقف الدفاع عن النفس المشروع^(١)، فضلاً عن المشروعية التي يعطيها الثوار لانفسهم في ارتكاب التجاوزات المؤقتة اثناء وقوع

١ — يتفق مع هذا الرأي قادة وكوادر شيوعيون. فقد وصف عامر عبد الله وبهاء الدين نوري المقاومة المسلحة التي ابداهها الشيوعيون صباح ٨ شباط بانها مغامرة لم تود إلا إلى مجزرة لا لزوم لها، كما قال : لا يمكن تبرئة الشيوعيين من مسؤولية ادخال وسائل العنف لحل الخلافات السياسية[15]. ويقول بهاء الدين نوري : "اصبحنا مؤيدين لحكم قاسم ومجدنا السياسة التي رسمناها خلال الفترة الأولى للثورة، في وقت كان قاسم قد غيّر سياسته جذرياً من نهج التعاون معنا إلى نهج محاربتنا بشق الاساليب"[16]. وقد اكد مثل هذا الموقف صالح دكلية في ندوة سياسية في (لايدن)[17]. وكذلك اكد الدكتور عبد الحسين شعبان في كتابات متفرقة على امكانية تلافي ذلك التصادم. وثابت حبيب العاني الذي قال : ان مجزرة الدلملماجة من قبل رفاقنا في الموصل كانت جريمة ارتكبت لالزوم لها[18]. ويصر الشيوعيون انهم ابرياء من مجزرة كركوك باعتبار ان ما حصل هناك لم يكن مسألة حزبية بل معركة بين اكراد وتركمان. وقد شهد قائد الفرقة الثانية المستقرة في كركوك على ذلك، ويقولون انهم حققوا في تلك المجزرة ولم يساهموا فيها[19].

ويعتمد شيوعيون آخرون (القيادة المركزية) على تحليل مختلف يؤكد على ان البعثيين وبسبب معرفتهم الجيدة بقوة الحزب الشيوعي الكبيرة والتي كانت ستشكل خطراً كبيراً عليهم إذا ما ثرّكت لنفسها، كانوا قد اتخذوا قراراً بالتصفية الشاملة بغض النظر عن الموقف الذي سيتبناه الحزب الشيوعي صباح ٨ شباط / ١٤ رمضان، مع ملاحظة أن أول من قُتل صبيحة ٨ شباط كان زعيم الجو جلال جعفر الأوقاتي.

الثورة، وكانت هذه من البديهيّات وجزء من المنطق الثوري السائد بين جميع ثوار العالم. وإذا ما قرأت ادبيات الحركة الشيوعية انذاك ستجدها تؤكد على مشروعية مبدأ ازالة معرفتي "المسيرة الثورية". وتؤكد على ذلك أيضاً كل احزاب العالم الثالث ذات التوجه الراديكالي، ولم يتخلف عنه الحزبان العراقيان الشيوعي والبعثي. ولذلك اعطى الشيوعيون لانفسهم حق المبادأة بقتل ثوارنا صبيحة ٨ شباط، وحق رفع شعارات القتل والابادة حتى قبل ان تصل دباباتنا إلى محيط وزارة الدفاع. فتجاوب معهم البعثيون عملاً بنفس القاعدة خصوصاً وانهم يحملون السلاح ثائرين وحاملين رؤوسهم على اكفهم، بل وادركوا ان فشلهم في ما أقدموا عليه يعني الموت الاكيد بل والموت الشنيع وكان هذا الشعور دافعاً آخر وراء تشدهم وقسوتهم يضاف إلى دافع الحماس والايمان المطلق بشعارات الحزب وقيادته للبعث القومي العربي من المحيط إلى الخليج وكانت تلك الاحلام مستقرة في ضمير البعثيين تدفعهم وتشجع روح القتال فيهم ضد من يتصورون انه يريد ان يعيق تحقيق مبادئهم المقدسة بل اعتقدنا ان خصومنا هم اعداء القومية والوحدة العربية والقضية الفلسطينية^(١).

١ — تورط الشيوعيون في موقفهم من القضية الفلسطينية وقرار التقسيم مما شجع تكوين صورة غير مقبولة عنهم لدى القوميين والبعثيين، وسوّغ الاصطدام بهم. ورغم مواقفهم النضالية الكثيرة ضد الحركة الصهيونية لكن ارتباطهم بالموقف السوفيتي ادى إلى اغفال أهمية الشأن القومي في سياق الاحلام والمشاريع الاممية. وانكشف ذلك بوضوح في تأييدهم التقسيم، فاستفروا مشاعر الشباب العربي المثقف الناشيء. وكان تحسن أوضاع العراقيين المادي والاجتماعي في النصف الثاني من هذا القرن قد زاد وشجع اهتمامهم بشؤون عربية وعالمية تقع خارج حدود بلادهم وبشكل خاص القضية الفلسطينية التي اضعفوا عليها (البعثيون والقوميون خصوصاً) مشاعر ملتزمة اساسها الخوف من فقدان اجزاء عربية أخرى تلحق بالاسكندرونه وعربستان وفلسطين. ولذلك لا بد من دولة قومية واحدة قادرة على الدفاع عن كيان الامة. وفي المقابل كتب يوسف إسماعيل البستاني وزكي خيري (شيوعيان) في عام ١٩٤٨ مقالات ودراسات ردوا فيها على عزيز شريف، فقال خيري: "ان اسرائيل ليست حكومة فقط، بل شعب وارض، وقد تكون حكومتها رجعية شأنها شأن الحكومات العربية التي تحاربها، والحقيقة انها اقل رجعية من هذه. لكن هذا لا يعني ان دولة اسرائيل دولة رجعية كدولة اسبانيا الفرانكية مثلاً. ففي دولة اسرائيل احزاب ونقابات . . . وقال "لو ان قرار هيئة الامم المتحدة نفذ باخلاص باقامة دولتين مستقلتين، لما تعرضت فلسطين للحرب، ولما وجد اليهود حاجة لامتناع الحسام، وهم المدينون بكيانهم السياسي الراهن إلى قرار هيئة الامم المتحدة التي اتخذتها تحت ضغط الرأي العام الديمقراطي العالمي وصلابة موقف الاتحاد السوفيتي"^[20].

وفي آذار ١٩٥٢ قالت نشرة للحزب الشيوعي ان حرب ١٩٤٨ "كانت حرباً رجعية استعمارية بالنسبة للبلدان العربية، وذات طبيعة تحريرية بالنسبة للشعب الاسرائيلي"^[21].

وفي الحقيقة لا يمكن الاستدلال على صحة الموقف السابق لزكي خيري استناداً إلى ما وصلت إليه القضية الفلسطينية حالياً، بحيث يأتي من يقول لو سمعنا كلام زكي خيري أو بورقيبة مثلاً لكننا قد حصلنا على حقوق أكثر مما نطالب به الآن ١١ وحقيقة الامر غير ذلك تماماً لأن ما حصل كان نتيجة لميزان القوة ولم يكن قدراً حائماً، ولا استناداً إلى شرعية أو حق معين. فاسرائيل ومن ورائها يهود العالم عرفوا هذه الحقيقة فعملوا واجتهدوا وتكثفوا ورفعوا شعارات ابعث "من الفرات إلى النيل"، وقاتلوا بل واصطنعوا الحروب واقاموا الاحلاف مع الدول الاقوى مستندين إلى قساعة "التحادم"، ومستخدمين مختلف الوسائل بلا حدود أو رحمة ليجعلوا ميزان القوة يميل لمصلحتهم. فحققوا ما حققوه

←

واذا اضفنا إلى ما تقدم من دوافع حماسية فإن متوسط اعمارنا التي لم تتجاوز العشرينات، وانعدام الخبرة الادارية والحكومية السابقة، سوى ما خاضه فؤاد الركابي في وزارة عبد الكريم قاسم الأولى وكانت فترة قصيرة، سيكون سهلاً عليك ان تفهم مدى التسرع والنزق وقلة الصبر وقلة التأمل والتفكير في القرارات المتخذة وفي عدم السماح للوقت الكافي ان يمر لانضاج الامور، وإلى الاستعجال في كل الاعمال سواء على صعيد التعامل مع الخصوم الوطنيين أو في مفاوضات الوحدة أو التفاوض السلمي مع الاكراد.

كل شيء اتسم بطابع الانفعال الشديد والاستعجال الذي يؤدي في احيان كثيرة إلى الانجرار وراء الرعاع والابتعاد عن العقل والاتزان وإلى التعصب الحزبي والادجلة للقسوة على انها حزم وشجاعة.

سؤال : هل سمعت حينذاك عن حوار دار مع قيادة الحزب الشيوعي المعتقلة من قبل حازم جواد أو علي صالح السعدي؟ وكيف مات اعضاؤها داخل السجن ؟

طالب شبيب : يقيناً ان حازم جواد لم يجر أي حوار مع سلام عادل. ولم يكن حازم جواد يملك متسعاً من الوقت ليقوم بذلك لانه انشغل بمهام كبيرة. اما الذين انشغلوا بمسائل التحقيق فهم اعضاء القيادة المتفرغين الذين كانوا بدون مهمات حكومية مباشرة كمحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وقيادة الحرس القومي وهيئة التحقيق الخاصة، وعلى حد علمي لم يلتق أي عضو قيادة بعثي بهم غير من ذكرتهم.

اما عبد الكريم نصرت فلم يلتق بالسجناء فقد كان آمراً عسكرياً وليس محققاً. كما لم يكن منذر الوندائي في الايام الأولى على صلة بالحرس القومي أو بالتحقيق وبالتالي فليس له اية صلة

استناداً إلى قوتهم وضعفنا. ولو تكفل العرب حتى اللحظة الاخيرة لكانت حظوظهم افضل، لكن دعوات المزعمة كانت قد بدأت عندنا منذ ١٩٤٨ وحتى هذه اللحظة عندما سالت منظمة التحرير اسرائيل شكلياً في وقت ما زالت فيه القدس واراض فلسطينية وعربية عزيزة تحت الاحتلال. ويذكر ان زكي خيري اعترف بخطأ افكاره بعد ٥٠ عاماً في مذكراته. ولم يكن الموقف عند الشيوعيين من اغتصاب فلسطين موحداً، فقبل اغتصاب تحدث محمد حسين الشيببي عن مؤامرات كان يدبرها الاستعمار والصهيونية ضد الاماني العربية في فلسطين[22]. كما كتب فهد رسالة من السجن للملك سيف يأمره باتخاذ موقف مبدئي من التقسيم وعدم الاعتراف بقومية يهودية وعدم مسaire موقف الاتحاد السوفيتي المحكوم بظروف دولية ومحلية، ويأمره بالوقوف ضد المشاريع الاستعمارية والصهيونية[23]. لكن قيادة الحزب خارج السجن خذلت فهد. وكان موقف سلام عادل بمثابة لموقف فهد. وفي موقف الشيوعيين ما زال هناك أمر غير مفهوم هو كيف استطاع الشيوعيون المطالبة بحق تقرير المصير للاكراد، ولكنهم رفضوا بطرق مختلفة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني!

بالجرائم التي ارتكبت. واطن ان منذر كانت لديه الرغبة في ضبط الحرس القومي لانه كان بعثياً قبل دخول الكلية الجوية وتربى بمدرسة الحزب السياسية، فضلاً عن عامل السن والنضج فكانت سِنه قريية من سن اعضاء القيادة. لكن الظروف تشابكت ودفعت شباب الحرس القومي بعيداً عن امكانية الضبط فتغلبوا على إرادة منذر وجرجروه إلى حيث مواقعهم.

ولم اعد اذكر ماكنت قد سمعته في احد اجتماعات القيادة عن حديث دار بين هاني ومحسن من جهة وقيادة الحزب الشيوعي من جهة اخرى. وبالتأكيد ان حواراً ما قد تم بيننا وبين المعتقلين، اذ لايمكن ان يكون كل شيء قد دار في فراغ. ولا اذكر الآن بعد أكثر من ثلاثين عاماً مانقل إلينا، واسمح لي ان اقول لك : ما قيمة الحوار الذي دار، إذا كان الامر قد انتهى بموت هؤلاء "خطأً وجهاً" .. فقد أبلغنا صباح احد الايام ان قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا! فغطينا نحن، مع الاسف، ذلك بقرارات رسمية. اذ قال تقرير الطبيب الشرعي وهو بعثي اسمه ".....علوش" بانهم ماتوا بالسكتة القلبية، لانهم ظلوا حتى الصباح معلقين وارجلهم مرتفعة قليلاً عن الارض، وذلك يؤدي بعد فترة من الزمن إلى السكتة القلبية.

وكنت قبل السفر للقاهرة، أي بعد الثورة بايام، قد زرت "قصر النهاية" (وهو اسم اطلقه عبد الكريم قاسم على هذا القصر الملكي الذي تحول إلى موقع عسكري -معتقل- وقد تمسك الناس بعد ذلك بهذا الاسم)، فرأيت حسن عويبة بحالة يرثى لها. وامرت بالكف عن التحقيق معه ومعالجته حتى عودتنا من السفر كي تتاح فرصة محاورته حول ما قيل عن ترؤسه لفرق الاغتيال التي زعمَ انها تستهدف قيادة حزب البعث.

جلست امامه وكان بعض اعضاء قيادة الحرس وفرع بغداد ما زالوا يحققون معه. قلت له: لماذا لا تعترف؟ اجاب: أنا عقائدي ومقتنع بمبادئي، ولا يمكن ان اخون رفاقي ومبادئي. قلت: ان هؤلاء سيلحقون بك الاذى وربما تقتل. فقام من مجلسه وكان يرتدي ملابسه الداخلية فقط، وسحب لباسه الداخلي وأراني ظهره وقفاه الممزقين وقال : ماذا سيفعلون أكثر من ذلك فانا أصبحت لا اشعر بقسوة التعذيب مهما كان نوعه^(١).

١ — اعتقد ان الطبيب الشرعي كان "صادق حميد علوش"، سكن بغداد وهو من من ابناء مدينة الحلة. درس الطب في بريطانيا ومارس المهنة في بغداد عام ١٩٦٣، وأصبح بين ١٩٧٥ - ١٩٧٩ رئيساً لدائرة مدينة الطب ورئيس الجمعية الطبية ورئيس نقابة الاطباء في العراق. ومن ١٩٨٢ حتى ١٩٩٠ وزيراً للصحة. وبعد ١٩٩٠ عُزل وعين مستشاراً علمياً، ويعمل الآن في فرع بغداد للحزب الحاكم. وعرف عنه التزلف للاقوياء والاساءة للآخرين. ويعتقد زملاؤه انه تسبب في مقتل خلفه وزير الصحة السابق الدكتور رياض الحاج حسين، بالكتابة عنه إلى مكتب صدام حسين الذي قتله بطريقة بشعة. كان تقريره الطبي عن موت القيادة الشيوعية يمكن ان يكون صحيحاً من الناحية النظرية، فالوفاة لا تحصل عادةً بسبب "التعليق"، ولكن التعليق يجلب الخوف والقلق وربما اليأس من النجاة، والخوف مع الارهاق

يؤدي إلى صدمة، والصدمة مع الخوف يؤديان إلى الوفاة. لكن التعليق بذاته لا يسبب الوفاة حتماً. وإن استعراضاً لبعض مصائر أعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الشيوعي سيؤكد أن ليس جميعهم قتلوا بطريق الخطأ، ومن أمثلة ذلك:

أولاً : روى خالد طيرة للأستاذ صفاء الفلكي (سفير في أكثر من بلد، ويعني مساهم بكل المراحل السابقة) قائلاً له: حفرنا أنا وسعدون شاكر (وزير داخلية ومدير أمن عام بعد ناظم) قبراً لمحمد صالح العبلي وجثنا به وانـزـلناه إلى القبر (الحفرة) وبعد مدّة بداخله، طالبه سعدون شاكر بالاعتراف أو الموت ؟ فرد العبلي بشجاعة واتهمنا بخيانة الوطن. فأطلق عليه سعدون شاكر فمات فوراً دون أن يعترف أو يتنازل، وحصل الأمر مع مهدي حميد. ثانياً : المحامي حمزة سلمان الجبوري عضو لجنة مركزية جيء به مع الضابط الشيوعي مهدي حميد من نفرة السلـمان إلى بغداد (مركز تحقيق المأمون) وطالبوه أمام حشد من المعتقلين بالاعتراف ثم طلبوا إليه أن يُعَدّ من الواحد إلى العشرة وقبل أن تنتهي أطلق عليه فمات. ثم جيء بمتي الشيخ بعده مباشرة فرفض الاعتراف فقتل بنفس الطريقة.

ثالثاً : قتل عضو المكتب السياسي جمال الحيدري والصحفي عبد الجبار وهي بعد اعتقالهما مع العبلي في دار فاضل الخطيب والد الدكتور عطا الخطيب والدكتور عطية الخطيب، فوراً بعد رفضهما الاعتراف، وقتل معهما ابن جمال الحيدري ونرجس الصفار الصبي فاضل الحيدري، وعمره ١٤ سنة، وكان يقوم بنقل البريد أحياناً.

رابعاً : مقتل توفيق منير العاني بدار هاشم عبد القادر المملوكة لعزیز شريف، مقابل السفارة المصرية والجوار لدار عز الدين الراوي (اخو عبد الهادي الراوي). وتمت العملية بعد أن ابـلـغ أحد عناصر الامن بوجوده فنزل عليه الحرس القومي من سطح الدار، وعلى عكس ما اشيع من انه قاتلهم فقتل، لم يكن الرجل يحمل سلاحاً بل بادره بالرمي بصـليـات كثيرة فتناثر دماؤه في كل مكان. ويُذكر أن نوري السعيد كان قد سحب جنسيته العراقية مع كامل الفـرنـجـي (من قادة الوطني الديمقراطي) وآخرين عام ١٩٥٤ وسفره إلى خارج البلاد. وكان توفيق منير حائزاً على جائزة جوليو كوري للسلام [24].

خامساً : أعتقل متي الشيخ مع الدكتور محمد الجلي في دار الأخير، ونقلوا إلى مركز المأمون، فقتل متي الشيخ مع عضو اللجنة المركزية الآخر حمزة سلمان الجبوري، ومهدي حميد، في حين نقل الجلي إلى قصر النهاية، ووضع في السرداب مع سلام عادل والآخرين، ثم نقل مع عضو اللجنة المركزية نافع يونس إلى بناية محكمة الشعب، وقتل هناك في تموز ١٩٦٣، أي بعد أشهر من تقرير د. علوش.

وفي هذا الشأن قال د. تحسين معلة : "بعد اعتقال قيادة الحزب الشيوعي باربعة ايام طلب مني حمدي عبد المجيد الحضور إلى "قصر النهاية" لقيادة بعض المرضى. ذهبت إلى هناك وبدأت من السرداب فرأيت سلام عادل نائماً وسط القاعة طائراً نفسه على الأرض مشدود العينين ومثمى. وعبد الرحيم شريف العاني بنفس الحالة وكذلك حسن عويبة وعبد القادر إسماعيل البستاني وحدي ايوب العاني وآخرين لم اتعرف عليهم وكانوا بجالة مزرية ينامون مباشرة على ارضية السرداب الرطبة. حاولت تضميد جراحهم وانتقلت لردهات أخرى وكتبت لهم الادوية المطلوبة وكنت اعودهم يومياً لمدة اسبوع. وتعاملت معهم كما يتعامل طبيب مع ردة اعتيادية للمرضى حتى جيء في أحد الايام بهاشم جواد (وزير خارجية قاسم) واعطوه وجبة عشاء "خبز وتمر" فسألته : هل تشكو من شيء ؟ فاجاب مذهولاً "شئو يعني؟" فقال له أحد الحراس القوميين : هذا د. تحسين معلة. فوقف مرتجفاً : نعم نعم !! قلت : أنا طبيب واستطيع ان اخدكم. سألت عبد القادر البستاني : لماذا وصلت الامور إلى هذا الحد ؟ فأشار إلى سلام عادل قائلاً انه هو السبب. وعندما وصلت إلى سلام عادل سألته فأجاب : هذه مسائل يجب ان نتحاور حولها، وليس هناك اجابات سريعة. ولم اكلم حسن عويبة تالماً لانه ابن صفي اللراسي في ثانوية النجف. ولم اكلم عبد الرحيم شريف لانه عدیل اخي المرحوم عبود معلة، خجلت منه وكان صلباً وتحدثت مع د. محمد الجلي وكان جسده مجرحاً فقال: الا احتاج إلى حليب ولحوم ؟ قلت أنا طبيب ساصف لك ذلك ولا ادري إذا كانوا سيلبون هذا. وفي نفس اليوم حصلت حادثة مزعجة ضد

←

وأخيراً فأنا أشك بوجود أشرطة مسجلة لأي حوار يُزعم أنه دار بين القيادتين البعثية الحاكمة والشيوعية السجينة، لأنه لم يجر أساساً أي تحقيق منتظم، وليس صحيحاً ما قاله الفكيكي عن وجود تسجيلات محفوظة في القصر الجمهوري، ولم أسمع بذلك إطلاقاً ولا اعتقد أن له نصيباً من الصحة.

المعتقلين فصممت أن لا أعود إلى قصر النهاية. وبعدها علمت أن د. اديب الفكيكي ود. سعدون التكريتي وطبيب ثالث ربما هو صادق علوش كلفوا بزيارة المعتقلين [25].

ويرى الشيوعيون أن ادعاء مقتل جورج تللو على يد رحيم شريف هو مجرد دعاية وحرب نفسية، ويقولون عن شريف أنه مثير بعلوم ومائة خلقه وبعدهم تدخله بشؤون الآخرين، وأن تللو لم يكن ضعيفاً أو متخاذلاً حتى يتطوع شريف لقتله، بل كان صلباً وصعد على كرسي وحث المترددين على الصمود وهتف بحياة حزبه فرماه أحد المحققين بطلق ناري، أما اقرباء رحيم شريف العاني فيقولون أن طبعه يمنعه من القتل، وأنه لم يكن يستطيع الجلوس لأن المحققين كسروا ظهره فقد رفسه أحدهم على صدره بقوة بينما كان نائماً على الأرض واستمر على ذلك الحال حتى وفاته واعتقد أن حادثة مقتل تللو هي التي دفعت د. معلقة إلى عدم الذهاب إلى قصر النهاية مرة أخرى. وكانت قيادة الحزب الشيوعي والكادر الملحق بها تتكون حينذاك من: سلام عادل (عمار) سكرتير أول ومشرف على التنظيم العسكري (قتل). هادي هاشم الاعظمي (حسن) عضو السكرتارية اعتقل واعترف، ويدعي البعض أنه كان على صلة بأجهزة الأمن منذ فترة سابقة، في حين سمعت شخصياً عام ١٩٧١ من أحمد العزاوي أن هادي هاشم جاء منهارةً وبداًف ذاتي، وهو أمر يحصل كثيراً في العمل السري. محمد صالح العبلي -نعمان- عضو السكرتارية مسؤول العلاقات بمنظمات الحزب (قتل). جمال الحيدري -جبار- عضو السكرتارية مسؤول الفلاحين (قتل). جورج تلو عضو مكتب سياسي (علي) مسؤول التنظيم العسكري وكان قبلها مسؤول الخارج (قتل). عزيز محمد (مخلص) عضو مكتب سياسي مسؤول كردستان كان في شمال العراق. سلام الناصري (غيث) عضو مكتب سياسي مسؤول بغداد، كان في موسكو. باقر إبراهيم الموسوي (مجدد) مرشح مكتب سياسي بقي على رأس منظمة الفرات الأوسط التي لجأت إلى الريف وضمنت السلامة. وقتل جميع أعضاء المكتب العسكري ما عدا ثابت حبيب العاني (كان في الخارج) وبينهم جورج تللو ونافع يونس وسليمان ملا علي وعبد الستار مهدي محمد رضا وغيرهم. ونجا عزيز شريف وآرا خاجادور لوجودهما في الخارج. ونجا صالح الرازقي وزكي خيري لوجودهما مع باقر إبراهيم في ريف الفرات الأوسط. وكان في الخارج أيضاً كل من حسين سلطان وعزيز الحاج ود. نزيهة الدليمي وعامر عبد الله وبهاء الدين نوري وناصر عبود. وقتل محمد حسين أبو العيس عضو مكتب سياسي "مخفف" مع سلام عادل بنفس الطريقة ووضعت جثته في زنزانة واحدة مع زوجته (سافرة جميل حافظ) اخت زكي نجيب حافظ نقيب المحامين وعضو قيادة حزب العربي الاشتراكي وهي أديبة نالت جائزة على روايتها "دمي وأطفال". وصالح دكلة (سعيد) عضو لجنة مركزية مسؤول الجنوب اعتقل وهرّبته زوجته انعام العبايجي، بعد أن تمكن عزيز الشيخ المعترف والمنقول من قصر النهاية إلى النادي الأولمبي عند إذاعة أسماء المنقولين ليصعدوا إلى الناقلة من مسك يده والضغط عليها، فأدرك دكلة فكرته وصعد معه، وعندما وصلوا النادي، قرأت الأسماء ولم يكن بضمناها، فأرادوا إرساله إلى القيادة العامة للحرس القومي، واحتاروا معه ثم أبوه ليأتي دوره في التحقيق، فجاء إليه سعدون غيدان وكان عضواً في اللجنة التحقيقية وحذره من مصيره، فرتبت زوجته أمر تهريبه بعد طلب نقله إلى المستشفى. عبد الرحيم شريف عضو لجنة مركزية مسؤول لجنتي الثقافة والاقتصاد (مات إثر التعذيب). شريف الشيخ عضو لجنة مركزية. عمر الشيخ عضو لجنة مركزية كان موجوداً بكردستان. حسن عويطة عضو ارتباط باللجنة المركزية (قتل). عزيز الشيخ مرشح مكتب سياسي. كرم أحمد مرشح مكتب سياسي في كردستان. وهكذا لو دققنا أكثر لوجدنا أن كل واحد منهم قد قتل بطريقة مختلفة، مما يؤكد قطعاً خلف تقرير د. صادق علوش.

حظ العراق سيء !!

سؤال : ما الذي يميزك انت وعلي وحازم ومحسن وحدي وحيد والوندائي وكريم نصرت واحمد العزاوي عن حسين الرضي (سلام عادل) وابو العيس والعيلي وعزيز وعامر وحدي أيوب وتوفيق منير وباقر إبراهيم وعويينة . . الخ ؟ انتم بعثيون وهم شيوعيون لأسباب تتعلق ربما بالمصادفة، بينما الضرورة تؤكد أنكم أبناء بلاد عريقة واحدة وأبناء تراث واحد وأهداف وطنية عامة مشتركة . . . فما عساكم فعلتم ؟ أهو حظ الانتساب أم الايديولوجيا، أم ماذا ؟

طالب شبيب : كنا جميعاً مناضلين ولكن في خندقين متجابهين وفي حالة تصادم. كان هو فعلاً حظ الانتساب. نعم ففي الحرب الاهلية الامريكية تقاتل زملاء الكلية الواحدة وهي أكاديمية ويست بوينت العسكرية فاقتتلوا رغم ارتباط بعضهم بتزواج ونسب متقارب عندما صاروا في خندقين مختلفين. كما ان كازانتاكس كتب رواية "الاخوة الاعداء" كصورة فنية لحالة واقعية تحققت في الحرب الاهلية اليونانية التي كانت أيضاً مؤسفة.

انه حظ مؤسف وملعون، حظ العراق سيء!! والآن وبعد مرور سنوات طويلة، لو افترضنا ان موقف الشيوعيين العراقيين كان مشابهاً علي سبيل المثال لموقف الشيوعيين السوريين الذين اعتبروا نظام البعث في سوريا قومياً تقدماً رغم اختلافهم معه في شؤون وتفاصيل كثيرة، الا انهم اختاروا التوافق في الشؤون الاستراتيجية الداخلية والخارجية، ولم يفكروا ولا مرة واحدة كما فكر نظراؤهم العراقيون بأن اية قضية لا يجب ان تمر الا عبر قناتهم وتأخذ موافقتهم، وان ما لا يوافقون عليه يجب ان لا يحصل بل وتقع لعنتهم على من يخالفهم . وكان بعضنا يأسف لعدم سلوك الحزب الشيوعي مثل الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي بعث زعيمه الملا مصطفى البارزاني برقية تأييد لقيادة حركة ١٤ رمضان وضمنها شرط الحل العادل للقضية الكردستانية. وكان علي السعدي قد اجرى اتصالات سرية مع المرحوم صالح اليوسفي الذي كان ميالاً للسلام وحقق الدماء بين العرب والاكرد. فعرض البعث ايقاف العمليات الحربية من قبل الجيش فور استلام السلطة، ووعد الملا مصطفى بوقف العمليات الحربية من قبل البيشمركة وقد ابر بوعده. وهذا يعني ان الشيوعيين كانوا قد ذهبوا في تشددهم ضدنا ابعد من البارتي رغم ان الاخير حزب يمثل قومية اخرى. واعتقد انه لو لم تتكون في الاذهان بعض المفاهيم المتعصبة، لجرت الامور مجرى آخر وربما استطعنا لو حصل ذلك ان نصنع جبهة داخلية قوية بإمكانها منع الطائريين مثل صدام حسين ومجموعته من التسلل، فيما بعد، في غفلة الصراعات بين القوى الوطنية إلى حكم العراق

العزیز و تحویلہ إلى خراب و تقسیمہ بصورة مشوہة إلى طائفیة و شوفینیة و جہویة . . الخ^(۱).

ومن ناحية أخرى فلو كانت عقلية البعث في العراق أكثر مرونة وتسامحاً سياسياً وفكرياً، ولو توجه في حل المشكلات إلى الحوار وليس الخراب، ولو استفاد من طريقة رفاقه السوريين لاستطاع إقامة توازن ممتاز يحفظ للبعث قوته ويحافظ على وجود الشيوعيين معه في نفس الخندق. فقد استطاع السوريون ادامة ذلك أكثر من ربع قرن رغم حجم الضغوط والتآمر الكبير الذي تعرضوا له والذي لا يقاس بما تعرض له العراق حينذاك، فلم تكن سلطة البعث في بغداد عام ١٩٦٣ تواجه أي تحد دولي أو أية معارضة داخلية جدية، ولكنها خلقت لنفسها مشاكل كثيرة داخلية وخارجية كان يمكن تجاوزها وتجنب المصير السيئ للعلاقات بين الحزبين والتي انتقلت من الحوار السياسي في الصالونات واروقة المدارس والجامعات إلى ساحات الإعدام وحوار الدم.

١ — الواقع ان حوار الصالونات الذي بدأ سلمياً هو الذي اسس لحوار الدم. لانه لم يكن حواراً للتفاهم بل مبارزة بين ايدولوجيات تتقابل فيها مفاهيم مجردة لا تتصل بمتغيرات الواقع. فكان ذلك الحوار صراعاً بين أحزاب تبني انساقاً من المفاهيم الشاملة المختلفة، وليس بين اشخاص احرار يمثلون حاجاتهم الاجتماعية والإنسانية المحددة والواضحة. وكانت الساحة العراقية تكتظ بمفاهيم سياسية صادرة عن النظام الاممي السوفييتي الراغب في توحيد الكرة الارضية تحت شعاراته. وكانت تقابلها مفاهيم قومية لم تستكمل نضجها بعد، وبعضها مستورد من مفكرين غربيين ايطاليين وفرنسيين وألمان. فكان احتراكاً محلياً بمقولات اجنبية لا تتغير مضامينها ابداً، لارتباطها بنسق ايدولوجي شامل يربط امكانية تغييرها بتغير كامل منظومة المفاهيم المكونة للايدولوجيا الواردة!!

وحفاظاً على استمرار توتر وتماسك الجماعة المنظمة (الحزب) يُشترط على المنتظم الالتزام الضروري بمفاهيم "ثورية" تُضخّم الجزئيات وترفعها إلى مستوى القضايا المصيرية المقدسة التي تؤدي إلى اصابة العقل بنشوة السكر، وتجعل مسرارة التصادم قدراً حائماً! وتضع الديمقراطية في وعاء ديكتاتورية الدولة أو البروليتاريا أو الطليعة الانتقالية. فقرر البعثيون العراقيون ضمناً بان الانقلاب العسكري وسيلة ثورية لا بد منها، فلحق بهم الشيوعيون قائلين إن "الانقلاب العسكري هو انتفاضة شعبية وطبقية في ظروف بلادنا، أو انه الانتفاضة التي تلعب فيها القوات المسلحة الدور الحاسم"^[26].

مراجع:

- [1] حنا بطاطو، جزء ٣، مرجع سابق، صفحة ٢٩٢. حصل بطاطو على النص المذكور من الاستاذ حسين جميل في ١٣ آذار ١٩٦٣ وعثر عليه في بيت احد الشيوعيين. كما اخبر احد اعضاء منطقة بغداد للحزب الشيوعي انه كان مكلفاً بتوزيعه في منطقة الرصافة.
- [2] سمير عبد الكريم. اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، دار المرصاد، بيروت، الجزء الثالث صفحة ٢٦ - ٣٧
- [3] د. عبد الحسين شعبان رسالة شخصية، ومقابلة في لندن، ١٩٩٨.
- [4] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، المحضر الثالث، مطابع دار الكفاح العربي، صفحة ٢٨
- [5] زكي بحري مذكرات سياسي عراقي مخضرم، القسم الأول، ١٩٩٤، صفحة ٢٤
- [6] يونس الطائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
- [7] بهاء الدين نوري مذكرات ١٩٩٥ ط ٢ ص ٢١٣.
- [8] علي الشوك جريدة الحياة النذنية ١٩٩٢/٣/١ عن كتاب نجم محمود (إبراهيم علاوي) المقايضة.
- [9] ثابت حبيب العاني رسالة العراق، العدد ٨، ١٩٩٥.
- [10] يونس الطائي، مقابلة، ١٩٩٥.
- [11] سمير عبد الكريم، ج ٣، ص ٩٥.
- [12] لقاءات متفرقة مع قادة شيوعيين بينهم عبد الرزاق الصافي ولييد عباوي وجميل منير وحامد أيوب.
- [13] باقر إبراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [14] حردان التكريتي، مذكرات سياسي عراقي، دراسة احمد رائف (اسم مستعار)، بيروت، دار الزهراء للإعلام العربي
- [15] تعميم شيوعي صادر عام ٦٧ بعنوان "محاولة للتقييم . . .". حنا بطاطو العراق، شيوعيون وبعثيون، مصدر سابق، ص ٣٠٦.
- [16] بهاء الدين نوري، مذكرات، م س، صفحة ٢٠٧.
- [17] صالح دكلة، ندوة هولندا لايدن في ٢٧/١٠/١٩٩٥
- [18] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، العدد ٨، ١٩٩٥.
- [19] حامد ايوب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٧.
- [20] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، مصدر سابق، ص ٨٨.
- [21] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، ص ٩٨.
- [22] حسين محمد الشيبني، كتابات الرفيق حسين محمد الشيبني، - من وثائق الحزب الشيوعي العراقي.
- [23] د. عبد اللطيف الراوي، عصابة مكافحة الصهيونية في العراق ٤٥ - ١٩٤٦، دار وهران في الجزائر ودار الجليل، دمشق ١٩٨٦ صفحة ٢١.
- [24] جميل منير، مقابلة، هولندا، ١٩٩٦.
- [25] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [26] الحزب الشيوعي العراقي، بيان صادر عام ١٩٦٦.

ملف الوحدة

إخفاق الوعي وإخفاق التجربة

نرفض الممكن ونطلب غيره

تميزنا نحن القوميون برفض المأمول والمحتمل في سبيل المستحيل، فسينا إلى أهداف أكبر مما تستطيع قدرتنا ووعينا على إنجازه واستيعابه. ولما كانت الوحدة العربية معيارنا للموقف الوطني والقومي، ولصدق النضال ضد أهداف الاستعمار وضد أعداء الأمة العربية، فقد أدر كنا أن طرقنا مع عبد الكريم قاسم مختلفة ومع الشيوعيين مقطوعة. فلم يرغبوا بأكثر من تضامن عربي واتحاد فدرالي، بينما نحن وبقية القوميون أردنا وحدة اندماجية فورية شاملة. واستناداً لهذا التباين اتضحت خيوط الاختلاف، فأخذ كل طرف يكتل حوله الأنصار والأصدقاء داخل العراق وخارجه. وللأسف أن كلا الطرفين كان على خطأ وصواب في الوقت نفسه. فلو سعيانا لفدرالية لأمكن تحقيقها بسهولة، وكان عبد الناصر سيوافق عليها^(١).

١ — لم يكن قاسم والشيوعيون وحدهم الذين يقولون بمنهج تدرج الوحدة والاتحاد الفدرالي أو البدء بتضامن عربي فعال وعملي مدعوم باتفاقات عسكرية وثقافية واقتصادية، أو بوحدة يسبقها التهيئة الداخلية وحل المشكلات المعلقة لكل قطر بما في ذلك بناء المؤسسات الحكومية والشعبية الملائمة، بل أن ناصر نفسه وصل إلى هذا الرأي حتى قبل سقوط قاسم، وقد أبلغ به قيادة البعث بعد أيام من حركة ٨ شباط في معرض تقييمه لانتكاسة الوحدة المصرية السورية قائلاً: "الوحدة الاندماجية سابقة لأوانها، وهذا ما عبرت عنه في كلامي بضرورة مراعاة العوامل الإقليمية"^[1]. كما أبدت حركة القوميون العرب وحدة الهلال الخصيب وأبدت إمكانية قيام وحدات إقليمية بأي شكل كان، كوحدة شمال أفريقيا ووادي النيل والجزيرة، وأطلقوا عليها اسم (المرحلة) بدلاً من الاندماجية الفورية الشاملة^[2]. وهو موقف يتطابق مع موقف الحزب الشيوعي العراقي الذي عبر عنه عامر عبد الله في ١٩٥٩ بمحاضراته الشهيرة (الطريق إلى وحدة الأمة العربية) بقاعة الخلد. ووقف الحزب الوطني الديمقراطي وكتلة عبد المهدي الراوي وجابر حسن حداد وكتلة الحزب الإسلامي العراقي 'العسكرية والحركة الكردية، ضد الاندماج الفوري'^[3]. وعلى مستوى الأشخاص فقد وقف نفس موقف قاسم كل من كامل الجادرجي وعبد الفتاح إبراهيم وحسين جميل ومحمد حديد وعبد اللطيف الشواف وعبد الوهاب الشواف ومحمد مهدي كبة ومحمد صديق شنشل وهديب الحاج حمود ومحمد مهدي الجواهري وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وعبد الجبار الجومرد وناجي طالب وعبد الرحمن البزاز وتيار واسع من الشخصيات الحكومية والاجتماعية والحزبية، أكبر بكثير من تيار الوحدة الاندماجية الفورية الشاملة. وعلى سبيل المثال فقد كشفت الوثائق البريطانية أن عبد الرحمن البزاز أكد في يوم ٢٦ آب ١٩٥٨ للسفير البريطاني (المستر فال) بضرورة الفدرالية وبأنه يرى ضرورة بقاء العراق كيانه منفصلاً يمكنه الدخول بنوع من

وفي الحقيقة لم يكن إخفاق الوعي وإخفاق التجربة السالفة هي المرة الأولى التي فشلنا فيها في استيعاب المرحلة وحاجاتها وإمكانياتها. فلقد خسرنا في مرات سابقة المشروع الحدودي لسوريا الكبرى، الذي كانت تدعمه فرنسا. ولو لم نعرفه، أو لو كنا قد دفعناه إلى الأمام، لربما أمكن تحقيق وحدة سوريا الحالية ولبنان والأردن وأجزاء من فلسطين، والمساعدة على الوقوف بوجه الصهيونية التي أغرقت فلسطين بالهجرة اليهودية تمهيداً لاستحداث وبناء دولة إسرائيل عليها.

أما المشروع الثاني الذي أهملناه في الخمسينات فقد كان مشروع الهلال الخصيب - سوريا والعراق فلسطين ولبنان والأردن والكويت - . وشاركت في رفضه جميع الأحزاب والجمعيات (التقدمية) العربية، مما عكس سذاجة وغرارة وغضاضة الوعي العربي. فليتنا قبلنا بمشروع الهلال الخصيب. نعم ليتنه تحقق، لأنه يعني توحيد خمسة أجزاء عربية في دولة واحدة. فأني حلم عربي كان سيتحقق؟ أي حلم عربي؟ .

رفضنا مشروعين صدر الأول عن فرنسا والثاني عن بريطانيا، وكل منهما كان قادراً على تحقيق تلك المشاريع، وطرحنا مقابلهما مشاريع شاملة أردناها فورية، ولم نفكر بآلية تحقيقها، فأفشلنا دون قصد مشاريع وحدوية ممكنة ودفعناها إلى المستحيل، في حين كان يجب التوقف عندها ودراستها لمعرفة ما إذا كنا سنكسب منها شيئاً^(١).

الفدرالية لتأسيس اتحاد عربي يشمل الجميع[4]. في حين رأى الجادرجي بأن ليس من مصلحة العراق الانضمام للعربية المتحدة، وبدلاً من ذلك يمكنه إقامة تعاون وثيق معها في السياسة الخارجية، بل إنه أوضح للسفير البريطاني (المستر فاللي) بأنه ضد حكم الحزب الواحد، ولا يرغب " أن يُحكم العراق بنفس الطريقة التي تُحكم فيها مصر "[5]. ورأى العميد عبد الهادي الراوي ضرورة التريث ودراسة الوحدة وعرضها على علماء الدين في كل من العراق ومصر، ولا يجب أن تقوم الوحدة قبل موافقتهم عليها. ولم يكن ذلك، كما هو واضح، عملاً اندماجياً فورياً[6]. ولكل ما تقدم أرى أن على الباحثين الموضوعيين أن يفتشوا عن سبب آخر، غير الموقف من الوحدة العربية، أدى إلى قسوة الصراع بين قاسم وحلفائه من جهة وأولئك الذين مثلوا التيار القومي من جهة أخرى.

١ - في وقت سابق على حديث شبيب بعشرين عاماً انعقد المؤتمر القومي الثاني عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي بدمشق ١٩٧٥ ، وكنت عضواً أصيلاً فيه. في ذلك المؤتمر تحدث حافظ الأسد مطولاً حول المشاريع الوحدوية التي رفضناها. وكان حديثه على سبيل إلفات النظر لأهمية الوحدة بين العرب، فسمعنا لأول مرة من قائد بعثي تاريخي ما يكسر الموقف المعتاد من تلك المشاريع. فقد تأسف الأسد لعدم تحقق مشروع الهلال الخصيب رغم انكليزيته. واعتبر أن تحققه كان من الممكن أن يكون خطوة يمكن أخلها والعمل على توطيدها ثم التضامن من أجل توسيعها. خطوة في طريق الوحدة المأمولة. بل تحدث الأسد من موقع الأمين العام للحزب عن فهم جديد، أكثر عقلانية عندما قال : " أن تعيد طريق أو مد سكة حديد أو توحيد مناهج دراسية بين قطرين عريين كالاردن وسوريا سيكون خطوة وإنجازاً وحدوياً ندعمها ونسعى إليها" . حينها فوجئنا، وتبرم بعضنا، فقط لإعتيادنا على شجب تلك المشاريع والمسميات دون تدقيق وبمجرد ذكرها أمامنا واعتقد أن البعثيين والشيوعيين وغيرهم قد تورطوا في رفض مشاريع وحدوية سياسية

←

أما المشاكل الناصرية السورية ذات التاريخ المرير، والعالقة في أذهان الطرفين الناصري والبعثي، فقد كان من الممكن تجاوزها بمجرد إعلان أي تقدم وحدوي واقعي جديد، حتى لو كان أقل بكثير من وحدة اندماجية شاملة. وكان من الممكن إقناع المتحمسين بأننا هذه المرة أشد حماسة وأقوى إرادة، لكننا متعلقون وحريصون على عدم الفشل.

لكننا لم نعرض أيًا من الأفكار التي تواجهنا، أو حتى أفكارنا الخاصة، للدراسة والتحريض أو لحسابات الربح والخسارة. ولم نعط اعتباراً لأهمية تأجيل المعارك التي لا تملك وسائل خوضها، فحسبنا معاركنا وربح أعدائنا أكثرها ضدنا. وكانت أذهاننا تضج بشعارات ومشاريع كبرى دون التفكير باليات تحقيقها. ورغم ذلك عقدنا العزم واندفعنا، فاصطدنا برجل مثل عبد الكريم قاسم الذي كان وطنياً، ولا يخرج في أفكاره عن نطاق تصوراتنا، فقضينا على بعضنا وخرجنا جميعاً نحاسرين.

مع عبد الناصر

قبل ثورة الثامن من آذار في سوريا، عند لقائنا الودي الأول مع جمال عبد الناصر في ٢٢ شباط ١٩٦٣، لم يكن في ذهننا ولا في ذهن عبد الناصر أي مشروع عملي للوحدة مع مصر. ولم تتجاوز أفكارنا حدود علاقات الصداقة والتحالف الطيب مع أقطار عربية معادية للاستعمار كمصر واليمن والجزائر وبقية الحركات التقدمية العربية.

أوضحنا ذلك لمضيفنا على أساس أن ظروف العراق تتطلب التعددية السياسية والحزبية وأشياء وترتيبات وجهوداً كثيرة ووقتاً طويلاً، نستطيع خلاله تطوير التفاهم وتقوية العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة والحركات التقدمية العربية كاتحاد الشغل المغربي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية والاتحاد القومي المصري (الاتحاد الاشتراكي)، لإقامة جبهة وطنية وقومية عريضة، تتعاون فيها الحركات والحكومات معاً لتحقيق وحدة الهدف والتضامن العربي تمهيداً لإقامة وحدة عربية متينة ومدروسة لا رجعة فيها. وحينذاك كنا قد أدركنا بسرعة قياسية

كثيرة متغيرة. وغرقنا أكثر بعد دخول عبد الناصر بوسائل إعلامه في معركة أدت إلى تخويف قادة الدول العربية من وحدة قد تؤدي إلى هيمنة جزء بذاته على بقية الأجزاء. وكانت النتيجة أن أيًا من المشاريع لم يتحقق سوى مشروع التجزئة القائم. وجاء رفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى والاتحاد الأندلسي للمغرب العربي واتحاد المحميات العربية وخسارة اقتراح عراقي برعاية إنكليزية عام ١٩٥٤ لإنشاء وحدة سورية أردنية عراقية. ولم نرفض لعدم الجدوى بل لحسابات سياسية وأيديولوجية. والاتحاد الوحيد الذي نجح من محاولات العرقلة الكثيرة هو (اتحاد الإمارات العربية). ولا أشعر بالحرج إذا قلت أن الحركات (التقدمية) وجدت باستمرار أسباباً لتأخير الوحدة، ومقابل ذلك فقد أضافت مفاهيم اجتماعية ملازمة تضع شروطاً على قيام الوحدة.

الفارق الكبير بين الشعارات التي كنا نرفعها وبين تنفيذها عملياً على أرض الواقع^(١).

كان الوفد العراقي إلى مصر برئاسة نائب رئيس الوزراء وأمين سر الحزب علي صالح السعدي ووزير الدفاع صالح مهدي عماش وأنا بصفتي وزيراً للخارجية وعضو القيادتين القطرية والقومية، يرافقتنا وفد شعبي يضم رجالاً يمثلون الخارطة السياسية العراقية بكاملها، من سياسيين

١ — تردد قاسم وأجل مشروع الوحدة الاندماجية، فاستحق الثورة عليه وإعدامه. لكن خصومه لم يتمكنوا من طرح أو تنفيذ أي شيء مخالف لمواقفه وأفكاره. فبعد أسبوعين من إعدامه استقر الزمام بيد قادة الحركة الذين بدأوا بالتحدث من عاصمة الوحدة (القاهرة) عن ضرورة التريث اعتباراً لظروف العراق المختلفة. وفلسفوا للتريث أكثر مما فعل قاسم، وسرعان ما اختصموا ونظّروا للعداوات العربية-العربية، حيث تحدث علي صالح السعدي لوكالة أنباء الشرق الأوسط عن وحدة إتحادية ليست عاطفية [7]، وطالب بإنشاء (الدول العربية المتحدة) وهو لعمري أدنى من الاتحاد الفدرالي أو على الأقل مماثل له. ويذكر أن البعث في مؤتمره القومي الخامس المنعقد بمصر ١٩٦٢ أشار للوحدة الاندماجية الفورية الشاملة بأنها (الاتجاه العاطفي السطحي اللاواعي)، ورفع وفد البعث - القطر السوري - إلى محادثات الوحدة شعار وحدة إتحادية (فدرالية) [8] كما وقع جميع الأطراف على ميثاق نيسان للترضية والافتراق وليس للتنفيذ [9] وطرححت حركة القوميين العرب في ١٧ آذار ١٩٦٣ برنامجاً يطالب بوحدة اتحادية (ليست اندماجية). وانتهت دعاوى عبد السلام عارف بالحدودية الفورية الشاملة بتوقيع اتفاقية للتنسيق السياسي مع حكومة عبد الناصر في ٢٦ أيار ١٩٦٤، وكان كل منهما حاكماً مطلقاً في بلاده، لا يعيقه عن الاندماج القوري غير نفسه، فكان أبعد من كل أسلافه القاسميين والبعثيين عن الوحدة. فهم تدرعوا بظروف العراق وتكوينه الداخلي الخاص، أما هو فأنه رفض لنزعة الفردية وخوفاً على كرسيه الذي قال عنه "ما زال لم يبدأ تحتي" [10].

نستنتج من هنا أن الوحدة قد استخدمت كأداة في خدمة الاستحواذ على مناصب وكراسي لاتعادلها أهمية وقدسية. وفي هذا السياق حدثني صفاء الفلكي قائلاً: "بعد ١٩٦٨ سألت عبد الكريم الشخيلي وكان خارجاً توأ من مقابلة صدام حسين: إلى متى سنظل نحكم بصورة استثنائية وبقرارات مجلس الثورة؟ لماذا لانقيم وحدة عربية تستند إلى شرعية دستورية؟ فأجاب: أن الرأي عندنا هو أننا يجب أن نبقى بلا وحدة لفترة لكي نرتاح (ونسبرش) ونبني أوضاعنا (وخلي) شعبنا (ينشش). . . " وضاف الفلكي أن: "صدام حسين كرر نفس الرأي بعد عشر سنوات في مؤتمر السفراء العراقيين ١٩٧٩ قائلاً: إذا كنا مسيطرين فأهلاً بالوحدة. كما أشار إلى المفاوضات مع سوريا قائلاً: أن البلد الأكبر والذي فيه إمكانيات وثروات أكثر يجب أن يسيطر، وبغداد هي عاصمة الوحدة" [11].

ورغم ميل التحليل لمصلحة عبد الكريم قاسم، فإن انفراده بالسلطة كان قد مكن الناصريين والبعثيين من حشره في زاوية العداء للقومية والوحدة، في حين بجحوا هم في وضع أنفسهم كمحور لنشاط مريدي الوحدة، ساعدهم في ذلك إعلام ناصر المسيطر وتأثير مثقفي البعث والتيار القومي في سوريا ولبنان. بينما توهم قاسم بأن شعبيته الكبيرة هي كفيلة بحمايته من ابتزاز الشعارات الاندماجية الفورية الشاملة. ولم يستطع رؤية قدرتها على كسب الأنصار في كل يوم يمر إلا متأخراً. وفي الحقيقة أن عبد الكريم قاسم كان أبعد ما يكون عن فكرة القوميين عنه، فلم يتحسس خطرهم بل قام بتعيينهم في أخطر وأعلى المناصب الحكومية، بينما ترك لخصومهم الشيوعيين، رغم امتلاكهم الكادر الفني المناسب، الشوارع يقيمون فيه المهرجانات وينظمون النقابات والجمعيات. لكن القوميين كانوا قد طرحوا عليه وحدة رومانسية عجزوا هم عن تحقيقها على مدى أكثر من ٣٥ عاماً من حكمهم المطلق. بل أنهم حملوا قاسم مسؤولية عدم تحقيق كل أحلام العرب في الوحدة، وبعد قتله أنقلوا كاهل الوحدة بشروط إضافية إمعاناً في الشيذوفرنيا السياسية التي سادت تلك المرحلة. ووصل بعضهم إلى تقسيم العراق الواحد إلى جهات والجهات إلى قبائل والقبائل إلى بيوت، وبيت واحد من تلك البيوت يسيطر على البلاد بكاملها ويلونها بألوانه.

وأكاديميين ومهنيين ونقابيين مشهورين كمحمد صديق شنشل وجلال الطالباي وخير الدين حسيب وأديب الجادر وفؤاد عارف وبعض ممثلي المنظمات الشعبية من بعثيين وغير بعثيين. وكان هدف الوفد تقديم التهنئة بذكرى الوحدة وتقديم الشكر لعبد الناصر على موقفه المؤيد للثورة. ولكي تتجاوز الفتور والضباب الذي حصل بيننا بسبب اختلاف التحليل الذي رافق انهيار الوحدة.

استقبلنا في القاهرة استقبال الأبطال. لكننا فاجأناهم بالخطاب الذي ألقاه علي صالح السعدي أمام جماهير مصر والذي لم يراع به المناسبة الاحتفالية، فجاء خطاباً تحليلياً تفاوضياً بين أطراف في حالة حوار ونقاش وليس خطاباً تهنئة وتعارف^(١).

جاء خطاباً حزيباً عقائدياً، فارغاً من المحبة والمجاملة، كتبته عبد الكريم زهور (عضو قيادة قومية سوري) بلغة جافة ليست سياسية. واستطيع القول انه كان قد احتوى على الهيكل العظمي للرؤية البعثية دون شحم او لحم لتجميل الصورة. ولا اعتقد ان أي إنسان في الدنيا يعجب في الهيكل العظمي لأية امرأة او رجل مهما بلغ جماله ورشاقته، ولذلك لا يمكن لهيكل خطاب ان يكون شكلاً صالحاً لتقديمه إلى الرأي العام مباشرة وعلى شاشة التلفزيون. وكان طبيعياً وبحكم المناسبة ان يلامس الخطاب مشاكل التجربة المصرية السورية وما تبعها من خلافات، ويستشرف مستقبل العلاقات بين البعث والناصرية.

كانت رغبتنا بالظهور بمظهر الحزب الواحد وراء تكليف عبد الكريم زهور بكتابة خطاب الوفد العراقي. وعندما وصلنا إلى القاهرة وجدنا وفد القيادة القومية لحزب البعث قد سبقنا إلى هناك لنفس السبب والمناسبة، فرغبنا ان يكتب الكلمة سوري ويلقيها عراقي. وهكذا فرغ

١ - استقبلت الجماهير العربية الفريق العراقي الحاكم الجديد معتقدة ان وضعه من القوة سيجعله قادراً على تحقيق كل شيء، وعلى دخول سباق الوحدة التكتيكي الذي صبغ العلاقات السورية الناصرية. في حين جاء شبان البعث العراقيين مثقلين بتحد ضار، يلاحظهم شبح نظام شعبي تغلبوا عليه توأ، وتتحداهم ذبول الحزب الشيوعي بتنظيمه القوي المنتشر في كل مكان. فقد كان نصرهم مجللاً بدماء غزيرة تثير عند المواطن العراقي الرغبة في المقارنة، فضلاً عن ضغط المواطن العربي الذي نظر إلى العراق على انه (بروسيا العرب). إضافة إلى تحد اللوحة العراقية المتعددة حزبياً وقومياً وعشاعراً محبة للتمييز الطائفي. وكل ذلك يدعو للمقارنة ويضع في وجه القيادة البعثية الجديدة تحدياً لا يستهان به. ولم يكن مع الأسف - بإمكان المواطنين وحتى أكثر المسؤولين العرب استشعار ذلك الضغط الذي يجعل المفاوض العراقي لا يستطيع ان يعطي ما وعد به او ما هو متنتظر منه عربياً. ولم يكن تردد العراقيين ليقص من قناعتهم بالوحدة، بل كان تعلقهم بها سبباً في عدم انتظارهم وصول وفد مصري إلى بغداد مهتماً قبل ان يطير وفدهم إلى القاهرة، كما تحكم الأصول، فطاروا إلى القاهرة واشعروا المواطنين العرب ان في الأفق (شراع سفينة الوحدة العربية) . لكن السياسيين العراقيين حينذاك بمن فيهم الشيوعيين والبعثيين والناصريين حملوا استعداداً تاماً لمء فراغهم بالنظريات الثورية الراجحة، والتي لم تتح لهم قسوة النضال وشدة الصراع الداخلي من التفرغ لها ومناقشتها والتأكد من جدتها. والآن وبعد مسك السلطة وتحولها إلى مسؤولية، بدأ التغير يتسرب إليهم وبدأ معه نمو فكرة التريث وكسب الوقت قبل الدخول في وحدة.

الخطاب من الدبلوماسية، ولم يرد فيه ذكر رئيس الجمهورية عبد السلام عارف. علماً بأن قد صرحت قبل التوجه إلى القاهرة للوكالات بأن الحكومة العراقية الجديدة ستقيم علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة على إيمان جازم بالمصير المشترك للشعب العربي، وقلت بأننا سنقيم علاقاتنا على اشد ما يمكن من القوة، وإن العراق سيتعاون مع الحكومات العربية القومية المتحررة بغية تحقيق وحدة عربية

هذا أمين: انه رجل مخبرات جيد

كأن المصريين انطبأوا عن قلة خبرتنا بشؤون العلاقات بين الدول والدبلوماسية السياسية. وربما زادت عفويتنا من انجذاب عبد الناصر إلينا. وكنا خلال تلك الزيارة نجتمع ليلاً ونهاراً بعبد الناصر، الذي تفرغ إلينا كلياً، ووجه إلينا أسئلة واستفهامات وناقشنا وأسدي النصيح، وقال انه يشعر باطمئنان لوجودنا على رأس السلطة في بغداد. وانه مقتنع بأن حزب البعث الذي قاد العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم، وخطط ونفذ الثورة، قادر على الحكم. واضلف: "بادرتم وحجتم للقاهرة وستجدون مني كل دعم وتأييد. ولكنه حذرنا، وكأنه كان يرى ما سيحصل من صراع بين البعث والقوميين قائلاً: سيتآمر عليكم كثيرون، وسيقال لكم كثيراً عن علاقتنا برجال يتآمرون عليكم فلا تصدقوا. وطالبنا ان نحاسبه شخصياً عن كل كلمة تقال في هذا الشأن.

وعند توديعه قدم إلينا أمين هويدي قائلاً: هذا أمين، رجل انا أثق به، وهو رجل مخبرات جيد. اطلب تعيينه سفيراً لديكم. قلت: يا سيادة الرئيس سيكون سفيركم لدينا وسفيرنا لديكم وليعتبر نفسه منذ الآن مقبلاً. ولكن الأصول تقتضي ان أرسل برقية إلى رئيس الجمهورية لإخطاره وسأفعل ذلك فوراً عند وصولي للسفارة. وإن شاء الله سيصبحنا الأخ هويدي على الطائرة عائداً معنا إلى العراق سفيراً معتمداً . . . وعلى الرحب والسعة. وأصبح أمين هويدي هو السفير الوحيد الذي يتمتع من قبلنا بتلفون سري خاص يتصل بواسطته مباشرة برئيس الجمهورية والوزراء ووزارة الخارجية متى شاء، وتتصل به نحن أيضاً، ومنحناه ذلك الامتياز لنحافظ على سرعة الاتصال والتشاور والتنسيق الفوري مع القيادة المصرية، وكان ذلك دليلاً على استعدادنا للتعاون وثقتنا غير المحدودة بعبد الناصر وسياسته.

انتهت الزيارة وصفت القلوب، وقد وجهنا في نهايتها الدعوة لعبد الناصر لزيارة بغداد. فقال ان قلبه يتوق لمثل هذه الزيارة التي ستكون الأولى في حياته، ووعد بتبليتها في أسرع وقت ممكن. ولم تتحقق رغبته تلك أبداً.

وليس صحيحاً ما أشيع فيما بعد عن ارتباك الزيارة التي دامت أربعة أيام بسبب تصرفات

نسبت إلى علي صالح السعدي^(١). فقد مرت بسلام، بل كانت ناجحة بما حملته من مضامين بناء الثقة بين قيادة العراق الجديدة ومصر، لأن ما دار بيننا من نقاشات شكل المقدمة التمهيدية لمفاوضات الوحدة التالية. وأنا واثق من أن عبد الناصر احتفظ بثقته بنا حتى نهاية عهدنا بالسلطة.

في الأزهر الشريف

خلال الزيارة أصر عبد المجيد فريد أن نذهب برفقة عبد الناصر إلى الصلاة في الجامع الأزهر وبعد إلحاح وإصرار شديدين قررنا الذهاب. وكان علي السعدي أكثرنا ممانعة، فقال لهم: إن الجمعة يوم للراحة بعد عناء المفاوضات وبرنامج الزيارات. لكنه وافق واستقل مع ناصر سيارة مكشوفة، واستقلينا أنا والمشير عبد الحكيم عامر سيارة مكشوفة أخرى، وكان المشير عامر في منتهى اللطف والمحبة. وعندما شاهدنا آلاف المصريين يتجمعون ويحيون موكبنا في الشوارع ومن البالكونات وشناشيل البيوت، قال المشير عامر مازحاً ومشيراً إليهم: "(هلول) هؤلاء أكلوا السد العالي، يخرب بيتهم!!".

كانت الجماهير تحتشد بسرعة، أكثر من مليون شخص يصفقون ويتعاطفون معه ومعنا، مع "ثورة العراق". شيء عظيم لا يمكن وصفه أو تفسيره إلا بأن ناصر نفسه يتعاطف معنا بصدق. وكنا جميعاً نرد التحية والفرحة بادية علينا.

دخلنا جامع الأزهر فوقفنا في الصف الأول مع جمال، كان المشير عامر على يمينه وعماش وعلي السعدي وأنا على يساره. سألتني السعدي هامساً: يا أبو مازن كيف نصلي؟ قلت له كما يصلي الرئيس... "تكتفنا" جميعاً كما يفعل أغلب السنين في صلاتهم. فعكست الأيدي، لكنني لم أكن أعلم أنني قد عكستها بصورة مخالفة للمذهبين الشيعي والسني. وعندما عدت إلى بغداد وجدت والذي وكان جالساً كعادة العراقيين على كرسي بباب الدار، فقال لي: لقد

١ — كان السعدي يقضي أغلب أوقات الزيارة بملابس غير رسمية، ويستغل أوقات الفراغ في زيارة أصدقائه ومعارفه من الطلبة العراقيين والعرب في القاهرة. فقد قام بزيارتهم في أقسامهم الداخلية وشققهم المفروشة، وخرج معهم وحضر مناقشاتهم الحامية. ورداً على بعضهم استشهد أكثر من مرة بمعلومات وآراء قالها ناصر في قاعة المفاوضات المغلقة، مثل رايه بأن العالم سيقف كله ضد الوحدة العربية بما فيه الاتحاد السوفيتي الذي سوف يتأمر بدوره ضدها إذا ما أعلنت. وكان إشاعة مثل هذا الرأي - حتى لو كان صحيحاً - محرراً للحكومة المصرية. وباستثناء ذلك لم يتصرف السعدي - كما أشيع - أية تصرفات غير لائقة. وكل ما فعله هو أنه لم يلتزم بالأجواء الرسمية الثقيلة بل تصرف على سجية ابن المحلة البغدادي. لكن أجهزة الإعلام المصرية كعادتها كانت جارحة عندما حصل خلاف بينه وبين عبد الناصر.

فقدت بصلاتك شيعين، دينك وأرضك. فقلت له: ماذا حدث في الدين؟ قال: لقد صليت انت صلاة لم يصل مثلها محمد (ص) وآل بيته (ع) (ويقصد عكس الأيدي "التكثف") وبذلك لم تكن صلاتك مقبولة. كما انك عكست يديك خطأ، فلم تكن صلاتك على مذهب "العامية". قلت: إذا كانت صلاتي خاطئة فقد اتبعت علي السعدي وعبد الناصر. لكن جريدة الأهرام نشرت صورة الصلاة وبرزتنا نحن الأربعة على صفحتها الأولى، وكنت الوحيد الذي عكس يديه بصورة خاطئة. ولم اكن متعمداً بل جاهلاً للأمر، فأديت صلاة تصورتها على المذهب السني، ولم اكن اعرف أية يد يجب أن أضعها فوق الأخرى. ولم نكن جمال عبد الناصر والسعدي وأنا نمتلك أية نزعة طائفية. أما الأرض فقد خسرتها، لأن سعدون حمادي وزير الزراعة اصدر خلال سفرنا أمراً بمصادرتها هي وغيرها من الأراضي المهملة، فلم يُقِرَّ اهتمام الدراسة ثم السياسة لنا وقتاً كي نتفرغ لها.

ميثاق ١٧ نيسان

في ٧ نيسان ١٩٦٣ انعقدت في القاهرة ولمدة عشرة أيام مفاوضات الوحدة الرسمية بين الوفود الثلاثة المصرية والسورية والعراقية والتي أعطاها عبد الناصر عناية خاصة وحضر جميع جلساتها، وكان المتحدث الوحيد في الوفد المصري، ولم يتدخل أي منهم إلا بتكليف او اختصاص، عدا المشير عامر. وكنت برغبة من السعدي المتحدث الرئيسي بإسم الوفد العراقي من أجل أن نتحدث بلغة واحدة إلا إذا تطلبت الضرورة وأراد أحدهم التدخل. وتشكل وفدنا من السعدي واحمد حسن البكر وأنا، ورافقنا سفير العراق في القاهرة عبد الرحمن البزاز. أما الوفد السوري فجميع أعضائه يتكلمون وكل يعبر عن رأيه.

سؤال: ماهي أهم الصعوبات التي واجهتكم في مفاوضات نيسان؟

طالب الشبيب: اغلبها صعوبات تنظيمية حول عناوين ومساائل كثيرة تتعلق بمستقبل دولة الوحدة، وشكل التنظيم السياسي والحكومي النهائي الذي سيسود أقاليمها. وشكل الممارسة الديمقراطية القادمة. ولولا رغبة المصريين بعودة سوريا إليهم أولاً، او على الأقل إعطاء دور اكبر لأنصارهم فيها، لأمكن قيام حوار وتفاهم عملي حول كل المسائل المطروحة. كانت تلك عقبة كأداء وقفت وراء كل الخلافات الجزئية والتكتيكات والمناقشات التي لم ننجح خلالها في استبعاد المخاوف المصرية من قيام وحدة ثلاثية يهيمن فيها صوتان بعثيان هما سوريا والعراق، مقابل صوت ناصري واحد هو مصر. ولذلك كانت خلفية الصعوبات كلها تدور حول معرفة او

تحديد القائد الفعلي لدولة الوحدة، وهي نفسها شكلت خلفية المناقشات النظرية والتنظيمية التي لم تطرح إلا قليلاً^(١).

وكنّا كبعثيين عراقيين وسوريين غير راغبين في استعادة النقاش حول أحداث ما قبل الانفصال لأنها ستؤدي إلى عتاب ومرارة وستكون حامية ومثيرة للحساسية، لكن عبد الناصر نفسه أصر على بحثها عندما طرح فكرة تحالف العمال والفلاحين بديلاً عن فكرتنا ومشروعنا في إقامة تحالف يضم الأحزاب القومية على شكل جبهة تقوم في كل قطر عربي، بذلك كان يريد قبل كل شيء، معرفة شكل التحالف الذي سيقوم في سورية وموقع أنصاره فيه، مكرراً: "العراق للبعث... أما سورية فهي أمر آخر!!". كان الرجل يريد دوراً مهماً بها يكون بمثابة ثمن رد اعتبار عن جريمة الانفصال، وبصورة ربما تساعده على تجنب المساومة المتوقعة (اثنان بعثيان مقابل ناصري واحد). ولذلك طور فكرته وطرح شعار (مصر

١ — (كم ستأخذ، وكم سترك لي؟) هذا يختصر الأجواء العملية التي خيمت على المفاوضات، وأطفأت الحماس العظيم لدى بعض السوريين والعراقيين المساهمين في المفاوضات. وبالمقابل شح الاهتمام بشؤون أساسية كالتغيرات الاجتماعية الطارئة الخاصة بكل قطر عربي وإمكانية التغلب عليها، والأسباب الحقيقية للتجزئة. ولم تبحث إمكانية معالجة المشكلات الناجمة عن وجود تأثيرات وتيارات فكرية مختلفة في كل قطر عربي، وفيما إذا كان لتلك التيارات تاريخ وظروف ونشأة خاصة. وأدى العبور على تلك الأمور إلى عدم التعمق وإلى احتمال قيام وحدة باهتة تناسب شكل الأنظمة السياسية القائمة، بحيث يستطيع الحكام إسقاطها بقرار سياسي متى شاعوا، وقد حصل ذلك بالفعل. ولنا الآن ان ندرك مدى الصدمة لدى بعض المفاوضين ممن طالبوا بوحدة اندماجية تُسَلِّم مفاتيحها لقائد واحد، ثم فدرالية وبعدها وحدة هدف. وربما كان أفضل ما طرح ولم يتحقق هو الدعوة للتقارب الدستوري بين البلدان الثلاثة. لقد أثبت مجرى المفاوضات ان عبد الناصر لم يدرك حتى ذلك الوقت ان الفردية سواء كانت ناصرية او قاسمية او عارفية هي أس التجزئة. وان نجاح الوحدة لا يتحقق قبل حرية تنقل الأفراد والأعمال والتبادل التجاري الحر بين الأقطار العربية، تلك الحرية المتلازمة بالضرورة مع حرية الرأي والمعتقد، مع إسقاط حق الدولة في التدخل غير القانوني بشأن الاقتصاد والملكية. ولم يكن عبد الناصر وحده مقصراً في فهم ذلك، بل شاركه في القصور كل القوى الثورية العربية. كما لم يكن قاسم وحده فردياً بل كان ناصر كذلك، فقد ادّج للدكتاتورية وللخلافات العربية - العربية، في حين ركز قاسم على معاداة الاستعمار والاعمار الداخلي ومساعدة حركات التحرر العربية دون التدخل بشؤونها وأفكارها، بل لم يؤسس أجهزة مختصة للتدخل في شؤون الدول العربية كما فعل ناصر. لقد دافع ناصر بشدة عن الديكتاتورية في محادثات نيسان الوحشية، وسَخَّر من التعددية ألح على ضرورة إلغاء التعددية وحل الأحزاب في تنظيم حكومي واحد. قال ناصر: "انا اعتبر فصل السلطات خدعة كبرى لأنه في الحقيقة ما فيش حاجة اسمها فصل السلطات" وأضاف "الكلام ده طلع في فرنسا أيام مونتسكيو عن فصل السلطات، كلام نظري"^[12].

وذلك ينفي ادعاء ناصر وعارف وغيرها بأن خلافاً مع قاسم يدور حول ديكتاتوريته. بل هما أقاما ديكتاتورية مودجة وتوقفاً في مفاوضات الوحدة عند الحصص أكثر من الأفكار والشعارات التي قسموا المواطنين العرب بسببها. وليس صحيحاً اتهام قاسم بالتخلف عن الوحدة لأنه لم تكن هناك وحدة ليتحقق بها، بل أختصرت الوحدة المصرية السورية إلى حكم الباحث المصرية لسوريا. ولم يقيموا الوحدة بعد مقتل قاسم بأربعة عقود من حكمهم، ولم يكن قاسم على قيد الحياة ليعيقهم.

وسوريا أولاً، ثم العراق) ونشط إعلامه في طرحها بصورة مكثفة بينما كانت المفاوضات مستمرة، وطرحها مؤيدوه في كافة أنحاء الوطن العربي.

وفي المقابل وجهنا النقد كبعثيين إلى الاتحاد القومي (الاشتراكي) باعتباره التنظيم الوحيد في مصر وإلى المنظمات الشعبية والمهنية المصرية بسبب خضوعها للتنظيم الوحيد الحاكم ممثلاً بشخص خالد حكيم، وبصورة تُفرغ العمل النقابي من مضمونه وهدفه، ولم نستحسن هيمنة الدولة المصرية الكاملة على الاقتصاد بشكل يجعل التأميم مجرد إجراء لفائدة هيمنة الدولة وتقويتها على حساب الشعب والدستور والقانون، في حين حددنا لأنفسنا علناً مبدأ التعددية الحزبية القومية وسعينا لجمع الأحزاب والحركات القومية في جبهة موحدة. ورغم أنها تعددية ناقصة تستثني الشيوعيين والأحزاب القطرية والليبرالية، إلا أنها متقدمة على مبدأ ناصر ذو التنظيم الواحد الذي يهيمن عليه رجل واحد. وطرحنا مقابل شعار الناصري (وحدة مصر وسوريا أولاً) شعار الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، وحدة تلتقي إلى أقصى حد مع الجزائر واليمن والحركات الشعبية القومية العربية.

وبعد تعثر شعار (مصر وسوريا أولاً . . .) طرح المصريون قيام وحدة عراقية سورية أولاً، ثم التوحيد بين الدولة الجديدة الموحدة ومصر، لتجاوز معضلة (صوتان مقابل واحد) لكن الوفد العراقي رفض باستقامة ونية صادقة، جعل قضية الوحدة مجالاً للمناورة السياسية.

وتحت ضغط المفاوضات المصري وافقنا على بقاء مصر خاضعة لهيمنة أحادية ممثلة بالاتحاد الاشتراكي العربي، يقابله تعددية حزبية قومية في كل من سوريا والعراق. وتركنا الباب مفتوحاً حول : من هو الحزب القائد في سوريا؟ لأن عبد الناصر رفض انفراد البعث بقيادتها.

وتدريجياً اكتشفنا شدة ارتباط ناصر بسوريا، واستعداده للصراع من أجلها، فقد نظر إليها حتى وهي تحت حكم البعث بصورة مختلفة عن نظريته للعراق. يكن لها وللشعب السوري حبا خاصاً، وتترأى أمام عينيه المظاهرات التي توجهها البعثيون السوريون بشعارهم (من الخليج الهادر إلى المحيط النائر . . . رايات عبد الناصر"، قالها الشاعر السوري سليمان العيسى. كلمات ظلت ترن في أذنه، يتذكرها ويحن إليها. واعتقد انه احب دمشق بقدر حبه للقاهرة وربما أكثر. كان يسهر معنا ويتألق (بلا مشروب فهو لا يشرب بل يدخن كثيراً) وهو يحكي أيامه مع سوريا ويطلب ان نحول دون المواجهة بين مصر وقيادة البعث^(١) مؤكدا انه يعاني من ضغط

١ - يقصد بقيادة البعث، ميشيل عفلق وأكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار. وكان يرى انهم وراء ترم و غضب شباب البعث منه. وقد تركت استقالتهم من حكومة الوحدة أثراً سلبياً بالغاً في نفسه. فقد كانوا قادة في الدولة لكنهم برروا الاستقالة بالسماح لهم بالمشاركة السياسية. كان الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة لكنهم شكوا عدم الاختصاص. وشكا عفلق عمارة عزله عن صنع القرار، وكذلك قنوت والبيطار وكلاهما وزيراً، أما عبد

رفاقه في مجلس قيادة الثورة المصري الذين يطالبونه بالتريث. ووجه كلامه لي في إحدى الجلسات قائلاً يا طالب صدّق أن عدداً غير قليل من أعضاء القيادة المصرية يعارضون قيام الوحدة. ويعتبرون الدخول في تجربة جديدة مع البعث سيؤدي إلى انهيار الوضع المصري الذي لا يتحمل هزة من نوع فشل تجربة وحدوية أخرى، إن هذا لا يمكن تحمله في حالة تكرره. وهمس انهم يتصورون أن أمن واستقرار وسلامة مصر ستكون مضمونة طالما ظلت وحدها !!

ناصر والعراق

سؤال : كيف نظر عبد الناصر للعراق ؟

طالب شبيب: عرف ان القوميين لن يقووا على منافسة البعثيين في العراق. ولذلك ظل يكرر ان العراق للبعث، كما ان اعترافه السريع بثورتنا أعطاها بعداً قومياً صريحاً كان له صدى كبيراً ومفيداً. لكن حزب البعث (قيادة قطر العراق) لم يشعر بحاجة في الداخل إلى تزكية من جمال عبد الناصر. وان قيادته للبلاد وللحركة القومية هو تحصيل حاصل، ويعكس الميزان العسكري والسياسي داخل أجهزة الدولة ومرافقها، فلم يكن الحركيون والناصريون منافسين لنا. وقد تمكن البعث حتى قبل ثورته من فرض نفسه قوة حاسمة وان يجمع حول نفسه تجمعاً قومياً أعطاه سمات الرجولة والقوة وذلك فخر له^(١).

الناصر فلم يفعل أكثر من تسليم سوريا لعبد الحميد السراج الذي حكمها بأسلوب لم تعند عليه، فأضر بالوحدة وبسمة جمال عبد الناصر عربياً .

وعلى هامش محادثات الوحدة ١٩٦٣ علق ناصر على استقالتهم قائلاً: "لقد كانت استقالة وزراء البعث غلطة كبرى، ولدي الشجاعة ان أقول لكم إنني اعتبر التسرع في قبولها من جانبي غلطة كبرى" [13] ويذكر ان استقالات البعثيين من وزارة الوحدة أدت في العراق إلى مشاكل بين البعثيين والناصريين وإلى انسحاب حركة القوميين العرب من الجبهة القومية "التجمع القومي". وفي رأينا ان الخطأ يتحملة عبد الناصر في رفضه التعددية، وميشيل عفلق في حله تنظيم حزب البعث في سوريا.

١ - استلم البعث السلطة، فطالب الناصريون والحركيون بجبهة قومية فعالة تضم البعث والاستقلال وحركة القوميين العرب والعربي الاشتراكي والرابطة القومية وشخصيات ناصرية مستقلة. لكنهم غضوا الطرف عن افراد تنظيم واحد بجماهير مصر كلها. وعندما تأخر قيام الجبهة القومية تداعى القوميون إلى حوار شارك فيه سلام أحمد، باسل الكبيسي، العقيد جميل السعودي، احمد الحيوبي، عيد الحسن، زلزلة، خير الدين حسيب، اديب الجادر وعبد الهادي الراوي والعميد عبد المنعم المصرف والعقيد إبراهيم الشيخ ومحمد مهدي كبة وغيرهم. وقبل ان يتبلور بينهم أي شيء، بادرت حركة القوميين العرب بوضع خطة انقلابية تبدأ بالسيطرة على الإذاعة والبريد والمرسلات ثم تتطور إلى المناطق الأخرى والمعسكرات [14]، وكان الراوي او المصرف سيكون رئيساً للجمهورية وتوزير سلام احمد والشاوي وحسيب والجادر والكبيسي وفواد الركابي واباد سعيد ثابت ورياض الباور وطالب السهيل وعبد الاله النصراوي. (ويرى عبد الإله النصراوي في لقاء خاص: "ان اسم طالب السهيل لم يطرح إطلاقاً، وما لم تستجد أمور جديدة فسيبقى عبد

←

وأعطيناهم مكاناً بيننا كجزء من السلطة التي بقينا نقودها بإرادتنا الحرة. كما كنا قد فعلنا خلال تخطيط وتنفيذ الثورة بصورة مستقلة عن التدخلات الدولية ولم نلق مساعدات من خارج الحزب القومي^(١).

صعوبات أخرى

مثلما حوَصر عبد الكريم قاسم بمطالب غير قابلة التحقيق، واجهتنا وواجهت عبد الناصر موجة عظيمة من المزايدات في كل مكان في الوطن العربي. وكان الضغط يستهدف عبد الناصر أكثر من غيره، فأثقلت الساحة العربية بشعارات وأفكار يسارية متطرفة سببت لنا وله الخذلان، وجعلت المشاريع الوحدوية، حتى في حدها الأدنى تفشل وتنسحب. وكانت مفاجأة للمواطن العربي اكتشافه عدم قدرة عبد الناصر على توحيد الأمة العربية تحت قيادة واحدة، كما كان يحلم أو كما كانت تضغط عليه وتصوره له عواطفه الملتهبة وقد اكتشفنا ونحن في السلطة هذا أيضاً. لكننا قدرنا بأنه حلم جميل يجب المحافظة عليه وعلى ديمومته حتى تأتي الفرصة المناسبة.

لكن قوى عديدة تدخل باستمرار ميدان الصراع، هدفها إعاقة مشاريع الوحدة، بل إن قوى عالمية كبيرة ستحضر إلى المنطقة لتعرقل وتآمر إذا ما شرعت بمجدية الخطط الوحدوية. وكان كلا المعسكرين يرفض قيام قوة أو معسكر ثالث يملك الطاقة والبشر^(٢). وإن مجرد تفكير سوريا

وفي ١٣ أيار ٦٣ جرى تعديل وزاري فأخذ السعدي الإرشاد وحازم الداخلية بالإضافة لوزارته (شؤون رئاسة الجمهورية) وذهبت وزارة الدولة لشؤون الوحدة إلى مسارح الراوي، والمالية لمحمد العبيسي بعد خروج كبة. ١ - قال جمال عبد الناصر خلال حوار مع علي صالح السعدي وشبيب بحضور الوفود الثلاثة: "دفعنا لحزب البعث من أجل القضية القومية في العراق". ولا ندري لماذا سكنت البعثيون العراقيون؟ وهل ما قاله ناصر كان حقيقة؟ أم أنهم سكتوا بحمالة؟ وحول هذا الأمر ورد في الوثائق البريطانية أنه: "لا يوجد لحد الآن أية إشارة لأية صلة بين الحركة والجمهورية العربية المتحدة، وشعورنا أن الانقلاب ربما جاء كمفاجئة للمصريين. وما عدا عارف الذي كلن في السابق مؤيداً بشدة لناصر والذي قد يكون عنصراً رئيسياً فإن الحكومة تحتوي على أغلبية قومية والبعث منهم فقط مؤيدون لناصر".

٢ - هناك أدلة كثيرة على التآمر الدولي ضد مشاريع الوحدة العربية وبأشكال مختلفة وفي كل المجالات. وعلى سبيل المثال: أرسل أيزنهاور (رئيس الولايات المتحدة) إلى رئيس وزراء بريطانيا ماكميلان في ١٩ تموز ١٩٥٨ رسالة تضمنت دعوة لرصد حكومة ١٤ تموز، وتشجيع النزعة "القطرية" ضد "القومية" وتقول الرسالة: يجب أن نقوم بعمل شيء ضد سلوك المتطرفين القومييين المعادين لإسرائيل.. "ويجب تأكيد الوطنية أكثر التي تحاول الشيوعية السوفيتية تدميرها". وكان مفاجئاً أن الوثائق السرية البريطانية حول عام ١٩٦٣ أظهرت أن الإنكليز والأمريكيين كانوا يهتمون جداً بضرورة عدم اقتراب النظام الجديد من مصر، وإن تستمر روح العداء للشيوعية. إذا كنا نفهم سبب اهتمامهم بتشجيع الفتنة بين الحكومة الجديدة والشيوعيين بأنه يعود لرغبتهم بالحد من التغلغل السوفيتي في منطقة خطيرة، فإن مصلحتهم في التجزئة والتشتت بين أقطار الوطن العربي الواحد هو سبب رغبتهم بأبعاد العراق عن مصر. بل ←

الاقتراب من العراق عام ١٩٧٨ تسبب في مقتل نصف أعضاء القيادة والوزارة العراقية الحاكمة بهدف الإجهاض. وأنا أفسر أحداث عربية كثيرة بأنها استهدفت من طرف خفي إعاقة مشاريع وحدوية عربية محتملة، بما في ذلك ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨، الذي لم يكن انقلاباً على الرئيس عبد الرحمن محمد عارف بل على جمال عبد الناصر، لأن الأخير كان حينذاك مصاباً في الأعماق بسبب هزيمة قواته ونظامه في حرب حزيران ١٩٦٧ فكانت الفرصة سانحة لدحر أحلامه القومية العربية نهائياً، بالإتيان ببديل قومي خفيف، يهوش ولا يفعل. فجاء بنظام البكر — صدام، الذي استهدف نظامي سوريا ومصر، وكانت النتيجة تخلخل الوضع المصري نسبياً، ومشاغلة سوريا بهدايا على شكل متفجرات ومؤامرات وإعاقة ... الخ، أما السبب الآخر لانقلابات ١٧ تموز ١٩٦٨ فكان محاولة ضبط الشعب العراقي المندفع لشعارات التحرر والوحدة وفلسطين، بحكومة قاسية وشديدة، قادرة على المناورة ورفع شعارات موازية ومزايدة تختلف عن شعارات حكومة عبد الرحمن عارف الضعيفة. كما استهدف الحيلولة دون قيام حكومة ائتلاف وطني تضم الأكراد والبعث (اليسار) والحركة والشيوعيين^(١).

وأنا، طالب حسين الشبيب، أعلم علم اليقين أن الاتصالات السرية الخاصة التي حصلت حول العراق قبل ١٧ تموز ١٩٦٨ كان هدفها جلب الضد النوعي القومي فوق الاختيار على كتلة البكر عماش صدام بهدف معاكسة عبدالناصر ونظام البعث في سوريا. تلك الكتلة التي أعطت عبر قنوات مختلفة ضمانات بأن تبقى بعيدة عن كتلة المواجهة العربية الممثلة بمصر وسوريا والمقاومة علي طول الخط. بل وستعتمد إلى عرقلة جهود الحركة القومية وامتصاص زخمها بإدخالها في مناظرات ومواقف خلافية لا نهاية لها. وفعلاً رفع انقلاب ١٧ تموز ٦٨

ان اتحاداً عراقياً مصرية كان سيعني إعلان حرب ضد المشاريع الغربية والصهيونية، ويهدد أن تلتحق به أو تتعاون معه أقطار عربية أخرى.

١ — في عام ١٩٦٦ أرادت نفس القوى التي اتلفت عام ١٩٥٧ في جبهة الاتحاد الوطني وأثمرت ثورة ١٤ تموز ان تقيم تحالفاً وطنياً فأقامت مفاوضات مكثفة بين ممثلين عن الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث العربي الاشتراكي (اليسار) والحزب الشيوعي العراقي والحركة الاشتراكية العربية (جناح عبد الآله النصراوي) (وأطراف ناصرية بصورة جانبية) . . . ودامت المفاوضات حوالي سنتين أنضجت اتفاقهم على برنامج مشترك تم طبعه وتوزيعه على قواعد الأحزاب والشخصيات الوطنية المستقلة والاختصاصيين، ليجري العمل به بعد تلقي الردود والملاحظات. وكان المحور الرئيسي هو كيفية إنقاذ العراق بإقامة نظام ديمقراطي تسبقه حكومة ائتلاف وطني تنفق على برنامج مرحلي يمهّد للاستقرار الدستوري. ولم يتضمن البرنامج المستخلص من المفاوضات المستفيضة بحث وسائل التغيير فقط بل وضعت خطة عمل للحكومة الائتلافية المنشودة بما في ذلك علاقات العراق العربية والدولية. وكانت الحركات المساهمة في المفاوضات قد باشرت بنشاطات ومظاهرات مشتركة هدفها التعبئة تمهيداً لإسقاط النظام. وخلال ذلك لاحظ البعث اليسار والشيوعيون تحركات مشبوهة بين كتلة البكر — صدام وبعض الوسطاء الدوليين المشبوهين فحذروا المجتمع عبر صحافتهم السرية وأشاروا للمؤامرة القادمة (الأطراف والأسماء). وفجأة حصل الانقلاب ليقطع الطريق على الجبهة ويغوض حرباً ضرورياً ضد الشعب العراقي.

شعاراً وحيداً بوجهين مغربين، الأول : انه جاء رداً على نكسة ٥ حزيران، وكان ذلك ميرراً عريضاً ليتجهوا من البداية ضد القيادتين المصرية والسورية. والثاني : ملاحقة الجماهير العراقية وتدمير قواها المنظمة، تمهيداً للقيام بأعمال خيانية كبرى دون رادع. وكانت تلك الأعمال تهدف إلى تمرير وتغطية أسوأ خطوة يمكن للعراق (كشعب) المساهمة بها، وهي ممارسة التحريض للمنظمات الفلسطينية ضد نظام الملك حسين ووعدهم علناً بواسطة الإذاعة والتلفزيون بالبحث المباشر، وعبر وفود ومراسلات بأن الجيش العراقي سيهاجم أية قوة تصطدم بهم في الأردن، لكنهم وقفوا يتفرجون على معركة غير متكافئة بين القوات الأردنية والمقاومة الفلسطينية.

كما اتبع النظام العراقي (البكر-صدام) سياسة انشقاقية ضد محاولات القمم العربية للتضامن وتوحيد الجهود، والوقوف ضد جبهة الرفض العربية دون أية مبررات. وبالمقابل شجع الأفكار والمناظرات المشوشة للذهن. وتخريب العقل العربي بدفعه إلى بناء أحلام المحبطين وبالسير نحو تطرف كلامي فارغ. وكل تلك كانت الأثمان التي خطط الأمريكيان قبضها مقابل دفع شركائهم - الناييف والداوود والحاني ولطفي العبيدي- لتقديم السلطة على طبق للبكر وصدام وعماش، وحردان الذي انسحب ولم يواصل معهم.

دقة المحاضر

سؤال : قيل ان محاضر محادثات الوحدة التي نشرت لم تكن دقيقة فماذا ترى؟

طالب الشبيب: لاشك ان أموراً كثيرة تغيرت فيها. ومن الصعب استعراض كل ماجرى، لان ذلك يحتاج إلى دراسة ووقت. وسأعطي أمثلة توضح هذا الأمر.

لقد ساهمت في كل مراحل محادثات الوحدة التمهيدية والرسمية التي بدأت في ٧ نيسان ١٩٦٣ في القاهرة، وعندما قرأت المحاضر التي نشرتها العربية المتحدة في الأهرام او التي وزعتها في الأسواق، وجدتتها تحتاج إلى شيء من الدقة. وأرى ان شيئاً من التغيير قد طرأ عليها. وعندما ذهبت انا وحازم مع عبد السلام عارف لزيارة القاهرة، سافرنا برفقة عبد الناصر في رحلة للإسكندرية بواسطة القطار. وفي الطريق قال لي ناصر أمام الوفدين: "ساهمت بمفاوضات الوحدة كمفاوض رئيسي، فما رأيك بالمحاضر المطبوعة؟"

قلت : يا سيادة الرئيس لدي بعض التحفظات على النص المطبوع. قال مثلاً. قلت : قرأت في المحاضر وقائع اجتماعكم بنا في داركم بمنشية البكري، فوجدت انها لم تنقل بدقة ما دار

فيه. أجاب ناصر : نعم لقد تعطلت أجهزة التسجيل في قصر القبة فجلسنا انا والمشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين نتذكر ونمثل أدواركم وادوارنا، واستعدنا الذاكرة.

كان عبد الناصر يتحدث منفثاً ومرحاً ولم يوارب رغم صراحي معه. وفعلاً لم تكن هناك فروق كثيرة او جوهرية بين أكثر مضامين الجلسات وما نشر عنها. لكن ما جلب انتباهي وشكبي ليس مضمون ما نشر وإنما اللغة التي لم تعكس الروحية التي تحدثنا بها، بل لم تكن نفس اللغة.

وهناك أخطاء وتدخلات متعددة جرى تغييرها او إدخالها داخل المحاضر. ورغم قلتها وتناثرها، لكن بعضها لم يخل من أهمية، مثلاً : في إحدى جلسات المحادثات وكان الحديث يدور حول الإعلام والصحافة، قال المرحوم علي صالح السعدي : نحن لانشتري ولا نرغب ان نشترى أية صحف في لبنان او غير لبنان. فرد عبد الناصر : لا نحن نشترى صحف.

هذه المحادثة قلبت في المحاضر التي نشرت رأساً على عقب، فأصبح السعدي هو القائل : نحن نشترى الصحف!! وعبد الناصر هو الراض لهذا المبدأ. وكل منا يعرف ان ذلك ليس حقيقة، وان التغيير مقصود ومتعمد. وربما لم يكن لائقاً نشر قول عبد الناصر حول شراء الصحف. ولكن خطأ كبير فيه عنه والحاقة بغيره. وهناك أمور أخرى كثيرة متفاوتة الأهمية وأكثرها جانبية، تعرضت للتحوير والتغيير، ولم تكن نرغب في إثارتها.

بين المطرقة والسندان

في آخر لقاء رسمي مع المصريين ذهبنا للقاهرة، عبد السلام عارف وحازم جواد وأنا، وجاءت الزيارة بعد تخلي مصر عن ميثاق ١٧ نيسان، أي بعد قناعتهم بأن الوحدة مع البعث غير ممكنة، وبعد رفض مصر ان تضع نفسها بين العراق (المطرقة) وسوريا (السندان).

فكانت زيارة تطيب خواطر وجس نبض وتهدئة. وهكذا فعل المصريون من جانبهم فأبعدوها عن أجواء المفاوضات الرسمية الجافة، وتحولت جلساتها إلى أمسيات تطرح فيها أشياء مختلفة وبلا حدود او ترتيب.

دعانا عبد الناصر إلى زيارة الإسكندرية برفقته، وقال نذهب بالقطار، فكانت رحلة رائعة لنا ولعبد السلام الذي يزور مصر لأول مرة بعد تعيينه رئيساً للجمهورية العراقية. وفي طريق عودته زار سوريا أيضاً.

كان معنا في القطار إضافة إلى الرئيسين، كل من المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وعلي صبري وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين. وكنا نترك المجال للرئيسين

يتحدثان وحدهما، كما هي عادة الرؤساء. ولكن جواً غير حيوي كان يسود بينهما، في حين ساد بيننا (أعضاء الوفدين) أجواء جميلة من المرح والنكتة، كأخوان لم يطرأ على علاقتهما ما طرأ. وكانت قبل ذلك قد مرت مياه سوداء كثيرة تحت الجسور، خصوصاً ما حدث في سوريا من مؤامرة جاسم علوان وإعدام عدد من الناصريين^(١). وبعد ان شتم عبد الناصر في خطابه علي صالح السعدي واتهمه بالرجل المريض. ورغم ذلك أردنا نسيان كل شيء. وعدنا إلى أيام رمضان الأولى، ونطقنا بذلك عيوننا وقلوبنا وكلماتنا، فبادلنا النكات وشعرنا بالارتياح، ونشر المشير عبد الحكيم عامر جواً من المرح عندما تلقى تعليقاتنا بعد ان أمر لنا بالطارخ، ولم نكن نعرف ما هي البطارخ، الله يرحم المشير وزكريا والآخريين.

اما عبد الناصر فكان يجتهد ويتحجج ليختصر جلسته مع عبد السلام ويأتي إلى طاولتنا، يجالسنا ويشاركنا المرح والنكتة، يأنس إلينا أكثر من عبد السلام، وقد فعل مثل ذلك في القاهرة أيضاً فقد كان يستغل كل فرصة ليترك مجلسه معه ويدعونا لمجالسته، يقترب منا متسائلاً: لماذا تضحكون؟ ويكون السؤال مدخلاً له، كي يدخل أجواءنا وأحاديثنا المنفتحة.

١ — بدأت مشاكل عبد الناصر مع البعث في سوريا بعد أيام من ثورة الثامن من آذار، بسبب ما سمي بأزمة افتتاحيات صحيفة البعث السورية التي دافعت عن مفهوم الحزب الجديد للوحدة العربية، ووجهت نقداً شديداً للقوى الناصرية في سوريا التي كانت تشكل بوحدة البعث وتعرض به.

اعتبرت مصر تلك المقالات هجوماً عليها وخرقاً لما تم الاتفاق عليه في اجتماعات القاهرة لوقف الحملات الإعلامية. وكانت أهم تلك الافتتاحيات هي (ملكيون أكثر من الملك) كتبت في ٢٣ آذار ووصفت الناصريين (السوريين) الذين استمروا برفع شعار (وحدة مصر وسوريا أولاً) حتى بعد ان أقر عبد الناصر مبدأ الوحدة الثلاثية، بأنهم ناصريون أكثر من ناصر، واعتبرتهم يمثلون انفصالية جديدة وامتداداً سيئاً للانفصالية القديمة. وقرتهم بكتلة أكرم الحوراني التي عاكست شعار الناصريين (وحدة مصر وسوريا أولاً) بشعار (وحدة العراق وسوريا بمعزل عن مصر)، وأكدت جريدة البعث ان الطرفين يريدان قتل وحدة ثلاثية ستكون إذا قامت امن وارسخ والفضل من الوحدة الثنائية القديمة [17].

وفي ٦٣/٣/٣١ رد محمد حسنين هيكل في الأهرام بمقال بعنوان "أني اعترض"، به راديو صوت العرب فوراً أكثر من مرة، هاجم فيه ميشيل عفلق والبيطار واتهمهما انهما يستهدفان مصر.

وأحدثت المقالات والردود عليها قلاقل ومظاهرات بدمشق وحلب. قابلها أمين الحافظ — وزير الداخلية — بإجراءات قاسية، ونسب المظاهرات إلى (الانتهازيين والمغرضين)، وفعلاً فقد أدار أمين الحافظ الأحداث بقسوة وسوء، وأسس للقطيعة والديكتاتورية التي لم تعرف سوريا مثلاًها حتى ذلك الحين، فلقبه السوريون بسبيها (أبو عبدو الجحش). وادي ذلك إلى تدهور تدريجي في العلاقات المصرية السورية، وصل قمته بعد أحداث ١٨ تموز ومحاولة العقيد جاسم علوان الانقلابية، وأصبح ميثاق ١٧ نيسان بحكم الميثاق. واقتنع البعثيون بضرورة توحيد العراق وسوريا أولاً. واتخذ المؤتمر القومي السادس لحزب البعث الذي انعقد بين ٥-٢٣ تشرين أول ٦٣ قراراً بإعدام المشاركين في مؤامرة ١٨ تموز. وقرر إقامة وحدة ثنائية سورية عراقية في مدة أقصاها شهرين تحت اسم (الجمهورية العربية الديمقراطية الشعبية) على ان يلحق بها عبد الناصر متى يشاء (١).

ان ضيق ناصر بعارف سببه ضيق أفق عبد السلام نفسه، في حين كان ناصر على علمه وثقافته يحب الحديث الطيب اللامح والنكتة والمرح، سريع البديهة، ويستغني عن الحديث الجاحد او المفاهيم السخيفة المفرقة التي يلهج بها عبد السلام عارف كمصطلح الشعبية عندما يذكر خصومه ومصطلح العصاة عند يذكر الأكراد، وغيرها من العبارات المكررة والمملة.

وكنا نرتاح لناصر ولم نشك بصدقه معنا، ولم نتجسس على أحاديثه مع عارف ولم نحاول التأكد من عدم مناوئته علينا من خلف ظهورنا، لأننا كبعثيين عراقيين كنا متيقنين أنه يشاركنا الرأي في ان عبد السلام عارف ليس إلا فراغ في فراغ، كل هم ان يثبت لجمال انه ليس بعثياً حتى اضطر عبد الناصر ان يقول لنا مرة : ماذا ابقيتم لهذا الرجل ؟ مشيراً بيده لعارف.

هذا الكرسي جلس عليه فرعون

في تلك الزيارة طلب عبد الناصر اللقاء بنا انا وحازم على انفراد، فانتظرنا حتى الواحدة بعد منتصف الليل، وكنا قد خرجنا من داره مع عبد السلام الذي أوصلنا إلى مقر إقامته، وانتظرنا قليلاً ليخلد إلى النوم، لنعود مرة أخرى إلى العمورة ونستأنف جلستنا دون عارف، وهناك قال لنا عبد الناصر : انتم رجال وطنيون، أثق بكم ثقة مطلقة، وأنا على استعداد ان أسلمكم حكم مصر. لكن هذا الكرسي المصري عمره آلاف السنين، جلس عليه فرعون، فأستفيدوا من ذلك، استفيدوا من ثباته وقوته، واعتبروا استقراره عليه ضماناً وصيانة وحصن لكم. اما كراسيكم انتم فهي مزعزعة، تهددها الانقلابات والمؤامرات الداخلية والخارجية. والشئ الثاني الذي اطلبه منكم ان تكونوا جسوراً بيننا وبين سوريا، فنحن لانريد ان نحارب سوريا، وبغض النظر عن ما يقوله أخونا امين الحافظ او غيره، نحن نريدكم جسوراً إليها عبر العراق، فأعملوا ما شئتم ولكن ابقوا على شيء واحد قائم هو التضامن الثوري بين مصر والعراق وسوريا.(انتهى كلام ناصر).

فكرت حينها بأن العراق عريق أيضاً، وعنده سبعة آلاف سنة من التاريخ. لكنني أدركت واقعية كلامه. لأن العراق كان فعلياً بلداً مهزوزاً وبلا زعامة او مرجعية سياسية متفق عليها، ويعيش انقلابات وصراعات واغتيالات وتلاعب بمصائره أيدي خفية طويلة، وكذلك حال سوريا رغم تاريخها العريق، فقد كانت غير مستقرة ولم تحس بالاستقرار إلا بعد ان قاد حافظ الأسد تحديث دولتها واقام أشكالاً مستقرة من التمثيل البرلماني والمحلي واصبح التوظيف فيها لا يستند إلى الصفة الحزبية بل الكفاءة.

وحدة الفاطميين والعباسيين والامويين

كان عبد الناصر، وكما تأكد لنا خلال لقاءاتنا الكثيرة التي تلت زيارتنا الأولى في شباط ١٩٦٣، يميل إلينا ويتعامل بعفوية، لكنه أبدى كثيراً من الحذر والواقعية والتخوف من المبادرات الحدودية المستعجلة. ومن أجل تشجيعه قلت له على مائدة غداء يا سيادة الرئيس : كانت الوحدة أملاً تاريخياً لو تحقق بيننا فستقوم لأول مرة منذ الخلافة العباسية، وحدة تضم عواصم الفاطميين والعباسيين والامويين. أجاب : نعم ولكن هل تدرك ان الاستعمار لا يسمح بذلك، حتى الاتحاد السوفيتي سيزعجه الأمر، هذا حلم سيتآمرون علينا بشدة لمجرد اعلانه. وسيحاولون اسقاطكم او إسقاط الوضع في سوريا. واذاف : مرت علينا في مصر تجربة طويلة في التعامل مع القوى الاجنبية وتعلمنا كيفية صدها. اما انتم فمأزلم حديثي عهد بالحكم وتحتاجون إلى خبرة وغمس. واعاد عليّ ما كان قد كرره سابقاً : يا طالب انت خرجت يوم ١٤ رمضان تحمل رشاشة وتضحى بحياتك، ولكن صدّق ان هذه ليست أهم مهمة قمت بها، وستجد وانت في السلطة من الصعوبات والعوائق والمؤامرات ما يشيب له الرأس.

وبسبب الحذر الشديد طرح ناصر افكاراً بديلة عن الشعارات الاندماجية الشاملة. مما اصطدم أحياناً، خصوصاً في اللقاءات الأولى، بحماسنا وعواطفنا التي اتجهت بشدة بعد قيام ثورة ٨ آذار في سوريا إلى الوحدة بين الأقطار الثلاثة. لكنه قال لنا : يا اخوان سيكون امراً عظيماً إذا وحدنا سوريا ومصر والعراق بأي شكل من أشكال الوحدة، حتى لو كانت وحدة هدف لتشكيل القاعدة والأساس الذي ننطلق منه إلى وحدة الأداة وسيكون ذلك نصراً عظيماً. واذاف : صدقوا من تجربتي بأن كل دول العالم، بما فيها السوفييت، ستقف ضدنا وسيحاولون تفكيك الرباط بيننا. فليس من مصلحة أحد ان تتوحد. والوحدة بذاتها ليست عملاً سهلاً^(١)، فأجبتة بنفس الحماس نيابة عن إخواني البعثيين العراقيين والسوريين : لا يا سيادة

١ — توهم عبد الناصر وبقية المفاوضين، ان الخطر على الوحدة يأتي من الخارج فقط، ولم يدركوا ان شكل النظام الاقتصادي السياسي السائد في الأقطار العربية بقيادة (الحاكم - الدولة) الذي يدير الدولة بطريقة لويس الرابع عشر الذي قال انا الدولة، يقف حائلاً دون تحقيقها، فقد استرشدوا بفهم سطحي لفلسفة الحق الميجيلية التي رأت في ان الدولة المركزية هي الحق متجسداً على الأرض وان نابليون يمثل روح الحق على صهوة حصان. ورغم اعتراف الدساتير العربية بحق الشعب في الاختيار، وان للدولة شخصية قائمة بغض النظر عن الأفراد الممارسين لسلطتها، فإن ذلك مازال نصاً دستورياً، وان بقاءه بلا آلية تطبيقية يعني غياب أهم عامل للتقدم والوحدة. ان خوف الحاكم من انحسار سلطته يجعله يناور بل ويغوض الحروب ويثير المشاكل والحساسيات ويؤور كل شيء من أجل ان تبقى قضية الوحدة مجرد أغنية جميلة لكنها ليست واقعية. ولذلك لابد من إلغاء النظر لأهمية الوحدة في تحرير الشعب العربي تدريجياً عن طريق تحرير السوق العربية وفتحها على بعضها والموافقة على انتقال السلع والعاملين بحرية بين أقطار الوطن العربي الواحد، وذلك على غرار ما يحصل في الغرب على أساس الابتعاد عن الشمولية وتحرير الاقتصاد داخل كل بلد واعتماد سلطة تنفيذية متغيرة بحسب نجاح او فشل برنامجها، ولا بأس من إجراء ذلك بطريقة تناسب مع شكل الإدارة السياسية في كل بلد عربي وبحسب ظروفه.

الرئيس لن نكتفي بوحدة الهدف، نحن نريد وحدة العواصم الثلاث ليكون لها اثر العاصفة ووقع صاعق وطيب على كل مواطن يسكن الأرض العربية، بحيث يصبح ما شاهدناه خلال العدوان الثلاثي ١٩٥٦ على مصر من تضامن المشاعر العربية أمراً بسيطاً. واضفت : اننا نرغب بقيام وحدة عربية تضم لأول مرة في التاريخ الحديث العراق وسوريا ومصر تحت قيادة عربية وطنية مؤمنة ومخلصة. فقبلني وقال الله يوفقكم في هذا المسعى.

من جانبي لم أنس تلك المشاعر الملتهبة، وبقيت متأثراً بصدقها كلما تذكرت ذلك المشهد. ومثلما بكيت بشدة عند سماعي بخبر وفاة عبد الناصر وعلي صالح السعدي. سمعت بخبر ناصر عند اجتماعي مع اللجنة السياسية الأولى للأمم المتحدة، وكان بجانب علي وعلى نفس الخط كل سفراء الدول التي تبدأ بحرف (I) كإيران وإسرائيل وأيرلندا، فمال علي السفير الأيرلندي قائلاً : اجمل إليك خبراً سيئاً، أرجو ان لا تذيعه الآن (جمال عبد الناصر مات!!) ومباشرة انفجرت ببكاء لفت نظر ممثلي الدول المجاورة لمقاعدنا.

ان ما دفع المواطن المصري للبكاء عند سماعه نبأ وفاته، دفعني ان ابكي داخل اجتماع رسمي بهيئة الأمم. فلم يكن يربطني به شأن شخصي او حزبي أو مصلحة مادية عدا المحبة أولاً والألفة ثانياً والالتقاء حول الهدف القومي الكبير ثالثاً. واعتقد ان هذا يكفي ويكفي. وعندما نفيت إلى مصر وتحدثت إقامتي في القاهرة بالذات، شعرت به يحنو عليّ ويحفظ لي نفس درجة المحبة والعطف، وكانت تصلي مبادرته الودية ومشاعره عن طريق المقررين منه.

أما علي السعدي فبكيت به بشدة وألم، لانه كان أحماً وصديقاً ورفيق نضال، برغم ما حصل بيننا من خلاف سياسي وحزبي. وفي الحالتين (ناصر وعلي) كان حيي لهما عميقاً وعاطفتي صادقة.

وبشكل عام، فمن يعرف عبد الناصر من خلال مواقفه الخطائية والتحشيدات الجماهيرية التي تقام له في المناسبات، لا يعرفه على حقيقته. وقد كنت ضيفه أكثر من مرة فوجدته من الدماثة والخلق الرفيع والبسيط في آن واحد، يغمرك بشخصيته الجذابة ويداري عواطفك بعاطفة صادقة. وبحضوره كنا ندخن نوعاً واحداً هو سكاثر "كنت"، ولم نستطيع أحدنا إشعال السيكارة بنفسه لان ناصر يسارع في إيقادها له. ولم تسقط السيكارة من فمه لحظة واحدة. وربما يكون ذلك أحد أسباب وفاته رحمه الله.

كان يقشر لنا "المنكة" التي لم نكن نعرف كيف تؤكل عندما وضعت أمامنا واعتقد انه رأى فينا شبابه ورجولته وصدقته وتواضعه، وكان واضحاً له بأنني لا أملك بدلة مناسبة للتصوير معه، فقد كان بنطلوني أقصر من أن يصل إلى قدمي، وكان ناصر يعرف ذلك حتى أنه أوصى خياطه الخاص أن يقوم بصنع بدلات لعلي السعدي، وكان علي يشكو من مرض يظهره فبعثه إلى طبيبه الخاص الذي وفر له بعض الأدوات الرياضية لمعالجة الفقرات.

ورغم كل حرصه فقد كان يريد منا أن نسير بحسب وجهة نظره وتوجهه، وهو أمر صعب على البعث، فلقد كان انتماؤنا القومي واسعاً جداً وإيماننا بدستور الحزب إيماناً قاطعاً، وبين أنكار عبد الناصر والدستور فروق جوهرية، فقد كان ناصر فردياً، بينما دستور الحزب يدعو لنظام برلماني، أو على الأقل شكل من أشكال ديمقراطية النخبة، فلم يكن بقادر على ضمنا، بل كنا نحلم أن نكسبه إلى جانب وجهة نظرنا. ورغم الاختلاف حول شكل السلطة مستقبلاً، فلم تكن له تدخلات فجأة بشؤوننا كما حصل من قبل بعض أعوانه فيما بعد.

لقد شعرنا انه كان صادقاً في نصحه لنا وللحزب في العراق، ومن جانبه إعتبرنا مباشريين وعفويين وأذكيا فتحدث بصراحة مبتعداً عن المناورات السياسية. فلم أسمع منه رأياً إلا وثبتت صحته. نصحننا بعدم التورط بحرب داخلية مع الاكراد وبأن نحافظ على وحدتنا، وضرب مثلاً بنفسه قال: أنا لم أعدم أي عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة رغم اختلافي مع بعضهم. وأضاف ملتماً: أرجو أن لا يسيل الدم بينكم، أنتم كبعثيين، وبينكم كأعضاء في مجلس قيادة الثورة.

فعلنا ذلك والتزمنا بنصيحته عندما فضلنا الخروج إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ رغم ان السلطة كانت بين أيدينا. ولم نكن مضطرين للخروج، وكان بإمكاننا البقاء على رأس السلطة بشرط أن ندير مواجهة دموية شاملة ضد مؤسسة الحرس القومي، ولم يكن لدينا أدنى شك بأن النصر سيكون حليفنا، لأن الجيش تحت قيادة ضباط بعثيين، توسلوا إلينا بتغطية قرار سياسي لحسم الوضع في بغداد عسكرياً. لكننا لم نفعل حتى لا تسيل دماء رفاق الحزب والسلاح والقضية الواحدة. خصوصاً وأن الأزمة أبعدت عن الحرس القومي كل الطائرين والانتهازيين ولم يبق بداخله إلا المقتنعون، ولم نكن حينذاك نملك الفرصة لاقناعهم بخطأ التصعيد والمواجهة التي يديرونها.

لقاءات عربية: مع المغاربة : الجزائر

واستناداً إلى فكرتنا الرئيسية في إقامة وحدة ثلاثية متينة تبدأ بتضامن عربي واتفاقات متنوعة أو التمهيد بتوحيد المناهج والاقتصاد وغيرها أي بناء أسس التقارب مع العربية المتحدة بصورة تجعلنا قريبين من الحركات العربية التقدمية، فقد سعينا إلى لقاء القيادة الجزائرية وفعلنا ذلك أكثر من مرة خلال التسعة أشهر. وتركزت حواراتنا معهم على الشأن العربي والوحدة العربية.

قالوا لنا بفصاحة عربية: انتم أيها البعثيون إذا أردتم الوحدة العربية فنحن معكم وإذا كنتم لا تقرونها فنحن معكم أيضاً". وكان مفاوضوهم الرئيسيون أحمد بن بيلا وهواري بومدين ومحمد خميسني وعبد العزيز بوتفليقة. التقينا معهم والتقت آراؤنا وتوافقت باستمرار. لكننا لاحظنا بعد فترة ان تصرفات أحمد بن بيلا تتماثل مع تصرفات المرحوم علي صالح السعدي.

كلاهما يتصرف منفرداً، ويتخذ القرارات السياسية الخطيرة دون مشاورة الآخرين ودون عرضها على اجتماع رسمي.

وفي أحد الأيام دعانا المرحوم بومدين إلى داره، وكانت متواضعة جداً. جلسنا إليه وكان الرجل حذراً. قال بصراحة: نحن غير قادرين على فهمكم ولافهم عبد الناصر، لأنكم تتحدثون كثيراً ولا تطرحون شيئاً مفهوماً. فإذا كان لديكم مشروع وحلوي جدي، أرجو أن تخبرونا به وسندرسه بصورة جدية. أما إذا بقي مشروعكم يعتمد على مجرد الشعارات الدعائية كما هو الحال الآن بين سوريا ومصر والعراق، فنحن لسنا بحاجة إليه. وأرجو أن يكون الحوار العراقي الجزائري واضحاً ودقيقاً وصريحاً لنستفيد، لأننا لانرغب في خسارة الوقت والآ..... (انتهى كلام بومدين). وكان هذا كلاماً يخالف ما اعتدنا على سماعه من القيادة الجزائرية في اجتماعاتنا الرسمية معها.

المهدي بن بركة

التقينا مع قيادة واحدة من أبرز الحركات الشعبية العربية (الاتحاد المغربي للشغل) ورئيسه المهدي بن بركة، وكان صديقاً شخصياً ونضالياً، وقد قدمت له شيكاً بمبلغ عشرة آلاف دينار يحمل توقيع كوزير للخارجية، سلمه له عدنان القصاب. وهذا أقصى ما كان ممكناً تقديسه حينذاك. ويوجد الوصل في أرشيف وزارة الخارجية العراقية. واتذكر أننا لم ندفع من الخارجية لأية جهة أخرى عربية أو غير عربية بعثية أو غيرها، بسبب قرار القيادة وضعف ميزانية الدولة، ولكن بن بركة شيء آخر فقد كانت له مكانة كبيرة في قلوب البعثيين. كنا نؤيد مساعاه لتوحيد الحركات العربية وتقريب وجهات نظرها مستخدماً تأثيره وقوة شخصيته النفاذة والفعالة.

وبعد انقلاب عبد السلام عارف ضد البعث استنكر المهدي بن بركة احتجازنا (الإقامة الجبرية في القاهرة) واستنكر تصرفات عارف مع البعث. كان بن بركة صديقاً لكل العرب الاستقلاليين والوحدويين، ومتحمساً مخلصاً في نواياه. ومن جانبنا كنا أميين على القضية القومية وصادقين في رغبتنا بالتحالف مع القوى التقدمية العربية.

واتذكر انه دعانا هو وزوجته إلى داره في القاهرة. وكان حازم وعماش مدعوين معي أيضاً وذلك قبل أسبوع واحد من سفره إلى باريس، هناك حيث قتل اغتيالاً وغدراً. لبينا الدعوة فقدمت لنا زوجته أكلة رائعة وطيبة (الكسكسي)، غير أننا تبادلنا الابتسامات عند سماعنا لأول مرة بأسمها. وكان لسان حالنا يقول: ما هذه الورطة في تسمية هذه الأكلة الطيبة بهذا الاسم!!

أفجعنا حادث قتله، حين سمعت لم ادر هل أعزي أم أقبل التعازي؟ فأعترنا رحيله كارثة

وخسارة للعراق والمغرب والأمة العربية. واعتقد ان أوفقيز وزير دفاع المغرب كان وراء قتله، كما ان الملك الحسن الثاني ليست له صلة او مشاركة في اغتياله، فهو بريء. وكنت في وقت معين تشككت في موقف الملك عندما تملكني استغراب في ان يكون أوفقيز قد اقدم على قتله منفرداً. لكن وبعد ان علمت بمحاولة اغتيال الملك الحسن والانقلاب عليه واتهام المعارضة بقتله، أصبحت أميل لرواية الملك في كتابه (ذاكرة ملك). وادركت ان في هذا الوطن المشؤوم كل شيء ممكن !! وان لا احد يستطيع ان يعتمد على حليفه. وان ما من شيء غير ممكن. ورغم ان عدداً كبيراً من الرجال العرب الذين يتعدون بأنفسهم عن مثل هذه الممارسات الشريرة، لكن عجلة الشر لم تتوقف، فلم يكن أوفقيز وحده شاذاً وجاحداً، بل قدم صدام حسين نموذجاً مزعجاً للجحود والاخلال السيئة^(١).

١ — ويُذكر أن قيادة الحزب رغم الملاحقة، تمكنت من بناء علاقاتها العامة داخل العراق وخارجه، ومن أمثلة ذلك، وبعد قيام ثورة اليمن بقيادة العقيد عبدالله السلال، جاء وزير خارجيتها السيد محسن العيني لزيارة العراق، وكان البعثيون القياديون في جنوب الجزيرة العربية يعرفونه، ويعرفه جيداً طالب الشبيب. وبعد اجتماعه بعبد الكريم قاسم وهاشم جواد وزير خارجية العراق، تحقق بين قيادة قطر العراق للبعث وبينه لقاء خاص في دار الأستاذ ابراهيم حسيب المفتي، والد مازن المفتي، من أعضاء الحزب في منطقة الوزيرية ببغداد، وكان قد جلب الأستاذ العيني من مقر إقامته الرسمي في فندق بغداد المهندس عدنان القصاب، وعند وصوله كان في انتظاره علي صالح السعدي وحاز جواد وطالب شبيب، وبعد تناول الغداء في دار آل المفتي قام محسن العيني بشرح ظروف وتطورات ثورة اليمن والقوى المتعاونة في تنفيذها، وبالمقابل قام ممثلو قيادة الحزب بإخباره بأهمية أن يستعد العرب لاستقبال التغيير القومي القادم في العراق، وأبلغوه أن الحزب يهيئ نفسه للقيام بحركة ولأنه كان سيغادر من بغداد إلى بيروت فقد حملوه رسالة إلى القيادة القومية للحزب.

مراجع:

- [1] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، بيروت، مطابع دار الكفاح العربي.
- [2] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ٩١.
- [3] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ٢٦٦.
- [4] حول ما ورد من اسماء يتماثل موقفها مع موقف عبد الكريم قاسم. يمكن مراجعة : وثائق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في ملفات الحكومة البريطانية، تعريب الدكتور مؤيد ابراهيم الوندلاوي صفحة ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩ تحت عنوان مقابلات بين محمد مهدي كبة وموظفين بريطانيين في ٢٨ تموز ١٩٥٨، وكذلك مقابلات محمد صديق شنشل والبزاز وغيرهم بعد هذا التاريخ.
- [5] د. مؤيد الوندلاوي، الوثائق البريطانية، المصدر السابق صفحة ٣٠٢ .
- [6] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، م.س. صفحة ٢٦٦ .
- [7] يونس بحري، ثورة رمضان المبارك، دار الاندلس بيروت ١٩٦٣ صفحة ١١٨.
- [8] رياض طه - المصدر السابق.
- [9] الدكتور تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [10] راجع: حصاد ثورة، عبد الكريم فرحان، مرجع سابق.
- [11] مقابلة مع صفاء الفلكي، Wassenar هولندا، ١٩٩٧.
- [12] أمين هويدي، مع عبد الناصر، دار المستقبل، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، صفحة ٥١ — ٥٢.
- [13] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، مصدر سابق، ص ١٤.
- [14] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، مصدر سابق، صفحة ٥١.
- [15] رسالة من أحمد الحبوبي ومقابلة مع د. تحسين معلة قال فيها زرت الشبيب فوجدت عنده محسن الشيخ راضي فدار الحديث حول مشروع الوحدة اثر رسالة كان علق وجهها لعبد الناصر بعد ثورة آذار ٦٣ يومين يدعوه فيها للحوار. فقال محسن : لن يفيد الوحدة مع ناصر. فذكرته ببرقية علق. رد : ومن هو ميشيل علق. قلت : الأمين العام. قال : نغيره او نفضله.
- [16] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ١٥٨.
- [17] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ١٢٦ (عن نضال البعث جزء ٦، ص ١٤٨) وهاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٩٠.

المسألة الكويتية عام ١٩٦٣

سؤال : هل نتحدث عن المسألة الكويتية في عام ١٩٦٣ ؟

طالب حسين الشبيب : لعل من الأمور المحيرة معرفة مشاعر العراقيين الحقيقية دون تدخل الأيديولوجيا أو العقيدة أو المذهب، ودون تسليط حزبي. فلا تلبو أصول مشاعرهم واضحة، منهم من يعتقد ان الكويت جزء من العراق وان التقسيم البريطاني العثماني الذي توافقت عليه مشيخة الكويت وبريطانيا كان تهشيماً للعراق وتقسيماً للجهد العربي، ومضيعة للموارد والعلاقات المشتركة، بل ان معظم العراقيين يتصورون ان الكويتيين يحنون للبصرة ويسعون إليها وإلى البقاء فيها أكثر من رغبتهم في البقاء بمدينة الكويت ذاتها. ولا يعترف العراقيون بأنهم يختلفون لهجة وعادات وتقاليد عن الكويتيين، وقد تسببت تلك المشاعر والتصورات، بغض النظر عن صحتها أو عدمها، بفوائد وأضرار في نفس الوقت^(١).

١ — مع شيء من البحث والتدقيق يتضح ان ما يسمى بالهوى الكويتي لدى العراقيين هو قضية صنعتها الحكومات العراقية المتعاقبة في أذهان المواطنين، فلم يفكر العراقيون بها قبل حكوماتهم، بل ان مجموع الأدب العراقي نثرأ وشعراً وسياسة لم يضع قضية الكويت ضمن مشكلاته وأهدافه، ولم يذكرها المواطنون إلا عندما تثيرها حكوماتهم. حاول ذلك الملك الشاب غازي مدفوعاً من ياسين الهاشمي وبعض الحاشية، ووضع د. فاضل الجمالي (رئيس وزراء وزير الخارجية) مشروعاً للضم الجزئي للكويت، حمّله الأمير عبد الإله معه إلى ألمانيا مؤيداً من ياسين الهاشمي وعبد القادر الكيلاني ونوري السعيد^[1]. وذكر الجمالي ان خلافاً حاداً وقع بين جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا ونوري السعيد حول مطالبة الأخير بضم الكويت في اجتماع استنوبل لحلف بغداد في شباط ١٩٥٨ . وتحدث وزير خارجية عراقي آخر هو توفيق السويدي مع سفير بريطانيا السير بيترسون مذكراً بأن "الاتفاق العثماني البريطاني لسنة ١٩١٣ اعترف بالكويت قضاءً مستقلاً استقلالاً ذاتياً ضمن ولاية البصرة. وبعد ان انتقلت السيادة على ولاية البصرة من الدولة العثمانية إلى المملكة العراقية الجديدة فلا بد ان تشمل تلك السيادة الكويت كما في اتفاق ١٩١٣، وان العراق لم يعترف بأي تغيير في مركز الكويت ..."^[2]، وتضمنت مذكرة كتبها السويدي في ١٩٥٨/٦/٥ دعوة السفير البريطاني للموافقة على التدخل واستخدام الجيش العراقي مبرراً لذلك بقوله "ان الخطر الشيوعي اصبح يهدد الحكومة العراقية من سوريا والكويت . . ."^[3]، كما أشار السفير البريطاني في بغداد بمذكراته ان الاردن قدّم اقتراحاً لعبد الكريم قاسم، رغم مشاعر العداوة والثأر، لتشكيل اتحاد فيدرالي بين الاردن والكويت والعراق. ثم جاء إعلان عبد الكريم قاسم، وبعده صدام حسين، وكانوا جميعاً مع الضم بالقوة، حتى عبد السلام عارف الذي فشل في ابتلاع شيك مليوني دينار كويتي كتبه الكويتيون باسمه لتعويض عوائل شهداء ١٤ رمضان، كان قبل اعترافه بها قد طلب من عبد الكريم قاسم الزحف على الكويت او تدبير انقلاب عسكري فيها، وقال : "سأكون أول جندي يدخل ارض الكويت"^[4] أما الرئيس الأسبق عبد الرحمن عارف فرغم عدم ذكره الكويت خلال سنوات

وتجاوزاً لما تم في محاولة صدام حسين ضم الكويت واعتبارها المحافظة التاسعة عشرة للعراق. علينا ان اردنا ان نفهم موقف حكومة البعث عام ١٩٦٣ من الكويت، ان نسترجع الذاكرة التاريخية القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

اولاً : لم تكن هناك أية صلة قريبة او بعيدة بين القيادتين القومية والقطرية للبعث والمجلس الوطني لقيادة الثورة باعتبارها الأداة التشريعية لسلطة الحزب في العراق وبين الحكومة الكويتية قبل مطالبة عبد الكريم قاسم بها او بعدها.

ثانياً : جاء إعلان عبد الكريم قاسم قراره بضم الكويت مفاجئاً للحكومتين العراقية والكويتية وبقية الأطراف المهتمة في الموضوع. وعلى سبيل المثال، علمت من خلال مطالعة الملفات عندما كنت وزيراً للخارجية وكنت راغباً بالإطلاع على تفاصيل الملف العراقي الكويتي، ان هاشم جواد وزير خارجية قاسم كان قد بعث ببرقية تهنئة إلى وزير خارجية الكويت بمناسبة إعلان استقلالها، لكنه فوجئ، في اليوم التالي، بينما كان يستقبل أحد الضيوف الأجانب في فندق بغداد، بسماع الخبر من أحد موظفي الوزارة بقرار ضمها وتعيين عبد الله السالم قائممقاماً لقضاء الكويت براتب ٧٥ ديناراً^(١). وكما هو معلوم ليس مقبولاً

حكمه، فقد ظهر على شاشة تلفزيون بغداد بعد اجتياح صدام حسين لدولة الكويت قائلاً: ان صدام هو "الرئيس العظيم الذي أنجز ما كنا نحلم به ونقصّر في الوصول إليه".

وفي مقابل ذلك وخلال ثلثي قرن من الاستقلال الوطني صدرت للحركات الوطنية الشعبية العراقية مئات آلاف البيانات والنشرات والجرائد والمؤلفات، وكتب باحثون ومحققون آلاف الكتب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والشعر، لم تتضمن كلها أية إشارة مطالبة بالكويت بل على العكس حذر بعض المعارضين العراقيين الكويت من احتمال تعرضها لغزو حكومي عراقي، فعل ذلك حسن العلوي في عام ١٩٨٣ في جريدة الجهاد الناطقة بلسان حزب الدعوة الإسلامية، والأستاذ جلال الطالباني الذي تنبأ عذراً في محاضرة ألقاها قبل الغزو في معهد الشؤون الدولية بلندن جاء فيها "ان التقارب بين العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن يبدو في الظاهر موجهاً ضد إسرائيل، لكنه في الحقيقة من اجل تحقيق طموحات الرئيس العراقي على الصعيد العربي الشامل، بما في ذلك احتلال الكويت والسيطرة على الخليج"^[5]. وربما يعود عدم اهتمام العراقيين بمسألة الكويت إلى ان نضالهم تركز أساساً على مساعي طرد الاستعمار من بلادهم وإلى شعورهم بعدم الخوف على الكويت لأنها ارض عربية وسكانها وحكامها عرب، وتعيش ميسورة ومرفهة، وهي في كل الأحوال ليست فلسطين السليبية او الاسكندرونة وعربستان.

١ - نص مذكرة حكومة عبد الكريم قاسم بخصوص الكويت عام ١٩٦١ . " لاشك بأن الكويت جزء من العراق فهذه حقيقة أكدها التاريخ ولن يفلح الاستعمار في طمسها او تشويهها. فقد كانت الكويت تتبع البصرة من زمن طويل وخاصة أثناء الحكم العثماني وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى وكانت الدول الكبرى ومنها بريطانيا تعترف بسيادة الدولة العثمانية على الكويت، فقد كان حاكم الكويت يعين بفرمان يمنحه لقب قائممقام، ويعتبر بذلك ممثلاً لوالي البصرة في الكويت. وهكذا كان حكام الكويت يستمدون سلطاتهم الإدارية من السلطات التركية في البصرة، ويؤكدون ولاعهم للوالي التركي حتى سنة ١٩١٤. وكان الاستعمار البريطاني في سبيل غايات عسكرية واقتصادية يحاول بشق الطرق التغلغل في بلاد العرب منذ القرن الرابع عشر، وذلك بالسيطرة على أجزاء من السواحل العربية على طريق الهند، بالعمل على تركيز أقدمه فيها ولا سيما الخليج العربي، وكانت الكويت جزءاً من تلك

←

التعامل مع قضايا الحدود او ضم الأراضي والدول بسرية وغفلة عن الشعب والمجتمع الدولي بل بالحوار والإقناع وإلا أصبحت احتلالاً باستخدام القوة الغاشمة.

ثالثاً : جئنا للسلطة ١٩٦٣ بخلفية موقف سياسي معارض لمطلب عبد الكريم قاسم ضم الكويت، انطلاقاً من مشاعر جياشة أخرى هي إننا طلاب وحدة عربية شاملة وكبرى. فلم نكن نعبأ بالحدود بين الأقطار العربية ولا بالمواثيق والمعاهدات والاتفاقات الإقليمية، بل نراها جميعاً مفروضة على العرب بالقوة والحرب، بما في ذلك ما حصل لفلسطين والاسكندرونة وغيرها. وكانت هذه المشاعر مسيطرة وطابعة لفكرنا وعقلنا. وجعلتنا أكثر ميلاً إلى ترجيح منطق الاصول والحق على منطق الأمر الواقع.

وآنذاك كنت عضواً في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي حيث جرى بحث

السواحل. لذلك عملت الحكومة البريطانية لمدّ سيطرتها على الكويت تدريجياً وفصلها عن العراق. وكان من جملة المساعي البريطانية لفصل الكويت عن العراق ان عقّد المقيم البريطاني في الخليج يوم ٢٣ كانون الثاني يناير ١٨٩٩ اتفاقاً سرّياً مع الشيخ مبارك ألزّم فيه الشيخ نفسه وأولاده من بعده بالتزامات باطلة لأنها تضمنت تنازلاً عن حقوق لا يملكها هو نفسه، كحق إستخدام ممثلين او التصرف بأراضي الكويت دون موافقة سابقة من بريطانيا. ورغم هذا الاتفاق ظل حاكم الكويت على ولائه للسلطان العثماني على ارتباطه بوالي البصرة. وحاول البريطانيون تارة أخرى سنة ١٩١٣ فصل الكويت عن العراق وتقوية نفوذها فيها بعقد اتفاق بينهم وبين السلطات العثمانية على أساس تمتع الكويت بشيء من الحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية. ولكن المحاولة فشلت ولم يتم الاتفاق. وإذا كان الاستعمار البريطاني قد فشل في ذلك فقد عمد إلى القوة وأتاحت له الحرب احتلال العراق وعزل الكويت عنه. وبعد تحرير العراق بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من نفوذ الاستعمار والسيطرة الأجنبية اخذ يعمل مع الشعوب العربية والشعوب المحبة للحرية من اجل تصفية الاستعمار في كل مكان وخاصة البلاد العربية وبعد ان نما الوعي العربي، لجأ الاستعمار إلى أسلوب جديد فابتدع شكلاً جديداً من الاستعمار تحت ستار الاستقلال، وهو يرمي إلى استمرار نفوذ بريطانيا وابقاء الكويت منفصلاً عن العراق. وهكذا عقدت بريطانيا في ١٩ حزيران ١٩٦١ مع شيخ الكويت اتفاقاً استعمارياً ينهي اتفاق ١٨٩٩ الباطل، ويتضمن استمراراً للحماية البريطانية للكويت إذ يتعهد فيه الإنكليز بتقديم أية مساعدة يطلبها شيخ الكويت وينص على التشاور. يضاف إلى ذلك ان إنهاء الاتفاق يقتضي إبلاغاً مسبقاً لثلاث سنين على الأقل. وحكومة الجمهورية العراقية تضع هذه الحقائق أمام الرأي العام لتعلن ان الكويت جزء لا يتجزأ من العراق وتؤكد عزمها على مقاومة الاستعمار وثقتها بأن تصفيته في الكويت وغيره من أجزاء الوطن العربي آتية لا محالة، وأنها متمسكة بوحدة الشعب في العراق والكويت وبالحفاظة عليها".

رد الحكومة الكويتية : "أوردت بعض وكالات الأنباء كما أذاعت محطة الإذاعة من بغداد ليلة أمس تقارير عن المؤتمر الصحفي الذي عقده عبد الكريم قاسم في ١٩٦١/٦/٢٥ والذي طالب فيه بدولة الكويت. فإذا صحت التقارير فإن حكومة الكويت تعلن ان الكويت دولة مستقلة ذات سيادة كاملة معترف بها دولياً. وان حكومة الكويت ومن ورائها شعب الكويت بأسره مصممة على الدفاع عن استقلال الكويت وحمايته. وان حكومة الكويت إذ تعلن ذلك لوثائق مما بان جميع الدول الصديقة المحبة للسلام، ولاسيما الدول العربية الشقيقة، ستساندها في المحافظة على استقلالها".

الموضوع وأصدرنا قراراً أُعْلِنَ رسمياً ونشر في الصحافة العربية وتضمن المبدأ التالي : ان الدول العربية كلها أجزاء في وطن عربي واحد، ويجب ان لا يكون هناك قرار بضم جزء إلى جزء بالقوة وبصورة تعسفية. وان قرار التوحيد يجب ان يتم بموافقة كل الأجزاء التي تقرر الوحدة او التوحيد او التعاون وان تستند الموافقة إلى استفتاء الإرادة الشعبية الحرة بين الأطراف الداخلية فيها، فنحن ضد قرارات الضم. وهذا ما سار عليه حزب البعث عند استلامه السلطة في العراق، واصبح موقفنا الرسمي المعلن عام ١٩٦٣. كما ان حركات أخرى حليفة أخذت الموقف ذاته مثل حركة القوميين العرب التي استنكرت مطالبة قاسم بالكويت، ونفت ان يكون لهكذا عمل أية صلة بالوحدة العربية المنشودة.

وكانت هناك قيود وشروط فكرية وحزبية، سياسية ودولية كثيرة تحكمت في توجيه موقفنا من المسألة الكويتية. ولعب موقف عبد الناصر أهمية كبرى في توجيه موقفنا بسبب احترامنا وتقديرنا لآرائه. فبعد أسبوعين من ثورة رمضان أثار ناصر معنا في القاهرة موضوع الكويت قائلاً : ان وفداً كويتياً زاره وكان يترأسه علي ما أتذكر الشيخ صباح الاحمد (نائب رئيس وزراء ووزير خارجية حالياً)، وعبر عبد الناصر عن تعاطفه مع الوفد الكويتي في رغبته ان تكون الكويت دولة مستقلة، تحظى بتعاون كافة الدول العربية الأخرى. ومال علي مرة أخرى قائلاً: "الشيخ صباح شاب سنه مقارنة لسنك ولديه تطلعات قومية لا تقل عن تطلعاتك". واعتقد ان عبد الناصر تحدث بتلك الطريقة الودودة والمبسطة لانني أدرك أهمية تقريب الموضوع لنا، رغم تعقيده وخطورته، لكي لا نرتكب خطأ يؤدي إلى متاعب ونتائج غير حميدة. وربما لم يسمي الشيخ صباح ابنه ناصرًا مصادفة بل تعاطفاً مع التيار القومي العربي ومع شخص جمال عبد الناصر.

شرحنا لجمال وللمثلي القيادة القومية السوريين الذين كانوا موجودين معنا في القاهرة بأن مسألة الكويت فيها شيء من الحساسية وأمرها يتطلب الروية وعدم التسرع. ورجونا ان يصبروا علينا، ورجونا ناصرًا ان يكون واسطة مع الأخوان الكويتيين لطمأنة مخاوفهم، وقام الرجل بذلك بأمانة. لكنه نصحننا بعدم التسرع في اتخاذ موقف حتى ينجلي الأمر وتتضح بذلك طبيعة العلاقات الكويتية مع العراق ومع العربية المتحدة. وان ينصرف جهدنا الأكبر نحو تأمين الثورة في العراق وحمايتها من المداخلات التي قد تنجم عن قضايا خطيرة كالقضية الكردية والكويتية، وكان مخلصاً بنصيحته^(١).

١ — يروي وزير الدفاع العراقي الفريق صالح مهدي عماش، ان عبد الناصر ابلى الرفد العراقي لمباحثات الوحدة "بأنه مؤمن بأحقية العراق في المطالبة بمينائه الطبيعي في الكويت. ولكنه ضد استخدام القوة لاستعادتها حتى يفوت على البريطانيين الانفراد بدور الحماية من خلال استثمار الأزمة التي نشأت بعد مطالبة العراق بالكويت وتهدده استعادتها بالقوة". وعبر عن الموقف المصري هذا أيضاً عبد القادر حاتم بقوله في ١٩٦١/٦/٢٨ "ان الشعب العراقي ←

ومن ناحيتي لم اكن حتى تلك اللحظة قد اجتمعت بأي كويتي، عدا نجل أميرها الشيخ سعد العبد الله الذي اصبح فيما بعد وزيراً للدفاع والداخلية ثم ولياً للعهد، فقد كان عضواً في رابطة الطلاب العرب بلندن عندما كنت أمينها العام، وكانت ميوله قومية ويساهم بنشاط في كل ما يجتمع عليه الطلبة العرب، ورغم عدم انتمائه إلى حركة بعينها فقد قدم تبرعات ومساعدات كثيرة.

بعد العودة من القاهرة فوجئنا بوصول برقية من الكويت عبرت عن رغبة الشيخ صباح الاحمد الجابر بزيارة العراق للتهنئة بنجاح الثورة. ولم نكن حتى ذلك الحين قد اخذنا وقتاً كافياً لترتيب اوراقنا واولوياتنا خصوصاً فيما يتعلق بقضية الكويت. ولكن الخلق العربي وبغض النظر عن مشكلة الاعتراف او عدمه، يحتم استقباله والترحيب به في بغداد.

ولم استقبله في المطار رغم رغبتي بذلك ، بل اوفدنا وزير التجارة الاستاذ شكري صالح زكي لاستقباله . وحل ضيفاً في القصر الابيض وهو السكن الوحيد الصالح للضيافة المناسبة في بغداد حينذاك . وادرك الوزير الضيف مغزى عدم خروجه لاستقباله . وحقيقة الامر ان الدبلوماسيين نصحوني قائلين : ان استقبال وزير الخارجية لوزير خارجية دولة أخرى يعتبر بمثابة اعتراف رسمي بها .

مناقشات مجلس النبض

جرت مع الشيخ صباح الاحمد اجتماعات متعددة دون تأليف وفد عراقي لادارتها. فكانت اجتماعات غير رسمية حضرها من الجانب العراقي انا وحازم جواد وعلي السعدي وعماش، وكنت المتحدث الرئيسي، وإنصافاً كان السعدي يترك لي شخصياً المجال عندما يتعلق الامر بالشؤون الدولية، بما في ذلك محادثات الوحدة. ومن الجانب الكويتي حضر فضلاً عن الشيخ صباح الاحمد، الصديق المرحوم عادل الجراح مدير مكتب وزير الخارجية الكويتي. ولم تكن لدى العراق اجهزة تسجيل محاضر الجلسات، ولا تسجل غير رؤوس المواضيع ومختصراً

لديه من أسباب الدعوة إلى الوحدة بينه وبين شعب الكويت بصورة أبقى من الوثائق العثمانية، ولكن مصر ترفض الضم وإن كانت على استعداد لتأييد منطلق الوحدة الشاملة"، ويقتررب عبد الناصر بذلك من موقف القيادة القومية لحزب البعث عندما ميز بين مفهومي الضم والوحدة ، وبأن العلاقات بين الشعوب العربية لا تحكمها معاهدات او اتفاقيات قديمة او حديثة، ولهذا السبب واجه ناصر إصرار السعدي وشييب بقية الوفد بقوله "قد سمعت وقرأت الكثير من وثائقكم لكني أقول لكم في منتهى الوضوح ان ما تطلبونه فأت أوانه بحكم الحقائق العربية والدولية ، ان الإنكليز لم يعودوا وحدهم في السيطرة على بتروال الخليج وإنما هذه السيطرة انتقلت إلى يد الأمريكان. فإن أراد أحد ان يحتل دولة في الخليج على غير رضا أهلها فيجب ان يعرف سبباً انه سيواجه الولايات المتحدة. ان الاتحاد السوفيتي نفسه يسلم للغرب بأهمية بتروال الخليج بالنسبة لهم وبالتالي يجب ان نعرف ان هذه المعركة فوق طاقتنا." [7].

لأقوال الجانبين. ويلعب موظف التسجيل دوراً مهماً في ذلك. وقد انعقدت جميع الاجتماعات في القصر الأبيض، مقر إقامة الوفد الكويتي. وجرّت مباحثات مطولة مرة بحضورنا نحن الأربعة وأخرى ثلاثة وأحياناً يحضر اثنان منا فقط. وكان منطلقنا فيها هو ان الكويت لا تحتاج ان تكون دولة لأن هناك علاقات خاصة سبقت المصالح السياسية تربط بينها وبين العراق^(١). ويمكن ترجمة هذه العلاقات عبر فدرالية بين البلدين فلم الحاجة إلى سفارات وسفراء كويتيين، خصوصاً وانها لا تمتلك الكفاءات الكافية. فكانت تستعير اشخاصاً من جنسيات عربية أخرى لتوظيفهم في سفاراتها، فلم لا يستلم الكويتيون مثلاً سفارات العراق ويكون صباح الاحمد وزير خارجية العراق والكويت بنفس الوقت (كما قال السعدي).

وفي الحقيقة لم تكن الكويت حتى ذلك الوقت قد استكملت تأسيس جهاز حكومي بالمعنى

١ — تلحف قلوب الكويتيين للعراق خصوصاً البصرة وبدرجة أقل الناصرية والعمارة والنحف و كربلاء، ويؤمنون بأنهم جزء من الوطن العربي الكبير، ويأملون ان يكونوا طرفاً في وحدة عربية شاملة، ولكن ليس إلى حد الذوبان في كيان ديككتاتوري، يفقدون معه رفاهيتهم ومكاسبهم الاقتصادية داخل وخارج الكويت. ومنذ الثلاثينات قامت الكتلة الوطنية الكويتية على شكل منظمة سرية، ترى في العراق قاعدة للقوميين العرب، ونشطت تحت غطاء "لجنة أكتوبر" لنصرة فلسطين في ١٩٣٦. وادى نمو الوعي السياسي الكويتي العربي والدولي إلى قيام مبادرات اقتصادية وثقافية إيجابية ومتزنة شجعت بعض ابنائها على المطالبة بالسماح لكل العرب بدخولها، وفتحت الابواب لأكثر من ثلاثمائة ألف فلسطيني للإقامة والعمل، فوفروا عيشاً كريماً لعائلاتهم المقيمة في سوريا ولبنان ومصر فضلاً عن فلسطين المحتلة. وكان هناك دائماً كويتيون يتعاطفون مع العراق ويأملون التعايش معه. لكن الاجتياح وقبله اجبارهم على دعم المجهود العسكري العراقي في الحرب الإيرانية وإلا ستتحول الكويت نفسها إلى منطقة حيوية للحرب ١١، أثر في موقف الكويتيين خصوصاً المثقفين والمسيحيين، فوقف ضد الاجتياح حتى يمثلو حركة القوميين العرب الذين طالبوا منذ الاربعينات بوحدة العراق والكويت[8]. بل اجتمعت الكويت كلها في موقف موحد سلمي من الاجتياح، وفعل ذلك البعثيون المرتبطون بحزب الرئيس صدام حسين الذي اعتقل مسؤول منظمته في فصل الصانع وعيبيه، ورد وساطة أحد قادة البعث التونسيين لاطلاق سراحه. واضطر علاء الدين حسين، ولم يكن شخصاً مهماً، عند تشكيل وزارة كويتية انقلابية إلى الاستعانة بعناصر من المخابرات العراقية بعد ان وضع فوق رأس كل واحد منهم عقلاً خليجياً، واعلانسهم وزراء كويتيين.

أحب الكويتيون الذين انحدر شيوخهم من منطقة الزين القريبة من البصرة، قضاء أوقات طويلة في العراق، يأتون إلى البصرة في كل المواسم وفي عطل نهاية الاسبوع (خميس وجمعة). وخلافاً لبقية العراقيين يعامل البصريون الكويتيين معاملة طيبة، وكانوا قد حموا املاكهم خلال الأزمة مع قاسم الذي لم يكن سلاباً ولم يشجع على النهب. وبعد انتهاء الأزمة عرضوا على حماة املاكهم الجنسية الكويتية فوافق بعضهم ورفض آخرون. ويذكر انهم اقاموا في البصرة مزارع وفلاّ فحمة لاسيما في جبل سنام وأبو الخصب والزبير وقصر حمدان، وبعض اهالي هذه المناطق "بجادة" يحملون جوازات سفر عراقية وكويتية وسعودية. ويذهب الكويتيون للبصرة حاملين الذهب وهدايا أخرى، أملين مبادلتها بصناعات بصرية محلية مشتقة من النخيل كالحصان و "سفر الخوص" والحزيط والرطب المطبوخ والتمر البرحي فضلاً عن لحم الضأن العراقي المميز، والقيمر والرز العنبر والكعك العراقي، ويستوي في ذلك شيوخ الكويت وعوائلها الأخرى العريقة كآل الغليج والمنديل والرشد، وتستضيفهم عوائل بصرية عريقة كآل النقيب وآل السلطان.

الصحيح. فكان مدراء المكاتب الحكومية اكثرهم سوريون وعراقيون وفلسطينيون. بمن فيهم بعض مدراء مكاتب الوزراء والسفراء.

كان رد الكويتيين هو : هل تستكثرون علينا ونحن جيرانكم ان نكون دولة ولها سفارات. ولم تكن المناقشات المطولة تصل إلى نتيجة، ورحل الوفد دون ان يحصل على شيء، لكننا كنا نعلم ان موقفنا اصبح ضعيفاً. إذ بالاضافة لما اوردناه من قيود مفروضة على موقفنا، فان عاملاً لا يقل خطورة قد استجد وهو فقدان الفيتو السوفيتي الذي كان يشهر سنوياً بوجه الطلب الكويتي إلى مجلس الامن للحصول على عضوية الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ومعروف ان كل دولة حتى تصبح عضواً في الهيئة العامة الدولية عليها ان تستصدر من مجلس الأمن توصية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لقبولها عضواً. وكان الاتحاد السوفيتي صديقاً لعبد الكريم قاسم ويحبط سنوياً المساعي الكويتية. أما الآن فلسنا واثقين من ان السوفيت سيواصلون استخدام الفيتو خلال الجلسة القرية القادمة خصوصاً بعد ان دخلنا في صراع اعلامي مكشوف مع الدولة السوفيتية.

اما الدول العربية فلم يكن بإمكانها ان تلعب دوراً، حتى في حالة توفر الرغبة لديها لمساعدتنا^(١). وحينها كان العضو العربي الوحيد في مجلس الأمن هو مندوب المغرب "الطبي بن هيمة" (وقد توفي رحمه الله عليه) فقد اعتادت الجمعية العامة ان تعين عضواً عربياً غير دائم في مجلس الأمن باستمرار وفي كل دورة. والطبيب بن هيمة هذا كان صديقاً للعراق والعراقيين، كما كان قرينه وزميله الأستاذ عدنان الباججي مندوب العراق إلى الهيئة الدولية، لا يقل عنه براعة في الأداء والعلم والحماس للمطالب العراقية.

وعلى أية حال فبعد زيارة وفد الخارجية الكويتي للعراق بيوم واحد، تم استدعائي للقصر الجمهوري بصورة عاجلة. وحالما وصلت، وجدت "محمد سعيد النقيب" وهو عراقي من نقباء البصرة لكنه يحمل جنسية كويتية (وارجو ان تضع اسمه بين قوسين لان دوره كما ارى كان

١ - الحكومات العربية كانت مقيدة إلى قرار جامعة الدول العربية الذي اتخذ في عشرين تموز ١٩٦١ ونص على:
اولاً:

أ - تتعهد الحكومة الكويتية بطلب سحب القوات البريطانية من الأراضي الكويتية بأسرع وقت ممكن.

ب - تتعهد الحكومة العراقية بعدم اللجوء إلى القوة لضم الكويت إلى العراق.

ج - تؤيد الجامعة العربية أية رغبة تبديها الكويت في الوحدة او الاتحاد مع أية دولة عضو في الجامعة العربية.
ثانياً:

أ - ترحب (الجامعة) بدولة الكويت عضواً في جامعة الدول العربية.

ب - تؤيد الدول العربية طلب دولة الكويت بتقديم مساعدات فعالة لدعم استقلال الكويت والدفاع عن استقلالها، ويحول الأمين العام صلاحية اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار بأسرع وقت ممكن.

الخطر والاهم فيما جرى بين العراق والكويت حينذاك، ولم اكن على معرفة به رغم رابطة الصداقة المتينة التي جمعت بيننا فيما بعد معه ومع اخوانه وانجاله). ووجدت في القصر الجمهوري كلاً من عبد السلام عارف واحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي وحازم جواد وصالح مهدي عماش وجردان التكريتي، وفوجئت بقرار مسبق هو ان أسافر مع عماش وجردان فوراً في وفد رسمي لرد زيارة الشيخ صباح الاحمد، ولما يمر على انتهائها سوى يوم واحد.

رفضت بشدة متعللاً بكل ما استطعت شرحه من مبررات دبلوماسية وسياسية. وقلت انها خيفة غير مقبولة، وطالبت بدراسة القضية واتمامها بمجدية وبعيداً عن اللفلة، لكن المجموعة بكاملها كانت متفقة ومتحمسة لرأيها. ولم يكن امامي سوى الالتزام والتنفيذ، رغم معرفتي بأن رد زيارة وزير خارجيتهم من قبل وزير خارجية العراق سيعني اعترافاً رسمياً.

استقلنا الطائرة أنا وعماش وجردان ومحمد سعيد النقيب، وكان الأخيران يرتبطان أصلاً بعلاقة حميمة وصداقة خاصة. وقد ترأس صالح عماش الوفد بعكس ما متعارف عليه دولياً في ان تسبق وزارة الخارجية وزارة الدفاع، لكنني عند تشكيل الوزارة اخترت اسمي ليأتي الثالث بعد السعدي وعماش تقديراً لفارق السن بيني وبين وزير الدفاع رغم انه لم يكن عضواً في قيادة الحزب الحاكم.

ونحن في الطائرة راقت حماس جردان التكريتي للسفرة واهدافها، حتى انه قاد الطائرة بنفسه نصف المسافة^(١). فانزويت وتأملت متسائلاً في حيرة عن سبب التجاذب المتسرع الذي

١ — ومن سخرية القدر ان احمد حسن البكر وصادم حسين سيختاران مدينة الكويت، بعد ثمانية أعوام مكاناً لاغتيال المرحوم جردان التكريتي بعد ان اصدرا اوامرها إلى مجموعة مختصة من المخابرات العراقية العاملة في الكويت بينهم حمودي العزاوي (قتله السلطة فيما بعد) وطارق ابو الخيل وهاشم الرفاعي، وتواطؤ السفير مدحت ابراهيم جمعة الذي ساهم بالأمر، دون ان يعلم أنه سيصل إلى القتل وكان سعدون شاكر موجوداً في الكويت ويعتقد انه شارك بها. ومن المؤسف ان الحكومة الكويتية سكنت حينذاك عن الجريمة، رغم ان جردان كان أول راع للاعتراف الرسمي العراقي بدولة الكويت، وبدلاً من التحقيق الجاد سمحت لوزير الخارجية العراقي عبد الكريم الشيعلي بزيارة الكويت بعد ساعات من الحادث ليصطحب معه عند عودته بعض منفذي الجريمة، وعاد القسم الباقي من فريق الاغتيال مع جثمان جردان التكريتي بصفة مرافقين. ويذكر ان سيارة المخابرات التي أقلت قاتلي جردان وتمت الرماية منها أصيبت باطلاقات من مرافقيه او من الشرطة الكويتية، وللتغطية وخوفاً من تحول الإصابة إلى دليل إدانة ضدهم، أرسلوا السيارة فوراً إلى كراج (عادل الحديث في الشويخ) وصاحبه "ابو عادل" حمودي الكلجكي فتم إصلاحيها وإخفاء آثار الإصابة فوراً.

وربما كانت دولة الكويت بموقفها ذاك تحاول دفع الشر، وتجنب الشرور بتفادي الاصطدام وتحويل عدوانية الحكومة العراقية إلى اتجاهات أخرى، بل اندفعت مع بعض مطالبها التي لم تنته حتى بعد إحراق الكويت. أما جردان فرغم بعض المثالب التي تؤخذ عليه، إلا أنه شهم، لا يغدر، وعندما يلتزم بنفذ التزامه، وعُرف بالشجاعة، وذهب ضحية لصفاته.

أبدته القيادة العراقية. وإذا كنت افهم اهداف حردان وعماش وعبد السلام عارف وغيرهم، فلم اكن قادر على تفهم بحارة علي السعدي وحازم جواد لأنهما لم يكونا من الذين يسهل ابتزازهم.

وصلنا الكويت ففوجئنا باستقبال غير متوقع، كان استقبلاً حافلاً وترحاباً يفوق المتوقع بكثير. ومنذ اللحظة الأولى أدركت ان هدفهم إخراج الزيارة بصورة احتفالية توجي باعتراف عراقي بدولة الكويت واستثمار ذلك في المحافل العربية والدولية. ورغم عدم استقبالننا لوزير خارجيتهم بصورة رسمية، استقبلونا هم رسمياً وعزفوا نشيدهم الخاص والنشيد الوطني العراقي ورفعوا العلمين العراقي والكويتي. ولم يبق في الكويت رجل قادر على الحركة الا ووضع العقل على رأسه وخرج يشاهدنا او يتفرج علينا ولا أبالغ إذا قلت اننا رأينا حينذاك في مشهد منقطع النظير كل رجل في الكويت.

اجرينا مباحثات تقليدية مطولة ادركت خلالها ان لديهم خطة يسرون عليها، ولم يكن لدينا ما يقابلها. ولاحظت انهم لم يحاولوا الوصول إلى نتائج فورية ومحددة في هذه الجولة، فركزوا على الشكليات والمفاهيم، وعلى استغلال الزيارة إعلامياً لتدخل عنصراً من عناصر الأمر الواقع الذي يجري الإعداد له بحرص شديد تمهيداً لتوقيع وثيقة الاعتراف في جولة قادمة، بعد ان يكونوا قد هيأوا شروط تأسيس دولتهم، وتوثيقها في الهيئات العربية والدولية ثم توضع أمامنا على طاولة المفاوضات فلا نجد مفرأ من الموافقة والاعتراف غير المنقوص بكيان قائم فعلاً. وبذلك يكون مشروعهم قد تم إخراجه وإنجازه ببراعة وذكاء اشهد لهم بها.

وبعد أيام علمت ان دولة الكويت جددت طلبها إلى الأمم المتحدة لقبولها عضواً فيها. وان الاتحاد السوفيتي لم يستخدم الفيتو ضده، وذلك يعني انه لم يبق لنا نصير في مجلس الأمن غير الطيبي بن هيمة وهو لا يتمتع بحق الفيتو، وسُحِّلَ المغرب أكثر من قدرته ليعترض على قبول دولة عضو في الجامعة العربية في عضوية الهيئة الدولية. لكننا رغم ذلك نخضنا في المجلس بنيويورك (وكننت حينها وزيراً للخارجية وموجوداً هناك) معركة خاسرة ضد دخول الكويت للمنظمة الدولية. اما أسباب العناد والممانعة التي ابديناها فتعود إلى اننا وضعنا نصب أعيننا هدفاً بسيطاً آخر هو: إذا لم يكن بالإمكان منع الكويت ان تكون عضواً في الأمم المتحدة فعلى الأقل يجب علينا ان نخرج من الأمر بشيء ما. واعتقد ان اغلب اعضاء القيادة القطرية والمجلس الوطني لقيادة الثورة قد فكروا حينذاك بنفس الطريقة للحصول على مكاسب معينة وامتيازات من الكويت للعراق. بل ان عبد السلام رئيس الجمهورية كان قد سبق الجميع، وسبق مجيء وفد التهئة الكويتي إلى بغداد بتبادله برقية مع أمير الكويت، وكانت أول إشارة على قرب

الاعتراف العراقي^(١).

وفي الحقيقة فإن استمرار المطالبة في الكويت من قبلنا كان سيبدو محاولة غير جادة وعابثة، وستصطدم بقرار الجامعة العربية التي يهيمن عليها عبد الناصر الذي سبق ان دفع بقواته دفاعاً عن استقلال الكويت. وذلك سيضعنا أمام تساؤل صعب: هل سنقاتل الجيش العربي والمصري من اجل ضم الكويت ؟

وكانت تلك بين أمور أخرى تبدو مستحيلات غير واقعية في وجه أي تفكير آخر غير التصديق على الاعتراف الدولي والعربي بدولة الكويت. ولكني رغم كل الواقعية التي عالجتها بها الأمر، بقيت انظر إلى زيارتنا للكويت وملاساتها والاستعجال فيها، على إنها خطأ تكتيكي لم يكن له ما يبرره، واعترف اني أجبرت عليها. كما سأجبر فيما بعد على مرافقة عبد السلام عارف لزيارة القاهرة قبل انعقاد المؤتمر القطري للحزب مما أتاح فرصة ملائمة لمن يريد ان يتلاعب بنتائجه وينفذ أغراضه.

اجتماعات بمحمدون الخاصة تسبق الإتفاق الرسمي

اجتمعنا خلال زيارتنا للكويت برئيس الوزراء المرحوم صباح السالم الصباح الذي اصبح فيما بعد أميراً لها. وكنت في كل جولة من المحادثات اخرج بنتيجة باننا أمام الاعتراف العربي والدولي وخسارة الفيتو السوفيتي غير قادرين على فعل شيء أكثر من التفاوض على ترسيم الحدود ودراسة وضع آبار البترول الحدودية، وهذه غير ممكنة أيضاً إلا بين دولتين متكافئتين، كلتاها عضو في الأمم المتحدة.

واستناداً إلى هذا الاحساس والواقع أشار عليّ علي صالح السعدي قائلاً "في قضية الكويت لا يوجد مَنْ يدعمنا، وانت يا طالب إفعل ما تراه مناسباً واحصل للعراق على أكثر ما تستطيع من حقوق بالمفاوضات ولنحتكم بعدها للتاريخ"، وكان يقصد ان نحصل على امتيازات مالية وإقتصادية ووعده بعلاقات مميزة مع الكويت، خصوصاً وأنه كان علينا كسلطة جديدة ان نقدم للشعب العراقي بعض المكتسبات المادية المباشرة، ولهذا سافرت في حزيران ١٩٦٣ إلى بيروت لمدة عشرة ايام في زيارة غير رسمية (شخصية)، ومن جانبه سافر الشيخ صباح السالم

١ — وتشير الوثائق البريطانية[9] إلى ان اللواء مبارك اخبر موظفاً في السفارة البريطانية بالكويت، بأنه استقبل رسالة صداقة من أمر موقع البصرة العسكري في يوم ٩ شباط ١٩٦٣. وكانت مدينة الكويت قد شهدت في نفس ذلك اليوم مظاهرة كبيرة شارك فيها الطلبة، وكانت بقيادة الشيخ عبد الله الجابر وزير المعارف، ورُفِّعت فيها اعلام الكويت والعراق والجزائر والجمهورية العربية المتحدة، وأطلقت شعارات تحيي القومية العربية وعبد السلام محمد عارف والرئيس جمال عبد الناصر وأمير الكويت.

الصباح (رئيس وزراء الكويت) أيضاً ليقوم بقصره قرب "عاليه"، بين مجملدون وعاليه، ولم ازره بقصره لكننا إتفقنا ان نلتقي كل امسية في مطعم متواضع سيء الخدمات ومقفر من الزبائن، وفضلناه لكي لا نلفت النظر إلى لقاءتنا غير العلنية، ولكي نبدوا سائحين من الطبقة الوسطى.

فعلنا ذلك لنعطي لانفسنا فرصة حوار بعيد عن الاضواء والتوترات، وهناك إتفقنا على قرض تقدمه الكويت بثلاثين مليون دينار كويتي، ونسبة ارباح رمزية ١٪ تبدأ بالاستحقاق بعد عشر سنوات، مع مليوني دينار تُقدّم كتبرع من الحكومة الكويتية إلى عوائل شهداء ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ وكان لدينا صندوق لفائدة عوائل الشهداء يرأسه حردان التكريتي وزير دفاع الجمهورية العراقية بعد ١٧ تموز ١٩٦٨^(١).

وحرّرت الكويت شيكين بالمبلغين ووثقتهما من وزارة المالية الكويتية بإسم عبد السلام محمد عارف وليس بإسم طالب شبيب وسلمنا إلى الحكومة العراقية، وأعطيت الأول لخير الدين

١ — قال د. عبد الحسين القطيفي ممثل عبد الكريم قاسم في مفاوضات الكويت التي انعقدت بصورة غير رسمية في سويسرا والقاهرة، وكان حينذاك سفيرا للعراق لدى الجامعة العربية، انه تلقى عرضاً كويتياً بواسطة الدكتور محمد حسن الزيات يتضمن استعداد الحكومة الكويتية لدفع منحة سنوية قدرها خمسين مليون دينار كويتي مقابل موافقة العراق على انضمام الكويت إلى الجامعة العربية والاعتراف باستقلالها. وأضاف: "أبرقت في الحال إلى وزارة الخارجية بعرض الكويت وتعهدنا بالمبلغ الذي ستدفعه سنوياً . . . وكان رد وزارة الخارجية العراقية على لسان الزعيم عبد الكريم ما يلي: ان اراضي العراق لا تباع بالفلوس . . . انتهى[10]. ويقصد الزعيم قاسم بأراضي العراق "الكويت". ويذكر ان الكويتيين اعتادوا استخدام اشخاص غير رسميين او عقد لقاءات غير رسمية في المفاوضات مع بغداد، وكان آخرها لقاءات شبيب وصباح السالم في لبنان واعطاء دور لمحمد سعيد النقيب، وقبلها فاوضوا الدبلوماسي العراقي القاسمي السفير قاسم حسن، وكذلك مع معاون وزير الخارجية في عهد قاسم الأستاذ الدكتور القطيفي بواسطة السيد موسى علاوي وهو عراقي مقيم في الكويت استثمر قرابته بوزير الاسكان العراقي حسن رفعت، وحينها عرض الكويتيون بواسطته على عبد الكريم قاسم النقاط التالية كأساس للاتفاق المقترح: أولاً: اعتراف العراق باستقلال الكويت وسيادته على اراضيها. ثانياً: يياشر في مباحثات لتقرير اتحاد فدرالي بين البلدين، على ان تبقى العقود النفطية الخارجية بيد الكويت. ثالثاً: ميزانية الكويت تبقى مستقلة. رابعاً: تساهم الكويت بنسبة معينة من ميزانية الاتحاد الفيدرالي العامة واقامة مشاريع مشتركة بين دولتي الاتحاد وخاصة في الوية البصرة والناصرية والعمارة. خامساً: يبقى نظام الكويت حسب نظام العائلة الحاكمة في اختيار الحاكم، وشكل الممارسة الحكومية. واستناداً لهذه النقاط اتفق قاسم مع مندوبه على مواصلة المفاوضات ما عدا النقطة الأولى[11]. ويبدو انه كان سيوافق على الاعتراف بعضوية الكويت في الجامعة العربية مقابل الاتحاد الفيدرالي ليكسب توحيد الجيش والسياسة الخارجية، لكنه كان متخوفاً من عدم التزام الكويتيين. ولم تدر المفاوضات حول المكاسب والمال بل جرت مناقشات مستفيضة حول مفهوم الوحدة العربية لدى الجانبين، وعبر قاسم حسن والقطيفي عن رغبة عبد الكريم قاسم ببقاء الوحدة، وكل ما عداها يقبل النقاش بسهولة. وفي المقابل اعترف المفاوضون الكويتيون له بأن الكويت كانت قائممقامية عثمانية تابعة لولاية البصرة، وفصلتها بريطانيا. لكن ليست الكويت وحدها فصلت بل الحجرة وعربستان والاحساء والقطيف ونجد وقطر، وكلها كانت مناطق ادارية تابعة للبصرة، ولذلك ليس يمكن الاعتماد على التقسيم العثماني كأساس لأدعاء الملكية. لأن العثمانيين انفسهم كانوا محتلين اجانب.

حسب لإدخاله الخزينة العراقية، أما شيك المليوني دينار فقد أخفاه عبد السلام في أحد ادراج مكتبه في القصر الجمهوري، وفوراً بعد زوال سلطة البعث إثر حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ جرى تمرير إشاعة مقصودة ومدبرة تلمح إلى أن البعثيين استولوا على الشيك وصرفوه لمصلحة حزبهم.

لكن وزراء ناصريين بينهم عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد إضافة إلى خير الدين حسب محافظ البنك المركزي العراقي، استطاعوا بعد جرد وتفتيش العثور على الشيك الضائع مخفياً في أحد ادراج مكتب الرئيس عبد السلام عارف فأخذوه وادرجوه باعتباره جزءاً من الاتفاقية العراقية الكويتية. ولو لم تتم تلك العملية لتمكن عبد السلام من التصرف بالشيك بصورة شخصية لعدم الإشارة له في الاتفاقية وملاحقتها.

والحقيقة فقد علمت وأنا في نيويورك أن اجتماعاً رسمياً عُقد بين وفد عراقي برئاسة رئيس الوزراء العراقي أحمد حسن البكر، وكويتي برئاسة الشيخ صباح السالم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي، وبحثوا الأمر استناداً إلى ما توصلنا إليه في ذلك المطعم بعاليه. ووقعوا اتفاقاً عراقياً كويتياً يقر فيه العراقيون لأول مرة بوجود دولة اسمها الكويت.

أما أنا فلم احضر ولم أوقع ولم أر ولم استلم أي شيء!! رغم إنجازي لأهم جوانب المفاوضات. وكان موقعي المعلن داخل اجتماعات القيادة الحزبية والحكومية هو أننا يجب أن نصل إلى حل للمسألة الكويتية بل صرحت بعد الثورة مباشرة بأن حكومتنا ستمكن قريباً من الوصول إلى قرار يعود بالفائدة على الشعبين الذين يشكلان جزءاً من الأمة العربية والوطن العربي.

أما الادعاء بأن الكويت جزء من العراق أو أي بلد آخر فهو امر يعود إلى شعبي البلدين، وكنت أرى الحل واضحاً بشرط التروي، في حين كان البكر وحردان وعماش وعبد السلام عارف متعجلين^(١). وذلك جعلني أتساءل مع نفسي بل وأتجاوز حد الاستغراب إلى الارتياب. وكانت صورة محمد سعيد النقيب لا تفارق مخيلتي كلما فكرت في موضوع الكويت، فما هي دوافعه وأسباب حماسه؟ وكيف يحضر معنا وهو شخصية ليست رسمية في الكويت أو

١ — لم يكن عمّاش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف أعضاء في القيادة القطرية للحزب، ولم يكن عبد السلام عارف بعثياً، وهؤلاء اشتركوا بطريقة وأخرى في مفاوضات ومداخلات القضية الكويتية. أما أعضاء القيادة القطرية للبعث الذين اشتركوا في تقرير مصير المفاوضات فكانوا علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب، وضيف لهم فيما بعد أحمد حسن البكر بعد أن فاز بعضوية القيادة في المؤتمر القطري الذي انعقد في أيلول ١٩٦٣.

العراق؟ ولماذا الإصرار الشديد على إتمام الأمر خلال أيام أو ساعات وكأننا ننجز صفقة غير طبيعية رغم قناعتنا كحزبيين بما نقوم به ؟

ولم اكن اعلم، لو لم تكن الظروف قد دفعت بي إلى نيويورك، هل كنت سأوقع معهم نص الاتفاقية^(١)، خاصة بعد ارتياحي بتصرفات جماعتنا المستعجلة ؟ ولكني رغم كل ذلك لا املك ولحد هذه اللحظة أي دليل على وجود رشوة. كما أستطيع التأكيد، وأنا مرتاح الضمير، بأن أعضاء قيادة حزب البعث القطرية منزهون من أي اتفاق خارج الأطر الرسمية وعن التورط بأية رشوة. والشيء الوحيد الذي أستطيع تأكيده هو انهم استعجلوا في إضفاء شرعية محلية على قرار دولي صادر من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

١ - نص الاتفاقية : اجتمع الوفد الكويتي الرسمي الذي يزور الجمهورية العراقية بالوفد العراقي بتاريخ ١٩٦٣/١٠/٤ . وتألف الوفد العراقي : (١) اللواء احمد حسن البكر رئيس الوزراء. (٢) الدكتور محمود محمد صبحي المحسني وزير التجارة. (٣) الفريق الركن صالح مهدي عماد وزير الدفاع ووزير الخارجية بالوكالة. (٤) السيد محمد كبرية وكيل وزارة الخارجية. وكان الوفد الكويتي من : (١) سمو الشيخ صباح السالم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء. (٢) سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية ووزير الخارجية بالوكالة. (٣) السيد خليفة خالد الغنيم وزير التجارة. (٤) السفير عبد الرحمن سالم العتيقي وكيل وزارة الخارجية. وجرت المباحثات بين الوفدين في جو مفعم بالود الاخوي والتمسك برابطة العروبة والشعور بأواصر الجوار وتحسين المصالح المشتركة. وتأكيداً من الوفدين المجتمعين عن رغبتهما الراسخة في توطيد العلاقات لما فيه خير البلدين بوحى من الاهداف العربية العليا. وإيماناً بالحاجة لاصلاح ماران على العلاقات العراقية - الكويتية نتيجة العهد القاسمي تجاه الكويت قبل إشراق ثورة الرابع عشر من رمضان المباركة ويقيناً بما يمليه الواجب القومي من فتح صفحة جديدة من العلاقات بين الدولتين العربيتين تتفق وما بينهما من روابط وعلاقات ينحسر عنها كل ظل لتلك الجفوة التي اصطفتها العهد السابق في العراق. وانطلاقاً من إيمان الحكومتين بذاتية الأمة العربية وحتمية وحدتها. وبعد ان اطلع الجانب العراقي على بيان حكومة الكويت الذي ألفى بمجلس الأمة الكويتي بتاريخ ٩ إبريل ١٩٦٣ والذي تضمن رغبة الكويت في العمل على إنهاء الاتفاقية المعقودة مع بريطانيا في الوقت المناسب. اتفق الوفدان على ما يلي : أولاً : تعترف الجمهورية العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بمحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١ والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ ١٩٣٢/٨/١٠ . ثانياً : تعمل الحكومتان على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين بحلها في ذلك الواجب القومي والمصالح المشتركة والتطلع إلى وحدة عربية شاملة. ثالثاً : تعمل الحكومتان على إقامة تعاون ثقافي وتجاري واقتصادي بين البلدين وعلى تبادل المعلومات الفنية بينهما. وتحقيقاً لذلك يتم فوراً تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء، واشهاداً على ذلك وقع كل من رئيسي الوفدين على هذا المحضر. اللواء احمد حسن البكر رئيس الوفد العراقي - صباح سالم الصباح رئيس الوفد الكويتي

ملاحظة : تقصد الاتفاقية "بكتاب رئيس الوزراء" رسالة نوري السعيد إلى السير فرانس هفريز المنسوب السامي البريطاني في ١٩٣٢/٧/٢١ ، وافر فيها بأن حدود الكويت تمتد من تقاطع وادي العوجة مع الباطن إلى جهة الشرق بامتداد الباطن جنوبي آبار سفوان وجبل سنام وأم قصر إلى نقطة التقاء حور الزبير بخور عبد الله، وتعود جزر وربة وبوبيان ومسكان وفيلكة وعوها وقارورة وأم المرادم للكويت . . ويذكر ان الاتفاقية لم تُصدّق من قبل مجلس قيادة الثورة، ليس لعدم موافقته عليها، بل لان العراق بكامله دخل بعدها في دوامة من الخلافات تسببت بفرغ سياسي لم ينته إلا بعد سقوط حكم حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٦٣.

وفي الحقيقة لم تكن لدينا خيارات أخرى، فضلاً عن نظرنا إلى قضية الكويت باعتبارها اصغر بما لا يقاس من اهتماماتنا القومية العظيمة التي تلف الوطن بكامله، فكنا نتصور أنفسنا قريين من توحيد العراق وسوريا ومصر.

سؤال : قيل ان البعثين قبضوا ثمناً معيناً وتداول ذلك كثيرون، فهل من سبيل للتأكد من عدم حصول ذلك ؟

طالب شبيب : في عام ١٩٦٧ التقيت الشيخ صباح الاحمد بلندن، وكنت سفيراً لجامعة الدول العربية فيها، وكنا نستقل سيارة واحدة وكان معي مصحف صغير. قلت له: نحن الآن لوجدنا وأريد لضميري ان يرتاح، أرجو ان تقسم على هذا المصحف وتجييب على سؤالي، هل اخذ أحد من قادة البعث رشوة بقضية اعترافنا بالكويت عام ١٩٦٣ ؟

أجاب : اقسام لم ادفع لأحد منهم ولا مليم.

وكلامي هذا موثق بالاحياء، فلا اتحدث عن اموات، والشيخ صباح الاحمد هو أخ وصديق ورجل صادق، حي يرزق قال لي لم يأخذ أحد رشوة.

هذا الأدم كتاب لا كفاء له رث الصحائف باق منه عنوان

ربما كان يجب ان نحصل على شروط افضل وأشياء كثيرة، لكن وضعنا كان مهتزاً وأنا شخصياً كنت في اسوأ حالات الغضب والانزعاج من هزيمتي في انتخابات المؤتمر القطري لحزب البعث التي جرت للتو والتي لم تكن نزيهة من حيث الإعداد لها. ولذلك جاءت سفرة نيويورك اشبه بمتنفس، فلم احضر جلسة التوقيع على الاتفاقية مع الكويتيين، كما لم اعرف كيف جرى التصرف بالمبالغ.

وارجو ان تعرف ان جمال عبد الناصر يعرض قواته للدفاع عن استقلال الكويت، والاتحاد السوفيتي يتخلى عن الفيتو ويرى ان الكويت قد اصبحت جائزة على مقومات دولة. والجامعة العربية قبلتها كدولة كاملة العضوية فيها. والقيادة القومية لحزب البعث قررت رفض منطق ضم الجزء إلى الجزء بالقوة. فمن اين لنا ان نأتي بغطاء شرعي عقائدي او عربي او دولي لمنع دولة قائمة من إعلان استقلالها؟

ولذلك ارى ان نطرح جانباً تلك الاتهامات التي غالباً ما تكال بدون ميزان. فلقد قاتلنا حينذاك بلا اسلحة، وكنا سُعْرَضُ العراق إلى كارثة لو فعلنا شيئاً آخر. وليس أدل على ذلك ما حل بالعراق عندما اقدم مُمَثِّلاً بشخص الرئيس صدام حسين على ضم الكويت بالقوة

الفاشمة، فضلاً عن ما لحقه من أضرار في جسد الأمة العربية وبقضية الوحدة وما تسبب به من إحباط في أذهان الجماهير العربية^(١).

سؤال : هل هناك أدلة تثبت ان الولايات المتحدة لم تكن تاريخياً حريصة على دولة الكويت ؟ وكيف نوفق بين تحريضهم لنوري السعيد و صدام حسين وأجواء الحلف الذي ربط بينهم وبين صدام حسين خلال المرحلة السابقة، وبين دفاعها عن الكويت عندما احتلها صدام حسين ؟

طالب شبيب : لم يدخل الأمريكان لعبة السياسة الدولية بقوة قبل الحرب العالمية الثانية، فهم الدولة الكبرى الوحيدة التي لم تتضرر كثيراً في الحرب. ربما في بيرل هاربور فقط وهي جزيرة بعيدة عنها في هاواي، وفي مناطق محدودة وغير هامة أخرى. فخرجوا من الحرب اقوياء بينما خرج غيرهم منهكاً. وذلك شجعهم على إعداد انفسهم للتدخل الذي اعدوا له طويلاً في غرف مغلقة، وكان العراق إحدى المناطق التي توجهوا إليها، مستغلين في البدء بعض الثغرات، اهمها الصراع الخفي بين الوصي عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد. فتمسك نوري السعيد ببريطانيا، في حين اندفع عبد الإله باتجاه امريكا. ولا اشك ان كليهما كان مخلصاً في بحثه عن حلفاء لجعل العراق قويا، وتدعيم مكانته وتعزيز موقفه العربي والاقليمي، ولذلك فكلاهما بالإضافة للملك غازي بن فيصل الأول وأبيه طالبوا بالكويت بهدف اكتساب القوة والمال

١ — بعد انقطاع حوالي عشرين عاماً قضتها الجماهير العربية تداوي جراح الحروب الاسرائيلية وإحباط كامب ديفيد وغيرها، جاءت الغزوة الكويتية في ٢ آب ١٩٩٠ لتقضي على مؤشرات وارهافات نهوض عربي جديد، بعضه اسلامي وآخر علماني. وادت الغزوة إلى تقسيم القوى إلى قسمين، الأول : يرى ان اجتماع القوى الغربية، واكتسابها مواقع جديدة في البلاد العربية لم تكن تحصل لولا غزوة صدام للكويت. والثاني : يتصور ان الغزو هو بداية تاريخ جديد لنهضة عربية تتحدى المتدخلين الغربيين. واصحاب هذا الرأي احتفلوا بالنصر الآتي، ليستسلموا بعد اشهر إلى احباط وهزيمة نفسية اخرجتهم من الميدان الفعلي والايجابي. فذهب نتيجتها قسم من شباب العرب زرافات إلى المنافي ليضعوا انفسهم خارج الميدان الحقيقي للمواجهة. ولم تكن تلك هي الفعلة الأولى المشيرة للاحباط العربي التي يرتكبها النظام العراقي، فقبل ثلاثين عاماً وعدت الحكومة العراقية الفلسطينية بدخول عمان من اجلهم. وقبل عشر سنين عندما غزت ايران بعد سقوط الشاه، اعلنت ان تاريخاً عربياً جديداً من الانتصارات قد بدأ. وفي كل الحالات تمكنت من استمالة اعداد هائلة من الشباب العربي ليكتشفوا بعد ثماني سنوات الواناً لم يعهدوها من الخيبة والخسارة، بما في ذلك توليد أزمة جديدة هي "احتلال الكويت" [12]. وربما يقف وراء اندفاع بعض المثقفين والسياسيين العرب نحو أعمال طائشة هو أمنيات كسولة تستبد بهم، فتسول لهم انفسهم ان يستيقظوا يوماً ليشاهدوا نصراً عربياً جاهزاً يقدمه صدام حسين او غيره حتى لو كان ضد الاصدقاء او الاشقاء. ان اسوأ ما في هذه الصورة هو موافقة المحيطين العرب على ان ينال الكويتي السعيد والغاوي ليلته ليستيقظ في اليوم التالي قيرى ان رئيسه اصبح صدام وليس جابر وديناره ليس كويتيً وان عليه قبل السفر مراجعة المخابرات والحصول على موافقة سباعوي علي حسن المجيد.

وحاولوا الاستفادة من الولايات المتحدة التي لم تخف رغبتها في الحلول محل النفوذ البريطاني^(١).

وفي هذا السياق، قرأت كل وثائق الخارجية البريطانية المنشورة، وكذلك الملفات الكثيرة الموجودة في الخارجية العراقية عندما كنت وزيراً لها. وبضمير مرتاح استطيع ان اقرر ان نوري السعيد كان وطنياً وكذلك فيصل الأول.

١ - استدرج الأمريكيون العراقيين اكثر من مرة لغزو الكويت او لخلق أزمة تسمح بتدخلهم السافر. ولم ينجحوا عملياً الا مع الحكومة العراقية القائمة مستغلين خصال الجهل والاستهتار والفردية المميزة لقراراتها. فقد نشرت مجلة البلاد مباشرة بعد غزو الكويت ١٩٩٠ خيراً قالت انه ورد في وثيقة سرية محفوظة في مكتبة الكونغرس الاميركي - والمهدة على المجلة وعلى الأستاذ علي الشوك الذي نقلت عن مقالته المنشورة في جريدة الحياة اللندنية في ١٩٩٢/٣/١، وتقول الوثيقة: "ان واشنطن ربت لقاءً سرّياً بين نوري السعيد وجون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة من اجل البت نهائياً بشأن موضوع الكويت، وحددت الولايات المتحدة موعد اللقاء بـ ٢٤ تموز ١٩٥٨... لكن ثورة تموز وقعت وانتهى الأمر". اما لماذا ورد موضوع الكويت بين الطرفين ؟ فتجيب الوثيقة: لان "نوري السعيد اتصل بواشنطن في اواسط حزيران ١٩٥٨ أي قبل الثورة بشهر واحد طالباً منها المعونة، فقال له المسؤولون الأمريكيون: "ضمّموا الكويت إليكم فلديها الموارد المالية...".

وما يؤكد ذلك ان نوري السعيد وجّه في اواخر أيامه إلى السفير البريطاني قائلاً: "لقد تجاوزت السبعين من عمري وثابت طول هذه المدة على سياسة واحدة لم انحرف عنها، وهي الصداقة المتينة معكم لاعتقادي ان مصلحة بلدي تستوجب صداقتكم (...). غير اني احد انكم تعاملون خصومكم افضل بكثير مما تعاملون اصدقاءكم". [13].

ويوجد اكثر من مؤشر يؤكد التشجيع الاميركي لإثارة الأزمة بين العراق والكويت، فقد ساهم بعض المتعاطفين مع النفوذ الاميركي داخل أروقة الدولة العراقية بتشجيع الملك الشاب "غازي" على مهاجمة أمير الكويت مباشرة والإنكليز بصورة غير مباشرة من إذاعة نصّبها في القصر الملكي بلغة تتحدث عن التنوير وتتقدّم الرجعية والأساليب القديمة، وهو نفس النقد الذي اعتادت الادارة الاميركية على توجيهه للأساليب الاستعمارية الإنكليزية.

وفي ١٣ تموز ١٩٩٠ تحدث انتوني كوردسمان (خبير في مجلس الشيوخ الاميركي) في الندوة التي نظّمها مركز دراسات الخليج في أكستر عن سيناريو هجوم عراقي على الكويت، فقال: "إذا قررت الولايات المتحدة مواجهة العراق بسبب الكويت فانهما تحتاج إلى أسبوعين على الأقل، وان القدرة العسكرية الاميركية في المنطقة لمواجهة هجوم العراق تفتقر إلى مقومات تجميع قوات رئيسية" لكنه اعتبر "ان تحقيق نجاح اميركي يظل غير مضمون في حالة مواجهة عسكرية كاملة مع العراق. ولذا سيظل امل الولايات المتحدة في ان تنسحب القوات المهاجمة من الكويت نتيجة لمفاوضات سياسية، وكذلك بالضغط على بغداد عبر وقف صادرات النفط العراقي"، ووضح كوردسمان "ان توقعاته وتقديراته مبنية على أساس مقابلات اجراها في المنطقة وفي واشنطن ولندن... انتهى" ومن الواضح ان كوردسمان بالسيناريو الذي كتبه يريد ان يحث صدام حسين على غزو الكويت، بل ورسم له سيناريو ما بعد هجومه المحتمل على الكويت. وبدلاً من السيناريو الحقيقي المبيّت يقدم له سيناريو الخديعة وطعم المغفلين الذي ابتلعه صدام حسين فادخل العراق في حжим لا نهاية قريبة له.

وقبل ثلاثة أيام من غزوة صدام حسين لدولة الكويت أدلى وكيل وزير الخارجية الاميركي جون كيلي بشهادة أمام الكونغرس، وحينما سأل أحدهم: ماذا سيكون رد فعل امريكا إذا غزت القوات العراقية الكويت ؟ أجاب: اننا لا يمكن ان نجيب على اقتراضات. وعندما ألحوا عليه، قال: ليس لدينا معاهدة دفاع مشترك مع الكويت [14].

مراجع:

- [1] راجع: حسن العلوي، اسوار الطين، مرجع سابق.
- [2] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٢، صفحة ١٨.
- [3] حسان عاكف حمودي - الثقافة الجديدة - العدد ٢٧٤ ص ١١.
- [4] حسن العلوي، اسوار الطين، م.س. و ابراهيم علاوي، المقايضة. و خليل ابراهيم حسين، ثورة الشواف (موسوعة ١٤ تموز)، مصدر سابق، جزء ١ صفحة ١٥٧.
- [5] جلال الطالباني، محاضرة القاها في ٢ أيار ١٩٩٠. معهد الشؤون الدولية بلندن.
- [6] سعد البزاز، حرب تلد اخرى، الاهلية للنشر، عمان ١٩٩٢.
- [7] حسن العلوي، اسوار الطين، م.س.
- [8] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، ص ١٣٠.
- [9] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٩٨.
- [10] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٧٨، ٢٦٤.
- [11] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٨٥.
- [12] سعد البزاز، حرب تلد اخرى، مصدر سابق.
- [13] علي الشوك، جريدة الحياة، ١٩٩٢/٣/١ في سياق نقد لكتاب المقايضة للاستاذ ابراهيم علاوي (نجم محمود).
- [14] خير اذاعته، اذاعة صوت امريكا الناطقة بالعربية وإذاعات عربية كثيرة بنفس فترة الحدث.

القضية الكردية ١٩٦٣

سؤال: نريد معرفة موقفكم الحقيقي من الكرد والقضية الكردية؟

طالب الشبيب: من الصعوبة فهم أو تفهم موقف التيار القومي، والبعث بشكل خاص من هذه القضية. فقد كان مفهومنا العام للأكراد: أهم قومية نازحة إلى الأرض العربية، جاءت لتحل ضيفاً على العرب في بلادهم. ولم تكن الحقيقة كذلك، ولم يكن الأكراد كالأرمن أو الأتراك أو غيرهم من الجماعات التي اضطرت نتيجة الصراعات والحروب، وبسبب الاضطهاد العثماني القومي والمذهبي، إلى النزوح والعيش على الأراضي العراقية. فالأكراد قومية أصيلة في وجودها في العراق، وعاشت قبل العثمانيين بفترة طويلة جداً، بل قبل بعض الهجرات العربية إليه^(١).

هناك إذن مسؤولية عربية في الجهل، ومسؤولية كردية في عدم التعريف. ويؤسفني أن أقول إن الأكراد أضروا بأنفسهم وبمصادقيتهم بسبب التبعية السياسية والتبعية الفكرية الحديثة. فقد ربط أول وأكبر حزب قومي كردستاني حديث (البارتي) نفسه بمرجعية محلية ودولية بإعلان نفسه حزباً ماركسياً لينينياً (ستاليني المنحني). ووثق ذلك في دستوره، وأصبح بسببه ذليلاً تابعاً للحزب الشيوعي العراقي، رغم الخلافات والصراعات الشرسة التي كانت تحصل بينهما بين حين وآخر في عهد عبد الكريم قاسم وربما قبله. وهذا ما كنا نجعله ولا نعرفه، فقد نظرنا للبارت باعتباره فرعاً من فروع الحزب الشيوعي خصوصاً بعد أن اتفق الطرفان على اضطهاد القوميين العرب في أعقاب ثورة الشواف، وهذا ما يعترف به أغلب زعماء الثورة الكردية الذين التقينا بهم داخل العراق وفي المنافي فيما بعد^(٢).

١ — وهناك كتابات تاريخية محققة وتجلدات تؤكد أن الأكراد كانوا موجودين في المنطقة الشمالية من العراق حتى قبل وصول الاسكندر المقدوني لبابل وأربيل، بل فقد قاتل الأكراد الاسكندر ولم يمهدهم معه حادثة طريفة ومشهورة جداً في جبال كردستان في طريقه من أربيل إلى برسي بولس (شعراز) الإيرانية. ولم تكن مسألة الأصول التاريخية للأمم الكردية مفهومة بوضوح أو مدروسة جيداً من قبل المثقفين الأكراد حتى وقت قريب، وساعد في ذلك غموض المعطيات واختلاف الادعاءات التاريخية حول أصول الأكراد.

٢ — لاشك أن تعاوناً قد حصل على مستوى أحداث الموصل بين الكرد والشيوعيين، فقد ورد في صحيفة اتحاد الشعب العلنية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي في ١٨/٣/١٩٥٩ إشارات عديدة تؤكد تعاونهما في قمع حركة

وهكذا اختلطت الرؤيا ونمائها ما هو كردي وما هو مؤيد للحزب الشيوعي ولعبد الكريم قاسم، وتداخل اللونان تداخلاً شبه تام، رغم أن التيار القومي حاول أن يفهم القضية الكردية بوجه سليم. وبالفعل فقد نجح علي صالح السعدي قبيل ثورة رمضان بعقد أول لقاء "رسمي" بينه وبين صالح اليوسفي، حيث اتفقا على بعض الأمور. وقد أبلغ اليوسفي الملا مصطفى البرزاني بوعده الأخير بأنه سيكون أول المؤيدين إذا ما تمكن البعث من إسقاط عبد الكريم قاسم، وسيتم وقف إطلاق النار المتبادل بين الجيش العراقي وقوات البيشمركة الأكراد. وجاء ذلك في الاتفاق بعد أن اتضح لقيادة البعث بأن الأكراد ليسوا بالضرورة ذليلاً للحزب الشيوعي أو لعبد الكريم قاسم، بل أن أجهزة عبد الكريم قاسم بدأت تضطهد الشيوعيين والتضييق على البارت، وحصلت صراعات فعلية بين البارت والحزب الشيوعي، وتلك التطورات مهدت لإعادة تقويم الموقف وللاتصال بيننا وبين الأكراد^(١).

الشواف والعناصر القومية، فقالت "كان وجود المناضل البرزاني في كردستان أثناء حدوث تمرد العصاة الخونة (زمرة الشواف) ذا أثر كبير في اندفاع الأكراد للمساهمة في قمع العصيان".
كما أصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني بياناً يدعو فيه أكراد الموصل للخروج إلى الشوارع والدفاع عن أنفسهم ضد "الشوفينية".

١ — لم يكن في ذهن عبد الكريم قاسم ولا بذهن كل العسكريين القادمين من الشكنات إلى السلطة، أي تصور عملي أو نظري لحل القضية الكردية على أسس قانونية أو فلسفية، بل اعتقد جميعهم أن المشكلة كلها تكمن في حسن النوايا، ولذلك اعتمدوا شعارات الأخوة والشراكة الوطنية والمساواة في المواطنة، دون اهتمام جاد للمطامح القومية الكردية من لغة وثقافة وتسيير ذاتي.... الخ.

وفي المقابل لم تطرح القيادة الكردية ممثلة بزعامة البرزاني بعد أية مطالب محددة غير عنوان عام أطلقت عليه اسم "الحكم الذاتي" بلا تحديد لمضمونه. ولذلك كان الصراع مع عبد الكريم قاسم كما يبدو، مجرد محاولة لإعلان النيات، سعى كل طرف لاتهام الآخر: أن لا يتماذى في مطالبه وأحلامه. وكانت تلك أشبه بمحاولة كيّ اذرع أكثر منها معركة بين عدوين يقسيان على بعضهما، حتى أن قاسم أوعز في الشهرين الأخيرين قبل سقوطه إلى الجيش أن يكف عن القتال ضد الأكراد ما لم يبادروا إلى إطلاق النار، ومدد فترة وقف إطلاق النار شهراً آخر [1]. وإذا كانت القيادة الكردية لم تقدم أية مطالب واضحة وشاملة إلا بعد سقوط قاسم، فإن الحكومة المركزية أيضاً لم تقدم أي مشروع للتفاهم إلا في عام ١٩٦٣ من قبل حزب البعث وسمي بمشروع "اللامركزية" بعد أن حققت المفاوضات "في بدايتها" تقارباً كبيراً استند إلى مواقف إيجابية متبادلة، فأصدرت الحكومة قرارات بإطلاق سراح السجناء الأكراد ورفع الحصار الاقتصادي، في حين أرسل البرزاني برقية تأييد، وساهمت "عناصر من البارت في انقلاب ٨ شباط ولا سيما في القوة الجوية بتعطيل الطائرات في معسكر الرشيد" [2]. كما أوحى قتال الحكومة ضد الأكراد، للبعث والكرد أنهما قاتلاً عدواً واحداً مشتركاً.

وإذا كان قاسم قد تورط في القتال ضد الحركة الكردية التي ساعدت على إطاحته، فإن الأكراد بدورهم انغمسوا بسرعة في صراعات تصوراً أنها ستساعدهم على الوصول السريع إلى أحلامهم البعيدة. فباشروا منذ ١٩٦٠ عبر جريدتهم خه بات، بالمطالبة بكل شيء مما أجمع ضدهم تركيا وإيران، واضطر قاسم لإحالة الجريدة على التحقيق [3]. وابتدأ بذلك صراعهم المكشوف مع ثلاث دول وثلاث أمم شرق أوسطية مهمة هي الفرس والترك والعرب. وأرسلت

←

وبعد أسبوعين من ٨ شباط جاء إلى بغداد وفد كردي ضم جلال الطالباني وصالح اليوسفي ولقمان البرزاني وآخرين. وعقدت بين قيادة البعث وبينهم اجتماعات لم تأخذ شكل المفاوضات الرسمية، بل على صورة لقاءات وتبادل آراء شارك فيها علي صالح السعدي وحازم جواد وأنا (طالب شبيب) وصالح مهدي عماش، واتفقنا على إعلان بشأن نظام اللامركزية وإخراجه علناً إلى الرأي العام العراقي والعربي. وقد كنا في حقيقة الأمر نحشى التوسع في مضمون الإعلان رغم إيماننا وإرادتنا على الاتفاق والسلام، وأول ما كنا نخشاه جراء ذلك، هو رد فعل الدول المجاورة، وثانياً رد فعل الرأي العام العربي والبعثي والقومي والعراقي، لعدم تهيئتهم إلى تقبل الأطروحة الجديدة التي كنا نرغب أن تكون أوسع مما أسميناه باللامركزية.

وأذكر أن المرحوم علي السعدي، وكنا نؤيده بذلك، قال للمفاوضين الأكراد: "إنكم أقرب الناس إلينا، لأنكم تشكون الهم القومي الكردي، كما نشكو نحن الهم القومي العربي. نحن مجزأون بحكم الاستعمار وأنتم مجزأون أيضاً، ولا بد أن يكون كل منا حليفاً للآخر تاريخياً ومصيرياً. وما اتفقنا عليه الآن يجب أن يتفق مع الظروف الإقليمية والعربية والعراقية. أما ما يمكن أن يتمخض عن وفاقنا في المستقبل فهو أكبر من ذلك بكثير".

إيران وتركيا بعد شهرين من رحيل قاسم ضباط اتصال ومراقبة أقاموا في شمال العراق بموافقة الحكومة العراقية وحمايتها، فأغلقت الدول الثلاث أية إمكانية قريبة لتحقيق الأحلام والمطامح الكردية. ويستطيع المراقب أن يلاحظ أن المنطقة الكردية لم تستقر منذ أن طوّر البرزاني بمساعدة مثقفين أكراد مطالبه ذات الطبيعة الإنسانية البسيطة إلى مطالب قوية عامة، وجاء أول رد عملي مباشر من قبل الجيش الإيراني ثم الجيش العراقي الذي شن هجوماً ضد الأكراد بقيادة الجنرال الإنكليزي "رنتن" وقامت الطائرات الإنكليزية في منتصف ١٩٤٥ بقصف المنطقة بعنف [4].

وبسبب الحظ أو بغيره لم يحقق الأكراد رغم صدقهم وشجاعتهم أية نجاحات عندما هبت الرياح القومية التحررية على شعوب الشرق، بل ذهبوا ضحية موازين القوى الإقليمية والعالمية. كما أنهم لم يكونوا مستعدين لقطف الثمار، ورموا حالت الأتاتوركية دون تمكنهم من بناء أمة ووطن واحد، فتقسموا بين عدة بلدان واضطروا لتشكيل أحزاب قطرية ترفع مطالب محدودة، وحرموا لاسيما في تركيا، من أبسط الحقوق. وكان أول انفتاح كبير عليهم تحقق مع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الذي أتاح لهم إطلالة قوية على العالم، فتقدمت حركتهم وعياً وتنظيماً في العراق على مثيلاتها في تركيا وإيران.

ورغم أن الكرد رحبوا بالوسطاء المحايدين مثل محمد سلمان حسن (وزيرا لفظ) وحسين جميل وغيرهم، لكنهم رفضوا وسائط الحزب الشيوعي إثر اجتماع عبد اللان التي تقع بين السليمانية ودوكان، وقد وضع الشيوعيون شروطاً بينها ضرورة استسلام الحركة الكردية وتسفير بعض قادتها إلى الدول الاشتراكية بعد تحميلهم مسؤولية اندلاع القتال لأول مرة، ومقابلها يعطي قاسم فرصة كافية للقيام بإصلاحات تصب في منفعة الشعب الكردي، واعتبر الأكراد تلك الشروط محاولة من الحزب الشيوعي لكسب ود قاسم على حسابهم، وهذا وحده — كما قال لي شمس الدين المفتي — كان سبب رفض وساطتهم. ولم تتوقف الوساطة إطلاقاً من أجل مساعدة البعثيين في مساعيهم لإضعاف قاسم وإسقاطه. ويقول الأكراد أنهم عندما رفضوا تلك الوساطة لم يكونوا قد سمعوا عن رغبة البعثيين في القيام بانقلاب عسكري، بل أنهم سمعوا دعوات الشيوعيين إلى وجوب ملء الفراغ التدريجي وصولاً للسلطة.

وكننت معجباً جداً بجلال الطالباني لأنه أدرك المعنى العميق لما نظرحه، ولم يكن في البدء مصداقاً وقال لي بعد سنوات طويلة أنه فوجئ بمستوى وعي شباب البعث وتفهمهم للمطامح القومية للشعب الكردي القريبة والبعيدة، والتي هي مطامح نافذة في الوجدان الكردي، فكيف إذا وجدت نظيراً لها في الوجدان العربي، فأني نصر سيكون في هذا للجتهين إذا أمكن تحقيقه؟

وعلى أساس ما تقدم ولأن الملا مصطفى البرزاني أبرّ بوعده فأرسل بعد إعلان حركة ٨ شباط برقية تأييد مبكرة^(١)، اصطحبنا جلال الطالباني وفؤاد عارف ضمن الوفد الشعبي والحكومي العراقي للتهنئة بعيد تأسيس الجمهورية العربية المتحدة في ٢٣ شباط ١٩٦٣، وضم الوفد كل الفئات والتيارات الأساسية للمجتمع العراقي.

وفي أول جلسة رسمية مع جمال عبد الناصر قال لنا: إن الطالباني وفؤاد عارف أعربا عن رغبتهما في اللقاء به، وطلب منا أن لا نتورط في حرب أهلية، وأن لا نستعيد عبد الكريم قاسم في أشخاصنا، وأن لا نخضع لتراكمات الماضي، لأن واجباتنا القومية أوسع بكثير من القضية الكردية، وإن حركة القومية العربية بسعتها وشملها بإمكانها أن تستوعب كل مطالب الأقليات القومية الموجودة في الوطن العربي. وأن تجد لمشاكلها حلولاً سلمية. وقال أن الأكراد طلبوا اللقاء بـ منفردين ولم أعطهم جواباً قبل أن أسمع رأيكم. قلنا: لسنا موافقين فقط، بل نرجو أن تفعل ذلك وتستمع إليهم، بنفس الطريقة التي تستمع فيها إلينا بصدرك الواسع المعروف.

١ - أرسل "البارت" إلى مجلس الثورة برقية نصها "إن ضربات الشعب الكردي تلاحت بالثورة المجيدة على العدو اللدود للقوميتين الشقيقتين العربية والكردية وبقيّة الشعب العراقي على الجلاّد الأوحّد لشعبنا الكردي المسلم وعلى أوكار الخيانة المملّطة بعار دماء شهداء الشعب وقواته المسلحة وكوارثهم وويلاتهم". التوقيع: صالح اليوسفي، فؤاد عارف (مستقل).

وكان سلام عادل قبل مقتله بأيام قد كتب رسالة يقول فيها "إن القوميين الأكراد حاربوا قاسم بصورة عمياء، طالبوا العون والمساعدة من أية جهة لإسقاط قاسم، وغازلوا القوميين العرب اليمينيين وتعاونوا معهم، وتصوّروا بأن انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ كما لو كان انتصاراً لهم، إن هذه السياسة تنم عن ضيق الأفق القومي وقصر النظر البورجوازي، إنهم يجاهون الآن عدواً أشرس من قاسم. أن مطامح الشعب الكردي تتعارض مع أهداف الانقلاب على خط مستقيم تماماً". وكانت جريدة نيويورك تايمز قد نشرت مقالاً بقلم دانا شميدت يقول فيها "إن الملا مصطفى البرزاني زعيم الثورة في جبال المنطقة الشمالية يطلب الآن المساعدة الأمريكية بإلحاح وإصرار، وهو يعرض لقاء ذلك الإطاحة برئيس الوزراء العراقي اللواء قاسم وبتحويل العراق إلى أقوى حليف للغرب في الشرق الأوسط"، وقال أن الحكومة الأمريكية أجرت في نهاية ١٩٦٢ مفاوضات سرية مع الحكومة الإيرانية لحملها على تأييد حركة التمرد ومساعدة المتمردين بالأسلحة^[5]، وكان ذلك قد تزامن مع تصاعد المعركة بين قاسم وشركات النفط حول القانون رقم (٨٠). ويذكر أن تفاهم الحركة الكردية مع البعث ومجلس الثورة لم يدم طويلاً، ولا يبدو أن الحكومة كانت تأمن جانب الأكراد، لأن عمّاش بدأ يبحث عن السلاح بكل الوسائل منذ البداية، وكان عذرهُ أن يتمكن من الرد بشدة إذا ما تمرد الأكراد مجدداً، كما أن الحركة الكردية آوت في الجبال الشيوعيين السهاريين من جحيم المطاردات في بغداد وبقيّة المحافظات.

ورجونه أن يحاول إفهام الأكراد أن لا يضغطوا على نظامنا الجديد بمطالب غير معقولة أو تقع خارج قدرتنا على تحقيقها الآن، وإبلاغهم بأننا كقوميين عرب سنكون معهم على دول الخط^(١).

وكان عبد الناصر ينظر للعراق كورقة ضغط على حلف الستة بما في ذلك تركيا وإيران (الشاه) بالذات، وينظر إلى حكومات تلك الدول على أنها عدوة لأمة العربية في تحقيق وحدتها، ولذلك يرغب للعراق أن يكون موحداً، وقد اجتمع مع المبعوثين الكرديين الطالباني وعارف وأبلغنا بضرورة التعامل معهما ومع الملا مصطفى بنفس طويل وحكمة وبعد نظر، وقال: "أنا أرى فيكم أنتم الشباب العرب الثوار نفس ما أراه في جلال الطالباني". وتكونت لدي في الحقيقة نفس الفكرة عن شخصيته ورأيت حجاباً للمعشر، ذكي ومتوقد الذهن، غير معقد من العرب والعروبيين، بالقدر نفسه الذي كان فيه مخلصاً لقضيته القومية.

وما زلت بعد مرور السنوات أرى أن الأمر لم يتغير، فليس هناك تناقض ما بيننا وبإمكان مسعود البرزاني أو جلال الطالباني أن يدافع أي منهما عن القضايا القومية العربية بنفس المستوى الذي يدافع به عن القضية الكردية، وربما بنفس الحماس والمراس والتجربة التي يقوم بها مناضل عربي في الدفاع عن مأساة الشعب الكردي ومعاناته الطويلة.

الاحتكام للقوة مرة أخرى

انتهت المحادثات بين حزب البعث وقيادة الحركة الكردية ممثلة بالحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد نجحنا في إشعار الحركة الكردية برغبتنا كحزب في حل القضية، وأصدرنا قراراً برفع الحصار وعفوا عن السجناء المعتقلين والأكراد. كما وضعنا خطوطاً أساسية لنظام اللامركزية لتكون قاعدة للتفاوض مستقبلاً^(٢).

١ — ويذكر أن محمد حسنين هيكل نشر في "سنوات الغليان" ص ٩٣٣ صورة عن رسالة عبد الناصر إلى المشير عامر في اليمن يقول فيها "قال لي الأكراد بعد أن قابلتهم منفردين، أنهم لا يتقون في أي عود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصياً تطبيق هذه العود، وهم يطالبون بالحكم الذاتي، وقد أوقفوا القتال بعد قيام الثورة، وكان لهم اتصال مع رجال الثورة قبل قيامها، وأخذوا وعوداً والملاحظ أن الحكومة تنهز".

٢ — تضمن إعلان اللامركزية التي ساهم شبيب بشكل أساسي في صياغته: أولاً: الاعتراف بحقوق الأكراد ضمن خطة لا مركزية يتضمنها الدستوران المؤقت والدائم عند وضعهما. ثانياً: العفو العام عن المحكومين والمعتقلين لتعاونهم مع الثورة الكردية. ثالثاً: تغيير الموظفين الإداريين الذين لهم مواقف عدائية تجاه الشعب الكردي في المنطقة اللامركزية. رابعاً: إلغاء جميع الأوامر القاضية بمصادرة ممتلكات الأكراد الذين اشتركوا في الثورة الكردية. خامساً: رفع الحصار الاقتصادي عن كردستان. سادساً: سحب الجيش إلى مواقعه ومقراته السابقة. وأصدرت الحكومة بياناً قالت فيه "لما كان من الأهداف الرئيسية لثورة رمضان إقامة نظام حديث يستند إلى أفضل الأساليب الإدارية والحكومية، ولما أثبت أسلوب اللامركزية أنه مفيد، فإن الثورة إذ تنصرف على أساس المبادئ الثورية التي أعلنت في بلاغها الأول والتي تنص ←

لكن التطورات اللاحقة أظهرت أمرين، أثار أحدهما علي صالح السعدي وهو إيواء الشيوعيين الهاربين من بغداد في كردستان. والثاني: عدم توقف الحملة الإعلامية والسياسية السوفيتية الخارجية المتعاونة مع أعلام الحزب الشيوعي ضد السلطة المركزية في بغداد انطلاقاً من كردستان. وقد تجلّى التعاون بين الشيوعيين والبارت عندما طلبنا من الوفد تقديم مذكرة بالمطالب الكردية للتفاوض عليها وإقرار ما نتوصل إلى اتفاق بشأنه، فقدموا إلينا مطالباً ستؤدي إذا ما أخذنا بها حتماً إلى خلق دولة داخل الدولة. فإن الأسس المبدئية لكيان أية دولة تتجلى في وحدة قواها المسلحة ووحدة سياستها الاقتصادية والخارجية. في حين تضمنت المذكرة الكردية طلباً بتحديد تواجد وتمرينات وإجراءات الجيش العراقي في المنطقة العربية فقط، وأن يحدد تواجد قطعات الجيش وتدريباتها في المنطقة الشمالية بموافقة السلطات الكردية المحلية، حتى لو كان ذلك التواجد بدعوى حماية الحدود العراقية، وذلك يعني وجود سياستين وطنيتين في بلد واحد، ويعني أن الجيش لم يعد مسؤولاً عن حماية الحدود ولا يستطيع أن يهيمن على كامل الأراضي العراقية والدفاع عنها بوجه أي معتد أجنبي. وكان هذا في حال تطبيقه سيسبب شرخاً في بنية الدولة.

أما الشرح الثاني فهو مطالبة الأكراد بتوزيع كافة وظائف ومناصب الدولة بما فيها الخارجية على الأكراد والعرب بما يتناسب مع نسبتهم السكانية، أي يكون لهم ٢٠% من وظائف الدولة بغض النظر عن الأهلية والكفاءة. وعلى سبيل المثال فإنهم لو حصلوا على ما يطالبون به في وزارة الخارجية فستكون لنا سياستان مع الخارج، لأن تبعية الموظفين الأكراد ستكون للحركة الكردية التي ستمسك بدورها في تسميتهم.

الشرح الثالث: طالبوا بحصة من النفط مساوية لنسبتهم السكانية، وقالوا بمذكرتهم إنهم سيتصرفون بالعوائد بحسب ما يرتأون، وبذلك ستكون للعراق سياستان اقتصاديتين، وكان البلد قد جزيء وشطر مسبقاً، وهو أمر ليس مقبولاً أو معقولاً. ومن الأفضل لكردستان أن تستقل عن العراق وتترك الباقي جسماً سليماً. أما إصابته بمرضين: مرض التجزئة ومرض التداخل (دولة داخل دولة، وميليشيا "بيشمركة" موازية للحرس القومي) وذلك شر مستطير.

وللأسف الشديد فافوض الأكراد استناداً إلى أهدافهم البعيدة النهائية ولم يكونوا واقعيين^(١).

على تعزيز الأخوة العربية الكردية، وعلى احترام الحقوق القومية للشعب الكردي والأقليات الإقليمية، فإنها توافق على منح الحقوق القومية للشعب الكردي على أساس اللامركزية، وأن ينص على هذا في الدستورين المؤقت والدائم عند إعلانهما، وستشكل لجنة لتضع الخطوط العريضة للامركزية [7]. وعندما شكلت اللجنة، فيما بعد، لم يخف الأكراد ترميمهم لعدم وضع أي كردي في عضويتها.

١ — يقول د. محمود عثمان "لم تكن تتوقع من حزب البعث حينذاك أن يعترف بالحقوق الكردية الأساسية كما نريدها نحن. إلا أن الحرب مع قاسم أنهكت الشعب الكردي، وكان الناس بحاجة إلى فرصة وهدنة. وفي المقابل كان

←

ولم يفهموا المبادئ الأساسية لكيان الدولة الموحدة. فقلنا لهم إذا كنتم تريدون الاستقلال يمكنكم طرحه وعلينا مناقشته، أما أنكم تطرحون مطالب ليس بينها الاستقلال لكنها تؤدي إلى انقسام الدولة وتحول العراق إلى كيان مريض فهو أمر لا نقبل به.

ولذلك لم يكن هناك مجال للرد على مذكرتهم ولا مخالفتها، واكتفينا بعدم قبولها. وقد اعترف لنا المفاوضون الأكراد في نهاية الأمر أن مطالبهم لم تكن تصلح كقاعدة واقعية للتفاهم^(١). وحينها لم نكن

البعث أيضاً بحاجة إلى مثل تلك المدينة لكونه ضعيفاً، وجاء إلى الحكم حديثاً. ولم تجد القيادة الكردية ضرراً من إجراء محادثات معه وإعطاء فرصة السلام بدل الحرب التي استمرت منذ عام ١٩٦٠. وحينذاك كانت علاقتنا (البارت) مع الشيوعيين متوترة بسبب مساندتهم لقاسم حتى لحظة سقوطه، ولوجود خلافات شديدة بين الرزاني ومكتبه السياسي ولانعدام الوحدة داخل القيادة الكردية جعلنا في حاجة للهدنة والوقت للمراجعة والترتيب..".

ويضيف د. عثمان "لم تكن مفاوضات البعث معنا جدية، إنما خطوة تكتيكية لكسب الوقت والاستعداد، قبل شن أشرس حرب واجهها الشعب الكردي، فالبعثيون كانوا مقتنعين أن قاسم لم يُدرِ الحرب بجديّة. وحينها عانينا من التبعيض والتهجير وحرق القرى، ولم نلمس على أرض الواقع أية إيجابيات، وكانت فترة حكمهم القصيرة سلبية لنا والحزب البعث ولشعب العراق وللحركة التحررية العربية، وكنت أود لو أن سلطة صدام حسين استفادت من التجربة السالفة ولكن ذلك لم يحصل.."[8]، ويقول الأستاذ شمس الدين المفتي إن المذكرة الكردية التي رفضتها حكومة ٨ شباط ١٩٦٣ لم يكن فيها ما يُرفض، فقد عرضت مطالب بسيطة، تم شرحها من قبل جلال الطالباني وتضمنت "مطالب بتحويل البشمركة إلى شرطة حدود لتأهيلها والاستفادة منها. وتدريب جنود الخدمة الإلزامية الأكراد في المناطق الكردية وليس بمناطق بعيدة كالبعصرة والناصرية. وبتثبيت مسبق للمناطق التي ستجري فيها فرضيات وتدريبات الجيش وإعلام القيادة الكردية بزمان حصونها، حتى لا تتحول إلى وسيلة للتوتر أو المناورة واحتلال جديد للمنطقة الكردية، إذ أن الجيش اعتاد قبل هجماته التلذذ بفرضيات تدريبية. ولم تتضمن المذكرة أي شيء حول تحويل البشمركة إلى جيش يحمل محل جيش الدولة"[9]. ويذكر أن المطالب المذكورة أقرها مؤتمر البارت المنعقد في آذار ١٩٦٣ بكويسنجق، وفي مقابلها أنجزت السلطة وثيقة اللامركزية في ١٩٦٣/٦/١ أي قبل أيام من تجدد القتال، ويمكن حول هذا الأمر مراجعة ش. ج. أشيريان، الحركة الوطنية الكردستانية في كردستان العراق، بيروت ١٩٧٥، وتقول بعض المصادر أن الأكراد طالبوا في مصر خلال محادثات الوحدة في ٧ نيسان ١٩٦٣ بمطالب ذات طابع سياسي وإقليمي وعسكري ومالي في حالة قيام وحدة عربية سورية عراقية ومصرية. واعتبرتها الحكومة العراقية تعجيزية وتخدم مصالح الدول الأجنبية.

١ — بعد رفض البعث المذكرة الكردية توترت الأجواء وارتسمت مؤشرات الحرب في الأفق، رغم أن المفاوضات بذاتها كانت ودية وناجحة، لكن خفايا وعقداً كثيرة عرقلت استمرارها، فسافر الطالباني إلى القاهرة ليشكو عبد الناصر من جهودها، ويطلب وساطته لتحريكها. وبسبب اندلاع القتال لم يعد إلى بغداد بل سافر إلى فرنسا ثم عاد إلى كردستان عبر طهران. أما بقية الوفد الكردي المفاوض، فأوصلته الحكومة إلى كركوك أملاً في السفر إلى السليمانية لتدارس الأمر مع الملا مصطفى ومراجعة أو تغيير بعض المطالب، لكن أوامر صدرت من وزير الدفاع صالح مهدي عماش باعتقالهم وإعادتهم إلى بغداد، وهناك أحضروا للتحقيق وظل اليوسفي يعاني من نتائجها حتى وفاته. وضم الوفد الكردي المنلوض إضافة إلى جلال الطالباني كل من اليوسفي ومسعود محمد، وحبیب محمد كريم، وإحسان شیرازد ن والعميد مصطفى عزيز الذي تعاون فيما بعد مع الحكومة المركزية.

وفور اندلاع القتال قدم الوزيران الكرديان بابا علي وفواد عارف استقاليتهما إلى أحمد حسن البكر بعد أن سعى فواد عارف لرأب الصدع في محاولة أخيرة واتصل بالبكر وطاهر يحيى وطالب شبيب.

←

راغبين بأي تغيير للطاغم المفاوضات لأن تفاهنا على طاولة المفاوضات كان كبيراً وقد نجح جلال الطالباني وحاز على رضانا ورضى الملا مصطفى البرزاني. وهذا كان أسلوبنا معهم قبل الثورة أيضاً فلم تكن لنا أية قناة أخرى رسمية للاتصال بهم غير قناة (السعدي - اليوسفي) ولم نسع لتجاوز أو إزعاج البرزاني بالاتصال بغيره، حتى لو كان ذلك الغير هو المكتب السياسي، وكنا نعرف أنه رجل ملتزم ولا يحب المناورة والخداع، فضلاً عن أن تعدد القنوات كان سيضر بسرية العمل ويعرضنا لخطر الانكشاف للأجهزة الأمنية القاسية.

أما الأستاذ إبراهيم أحمد، فقد شارك بشكل جاد في المباحثات والاتصالات والمسايع ضمن الوفود التي استمرت جيمة وذهاباً بين مقر البرزاني في "حاج عمران" وبغداد. ولم نكلف طاهر يحيى التكريتي قبل استلام السلطة بالاتصال بإبراهيم أحمد أو البرزاني، ولم يكن يحيى يمتلك مثل هذه الصلاحية ولا القدرة على كتابة سطر واحد (أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء)، ولم ينتسب لحزب البعث إلا قبل أيام معدودة من ٨ شباط، وكان يتصل بأحمد حسن البكر، ولم يحضر أي اجتماع حزبي إلا صباح يوم اندلاع الثورة، قبل تنفيذها بساعات^(١).

ومرة أخرى تجدد الخلافات العربية - الكردية في العراق طريقاً وأسباباً لتصعيدها. ولعل عدم

ويرى الأستاذ شمس الدين المغني أن القيادة الكردية لاحظت ابتعاد الخطين المدني والعسكري لحزب البعث عن بعضهما، خط علي السعدي والقيادة المدنية عن خط عبد السلام عارف وبعض الضباط القوميين كفرحان وصبحي عبد الحميد يسانداهم البكر وعماش ورشيد مصلح وطاهر يحيى وحردان التكريتي، ذلك الخط الذي استخدم لأول مرة سياسة الأرض المحروقة ضد الأكراد العراقيين.

١ - يرى الدكتور محمود عثمان (عضو مكتب سياسي للبارت ومستشار للبرزاني، ومؤسس للحزب الاشتراكي الكردي)، إن هناك اتصالات كثيرة قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ بينها اتصال علي السعدي بصالح اليوسفي، لكن أهم اتصال كان بين البعث والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني وسكرتيره إبراهيم أحمد ع / ط طاهر يحيى التكريتي برسالة نقلها المقدم كريم قرني (كردي). ويضيف: لا أستغرب عدم معرفة الشبيب بذلك لأن الخط العسكري للبعث والضباط القوميين كانوا ناشطين هناك، وقد يكون البكر وعماش يعلمون بذلك الاتصال، أو ربما يكون الأمر قد تم بتكليف خاص من السعدي للبكر ومن البكر ليحيى ويحيى لقرني. لكن المكتب السياسي استلم الرسالة التي تحدثت عن الانقلاب القادم، وهذه حقيقة مؤكدة. ويضيف د. عثمان: "نحن كأكراد كنا نلمس رأياً بعثياً واحداً عسكرياً ومدنياً وكنا نسمع من القيادة المدنية للبعث أن العسكريين ينفلون أوامر قيادتهم الحزبية المدنية، لكنهم يعمدون وينكرون دورهم في قسوة القتال وبعض الممارسات الإجرامية ويتهمون القيادة العسكرية بارتكابها دون علمهم، وفي هذا تناقض" [10]. ويذكر أن علاقة وطيدة ربطت بين البكر ويحيى منذ اشتراكهما بثورة تموز ١٩٥٨ وكلاهما أحيلا على التقاعد، وذهب البكر إلى السجن حيث التقى السعدي الذي نسبه للبعث وكلفه بكسب صداقة الضباط ذوي الرتب الكبيرة، وربما يكون يحيى ذهب للأكراد مكلفاً من البكر. كما كانت هناك لقاءات غير رسمية كثيرة حصلت بين بعثيين وأكراد، مثل ذلك الذي جمع بين ميشيل عفلق وإبراهيم أحمد سكرتير البارت مباشرة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في مقر جريدة الجمهورية البغدادية، وربما يكون عفلق قد التقى هناك بجلال الطالباني الذي كان يعمل محرراً بنفس الجريدة، وحينذاك أعطى عفلق حديثاً للجمهورية نشرته في ١٩٥٨/٨/١ ووعد فيه الأكراد بحرص العرب على حريتهم ونيل التعصب القومي "الذميم" ومستقبل يشهد تحقيق آمانيهم [11].

تفهم الأكراد للعقيدة والفكر القومي البعثي، وعدم استفادتنا من نصيحة عبد الناصر التي كررها على أسماعنا، قد ساعد على ذلك التصعيد. فقد قال عبد الناصر: إن الاستعمار سيخلق لكم مشكلة داخلية وعليكم تفاديها، وإن وحدة العراق تكمن في وحدة جيشه، ويجب أن لا يزج الجيش في حرب أهلية وتلك من الأولويات.

وكنا نتجاوب مع تلك النصيحة وكانت القيادة القومية لحزب البعث قد أكدت نفس الملاحظات. أما رفاقنا البعثيون في الأقطار العربية الأخرى، فرغم عدم تفهمهم للمسألة الكردية كما نفهمها، فقد كانوا حريصين على عدم القتال. لكن ألغاماً بشرية كردية وعربية دفعت بالأمور نحو الاصطدام وزرعت الشكوك خصوصاً في صدق نوايا القومية العربية بشكل عام وحزب البعث بشكل خاص عن الأكراد، فدفعوا الأكراد إلى الظهور بمظهر المحرضين ضدنا حتى في لقاءهم مع جمال عبد الناصر، لكننا تفهمنا ذلك وقدّرنا تأثير وضغط الإعلام الشيوعي والسوفييتي عليهم، وتفهمنا أيضاً أهمية القضية الكردية في خارطة السياسة والمصالح العربية الإقليمية والدولية، واحتمالات استثمارها من قبل قوى أجنبية كبرى لأغراض قد لا تمت بصلة للمصالح الوطنية المحلية. وكنا نرغب أن توضع القضية في مكانها الصحيح على الخارطة العربية، لكن شتان ما بين الرغبة والواقع.

وإذا عدنا لمذكرة المطالب الكردية التي رمت بصورة غير مباشرة إلى إظهار كيان كردي مصطنع سيضر قضيتهم ويعرقلها دون أن يحقق أيّاً من طموحاتهم. وطبيعي أن لا يحقق ذلك للعرب أية مصلحة، ويمنع العراق من إمكانية التحرك السليم ولعب دور مفيد. وهذا ما شرحناه لعبد الناصر كلما تحدث معنا كوسيط أو كطرف، وهو ذاته الذي شرحناه لقواعد الحزب ومنظماته المحلية والقطرية والقومية، كما أرسلنا وفداً إلى كردستان للشرح والتوضيح، ووجهنا الدعوة للملا مصطفى البرزاني لزيارة بغداد، ولكنه لم يأت ولم يرسل أحداً من أبنائه، ولعله على حق في عدم حضوره شخصياً، باعتباره رمزاً وقائداً وحيداً لحركة شعبه وأن سقوطه سيؤدي إلى التشرذم.

وكانت وفودنا للأكراد رسمية وغير رسمية شارك فيها سعاة ووسطاء خير، بينهم علي حيدر سليمان وهو كردي وسفير معروف في الخارجية، وحسين جميل عضو قيادة الوطني الديمقراطي وأحد مؤسسيه، وطاهر يحيى التكريتي رئيس أركان الجيش الذي قيل أن أصوله كردية. وأؤكد لك أن القيادة المدنية للبعث كانت ترغب فعلاً في إقامة سلام مستقر مع الحركة الكردية، ولم تراودنا أية رغبة في الانتصار عليها ولّي ذراعها.

كنا نستلم شكاوى يومية من صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية في وزارة الدفاع، ومن قائد الفرقة الأولى عبد الكريم فرحان، ومن كافة الضباط والإداريين والمتصرفين

العاملين في المدن الكردية^(١). وشمل التخريب والتجاوزات كل شيء، حتى الأديرة جُرب المسلحون البيشمركة دخولها وسرقة النبيذ المعتق منها.. والله أعلم!! والطريف أن الشكاوى الواردة ضد البيشمركة كانت مطابقة شكلاً ومضموناً لتلك الواردة إلينا من وسط وجنوب العراق ومن أنحاء مختلفة من بغداد وتشتكي من ممارسات الحرس القومي وسلوكهم.

وازدادت الشكاوى من البيشمركة مباشرة بعد أن بدأت منظمات حزب البعث تؤسس مقرات رسمية لها داخل مدن كركوك والسليمانية واربيل، لتخلق بؤراً جديدة يدور حولها وبسببها الصراع بين منظمات البارت والحزب الشيوعي من جهة ومنظمات البعث التي تبحث عن مواطني تثبت فيها أقدامها. ورغم عدم ذكاء فكرة إنشاء منظمات بعثية تضم أكراداً وتركماناً وعرباً داخل المدن الكردية، لم تفكر القيادة القطرية إطلاقاً بإنشاء حزب كردي مواز للحزب الديمقراطي الكردستاني ومؤيد للسلطة، بل كان قرارنا الحقيقي هو طلب اعترافهم بسيادة حكومتنا على جميع الأراضي العراقية ولنلتزم نحن بحرية الشعب الكردي في اختيار منظمته والسير في مفاوضات هدفها اتفاق عادل يحمي ويدعم السلام.

لكن تجاوزات مزعجة وغير محدودة حصلت من قواعدا الحزبية ومن البيشمركة ومن بعض الضباط أدت إلى خلق أجواء من عدم الثقة، وكنا نحرص على إبلاغ القيادة الكردية بما يصلنا من شكاوى ونسلمها إلى صالح اليوسفي وإبراهيم أحمد أو جلال الطالباني الذي كان موجوداً عند تصاعد الأزمة في "حاج عمران" مع الملا مصطفى. وأبلغتنا القيادة العسكرية الميدانية بأن الجيش أصبح أمام خيارين: إما أن يسحب القوات من كردستان كلها أو نفقد التحكم العسكري بها.

وضعنا هذا الخيار أمام المجلس الوطني لقيادة الثورة وناقشنا تقويم الوضع العسكري هناك، فطرح اقتراحان، الأول: أن يبدأ الجيش بعملية عسكرية لصعد الاعتداءات واستعادة السيطرة الأمنية. والثاني: والذي انحاز إليه أغلبية العسكريين ويرى أن يشن الجيش عملية واسعة هدفها إحراز النصر التام كي يستعيد الجيش معنوياته المفقودة، ورأوا أن إنجاز النصر مهمة قابلة للتحقيق في فترة وجيزة جداً، واحتجوا بأن عبد الكريم قاسم لم يكن يقاتل الأكراد بجديّة.

واستمعنا إلى ضباط بعثيين، وقوميين، يتحدثون بصوت واحد ويقفون وراء العمل العسكري

١ - في هذا السياق أخبرنا كثيرون من الأخوة الأكراد بأن المدن الكردية الكبرى كانت في عام ١٩٦٣ في يد قوات الحرس القومي وأجهزة الدولة المركزية، وخالية من البيشمركة. كما أن عدداً من المواطنين المحليين من شتى القوميات انضموا إلى الحرس القومي، وباسمه تمت الاعتقالات والمتابعات. ولم تحصل شكاوى من أعمال سيئة ضد البيشمركة إلا في عام ١٩٦٤ واشتدت في عام ١٩٦٦ حتى ١٩٧٠ وذلك رافق أعمال الانشقاق عن حركة الملا مصطفى البرزاني الذي قاده جلال الطالباني حينذاك حصلت أعمال وخروقات ضد حقوق الإنسان وفتحت بعض منظمات البيشمركة معتقلات خاصة خارج المدن وفي الجبال.

الشامل، وكان أكثرهم حماساً عبد السلام عارف الذي حَضَّ على القضاء التام على الحركة الكردية وإخضاع المنطقة لهيمنة الدولة المركزية بنفس الحماس والتحريض على محاربة وضرب الشيوعيين وتصفيتهم نهائياً. وكان هو وعدد من أعضاء مجلس الثورة مستعدين للموافقة على أي قرار وعلى وضع جميع طاقات البلاد تحت تصرف القيادة العسكرية الميدانية ومديرية الحركات في شمال العراق. وإذا كنت أتذكر جيداً فإن الضابط الوحيد الذي وقف نفس موقف القيادة المدنية هو منذر الوندأوي.

سؤال: هل كان عبد السلام عارف وبقية الضباط سيوافقون مثلاً على قرارات تصل إلى حد الإبادة؟

طالب الشبيب: ليس إلى هذا الحد، فقرارات الإبادة التي تشمل المدنيين لم تمر بأذهان القيادات السياسية أو العسكرية، فقد كانت أهدافهم تدور حول الاستحواذ على السلطة ومنع غيرهم من المنافسة، ومن أجل ذلك يستخدمون كل الوسائل في ملاحقة وتصفية الخصوم والمنافسين أحزاباً وأفراداً. ولم تُتخذ قرارات الإبادة الجماعية في العراق إلا في عهد حكومة صدام حسين. أما ما جرى في ١٩٦٣ فقد أسند إلى ميررات وتقديرات القيادة العسكرية. وأعترف أننا لم نستشر القيادة القومية ولا حكومتي مصر وسوريا ولا أية جهة إقليمية أو دولية. وافترضنا أن الجميع سيعلمون بعد أن نجعلهم أمام الأمر الواقع مع إيضاح كامل بالدوافع والأسباب. ولا أخفيك فإن العسكريين صوّروا لنا وكأن المعركة ستكون جولة سريعة، فدقوا طبول الحرب ومعزوفات النصر مبكراً جداً.

ومع قرار الحرب قررنا في مجلس الثورة، أولاً: الإعلان رسمياً وبقانون عن بدء العمليات العسكرية، فخالقنا بذلك طريقة عبد الكريم قاسم الذي باشر عملياته العسكرية دون الإعلان عنها رسمياً. وثانياً: الإعلان بدقة عن سير العمليات العسكرية لتبتعد عن المبالغات وتكون تقاريرنا صحيحة على شكل بلاغ يومي رسمي صادر من مديرية الحركات العسكرية بوزارة الدفاع.

فوجدنا عند التصويت على بدء العمليات العسكرية بصالح مهدي عماش يصوت ضدها وعندما سألناه قال أنه يطالب بتأجيلها ريثما يتمكن من توفير السلاح الكافي. وصوت ضدها أيضاً علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب ومحسن الشيخ راضي وأثنان أو ثلاثة آخرون. فعُلقت بصوت عال قائلاً: أية دولة غربية وفاقدة للعقلانية هذه التي يصوت وزراء خارجيتها ودفاعها وداخليتها ونائب رئيس وزرائها وأبرز شخصية حزبية فيها ضد الحركات العسكرية، ورغم ذلك تقرر المضي في شن الحرب.

ومازلت كلما راجعت نفسي أشعر بأن قرار بدء العمليات الحزبية كان ميبّئاً، وأشك بشدة.

بسلوك صالح مهدي عماش، رغم تصويته معنا ضد بدء العمليات، فقد علمت أنه بدأ وقبل حضوره الاجتماع بالاتصالات مع الملحقين العسكريين الإيراني والتركي وبحث الأمر معهما. ثم طلب مني فوراً بعد انتهاء الاجتماع استدعاء سفيرتي البلدين لتوثيق أمر إبلاغهما ببدء العمليات الحربية رسمياً، وكان إطلاق النار قد بدأ فعلاً، وكل تلك التطورات المتتابعة كانت أشبه بحلقات في سلسلة لا يمكن تواليها دون إعداد مسبق.

استدعيت السفيرين فاجابا: نحن نعلم بما يجري ونشكركم على إبلاغنا، وسنعين خبراء عسكريين لإقامة لجنة اتصالات وعمليات مشتركة بين البلدان الثلاثة للحد من التسلسل وتهريب الأسلحة ولجوء المقاتلين. وإن الأمر هو الآن قيد البحث مع وزارة الدفاع العراقية. وأبلغوني تأييدهم وحماستهم لقرارات الحكومة العراقية. وبالفعل تشكلت هيئة تنسيق مشتركة إيرانية تركية عراقية يرأسها صبحي عبد الحميد ويرعاها وزير الدفاع صالح مهدي عماش^(١).

الموقف الخارجي ومصادر التسليح

تباطأ السوفييت في تسليم صفقات الأسلحة المتأخرة، وكان عماش قد تحدث مع جمال عبد الناصر في إحدى الخلوات الشخصية لتجهيزنا من المعامل المصرية بعتاد وقذائف مدفعية يفتقدها العراق، فضلاً عن تنفيذ طلبات بعشرات آلاف القطع من رشاشات بورسعيد. وتم تجهيزنا بكل ما طلبنا.

وأعلن الآن بأسف شديد بأني أفصح عن هذه الصفقات السرية في عام ١٩٦٤ عندما كنت منفياً في القاهرة إلى السيد شوكت عقراوي الذي عاتب بدوره الرئيس جمال عبد الناصر،

١ — في منطقة بابشتيان قرب كلي علي بيك باتجاه سهل ديانا، كان يوجد لواء عسكري استضاف خلال اندلاع القتال ضابطين كل منهما برتبة عقيد، أحدهما إيراني والآخر تركي ومعهما مرافقة فنية تحمل أجهزة لاسلكي وتصوير وإنصات. ويتذكر الأكراد لحد الآن اسمي الضابطين، كما حلقت طائرات إيرانية وتركية للتنسيق مع ضباط الارتباط وبدورهم يتشاورون مع قيادة الحركات [12]. ويرى عدد كبير من الأكراد بأن وزارة الدفاع التي لم تبلغ مصر وسوريا مسبقاً بأمر القتال كانت قد بحثت أمره مع تركيا وإيران، الدولتين اللتين يشك قادمهما بوجود ميول يسارية وشيوعية لدى الحركة الكردية، رغم أن الملا مصطفى لم يكن حتى ذلك الحين متورطاً بأية التزامات مع الدولة السوفيتية أو الأمريكية، لكنه لم ينف بعض التأثيرات الدولية، ولا أحد يعرف كيف جرت الأمور وتطورت بعد اشتداد القتال؟ وربما تكون التأثيرات قد تسلسلت تحت ضغط الحاجة والحرائق. ويقول شمس الدين المفي^[13]. إن ضابط استخبارات أمريكياً تواجد في مدينة خانة الكردية الإيرانية وضابطاً آخر في قصر شيرين داخل الحدود الإيرانية لمراقبة الأتراك والإيرانيين إذا كانوا جادين في منع تسلل الأكراد خلال القتال. واحتجت القيادة الكردية لدى سفارتي أمريكا في أنقرة وطهران، لكن الاحتجاج رفض ولم يتم استقبال المبعوثين الأكراد. وعندما حاول قياديون مثل جلال الطالباني والمفي الاتصال بالسفارات الأمريكية في أوروبا تحدثوا معهم بصفة غير رسمية وغالباً ما يخرج أحد موظفي السفارات للقاء الطالباني أو غيره خارجها، في مطعم أو مقهى حتى لا يقال عن اللقاء أنه رسمي.

الأمر الذي أظهر مصر وكأنها بمنطق مزدوج. وعندما سأله عبد الناصر عن مصدر معلوماته قال أنه طالب.

لقد كنت أدافع حينها عن موقف الحزب، وأردت من عقراوي أن يفهم بأن الحرب لم تكن قراراً بعثياً فقط وإنما ساندته فيه إخوانه العرب، وقلت له : لم تكن قراراتنا شخصية أو اعتبارية... .

وبعد أيام عاتب جمال عبد الناصر، رجب عبد الحميد سفير العراق بمصر قائلاً : لم أكن أتصور أن طالب سيكشف مثل هذا الأمر.

سؤال: وماذا عن التسليح الكردي ؟

طالب شبيب: بعض السلاح الكردي يأتي من الدول الاشتراكية ومن إيران وتركيا، وبعضه الآخر سُلّم لهم في عهد عبد الكريم قاسم، وبشكل عام كانت أسلحتهم خفيفة تناسب حرب العصابات الجبلية، لكنها تفتقد إلى مقومات القتال الواسع النطاق، فلم يكن لديهم المدفعية الثقيلة أو مدفعية مضادة للطائرات، ولم تتمكن الحركة الكردية من سد هذا القصور إلا عندما زودهم بها شاه إيران بعد عام ١٩٦٨ خلال إعلان حكومة (البكر — صدام — عماش) الحرب عليهم، وبحصولهم على المدفعية أجبروا الحكومة المركزية ممثلة بشخص صدام حسين على السفر إلى الجزائر والتوقيع مع شاه إيران "اتفاقية الجزائر" التي جلبت للأكراد الخراب وللعراق وإيران فيما بعد الكثير من الكوارث.

ولا بد أن أذكر أن القيادتين العراقية والسورية لحزب البعث لم تكونا ميساليتين للحرب، لكنهما وبعد أن صار القتال أمراً واقعاً اضطررتا للدعم والتأييد وأرسلت سورية لواء عسكرياً بقيادة العقيد فهد الشاعر انتشر فوراً في قطاع هدينان في محافظة دهوك، ولم يكن هذا اللواء مبلّغاً من قيادته إلا بمساندة الجيش العراقي عسكرياً ومعنوياً خلال القتال في شمال العراق بعيداً عن العاصمة بحوالي ٥٠٠ كيلو متر. ولو كانت له مهمات سياسية كما قال الفكيكي في كتابه لذهب إلى بغداد أو اقترب منها، ولم تكن محاولة الفكيكي إلا نوعاً من محاولة تحميل ذنوبنا على الغير، فقد كان فينا من أسباب ذاتية للفوضى والخلاف ما يكفي ويزيد.

وقفت حكومة الولايات المتحدة ضد القتال، وكذلك الاتحاد السوفياتي، وتحفظت الحكومة البريطانية وتحملت إيران وتركيا. أما ما قيل عن اتصالنا بحلف الستة فهو أمر غير صحيح ومستحيل، لأننا لم نكن بحاجة لإحيائه ولم يكن الإيرانيون والأتراك يرغبون بذلك، لأن التنسيق القائم بيننا يؤدي عملياً نفس الهدف دون العودة إلى اسم لا يحبه شعبنا ولا نرغب به. وأعتقد أن توزيع اتهامات مجانية أمر يعود إلى مرحلة نزقة وغير متعلقة سابقة.

كانت "اللامركزية" عهداً بعثياً

سؤال: هل صحيح أن عبد الكريم قاسم قاتل الأكراد بعدم جدية رغم تماسك الجيش تحت قيادته؟

طالب شبيب: لا ، أنا أرى أن الجيش العراقي بشكل عام يرفض القتال في كردستان العراق، فليس هناك في قلب أي عراقي عربي رغبة في أن يذهب بعيداً عن أهله وجواره لقتل أخيه الكردي. وخير مثال التجربة العملية التي حصلت صبيحة ١٤ رمضان ١٩٦٣ عندما قطعنا الطريق على الفوج الثاني الموجه إلى كردستان، فاستطاع البكر بسهولة إقناع أمره بترك مهمته والانضمام لنا، ولاحظت فرح الضباط والجنود بهذه النتيجة التي تجنبهم الحرب داخل أراضي عراقية. وقد لعب ذلك الفوج يوم الثورة دوراً مهماً جداً في حماية الثورة في الإذاعة وسأهم بجميع الفعاليات رغم أن قيادته ليست بعثية.

وذلك يؤكد أن الشعب العربي في العراق غير متعطش لدماء الأكراد ولا راغب في قتالهم وليس لديه قضية يمكن اعتبارها مشرفة وتبرر سفك الدماء. وكان على الأكراد أن يتفهموا هذا الأمر، ويدركوا أن نفراً سفيهاً أو مشبوهاً يقف وراء تكريس دوافع الحرب، ومن المفضل الخروج من المأزق بنتيجة لا غالب ولا مغلوب بل بحوار جاد بين القوميتين. وإن خير حليف للأكراد هم العرب الذين يعانون نفس المعاناة والتجزئة. وأعتقد أن حزب البعث كان أول حزب يحكم العراق ويعترف للأكراد بحقوق قومية أصبحت فاتحة عهد لتطويع مطالبهم وكفاحهم. وحتى الآن يقاتل أكراد تركيا وإيران لانتزاع مثل الحقوق التي قررناها في عام ١٩٦٣، وحتى حركة صدام حسين على رؤسها لم تستطع التراجع عن ما تقرر من لامركزية وإدارة ذاتية في عهدنا.

ورغم أن عبد الكريم قاسم أعاد القادة الأكراد من المنفى إلى العراق واعترف بأن العرب والأكراد شراكة في الوطن وأثبت ذلك في دستور الجمهورية العراقية، كما سمح بفتح مقرات رسمية ومقر للفرع الخامس للحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد، وأسكن الملا مصطفى في دار صباح بن نوري السعيد... الخ من المكاسب، ولكنه لم يكن يمتلك أية فكرة عن "اللامركزية" والإدارة الذاتية. ولذلك أقول أن اللامركزية كانت عهداً بعثياً. ولم يستطع أحد لحد الآن رغم اختلاف التسميات أن يقدم أفضل مما قدمنا. فقد خلا مشروعنا من توترات العصبية القومية، وقد حصل ذلك لأن البعث كان حزباً سياسياً مناضلاً يتطلع إلى تحقيق أمنية العرب في وحدتهم، ولا يمكنه أن يضطهد أية قومية أخرى مضطهدة ومجزأة. لذلك نزعنا للتعاون مع الأكراد، خصوصاً في العراق حيث يتعايش الشعبان تحت علم واحد ووطن واحد. وبدأننا التحالف فعلياً بعد الاتفاق الذي سبق ٨ شباط ثم استلامنا السلطة وبدأ تعاوننا وشاركنا الأكراد في كل شيء وذهبوا معنا إلى مصر والجزائر واليمن واستقبلهم عبد الناصر وعبد الله

السلال وأحمد بن بيللا، وتصرفنا كأخوة وكان عهداً جديداً مفرحاً قد بدأ بيننا، ولم تشعر بأية روح عدائية. ولكن كان هناك سوء تصرف ولا أبالغ إذا قلت لو حظي الأكراد بقيادة واقعية جامعة، ولو حظي العرب العراقيون بقيادة وطنية منسجمة لما حصل قتال ولا سالت دماء، لأن ما جرى لم يكن قتالاً ضرورياً بل سوء تصرف. فعندما يقرر أربع وزراء في الحكومة عدم القتال وتقرر رغم ذلك أن تقاتل فإنه يعني الكثير من سوء التصرف والكثير من العنجهية وقلّة في إدراك أبعاد الموضوع.

وقد أعدّ مشروع "اللامركزية" ثلاثة أشخاص هم علي السعدي وحازم جواد وأنا "طالب شبيب". ولم يعترف عليه أحد عند عرضه على المجلس والقطرية لإقراره. لاحظت عند قراءته أن بعض أعضاء المجلس لم يفهموا شيئاً مما نقرأ.

ولا أنسى رعاية عبد الناصر لمشروع التفاهم البعثي - الكردي. ومن جانبنا فقد كنا قد ناقشنا مع أنفسنا قبل غيرنا القضية القومية وموقفنا من القوميات المظلومة، وأدركنا بأن وقوفنا ضد القومية الكردية سيعني تناقضاً ضميرياً يستحيل معه بقاء الشخص ثورياً متحمساً. لكن عدم استغلال الحركة الكردية ضد نظامنا الجديد كان هاجسنا الأول ومصدر حساسيتنا، بل كنا مقتنعين بأن أي إصبع سيمتد إلينا لن يمكنه أن يفعل إلا عبر القضية الكردية.

وحينذاك تمكن صالح مهدي عماش بالتعاون مع عدد من الشيوخ تأسيس ما سمي بفرسان صلاح الدين، وهم من المرتزقة الأكراد للمساهمة في الحرب. وكانت مثل تلك الترتيبات تقع ضمن صلاحيات وزارة الدفاع التي يحتاج فيها إلى أخذ موافقة الهيئات الأعلى. وأستطيع القول أن القوات الكردية كانت قبيل تشرين الأول قد دحرت كلياً تقريباً وتراجعت على كل الخطوط، وأكدت ذلك جريدة التايمز اللندنية بافتتاحيتها قائلة أن الحركة الكردية أثبتت فشلها على الصعيدين العسكري والمدني، ولم يكن لها الواقع والوقع الكبير بين الأكراد، ولم تكن فعالة عسكرياً وفقدت قدرتها على الصمود بل عن تحقيق النصر العسكري ضد القوات الحكومية. في حين أظهرت القوات الحكومية قدرة كبيرة وكفاءة عسكرية وتمكنت الحكومة في بغداد من إقامة تعاون عسكري مع حكومات الدول المجاورة. وكاد الأمر يحسم لو دام القتال أسبوعاً آخر أو لو لم يحصل الخلاف الداخلي الذي أدى إلى حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

ولم يكن النجاح العسكري الذي أحرزته القوات المسلحة يعني أننا سننجح في حسم القضية الكردية. لكن التمرد الذي قاده الملا مصطفى البرزاني بحذ ذاته كان على وشك الانتهاء الكامل. وبالنسبة لنا كان مكيدراً ومؤسفاً اعتماد الأكراد باستمرار على جهات أجنبية لدعم كفاحهم السلمي أو المسلح، وذلك بالضبط ما أتاح للحكومات المتعاقبة التغلب عليهم انطلاقاً من ادعاء الدفاع عن الوطن والوطنية العراقية، فتأخذ حريتها في القمع وتغطي ذلك بشعارات وطنية وباتهام الوطنيين والمكافحين بارتباطاتهم مع قوى وحكومات أجنبية. والشئ الوحيد الذي

لاحظته وجلب انتباهي وربما يكون صدى تاريخنا، هو أن الملا مصطفى لم يبعث أحد خاصته إلينا (أبناءه مثلاً)، ولم يكن يتحدث عن القضية الكردية. بمنطق قومي بلي. بمنطق الفقراء المحرومين من حقوقهم. فكانت لغته أقرب إلى لغة دينية، مما جعله يبتعد عنا فكرياً. فقد نظرنا لقضيته على أنها قومية، وهو يتحدث عن إنصاف المساكين. وفي سبيله لم يكن يتحسس الفرق بين لغتين ومفاهمنا، وكنا نشعر أن لغة الطالباني وإبراهيم أحمد أقرب إلى لغتنا. وتلك مشكلة كبيرة لأن البرزاني كان وحده صاحب القرار الأول. وفي أية مفاوضات إذا أردت الوصول إلى نتائج معقولة يجب أن يفهم ويتفهم كل طرف الطرف الآخر، في حين كنا متباعدين وكان الحوار بيننا وبين معسكر البرزاني يشبه حوار الطرشان، وبسببه ربما لم نلتق برجل الحكومة الكردية الأول ولا بأبنائه وحاشيته التي وقفت وراء القرارات في حين تعاملنا مع إبراهيم أحمد الذي نكن له احتراماً وتقديراً خاصاً والطالباني الذي أحببته شخصياً وأتمنى له طول العمر والفكر الثاقب والتقليل من حركته الكثيرة جداً ١١ لكن الاثنين كانا ينطقان في كثير من الأحيان بأحلامهما وقناعتها التي لم تكن بالضرورة مطابقة لما يجري في ذهن البرزاني الكبير.

ولقد دفع الأكراد نتيجة تقلبهم السهل للتحالفات مع الخارج وبسبب شعورهم الطاغبي بأنهم فاقدون لحقوقهم ثمناً باهظاً وخسائر كبيرة لأن التحالف مع جهات أقوى يكلف كثيراً، واختيار الأعداء سهل جداً، في حين تحتاج إلى حكمة سياسية بارعة وباهرة لتكسب صديقاً واحداً.

قاتل عبد الكريم قاسم سياسياً، وقاتلوا فتيماً

قاتل عبد الكريم قاسم ضد الحركة الكردية بمسؤولية سياسي، في حين قاتل عمّاش وعبد الكريم فرحان والعقيلي وطه الشكرجي وإبراهيم فيصل الأنصاري وصبحي عبد الحميد ضد الأكراد، كضباط فنيين يعالجون عدواً شطرنجياً أو مختبرياً، ويختلف الأسلوبان اختلافاً جوهرياً. وأعتقد أن قاسم كان يقاتل الأكراد متألماً، وهو نفس ما شعرنا به أنا وحازم علي السعدي وبقية أعضاء القيادة القطرية المدنيين عندما بدأ القتال الذي صوتنا ضده داخل مجلس الثورة. فقد شعرنا بأن نتيجة لإدراكنا أبعاد القتال سياسياً وقومياً وفكرياً على مستقبل العراق والأمميتين العربية والكردية، وأعتقد أننا قاتلنا وكذلك قاتل عبد الكريم قاسم قتال المضطرين^(١). ويتحمل الجانبان الخطأ فضلاً عن ظروف موضوعية محيطة وتداخلات كثيرة، فلا أعفي الجانب الكردي أو العربي كلياً من حصته في الخطأ. فقد كنا قادرين كقيادة للحزب الحاكم على إسكات الذين

١ — كتب السفير البريطاني في العراق إلى حكومته يقول "إن ضباط الجيش العراقي نظروا باستياء إلى عبد الكريم قاسم بسبب الفشل في قتال الأكراد. وأدرك الجيش أن توجيه قاسم الشخصي للعمليات العسكرية في الشمال هو الذي يلام لهذا" [14].

صوتوا مع الحرب داخل مجلس قيادة الثورة، لو أردنا ذلك. وكان الأكراد من جانبهم يستطيعون إيقاف علاقاتهم مع الخارج، وبذلك يجرمون خصومهم والمستفيدين الحاقدين من مبررات إعلان الحرب البائسة^(١).

وأرى أننا بهذه المناسبة يجب أن نبحث ضميراً عن أسباب استمرار النزاع من أجل وضع اليد على الأسباب والخلل، ولكي نضع أجوبة على الأسئلة التالية: لماذا نتقاتل ونحن الأقرب إلى بعضنا؟ ولماذا نعين الأجنبي على التدخل في شؤون بلادنا؟ ولماذا نتحالف مع جهات نعرف أنها في النهاية ستتحلى عنا؟ ولماذا نستمر في نزاع عسكري نعرف مسبقاً أن أيّاً من الطرفين لا يستطيع فيه إزالة الآخر نهائياً؟

سؤال: نتحدث المعارضة العراقية عن قوى ثلاث تقف باستمرار وراء تأجيج القتال في منطقة الحكم الذاتي الكردية وهي العوامل الدولية الخارجية، وبعض القادة العسكريين الكبار المهيمنين على إدارات الجيش، والمستفيدين وتجار الحرب من الجانبين، فماذا ترى أنت؟

طالب شبيب: أرى أن الدول الكبرى هي أقل الأطراف تأثيراً. فقد تأكدنا أن أسباب الصراعات المنتظمة في العراق تأتي غالباً من الداخل، أو هي داخلية متداخلة مع عوامل إقليمية عربية وغير عربية. وإذا كان للدول الكبرى تدخلات فتتم عن طريق دول مجاورة. وعلى حد علمي ومن خلال عملي كوزير للخارجية حينذاك كان الأمريكيان مستائين من القتال واحتجوا علينا متحججين بأعمال اجتياح بعض الأديرة ومناطق العبادة المسيحية، ولكنهم لم يتقدموا بمذكرات رسمية واكتفوا بالحديث المباشر لأنني نصحتهم وحذرهم بعدم تحويل احتجاجاتهم إلى وثائق رسمية لأننا حينذاك سنعتبرها تدخلاً في شؤون بلادنا الداخلية. ولم نكن نسمح باحتجاجهم الرسمي لكننا نوافق أن نسمع كلامهم بعد رفع الصفة الرسمية عنه، أي في سياق الحوار والدراسة. أما السوفيات، فكان موقفهم عدائياً جداً واستخدموا تلك الحرب للضغط علينا. وكان بعضنا يفهم أنها حرب على شكل لعبة دولية. وأن العراق كان وما زال أغنى وأروع وأكبر وأبشع مسرح للعبة الدول، وما زالت المأساة تتحرك بأسوأ أشكالها على مسرح، ولم يكن علينا أن نساهم في بقائها واستمرارها....

وما زلت أرى، وبسبب ظروف كثيرة تاريخية وحاضرة ومستقبلية، بأن حلفاء الأكراد

١ — يرى د. محمود عثمان إن هناك وسائل وطرقاً كثيرة بديلة عن الصراع المسلح وكان يمكن طرقها للوصول إلى حلول وسلام كردي عربي وطيدي في العراق. وكان يمكن تطوير الفكرة التي وردت في المادة "٣" من الدستور العراقي الموقت الذي أعلنته حكومة عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨ وتقول "إن العراق يتكون من الشراكة العربية الكردية" وهذا مبدأ كان يمكن تطويره بالحوار الطويل الصبور والمفاوضات وإرادة السلام.

الطبيعيين هم العرب، فليس هناك مصلحة إقليمية عربية في أي شيء كردي، فليأخذوا ما يشاءون ونحن ندعمهم بهذا الأمر. وإن الحليف الوحيد الطبيعي لهم في هذه المرحلة هو التيار القومي العربي الذي ربما يتمثل بحكم الواقع والضرورة حالياً بالجمهورية العربية السورية وبمصر، وبحركة المعارضة العراقية وهم جزء أساسي فيها. أما استمرار التحالف من تركيا وبريطانيا وإسرائيل وقوى وأمم أخرى، فهو وهم في وهم، حصلوا مرارته في تجارب عديدة سابقة عادت عليهم بالوبال وكان أبرزها حلفهم مع إيران (الشاه).... فما نأمله هو أن يكون هناك حوار فكري حقيقي عربي كردي.

وما كنا نأمله من الأكراد سابقاً وحالياً هو حوار حقيقي نخرج متفقين وأقوياء. نحن أنصارهم وهم أنصارنا بصورة يمكن معها بناء كيان عراقي قوي^(١). وأقر أن التغيير الأكبر يقع بالدرجة الأولى على عاتق العرب أكثرية السكان وتقع الدولة وأجهزتها بين أيديهم.

وقد أخبرنا الأكراد حينها (عام ١٩٦٣) بكل شيء وعن استعدادنا للذهاب معهم إلى أبعد مدى يتعلق بمستقبلهم بشرط واحد هو أن لا يفكر أحد ببناء دولة داخل الدولة لأن ذلك مدمر

١ — يبدو أن القضية الكردية ستظل لفترة طويلة مثيرة للجدل والمتاعب للعراق والمنطقة الشرق الأوسط، بسبب تعقيداتها وتداخل عوامل داخلية واجتماعية وجغرافية وقبلية وسياسية وغيرها، وخارجية ليست أقل أهمية وخطورة، لذلك فهي مسألة لا تخص الأكراد والعراقيين عموماً بل وكل محيطهم العربي والإقليمي. وأذكر أن وفداً كردياً جاء إلى دمشق بعد فشل مفاوضات الجبهة الكردستانية مع الحكومة العراقية التي تلت انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١، وكان هدف الوفد إيضاح موقف الجبهة الكردستانية إلى القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي والحكومة السورية، وفي سياق ذلك اللقاء مع أطراف المعارضة العراقية. وتشكل الوفد من المرحوم عمر دبابه (قبل وفاته بأيام) وفلك الدين كاكائي وأغزي وشخص رابع، وعلى هامش تلك الزيارة دار بيننا حوار طويل سجلناه قسماً منه على الورق. حول أفضل أسلوب لمستقبل كردي يتحقق بلا حروب، واقترحت عليهم حينها أن يبادروا فوراً لمناقشة عقد ندوة وطنية عراقية لبحث القضية يحضرها مائة أو مائة وخمسون شخصية من قيادات المعارضة المعروفة بنضالها من أجل السلام في كردستان ومن غير المتورطين في النزاع، ومن حقوقيين وأساتذة جامعيين وأدباء وشعراء ومثقفين ومفكرين وعلماء دين ووجهاء من كل الطوائف والأديان والتجمعات السكانية، مع مدعويين عرب ومن الدول الإقليمية. ولا بأس في عقد مثل هذه الندوة الوطنية كل عام إذا تعلق الوصول لتتائج هامة وجذرية. وأفترض أن هكذا ندوة ستخرج بنتائج وتوصيات وأفكار مستقبلية ستعطي السياسيين مجالاً للتعامل عقلياً ومنطقياً مع القضية دون حرج إذ ستحمل الندوة الوطنية مسؤولية النصيحة والموقف، وستجعل من الصعب على المتصدين والمغرضين إتمام التنوع الكبير الذي تضمنه الندوة الوطنية. وسيخفف الحوار الطيب من التوترات العصبية والإثارات الفارغة، ويحمل عملها إرادة التفاهم دون تضيق المصالح القومية والوطنية لأي من الأطراف الداخلة في الحوار، فالندوة غير ملزمة، لكنها تقدم رأياً راجحاً وأقرب إلى السداد.

وأرى أن مثل هذا المشروع يستحق أن يرصد له مبلغ من المال، وسيكون أكثر إفادة للعراق بعربيه وأكراده من آلاف القذائف والأسلحة التي عجزت طوال عشرات السنين من تحقيق الاستقرار أو السلام. فلماذا لا نجرب هذه المرة الاحتكام للمقل والحوار ثم الحوار، فقضايا الحدود والعلاقات بين القوميات داخل الوطن الواحد لا تحل بالقسوة والغلب أو بحزام ضد الإنسانية، بل بالحوار والتفاوض الطويل جداً.

ومستحيل ولا نقبل به. وليس أمامنا جميعاً سوى بناء نظام وطني ديمقراطي قوي ومقبول للطرفين وليس من مصلحة أحد قيام حكومة ضعيفة ومرتبكة. وأعتقد أن هذا يصح اليوم أيضاً وهو أن أي وفاق لا ينجح مستقبلاً إذا لم يضع الديمقراطية محوراً له.

جرائم لم نأذن بها

سؤال: صديق مصطفى عنوان لقضية يتحدث بها أكثر العراقيين الذين عاشوا تلك المرحلة... خصوصاً الأكراد، ويسمون يوم الزعيم صديق " باليوم الأسود" في حياة السليمانية وحصل في ٦ حزيران ١٩٦٣ حينما ارتكب جريمة بشعة، فهل يستطيع ضابط أن يقتل مئات المواطنين الأبرياء دون توجيه رسمي؟

طالب شبيب: لم تكن قادة عسكريين، والأمور العسكرية كانت تعالج من قبل وزارة الدفاع. وتعيين الضباط القادة في مسرح العمليات يتم بالتشاور ما بين أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش إضافة إلى صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية.

وما زلت حتى هذه اللحظة غير متيقن من دقة ما كان يُنقلُ إلينا من معلومات بواسطة وزير الدفاع صالح مهدي عماش عن العمليات العسكرية وعن أعمال التطهير والقمع التي ترافقها.

وأذكر أن الزعيم صديق كان ضابطاً محسوباً على الخط القومي العربي الإنساني المتنور الذي ضم البعث وحزبي العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب اللذين تفرعا عن حزب الاستقلال ذي العقيدة الديمقراطية. وهؤلاء الضباط كانت لهم قوة لا يستهان بها داخل الجيش بعد تصفيته من الضباط القاسمين والشيوعيين وعدد كبير من الضباط المستقلين، وكان وجودهم مؤشراً داخل القطاعات وفي الهيئات العسكرية كالأركان وإدارة العمليات، فضلاً عن التعاطف الذي أبداه عماش مع كل المتحاملين فكانت القضية الكردية مجالاً نفسوا فيها أحقادهم.

ولا أريد أن أذكرك مرة أخرى بأننا كقيادة مدنية لم نرغب بالقتال. ولكننا لم نتدخل في تفاصيل العمليات الفنية، ولا أخفيك فإن كثيرين تعاملوا مع القضية بوجهين، وطمعوا بنصر قريب لكن النتائج أثارنا لنا متاعب اقتصادية وسياسية كبيرة، وبدأ النصر بعيداً بسبب رغبة بعض الضباط وتجار الحرب المحيطين بهم في استمرارها، فقد شكلت الحرب مصدر رزق وارتزاق لهم. فضلاً عن الرواتب الوهمية الكبيرة التي تصرفها الحكومة لمقاتلين وهميين تُدفع بشيوخ عشائر كردية (الجاهش) وهم من المتعاونين مع السلطة والمعاونين تاريخياً لقيادة الحركة الكردية المسلحة، كما تم تجنيد مقاتلين غير نظاميين من عشائر كبيرة كشمر والجبور فيقبض

شيوخها آلاف الرواتب في حين لا يلتحق غير بضع مئات فقط، فكانت الحرب مصدراً للنهب ومرتعاً للحرامية من التجار، وبعض الضباط، يقتلون ويسرقون الدولة ويشعلون الحرائق تحت شعارات قومية ووطنية سامية ١١

وكان بين بدء العمليات العسكرية ونهاية سلطتنا ثلاثة أشهر فقط، ولم تكن تلك المدة كافية كي نتفرغ لوضع حل جذري والقضاء على الفساد المستشري في الجهاز العسكري خصوصاً في مقرات القيادة ووزارة الدفاع والقيادات الميدانية العليا. وأنا شخصياً لم أكتشف ولم أسمع ببعض الجرائم إلا بعد سنين. بما في ذلك مجزرة السليمانية التي سماها الأكراد بيوم السليمانية الأسود، ولا أخجل من القول الآن بأننا كمدنيين ربما آخر من يعلم. لكن ذلك لا يعفيانا من المسؤولية أو المحاسبة، فما حصل كان مؤسفاً وجلب للعراق مآسي كثيرة.

إن ما يتحدث به الأكراد عن معاناتهم من العمليات العسكرية والممارسات القمعية في الستينات لم يكن معروفاً لدينا ولدى أكثر المدنيين من منتسبي الحركات التي تشكل التيار القومي. كما أعترف بأن قتالنا وقاتل عبد العزيز العقيلي في عهد عبد السلام عارف اختلف جذرياً في نوعيته وحجمه عن قتال عبد الكريم قاسم الذي وجه للأكراد ضربات ذات طابع تأديبي ليس أكثر، ولم يخض ضدهم حرباً، وتعود الآن إلى ذاكرتي مصطلحات قاسم التي تؤكد ما ذهبت إليه، فقد سمي الملا مصطفى البرزاني "بناكر الجميل" وغير ذلك، ولكننا والذين حكموا من بعدنا أطرنا القتال بمفاهيم إيديولوجية عنصرية، شجعنا عليها حماس وتوتر العسكريين الكبار الذين أشرفوا على العمليات. ولا أريد الآن أن أذكر أسماءهم، لكن أيديهم ملطخة بالدماء، ويستطيع الباحث التاريخي أن يتعرف عليهم.

حينذاك لم ينصحنا أحد غير القيادة القومية للحزب والرئيس جمال عبد الناصر، هاتان الجهتان كانتا كارهتين للحرب الداخلية وانعكاساتها على الأوضاع السياسية العربية وعلى علاقاتنا الدولية. فالسوريون رغم إرسلهم لواء فهد الشاعر لكنهم استمروا في رفض الحرب وأكدوا أن الحرب هي آخر الوسائل وليس أولها، وكانوا يرفضون أن تدور أغلب معارك البعث مع السوفييت وأنصارهم من الشيوعيين وحلفائهم الأكراد.

مراجع:

- [1] زكي خيري، مذكرات سياسي عراقي مخضرم ، ص ٢٤٧ .
- [2] زكي خيري، م . س . نفس الصفحة .
- [3] زكي خيري ، م . س . نفس الصفحة .
- [4] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، المؤسسة ، ص ٢٦ .
- [5] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط، ص ١٩٢ .
- [6] خليل إبراهيم حسين ، موسوعة ١٤ تموز ، عبد الكريم قاسم، السقوط ، ص ٩٠ .
- [7] جريدة الوقائع العراقية، عدد ٧٨١ تاريخ ١٧/٣/١٩٦٣ عن كتاب د. فاضل البراك، مصطفى البرزاني — الأسطورة والحقيقة. مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٢٨٧ .
- [8] د. محمود عثمان، رسالة شخصية إلى د. علي كريم سعيد بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٩٥ .
- [9] شمس الدين المفتي، مقابلة في دمشق ١٩٩٦ .
- [10] د. محمود عثمان، رسالة شخصية للدكتور علي كريم سعيد في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩٥ .
- [11] د. فاضل البراك، مصطفى البرزان، م . س .
- [12] شمس الدين المفتي، مقابلة بدمشق ١٩٩٦ .
- [13] شمس الدين المفتي، مقابلة بدمشق ١٩٩٦ .
- [14] د. حامد البياضي، أسرار انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، في الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافد، لندن ١٩٩٦ ، ص ١٦ .
- [15] د. محمود عثمان، ندوة القدس في لندن بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٩٨ التي أقامتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان في لندن.

الملف الامني

سؤال : وجهت اليكم تهم كثيرة، كشخص وكفريق عمل، يشكك بعضها في نوع الارتباطات في الخارج على مستوى العلاقة بمصر او الغرب والولايات المتحدة. ويخص بعضها الآخر فترة ممارسة السلطة في ١٩٦٣ وبمناوين محددة مثل تهريب الدبابة السوفيتية المتطورة وقصة محمد المهداوي ومقولة علي صالح السعدي المزعومة حول القطار الذي ماكنته امريكية، وقضية ايليا زغيب، فهل يمكن إستجلاء بعض الغوامض المستعصية والتي يحلو لكثيرين التحدث عنها وكأنها حقائق بيّنة او اسرار دفيئة ؟

طالب حسين الشبيب : عشت فترة طويلة خارج العراق، خلال دراستي في بريطانيا وعندما عملت وزيراً للخارجية وسفيراً للجامعة العربية في لندن ونيويورك وديلوماسياً في عواصم مختلفة، ومنفياً بعد ١٤ رمضان في بيروت والقاهرة، ومنذ سنين وأنا مقيم او قل إن شئت لاجيء سياسي خارج البلاد. وذلك اتاح لي احتكاكاً كثيراً، ومعرفة عدد من السياسيين المرموقين الرسميين وغير الرسميين، خصوصاً الاشخاص المتخصصين في شؤون الشرق الاوسط والمنطقة العربية. وهذا امر طبيعي يحصل لكل شخص يشغل نفس المراكز التي شغلتها.

وبسبب عدم نضج بعض السياسيين وبجانية المتطرفين المنحدرين من اليمين او من اليسار، إنتشرت مفاهيم جاهلة ترى في كل قائد سياسي كان مقيماً او منتدباً او دارساً في امريكا امريكياً وفي فرنسا فرنسياً وفي انكلترا انكليزياً وفي روسيا شيوعياً. ورغم التبسيطية الغريبة في تلك الاتهامات إلا أني اعترف بأنها تختذب البعض فيتداولونها.

وسأحاول إلقاء الضوء، بمحدود الممكن، على بعض ما ذكرت لتوضيح ما ارادوا جعله ألغازاً. وسأبدأ من ايليا زغيب الذي كان استاذاً في الجامعة الامريكية في بيروت.

ايليا زغيب، كتب عنه هاني ما سمعه من الآخرين

استاذ في الجامعة الامريكية، من اصل سوري او لبناني (لا ادري)، امريكي الجنسية. لم أكن

اعلم انه صديق لميشيل عفلق قبل ان يقدمه لي في ١٩٥٩ رفيقي وزميلي في عضوية القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي فيصل حبيب الخيزران المقيم في بيروت قائلاً : ان الاستاذ اديب الجادر قد عرفه على أنه استاذ في الجامعة الامريكية متخصص ومهتم بمشاكل المنطقة.

ولدى لقائي به، وجدته مثقفاً جيد الاطلاع على الشؤون العربية وشؤون العراق ومشكلاته، ويجتهد في جعل آرائه متعاطفة مع إطروحات حزب البعث. وكان الرجل كريماً ومضيافاً ويتصرف برقة ولطف، وهي خصال شجعت على إقامة واستمرار علاقة صداقة طيبة معه، خصوصاً وأنه كان يقيم لنا الدعوات الجميلة المبهجة في كل مرة يأتي فيها الاستاذ اديب الجادر إلى بيروت. في حين ينقل لنا اديب اخبار ومستجدات اوضاع العراق، ويجتمع مع ميشيل عفلق فتثار بيننا المناقشات والتوقعات، ويحصل بعض ذلك على مائدة زغيب.

كنا انا واديب الجادر نتهاشم ونلمح لبعضنا بشكوك حول احتمال ان تكون للرجل علاقة بحكومة الولايات المتحدة الامريكية، بل وصلنا إلى قناعة بأنه لا يمكن ان يكون بعيداً عن ذلك. ونظرنا إلى هذا الامر على انه مفروغ منه، دون ان يكون لدينا أي دليل. وكانت اجواء السياسة والثقافة والادب ومحافلها في بيروت حينذاك حافلة بسياسيين عرب من مختلف الجنسيات، وبسماسرة سياسيين من كل الاصناف. ولم يكن وجود شخص مثل إيليا زغيب وسط تلك الاجواء غريباً. لكن الذي اثار إستيائنا واستغرابنا فيما بعد. واعترضنا عليه بشدة، ولم نكن لنرضى به في أي حال، هو انه وبعد إستقالة الوزراء البعثيين من حكومة العربية المتحدة (البيطار والخوراني وقنوت وحمدون) وردت انباء من دمشق أفادت ان رجال عبد الحميد السراج والمكتب الثاني اللبناني يستهدفون الآن الاستاذ ميشيل عفلق. فطلبنا إليه نحن اعضاء القيادة القومية للحزب المتواجدين في بيروت ان يغير مسكنه، وعرضنا عليه ان ينتقل إلى واحدة من بيوتنا فأعترض قائلاً : ان بيوتكم جميعها معروفة للمكتب الثاني اللبناني. وانه "ميشيل عفلق" سيدبر الامر بمعرفته. وكما كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا انه يسكن او يختفي في دار إيليا زغيب في جبل لبنان، وكما اظن بمنطقة "برمانا".

لم يكن هذا التصرف يناسب شخصية ميشيل عفلق ومكانته التي يستمدّها من تعاضم قوة وتأثير حزب البعث العربي الاشتراكي على الساحة السياسية العربية، فيسكن بدار موظف في مؤسسة ثقافية امريكية تدور حولها اقاويل كثيرة بين الاوساط السياسية والشعبية العربية.

قضى عفلق في دار زغيب اسبوعين ثم تركها بعد ان ابلاغه بالمعلومات الجديدة التي تؤكد ان الامر مبالغ به ولا يتطلب الاختفاء. وبالامكان ضمان امنه بشكل معقول بتوفير منزل جيد وجديد له.

ومنذ ذلك الحين لم التّق بأيليا زغيب، إلا مرة واحدة، بعد اسبوع واحد تقريباً من نجاح

ثورة ١٤ رمضان، إذ جاء إلى مقرّي في وزارة الخارجية مهتئاً. وبسبب كثرة المواعيد والارتباطات السابقة الملحة، لم تدم مقابليّ له أكثر من عشر دقائق، علمت منه انه يعمل استاذاً في جامعة بغداد عن طريق عقد توظيف خاص وقعه مع رئاسة جامعة بغداد ووزارة التعليم العالي قبل ٨ شباط ١٩٦٣، أي في عهد عبد الكريم قاسم. وسمعت فيما بعد انه استمر بوظيفته كمحاضر في جامعة بغداد طوال فترة حكم الحزب، وواصل عمله بعد سقوط حكومتنا في ١٨ تشرين الثاني سنة كاملة على الأقل.

اما الاشاعة التي حاول بعضهم تسريها مؤخراً، بأن محاولة جرت لتفريب الدكتور إيليا زغيب أو إبعاده عن عمله الجامعي إلى خارج العراق مباشرة بعد ٨ شباط ٦٣، فهو امر لم يحصل إطلاقاً وليس صحيحاً ما قيل بأن القيادة القطرية للبعث في العراق قد استخدمته كصلة إرتباط بينها وبين القيادة القومية اوميشيل عفلق في بيروت في مرحلة معينة من الاعداد للثورة. ومثل هذا الامر غير ممكن حزبياً إطلاقاً وتمنعه اللوائح والاعراف الداخلية الحزبية، وعار عن الصحة، إذ لم يكن بالامكان من الناحية الحزبية إطلاقاً تكليف أي شخص من خارج نسج الحزب بمثل هذه المهمة.

ويمكن التأكد من حقيقة ما اقول بسهولة، بالعودة إلى الملفات الحكومية العراقية وإلى سجلات الاساتذة الاجانب المتعاقدين في ديوان جامعة بغداد او وزارة التعليم العالي، لمعرفة متى باشر زغيب عمله ومتى ألغى عقده او إستقال وغادر العراق.

وبدوري اقول لك وانا متأكد تماماً وإطلاقاً، بأن موضوع إيليا زغيب لم يجر بحثه بعد وصولنا إلى السلطة، ولم أر أو اعرف شيئاً عن ملفه الذي قال هاني الفكيكي انه وعلي صالح السعدي وآخرون وجدوه فوق مكتب عبد الكريم قاسم. كما ان هاني وعلي لم يحدثاني عن هذا الامر. ولم يمر ذكر زغيب من ٨ شباط حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، غير زيارة العشر دقائق التي ذكرتها. فلم تسمح ظروف عملي الجديد وتسارع الاحداث اللقاء به مرة اخرى. وحسب علمي اننا لم نجد على مكتب قاسم اية ملفات، بل وجدنا قائمة بأسماء ضباط بعثيين كان عبد الكريم قاسم قد وضعها عند جهاز تلفونه. ولم نطرح لا في القيادة ولا في أي مكان آخر موضوعاً كهذا. وهناك اعضاء قيادة واعضاء مجلس قيادة ثورة ما زالوا احياء يعيشون خارج العراق ويمكن العودة إليهم ليؤكدوا حقيقة ما أقول^(١).

١ — لنلاحظ هنا رواية هاني الفكيكي في "اوكار المزعمة" حول نفس الموضوع :

يقول : في منتصف شباط ١٩٦٣ تشكلت لجنة من المقدم محمد يوسف طه، وجعفر قاسم حمودي والمقدم علي عريم، لجرد محتويات جناح عبد الكريم قاسم فأتصل بنا جعفر ليعلمنا بوجود إضبارة على مكتب قاسم وتخص الدكتور إيليا زغيب، الاستاذ اللبناني المنتدب للتدريس في جامعة بغداد. وكنا قد استخدمنا الدكتور زغيب بتوصية وتركية من ميشيل عفلق والقيادة القومية لسنوات في نقل بعض الرسائل بيننا وبين القيادة القومية. وكان طالب شبيب هو صلة الوصل

سؤال : والآن هل تعتقد ان إيليا زغيب كان جاسوساً ؟

طالب شبيب : أعتقد ان المخابرات المركزية الامريكية لا تضع الفرصة لكسب مثل هذا الشخص. ولكننا عندما كنا في بيروت لم نكن نخاف من جلاسنا. فلم نكن لوجدنا، بل كلنت لنا حصانة وقوة وخلفية نعتمد عليها. وعندما نلتقي بأي شخص في بيروت لا نكون خائفين. ومن اجل ان تتفهم هذا الامر بوضوح اكثر عليك ان تعود بذاكرتك إلى طريقة حزب البعث في الدفاع عن نفسه، وإعتداده وثقته بنفسه وبهمومه القومية الكبرى.

وفي الحقيقة فأنا لا اعرف كيف تعرف اديب الجادر على إيليا زغيب، ليقدمه بدوره إلى فيصل حبيب الخيزران ؟ وهل كان فيصل هو واسطته للتعرف على ميشيل عفلق ام هو اديب ؟ أم أن عفلق يعرفه قبلهما ؟ لكنني اثق بأن اديب الجادر وخير الدين حسيب لا يطالهم الشك، ويحتمل ان يكون زغيب قد ادرك اهميتهما وتنبا بالمستقبل السياسي للشخص الذي تعرف عليهم، وذلك يشمل اديب وحسيب وعفلق وفيصل وانا وربما آخرين. فسعى لتعزير علاقته مستخدماً وسائل اهمها ثقافته ومعرفته الواسعة، والدوق والكرم.

وفي أي بلد في العالم، خصوصاً العالم الثالث، يتقرب اصحاب المصالح ورجال الاعمال والجواسيس والراغبين بإقامة علاقات إستثنائية يتقربون بها من القيايين الفعليين ومن اولئك الذين يؤمل لهم مستقبل سياسي في بلدانهم لدراسة وضعهم ودراسة إمكانية التعاون معهم او تجنيدهم، ويستخدمون لذلك وسائل كلاسيكية واحياناً مبتكرة وغير متوقعة وغالباً ما تنفرد الدول الكبرى بأساليب متعددة ومتغيرة لكثرة ما تحتاج إليه من خدمات خارج حدود بلدانها، وهذا امر ليس بمستغرب.

أرادها دولة جاسوسة ١

اما قصة الدبابة السوفيتية فهي الاخطر والاكثر غموضاً رغم كثرة المتحدثين عنها. بدأ موضوع الدبابة الشهير عندما حصلت إتصالات رسمية بين مديرية الامن العام العراقية ووزارة

به في بغداد. وحين دراستنا للملف وجدناه مليئاً بتقارير مديرية الامن العامة والاستخبارات العسكرية التي تشير إلى علاقة زغيب بوكالة الاستخبارات المركزية الامريكية CIA وتعاونيه مع البعث وتطلب إلى قاسم الموافقة على إعتقاله وإبعاده عن العراق، غير ان قاسم كتب على بعضها امره بإبقائه ومراقبته بدقة. وعلى ضوء ذلك إتصلنا علي السعدي وانا فوراً بطالب شبيب بمكتبه بوزارة الخارجية وعرضنا عليه الامر، واعلمته بعزمنا على إعتقال زغيب. لكنني نصح بالترث وعدم التسرع في تصديق كل ما تدعيه دوائر الامن والاستخبارات، وطلب تأجيل البت في الامر لحين حضوره بسبب اجتماعه حينذاك مع بعض السفراء. في الوقت نفسه إتصلت بدوائر الامن والسفر وطلبت إليها منع زغيب من مغادرة العراق ووضع تحت المراقبة. غير اننا اكتشفنا مساء ذلك اليوم إنه غادر العراق عن طريق الرطبة البري [١].

الدفاع من جهة وممثل رسمي عن المخابرات المركزية الامريكية من جهة اخرى. وحصل الامر إثر تغيب صالح عماش عن لقاء دوري كان يقوم به السبت من كل أسبوع مع مسؤول محطة الـ CIA في السفارة الامريكية ببغداد (بيل ليكلاند) وكانت لقاءاتهما رسمية. فأوعز احمد حسن البكر إلى المقدم جميل صبري البياتي مدير الامن العام حضور اللقاء نيابة عن عماش مع مسؤول المحطة وكان منصبه الرسمي مساعد الملحق العسكري وقدم نفسه للحكومة العراقية بصورة مكشوفة على انه موظف في الـ CIA وهو امر يحصل عندما يرغب الضيف إشعار الدولة المضيفة بحسن النية وبعدم وجود اغراض تأمرية ضدها وهو بنفس الوقت إعلان عن الاستعداد للتعاون. وعلى نفس الاساس والفهم استمر صبري بالالتقاء مع الديبلوماسي الامريكي المذكور بصورة علنية وبمواعيد بروتوكولية محددة سلفاً. وكان عماش باعتباره وزيرا للدفاع منشغلاً بأعداد القوات المسلحة لمواجهة الاكراد، فقرر ان يستفيد من تلك العلاقة، وأوعز إلى جميل صبري ان يطالب الولايات المتحدة بتزويد العراق بأربعين بطارية كبيرة خاصة بالدبابات، لأن الاتحاد السوفيتي رفض او جمد تزويدنا بها. ولم يكن لدينا احتياطي منها وكانت الحركات العسكرية بين الحركة الكردية والجيش قد بدأت.

وافق المسؤول الامني الامريكي على شحن البطاريات المطلوبة بصورة سرية، إستجابة لرغبة صبري وعماش، لكنه طلب مقابل ذلك الحصول على دبابة سوفياتية من نوع T 62 وهي احدث دبابة من نوعها. وكان الغرب يتطلع لمعرفة اسرارها. وحسب ما علمت لم يستطع أي بلد خارج حلف وارشو الحصول عليها غير العراق بسبب الصداقة الاستراتيجية التي ربطت بين عبد الكريم قاسم والاتحاد السوفيتي. ويبدو ان صالح عماش ابلغ جميل صبري موافقته على الصفقة بشرط ان يقوم الامريكان بشحن البطاريات أولاً. وفعلاً وصلت بواسطة طائرة نقل عسكرية امريكية عبر الاجواء التركية وحطت بمطار الحبيانية العسكري، وربما قاعدة الرشيد الجوية، واستلمها الجيش العراقي وادخلها فوراً في الخدمة.

بعدها بدأ الديبلوماسي الامريكي يضغط على جميل صبري لتنفيذ الشق الثاني من الصفقة بتسليمه الدبابة الحديثة والبروتوكول المتعلق بها. آنذاك ادرك صبري انه متورط، ولمس عدم قدرة صالح مهدي عماش على تنفيذ ما وعد به. فذهب إلى احمد حسن البكر وقال له : لقد اوقعنا عماش بمشكلة!!^(١).

١ - يذكر ان جميع مشتريات السلاح بين دول العالم الثالث والمعسكر الاشتراكي والتي يطلق عليها العراقيون اسم "الطلبات الشرقية" يوجد في عقودها دائماً بند ثابت يؤكد على عدم تسرب او تسريب المعلومات والمواصفات الفنية الخاصة بالجبهة المنتجة للأسلحة الواردة. وفي حالة المخالفة يحجب السلاح ونحجب الثقة وينتهي التعاون بصورة تلحق الضرر بأستراتيجية البلاد. وليس السلاح وحده يحمل الاسرار وإنما جواز سفر السلاح او ما يسمى بروتوكول السلاح لا يقل أهمية وخطراً.

عرضت القضية بكاملها على مجلس قيادة الثورة فعبّرت عن انزعاجي الشديد لعدم استشارة وزارة الخارجية بأمر خطير كهذا. وطلبت إقالة عماش من وزارة الدفاع. وقلت : لو حصل وتمت الصفقة لأصبحنا دولة جاسوسة ! ولن يبيعنا احد بعد ذلك السلاح. فنحن نقبل او نتوقع ان يكون بيننا جاسوس مدسوس علينا يعمل لمصلحة دولة اخرى فنستأصله وينتهي الامر. اما ان تصبح دولتنا جاسوسة وتبيع او تفشي اسرار دولة اخرى، بيننا وبينها عقود وعهود إلى دولة ثالثة عدوة لها. فهذا أمر غاية في السوء. وتساءلت مخاطباً المجتمعين : هل يمكن لأمريكا ان تزودنا بالسلاح مستقبلاً، لو كنا قد سلمناها اسراراً عسكرية سوفياتية غاية في الخطورة والاهمية؟ الجواب : لا. لأنها ستوقع اننا سلطة بلا مبادئ، وستظن، وهي على حق في ذلك، اننا سنبيع اسرارها العسكرية للسوفييت فيما إذا تطلب الحاجة أو تبدلت الظروف. وأضفت : ان صفقة عماش - الـ CIA (ليكلاند) لو تمت لدمرت اهم مقومات الدولة العراقية بقطع مصادر تسليحها، وبالتالي تعريض أمنها للخطر بعد فقدان الثقة بها. وان المآزق الذي وقعنا به مزدوج، الاول : مع السوفييت الذين لهم مصادرهم وعيونهم. والثاني مع الأمريكيين، إذ سننكث وعداً إلتزمنا بتنفيذه، بل سنظهر امامهم كالمحتالين الصيانيين والجهلة، مما قد يغضبهم ويترك مضاعفات سلبية على مستقبل علاقتنا معهم والتي كنا نرغب ان تظل جيدة وهادئة. . . (إنتهى كلامي).

وبعد اخذ ورد إقترح البكر اقتراحاً غريباً بقوله : هل يمكن ان نسمح للخبراء الأمريكيين ان يطلعوا إطلاعاً فقط !! على الدبابة داخل الاراضي العراقية؟ وبذلك نتجنب المشكلة !! قلت : هذا مستحيل، إن الخيانة نفسها وبنفس المعنى^(١).

١ — يعكس إقترح احمد حسن البكر نهجاً ثابتاً سارت عليه السلطات العراقية التالية على طول الخط : نهج التواطؤ والمجانبة الوطنية واللامبديّة، كل شيء قابل للمساومة، وقد توارث الانصار ذلك، وسارت عليه مرحلة الحكم الثاني منذ عام ١٩٦٨ وحتى الآن. وسنذكر هنا مثالين فقط، من بين مئات الامثلة التي تؤكد على نهج اللامبديّة : ففي عام ١٩٨٤ تم استدعاء خبراء فرنسيين بواسطة سفارتهم ببغداد للاطلاع على الطائرات السوفيتية مقابل بيعهم طائرات ميراج 2000 وجاء الخبراء وحققوا وإطلعوا على الطائرات السوفيتية في قاعدة المثنى الجوية - خلف مطار بغداد - ومثل الجانب العراقي في الصفقة المشبوهة اللواء هشام عطا عجاج (لاعب كرة قدم دولي سابق)، وحينها اخذ اللواء هشام عطا عجاج البروتوكولات الفنية للطائرات السوفيتية وسافر بها إلى فرنسا. ولم يكن هشام ليفعل ذلك إذا لم تصدر له اوامر من قائد القوة الجوية حميد شعبان التكريتي الذي كان يعمل بالاضافة لواجباته العسكرية مستشاراً لصدام حسين للشؤون الجوية.

المثال الآخر : اخبرنا العميد استخبارات عسكرية (م.س) الذي فرّ من الخدمة لاحقاً إلى اوربا عبر الاردن : في عام ١٩٨٨ تم الاتفاق بين الحكومة الصينية والعراقية - بين اجهزة البلدين - على إرسال احدى الطائرات العراقية المتطورة (روسية الصنع) إلى الصين من اجل تحويل الشفرة الفنية واجهزة الرادار، وابدائها بمنظومة الكترونية صينية الصنع. وقد مثل العراق في تلك الصفقة العميد الجوي الركن حامد السعودي. وتنص الاتفاقية المبرمة مع الاتحاد السوفيتي على وجوب إلتزام الطرف العراقي بعدم إطلاع الدول الاخرى على اسرار الطائرة وبروتوكولها.

وهنا لمعت بذهني فكرة ربما ستنقد الموقف. فطلبت من المجتمعين بمجلس قيادة الثورة ترك المسألة برمتها لي وسأعالجها كوزير للخارجية. فوافقوا فوراً على اقتراحي. وذلك يوضح مدى ثقل الموضوع وضغطه على اذهانهم ورغبتهم بالتخلص منه.

وفي اليوم التالي إستدعيت السفير الأمريكي إلى مكنتي وأخبرته بما جرى. وقلت : ان احد موظفي سفارتكم وهو عضو في الاستخبارات المركزية CIA حاول الحصول على اسرار عسكرية عراقية. وان الدبابة السوفيتية التي اشتريناها اصبحت سراً عراقياً. وما جرى يعتبر عملاً غير ودي وغير مقبول من قبل دولة ما فتت تقول انها صديقة لبلادنا. ولهذا اطلب مغادرة الموظف المسؤول عن هذا الامر خلال ٧٢ ساعة.

إعتذر السفير الأمريكي وقال : هذا الموظف سيغادر كما طلبتم. حينها أخبرته عن استعدادنا لدفع ثمن بطاريات الدبابات التي استخدمها الجيش العراقي. لكن السفير اهل المطالبة بقيمة الصفقة، ربما لانها لم تكن رسمية او لتجنب الفضيحة وخوفاً من وسائل الاعلام. وكان رجاؤه الوحيد هو طلب غلق الموضوع وعدم رفع مذكرة إلى حكومة الولايات المتحدة نطلب فيها مغادرة الموظف الذي سيغادر فوراً. وكان طلبه ملائماً لنا تماماً. فلم نتمن أكثر من غلق الموضوع بهدوء ودون ان يلحق بسمعتنا أثراً سيئاً. وطوبنا الموضوع بتوجيه تأنيب شديد لصالح عماش (وزير الدفاع) وجميل صبري (مدير الامن العام).

وبعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ أصبح البكر رئيساً للجمهورية العراقية وصالح عماش وزيراً للداخلية. فأمر البكر بأعتقال جميل صبري وتحتويه داخل السجن. سمعت بالخبر وعندما زرت البكر مهتماً رغبت إليه إطلاق سراح صبري، فذكرني بموضوع الدبابة السوفيتية وعلاقته برجل المخابرات الأمريكية. فقلت : علينا يا ابا هيثم ان نتذكر التاريخ بإنصاف ودقة، فالعلاقة المنحرفة مع الديبلوماسية الأمريكية بدأها صالح عماش، ولم يلتق به جميل صبري ويطلب منه بطاريات ويوافق على تسليمه الدبابة إلا بموافقة وتوجيه عماش. وذكرت البكر (بلطف) باقتراحه الخاص بحل المشكلة، وقلت : ان صبري بريء من العملية وينحصر خطؤه بموافقتهم على اخذ الاوامر من وزير الدفاع وليس من وزير الداخلية حازم جواد الذي هو رئيسه المباشر، واظن ان جميل صبري لم يكن يعلم ان القيادة القطرية والمجلس الوطني لقيادة الثورة لا يعلمان بمثل هذا الامر الخطير. بل ربما كان مقتنعاً بأن عماش كان يبلغه بأوامر مجلس قيادة الثورة. وبعد اسبوع واحد من حديثي مع احمد حسن البكر أطلق سراح جميل صبري.

اما خطة تهريب الطائرة ومستلزماتها فتحت كما يلي : أرسلت الطائرة على انها اردنية ووضع عليها العلم الاردني - دون معرفة الاردن - بعد ان ارتدى طاقمها الملابس الاردنية. وقاد الطائرة المقدم خالد رشيد والرائد حسون عبد المهدي والرائد عبد الزهرة مسعد الذين تدربوا على اللهجة الاردنية تحسباً للطوارئ.

امريكي ينقل كلمة سر حزبية

"ابو هدى يسلم" هي كلمة سر حزبية يحتفظ بها المقدم محمد المهداوي، وهو يقضي مع عدد من ضباط الجيش العراقي دورة عسكرية دراسية تدريبية في الولايات المتحدة الامريكية. وابو هدى هو لقب يكتن به صالح مهدي عماش.

وكان في الدورة عدد من الضباط البعثيين. والمسألة بدأت عندما اصدر نظام عبد الكريم قاسم مذكرات اعتقال بحق بعض الضباط البعثيين، فخشي عماش عودة المقدم الركن محمد المهداوي ومعه الضباط البعثيين بعد إنتهاء دورتهم التدريبية فيعتقلون. ويبدو ان عماش استعجل الامر فأبلغ مساعد الملحق العسكري الامريكي بكلمة السر ليبلغها إلى محمد المهداوي ويخبره بتأخير قدومه إلى بغداد. وللتاريخ اقول ان عماش جاء فوراً لاجتماع المكتب العسكري وابلغنا قائلاً: "التقيت بمناسبة ديبلوماسية بمعاون الملحق العسكري ليكلاند، وكانت فرصة لأطلب منه إبلاغ المقدم محمد المهداوي في امريكا بأن يؤجل قدومه إلى العراق ريثما تنجلي صورة الموقف والوضع الامني، وابلغته كلمة السر المتفق عليها بيني وبين محمد المهداوي^(١). وقد نظرنا للامر مجرد مبادرة فردية غير موفقة، وساعده كثيراً إبلاغه لنا في نفس الوقت.

سؤال : لكن كيف تسنى لمعاون الملحق العسكري الامريكي "ييل ليكلاند" وهو ضابط مخبرات خبير، ان يثق بأن ضابطاً برتبة عالية مثل صالح مهدي عماش وعمل في الاستخبارات والانضباط العسكري وهي مناصب مميزة، ويستطيع حضور مناسبات ديبلوماسية رفيعة، ليس مدسوساً عليه، إذا لم تكن له معرفة سابقة به وبفصيل كثيرة اخرى؟ وهل تعتقد ان مثل هذه الامور الخطيرة يمكن تناولها بطيبة وبساطة؟ ومهم لنا ان نعرف موقف علي السعدي وحازم جواد من هذه المسألة؟

طالب شبيب : ربما اكون قد نظرت بسلامة نية وطيبة، ولكن لا تنس إنَّ ما شجعني على تصديق روايته هو عدم وجود دليل يقطع بشيء ضد صالح مهدي عماش الذي غالباً ما يقوم بأعمال وتصرفات فردية في كل إتجاه^(٢).

١ — كان عماش يعمل في دائرة الاستخبارات العسكرية بوزارة الدفاع، تلك الدائرة التي رأسها لبعض الوقت رفعت الحاج سري. ثم انتقل إلى دائرة الانضباط العسكري، وبشكل عام أهلكته مناصبه في عهد عبد الكريم قاسم حضور الدعوات والحفلات الديبلوماسية.

٢ — ولا ندري هل تكون الصدفة فقط هي التي جعلت رئيس الوزراء ووزير الدفاع العراقي نوري السعيد - في العهد الملكي - يختار الرائد صالح مهدي عماش عام ١٩٥٦ للسفر إلى روما لإستلام السلاح الامريكي والبريطاني الذي كُن

ولم يكن علي السعدي وحازم جواد يملكان أية أدلة ضده. ولو كنا قد امتلكننا تلك الأدلة، لما تخلفنا عن اعلانها بوجهه دون خجل او حذر خصوصاً علي السعدي الذي كان دائم السخرية والانسزاعاج منه. ولم يكن السعدي ولا حازم خبيثان ليخفيا اية اسرار من هذا النوع واستطيع انؤكد ذلك نيابة عن علي السعدي. اما حازم جواد فهو حي يرزق وبودي ان يطلع علي ما نكتبه ليقول ما يعرفه.

وارى من الضروري ان نذكر بأن "ليكلاند" هذا هو نفسه اقام الاتصالات بجمال عبد الناصر ولعب دور عضو الارتباط بين الضباط الاحرار المصريين والدولة الامريكية، واستمر يواصل مهمته ويتشاور مع قيادة مصر الجديدة قبل وبعد انفراد عبد الناصر برئاسة الجمهورية.

ثم انتقل إلى العراق في عهد عبد الكريم قاسم معاوناً للملحق العسكري الامريكي. وبعد استلامنا للسلطة خفف في البداية من نشاطه، ولم تكن نسمع به في الايام الاولى، لكن الهدنة لم تستمر طويلاً، فعاد إلى نشاطه وتدخلاته مباشرة بعد اشتداد خلافاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة، وبدأ يهاجمنا علناً، ويتحدث في المحافل الدبلوماسية عن صعوباتنا ومشاكلنا، ووصلني في مكنتي بوزارة الخارجية إستفسارات وتقارير كثيرة تؤكد كلها إنه يتحدث في مجالسه دون حذر ويقول: ان عبد الناصر لن يبق البعثيين في سلطة العراق.

ولا ادري ماذا كان هدفه؟ ربما الواقعة، لكنني لهذا السبب ولاسباب كثيرة ذكرت بعضها، اخبرت السفير الامريكي بتصرفاته غير المناسبة⁽¹⁾.

سيستخدم لمهاجمة سوريا وإسقاط حكومتها الوطنية في مؤامرة اطرافها بريطانيا وامريكا والحكومة العراقية ممثلة بنوري السعيد واديب الشيشكلي من سوريا. وقد نفذ عماس تلك المهمة بنجاح واصل السلاح إلى القوات العراقية التي أوكل لها تلك المهمة الخطيرة والمشبوهة.

لكن المؤامرة لم تنفذ بل أحبطت بسبب توافق موعدها مع اليوم الذي حصل فيه العدوان الثلاثي ضد مصر، فأصبح من الصعب شن عدوان على سوريا في ظل تصاعد الحماس القومي العربي الجياش حينذاك[2].

ويذكر ان عبد الكريم قاسم كان حينذاك يقود اللواء الاول الموجود في المفرق وهو اللواء المتوقع إرساله لغزو سوريا. وقد إتصل قاسم حينذاك باللواء عفيف البزري الذي حضر يرافقه عبد الحميد السراج متتكرين بزي عربي تقليدي، فأعلمهما بنية حكومته، ووعد البزري (رئيس اركان الجيش السوري) بأنه سيحبط المحاولات البريطانية بدفع الجيش العراقي لغزو سوريا حتى لو اضطر للتمرد او الزحف على بغداد.[3]

١ - بيل ليكلاند من مواليد ١٩٢٣ وهو عوضاً عن وظيفته كمتخصص في شؤون الشرق الاوسط، عمل لفترة طويلة في سفارة بلاده في القاهرة وكان معجباً بعبد الناصر. أرسل إلى مصر في النصف الاول من عام ١٩٥٢ من قبل روزفلت بمنصب سكرتير ثان في سفارة بلاده، ولم يتجاوز عمره التاسعة والعشرين ليكون "حلقة الاتصال بين الضباط الاحرار والسفارة الامريكية في الاشهر التي سبقت الانقلاب". "وكان ليكلاند وهو جندي سابق في مشاة البحرية الامريكية، خدم في موقعين حساسين من مواقع الحرب الباردة: انقرة ١٩٤٧-١٩٤٨، وميونخ ١٩٤٩. واتاح له صغر سنه وخلفيته العسكرية مصادقة الكولونيلات الشبان بسهولة وخاصة عبد الناصر الذي كان بمصادفة مؤاتية، جارا

←

تخريب العلاقة مع ايران

لم تكن مشكلة الدبابة السوفيتية الشاهد الوحيد على تهور صالح عماش. بل قام بأعمال كثيرة، وقطع اول خطوة بأتمناه جحيم الصراع العراقي الايراني المدمر القادم، والذي كان يمكن تجنبه. فلم تُصنع لاستعداداته على ايران عام ١٩٦٣، فعاد إلى التاجيج ودون مقدمات عام ١٩٦٨ فإثر حادث حدودي بسيط يمكن حصوله باستمرار بين دولتين جارتين، إستدعى صالح عماش إلى مكتبه السفير الايراني في بغداد، وكان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، وقال له: "ماذا سيكون رد فعل ايران إذا قصفتنا مصفاة خرمشهر ومطار عبادان!!"

حتى ذلك الحين كانت ايران تمرر سفن الدول الاخرى الراغبة بدخول شط العرب وهي تحمل العلم العراقي وعلم الدولة المالكة للسفينة، ولا ترفع العلم الايراني غير السفن الايرانية فقط. وبعد تلك المقابلة التهديدية العماشية الفارغة، اقدمت ايران كرد فعل من جانبها على إلغاء معاهدة ١٩٣٧ التي تعترف بعراقية شط العرب إلا في مناطق معينة امام عبادان وخرمشهر، فطلبت سفن الدول الاخرى منذ ذلك اليوم وحتى الآن برفع العلم الايراني إلى جانب العراقي عند دخولها شط العرب. وبذلك فقد العراق حقاً معنواً يؤكد ملكية النهر للعراق. وبعد ذلك رسخ صدام حسين تلك النتيجة بتوقيعه مع شاه ايران إتفاقية الجزائر وتأطيرها قانونياً بالتنازل عن حق جغرافي إضافي آخر هو نصف شط العرب "خط الثالوك".

رعونات كبرى وصغرى : تصفية نساء الوزارة

سلوك عماش اذن تميز في اغلب الاحيان بالرعونة. وكانت له رعونات كبرى ورعونات صغرى. والرعونات الكبرى هي النماذج التي ذكرتها وامثالها كثير. اما الرعونات الصغرى فمن نماذجها على سبيل المثال : عندما سافرت إلى خارج العراق، حل عماش محلي مؤقتاً وكيلاً لوزير الخارجية، واصدر فوراً قراراً بفصل ونقل جميع نساء الوزارة مبرراً ان الخارجية لا تحتاج إلى "حريم" نساء.

له. ومن خلال ليكلاند ابلغ عبد الناصر كافري ان الكولونيلات يريدون صداقة الولايات المتحدة".[4]. هذا الرجل نفسه ارسل إلى بغداد زمن قاسم لإدارة إتصالات سفارته العامة فيها. اما محمد المهدي فهو مقدم ركن مسؤول خلية الضباط البعثيين ضمن الدورة العسكرية بأمريكا. وبعد حركة ١٤ رمضان ٦٣ لمع نجمه عسكرياً وحزبياً، وتأهل ليبلغ دوراً حاسماً في تغيير مسار المؤتمر القطري الاستثنائي في ١١/١١/١٩٦٣ الذي عصفت نتائجه بحكومة وقيادة البعث لترمي بهما في النهاية خارج السلطة. ويقول الفكيكي[5] : ان عبد الناصر حذر علي صالح السعدي في نهاية شباط ١٩٦٣ من بيل ليكلاند قائلاً : إن بيل ليكلاند سبق ان خدم في القاهرة وهو خبير إنقلابات.

المثال الثاني : عندما تم تعيينه وزيراً للداخلية بعد عام ١٩٦٨، امر بصيغ قوادم وسيقان جميع النساء والفتيات اللواتي يرتدين تنورات قصيرة بـ "البويا" (الأصباغ)، وكلف مستخدمي امانة العاصمة بتنفيذ اوامره، فظهر هؤلاء في شوارع بغداد يحمل كل منهم "سطل" مملوء "بويا" وفرشة كبيرة. وسبب ذلك هلعاً وضيقاً في اوساط معينة، وكان تدخلاً سافراً في حياة الناس الخاصة لم يعهد مثله العراقيون، وحصلت بسببه احتجاجات كثيرة ومؤثرة، إضطّر عمّاش إثرها إلى التراجع عن قراره مدحوراً^(١).

المثال الثالث : كنت مسافراً خارج العراق، وكان عمّاش وزيراً للخارجية بالوكالة، وحدثت أزمة حدودية بين المملكة المغربية والجمهورية الجزائرية حول مدينة "وجدة" على ما اذكر، وقرر مجلس الثورة بأقتراح من عمّاش لعب دور الوساطة المحايدة، وارسل احمد عبد الستار الجواهري رئيساً لوفد الوساطة. وكان على عمّاش ان يتصل بي ويسألني قبل تقديم ذلك الاقتراح وتنفيذه، لأن الجزائريين إنزعجوا من سلوكنا وعاتبني عبد العزيز بوتفليقة الذي اصبح

١ - شكل عمّاش جهازاً خاصاً اسماء "شرطة الآداب" وكلفه بمهمة كبح "المتبرجات" وشمل قراره اكثر ما شمل طالبات الجامعة والموظفات وبلرحة اقل عامة الشعب. وصادفت إجراءاته تلك مع عودة شاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري من غربته الطويلة إلى بغداد، الذي تصور خطأ ان مشوار الصراع بدأ يجد نهايته، وان البلد الغني سيلتفت للبناء والفرح فتفاعل قائلاً :

أرح ركابك من أين ومن عثر	كفاك جيلان محمولاً على خطر
كفاك موحش درب رحت تقطعه	كان مغبره ليل بلا سحر
خفض جناحك لا تهزأ بعاصفة	طوى لها النسر كشحيه فلم يطر

وكان عمّاش هاوياً كتابة الشعر ويتميز بمزاج اجتماعي جيد، وميل لحياة المثقفين، فرد على الجواهري مُحاكياً ومُرحباً :

أرح ركابك من أين ومن عثر	هيهات ما لك بعد اليوم من سفر
--------------------------	------------------------------

وكم كانت مفاجأة الجواهري عندما سمع بتدخلات عمّاش ضد الحريات الشخصية، فأضطّر وهو الناشد للهدوء إلى الاحتجاج عليه قائلاً :

وفي لما ندرأ فـــــــروان	وسعى بها سيقاً وطافا
ابا "هدى" شوق يلح	ولاعج يلكي الشعافا
نبئت انك توسع الــــ	أزياء عتاً واعتساقا
وتقيس بالافتـــــــار أر	دية بحجة ان تنافا
اترى العفاف مقاس اقــــ	مشة؟ ظلمت اذاً عفافا
ومن لم يخف عقى الضمير	فمن سواه لن يخافا

واستمرت سجلات شعرية بين الاثنين، إنتصر فيها الناس والرأي العام للجواهري وإضطرت وزارة الداخلية إلى التراجع عن قرارها.

وزيراً لخارجية الجزائر بعد مقتل سلفه المرحوم محمد حميسي، وقال : كيف تعتبرون انفسكم تقدميين وتتوسطون بجمادية بيننا وبين المملكة ؟ وكيف تتوسطون بجمادية بين حليفكم وخصمه وهو خصمكم ايضاً. وكنت خلال دراستي بلندن قد تعرفت على اكثر القيادة الجزائرية الثورية، وعلى قادة المعارضة المغربية، وكنا طلاباً ننام في شقة واحدة، نفترش ارضها معاً.

اجتمعت فيه خصال التردد والقسوة والغموض

ورغم كل ما قيل عن عماش فلم يكن وحده الذي ارتكب اخطاء وكبائر. ولا أرى انه كان عميلاً لجهة معينة وإلا لكانت نصحته بجعل سلوكه اكثر عقلانية^(١). لكنه تميز عن غيره بأنه لم يفعل شيئاً مفيداً، ولم يأت بأحد إلا وكان جباناً او مشبوهاً. وقد علمت ان احد ضباطه هو الذي رفع لعبد الكريم قاسم قائمة بأسماء الضباط البعثيين التي وجدت على مكتبه يوم ١٥ رمضان ١٩٦٣، لكن عماش انقذ ذلك الضابط^(٢). ولا ادري لحد الآن لماذا امر بقتل

١ - ارتكب عماش اعمالاً وتصرف بغموض يؤكد ما ذهب اليه الشيبب ونحار الحادثة التالية مثلاً : خلال نشاط الضباط البعثيين والقوميين للقيام بانقلاب ضد نظام قاسم، انتشرت بصورة متعددة دعاية تداولها الضباط تؤكد : ان صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان وجاسم كاظم العزاوي - سكرتير قاسم - هم جواسيس مخفيون للسلطة ويجب الحذر منهم. وبعد التقصي تبين ان مصدر الاشاعة هو صالح مهدي عماش الذي طالب الضباط القوميين بترك "المجموعة المشبوهة"، فهرع صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان إلى البكر فوجدا عنده عماش وستار عبد اللطيف وبعد عتاب إعترف عماش بفعلته مبرراً بأن سمعة مجموعة صبحي وفرحان ممتازة ومنافسة ولا سبيل لايقافها إلا بتشويه سمعة روادها، وقال معاتباً : "إنكم ايضاً أشعتم بأنني بعثي". فرد عليه فرحان : يا صالح إنك بعثي قبل ان تتشكل اللجنة القومية ومعظم الضباط سمعوا بذلك لأنك غير حريص على كتمان إلتمائك ولاتنس ان خالد محمد فريد هو الذي اخبرك بوصول نواب انضمامك للبعث إلى عبد الكريم قاسم"^[6].

٢ - وكى يخرج عماش نفسه من دائرة المشبوهية والاتهامات، صرح في مقابلة^[7] قائلاً : بعد نجاح ثورة ٨ شباط ٦٣ تسلمت مذكرة من قبل محمد يوسف طه وقد عثر عليها في غرفة عبد الكريم قاسم وهي صادرة من السفارة البريطانية وتقول لقاسم : "حفاظاً على نظامكم الصديق والعلاقات الوطيدة نغذركم من محاولة سيقوم بها المقدم صالح مهدي عماش، احد ضباط الانضباط العسكري، وهو من الضباط الناصريين، وهذه المحاولة لصالح عبد الناصر". ولا اشك بأن ما قاله عماش هو محض تزوير وإفراء لانه أولاً : لم يجرؤ على قول ذلك منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨. ثانياً : تصنع ان تخطئ المذكرة المزعومة بإتتمائه إلى الناصرية وليس إلى البعث، بينما كان الجميع يعرفه بعثياً، وذلك لكي يوحي بأن اجنبياً كتبها. ثالثاً : الجميع حاول تبرئة ساحته مشككاً بقاسم، لكن البحث والتقصي اكد بياض صفحة قاسم ويديه في حين أظهر استعداد الآخرين المتعجل لخيانة الوطن. رابعاً : اين المذكرة ؟ واذا كان امرها صحيحاً لماذا لم يحتفظ بها وهي تحمل برهان براءته. خامساً : لم يشر أي شخص لهذا الامر، بمن فيهم محمد يوسف طه الذي لم يعد موجوداً الآن. وبهذا يكون عماش واحداً من الذين يحاولون السخريه من ضحاياهم. يريد بعد بحياته لهم وتدميرهم ان يقول انه انظف من عبد الكريم قاسم وان قاسم صديق للانكليز، وموجهاً من قبلهم. ويذكر ان محمد يوسف طه كان واحداً من لجنة جردت موجودات مكتب قاسم ولو عرف بشيء فيسبرفه آخرون !! وقد ذكر كل الذين اشتركوا بجرد مكتب قاسم برسائل بعثوا بها إلى خليل ابراهيم حسين وإلى احمد فوزي او كتبوا مذكراتهم ولم يذكروا تلك البرقية رغم خطورتها لو كانت صحيحة، فستكون اول وثيقة تدين عبد الكريم قاسم.

←

العقيد عبد المجيد جليل الذي ما كان يجب ان يعدم، لأنه أرحم مدير أمن عام في تاريخ العراق كله، ولم يظهر اية عداوة للقوميين او البعثيين، واصطدم بالشيعيين أكثر من اصطدامه بنا. ولم يسيء إلى عماش وعماد وبهاء الشبيب (وكان الاخيران ضابطين) ولا السعدي وكرم شنتاف عندما تمكن من إعتقالهم قبيل ٨ شباط بأربعة ايام، رغم خطورة امرهم. فلو كان قد حاول وانتزع منهم المعلومات قسراً لأنقذ حكومته.

مع مصر الناصرية

اما علاقتي المصرية فقد تكونت دون تخطيط مسبق اثناء وجودي بانكلترا. وكنت اميناً عاماً لرابطة الطلبة العرب التي يسيطر عليها البعثيون. وكنا خلال ازمة السويس نتصل يومياً بالسفارة المصرية تضامناً ودعماً، وشعرت بفخر عظيم حين قابلت السيد علي صبري - احد نواب جمال عبد الناصر - على هامش زيارته لانكلترا، لانه اكبر مسؤول مصري التقى به. وساعدني في الامر بعض النواب اليساريين من حزب العمال البريطاني المتعاطفين مع القضايا العربية.

وبعد عودتي إلى بغداد، اديت الخدمة العسكرية وبتوسط من المرحوم فؤاد الركابي (اول امين قطري للبعث في العراق) وجدت وظيفة في وكالة انباء الشرق الاوسط، كمترجم من العربية إلى الانكليزية، وكانت الوكالة تصدر نشرة بالانكليزية توزعها على السفارات، فاشتغلت مترجماً طوال ست ساعات كل ليلة.

وبواسطة الركابي ايضاً تعرفت على ثلاثة موظفين في سفارة الجمهورية العربية المتحدة (وكانت مندجة وممثل سوريا ومصر) وهم عبد المجيد فريد وهو حي يرزق ويعيش في بريطانيا حالياً. وطلعت صدقي، سوري الاصل وما زال حياً. ومحمد كبول، سوري وبعثي يعيش حالياً بدمشق. اصبحت هؤلاء الثلاثة اصدقاء لي، وحافظنا على صداقتنا حتى بعد إخراجهم من العراق. وعندما ذهبت إلى مصر وزيراً للخارجية وضيئاً على الدولة المصرية وجدت عبد المجيد فريد اميناً عاماً للرئاسة الجمهورية، وطلعت صدقي مديراً لمكتب الشؤون العربية ويرتبط مباشرة بالرئاسة ويشرف على اللاجئين العرب بمصر. وعلمت ان كبول عاد إلى سوريا بعد الانفصال مباشرة.

هذه هي معرفتي الشخصية بالمصريين ومصر. اما الصلة الرسمية بين حزب البعث العربي

وقد حدثني الشيخ مهدي الخالصي [8] ان قراراً بإعادته إلى الجيش صدر في ٨ شباط ٦٣ كضابط احتياط وكان قبلها هارباً بسبب "عدم موافقته على الحرب مع الاكراد" فقال : جرى تكليفي مسؤولية مقر عبد الكريم قاسم للمحافظة على اوراقه وحاجاته ووجدت فيه ملفاً كبيراً كتب عليه "الشيخ مهدي" والملاحظة التالية : "لا يقس في صنف الدروع" وصورة من لقاء القبض علي.

الاشتراكي والحكومة المصرية فقد اتاحت لي آفاقاً وعلاقات وفرصاً كثيرة، انتهت فور خروجي من قيادة الحزب بعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

لكن الدولتين مصر وسوريا توقفتا عن تقديم العون بعد فشل حركة عبد الوهاب الشواف، ويستثنى من ذلك المساعدات الكثيرة والسخية التي قدمها لنا رفاقنا السوريون الذين شغلوا وظائف مختلفة في مناطق حدودية بين العراق وسوريا مثل دير الزور والقامشلي وربيعة وابو كمال.

اقول هذا لأؤكد بأن الحزب في العراق لم يتزود من مصر لا بالسلاح ولا بالمال بعد ذلك التاريخ، فلم نستلم من عبد الحميد فريد أو من جمال عبد الناصر أي مبلغ. وحازم جواد وعبد الله الركابي يعرفون هذا الأمر جيداً، ونفاه الاثنان نفيّاً قاطعاً^(١).

ولا يسعني إلا ان اذكر ان السلاح الذي إستخدمناه في ثورة رمضان كان اكثره مصرياً، وصلنا عبر الاراضي السورية. كما حصل عبد الوهاب الشواف على إذاعة واسلحة من مصر وسوريا وهذه قضية أصبحت معروفة ومعلنة وموثقة بالاعترافات التي حصلت في محكمة الشعب. وإرتبط المصريون بعلاقات وطيدة مع قيادة حزب البعث في العراق خصوصاً خلال امانة سر فؤاد الركابي. كما ساعدت القيادة القومية للحزب في تأسيس "مؤسسة الصحافة" في بيروت والتي ادارها عضو القيادة جبران مجدلاي.

وعلى ضوء ماتقدم لم تكن معرفتي بمصر ابعد من علاقة البعث بها. ولو كانت غير ذلك لانكشفت خلال العداوة المرة التي حصلت بين البعث وعبد الناصر منذ استقالة الوزراء البعثيين من حكومة دولة الوحدة إعتراضاً على الممارسات التي فرضتها المباحث المصرية ولاسيما تصرفات عبد الحميد السراج والمعاملة السيئة التي عومل بها القادة البعثيون العسكريون وابعادهم إلى مصر وكان من بينهم الرئيس العربي السوري حافظ الاسد.

وساءت العلاقات بيننا اكثر عندما وقع اكرم الحوراني والبيطار وثيقة الانفصال سيئة الصيت^(٢).

١ — يقول الفكيكي: "بعد المؤتمر القومي الثالث كلّفني خالد علي الصالح في دمشق وهو عائد للعراق بالتوجه للقاهرة لاستلام مساعدة مالية للحزب فضلاً عن اجهزة إرسال إذاعي واتصال لاسلكي. وذهبت فعلاً برفقة حازم جواد، وأخضعتنا لدورة تدريب على اجهزة للإرسال والبث والاستلام دامت اسبوعين" و "تسلّمت مبلغ ٣٠ الف دينار من عبد الحميد فريد الذي بات مدير المكتب الخاص لعبد الناصر" [9] ويذكر ان المؤتمر القومي الثالث انعقد بعد فشل تجربة الوحدة المصرية السورية، وهذا يعني ان الفكيكي إستلم المبلغ بعد فترة قصيرة من حركة الشواف وذلك يخالف ما ذهب اليه طالب شبيب.

٢ — بعد انتصاره في معركة تأمين القناة وإقامة اول وحدة على طريق الحلم العربي بالوحدة الشاملة، شعر ناصر بنشوة ثورية جعلته يعتقد ان الوطن العربي كله سرعان ما سينضوي موحداً تحت قيادته. ولم يحسب جيداً القوى العظيمة

لكن البعث في العراق ظل رغم كل شيء يحتفظ بعلاقات وذاكرة طيبة مع الدولة المصرية. وكان أوثقنا صلة بالقيادة المصرية الأستاذ فؤاد الركابي ويليهِ علي صالح السعدي ثم حازم جواد وأنا. وعندما اشتد الصراع بين البعث في سوريا وجمال عبدالناصر اختار فؤاد الركابي جانب القاهرة وترك الحزب ليؤسس حزباً ناصرياً صغيراً.

ومن أبرز الأدلة على العلاقة الطيبة بمصر، أنها كانت وحدها تعرف خطتنا لاسقاط حكومة عبدالكريم قاسم دون معرفة تاريخ التنفيذ ومضمونه. وقد فوجئتُ بنجاحنا. وذكر لي عبدالله الركابي ان جمال عبدالناصر استدعى فور سماعه النبأ فؤاد الركابي (وكان مقيماً بالقاهرة) وقال له: ان ما حصل ضربة على "الباغوث"، ولكن مادام الامر قد حصل فلا مجال إلا أن نؤيد هذه الثورة وسنرسل برقية تأييد^(١)

التي ستقف دون ذلك. وفي سياق نشوته تصرف باستعجال وتورط بسهولة بالتدخل في شؤون أقطار عربية كالعراق وسوريا واليمن والجزائر وغيرها. وأظهر كثيراً من اللامبالاة عندما انحاز في كل تلك البلدان قبل ان يأخذ فرصة كافية للدراسة لوضعها الداخلي الى الاطراف التي رشحتها للمخابرات المصرية، ففي العراق تدخل منحازاً بعد خمسة أيام فقط من نجاح ثورة ١٩٥٨ فحدث مع عبدالسلام عارف، الذي ذهب على رأس وفد لمقابلته بمشقة، عن مصر عبدالكريم قاسم [١١] وبينما الكتاب مائل للطبع، حدثني المذكور مبر الرئيس ان عبدالحميد السراج كان قد أخبره شخصياً في القاهرة بأن عبدالسلام عارف عندما جاء الى دمشق وتحدث مع عبدالناصر عن أهمية قيام وحدة اندماجية فورية، وقال بأنه سيقبل عبدالكريم قاسم (بطلة واحدة) اذا عارض قيامها، وهنا قاطعه جمال عبدالناصر قائلاً: "لا يأخ عبدالسلام، هذا الكلام لا يجوز، لأنه زميلك ورئيسك، ويجب ان يتم كل شيء معه عن طريق الحوار والاقتناع". وكان السراج حاضراً المقابلة بين الرجلين والتي ضمت العقيلي وصديق شنتل وآخرين. فسمع قاسم بالامر (دون ملاحظة عبدالناصر) مكرراً فكرة عن المستوى الاخلاقي للسياسة المتداوله، خصوصاً وأن الثورة مازالت لم تفرغ من احتفالها بالنصر، ولم تتضح بعد التوجهات بداخلها ولم يبدأ الحوار معها حتى يستبدل بالتخطيط السري ضدها. ونتيجة لذلك قامت العدوة بين قاسم وناصر بالواسطة، عدوة عن بعد، فلم يلتق الرجلان ويستمعا لبعضهما حتى يختلفا. وبدلاً من الاعتذار شجنت الحكومة المصرية بصورة سرية لاذعة واسلحة واموال الى الضباط في الموصل، بهدف قلب الوضع في بغداد، وشارك في العملية عبدالجيد فريد وطلعت صديقي ومحمد محمود يوسف والملاحق العسكري المصري، العقيد عبدالجيد فهمي الذي كان حلقة الوصل بين الضباط وعبدالحميد السراج، الذي يتصل بناصر مباشرة. وكان ناصر قد أطل زيارته للمعشق انتظاراً لنباً بجناح الحركة الذي جاء مخبئاً. وعلى ضوئه شنت أجهزة الاعلام المصرية وعبدالناصر شخصياً حملة اعلامية ضد قاسم سبقت ظهور نتائج التحقيقات وهجوم محكمة المهملولي المضاد، وكانت حكومة قاسم قد حققت إنجازات كبرى قبل حركة الشواف، أي بعد أقل من سنة على الثورة. وذلك الوضع الجديد شجع وأتاح للخصومة داخل المساحة السياسية العراقية ان تغفلت من عقلاها وشارك فيها الشيوعيون والناصريون وغيرهم. بكل يتهم الآخر بخيانة الوطن الذي يكلمهم أبناؤه. ومن الغريب ان الحكومة المصرية وظفت في تدخلاتها موظفين رفيعي المستوى، بدءاً من المشير عامر وانتهاء بأصغر ملحق دبلوماسي. وواصلت أجهزتها التدخل حتى بعد سقوط قاسم، فارسلت السراج الى العراق سرّاً حيث زار مثلاً قادة عسكريين ومدنيين في منازلهم لترتيب امر تغيير عبدالسلام [١٢]. ثم جاء المشير عامر وعبدالجيد فريد الى بغداد بمناسبة تشييع عبدالسلام وبمجزتهم خطة لإحلال عارف عبدالرازق محله، وكان الأخير قد فوجيء بالأمر (وكان حينها لاحقاً سياسياً في القاهرة)، ولم تنفذ الخطة لحصول عبدالرحمن عارف على منصب الرئاسة [١٣]. ثم استمرت التدخلات حتى انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨. وغير معروف لماذا اعتمد ناصر على السراج في إخراج سياسته في سوريا والعراق! رغم خفقه السراج لسوريا سنوات الوحلة وقشله في المحافظة على شعبية ناصر في العراق بعد ان وصلت ذروتها ما بين ١٩٥٦-١٩٥٨.

١ - قلت للشبيب: إن رفعت الجادرجي قد ذكر أن عبدالناصر أخير والده أن هناك ست دول ساهمت باسقاط قاسم. كما ذكر هيكل في كتابه (سنوات الغليان) عن تقرير صحفي نشر بالأهرام ١٩٦٣/٩/٢٧، بأن الملك حسين ←

اخره قائلاً: "اني اعلم علم اليقين بأن ما حدث في ٨ شباط ١٩٦٣ كان يحظى بتشجيع وكالة المخابرات المركزية وان بعض اعضاء قيادة حزب البعث في العراق لا يعلمون بذلك". و اضاف "لكنني اعلم ذلك وكانت لقاءات عديدة تمت في امريكا والسعودية. وان هناك محطة اذاعة كانت تساعد رجال ٨ شباط . . . الخ". اجاب شبيب ما مضمونه: لو كانت هناك دول تساعدنا لحصلنا منها على رشاشات صالحة للاستعمال، واعلم انه لم تكن هناك جهة خارج القيادة القطرية والمكتب العسكري تعرف بموعد الحركة ومضمونها، وليست هناك اية دولة تعرف بأكثر من سعيها لاسقاط قاسم، حتى القيادة القومية لم تعرف بتاريخ الحركة [14].

اما الملك حسين فقد يكون محققاً بأن المخابرات الامريكية سُرّت وارتاحت لما حصل من مقتل عبد الكريم قاسم وتنازل ابنه الصف الوطني الواحد - شيوعيين وبعثيين. اما ما نقلته الاهرام عن الملك حول لقاءات وترتيبات ربما تكون قد حصلت ولكن ليس بين بعثيين وامريكيين او اية جهات لها صلة بالامريكيين او السعوديين. فلم يذهب بعثي واحد لمناقشة القيادة السعودية وهو امر يسهل التأكد منه. واطن ان الملك حسين (اذا كان مانقله هيكل صحيحاً) قد تهمج علينا مباشرة بسبب انزعاجه من صدور اتهامات بحق من لجنة "تشيرش" في الكونكرس الامريكي. ولم تكن هناك اية اذاعة تذيع لفائدتنا، بل كانت هناك اذاعة سوفيتية باسم "بكي ايران" واخرى تشيكية وواحدة باسم صوت العراق الحر يديرها الشيوعيون العراقيون. لذا اعتقد ان ما قاله هيكل كان تأليفاً ساذجاً لا يعكس سوى المهاترات والعداوة التي نشأت في الاشهر الاخيرة من حكم الحزب مع دولة عبد الناصر .. انتهى [15].

ومن جانبي (ع. ك. س) ليس لدي ما يؤكد نسبة الكلام إلى العاهل الاردني غير حديث هيكل، وقد تميز الاعلام المصري وبضمنه هيكل، في تلك المرحلة بالديماغوجية والبحث عن الاثارة على حساب الحقيقة. وكلنا يتذكر احمد سعيد الذي كثيراً ما اذاع من صوت العرب عن مظاهرات وحرائق وفعاليات مزعومة بالعراق بينما كنا نعلم بالامان ونسخر منهم، كما كانت علاقات مصر مع حكومة البعث عند نشرها الخبر في ايلول عام ١٩٦٣ ليست على مايرام، ولم تكن طيبة ايضاً مع الاردن، واعتادت مدرسة هيكل الصحفية على استخدام التاريخ لدعم الاهداف الراهنة دون اكرات بما قد تسببه رغبته من اضرار بالحقائق التاريخية، بلوي اعناق الحقائق لمصلحة غايات مؤقتة. ويستطيع أي مواطن عربي، وليكن جزائرياً، ان يقف مندهشاً عندما يقرأ ما كتبه هيكل عن احداث معينة في الجزائر. وسيشعر السوري والعراقي واليماني بنفس الاحساس، ولكن كل واحد منهم سيظن ان هيكل يخطأ فقط في الجزء الذي يخص بلاده، وانه يحقق جيداً في اخبار البلدان الاخرى، لكن الحقيقة انه يكتب من اخبار البلدان ما يناسب آراءه ورغباته ومصالح معينة، ويضيف إليها إذا ما تطلبت الحاجة السياسية فصلاً لم تكن موجودة في الواقع.

وعلى سبيل المثال يقول هيكل في "سنوات الغليان" عن العراق انه "في ساعة الصفر المقررة للانقضاض على عبد الكريم قاسم بدأ سلاح الطيران الذي يقوده اللواء عارف عبد الرزاق بضرب وزارة الدفاع مقر قيادة قاسم ومسكنه بالصواريخ" ويضيف: عندما بدأ الانقلاب كان قاسم "جالساً مع بعض اعوانه يراجع قائمة بأسماء ٥٨ ضابطاً قرر إحالتهم على الاستبداد بعد ان وصلته معلومات عن نشاطهم في الوحدات العراقية" ويضيف ان قاسم لم يكن حتى تلك الساعة من صباح ٨ شباط "قد نام بعد وانما كان جالساً" [16].

وفي هذه القطعة مما يكتبه هيكل نكتشف عدة اخطاء ومغالطات:

اولاً: كان عارف عبد الرزاق نائماً بداره عندما بدأت الحركة ولم يكن علي رأس الطيارين القاصفين منذ البداية. واستخدم هيكل اسم عارف وليس الوندلوي لان عارف عبد الرزاق ناصرياً وليس بعثياً وهو ما يهم هيكل. وهذا لا يتقص من اهمية دور عارف في الحركة.

ثانياً: يعرف الجميع ان قاسم عندما بدأت الطائرات بقصفها لم يكن بوزارة الدفاع، بل نائماً في دار اخته بالعلوية، وخرج بعد سماعه النبأ بسيارة مكشوفة يحيط الجماهير المحتشدة على طول طريقه إلى وزارة الدفاع. لكن هيكل يريد

←

لقد حصل الكثير من التشهير والتهديد بين البعث والحكومة المصرية الناصرية طوال عام ١٩٦٣، وكان بالإمكان إستغلال أي شيء في ذلك الصراع لو كان موجوداً. وأؤكد لك ان مصر لم تحاول تشغيل بعثيين في اجهزتها الامنية. ولم تنظر إلينا كمخبرين بل ادركت مبن البداية إننا ثوار شجعان. وكنا كقادة في حزب البعث ننظر لانفسنا : قادة لمستقبل الامة العربية بكاملها، وحاملين لرسالتها ورواد وحدتها المنشودة، ولا يمكن لمن يحمل مثل احلامنا الرومانسية الشجاعة والطموحة، ان يفكر، مجرد تفكير، في العمل لصالح أجهزة. كانت نيتنا تتجه اساساً إلى حلها وإلغائها لصالح دولة اعظم واهم واخطر هي دولة الوحدة العربية الكبرى. كما لم نفكر كبعثيين إطلاقاً بالعمل لصالح الدول العظمى لأننا نحلم ان نبني على ارضنا دولة عظمى قادرة على الحياة والتنافس والوقوف بوجه اطماع الاعداء. وتلك الاحلام جعلت افعالنا وجعلتنا مستقيمين. فلم نكن نصلح كمخبرين، بل ثوريون. واذا كان هناك من استطاع ان يستغل حماسنا ويستفيد منه في الصراع ضد نظام عبد الكريم قاسم او في الصراع الداخلي (العراقي - العراقي) فهذا شأنه، ولم نكن في اسوأ الاحوال نعلم بوجوده. وقد سمعنا من هنا وهناك عن ورود اسلحة واموال للناشطين ضد حكومة قاسم، ولكنها وبعد حركة الشواف لم تكن إطلاقاً لحزب البعث^(١).

العلاقة مع الاتحاد السوفيتي

إرتبكت علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي وتضررت كثيراً نتيجة لسوء التفاهم الكبير الذي حصل بسبب الاصطدام المبكر بالحزب الشيوعي العراقي، وانعكس ذلك على علاقتنا بالمعسكر

إظهار قاسم بالرجل العصامي المنشغل بالاعتقالات والغارق بالجرمة إلى درجة إلحاق الليل بالنهار. ومن اجل ذلك يلفق كل شيء، بما يخدم السياسة المصرية. فلم يقل او يكتب احد ان قاسم كان موجوداً في الدفاع مع اعوانه عند بدء الحركة غير هيكل، فمن اين اتى بها ؟ والارجح انه إختلقها.

١ - يقول الفكيكي عن عبد الحميد السراج إنه "حاكم سوريا الفعلي في عهد الوحدة، كان قد اصدر امراً بعدم تسليم اية قطعة سلاح للبعثيين إلا بأمر مباشر منه. ورخت لفترة طويلة في "البوكمال" اراقب قوافل الاسلحة المعطاة للاخوان المسلمين ولبعض القوميين العرب، وكلاء زعماء بعض العشائر، فيما كان بعض هذه الاسلحة يباع في اسواق العراق السوداء." [17].

ويقول زكي خيري "اتصل السفير الامريكي في بيروت بضابط عراقي، وكان في اجازة وهو شقيق محمد علي جواد آمر القوة الجوية العراقية، الذي قتل مع بكر صدقي، ومن اقرباء عبد الكريم قاسم (ابن خالته)، كلفه السفير ان يعود إلى بغداد ويحضر قريه من مغبة وضع توقيع على مسودة القانون (قانون رقم ٨٠) وكانت جاهزة للتوقيع لتصبح قانوناً نافذاً. وكان قاسم متردداً في التوقيع حتى تلك اللحظة، ولما سمع بالانذار الامريكي طلب اللاتحة ووقعها في الحال. وكان هذا التوقيع بمثابة التوقيع على حكم الاعدام على صاحبه" [18] وكانت آجال عقود شركات البترول تمتد إلى مايقرب من عمر البترول العراقي المكتشف. وتشمل امتيازاتها ٩٩.٥٪ من الاراضي العراقية. وكان اسوأ شرط فيها هو عدم خضوع الشركات وإدارتها للقوانين المحلية العراقية.

الاشتراكي وبكتلة الاحزاب الشيوعية العربية والعالية. ورغم ذلك كنت ارى السفير السوفيتي اكثر من سفراء جميع البلدان الاخرى. لأن حجم العلاقات والمصالح بيننا يحدد حجم المشكلات الكبيرة، فقد ورثنا من نظام قاسم مسائل ومصالح كثيرة عالققة، فضلاً عن مشكلات ليست اقل اهمية ناتجة عن الحملات الاعلامية المثيرة للعداوة التي كانت مختلف وسائلنا الاعلامية تشنها على الدولة السوفيتية. وهذا ما جعلني اطلب لقاء السفير السوفيتي مرة، ويطلب هو لقائي مرة اخرى بهدف تخفيف وتطوير الازمة المتفاقمة.

واذكر انه طلب مني برجاء ولطف، ان لانهاجم باذاعتنا الرسمية الرئيس السوفيتي نكيتا خروتشوف بالإسم عند نقد سياسة بلاده في العراق والمنطقة العربية. وقال : نحن عندما نهاجم العراق، نقند سياسته، ولا نهاجم شخصية عبد السلام عارف رئيس دولتكهم. ولكم مطلق الحق والحرية في نقد سياسة الاتحاد السوفيتي، اما مهاجمة رئيس الدولة باسمه فهو يهدد بردي العلاقات، ويسبب قطيعة غير مقبولة، وكنت اوافقه، ولكنني ذكرته بدعم دولته لنشاطات التجمعات الشيوعية المعارضة خارج العراق بصورة مباشرة وعلنية^(١).

وبالمقابل طرحت على المجلس الوطني لقيادة الثورة سلبية تردى العلاقة مع الدولة السوفيتية وطالبتهم باصلاح الامر وقمت بخطوات ناجحة في هذا السبيل . . واذكر على سبيل المثال : ان شحنة اسلحة محملة على ظهر باخرة سوفيتية كانت في طريقها إلى العراق لكنها اوقفت بعد نجاح ثورتنا في احد الموانئ السوفيتية. وحجتهم في تأخيرها هي ان العراق مازال مديناً،

١ - وكمثال على الدعم السوفيتي لخصوم النظام الجديد عام ١٩٦٣ نستحضر ما يلي : أولاً : تحويل جميع إذاعات الدول الاشتراكية الناطقة باللغة العربية إلى وسائل ناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي ومحرضة للرأي العام ضد الحكومة العراقية. ثانياً : الدعم المعنوي والمادي الذي تلقته "حركة الدفاع عن الشعب العراقي" خلال قيادتها المعارضة في الخارج. ويذكر ان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري تزعم الحركة التي اشترك بعضيتها د. فيصل السامر (وزير قاسمي ينتمي للحزب الوطني الديمقراطي) وعزيز الحاج وذنون ايوب ونوري عبد الرزاق ومحمود صبري وكلهم شيوعيون، فضلاً عن عضوية رمزية للزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني والاستاذ جلال الطالباني. وساعد وجود الجواهري في الحركة على ارتفاع شأنها. وتمكن الشيوعيون من ايصال قصيدته إلى الداخل وإلى حيث تجمعات اللاجئين في الخارج والتي كان مطلعها :

أت وألف شامات للرمغام
الستر وديست حرمان الأنام
وقال أممر مستتب وسلام

"أمين" لا تغضب فيوم الطغام
أمين لا تغضب وان هُتِك
وهلل الفرعون في محرابه

وتناول فيها بقسوة شخصية عبد السلام عارف عندما وصفه :

يا حزبي من زكي وصلى وصام

يا عبد حرب وعدو السلام

وقدمت بنوك الدول الاشتراكية تسهيلات تسمح بتحويل التبرعات المستحصلة إلى العملة الصعبة . وتمكنت اللجنة من نقل نشاطها إلى الغرب وتمكن الجواهري بمساعدة الشهيد خالد احمد زكي اللقاء بالفيلسوف العالمي براتراند راسل الذي تعاطف مع حلتهم كثيرا [19].

ولم يسدد ما قيمته حوالي ثمانية ملايين دولار. ومن جانبنا كنا نرى ان هذه الصفقة بالذات ليس لها علاقة بالديون السابقة، وقد دفع العراق مقدمها وكانت في طريقها اليينا، وحسب الاتفاق المبرم فان العراق سيدفع بقية قيمتها بعد استلامها، وهكذا كنا ندور في دائرة مفرغة او مغلقة. وفي تلك الاثناء اخبرني السفير السوفيتي ان نائب رئيس وزراء بلاده لشؤون الصناعة، او ربما نائب وزير الصناعة سيصل بغداد ويود اللقاء بك. ابلغته فوراً بموافقتي ثم اخبرته بأني ورئيس الوزراء احمد حسن البكر سنلتقي به عند وصوله.

قابلنا المسؤول السوفيتي انا والبكر في القصر الجمهوري. فقلت له : نحن ندور، في موضوع الاسلحة، في حلقة مفرغة والسؤال المهم كما نراه : نحن نريد ان ندفع لكم ؟ ونحن رئيس الوزراء ووزير الخارجية نقول نعم. اما انتم فتقولون ان الثمن هو المشكلة وسؤالي لكم : هل تريدون فعلاً تسليم الشحنة ام لا ؟ فأجاب : نعم نريد تسليمكم الشحنة بدليل انها مازالت محملة على ظهر الباخرة ولم يجر تفريغها. قلنا : ليذهب اذن الملحق العسكري السوفيتي ويجتمع بالمسؤولين في وزارة الدفاع العراقية ويتفق على جدول للشحن وجدول للدفع في آن واحد وتنتهي المشكلة فوراً. وكانت هذه واحدة من المشاكل التي حتمت علينا نوع وشكل اللقاءات.

بعد وصول صفقة الاسلحة قدمت اقتراحاً وافق عليه مجلس قيادة الثورة، ان ابادر في طلب زيارة الاتحاد السوفيتي فكلمت السفير وقابلت السيد غروميكو وزير الخارجية على هامش اعمال الجمعية العامة. وكان ذلك على ما اعتقد في اواخر ايلول، وكررت له رغبة العراق في استعادة علاقاته الطيبة مع الدولة السوفيتية. وقلت له : نحن دولة غير منحازة، وحزب البعث العربي الاشتراكي ليس حزباً معادياً للشيوعية وان ما يحصل بين البعث والشيوعيين انما كان بسبب تصدي الشيوعيين بالسلح لثورة البعث، ونرجو أن لا تتحول هذه المشكلة او تصبح الاعتبار الوحيد في العلاقات بين بلدينا. فقلت : ان علاقاتكم السيئة مع العراق ستعكس على مجمل علاقات السوفيت مع البلدان العربية. وذكرته بالاختلاف الذي حصل بين خروتشوف وعبد الناصر خلال عهد عبد الكريم قاسم وانحياز حكومتكم له. وطالبته ان يتعاون معنا في تحجيم نقاط الاختلاف ووضعها في موضعها الطبيعي. وعبرت له عن استعدادي للذهاب إلى موسكو في الوقت الذي يقررونه.

تفهم غروميكو كل ماقلته. لكن الامور جرت بعد ذلك بسرعة، ولم تتح لزيارتي فرصة التحقق.

اما علاقاتنا بالغرب فلم تتميز بمجديد. ولم تختلف عن السابق وكانت صلاتنا بسفرائهم جيدة بشكل عام، ولم تكن لدينا اية مشكلة مع الولايات المتحدة. وقد نصحننا جمال عبد الناصر بالاستفادة من القانون الامريكي المسمى "الغذاء من أجل السلام" . . . كانت مصر تشتري

استناداً لذلك القمح وتدفع بالعملة المحلية المصرية. فعلنا ذلك واشترينا كمية كبيرة من القمح وفوجئنا بعدم موافقة الجهات القانونية الامريكية على معاملتنا مثل المصريين وحجتهم ان العراق بلد نفطي ولديه كميات وافرة من العملة الصعبة، فوافقنا ودفعنا. وعدا عن هذا لم نحصل بيننا اية احتكاكات باستثناء بعض المضايقات البسيطة مثل تفتيش الحرس القومي للسفير الامريكي ببغداد. وكان يأتي اليّ مشتكيًا ، فأعترى واضطر للقول له : لستم وحدكم تعاونون من هذا ، بل حصة السوفيت وسفيرهم وسفراء الدول الاشتراكية من المضايقات اكبر بكثير فينتسم وينتهي الامر.

ناصر الحاي ولطفي العبيدي

سؤال : هل مرّ عليك قبل وبعد عام ١٩٦٣ أسماء مثل ناصر الحاي ولطفي العبيدي وعلي عبد السلام وغيرهم من الاسماء التي دارت حولها شائعات كثيرة ؟

طالب الشبيب : في نهاية عهد عبد الكريم قاسم اجتمع المكتب العسكري والمكتب السياسي للبعث لتعيين التشكيلات الحاكمة بعد نجاح الثورة. اقترح عماش ناصر الحاي وزيرا للخارجية ووافق المكتب على الاقتراح. وكان الحاي حينذاك يشغل منصب سفير العراق في سوريا، أي مشرفاً على علاقات قاسم الحميمة بحكومة الانفصال وذلك لم يكن يحصل لو لم يكن عبد الكريم قاسم راضياً عليه وعلى صلة طيبة به.

ناقشت القيادة القطرية هذا التحليل فيما بعد وقررت إستبعاد الحاي من المنصب، لكن صداقة صالح عماش معه ومع لطفي العبيدي لم تتأثر، واستمرت قوية ولذلك عدل في اجتماع آخر للمكتب العسكري إقتراحه، وطالب بتعيينه وكيلاً لوزارة الخارجية وكان له ذلك. وبعد سنين كثيرة سمعت من سعد صالح جبر (ولم اكن اعرف ذلك) ان عماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف كانوا بين آخرين يتعاملون كمستشارين مع مكتب تجاري للاستيراد والتصدير اسسه جبر في بغداد غطاءً رواتب ممتازة وإعانات مالية. ولا ادري مدى دقة هذا الامر، خصوصاً وقد سمعت من آخرين بأن ماجرى في بغداد يأتي في سياق علاقات قديمة تربط بين العبيدي والحاي وبين عماش وتصل هذه الصلة إلى صدام حسين عندما اقام في القاهرة.

ربما كان محيى ناصر الحاي وزيراً لخارجية حكومة (البكر - صدام) عام ١٩٦٨، له دلالة اكبر من مجرد الاستيزار، لكنني لا اعرف اية تفاصيل عن هذا الامر^(١).

١ - ذكر لي احد كوادر حزب البعث الغربي للاشتراكي، وكان لاحقاً في سوريا بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٧ ومقرباً ←

والفكرة الوحيدة التي ظلت عالقة في ذهني هي ما تم كشفه عن الاجتماعات التي عقدت في دار الحاي في بيروت وفي داري الملحقين الثقافيين الأمريكي والبريطاني في بيروت أيضاً وبرفقة عبد الرزاق الناييف رئيس وزراء حكومة ١٧ تموز ١٩٦٨ ولطفي العبيدي، وربما اجتمع معهم احد الشخصاى الثلاثة عماش او حردان او صدام. وقد نشر لطفي العبيدي في الصحافة اللبنانية في نهاية الستينات صور شيكات مسلمة إلى قيادة سلطة ١٧ تموز ١٩٦٨. مما ادى بالمخابرات العراقية إلى شن حملة إغتيالات وملاحقات شملت كتلة العبيدي - الحاي - الناييف، في كل مكان داخل وخارج العراق.

وليس من شك ان بعض المداخلات المشبوهة كانت تحصل بالقرب منا وحولنا. ولكن ليس معنا إطلاقاً (واقصد مع القيادة القطرية للبعث). واتذكر، على سبيل المثال، العلاقة الودية التي كانت تجمع بين علي عبد السلام من جهة وكل من صالح عماش ورشيد مصلح التكريتي وكذلك تردده على احمد حسن البكر وعبد السلام عارف، وقد اعطى لنفسه رتبة عسكرية

من مندر الوندائي. بأن كتلة بيروت المؤلفة من الحاي والعبيدي وغيرهم والمتعاونة مع عبد الرزاق الناييف (مدير الاستخبارات في العراق)، كانت تبحث بين اوساط المعارضة العراقية عن شركاء في انقلاب جديد يجري تحضيره على نار هادئة لتغيير نظام عبد الرحمن عارف، الذي بدا ضعيفاً، بغية أشد منه. بهدف ايقاف نمو القوى الراديكالية من بعث يسار وشيوعيين (قيادة ولجنة) وحركة قوميين عرب والحركات الناصرية المتفرعة عن العربي الاشتراكي، والتي باتت قريبة جداً من إعلان جبهة سياسية تضم بالإضافة لهم الحركة الكردية المسلحة، وقرية أيضاً من الاستيلاء على السلطة وقلب الاوضاع جذرياً.

وكان شرط مجموعة بيروت للتعاون هو ان يتمتع شريكهم باسم او اسماء مدوية تصلح كغطاء للانقلاب الجاهز، فلم تلك المجموعة تمتلك ضابطاً كبيراً أو سياسياً معروفاً.

فعرضوا الامر على كثيرين، وقالوا لمنذر الوندائي ان بإمكانه اذا وافق على عرضهم ان يسافر إلى بغداد ليستلم منصب رئاسة الجمهورية. لكن الوندائي الذي لم يكن عليه غير الموافقة وانتظار البيان الاول، رفض العرض بعد مشاورة القيادة القومية لحزب البعث، وكان حزبياً ملتزماً يرفض التورط بأي عمل مشبوه.

وكما ذكر محمد باروت في كتابه "حركة القوميين العرب" ان هذه الكتلة عرضت أيضاً على قادة حركة القوميين العرب مشاركتها في انقلاب ابيض قادم، لكن الحركيين رفضوا لشكهم بأرتباطات لطفي العبيدي والحاي. وبعد إنقلاب كتلة البكر على حليفها. كتلة (النايف، الداود، الحاي، العبيدي) اظهرت الاعترافات والنهم المتبادلة اسراراً كثيرة مؤسفة تؤكد ان الاستخبارات الامريكية نشطت في العراق ليس من خلال قناة واحدة، ولا يستبعد ان تكون الولىمة التي اقامها علي عبد السلام في دازة عام ١٩٦٣ تصب في ذلك النشاط المتنوع، والغريب أن الرجل دعا لوليمته كل اعضاء مجلس الثورة وصديقاً امريكياً له واستثنى من الدعوة جميع اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث. وعرض على المدعويين توسطه لدى الادارة الامريكية لتسليح الجيش العراقي مقابل إطلاق الخيلاء الامريكان على كتيبة صواريخ سام السوفياتية الموجودة بمعسكر التاجي[20].

وقد استفسرت برسالة من الاستاذ سعد جبر عن ملاسبات هذا الامر والمكتب التجاري المزعوم ؟ فأجاب برسالة قائلا: انه لم يوظف في مكتب له عماش او حردان او ستار، ولم يعط راتباً لصدام حسين في القاهرة لا مباشرة ولا بالواسطة. لكنه لم ينف ولم يؤكد وجود ذلك المكتب التجاري الذي يفترض وجوده في واحدة من بنايات منطقة حافظ القاضي ببغداد.

على اصلاح الوضع وحماية سلطة الحزب لو اراد على ذلك، ولم يكن مطلوباً منه غير منع وجود جيشين في دولة واحدة^(١).

١ - روى لي شاعر العراق مظفر النواب في برلين: ان علي السعدي بعد عودته من المنفى، عير عن رغبته بإقامة علاقة طيبة معه (مظفر)، وكان يلح على خلوة معه يدافع فيها عن نفسه . وكان الشاعر يصده بسبب موقفه من قيادة نظام ١٩٦٣ الذي مورست فيه أعمال القتل والتعذيب وتصرفات غامضة أو مشبوهة . وكان السعدي قائداً لذلك النظام (على وجه التقريب) . ورغم الصدود ظل السعدي يلح على النواب الذي لم يتصرف كشاعر فقط بل كقائد سياسي (القيادة المركزية)، ويكرر طلبه كلما تصادفا في بيوت الاصدقاء المشتركين أو المنتديات العامة. وعندما أذعن النواب وإستمع إليه، طالبه السعدي بأهمية ان يصدق مايلي:

اولاً : انه (اي السعدي) والخط القريب منه لم يكونوا إطلاقاً على صلة بأية جهة اجنبية. وألح على ضرورة ابلاغ ممثلي الاطراف الوطنية شيوعيين وحركيين واكراد وبعثيين يساريين بذلك.

ثانياً : طالب القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي واليسار عموماً، بضرورة الوصول بالتعاون والتخطيط لمسك زمام السلطة، لانه يعلم ان احطاراً جسيمة تنتظر العراق، وأكد استعداداه ورغبته الشديدة بمحكمة عادلة وعلمية يقف فيها متهماً ليعترف بحقيقة ما جرى قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ وخلاها، ليصير ممكناً للأخريين الحكم بعدالة على القضايا المتعلقة بتلك المرحلة القاسية. أي انه طالبَ بعدم التصديق بالدعايات والاحاديث المرسلة بلا مسؤولية.

ثالثاً : قال انه وبعد دقائق من ثورة رمضان اكتشف انه وجماعته يسرون دون ارادتهم بقطار ماكتسه امريكية !!

رابعاً : طالبَ ان تستمر مفاوضات الجبهة الوطنية بين قوى المعارضة وبضرورة قبول "حزب العمال" طرفاً فيها، وانه مستعد ان ينسحب من قيادة الحزب بسبب ما يعتقدونه من دوره في مقتل قياداتهم في عام ١٩٦٣.

خامساً : قال عن قيادة ١٧ تموز ١٩٦٨ "كلهم عندهم علاقة مع السفارة البريطانية - ما عدا البكر الذي لا أعرف عنه شيئاً". وبعد ذلك جلسنا إلى بقية الحضور فقال بحضور أمل الشرقي وعبد الجبار محسن وآخرين انه يخاف كتابة مذكراته لانسها ستؤدي لقتله وربما الاساءة لزوجته.

لكن النواب يعتقد ان السعدي كتب شيئاً وتركه في مكان ما، وقد أفادت "هناء" بما يوحى بذلك. ويقول النواب ان السعدي كرر ذلك عندما التقاه في بيروت.

وفي هذا السياق اخبرني يونس الطائي ان السعدي اخبره في ١٩٦٧ بالقاهرة وكرر في بغداد "انهم جاءوا، دون قصد، بقطار ماكتسه امريكية. وكان الطائي يسكن في مدينة السيدة زينب بغرفة متواضعة، علق فوق رأسه صورة تجمع بينه وقاسم وبن بيللا وتحتها كُتِبَ بيت شعر من نظمه:

يظل الحق منهزماً
زماناً ثم ينتصر

وذكر اللواء الركن اسماعيل العارف "اسرار ثورة ١٤ تموز" انه قابل السعدي في لبنان وسأله "كيف راحت السلطة من ايديكم ؟ فأجاب : انهم جاءوا في القطار الامريكي وكانت جماعة امريكا اقوى من اية جماعة اخرى". ونقل كثيرون انهم سمعوا من السعدي مثل ذلك الكلام. واخبرني بعض الطلبة في براغ انهم سمعوا من السعدي مثل ذلك اكثر من مرة، وانه كرر ذلك الكلام في حفلة وطنية اقامها الطلبة بحضور د. عبد الحسين شعبان و ع. ف. والمرحوم موسى اسد الكريم (ابو عمران)

مراجع:

- [1] هاني الفكيكي ، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٢٦٩.
- [2] حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، شركة المدينة للطباعة والنشر جدة، ١٩٩٠ ص ٩٠ - مأخوذة عن وثائق المحكمة العسكرية الخاصة العليا جزء ٢ ص ٤٠.
- [3] راجع خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، مصدر سابق.
- [4] جيفري ارونسن، واشنطن تخرج من الظل، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٥٦، بيروت، ص ٩٠.
- [5] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، م.س، ص ٢٨٧.
- [6] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ٦٠ - ٦١.
- [7] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان، مصدر سابق، ص ١٣١.
- [8] الشيخ مهدي الخالصي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦/١/٧.
- [9] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٦١.
- [10] أمين هويدي، مع عبد الناصر، دار المستقبل العرب، - القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥، ص ١٥٢.
- [11] د. مؤيد الندوي، الوثائق السرية، مصدر سابق، راجع المقابلات مع محمد صديق شنشل وعبد العزيز العقيلي وعبد الرحمن البزاز محمد مهدي كبة، وغيرهم.
- [12] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ١٨٨.
- [13] أمين هويدي، مع عبد الناصر، م.س. ص ١٤٨، ١٥٣.
- [14] أكد الاستاذ أحمد الجبوري في رسالة للدكتور علي كريم سعيد في ١٩٩٦/٣/٥ نفس كلام شبيب، لكنه أضاف بأن القاهرة لم تكن فرحة بانفراد البعثيين بالسلطة.
- [15] طالب شبيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
- [16] محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ٦٧٦.
- [17] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٣٩.
- [18] زكي نخري، مذكرات، مصدر سابق، ص ٢٤٠.
- [19] محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج ٢، ص ٣٠٤.
- [20] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ١٥.
- [21] مظفر النواب، مقابلة، برلين، ١٩٩٤. في سياق استعراض دور التآمر الدولي في العراق.
- [22] يونس الطائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.



General Organization of the Arab Republic Library & Documentation

البيرية المسلحة^(١) حركة حسن السريع

سؤال : هل لك ان تحدثنا عن ما اصطلح على تسميته بحركة حسن السريع، او انتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣ ، وانعكاس ذلك على السلطة آنذاك ؟

طالب الشبيب : كانت ترد إلينا بين حين وآخر معلومات من قيادة الحرس القومي وجهاز الأمن عن وجود تنظيم عسكري شيوعي يضم ضباط صف وجنوداً، إضافة إلى وجود وقيام خلايا شيوعية مدنية قليلة العدد، بدأت نشاطها في بعض أحياء بغداد، وبعض المحافظات في أنحاء مختلفة من البلاد، وان قيادة الحرس القومي قد تمكنت من كشف بعض تلك الخلايا واعتقال عناصرها.

ورغم اهتمام قيادة الحرس القومي بالأمر، لم تأخذ قيادة الحزب القطرية ذلك مأخذ الجد^(٢). لأن حزب البعث كان يسيطر على جميع أسلحة الجيش في بغداد ومحيطها، ويقود كتائب الدبابات الأربع ضباط بعثيون بعد ان تم تنقية كافة مراتبها من المشكوك في ولائهم. أما وحدات المشاة فتوزعت قيادتها بين ضباط بعثيين وآخرين مواليين.

وبضمانة الجيش، وهو أهم أدوات السلطة، كان من الطبيعي ان لا نشعر بالخوف، بل عشنا أجواء ظننا انها آمنة، قبل ان نفاجأ بما سمي بحركة او تمرد حسن السريع.

وعلمت شخصياً بحصول تمرد في معسكر الرشيد من مكالمة وصلت إلى مكتب حازم جواد الذي جاء إلى بيتي مرتدياً بدلة عسكرية، واخبرني بوجود تمرد عسكري في الرشيد. ومن داري

١ — البيرية هي غطاء الرأس العسكري الذي يلبسه الجنود.

٢ — تحدثنا احمد الزاوي (عضو القيادة العامة للحرس القومي) في عام ١٩٧١ بدمشق، بأن قيادة الحرس القومي عندما علمت بوجود بعض خلايا "التنظيم الجديد" للحزب الشيوعي في بغداد وبعض المدن، لم يغمض لها جفن، واستغفرت كامل قواها ولم تسهدأ قبل ان تضع يدها وتتحكم بالأمر^[١] وقد ذكر الزاوي ذلك في سياق حديثه عن المجهودات والأرق الذي يصيب نظام بغداد بسبب النشاطات السرية التي تقوم بها قوى المعارضة العراقية.

أجرى اتصالات بوزارة الدفاع والقصر الجمهوري، فأخبروه ان الأمور أصبحت تحت السيطرة. لكن التبرم والانزعاج ظهر جلياً على وجهه حينما عَلِمَ ان عبد السلام عارف يقود بنفسه كتيبة الدبابات الرابعة التي أصبحت بعد ثورة ١٤ رمضان كتيبة دبابات القصر الجمهوري، فصعد إلى الدبابة الأولى وقاد رتلاً من الدبابات نحو معسكر الرشيد.

واعتقد ان تصرف عبد السلام وتصدره للعملية كان وراء تحسُّس وإلحاح حازم جواد لكي نذهب فوراً إلى المعسكر لرؤية ما يجري على الأرض، ولنكون موجودين عندما تتخذ قرارات عسكرية، وربما تكون خطيرة وبذلك لا نترك الفرصة لعبد السلام عارف ان يظهر بمظهر المنقذ والحامي لحكم البعث.

ومع الأسف ثبت لنا بسرعة عدم سداد هذا الرأي. وكان من الأفضل ان نذهب إلى مقرات القيادة في وزارة الدفاع او القصر الجمهوري.

ركبنا سيارته أنا وهو وأخي بهاء شبيب، وكان يقودها حامد جواد أخو حازم جواد، وهو ضابط في القوة الجوية ومسؤولها الحزبي. ولم يكن معنا غير مسدساتنا الشخصية ورشاشة كلاشينكوف واحدة. وعندما دخلنا معسكر الرشيد وجدنا أنفسنا وسط فوضى عارمة. وكانت الدبابات التي يقودها عبد السلام عارف قد دخلت قبلنا بقليل، والمدفعية ترمي بكثافة والقنابل محتدم، ووحدات من الحرس الجمهوري موجودة تتخللها مجموعات من الجنود، وآخرون بملابس الحرس القومي. وكل هذه القوى تختلط ببعضها بصورة فوضوية عجيبة.

ولم يكن هناك أي مظهر يدل على وجود قيادة او تنظيم مركزي، بل لم يكن أحد يعرف إلى أي طرف ينتمي هؤلاء وأولئك، وكنا نعلم ان الحرس القومي متسبب، لكننا فوجئنا بمستوى ما تجسّد أمام أعيننا من فوضى غير متوقعة وغير معقولة^(١).

١ - فجر يوم ٣ تموز ١٩٦٣، وكان الظلام مازال طاغياً، إنجّه العريف حسن السريع مع مجموعة من جنود وضباط صف المدرسة المهنية العسكرية وبعض المدنيين بزي عسكري فضلاً عن جنود ملتحقين من وحدات أخرى، انطلاقاً من مهاجعهم، صوب كتيبة الهندسة بمعسكر الرشيد، وكان بعضهم يرتدي ملابس ورتب الضباط. وعندما أصبح على مسافة مجدية من حرس باب نظام الكتيبة، رفع وبمركبة سريعة وذكية بيريتيه طالباً منهم بحزم وثقة إلقاء أسلحتهم، مستغلاً ستار الظلام وجلبه الرجال الذين معه، ليوهم الحراس بأنه وبقيّة العسكريين المرافقين يحملون أسلحة وينفذون خطة مدروسة ومعدة سلفاً. وبأن ما يقومون به ذو شأن كبير وجزء من عمل واسع. . . دار ذلك بخلفه وأوحى به حركة البيرية في أذهان الجنود الحراس البسطاء، الذين ذهلوا ورموا أسلحتهم نستسلمين.

كانت تلك بداية انطلاق ما سمي بمركبة حسن السريع التي تمكنت من احتلال كتيبة الهندسة ثم أغلب أجزاء المعسكر الذي احتوى على أكبر قوة في بغداد، ضمت الطائرات والدبابات والمدفعات وسلاح الهندسة والمشاة وغيرها. كما تمكنا من اعتقال عدد من الضباط المواليين للحكومة، وتجهيز بعض الطائرات بانتظار الضباط الطيارين بعد إخراجهم من سجن رقم واحد الواقع في المعسكر ذاته والذي ضم حوالي ٥٠٠ ضابط شيوعي وقاسمي، ليتم توزيعهم على

←

بشدة على قلة انضباطهم وعلى تصرفاتهم التي لا تدل على نظام او تنظيم. وكان تقديرنا انهم من شباب الحرس القومي، وفجأة تحولت رشاشاتهم إلى صدورنا وطلبوا منا النزول من السيارة. وفي نفس تلك اللحظة الحرجة كان حامد جواد الذي يرتدي بدلته العسكرية قد ترجل وتمكن من التملص، ولا ندري هل تركوه يذهب احتراماً لبدلته العسكرية بأعتبارهم جنوداً، أم لأن تركيزهم استقر علينا فقد كنا صيداً ثميناً (وزير خارجية ووزير داخلية)، فأحاطوا بسيارتنا وامرونا بالنزول بعد ان اطلقوا بضعة إطلاقات. أصابت سقف السيارة. واعترف ان اسلحتهم لم تكن موجهة عند الرمي إلينا مباشرة.

كانوا ثمانية اشخاص، إقتادونا نحن الثلاثة - انا وحازم وبهاء - نحو حائط قرب بوابة معسكر الرشيد الرئيسية. فأيقنا اننا سنقتل، ولا استطيع الآن ان اصف لك شعوري، لأنني لم اشعر بشيء، لا خوف ولا رهبة ولا أي شيء آخر. فالقضية كلها تمت في لحظات. والمفاجأة بحد ذاتها لم تترك متسعاً للخوف ولا لأي شيء آخر. ولم يتجسد في ذهننا سوى فكرة واحدة هي اننا سنقتل، وليس امامنا، كما يبدو، سوى ان نتصرف بجلادة وصبر، فمادامت النهاية محتومة فإن الشجاعة افضل من الضعف.

وقفنا بإتجاه الحائط، ووقف خلفنا الجنود وكان قد صدر لهم امر بسحب الاقسام من قبل عريف، مازلت اذكر اسمه "صباح ليلية" وهو آشوري. وكنت قد تدربت في دورة عسكرية لضباط الاحتياط واعرف ما يعنيه ذلك، فستكون الرصاصات قد إندفعت إلى سبطانة البنادق، وبعد فاصلة زمنية قصيرة جداً سيصدر الامر بالرمي. وفي ذلك الجو الفوضوي، يستطيع أي شخص ناظم او متهور ودوغاً مساءلة ان يقضي علينا بضغطة زنادة.

وفجأة !! سمعنا صوت عسكري عالي النبرة، يأمر الجنود بالتوقف، فالتفتوا وراءهم ليكتشفوا انهم محاطون بقوس يتكون من فصيل كامل من الحرس الجمهوري، وعلى رأسه ضابطان هما حامد الدليمي وكنا نعرفه ويرافقه حامد جواد (سائقنا الذي ترجل)، فكانت اكثر من اربعين رشاشة مصوبة إلى صدورهم.

ومن حظنا الطيب، وحظ أسرينا العاثر انهم كانوا بسطاء ولم يدركوا ان الدليمي وجنوده لم يكونوا قادرين على الرمي، لأن مجرد إقدامهم على ذلك سيعني قتلنا، لأن أسرينا يقفون على خط مستقيم بيننا وبين محاصريهم. وهو امر لم يكن حامد الدليمي او حامد جواد قادرين على المجازفة او التورط به. كما انهم رغم قراءتهم لهوياتنا ومعرفتهم لمراكزنا، لم يتشبثوا بنا ويساوموا علينا، وهو امر كان سيساعدنا كثيراً، ويكسبهم الوقت الكافي للحصول على نجدة او للهرب والاختلاط بالجنود المبعثرين داخل وخارج المعسكر في حالة من الفوضى لا يعرف لها مثيل. ويبدو ان الارتباك سيطر عليهم عندما وجدوا انفسهم امام

سبقونا في الوصول إلى المعسكر قد وقعوا في الأسر، وهم الآن معتقلون. وحينئذ تأكدنا بصورة ملموسة بأن الحرس القومي غير قادر على القيام بأية مهمة عسكرية حقيقية وفعالية، وليس أدل على ذلك من أن أول من وقع في الأسر قيادته التي إنجرت سريعاً لخديعة بسيطة، فأدخلت نفسها في وسط من الفوضى ليس لك أن تميز وانت بداخله العدو من الصديق، والجندي من الحارس القومي أو الثائر المتمرد. وأحسنا بالفارق الكبير بين تصرف القوة النظامية وغير النظامية، من خلال رصد موقف وسلوك سرية الضباط حامد الدليمي بالمقارنة مع عشرات الحراس القوميين الذين لم يفعلوا سوى زيادة الطين بلة.

أخبرنا حامد جواد أنه بعد أن تخلص من سيارتنا ذهب باحثاً عن نجدة لتخليصنا، فوجد الضباط الدليمي على رأس سرية من الحرس الجمهوري فأخبره بوقوعنا في الأسر وبإحتمال أن نقتل فوراً، فتحرك بفصيل منها بسرعة ونفذ بعد رصد المكان عملية انقاذنا. وكان وضع المعسكر حتى لحظة إطلاق سراحنا غير مستقر، يختلط فيه "الحابل بالنابل" والقتال محتدم ولا أحد يستطيع التمييز بوضوح بين الموالين والمعادين، ولم تكن السيطرة واضحة لأحد. وعلمنا أيضاً عدم وجود ضباط بين المتمردين وإنما كلهم كانوا جنوداً وضباط صف وحزبيين مدينيين، وانصب تركيزهم على احتلال السجن رقم واحد، لأطلاق سراح الضباط، لكنهم واجهوا مقاومة غير متوقعة من سرية حراسته^(١).

١ — لم تحسب قيادة الحركة حساباً لصمود سرية حراسة السجن، بل اعتبرت فاصلة جزئية من عملها الكبير، فأربكها صمود حراس السجن الذي استغرق وقتاً كافياً للوصول دبابات القصر الجمهوري، وخلال المعركة قُتل أو انتحر أمر سرية حراسة السجن حازم الصباغ (الأخر). ولا يمكن الآن الحكم بسهولة على إمكانية فشل أو نجاح الحركة لو لم تقف تلك العقبة بوجه المتمردين، خصوصاً وأنهم كانوا مبادرين وانتحاريين، ولديهم الفرصة بالاستعانة بمئات الضباط المختصين بمختلف صنوف الأسلحة، إذ لم يجتمع مثل هذا العدد "٥٠٠" ضابط لأية حركة من قبل، لا ثورة مموز ولا رمضان. ولا إنقلاب ١٧ مموز أو غيره. وقد خسرت "اللجنة الثورية" بسبب عدم إطلاق سراحهم إمكانية إعطاء إشارة البدء للوحدات والمسكرات الأخرى. أما السلطة فلم تتوقع ما حصل إطلاقاً ولم تتخذ أية احتياطات أو تضع خطة طوارئ للمواجهة. أن الغرابة والإنارة فيما حصل تكمن في الكيفية التي تمكن بها جنود لا يزيد متوسط أعمارهم عن الخامسة والعشرين، ولم يقضوا في مدرسة الحياة فترة كافية، ولم يصل أي منهم إلى مستوى عضو "لجنة عملية" داخل حزب، من مجرد التفكير والتخطيط لقضية بالغة التعقيد وخطيرة مثل الاستيلاء على السلطة السياسية والتخطيط لذلك بهدوء، في حين جرت العادة أن يضرب العمال عن العمل ويهرب الجنود من قطعاتهم إذا كانوا غاضبين. لذلك فإن ما جرى يعكس، في تقديري، المستوى السياسي المتطور الذي وصلت إليه المدارس الحزبية العراقية كالمدرسة البعثية التي فاجأت نظام قاسم بعمل فائق التنظيم، والشيوعية التي كان السريع نموذجها. لكن هذا وحده لا يمثل سوى الإمكانيات والجانب الفني للمسألة، ولا يشكل دافعاً كافياً للتحرك والمجازفة في مواجهة القسوة والموت. ولذلك وبعد استقصاء من كثيرين وجدت أن هؤلاء الشباب قد تملكهم شعور وموقف ثابت هو أن السلطات المتعاقبة تضرهم ولطموحات أهاليهم العداوة المستمرة، فاستقر بذههم موقف سلمي من مؤسسة الدولة. وما نذكره هنا يحد صده أيضاً في الجهة الأخرى حيث قرر عسكريو ٨ شباط — حتى قبل البدء بالانقلاب العسكري — استبعاد الجنود من قيادة الدبابات، واشتراطوا الضباط لقيادتها بواقع ثلاثة لكل دبابة. وكان سبب

←

وعلمنا ان قائد التمرد ضابط صف اسمه حسن السريع، وانه تمكن من الهرب، وان القوات الحكومية تمكنت الآن (الساعة السابعة صباحاً) من تطويق التمرد، وهي في طريقها لسحقه وإخماده، وقد تحقق ذلك وألقي القبض على اكثرية المتمردين.

دام التمرد عدة ساعات، وقد دخلنا المعسكر وتعرضنا للاسر في الساعة السادسة صباحاً، وانتهى القتال واستتبت الاوضاع في حدود الثامنة صباح نفس اليوم. واذكر انني كنت مرتبطاً بموعد مع وفد برلماني بريطاني يزور العراق، في مبنى وزارة الخارجية في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم ايضاً، فأسرعت إلى الوزارة وتم الاجتماع، وحينها سألت ضيوفي اذا كانوا قد سمعوا اطلاق رصاص أو أية أخبار مقلقة عن الوضع الأمني في البلاد؟ فردوا أنهم لم يسمعوا شيئاً وان الامور بدت لهم على ما يرام. فأخبرتهم بأنهم سيمسمعون بعد قليل من الاذاعة بأن تمرداً بسيطاً حصل في احد المعسكرات، وامكن السيطرة عليه بسهولة وبسرعة. ولم اخبرهم بما جرى لي، غير انهم علموا بذلك قبل مغادرتهم الوزارة. فعبروا عن استغرابهم واعتذروا عن حضوري الاجتماع في تلك الظروف الاستثنائية، بعد ان كنت معتقلاً. وحينذاك كان الخبر قد شاع في بغداد كلها وبدأت التلفونات والبرقيات تصل مهتة بالسلامة.

وفي اليوم نفسه اجتمعنا في الساعة الواحدة ظهراً في وزارة الدفاع بدلاً من القصر الجمهوري، لأن المعلومات عن العملية كانت ترد إلى هناك تباعاً. وطلبنا في حينه من وزارة الدفاع ومن ادارة الحرس القومي رفع تقارير تفصيلية عن ما جرى وعن نواحي الخلل، وتقويم الموقف لدراسة الاسباب التي أدت إلى فشل الحرس القومي في كشف وردع المحاولة قبل حصولها غير ان كلا التقريرين لم يصلا إلينا عند إلتزام الاجتماع. وكان واضحاً تقصير وزارة

القرار التخوف من عدم موالة الجنود. وهذا يعكس وجود هوة كبيرة بين الجندي والضابط وبالتالي بين الجندي والسلطة. والامر الثاني هو نزوع الجنود بدلاً من الهروب، إلى اخذ السلطة كلها بين ايديهم، ولجوئهم الواعي ليس إلى الضجيج والبيانات، وانما التخطيط لاستخدام آلة السلطة الحقيقية وهي الجيش، يدلل على وعي خاص ومتطور بكيفية إدارة الصراع في دولة لا تعتمد البرلمان الديمقراطي في ادارة شؤون البلاد. كما انهم ربما تأثروا بدور الجيش في ثورة ١٤ تموز و ١٤ رمضان في حسمه وبجاحه في الانقلاب على السلطة، فلجأوا هم ايضاً إلى اسلوب الثورة العسكرية. وقد اثبتت التحريات ان عملهم كان ذاتياً ١٠٠٪ ولم تكن هناك اية تدخلات او تعاون خارجي. فضمت صفوف حركتهم عناصر من كافة ألوان النسيج العراقي العربي والكردي والآشوري والمسلم والمسيحي... الخ ولم تتحكم في تصرفاتهم اية مثيرات طائفية او عنصرية او دينية. ولهذا فإن ما حدث في ٣ تموز ١٩٦٣ لم يكن فقط انداراً للسلطة، بل كان انداراً عاماً بضرورة العودة للشعب وعدم الابتعاد عنه. لكن احداث المستقبل اثبتت ان الذين سيطروا على السلطة لاحقاً استفادوا من ذلك الدرس مقلوباً، فخططوا حتى قبل وصولهم للسلطة (عام ١٩٦٨) إلى تعطيل ممانعة الشعب العراقي من خلال سحق مراكز قوته الدينية (الاسلامية الشيعية والسنية) وسحق الحركة الكردية والوطنية المنظمة والتأمر على سوريا والجزائر العربي والاسلامي[3].

الدفاع التي لم تستطع المبادرة في إخماد الحركة، وتركت لعارف الباب مفتوحاً لتحقيق نصر معنوي، دفع احمد حسن البكر إلى ان يقترحه في ذلك الاجتماع رئيساً دائماً لمجلس قيادة الثورة. كما طأطأ قادة الحرس القومي رؤوسهم امام تساؤلاتنا ونقذنا. وذلك افرز نتائج سياسية وامنية سمحت لرجال مثل طاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وصالح مهدي عماش بالتعاون مع بعض هيئات التحقيق الخاصة مثل عمار علوش وناظم كزار وصادم التكريتي وسعدون شاكر وخالد طيرة وغيرهم، وتزويدهم بأسلحة واموال كافية لتأجير او كار غير رسمية للتحقيق، وكانت اخبار الجرائم تصل إلى اسماعنا دون ان نمتلك أدلة ملموسة.

وفي مساء نفس اليوم عقد المجلس الوطني لقيادة الثورة اجتماعاً في وزارة الدفاع ايضاً، في جو مشحون بالحماسة الثأرية. وخلالها اقترح رئيس الوزراء احمد حسن البكر ان تنتخب رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف رئيساً للمجلس الوطني بصورة دائمة، نظراً لبطولته وتقانيه في الدفاع عن الثورة، وتعريض نفسه للخطر^(١). فأنبرنا انا وسعدون حمادي وعلي صالح السعدي يؤازرنا كل مدنيي الحزب معترضين على الاقتراح، وقلنا ليس هناك أي داع لتغيير قانون مجلس قيادة الثورة لمجرد حادث بسيط تم داخل معسكر، وكان يمكن القضاء عليه دون تعريض رئيس الجمهورية نفسه للخطر، وكان يفترض من البدء ان نضع خطة امنية، ونتفق على المكان الذي يجب أن يتجمع فيه من اعضاء القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة، ولا بأس ان نضع الآن خطة للمستقبل في حالة حصول تمرد مماثل او محاولة إنقلابية، فنحول دون الوقوع في أسر خصومنا كما حصل.

واكدت بأن الحرس القومي سيبقى مشكلتنا الازلية، لذا يجب ضبطه وإعادة تنظيمه وإلا فسيوقعنا بمأزق خطير، خصوصاً اذا استمر بهذه الدرجة الخطرة من التسبب حيث أخذنا وأخذت قيادته أسرى لأن الجميع ظن ان الحرس القومي يجيد حفظ الامن. والحقيقة كانت

١ - أثبت اقتراح البكر دقة وصدق تنبؤ وتخوف حازم جواد. بل ان حركة السريع ودور عبد السلام في إخمادهما، أضعفت في محصلتها النهائية، دور المدنيين في حكومة البعث العربي الاشتراكي في العراق ووطدت دور العسكريين، ليس فقط من جهة اقتراح البكر، عبد السلام رئيساً دائماً للمجلس، بعد ان كانت دورية، بل بدأوا يطالبون بدور وصلاحيات وتمثيل أكبر في قيادة الدولة والحزب ومؤتمراته، مما أدى إلى صراعات انتهت بفقدان الحزب للسلطة بكاملها. ويذهب بعض المحللين الشيوعيين منهم بشكل خاص، بأن فشل محاولة اغتيال قاسم برأس القرية وفشل السريع بمعسكر الرشيد، كانا فشلين أدبا إلى تغيير تاريخ العراق القادم، إذ لو مات قاسم في الأولى بايد غير شيوعية، لاستلم الشيوعيون السلطة مباشرة ولما حصل ما حصل فيما بعد من تغيير في بنية وتركيب الدولة والجيش. ولو نجح السريع لخسر البعثيون والقوميون السلطة. وما زال الشيوعيون ينظرون إلى هاتين الفرصتين كحل مضمّن، كان تحققه سيعطيهم الفرصة لتغيير مسار العراق تماماً.

أريد بطرح ذلك الموضوع الحساس، أن أخلق مناقشة حادة تؤدي إلى إهمال اقتراح احمد حسن البكر. وأعتقد ان موقفنا ذلك ترك راسباً سيئاً في نفس عبد السلام عارف ضدي وضد علي السعدي وسعدون حمادي ، واتضح ذلك من الامتناع الشديد وعدم الارتياح الذي ظهر على وجهه ، حتى اننا لقينا بعض الجفوة في تصرفاته القادمة ، وما زاد الامر سوءاً هو وقوفي ضد الاقتراح الذي قدمه في اليوم التالي بإعدام جميع الضباط الشيوعيين المعتقلين في السجن رقم واحد، بدعوى تعاونهم مع الحركة.

وكانت هناك سلسلة من المواقف إختلفنا فيها ، ثم جاءت أحداث أخرى عصفت بدولتنا، وغطت على هذا الموضوع، لكن عبد السلام لم ينس وعبر عما بداخله مرة أخرى عندما استتب له الامر بعد ردة تشرين الثاني ١٩٦٣ ، فقام باحتجازنا في مطار بغداد، ومنعنا من دخول البلاد، رغم انه رد على طلبنا بالعودة بالموافقة، لكنه نكث وسفرنا بعد ست ساعات منفين للقاهرة.

وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا ان عارف كان، خلال تأخيرنا لنا في مطار بغداد، يناقش مع أركانها أمر إعتقالنا وإعدامنا، فوقف بوجهه كل من طاهر يحيى وصبحي عبد الحميد وكان الاول رئيساً للوزراء والثاني وزيراً للخارجية . ويمكن للقارئ ان يلاحظ انتهاء عبد السلام عارف الذي تظاهر قبل مغادرتنا العراق برغبته الشديدة في بقائنا (وحيثنا كنا اقوياء) وبين موقفه بعد أن أصبح الحاكم الوحيد للبلاد.

المهم في الامر ان التمرد الذي تم سحقه داخل معسكر الرشيد، ظلت بعض ذبوله تُسبب الخلافات داخل الدولة، وتؤدي إلى نتائج دموية أخرى تتعلق بالتمردين والمعتقلين، وإلى مكاسب حققها دعاة التشدد والقسوة. وقد ظهر جلياً مدى حقد البعض على الجنود البسطاء المشاركين في الحركة، وما زلت أتذكر أخي "صلاح شبيب" وكان حينها نائب ضابط في الاستخبارات العسكرية ومحققاً رئيسياً، انه جاء إلى داري ورمى رشاشته أرضاً وقال بانزعاج: لا استطيع المواصلة، لأنكم تعتقلون وترسلون رجالاً بسطاء إلى ساحة الاعدام، انه امر غير مقبول ولا يحتمل، جميعهم يصيحون "دخيلك يا محمد، دخيلك يا علي! ويكبرون بالثلاث!!".

عائني أخي صلاح قائلاً: إنكم إذا عاديتم هؤلاء البسطاء والمساكين فإنهم سيذهبون حتماً إلى الشيوعيين . . ! وبعد هذا الحادث وقفت بصراحة ضد كل اجراءات السلطة ولم اوافق على قرارات الاعدام، حتى ان حازم جواد عائني قائلاً : ليس لك حق يا طالب، فهؤلاء حملوا السلاح ضدنا!!

قطار الموت !!

ان ما سمي بقطار الموت لا اذكر كل شيء حوله، وما اذكره الآن هو اننا فكرنا بأن مجرد وجود مثل ذلك العدد الكبير من الضباط الشيوعيين^(١)، معتقلين في معسكر الرشيد قرب

١ - لم يكونوا شيوعيين عسكريين فقط، وإنما كان بينهم مدنيون وقاسميون أيضاً. وتختلف الروايات حول عدد الضباط الذين كانوا في سجن رقم واحد فيقول الفكيكي انهم ٤٥٠ [4]، وبقا ابراهيم ٦٠٠ [5]، في حين يقول كاظم السماوي انهم ١٢٠٠ سجين [6]. وأغلب هؤلاء حملهم القطار بعربات (فاركونات) مطلية جذرانها وارضيتهما بالزفت (الغار)، وغير مبطنة بواقيات عازلة وغير موصلة للحرارة. انطلق بهم في الساعة الحادية عشر صباح ٧ تموز ١٩٦٣، مع ارتفاع شمس مموز العراقية الحارقة. فكان يمكن للركاب - حسب التقديرات العلمية والطبية - ان يستسلموا للموت بعد ساعتين من انطلاق القطار، بسبب تركز الحرارة في الجدران والارضية القبرية، فتتحول كل عربة إلى تور متقل او فرن مغلق على لحوم بشرية. وكانت تلك العربات مخصصة لنقل البضائع، فوضع السجناء داخلها مكبلين، بعضهم "بكلججات" وآخرين بسلاسل حديدية، ربطوا بها إلى بعضهم بأشكال مختلفة وبصورة ليست منظمة ولا معتادة تدل على الاستعجال والغرضي. وتوزع الحراس على المرات بملايس مدنية وارتدى بعضهم ملايس على طريقة ابناء الفرات الاوسط ليظهروا بمظهر عمال او فلاحين إمعاناً في التمويه. وكانت مهمتهم منع اية محاولة لكسر الابواب والحرب.

ان صمود السجناء احياناً فترة اطول سببه وجود عدد من الأطباء الضباط معهم اعطوهم النصائح بأهمية (مَص) اصابعهم واجزاء الجسد الاخرى لاستعادة بعض الأملاح التي يفقدها الجسم وهي ضرورية لاستمرار صمود الجسم البشري وغيرها من النصائح المفيدة. وكان السجناء قد فقدوا قدرتهم على تحمل الحرارة بعد ساعة من تحرك القطار، وبدأوا يعانون من الغثيان وهبوط ضغط الدم بسبب نقص الاوكسجين داخل العلب التي حاول السجناء ان يحكموا اغلاقها، فتقياً اكثرهم، ويتدخل الحظ ولكن هذه المرة لصالحهم ويتوقف القطار بعد تجاوز الدورة وهور رجب في محطة المحاول، "وأثناء توقفه صعد شخص في الثلاثين من عمره وقال لي: خالي تعرف ان حولتك ليست حديد بل بشر هم أفضل أبناء شعبنا" [7]. ويقال أن شخصاً آخر اتصل بالسائق عبد عباس المجرى في المحاول قائلاً أن حولتك ليست بضاعة خاصة وإنما سجناء سياسيين "انهم ضباط عبد الكريم قاسم" فكلف المجرى (السكن) مساعد السائق أن يذهب للتأكد، فعاد مصغراً وهو يصيح (الحك الحكي طلع صدك). ولم يكن السائق يتوقع انه يقود تابوتاً بهيئة قطار مصفح، ولذا استبدت به الشهامة العراقية المتوقعة، مؤيدةً بذاكرة دية لعهد قاسم، فانطلق قبل الموعد بأقصى سرعة ممكنة (غير مسموح بها) فوصل بالقطار قبل مواعده بساعتين، وكانت الرحلة الاعتيادية من بغداد تستغرق ستة ساعات، ولم يُعرف لحد الآن كيف عُلِمَ ذلك نفر من ابناء سدة الهندية والديوانية بسر القطار فاحتشدوا حاملين "أسطل" الماء التي رشوا منها الماء على العربات فأخبرتهم أنهم بهذه الطريقة سيقتلون ركابي، فاقترت مني امرأة وقبّلت يدي في غفلة مني وقالت: "ارجوك أوصلهم بسرعة" [8]. ولا ندري هل سرب الخبز بعثيون متعاطفون أم أن الشيوعيين نظموا ذلك، أم انهم اقرباء السجناء. ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، بل إنهم اتصلوا بمعارفهم في السماوة لاستقبال القطار ومساعدة السجناء، اذ سيصل القطار قبل ان تتهاى السلطات المحلية لاستقباله. وعندما فُتحت ابوابه في السماوة تكشف العربات عن حشرات صادرة عن هياكل بشرية زاحفة للخارج، في حين غاب آخرون عن الوعي ومات شخص واحد على الاقل، وللمرة الثانية يلعب الاطباء الثلاثة السجناء دوراً مهماً في انقاذ حياة السجناء، إذ قفروا للامام وامروا المستقبلين الذين احضروا معهم مياه منلجة وحليب ومشروبات غازية، فنعسوا السجناء من الشرب وامروا الناس بجلب ماء دافئ وملح، وبسرعة عادوا يحملون ملحاً وماءً دافئاً "بالطشوت" - جمع طشت وهو إناء يستخدم لغسل الملابس والحاجات منزلية اخرى - ورشوا بها السجناء وسقوهم، لكن ذلك لم يمنع

الدبابات والطائرات ومركز السلطة، سيظل مصدر قلق وخطر كبيرين. وسيسعى جنود مغامرون لتحريرهم والاستفادة منهم. وان اهم عامل في فشل حركة حسن السريع كان في عدم تمكنها من اطلاق سراح اولئك الضباط. وايضا لعدم وجود ضباط في قيادة الحركة. وباستخدام هذا التحليل تمكن عبد السلام وغيره من "الصقور" من إدخال فكرة "ضرورة القضاء عليهم" في ذهن احمد حسن البكر وذلك من اجل قطع الامل امام أي مغامر قد يحاول مستقبلاً اخراجهم من السجن واستخدامهم في عمل عسكري ضد السلطة.

وعلى هذا الاساس نقل السجناء إلى سجن نقرة السلطان في الصحراء المحاذية لمدينة السماوة، فيما سمي بقطار الموت. ولا ادري اذا كان قد مات بعض السجناء خلال رحلتهم بالقطار إلى "النقرة" من العطش او الحرارة الشديدة، ولم اسمع أي شيء حينذاك إطلاقاً.

وما اعرفه ان احمد حسن البكر استدعى عبد الغني الراوي (عضو مجلس الثورة، قومي) وطلب منه ان يذهب إلى نقرة السلطان وهناك يجري تنفيذ اعدام بعض الضباط، بعيداً عن بغداد. وهذا الامر لقي مقاومة حازمة وشديدة من قبل قيادة الحزب المدنية. وكنا نحن، الذين أسرنا المتمردين وتعرضت حياتنا للخطر، اشد الاعضاء اعتراضاً على روح الانتقام التي سيطرت على اجواء كبار الضباط. ولقي موقفنا دعماً من بعض العسكريين واذكر منهم على وجه التحديد سكرتير مجلس قيادة الثورة انور عبد القادر الحديثي.

سعينا نحن المدنيون ومعنا أنور الحديثي إلى إيقاف دعوة الموت المندفعة الصادرة عن فورة من الانفعال الشديد، وروح الثأر التي يمكن في وسطها تمرير وتنفيذ اية قرارات فيها قتل او اعدام.

بعض السجناء من اللجوء إلى السواقي فشربوا ونزعوا ملابسهم ونام بعضهم فيها، وجرى كل ذلك وسط حشود من الناس، تتعالى بينهم ولولة وبكاء النساء. وعندما حاول رجال الشرطة والحراس الاعتراض تحدث معهم بعض الضباط السجناء فأخجلوهم، فابتعدوا واحترموا ذلك المشهد الانساني النادر الوقوع. وكان بين السجناء غضبان السعد والعقيد ابراهيم حسن الجبوري والعقيد حسن عبود والعقيد سلمان عبد المجيد الحصان والمقدم عدنان الخيال ورئيس اول لطفلي طاهر وحدي ايوب ود. رافد صبحي والطيار ابراهيم موسى والمهندس الكهربائي الضابط عبد القادر الشيخ ورئيس اول صلاح الدين رؤوف قزاز والضابط يحيى نادر وجميل منير العاني وآخرين. ولم يتوف منهم سوى شخص واحد كان في الأساس يعاني من مرض الربو هو الرئيس الأول يحيى نادر أخو اللواء محمد نادر مدير الشؤون الطبية في وزارة الدفاع.

وكان بين سجناء القطار ضابط صيدلي هو ابن السيد طالب ... ، وهو شخص مرموق من مدينة السماوة، وقد عَلِم والده بخبر القطار، فاتصل من بغداد بأهالي مدينته (السماوة) واستنفرهم، فطبخت النساء وخبزت الخبازات، فأحضروا من الزاد ما يكفي عشرات المرات للعدد المنقول في القطار، وقد استأجر سيد طالب شاحنة لوري وحملها مواد غذائية كالرز والسكر والشاي والسمن والتمر وسورها مع سيارات نقل السجناء إلى نقرة السلطان هدية منهم إليهم، وقد سمي حمدي أيوب بجدة أهالي السماوة بانتفاضة السماوة الصامته.

وقد ساعدتنا عصبية عبد الغني الراوي الذي رفض التنفيذ لأن عدد المطلوب قتلهم قليل جداً بالنسبة له ١١ وطالب بأعدام المئات في حين أبلغ بتنفيذ الاعدام بحق ثلاثين فقط. فندخلنا وبعد جدال طويل اقنعنا احمد حسن البكر ان لا ينفذ حكم الاعدام سوى بثلاثين اسماً يحددون بالاسم ويتم التنفيذ في نقرة السلطان.

وبعد اقتناع البكر، اعتبرنا تلك خطوة اولى طيبة نحو اقناعه بالتخلي نهائياً عن فكرة الانتقام وإعدام ضباط كانوا سجناء عندما حصل التمرد. وكان رفض عبد الغني الراوي المدعوم من عبد السلام عارف قد جعلنا نكسب وقتاً. وكان تبريره بأن الامر لا يتطلب سفره لأن قتل ثلاثين معتقلاً فقط يمكن ترتيبه مع إدارة السجن، وهو لن يكلف نفسه مشاق تلك السفرة.

قررنا قضاء الليلة مع البكر في مقر المجلس انا وحازم وانور لإقناعه بإلغاء احكام الاعدام، وبعدم قتل أي من الضباط المسفرين^(١). وكما قلت فقد لعب أنور دوراً أساسياً، أولاً: بإثارة عواطف احمد حسن البكر الابوية، عندما قال له: ان لديك اطفالاً وهؤلاء السجناء كلهم لهم اطفال وعوائل، فكيف ستمكن من ان تنام الليل بعد ان تأمر بارتكاب مذبحه من هذا النوع. ثانياً: بتذكيره بما سيكون عليه موقفه باعتباره رجلاً مسلماً، فكيف يستطيع إستباحة هذه الكمية من الدماء. وقلنا له: ان التمرد لم يحصل بناء على اتفاق بين قيادة الحزب الشيوعي او

١ — حول عدد الضباط الذين تقرر اعدامهم، تختلف الروايات والارقام، فيرى هاني الفكيكي: ان عدد الضباط الذين رأى عبد الغني الراوي عددهم قليلاً هو (١٥٠) ضابطاً، ويرى طالب شبيب انهم ثلاثون، اما الرقم الاساسي المرشح للاعدام والذي بدأت المساومة حوله فقد تضمن الطلب الذي قدمه عبد السلام عارف باعدام ٤٥٠ ضابطاً وتنفيذ الامر فوراً. ويذكر ان وثيقة حزبية داخلية نشرت في ٢ شباط ١٩٦٤ في سوريا اكدت نقلاً عن احد قادة الحزب الذي تحدث داخل المؤتمر القطري السوري معلقاً على احداث العراق بسخرية قائلاً: "طلب من احد ضباط الجيش العراقي اعدام اثني عشر شيوعياً، ولكنه اعلن امام عدد كبير من الحاضرين انه لن يتحرك إلا لإعدام خمسمائة شيوعي ولن يزج نفسه من اجل اثني عشر فقط". وكان عبد السلام وعبد الغني الراوي يريان ما حصل كان نصراً للإيمان على الاتحاد، ولذلك احتج عبد الغني الراوي داخل اجتماع مجلس الثورة بفتاوى العلماء الشيعة والسنة للضغط وكسب الموافقة على المجزرة المحتملة. علماً بأن قمع التمرد قد تسبب فعلياً بقتل ٢٠٠ عسكري، وحكمت المحكمة العسكرية بأعدام ٤٦ جندياً، وقتل آخرين اثناء التحقيق، يضاف لهم بعض الضباط الذين قُتلوا بجمرة الحركة في مراكز التحقيق، رغم عدم قيام الدليل على تعاون الضباط مع التمرد وكان أول من أشرف على التحقيق هو هادي خليفة السامرائي والذي أشرف على الترحيل هو مصطفى الفكيكي، وقد حدثني احد الضباط الذين كانوا معتقلين في السجن رقم واحد قائلاً: ان احد جنود حراسة السجن همس بأذني عندما كنت ذاهباً للمرافق قائلاً "بسيطة سيدي، إن شاء الله باجر تروحون إلى بيوتكم." ولم يفهم الضباط المذكور المغزى إلا صباح اليوم التالي . . . وعلى اية حال فقد تمكنت القيادة المدنية للبعث من إيقاف المجزرة وإنقاذ نفسها من التورط بمثل تلك الكارثة الانسانية عندما نجحت في تفسير الضباط السجناء إلى سجن "النقرة" وتسويق الامر بتشكيل لجنة تحقيق من محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد واحمد حسن البكر ومنذر الوندائي وابو طالب الهاشمي[9].

الضباط داخل السجن مع المتمردين، بل تؤكد كل المعلومات انهم مستقلون تماماً في عملهم وتحركهم، فلماذا نأخذ هؤلاء بجريرة اولئك^(١).

ولم يقتنع البكر بكلام أنور وكلامنا إلا في الساعة الرابعة صباحاً، وبذلك توقف اسوأ مشروع للموت في تلك الحقبة القاسية من تاريخ العراق المعاصر.

١ - والحقيقة فإن استقلالية حركة السريع قضية ثابتة. فلم يفلح محمد صالح العبدلي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي في مساعيه لإيجاد إتصال "باللجنة الثورية" قيادة الحركة او مجموعة (حبيب - السريع) وذلك بسبب التحرر والخوف من خطر الموت المترصص. لكنه حقق إتصالاً غير مباشر بهم، فأبلغهم بأن اللجنة المركزية ترى ان أي تحرك عسكري ضرب من الجنون والتسرع وقلة في التعقل، وقال للوسيط: "قل لهم نحن لسنا ضدكم ولا نقف بوجهكم. لكننا نرى عدم مجاحكم، وان ما تقومون به هو توزيع للقوة"^[10]. ويقال ان جماعة (حبيب-السريع) انزعجت من تلك النصائح، وكانت تنتظر المساندة والتعاون، خصوصاً وإن القيادة لم تكن تمتلك حتى ذلك الوقت اية مبادرة للدفاع عن نفسها ومنسوبي حزبها وكما قال الاستاذ باقر ابراهيم: "وهكذا كانت الرؤوس حامية وسارت في تنفيذ الامر"^[11] لكن الحوار مع (العبدلي-الحيدري) لم ينقطع، بل تواصل بطرق مختلفة، بواسطة زكي مبارك وهو قائد شيوعي قديم عاش في سوريا فترة طويلة ومات عام ١٩٩١ بموسكو. وكذلك بواسطة المحامي عدنان عبد القادر، وقد تم اعتقال مبارك وعبد القادر بعد الحركة ثم اطلق سراحهما. كما ان هاشم الألوسي (عضو عملية الرصافة) كان متعاوناً مع قيادة الحركة وسعى لدى من يتصل بهم من القيادات الاعلى لاقناعهم بوجهة نظر الجنود. وكان الألوسي هذا ثائراً متمرداً وشجاعاً، اعتقل ثم اطلق سراحه، وقدم للحزب الشيوعي تقريراً مفصلاً عن ثنائي صفحات (قطع كبير) حول ملابسات حركة السريع، ومن غير المعروف اذا كان الحزب يحتفظ بها. ولكن الدكتور حامد ايوب الخبزي ان اهم استنتاج تضمنته تلك الوثيقة المهمة هو ان حركة السريع في ٣ تموز ١٩٦٣ كانت تمتلك خطأ كبيراً بالنجاح، ولم تكن لتفشل لولا بعض الملابس والمفاجآت التي كان يمكن بسهولة تلافيها. هذا وقد قتل هاشم الألوسي في عام ١٩٦٨ تحت التعذيب في قصر النهاية كمناضل في "القيادة المركزية" للحزب الشيوعي.

ويذكر ان نشطاء الحركة تمكنوا من ارسال مندوبين عنهم إلى منظمة الفرات الاوسط للحزب الشيوعي التي لاذ قاداتها بمنطقة ريفية واسعة وعميقة وشديدة الكثافة وتقع بين مدينة الحلة والكوفة وكربلاء والديوانية، وهي مساحة شاسعة تسكنها عشائر عربية عريقة في الوطنية. وكانت المنطقة بقيادة باقر ابراهيم الموسوي الذي اصبح عضواً في المكتب السياسي. فتمكن مندوب الحركة من الوصول إلى منظمة الفرات واجتمع في مدينة الكوفة بحسن شعلان ماضي (وهو شيوعي رغم انحداره من طبقة الملاك الكبار)، وكان هدف الاتصال هو البحث عن سند شعبي ومساهمة فعلية. لكن قيادة الفرات لم تعط جواباً قاطعاً، بل اشترطت على الاقل معرفة اسم واحد من قادة الحركة، لكي تعرف مع من تتعامل. غير ان المندوب رفض بصورة قاطعة الكشف عن أي اسم. ولهذا اتفق على حل وسط هو ان تساند منظمة الفرات الاوسط الحركة فعلياً فوراً بعد إعلان التحرك العسكري.

ويذكر ان موعداً مباشراً كان قد تقرر بين محمد صالح العبدلي وقيادة الحركة، لكنه اعتُقل، قبيل الموعد، مع جمال الحيدري وعبد الجبار وهي في دار والد الدكتور عطا الخطيب. وهكذا لم ينته شهر تموز إلا وكان الطرفان (العبدلي-الحيدري) وتنظيم (حبيب - السريع) قد سُجِقَا وأُعدمَ غالبيتهم.

مراجع:

- [1] أحمد العزاوي، مقابلة، دمشق، عام ١٩٧١.
- [2] غضبان السعد، لقاءات في براغ، عام ١٩٧٧-١٩٧٨.
- [3] راجع: مذكرات حردان التكريتي، مصدر سابق.
- [4] هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مؤسسة رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٣.
- [5] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [6] كاظم السماوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [7] رسالة من مظهر عبد عباس ابن سائق القطار إلى د. علي كريم سعيد بتاريخ ١٩٩٦، ينقل فيها نصوصاً عن لسان أبيه لما جرى بالضبط خلال تلك العملية الخطيرة، ويبدو أن السيد عبد عباس استغل الفرصة ليؤكد لنفسه وللتاريخ بأن العراق بخير وبأنه يمثل الضمير الحر للعراقيين.
- [8] مظهر عبد عباس، الرسالة، م.س
- [9] هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مصدر سابق ص ٢٨٠.
- [10] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق ١٩٩٤.
- [11] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.

الطائفية

سؤال: هل ناقشتُم قبل أو بعد ١٤ رمضان ١٩٦٣، المشكلات الناجمة عن تعدد الأديان والمذاهب في العراق؟ وماذا كان موقفكم من تزايد شعبية المرجعية الإسلامية بزعامة السيد محسن الحكيم؟

طالب الشبيب: لم نضع قضية الدين والطوائف ضمن دائرة اهتماماتنا، ولم نبحثها في اجتماعات القيادة القطرية للحزب لا قبل ٨ شباط ولا بعدها. بل إن المؤتمر القطري الذي طرحت فيه جميع الخلافات الممكنة، لم يرد ذكرها إطلاقاً. ولم يكن ذلك لقلة أهميتها، بل لأننا لم نتوقع مواجهتها. ولا أتذكر إن أحداً قد تجرأ على المجاهرة وإظهار الانحياز الطائفي خلال فترة حكم الحزب. وذلك يعني رسوخ القيم القومية في أذهان البعثيين حينذاك. ولا أشك بأن تلك الصرامة قد كبتت النوازع التفريقية لدى البعض واضطرتهم إلى وصف المرجعيات "بالرجعية" بدلاً من "الطائفية" التي اختفت ولم تجرؤ على الظهور علانية. وحتى عبد السلام محمد عارف الذي درج هو وبعض المحيطين به على استخدام كلمة الشعبية^(١) كلما أراد

١ — الشعبية مصطلح يعود إلى العصر العباسي، جرى إحياءه في نهاية الخمسينات من القرن العشرين، خلال الجدل حول مفهوم القومية، والطريق إلى وحدة الأمة العربية، اندماجية أم فيدرالية أم وحدة تبدأ بتضامن عربي ترسخه اتفاقات سياسية واقتصادية وثقافية وتوطيد الاتصالات وحرية السفر... الخ، واستخدمه المثقفون السوريون واللبنانيون لأغراض تختلف عن أخوتهم العراقيين الذين استخدموه (القوميون والبعثيون) ضد الشيوعيين في عهد عبد الكريم قاسم في بياناتهم ومناسباتهم، وتكرر مصطلح الشعبية في البيان الأول لحركة ٨ شباط ١٩٦٣. ثم استخدمه القوميون في ١٨ تشرين الثاني ٦٣ ضد البعثيين وبشكل خاص ضد الحرس القومي. ثم استخدمه نظام صدام حسين بصورة عشوائية ضد ثلثي سكان العراق في مقالات جريدة الثورة الرسمية بعد انتفاضة آذار/ شعبان الشعبية. كما استخدم لإحراج عرب العراق واتهامهم بالصلة الإيرانية، وذلك بهدف التخفيف من مطالبهم في المشاركة السياسية في سلطة بلدهم. ويبدو إن عدم ممارسة القيادة القطرية لحزب البعث عام ١٩٦٣ للتمييز الطائفي، قد أزعج عبد السلام عارف والمحيطين به، خصوصاً عندما تصل إلى أسماعهم اللهجة الجنوبية المتداخلة مع البغدادية الأصبلة داخل أروقة الحرس القومي والمجلس الوطني. ولذلك وصفت الجمل الأولى لبيان حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ الحرس قائلة "أدت الهجمات على حريات الشعب التي قام بها الشعبويون المتعششون للدماء من أفراد الحرس القومي وانتهاكاتهم للمقدسات وامتثالهم للقانون والأضرار التي ألحقوها بالدولة والشعب، وأخيراً تمردهم المسلح في ١٣ تشرين الثاني ٦٣ إلى وضع لا يمكن السكوت عليه بعد أن بات يهدد مستقبل هذا الشعب..." [١].

و حول نفس الأمر ورد في كتاب حركة القوميين العرب، جمال باروت "إن وجود شخصية مثل عبد السلام عارف تميز بتعصبها الديني والمذهبي والعشائري والجهري في إطار قومية تقليدية عامة، كان من شأنه أن يكون رمزاً

الحديث عن مؤيدي عبد الكريم قاسم من أبناء الوسط والجنوب، إضطر إلى تغطية عداوته للمرجعيات الإسلامية. ولم تتضح نزعتة الطائفية المتشددة إلا بعد خروج البعث من السلطة وانفراجه هو بها. ولم تكن نعرف داخل القيادة القطرية: من هو السني ومن هو الشيعي؟ حتى اني لم اعرف ان هاني الفكيكي شيعياً، إلا في عام ١٩٨٤، عندما اشتكى بعض الأصدقاء من انه يتصرف تصرفات طائفية. فقلت: لم نعرف إن هاني سنياً متعصباً. فقالوا: بل هو شيعي ١١. أما علي صالح السعدي فأنا ما زلت غير متيقن حتى الآن، هل ولد شيعياً أم سنياً؟ ولم ألاحظ عليه انه كان يخطط لأعمال طائفية، لا خلال العمل السري ولا بعد استلام السلطة^(١).

بالنسبة لي كان سلوك البعثيين وفكرهم المكتوب مقنعاً، وقرأت مقالاتهم وعرفت رجالهم. ودرست الاشتراكية العلمية وشيئا عن الجدل الميجلي، ثم المادي الماركسي. وحلمت بالمساواة ووحدة الوطن العربي. ولم أفكر بالعصبية، ولم أتصور ان الصراع سيدور في العراق

لتوفير هذه الانقسامات. فقد افترقت شخصية عارف لتمثيل الأبعاد السياسية في الشخصية الوطنية العراقية التي كان قد مثلها عبد الكريم قاسم". ويضيف ان عبد السلام قال للوزير السوري جهاد ضاحي (ممثل حركة القوميين العرب) إن وجود جورج حبش على رأس حركة القوميين العرب يثير الاستغراب بأن يقود نصارى شبان محمد[2].

ويقول هاني الفكيكي في أوكار الهزيمة "كان عبد السلام عارف يستخدم كثيراً في حديثه كلمة الشعوبية بالمعنى والقصد الذي كان يستعملها بعض الطائفيين في محاربتهم لعرب العراق الشيعة، واذكر أن محسن الشيخ راضي وأنا وصلنا مرة متأخرين إلى إحدى جلسات مجلس قيادة الثورة، فقال عبد السلام: جاء الروافض (وكان يقصد بذلك اننا شيعيان)، الشيء الذي حمل انور عبد القادر الحديثي على الاحتجاج طالباً إلى عارف الاعتذار عن هذا التعبير".

١ - خرج حكم البعث عام ١٩٦٣، ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث عن الثوابت والنسب المفروضة في توزيع المناصب الوزارية وفي التعامل والتوظيف داخل مؤسسات الدولة. فوضع في وزارات أساسية كالمخارجية والداخلية والإرشاد والعمل وزراء كالسعدي وحازم جواد وشبيب ومسارع الراوي وخلخال، وفي مناصب مهمة كمحسن الشيخ راضي والفكيكي وأحمد العزاوي وغيرهم من الرجال الذين لم تعهدهم السلطة، جاءوا إليها من أوساط بعيدة عنها ولعب الانتماء الحزبي والسياسي دوراً حاسماً في توظيفهم. ونستطيع ان نؤكد ان موقف القيادة القطرية في ١٩٦٣ من قانون الأحوال المدنية لا يمكن حمله على محمل طائفي، بل يعود إلى مرجعية مختلفة هي ثنائية "التقدمي" و"الرجعي" ولهذا عارض عارف موقف مجموعة السعدي في المجلس الوطني، وساند مطالب السيد الحكيم بإلغاء تعديلات حكومة قاسم على قانون الأحوال الشخصية[3] وألغت بموجبها شرط موافقة ولي أمر الزوجة أو حضور القاضي لزوجها، ومنع الزواج بأكثر من واحدة. وإعطاء المرأة حق الطلاق ومساواتها بالإرث. واستناداً لذلك فإن المراقب المحلل قد يظن ان قيادة البعث في ١٩٦٣، باستثناء لجان التحقيق والتجاوزات على القانون، هي اقرب من حيث المبدأ والموقف العملي إلى نهج حكومة قاسم منها إلى نهج حكومة عارف، الذي استعاد بعد إبعاد البعث ثوابت (كوكس - النقيب)[4] واصر على وزارة بلون واحد. ولا نستبعد ان يكون موقف الحصري من البعث ناجم عن عدم اهتمام قيادته بالنهج الطائفي في إدارة السلطة، ففي كتابه "الإقليمية جذورها وبلورها" وصف ساطع الحصري البعثيين انهم "إقليميين معادين للوحدة العربية"[5].

على الأسماء والهويات والمذاهب والأديان والعناصر. وعلى أيدي سلطات تدعي الانتماء للفكر القومي الواحدوي.

حينذاك تأملت الاشتراكية العلمية التي مثلت انتمائي الأول، وفي الاشتراكية الديمقراطية البعثية، فوجدت في الثانية مجالاً حراً أكبر من القيود الفكرية الاجتماعية الستالينية اللبينية. ومبكراً انخرطت في صفوف حزب قومي يعطي أهمية كبيرة للمواطنة العربية، ويوزعها على سكان الوطن العربي باختيارهم، على حساب الانتماءات الجزئية الأخرى مثل الدينية والمذهبية والطبقية والعنصرية.

وفي الحقيقة، لم يكن أكثر البعثيين العراقيين، قد اطلعوا حتى ذلك الوقت على الفكر الاجتماعي الانساني سواء كان الماركسي أو الأفكار الليبرالية أو بعض الكتابات العربية القومية الاجتماعية. وأساساً لم يكن في المكتبة العراقية العلمية ما يسعفهم. ويبدو ان اختيار البعثيين للبعث العربي الاشتراكي كان في البدايات غالباً لأسباب قومية أكثر منها اجتماعية، وظلّت الاشتراكية العربية التي أطلق مصطلحها القادة القوميون والبعثيون التاريخيون خالية من مضامين محددة. وانطلاقاً من فراغها وجذّانهم (البعثيين) يتسابقون مع الشيوعيين على تبني الاشتراكية الماركسية بعد أول احتكاك لهم مع الشيوعية منذ نهاية عام ١٩٦٣.

ان الفارق بين الممارسة وبين ما هو مكتوب على الورق لدى كل حزبي، كبير جداً، ويعود السبب إلى انهماك الأحزاب باستمرار في صراعات سياسية داخلية. ومنذ عودتي للعراق عام ١٩٥٨ وجدت نفسي داخل أجواء تصادية مع سلطة عبد الكريم قاسم والشيوعيين. ولم يترك الصراع لنا وللأطراف الأخرى فرصة كي نعيد التفكير ببداياتنا وتطوير أنفسنا. لكن عدم وضع البعثيين أجوبة جاهزة على كل شيء أفادهم كثيراً خصوصاً من ناحية موقفهم من الترات والطقوس الدينية واحترام الملكية الشخصية والخاصة وذلك جنبنا خوض صراعات لا طائل وراءها مع الوسط الشعبي العراقي، تلك الصراعات التي استغرقت طاقة الشيوعيين.

كانت تلك هي حقيقة الموقف من الطائفية داخل الحزب. لكن الأمر لم يمنع وجود ضباط برتب كبيرة أو صغيرة على حد سواء قد فكروا بأعمال طائفية. غير اننا لم نسمع ولم نلاحظ ذلك إلا بعد خسارة السلطة بسنوات. والحقيقة فان معرفة ما في القلوب شيء صعب المنال. وهنا أتذكر قول الرسول الكريم عندما سأله أحدهم مشككاً بإيمان رجل دخل الإسلام حديثاً، فأجابه الرسول بسؤال: وهل فتحت قلبه ؟

غير ان الحوزتين الإسلاميتين الشيعية والسنية كانتا غير راضيتين عنا، فقد حصلت احتكاكات كثيرة أهمها تلك المتعلقة بالتعديلات التي أجريت على قانون الأحوال المدنية التي أبرمتها حكومة عبد الكريم قاسم دون دراسة كافية ودون أخذ الواقع بنظر الاعتبار. مما

أحدث نتائج لم تكن مقبولة. وفي هذا السياق حاولنا تجاوز أو تخفيف ما كاد يتطور إلى أزمة خطيرة بيننا وبين المرجعتين فألغينا بعض تلك التعديلات وابقينا على أخرى رغم إصرار جماعة علي صالح السعدي التي نظرت إلى تعديلات قاسم على أنها مكاسب "تقدمية"، لكن قانون الأحوال المدنية حافظ بتعديلاته الأساسية على شكله المخالف لبعض ثوابت الشريعة الإسلامية.

من ناحية أخرى اخبرنا المرجعية الشيعية عبر قنوات مختلفة بعزمنا مبدئياً على تشكيل لجنة لتلبية مطالبتها المتعلقة بتعديل المناهج الدراسية وإصلاح إدارة الأوقاف ومراقبة أجهزة الإعلام الحكومية ومنع استخدامها كأداة للتفرقة بين المسلمين^(١)، لكن إجراءاتنا وعودتنا لم تكن كافية لإرضاء السيد محسن الحكيم الذي أعلمنا بدوره بطرق مختلفة وعبر وسطاء موثوقين بأنه يرى أن الشيعة والسنة لا يختلفون حول قانون الأحوال الشخصية وإن أفضل طريق لتجنب التعارض بين ما تسنسه الدولة من قوانين وبين تعاليم الإسلام الأساسية سيكون بتشكيل لجنة مسؤولة عن التشريع، ولتكن من خمسين شخصاً، تضم متخصصين وموظفين كباراً وأصحاب شأن وممثلين عن فئات المجتمع المختلفة. ويرسل كل من السيد محسن الحكيم والشيخ الزهاوي شخصاً من قبله ليشير على اللجنة إلى كل ما يخالف نصوص القرآن والسنة. وماعدا ذلك فلتقرر السلطات السياسية وأجهزتها المختلفة ما تشاء من قوانين. وقد نقلت بنفسني في إحدى المرات مثل هذا التصور إلى قيادة السلطة، لكن اختلاف المفاهيم عرقل إمكانيات التفاهم حينذاك.

ولم يكن قانون الأحوال الشخصية هو المشكلة رقم واحد بيننا وبين السيد محسن الحكيم. وحسب علمي أننا لم نتخذ أي قرار يخالف الشريعة أو الأعراف والتقاليد. وحتى محاولة جماعة الشيخ محمد الخالصي تغيير صيغة مقدمة الأذان في الصحن الكاظمي الشريف، تدخلنا بسرعة وأوقفناها^(٢).

١ — لعبت أجهزة الإعلام مرات عديدة دوراً سلبياً في تأجيج المشكلات الاجتماعية والمذهبية، وعلى سبيل المثال كان المدير عام الإذاعة والتلفزيون عبد الستار الدوري الذي استمر بمنصبه حتى ما بعد ١٨ تشرين الثاني، تعليقاً سياسياً يومياً بعد نشرة الأخبار المسائية، يهاجم فيها أحياناً الملك حسين ويصفه بسليل الخيانة، ويقصد بذلك والده أو الأمير عبدالله، غير أن بعض علماء كربلاء والنحج فهموا أن في الأمر إساءة للإمام الحسين والإمام علي عليهما السلام، فشكروا وفدأً ذهب إلى بغداد وقدموا احتجاجاً بهذا الشأن. وكانت إذاعة عمان قد أذاعت هذا الخبر في نفس اليوم الذي غادر فيه الوفد إلى بغداد. وبسبب مداعلات سياسية سابقة وحاضرة، اعتبر بعضهم تلك الحادثة دليلاً على تأييد العلماء الإسلاميين للأسرة الهاشمية^[6]، وسمنا أن إحدى المجلات العربية قد نشرت مؤخراً صورة عن فتوى للإمام الخوئي بهذا الشأن، بهدف تأكيد أحقية الملك حسين بعرش العراق. ولا بد أن نذكر بأن المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة، حينذاك لم يكن الإمام الخوئي (رض) بل الإمام السيد محمد محسن الحكيم (رض).

٢ — حدثني قيادي بعثي من مدينة الكاظمية (لم يرغب بذكر اسمه) قال: "بعد سبعة أيام شاقة تلت ٨ شباط قضيناها في الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثي الكاظمية إلى بيوتنا لنتراخ، ففوجئنا بغضب آبائنا بسبب الغاء الشهادة الثالثة من

كما أبقينا أبوابنا مشرعة أمام علماء الدين. فلم يكن لدينا دوافع للصراع مع أي من الأطراف الدينية. حتى حزب الدعوة لم يكن يثير اهتمامنا. وأنا شخصياً لم اسمع به حينذاك، رغم أني علمت فيما بعد أن أجهزة الأمن كانت تعلم بنشاطه وباشتراكه بتنظيم المظاهرات التي رافقت زيارة السيد الحكيم إلى سامراء وذلك يعود إلى اعتماد حزب الدعوة الإسلامية لمبدأ السرية في تلك المرحلة. وللتعظيم الإعلامي الذي مارسه النظام محاولة لطمس وجوده وأنشطته^(١).

إن أهم مسألة أثارت الخلاف بيننا وبين السيد الحكيم رحمه الله، وخلقت جفوة كبيرة في موقفه من سلطتنا، كانت أخبار المظالم والتجاوزات التي ارتكبتها بعض أجهزةنا، وتصله

الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثي الكاظمية إلى بيوتنا لنتراح، ففوجئنا بغضب آبائنا بسبب الغاء الشهادة الثالثة من مقدمة الأذان. فأخبرنا قيادة الحزب بخطورة ذلك. فأرسلت إلينا فوراً الرئيس عبد السلام عارف، وبعد استماعه لحديث الموضوع قال: "اشغلتمونا بموضوع ليس بذي قيمة" واقتل راجعاً. أعلمنا القيادة ثانية فأرسلت رئيس الوزراء أحمد حسن البكر الذي اعتبر الأمر خطيراً، لكنه قال "إن أحسن من يستطيع تولي مثل هذه الأمور هو أبو فارس (علي السعدي) وغادر بعد أن أهدى لكل شخص من الحاضرين سدس "براوننج". وفي منتصف الليل من نفس اليوم جاء علي السعدي الذي تصرف بحزم ودون تردد، فوجه اللوم إلى جماعة الشيخ الخالصي ثم توجه إلى الصحن الكاظمي أمراً الشرطة بتجريدهم من أسلحتهم وتم ذلك. وخلال وجوده تصرف السعدي بطريقة بدت غريبة بالنسبة للحضور فقد رفض بشدة مناداته من قبل الموظفين بكلمة "سيدي" وأصر على الجلوس حيث يوجد مكان فارغ في المجلس، وتخلل عدنان الأدلبي عندما قام لإجلالته بمكانه. وتصرف كزائر وليس كمسؤول ولم يغادر المكان إلا بعد أن استمع للأذان فجراً واطمأن إلى عودته إلى ما كان عليه" وخلال انتظاره الأذان خاطب السعدي مسؤولي الحرس القومي قائلاً: "نحن في الحرس مهتمنا بحماية الثورة وليس لنا صلة بالتحريات ودخول البيوت وستعودون مستقبلاً إلى مؤسساتكم وأعمالكم الأصلية ولا أرغب أن يفرح أحكم يديته ورشاشته"^[7]، لكن السعدي تمسك فيما بعد بوجود الحرس بسبب اشتداد الصراعات الداخلية..

وحول نفس الموضوع قال لي الشيخ مهدي الخالصي^[8] "إن مشكلة الأذان قضية فقهية اجتهادية باعتباره عبادة، والعبادة توقفية لا تتغير. وأي تغيير فيها بدعة ومن يغير العبادة كأنما يغير السجود أو ما أشبهه. ولذلك اجتهد الوالد الشيخ الخالصي قبل سنة ١٩٦٣ بأربعين عاماً بهذا الأمر. وقد حذفت بعض الفرق من الأذان فصولاً، وأضافت أخرى فصولاً جديدة اليه. فقلنا إن (حي على خير العمل) يجب أن تعود لصلاة السنة، ويرفع ذكر (علي - ع -) عند الشيعة، ليقترب الطرفان من بعضهما" وقال "إن علماء كبار كالشيخ الصدوق والطوسي، وجدوا ذكر علياً (ع) في الأذان، رغم إقرارهم بصفته التي خلعها عليه الرسول كولي الله، ليس ضرورياً وصلوا ببنونه، انتهى"^[9].

١ - لم تكن عملية التعبئة الجماهيرية التي وقفت وراءها الدعوة الإسلامية إلا حلقة في سلسلة الأعمال الجماهيرية الأخرى التي تبناها حزب الدعوة والأنشطة المختلفة في مختلف مناطق العراق، وكان حزب الدعوة الذي تأسس في نهاية الخمسينات، قد افتتح نشاطه الجماهيري العلني لأول مرة، مستغلاً زيارة السيد الحكيم الاحتجاجية الشهيرة إلى سامراء، فساهم بنجاح في تنظيم المسيرات والاحتفالات والتحفيز عليها. وأعطاه مجاحه في ذلك دفعة وتشجيعاً للتحضير إلى خطوات سياسية وجماهيرية في عهد عبد السلام عارف كمواكب الجامعة، حيث تستصل نشاطاته إلى كافة مدن وقصبات العراق، فضلاً عن دوائر الدولة والمؤسسات والمعاهد العلمية^[10]. رغم أن الدعوة السياسية الإسلامية كانت ما تزال تعتمد مبدأ السرية، ورغم ممارسة السلطة التعظيم الإعلامي الشديد على نشاطات أنصارها لطمس وجودها.

باستمرار وكل يوم. وربما يكون هناك من همس اليه بما يعني استغلال البعث لفتواه ضد الشيوعيين^(١).

وكان من عادة السيد الحكيم إذا أراد أن يعبر عن غضبه وعدم رضاه، الاحتجاب عن لقاء ممثلي السلطة، أو السفر إلى مكان آخر تعبيراً عن الاحتجاج، واستعراضاً لقوة المرجعية التي ستبرز من خلال احتفالات التوديع والاستقبال والمواكبة^(٢).

١ - في ٢٠/٢/١٩٦١ - ٢٢ شعبان ١٣٧٩، صدرت فتوى دينية تحمل خاتم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم، بخصوص الانتماء إلى الحزب الشيوعي ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم، والله الحمد. لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر والحاد أو ترويج للكفر والإلحاد. أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً، والسلام عليكم وبركاتة".

ويذكر أن السيد الحكيم ومثلهما فعل ذلك أيام المد الشيوعي، عاد ليحتج بطرق مختلفة على البعثيين عندما استخدموا القسوة مع خصومهم السياسيين. وقد تابع كثيرون من علماء الدين وممثلي الإمام في المدن والنواحي خطى السيد، ولعل أبناء الموقية وبدرية يتذكرون المغفور له الشيخ محسن الجصاني ممثل الإمام الحكيم عندما اعتصم بمسجده أيام المقاومة الشعبية محتجاً على الممارسات الكيفية وأعاد ذلك أيام الحرس القومي محتجاً على قسوة المطاردات والتعذيب ومخدراً الجمهور من هدر حقوق الإنسان.

٢ - قام آية الله العظمى السيد محسن الحكيم في ١٠/٧/١٩٦٣ بزيارة مرقد الإمام علي الهادي بسمراء عبر كربلاء والكاظمية وبغداد في موكب عظيم، تبرع خلاله الآلاف من المواطنين والتجار والمريدين، بإقامة اللوائيم والمواكبة بسياراتهم أو بوسائط مأجورة، بل إن التجار تبرعوا بخمسة دنائير أجرة سيارة يوم كامل للراغبين في استقبال الموكب أو توديعه، ودامت السفرة أربعة أسابيع، وأكد كثيرون أن حركة السيد تلك كانت لجس النبض والاحتجاج على حملات الاعتقال والمطاردات وممارسة التعذيب ضد السياسيين ومنتسبي الحزب الشيوعي، وعدد من المعتقلين الإسلاميين. وهيأت جولته الأجواء وأعطت الضوء الأخضر لكل من يرغب في استغلالها للتظاهر والاحتجاج. وبالفعل خرجت جماهير غفيرة بمسيرات احتفالية تخللتها الحوسات والأهازيج. وأقيمت الأقواس، ونحرت الدبائح، ترحيباً وتوديعاً في كل منطقة يمر بها موكبه. وخلالها افتتح السيد بنفسه جامع برائنا في العطيفية، وحسينية التميمي في الكرادة، وجامع بمدينة الثورة. وفشلت محاولات الشرطة والأمن إعاقة تنقل الجمهور بين الأرياف والمدن بهدف الرصد والمواكبة والمباينة^[11]. ويذكر شهيد عيان أن السيد الحكيم استدعى في طريق عودته بعض المسؤولين وعابثهم بشدة على الاعتقالات وأخذ الاعترافات بالقوة. وخلال وجود الحاكم العسكري العام عنده تظاهر الطلاب في مسيرة احتجاجية من ثانوية الكاظمية حتى دار الحاج عباس محمد كريم حيث يقيم الحكيم اختربت الدار وألقى أحد الطلبة (محمد باقر الحاج صولاج الزبيدي) كلمة كتبها له العلامة اسماعيل الصدر شقيق الشهيد محمد باقر الصدر، وقد أزعج ذلك الحادث رشيد مصلح^[12].

وقد حاولت قيادة البعث تلافي الأمر بإرسال عدد من قادتها. فرفض السيد استقبالهم واحالهم على وكيله في بغداد الشيخ علي الصغير وابنه الشهيد السيد مهدي الحكيم^[13] وأراد برفض مقابلتهم لفت النظر، وإنهاء تردد وضعف المجتمع أمام الدولة، والمطالبة بالمشاركة السياسية من باب ممارسة الحق وليس الاستجداء. لكنه لم يملك لتحقيق هذه الغاية طريق التمرد والثورة، بل التحرك المستمر إلى الأمام، مستفيداً من الانفراج الحكومي إذا حصل، ومحتجاً على انعزاليته. كما أراد تقوية مركز المرجعية سياسياً وجعلها شعبية وقد نجح في ذلك بسرعة بحيث أصبحت الحكومات المتعاقبة مضطرة إلى عدم تقرير أية خطوة وطنية هامة، قبل دراسة ردود الفعل المحتملة للحوزة الإسلامية ولذلك أعطت وفاته ١٩٧٠ فرصة عظيمة لنظام البكر - صدام، للانفراد وضرب الحركة الوطنية وتصفيتهامهيداً

←

والآن فأنا أدرك كم كان السيد الحكيم رحمه الله ناصحاً في أمور جوهرية وحساسة. وكم كان ناصحاً فيما بعد لسلطة (البكر - صدام) عندما أراد تجنبها الخطر وأسوأ خطأ ارتكبه منذ بداية تسلمها السلطة عام ١٩٦٨^(١). وحول ١٩٦٣ أيضاً أتذكر ان أحد البعثيين من

لثفت النسيج الاجتماعي وإخضاع الشعب لديكتاتورية مريضة وقاسية بلا حدود. ويقول الدكتور تحسين معلية [14] ان احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش طلبا منه في عام ١٩٦٧ تهينة لقاء مع السيد محسن الحكيم، ويقول "كلفت السيد محمد رضا الحكيم لترتيب ذلك وحددت معه موعداً في النجف، وعندما ذهبنا للنجف أعلمونا ان سماحة السيد سافر إلى كربلاء، وسبب ذلك لي حرجاً أمام البكر وعماش لكننا فهمنا انه لا يريد مقابلتنا، فتناولنا الغداء في بيت الحاج صالح معلية وعدنا إلى بغداد". ويقول: "في الحقيقة لم يكن السيد يثق بعود البكر بعد تجربته في عام ١٩٦٣". ويرى الدكتور معلية ان البكر بسبب ذلك وبسبب محاولاته الاحتجاجية في ١٩٦٣ سعى للانتقام من السيد الحكيم بابنه السيد مهدي الحكيم، فأمر بتلفيق التهم اليه ثم اغتياله، لكن حردان عبد الغفار التكريتي تدخل وطلب من القيادة تأجيل اعتقال السيد مهدي أيام معدودة حتى يتمكن من إجراء معين لمنع المواجهة، وأوصل إلى السيد مهدي الحكيم نية السلطة في اعتقاله وتصفيته، وإعلان اتهماته بالتعاون والتآمر مع عبد الغني الراوي وكاظم شير وحييب محمد كرم وعبد الرزاق الناف. محمد كرم وعبد الرزاق الناف.

١ - هنا تدخل حسن الحاج وداي العطية - قيادي بعثي ومحافظ كربلاء - ليؤكد استمرار تورط الفئة المتسهمة بالطائفية حتى ما بعد ١٩٦٨ لتجر البلاد إلى حروب أضعفت العراق والأمة العربية وأوصلت القوى العظمى إلى ما لم تكن تعلم بالوصول اليه. قال: جاء اخي عبد الحسين إلى داري في عام ١٩٧٠ وكان وزيراً للزراعة، واخبرني انه مكلف من قبل رئيس الجمهورية احمد حسن البكر بمهمة لدى السيد محسن الحكيم. ورجاني ان اذهب معه، قائلاً: انت تعرف لغة العلماء وتفهمهم والسيد يعرفك ويحترمك، فارجو مرافقتي. رفضت التدخل لكنه هاتف البكر وناولني السماعه. قال البكر: كان من المفروض تكليفك بهذه المهمة لكنني نسيت وارغب الآن ان تذهب وسيخبرك عبد الحسين بمضمون المهمة.

ذهبنا إلى النجف، وانتظرنا مع كثيرين من جنسيات مختلفة عربية وإيرانية وباكستانية، خليجيين وعراقيين من أنحاء البلاد كلها، وكان السيد كما قيل لنا منشغلاً بكتابة رسالة إلى أحد ممثليه بأفريقيا. دخلنا عليه فقال له اخي عبد الحسين: ان الحكومة تنتظر منكم الدعم في مشكلتها مع إيران بخصوص شط العرب. فرد السيد "انا امثل المسلمين الشيعة جميعاً ولا أفرق في موقف بين العراقي والإيراني والهندي والأفريقي والعربي والنسبة لي ليس الشيعة فقط بل المسلمون كلهم شيء واحد. ولا يجوز ان أميل لطرف دون آخر" رد عبد الحسين: ان الحكومة تقول ان لديها وثائق تاريخية، ومعها حق. فأجاب السيد: لا تحاولوا زجنا بمثل هذه القضايا السياسية المتغيرة. انا رجل علم، لا أتدخل إلا في حالة واحدة، عندما اقتنع ان الخلاف سيودي لإراقة دماء المسلمين، وحينها سأسعى لحقن الدماء. وابلغنا السيد الحكيم بأن علاقته مع إيران ليست على ما يرام وضرب مثلاً بقرية كان الشاه قد أرسلها اليه لتعزيته بوفاة أحد العلماء الأيأت. وكانت القرية تحمل توقيع "القصر الشاهنشاهي" فرفض الحكيم الرد عليها قائلاً اننا لا نتكلم مع القصور... ورغم ذلك فقد فاجأنا السيد باقتراح إيجابي وغاية في الأهمية إذ قال: إذا طلبت مني الحكومة العراقية التدخل رسمياً، وأعلنت ذلك على الملأ من الإذاعة، حينذاك سأكون ملزماً وسأقول لكم شكلوا وفدًا يضم فريقاً حكومياً متخصصاً فنياً وسياسياً يعرف ملابسات القضية جيداً. وسأرسل معه من جاني، إن شئتم، عدداً من علماء الدين العراقيين، فضلاً عن شخص سياسي مقبول من طرفي ومن طرف الحكومة (يقصد حسن الحاج وداي العطية) وهناك يلزم المذهب الموظفون للحوار مع نظرائهم، أما العلماء فيستصلون بالحوزة الإسلامية لشرح الأمر لعلماء إيران وهم أعضاء كبار في حوزتنا ومؤمنون وسينظرون في كيفية التصرف بهذه القضية.

عدنا إلى بغداد وذهب عبد الحسين إلى القصر ثم عاد بعد قليل قائلاً: أخبرت البكر بكل شيء وفرح وقال انها

←

النصف اتصل بعلي صالح السعدي واقتراح عليه تعيين عدنان الجبوري قائممقاماً للنصف. وعندما سأله السعدي عن السبب ، قال له : سيفيدكم لان علاقته بالإمام الحكيم طيبة. فرد السعدي : وماذا يريد شيخ محسن الحكيم؟ ورفض تعيين الجبوري الذي جرى تعيينه قائممقاماً للنصف من قبل سلطة عارف فيما بعد ثم نقل إلى منصب سكرتير رئيس الوزراء طاهر يحيى.

خطوة جيدة وسنصدر بياناً تبته إذاعة بغداد مساء اليوم أو صباح الغد، يلتبس من السيد الحكيم التدخل لتسوية خلاف البلدين. انتظرنا عدة أيام ولم يصدر شيء . وبعد التحري علمنا ان قيادة الحزب الحاكم رفضت هذا الاتجاه قائلة للبكر: نحن نريد التقليل من شأن علماء الدين، فكيف نعطيهم دوراً يعزز مكانتهم السياسية. انتهى كلام حسن وداي. ولعل هذا الأمر لو تم لكان أدى إلى تجنب مأس كثيرة. لكن سلطة بغداد انطلاقاً من عقدها أبت، فاضطرت بعد حين ان تتصرف بذلك حين وقع صدام حسين نيابة عنها مع الشاه اتفاق الجزائر متنازلاً عن حقوق عراقية أخرى، ثم ذلك بعد ان قام الشاه بدعم الحركة الكردية التي كانت تواجه جيوش بغداد، فراح عشرات آلاف المواطنين من الجانبيين ضحية العقد المستعصية. ليختم صدام هذه الصفحة العنيفة الدامية بثماني سنوات حرب أضرت بالعراق وإيران وأضعفت المنطقة برمتها. واخيراً نعتقد ان طلب السيد الحكيم بإشهار طلبهم منه للتوسط انما كان احتياطاً ضد أية محاولة تكتيكية للتلاعب واستغلال اسم الحوزة، بل ان إعلان الأمر لو حصل كان سيخرج بغداد وطهران أمام الرأي العام ويجرهما إلى حوار جاد وسلام علي وبعدهما عن حرب غامضة ومشبوهة. لكن أياً من الطرفين لم يكن صادقاً فيما يطرحه.

مراجع:

- [1] البيان الاول لحركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، كتأب المنحرفون تأليف وزارة الارشاد العراقية.
- [2] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٨.
- [3] جريدة الوقائع العراقية العدد ٧ / ٢٨ تموز ١٩٥٩.
- [4] حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية، دار الزوراء، لندن، ص ٢٠٠.
- [5] راجع ساطع الحصري، الاقليمية جذورها وبلورها، بيروت ١٩٦٣.
- [6] د. عدنان آل طعمة، رسالة موجهة للدكتور علي كريم سعيد، دمشق، ١٩٩٨.
- [7] ابراهيم الموسوي، لقاء، دمشق، ١٩٩٧.
- [8] راجع هاني الفكيكي، اوكار المزعمة، مصدر سابق.
- [9] الشيخ مهدي الخالصي، مقابلة، دمشق، ٧ / ١ / ١٩٩٧.
- [10] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، مصدر سابق، ص ٣٣ - ٥١.
- [11] السيد صالح الشرع، جريدة نداء الرافدين العدد ١٦٧ - ٤ / ١٢ / ١٩٩٧ مقابلة اجراها عدنان الامير تحدث فيها الشرع عن تكراره لبيعة الإمام السيد محسن الحكيم في تلك السفرة التي انتقل فيها من النجف فكريلاء ثم الكاظمية وسامراء والعودة ثانية إلى النجف.
- [12] راجع مجلة الإيمان، عدد خاص، الثالث والرابع، السنة الأولى، يصدرها موسى اليعقوبي، النجف، تشرين ثاني ١٩٦٣، ص ٣٢٢.
- [13] هاني الفكيكي، أوكار المزعمة، مصدر سابق، ص ٢٧٤.
- [14] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

الثورة تلد انقلاباً

التهيئة للمؤتمر التكميلي، الاستثنائي

لحزب البعث - العراق - ١٩٦٣

في أيلول ١٩٦٣ وبعد انتهاء أعمال المؤتمر القطري الاعتيادي لحزب البعث العربي الاشتراكي - قطر العراق - يومين، سافرت إلى الأمم المتحدة بنيويورك لرأس الوفد العراقي إلى الجمعية العامة في دورتها العادية السنوية التي بدأت منذ فترة، وكنت قد أجلست إلقاء خطابي مرات عديدة بسبب الانشغال في زيارة مصر وسوريا ثم المؤتمر القطري العادي.

بقيت في نيويورك أسابيع، واصلتني خلالها مكالمات ملحة من حازم جواد وصالح مهدي عماش وبهاء الشبيب وغيرهم، يطالبوني فيها بالعودة إلى العراق بأسرع وقت، لأن الأوضاع، كما قالوا خطيرة جداً، ولا بد من مساهمتي ووجودي. وكان ردي المستمر، الرفض التام لعدم جدوى حضوري هناك، بعد أن فقدت عضويتي في القيادة القومية والقطرية واستقالي من المجلس الوطني لقيادة الثورة. فقالوا: ليس هناك قيادة قطرية لأنها غير قادرة على الاجتماع كما أن عضوية مجلس قيادة الثورة صفة لازمة والخروج منها يتطلب حسب قانون المجلس موافقة ثلثي أعضائه، ولذا لم تقبل الاستقالة.

لم أستجب، بل سافرت إلى لندن، متذرعاً بموعد سابق ارتبطت به مع سفرائنا ورؤساء بعثاتنا الدبلوماسية في أوروبا الغربية لعقد اجتماع لهم. وعقد فعلاً ودام ثلاثة أيام، تكررت خلالها نفس النداءات، وفي أحد الأيام وبينما كنت مرتبطاً بدعوة غداء مع وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني وصلني هاتف من بغداد يؤكد أن التغيير بات ضرورياً ووشيكاً.

اعتذرت من الوزير البريطاني واتجهت فوراً إلى بغداد حتى وصلتني في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٣، وفي المطار فوجئت باستقبال غير مألوف، ومعد سلفاً. فلم أكن أتوقع أن أجد فضلاً عن موظفي وزارة الخارجية، حوالي ستين ضابطاً بعضياً يشغلون أخطر مناصب ومراتب الجيش، بينهم رئيس الأركان وأمر الانضباط العسكري وقادة كتائب الدبابات الأربعة، وهي القوة الوحيدة القادرة على حسم أي نزاع عسكري في بغداد. وعندما انتهى الاستقبال، أوصلني وزير الداخلية حازم جواد بسيارته إلى منزلي، وفي الطريق سألتني عن معنى حضور كل

هؤلاء الضباط، قال: إن الوضع داخل القوات المسلحة لم يعد يطاق، وإن طلب عودتك لم يكن رغبة شخصية مني فقط، وإنما سعى إليها عدد كبير من كواد الحزب المتفهمين، المدنيين والعسكريين، الذين أصبحوا مقتنعين بضرورة التغيير، وأضاف: كن واثقاً أن الضباط بحضورهم إلى المطار أرادوا إبلاغك بصراحة بأن الوضع بات غير مقبول، أما القطرية فلم تجتمع ولا مرة واحدة ولا يمكن بتركيبتها الحالية أن تجتمع. وحينذاك أدركت واقتنعت أنه لا بد من تحمل المسؤولية ووضع علاج معين، وعدم الاستسلام للفوضى. ولم يكن كما بدا لي، في ذهن حازم أي حل جاهز، ولم أكن حتى ذلك الوقت، قد فكرت بحل أو مخرج.

لعبة مزدوجة

وقبل مغادرته أخبرني حازم جواد بأن عماش يلعب ببحث لعبة مزدوجة، ويحاول إقناعنا وإقناع نفسه بإمكان ولاء أكثرية القيادة القطرية التي ستمخض عن مؤتمر قطري استثنائي أو تكميلي، بعد إضافة عدد من العسكريين إليه. فتمتلك الأكرية ونعيد انتخاب قيادة تكون أكثريتها الجديدة موالية، وحينذاك سيكون ممكناً اتخاذ قرار بإخراج علي صالح السعدي من المسؤولية، ونعيد تنظيم الحرس القومي وفق ما يجده مناسباً، ووفق ما يدور الآن في أذهاننا حول مهماته وواجباته^(١).

١ — يحق للقارئ أن يتساءل عن الأسباب التي تجعل قيادي الحكومة والجيش في سياق سعيهما للسيطرة على الدولة تبحثن عن وسائل حزبية شرعية للتغلب على بضعة رجال شباب مدنيين يقودهم رجل ثلاثيني وقيادة فرع بغداد وأعضائها عشرينيون إضافة إلى المقدم منذر الوندائي وهو ضابط يطير محلقاً خارج سربه، في وقت لم يُعرف عن أكثر المتأمرين — باستثناء حازم وطالب — الورع أو توسل الشرعية في الصراع. وأرى أن حذر وتخوف قادة الوحدات العسكرية وحاجتهم لغطاء حزبي شرعي، (تمثل بحازم وطالب)، يعود إلى ظهور البعث أيام عبد الكريم قاسم كأداة سرية قوية، أشاع رجاله بين خصومهم الرهبة والاحترام، وأعطت محاولتهم اغتيال عبد الكريم قاسم ثم إسقاطه رغم أنصاره الكثيرين، الانطباع بأن البعث قادر على التآمر من أعدائه، ومن أية جهة تخونه. وذلك شكل ضماناً عظيمة لكي لا يقدم الآخرون على ضربه قبل أن يفكروا كثيراً. لكن الصراع البعثي — البعثي، وخاصة بين أعضاء القطرية علي ومحسن وحدي وهادي من جهة، وحازم وطالب من جهة أخرى، قد فضح مواطن الضعف وغيب الرهبة والخوف منه عند الآخرين. فتجأروا وبدأوا بتحويل ما يدور في أذهانهم إلى ترتيبات واتفاقات سرية تمهيداً لتنظيم الانتفاض عليه وعلى السلطة. في حين اطمأن البعثيون إلى خوف الآخرين، وتفرغوا كلياً لصراعهم الذاتي حتى سقطوا على يد تحالف ضم عبد السلام عارف وكتلة الضباط القوميين وضباطاً من البعث تعاملوا معه وكتلاً عشائرية وجهوية داخل القوات المسلحة، في حين بقي أبناء الشعب بعيدين عن الصراع الحزبي، وظل أكثرهم يعتقد بأن رحيل البعث ليس سوى استراحة سيعودون بعدها بقليل، وترسخ ذلك في الأذهان بعد أن أخفقت سلطة القوميين بكل شيء أقدمت عليه. وكان أكبر مثل على عدم تفاعل الشعب مع ما جرى هو: الاصطدام الذي جرى بين دبابات الجيش ومقرات الحرس القومي في بغداد يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، فقد جرى في مدينة خالية، وقد أفرغ لهم الشعب الشوارع والساحات ولاذ الناس بيوتهم، فتصارع الطرفان بلا متفرجين.

وبالفعل زراني عماش في اليوم التالي معتذراً... أولاً عن القرارات التي اتخذها عندما شغل منصب وزير الخارجية بالوكالة خلال وجودي في نيويورك ولندن، وحينها ثقل كل النساء العاملات في وزارة الخارجية، أي صفى الوزارة نسائياً والغريب أن عماش الذي تظاهر بالتدين وأحياناً التزمت الديني، لم يكن في حقيقته متشرباً بل لم يتمسك بتعاليم الدين الإسلامي حتى وفاته رحمه الله، فكان يتصرف كأبي واحد منا بصورة "سوية" ويقيم علاقات مع النساء ويشرب الخمر!! وكنت قبل زيارته مكثي قد اجتمعت بموظفي الخارجية واطلعت على قراراته غير المدروسة، وأبلغت نساءها اعتذار عماش عن تصرفه، كما أبلغت مجلس الخدمة ببطلان وإلغاء قرارات النقل والفصل التي وقعها صالح مهدي عماش بحق النساء، وإلغاء إجراءات أخرى على درجة أقل من الأهمية.

قال عماش : إن القيادة لم تجتمع والتذمر يتسع بين الضباط الذين بدأوا لأول مرة يشعرون أنهم يمتلكون الشجاعة والحرية لإبلاغ القيادة القطرية للحزب بما يدور بخلدهم، ومعاتاتهم بكل صراحة وأمانة ودون خوف، وهم الآن يختلفون عن المدنيين الذين يخافون من بطش وانتقام علي صالح السعدي والحرس القومي إذا ما عبروا عن استيائهم وآرائهم. وأنه كوزير للدفاع يبلغني أن وضع الجيش لم يعد يحتمل، ولا بد من ضبط الحرس القومي وإعادة تنظيمه بطريقة مناسبة . وليس أمامنا غير عقد مؤتمر قطري وإضافة أعضاء مناسبين إليه. وقال: تأكد يا طالب أن عدداً كبيراً من كوادر الحزب سيتعاونون مع قيادة قطرية عقلانية.

كان عماش يبادل السعدي العداءة ويؤكد باستمرار أنه بيت الداء . لكنني لم أكن متأكداً من إخلاصه لما يقوله، ولم أثق بقدرته في إخراج مثل هذا الأمر إخراجاً حزبياً سليماً. ولم أثق بمجيء قيادة يمكنها أن تمس ظفراً واحداً لعلي صالح السعدي، ناهيك عن إبعاده. وكنت أرى أن أهداف عماش تدور حول : أولاً: رغبته في عقد المؤتمر التكميلي وتوسيع القيادة ليفوز بمقعد فيها. ومبرره أنه وزير للدفاع وممثل للعسكريين.

ثانياً: الاستفادة من بقاء خططين متواجهين داخل القيادة القطرية، ليلعب كما هو حاله الآن، دور الوسيط الوسط.

أي أن همه انصب على توسيع القيادة بغض النظر عن نوعية الفائزين بعضويتها. ولم يجد صعوبة في ممارسة اللعب على الطرفين وتسمية ذلك حياداً. وكان حازم جواد يشاركني التحليل، بل أخبرني بمثل ذلك هاتفياً قبل عودتي من لندن. لكن زيارة عماش لي سجلت أول خطوة لانخراطي مجدداً في الصراع على السلطة التي تعدد ربايتها واشتد صراعهم المحموم عليها. وشجعني على العودة كثيراً شكل الهيكل القيادي، والانسحاب الإداري لأكثرية الحزب من الدولة إلى الشارع أو إلى مقرات الحرس القومي.

لقاء بعد منتصف الليل

وفي ليلة ٩ تشرين الثاني أيقظني رنين التلفون من النوم في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكان المتكلم حازم جواد. قال نحن مجتمعون الآن ونبحث في شؤون الحزب، ومصير الثورة ويجب أن تحضر، أخبرته: ليس لدي سيارة، فأرسلوا سيارة عبد الستار عبد اللطيف التي دخلت بها القصر الجمهوري حوالي الواحدة والنصف ليلاً. وكان هناك، إن لم تُخني الذاكرة، حازم جواد، أحمد حسن البكر، عبد الستار عبد اللطيف، جميل صبري وآخرون لا أتذكرهم، لكنني متأكد أن عبد السلام عارف لم يكن بين الحاضرين.

سألت عن سبب هذا الاجتماع فقال البكر: أنا قررت الاستقالة إذا ما استمرت الأوضاع كما هي الآن. وأنتما يا طالب الشبيب وحازم جواد كنتما في مقدمة الأشخاص الذين ورطوني مباشرة في تحمل هذه المسؤولية. كنتما قيادة الحزب الذي شاركتنا وقادتنا في ١٤ رمضان. فالسعودي وعماش وشتتاف اعتقلوا، وعبد السلام لم نشركه في الأمر، وغياب خلخال وحلمي عبد المجيد ومحسن مسجون منذ فترة طويلة، لذا نحملكم مسؤولية الخراب الذي حلّ بالبلاد وأصاب الدولة. فإذا لم نعالج الأمر بطريقة حزبية، سيحصل انفجار لا يمكن السيطرة عليه وربما يخرج الأمر من بين أيدينا!! ووجه كلامه لي: يجب أن تعرف إننا إذا لم نعالج الوضع بسرعة سيعالجه غيرنا، وحينذاك سيأخذون معهم كل الضباط الحزبيين الناقمين على الحرس القومي وعلى الحالة برمتها^(١).

١ — يرى آخرون أن الاجتماع ضم أيضاً: حردان التكريتي، وعبد السلام عارف، وظاهر يحيى التكريتي. وأظهر جميع الحاضرين ودهم لحازم وطالب حاجتهم مؤقتاً إلى الشرعية الحزبية. وأضع خطأ تحت كلمة مؤقتاً لأن كل الدلائل تشير إلى أن الضباط حينذاك قد تأججت فيهم روح الرابطة العسكرية، ورغبة الدفاع عن المؤسسة العسكرية، ومن هذا المدخل تم استقلالهم وتهيئة الفرص لهم للتمرد على الحزب، وسيعمي الحل الحزبي حتى لو كان شكلياً أو اسمياً أبصارهم كلياً عن حقيقة المخطط الذي بدأ عبد السلام عارف في نسجه ببطيء وعلى نار هادئة، ورغم الحاجة لغطاء وحل حزبي فإن مخططي المؤامرة الواسطين (البكر ومجموعته) وضعوا أمام حازم وطالب حلولاً محددة، وطالبوهما بوضع حلول حزبية شرعية مطابقة لمقاسات ونتائج موضوعة سلفاً.

وفي هذا السياق يقول تحسين معة أن البكر وعماش مخططان فعلاً لإبعاد حازم وطالب حتى قبل شروط الحرس القومي إبعادهما، لكنه يستثني حردان التكريتي وحسن النقيب وزكريا السامرائي وجميل صبري وعبد الستار عبد اللطيف الذين كانوا صادقين في رغبتهم ببقاء حازم وطالب في العراق. وقد فاتتهما حردان قبل مغادرتهم إلى بيروت باستعداده لتصرتهم إذا ظلوا. وفعل ذلك صالح مهدي عماش أيضاً لكنه لم يكن صادقاً^[١].

والحقيقة فإنّه من الصعب معرفة ميول الضباط الحقيقية بعد أن تذوقوا طعم السلطة، وقد أخبرنا محسن الشيخ راضي^[2] بأن طاهر يحيى وعددًا من الضباط الكبار الذين دخلوا قبل تنفيذ الثورة وبعدها للحزب، أنهم كانوا كلما يلتقون بنا في ممرات المجلس الوطني أثناء الأزمة يكون بصوت عالٍ ويعلنون ولائهم وخوفهم على ثورة الحزب من الضياع في نفس الوقت الذي يحضرون فيه الاجتماعات ويساهمون في التآمر ويخططون لضرب طالب وحازم بعد ضرب علي ومحسن.... الخ.

سؤال: هل كان البكر يقصد عبد السلام عارف بكلمة الغير؟

طالب الشبيب: لم يرد عبد السلام في الذهن، ولم يكن سوى بدلة عسكرية دون صلاحيات أو قوات تأتمر بإمرته. حتى حرس القصر الجمهوري كان يتلقى أوامره من البكر مباشرة، وكان أمره ضابطاً بعثياً هو المقدم عبد الجبار الصالح.

وفي يوم ١٣ تشرين الثاني عندما قصف منذر الوندائي مكتب عبد السلام في القصر الجمهوري طلبت قوات الحرس المزودة بأسلحة مضادة للطائرات الأذن بالرد على طائرته من أحمد حسن البكر وليس من عبد السلام، وقد تردد البكر كثيراً على أساس أن الطائرة الواحدة تكلف مبلغاً كبيراً، فأخبره أمر الحرس بأن الجنود لن يصمدوا طويلاً، إذ كانوا يتعرضون للرصاصة والقنابل دون إعطائهم حق استخدام أسلحتهم دفاعاً عن أنفسهم وأن ذلك سيجعل إمكانية التحكم والسيطرة على الكتيبة أمراً صعباً. وحينها أصدر البكر أمره بالرد على الطائرة المغيرة.

هذه وغيرها من عشرات القصص تؤكد أن عارف لم يستطع حتى إمرة الجنود الواقفين أمام باب غرفته لارتباطهم بوزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية حازم جواد، ومنظماتهم الحزبية، وكان سكرتير عبد السلام الضابط عبد الله مجيد بعثياً أيضاً. وكنا نشك باتفاقه معه (قتل فيما بعد مع الرئيس عبد السلام عارف بمحادث سقوط الطائرة الشهير رحهما الله، وعبد الله مجيد هو غير الضابط مجيد العبد الله الذي كان بعثياً منظماً ومن ضباط ١٤ رمضان)، وأذكر مرة أن الحرس القومي في إحدى مراحل الأزمة قطع تيار التلفون عن دار عبد السلام عارف رئيس الجمهورية فطلب الأمر أن يتصل صالح مهدي عماد بقيادة الحرس لإعادة التيار حتى يتمكن عبد السلام من الاطمئنان على عائلته انطلاقاً من القصر الجمهوري الذي يقبع محاصراً فيه. أضف إلى ذلك فأنا لا أعتقد أن عبد السلام المحاصر بين جدران القصر قد خدعنا، فلم يكن يملك حتى حق الخروج ببذلاته العسكرية إلى خارج قصره إلا بعلم وموافقة حازم جواد. كما أن جهاز الاتصالات العسكرية الموجود داخل القصر منذ ما قبل ثورة رمضان أصبح تحت سيطرة ضباط مراسلة بعثيين، بل إن عبد السلام عرف وضعه جيداً، وأثر في كل مراحل الأزمة البقاء بعيداً، لا يزوج بنفسه في المناقشات الحزبية، يستأذن ويخرج ليتركنا وحدنا عندما نلتقي (عسكريين ومدنيين) لمناقشة أية قضية حزبية، ويقول: هذه شؤونكم وأنا خارج.

فليس عبد السلام هو الذي استغل وضعنا وتآمر علينا. بل نحن الذين تركنا له سلطة فارغة من القيادة، فاستلمها رغم أن جميع أمراء الوحدات الأساسية في بغداد بعثيون، ومازلت حتى هذه اللحظة أعتقد أن عبد السلام فوجئ بالسلطة بين يديه، وزمناً يكون حينما قرر أخذها قد استثمر انتهازية صالح عماد، وتردد البكر، وتهافت عدد من الضباط، فجدد اتصالاته بمن توسم أنهم سيقفون معه.

وأغلب الظن أن البكر أراد بقوله، الإشارة ليس إلى عبد السلام بل إلى بعض الضباط الكبار كرشيد مصليح وطاهر يحيى وسعيد صليبي، كما أراد بتلميحه ذلك أن يحملنا المسؤولية، لإقتناعي شخصياً بأن الحل الوحيد يكمن في إخراج علي السعدي من السلطة، خاصة وأنه أكد بشكل قاطع عدم ثقته بتوقعات صالح مهدي عاش، مشيراً إلى انتهازيته ولعبه على الحبال ومحاولته استغلال الأزمة لكي يبرز وسيطاً بين الطرفين.

وخلاصة الأمر، إن من بين جميع الذين تأمروا علينا، كان عبد السلام عارف وحده، بحكم منصبه وتاريخه، يمكن أن يشكل مركزاً للاستقطاب، ويستطيع إذا جاءت الفرصة أن يؤسس شرعية تحمل بمحمل القيادة القطرية للبعث، وكان يعرف خطوته القادمة، والخطوة التي يخطوها الحزب. وكنا أنا وحازم جواد نعرفه جيداً وقريبين منه، وحلقة الوصل بينه وبين القيادة القطرية ولم يتكلف غيرنا بذلك. وفي الحقيقة فإن علي صالح السعدي كان أول من حقق للبعث اتصالاً بعيد السلام عارف قبل ثورة رمضان، وربط معه المهندس عدنان القصاب، الذي نفذ أمراً سابقاً بجلبه إلى مراسلات أبو غريب يوم الثورة^(١).

١ - تهب البعثيون الشباب أن يطلوا بأنفسهم منفردين على الشعب، وعلى مؤسسات الدولة والجيش بعد إسقاط قاسم. فاختاروا عبد السلام عارف وهو الرجل الثاني في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والذي نازع قاسم في حكمه، وبسبب ما أصبح شبه تقليد في أن يأتي الضباط الشباب المنقلبون على سلطاتهم، برئيس أعلى رتبة، فيحافظون به على رضا وتماسك الجيش. وقد حصل ذلك في مصر مع محمد نجيب بعد أن اعتذر اللواء فؤاد صادق، وهو رجل وطني وقائد جيش مصر في حرب فلسطين ١٩٤٨. وتابعهم قاسم عندما نُصّب نجيب الريبي، وهو ضابط وطني لم ينتم إلى حركة الضباط الأحرار، رئيساً لمجلس السيادة. وأرسل حزب البعث عدنان القصاب ليحلب عارف من داره إلى مقر قيادة الثورة المؤقت في أبو غريب وتعيينه رئيساً للجمهورية. وكان الفارق بين محمد نجيب وعبد السلام، أن الثاني اعتُبر من تجربة السلف. وأدرك أن البعثيين سرعان ما سيضعونه على الرف. فخطط أن يقتنص الفرصة إذا ما أتت. وظلت الفكرة مقيمة، تحفر في رأسه إلى أن أتاح له قياديو البعث بسبب خلافاتهم الانقضاض وتسلم السلطة^[2]. فقد حقق البعثيون في اختلافهم لعارف الجزء الأهم من خطته واستكملها هو كما يلي: أولاً: استغل غضب الضباط القوميون من انفراد البعث في السلطة، وتمكن من زرع بعضهم في مواقع عسكرية مهمة مثل أخوه عبد الرحمن عارف وسعيد صليبي، وهادي خماس، وصبيحي عبد الحميد، وعبد الكريم فرحان، كما أعاد صبيحي وفرحان تأسيس كتلتهم العسكرية الصغيرة التي "أخذت في داخل الصراع تعمل لصالحهما"^[3].

ثانياً: اقترب عارف بهدوء من جناح حازم وطالب والبكر، مستمراً استقالة الوزراء القوميون الأربعة التي أضعفت وأربكت موقف تيار السعدي، وبذلك وفر لنفسه حماية قوية من الجناح البعثي الأكثر حضوراً داخل المؤسسة الحكومية والعسكرية. وعندما اشتد الخلاف البعثي - البعثي، لم يشارك عارف في أية محاولة لإطفاؤها بل مثّل دور الزاهد المنزوي - ليطمئن ضحيته، وزيادة في التميويه شجع أحياناً على معاقبة القوميون العرب واعتقال زعيم الكتلة العسكرية الناصرية عبد الهادي الرواي والاعتداء عليه^[4].

ولم يكن جناح السعدي غافلاً، فتحرش بعبد السلام بجره إلى صراع مكشوف في محاولة لفضح موقفه وإشعار البعثيين بالموامرة التي تحاك لهم في الخفاء. فقصف مندر الوندائي مقر عبد السلام ومقرات حلفائه كسعيد صليبي، وقطع الحرس القومي التلفون عن داره، لكنه رغم ذلك تحلى بصبر وعقلانية لم يعتد عليهما.

ثالثاً: إن ما يؤكد تخطيط عارف المسبق هو تأكيد عبد الكريم فرحان على أن عبد الرحيم الأرحيم (وهو تاجر معروف

←

وبعد نقاش طويل إقترح أحد الحاضرين الدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني لقيادة الثورة بتركيبته الأصلية، أي بدون الأشخاص الذين تمت إضافتهم بعد نجاح الثورة. ليصبح أكثرية من العسكريين. فيكون حينها ممكناً تقرير إخراج علي صالح السعدي وأنصاره، على أن يشمل القرار أقل عدد ممكن منهم، وبما يكفي لإعادة الأمور إلى طبيعتها. وحينذاك يمكن الدعوة لمؤتمر قطري تأسيسي (أي انتخاب مندوبين إليه مباشرة من مؤتمرات الفرق الحزبية (القاعدة)، لأن الانتخابات السابقة تمت بصورة مشوهة، ولم يكن تنفيذ مثل هذا الاقتراح يحتاج إلى أكثر من دعوة السعدي ومجموعته للاجتماع واحتجازهم فور حضورهم وينتهي كل شيء. لكنني رفضت ذلك الاقتراح بشدة، لأسباب سخيفة إذا ما نظرنا إليها من زاوية الوقت الحاضر والوسائل السياسية المستحدثة كالغدر والمناورة. وقد استندت في موقعي الرفض إلى ضرورة عدم إظهار الأمر وكأن العسكر وعبد السلام عارف لهم دور في "مؤامرة" استبعاد علي السعدي، "مؤامرة" ضد بعثيين ينفذها ضباط غير بعثيين، وذلك سيثير قواعد الحزب ولا توافق عليه القيادة القومية. وقد عكس موقعي عقلية مثالية جاهلة أو ساذجة من حيث التفكير والتخطيط^(١).

وأمام هذا الرفض قال البكر: إن أكثر ضباط الجيش الذين راجعوه يحتجون على الدعوة التي وجهت إليهم للمشاركة بأرواحهم يوم ١٤ رمضان ١٩٦٣، لكنهم منعوا بعد انتهاء مخاطرة الدماء، من تقرير مصيرهم ومصير البلد. فلم نعطيهم الحق في اختيار مجلس قيادة الثورة، ولا في انتخاب قطرية الحزب، رغم أنهم بعثيون. ولم نستشرهم في تعيين الوزراء، وإنما أبلغوا بالأوامر ونفذوها بكل طاعة، ومات بعضهم نتيجة لذلك. ولذا فهو (أي البكر) بوصفه مسؤولاً عن المكتب العسكري الحزبي، لا يمتلك الحجة للرد عليهم وإقناعهم "فقولوا لي ماذا أفعل، وبماذا أحييهم". قلت نحن لا نستطيع حل المؤتمر القطري والدعوة لانتخابات قطرية جديدة لنحصل منها على مندوبين مناسبين. لأن مثل هذا الإجراء لا يحق إلا للقيادة القومية. وأكثر من ذلك سيكون مضرًا لنا إذا ما طلبنا من القيادة القومية التدخل لحل المشكلة، بعد

١ - تشكل المجلس الوطني لقيادة الثورة، قبل ٨ شباط ١٩٦٣ بأربعة أيام في اجتماع للقطرية في بيت طالب شبيب وهو الاجتماع الذي اعتقل بعد انتهائه السعدي وشتتاف وبهاء وعماد. وضم المجلس للمشاكل علي السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، أحمد حسن البكر، صالح مهدي عماد، عبد الستار عبد اللطيف، حردان التكريتي، منذر الوفداوي. ثم بعد أول اجتماع له أضيف له عبد الكريم نصرت وذياب العلكاوي وطاهر يحيى لتطعيمه برتب كبيرة. وتعيين أنور عبد القادر الخلدني سكرتيراً له وإقترح من علي السعدي أضيف عبد السلام عارف وعين رئيساً للجمهورية. وفور نجاح الحركة أضيف محسن الشيخ راضي وحدي عبد المجيد وحيد خلخال وكرم شنتاف وهاني الفكيكي وسعدون حمادي، كما يبق لاثني من أعضاء قيادة فرع بغداد الحضور له بحسب الاختصاص والطلب، وبهذا ضمن القادة الحزبيين الذين لم يتسلموا مناصب حكومية المساهمة بصنع القرار السياسي للدولة من خلال المجلس الوطني لقيادة الثورة. وقبل ذلك كان مكتب حازم جواد يعتبر بالنسبة لهم مقراً يساهمون من خلاله بمراقبة وتوجيه الدولة، وكان مقر حازم يقع في البلاط الملكي القديم.

النتائج التي ترتبت على سير أعمال المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي^(١)، وإذا استبعدنا الحل القومي سيبقى ممكناً أن انعقد المؤتمر القطري بنفس أعضائه السابقين وهو وحده صاحب الحق في حل نفسه. وذلك لن يحصل لا من أعضاء المؤتمر القطري ولا من القيادة القطرية التي لن تتبرع وتطلب من القيادة القومية إصدار أوامر بإجراء انتخابات جديدة لصالح خصومها (حازم وطالب والبكر). كما أن القطرية لكي تقرر شيئاً يجب أن تجتمع وهو غير ممكن لاستحكام الخلاف بين أعضائها. وما يثير الحيرة أكثر هو أن كافة الحلول الأخرى لا تنبع من داخل الحزب ونظامه الداخلي، وهي حلول مرفوضة، فماذا ترى أنت ؟

رد البكر : لماذا لا يأتي الضباط البعثيون إلى المؤتمر القطري التكميلي المزمع عقده، ويطلبون بحقهم؟ أما كيف ؟ فستتفق على أسماء ضباط يشترط أن يكونوا المساهمين في ثورة رمضان ومن منفذوها الأوائل، وليس ممن التحقوا بها فيما بعد. والصفوة من هؤلاء تأتي إلى المؤتمر وتطالب بحقها في عضويته وبتمام ذلك تجري الانتخابات وفق المعادلة الجديدة، فنخرج بقيادة سياسية مناسبة تستطيع تسوية الأزمة.

ذكرني حديث البكر بما أخبرني به عماشي عند زيارته مكنتي قبل أيام، وبدأت تدريجياً أصحو لأجد نفسي داخل مخطط أحكم مسبقاً. فمنذ ساعة واحدة فقط، أيقظني من النوم رنين الهاتف ووجدت نفسي فجأة داخل القصر الجمهوري في حوار سريع وخطير، سيقدر مصير السلطة التي صنعناها بمجد عظيم، ويود هؤلاء المغامرة بها بسرعة. وقبل أن أتمكن من جمع أفكاري، وضعت أمامي مشاريع انقلابية جديّة ومصريّة ستعكس مستقبلاً على البعث والعراق والمنطقة بكاملها.

ولم أكن بهذه العجالة قادراً على حسم الرأي، ومر بخاطري إحساس بعدم الرضى عن نفسي وعن كل شيء. وشعرت ببعيد المسافة بين ما حلمت به كمناضل وما وصلت إليه الأمور. وتعمق ذلك الإحساس بعد الاستماع للمناقشات التي دارت بين حكام فعليين، لكنهم يتوسلون لحل مشاكلهم بطرق جميعها ليست شرعية، وتتجاوز النظام الحزبي والحكومي.

١ — لم يكن ممكناً أن يستفيدوا من القيادة القومية، لأن مندوبي الجناح اليساري لحزب البعث في كل الأقطار العربية، مع ممثلي العراق الذين انتخبهم المؤتمر القطري في أيلول وكانت أغلبيتهم الساحقة موالية لعلّي صالح السعدي. قد سيطروا كلية على أجواء المؤتمر القومي السادس، وتمكنوا من استبعاد طالب وحازم من عضوية القيادة القومية، وانتخاب قيادة قومية تحالف ميشيل عفلق، وترى أفكاره متخلفة وتحذر من إخلاص الضباط العراقيين لسلطة البعث في العراق، وبالتالي فإن تحكيم القيادة القومية بتشكيلتها المؤيدة لعلّي صالح السعدي سيؤدي إلى إنصاف خطه ضد حازم وطالب.

ويذكر أن المؤتمر السادس انتخب لعضوية القيادة القومية من العراق كلاً من علي السعدي ومحسن الشيخ راضي وحدي عبد المجيد.

لكن ذلك كان مجرد خاطر مر بذهني للحظة، استعدت بعده صفة السياسي داخل الحلية!! وقلت: هذه العملية معقدة جداً ولا أستطيع البت فيها فوراً. وإذا شئتم جواباً سريعاً فإن الفكرة بمجملها لا تبدو متماسكة وهي غير مدروسة جيداً..

وفوراً أدرك الحاضرون أن اعتراضى الأخير كان فنياً وليس مبدئياً أو أخلاقياً، أي أن الموافقة حصلت من حيث المبدأ، وليس مطلوباً منهم غير إثبات فرص نجاح الخطوة. فلاحظت إشراقة على وجوههم، ولم أفاجأ من طريقتهم الجماعية الفورية في الرد عليّ، وكأنهم أمسكوا بنقطة ضعفي، ومن هبوسهم الجماعي بوجهي تأكيد إدراكي السابق إن بينهم أمراً مديراً. وإن هذه الجلسة لم تكن للتداول وإنما لإقناعي شخصياً بخطة جرى بحثها والاتفاق عليها قبل وصولي القصر، وربما قبل عودتي من لندن قبل ثلاثة أيام.

والواقع لم أكن أملك رداً . فوافقت على ما دعوتني إليه واتفقنا أن نترك الأمر إلى أحمد حسن البكر ليختار الضباط بالتشاور مع حازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف . وكانت تلك ليلة التاسع من تشرين الثاني ١٩٦٣^(١).

١ - انقسم البعثيون إلى شطرين، ضم الأول حازم جواد وطالب شبيب يسانداهم ضباط كثيرون مثل البكر وعماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف وعلي عريم وحسن النقيب ومحمد المهدي وحميل صبري... الخ ويقف نفس موقفهم ضباط قوميون يمثلون مراكز حساسة مثل صبيحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان وهادي خماس وعبد الرحمن عازف. ووقف نفس موقفهم أيضاً عبد الكريم نصرت وخالد مكى الهاشمي وآخرون لم يكونوا حتى وقت قريب على وفاق معهم، وذلك بسبب التجاوزات التي حصلت ضد الضباط في بغداد، ووقف معهم أيضاً الوزراء القوميون والموظفون الكبار وتيارات محافظة أخرى. أما جناح السعدي ففيه محسن الشيخ راضي وحدي عبد الحميد وهادي الفكيكي ومجاد الصافي وأبو طالب الهاشمي وأحمد الزاوي والوندائي وستار الدوري وفاقق البزاز وصديقي أبو طيخ وعدد كبير من القيادات الحزبية الوسطية والمنظمات الشعبية وكل المتأثرين بالأفكار اليسارية التي بدأت تدب في جسد البعث خصوصاً أولئك القادمين من أوساط طبقية كادحة. وتطور الانقسام إلى بين ويسار:

قاد اليمين أحمد حسن البكر وأقام في ١٩٦٨ سلطة أوصلت البلاد إلى دمار جنوبي. واتفق اليسار مع قيادة حركة ٢٣ شباط ١٩٦٥ في سورية لتأسيس وإعادة بناء تنظيم البعث على أسس عصرية وشعبية. ودأب يسار البعث في العراق وعلى مدى أكثر من عشر سنوات تلت الانقسام على إصدار بيانات سنوية بمناسبة ١١ تشرين الثاني ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وكذلك في ٨ شباط يحيي فيها ثورة رمضان، لكنه يشن هجوماً ثابتاً ضد سلطتها مشيراً إلى أخطائها وممارساتها ضد الشعب العراقي والبعث نفسه، ويتهم المنحرفين بسلطة رمضان بالتخاذل أمام شركات النفط ويتجاوز القانون وممارسة التعذيب والقتل بما يخالف مبادئ حزب البعث التي تركزت أساساً على النضال الوطني والعربي وحل المشاكل الداخلية بصورة سلمية. وقد خاض يسار البعث مع الشيوعيين والحركة الكردية والحركيين والناصرين منذ منتصف الستينات مفاوضات جبهوية وتعاوناً ميدانياً، تجاوزوا خلاله الحساسيات القديمة، فاعترف كل طرف بصورة مباشرة أو غير مباشرة بأخطائه وممارسات الطائرين في صفوفه، ولم يشأ الشيوعيون نسيان شهداتهم وموت كوادرهم وأمينهم العام وخسارة مواقعهم التي يصعب استعادتها مرة أخرى، ولم يرغب البعثيون إلغاء تاريخهم، لكن الزمن والإرادة الطيبة تدخلت لتضع أمامهم مهمات جديدة أكثر خطورة.

وبعد انقضاء مرحلة الانقسام الأولى حكم كثيرون على حازم وطالب، أنهما قادا جناحاً مقابلاً لخط السعدى، فأتاحا

مؤتمر حزبي يؤدي إلى انقلاب عسكري

أبلغ صالح مهدي عمّاش ، علي صالح السعدي بموافقتنا على عقد المؤتمر القطري الاستثنائي لاستكمال العدد الجديد لأعضاء القيادة القطرية، وبنفس اليوم الذي اقترحه هاني الفكيكي (رئيس المؤتمر القطري العادي) وهو ١١/١١/١٩٦٣ . وكان عمّاش يقوم بدور الوسيط والمراسل بين جناحي القيادة المختلفين. وكانت تلك حالة غريبة لم يشهدها تاريخ الحزب في أكثر ظروفه تأزماً. وقد وافقنا على وساطة عمّاش بسبب انقطاع الاتصالات كلياً بيننا .

وفعلاً، انعقد المؤتمر بكامل أعضائه تقريباً. وبعد الثام جلسته بدقائق قرع الباب ودخل الضباط يتقدمهم محمد المهدي وورشيد مصلح التكريتي وعلي عريم، وبينهم جميل صبري البياتي وسعيد صليبي وحيد التكريتي.. الخ. كانوا سبعة عشر ضابطاً يقودون أهم الوحدات

الفرصة لخط ثالث معاد للبعث التدخل والفوز بالسلطة بعد أن كان متفجعاً. وفي الحقيقة فإن كلاً من السعدي وعمّاش واليكر وعمّاش كانوا يعرفون ماذا يريدون ويذهبون مباشرة إلى مبتغاهم. أما حازم وطالب فقد أرادا شيئاً ولم يذهبا إليه مباشرة. فقد كانا من طينة السعدي، لكنهما وبسبب من واقعية متشددة أرادا استثمار تحالفهما مع اليمن لترسيخ أقدامهما بالسلطة من أجل تحقيق الطموحات القومية والوطنية للمجتمع العراقي!!

إن تعمقاً بسيطاً سيكشف أسباب حدة الصراع الكامنة، ومن أجل فهم الأمر لا بد من معاناة أمور كثيرة أهمها :

أولاً: إن حكومة ١٤ تموز بعد أن أقامت نظاماً وطنياً، اختطت تحت ضغط الشيوعيين والتأييد الشعبي الساحق لقيادتها، خطأً يسارياً وضربت علاقات اجتماعية وجهرية كانت سائدة منذ فترة طويلة.

ثانياً: جاءت نتائج الثورة العراقية في ١٤ تموز بخيبة آمال جمال عبد الناصر الذي أراد نظاماً ذاتياً في العربية المتحدة وليس مكملًا، دون أن يدرك تركيبة العراق المتميزة وقوة وخبرة الحركة السياسية العراقية، واختلاف ميول وتقاليدهم، فلم يكن العراقيون بكاملهم جاهزين لإطاعة مندوب يرسله عبد الناصر لحكم العراق كما فعل مع سوريا. لكن ناصر اعتقد أن قاسم وحده الذي يعيق التحاق العراق الطوعي بالعربية المتحدة، فعمل بفعالية إعلامية نشيطة وشعارات مثيرة إلى تخريب سمعة قاسم عربياً وشجع على تأسيس خط ناصري منظم في العراق وكان وجوده قبل ذلك لا يتجاوز التعاطف العام.

ثالثاً: خلق إلحاح الشيوعيين وتطرفهم الاجتماعي بيئة فوقية من المتحالفين ضد نظام قاسم، اختلط فيها القومي الناصر مع ابن الإقطاعي والتاجر وذوي الميول الدينية وأبناء الفئة المستفيدة التي ضايقها كثيراً مزاحمة أبناء الأرياف الزاحفين علي بغداد من كل حذب وصوب. كل هؤلاء شكلوا أقلية عديدة معارضة، لكنها قوية ومتماسكة وتمتلك أصولاً وجذوراً راسخة داخل أجهزة الدولة والجيش والشرطة.

خامساً: وينتمي حازم وطالب للفئة النائرة من هؤلاء ، ولكنهما توها أن عقلانية هادئة ومحسوبة ستدعهما يتغلبان سلمياً ويحققان إرادة الحزب دون خسارة الحلفاء، وبأقل قدر من الفوضى. أما جناح السعدي فقد اعتبر عقلانية حازم وطالب نوعاً من الانتهازية والمداورة، وتوهم بقدرته على هزيمة السلطة انطلاقاً من الشارع ففشل الجناحان، لأن اليسار قدم بفروضه أعداءً كافية لانعزاله عن حلفاء طبيعيين له، والعقلاني توهم أن المحافظين وكبار العسكريين بلا ذكاء وبلا خطة. لكن حازم وطالب ودون قصد منهما استخدما جسراً مرت عليه فئة عضت السلطة ولن تتركها بسلام، فظل العراق يتدهور تحت سلطتها حتى خاضت به حروباً مجنونة على الحدود الشرقية والجنوبية، ولذلك اعتكف حازم ومات شبيب معارضاً.

العسكرية الموجودة في بغداد ومحيطها. وللإنصاف فإن عددهم لم يتجاوز النسبة العددية لما يستحقه التنظيم العسكري داخل المؤتمر بالقياس إلى مجموع التنظيمات الحزبية المدنية الأخرى.

تكلموا معاتبين وكانوا جميعهم من المشاركين الأوائل في الثورة. قال أحدهم وأظنه محمد المهداوي: نحن ضباط ١٤ رمضان، قمنا بالثورة، وشاركنا في كل شيء، وحملنا دماءنا على أكفنا، ورؤوسنا على أكتافنا، وضحيننا وقتل منا من قتل، ولكن أحدا لم يدعونا للمشاركة في الانتخابات، ولم نستشر، ولم يكن لنا رأي. وهذا اعتداء على حقوقنا كأعضاء في حزب البعث وكمساهمين في الثورة. ونرجو من أعضاء المؤتمر إعادة الحق إلينا.

اعترض رئيس المؤتمر هاني الفكيكي على دخول الضباط، فوجه حميد التكريتي رشاشه مباشرة إلى صدره وقال له انزل، ولم أكن أتصور أن هاني يمتلك القدرة الرياضية الكافية لكي يقفز بحركة كروياتيكية واحدة، فيدور دورة كاملة في الهواء ويأتي على أرجله واقفاً. كما انتقل علي صالح السعدي من مكانه ليجلس إلى جانب أحمد حسن البكر والاحتماء به. في حين استمر أحد الضباط معاتباً "إنكم في القطاع المدني أجريتم انتخابات، فلماذا لم تقيموا مثلها في القطاع العسكري؟ ونحن نعترض عليكم لعدم تمثيل المؤسسة العسكرية داخل قيادة الحزب، فكيف يمكنكم معرفة إرادة القطاع العسكري بدون انتخابات.

تحدث علي السعدي فتوافق مع الضباط على حقهم في حضور المؤتمر محاولاً استمالتهم^(١) لكن الضباط محمد المهداوي أشار إلى اللواء طاهر يحيى التكريتي أن يصعد إلى المنصة لترأس الجلسة دون تصويت. فقال له: "يا أبا زهير" تفضل لرئاسة المؤتمر. وفوراً طلب يحيى من المعارضين التصويت على قبول الضباط أعضاء أصلاء في المؤتمر القطري، ففاز الاقتراح بأغلبية ٣٨ صوتاً من أصل ٤٥ صوتاً^(٢). ثم جرى التصويت على سحب الثقة من القيادة القطرية

١ — لم يكن تصرف السعدي عندما وافق على منح العسكريين عضوية المؤتمر دليل ضعف، بل جاء لإنقاذ قيادة الحزب وأنصاره من احتمال أن يقتلهم الانقلابيون. لأنه (أي السعدي) أدرك أن ما يحصل ليس سوى انقلاب عسكري [13]. وكما اعتقد بأن اقتراح عضوية المؤتمر للضباط الذين انتهكوا حرمة المؤتمر ودخلوا قاعته عنوة لم يأت سوى من علي السعدي.

٢ — بعد دخول الضباط للمؤتمر اختل التوازن والتمثيل وأخذ الضباط أكثر من حقهم التمثيلي في المؤتمر، فقد أصبح عددهم حوالي ٢٨ ضابطاً من أصل ٦٢ عضواً، أي ٤٥ عضواً أصلياً يضاف إليهم ١٧ عضواً حصلوا على عضويتهم عنوة. وهم المقدم محمد المهداوي والزعيم رشيد مصليح التكريتي والمقدم علي عريم والمقدم صلاح الطبقجلي والمقدم محيى محمود والمقدم زكريا السامرائي، والعقيد سعيد صليبي والمقدم حميد السراج والمقدم منعم حميد والمقدم الطيار حسين حياوي التكريتي، والمقدم جميل صبري البياتي، والرائد عبد الله حميد، والمقدم فهد جواد الميرة والمقدم حميد التكريتي، والمقدم حسن مصطفى النقيب والنقيب الاحتياط عزيز شهاب والمقدم أحمد أمين محمود. وكان موجوداً داخل المؤتمر كأعضاء أصليين العميد أحمد حسن البكر، الفريق صالح مهدي عماش، اللواء طاهر يحيى التكريتي، العقيد ذياب العلكاوي، المقدم الجوي منذر الرندواوي، العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت،

المنتخبة في المؤتمر الاعتيادي الذي لم يحضر على انعقاده شهران، وفاز الاقتراح بنفس النسبة السابقة. وكان سعدون حمادي من المعارضين لتلك الانتخابات فوقف قائلًا: إن ما يجري غير شرعي، فقيل له: اسكت، فسكت. وانتخب د. فائق البزاز وعبد الستار السندوري لعضوية القيادة القطرية الجديدة دون أن يرشحا نفسيهما، فاعترضا، ولم يقبل اعتراضهما، أما تحسين معلقة ومنذر الوندلوي وصالح مهدي عماش، فقد انتخبهم المؤتمر أعضاء احتياطيين في القيادة الجديدة. وأتذكر أن جعفر قاسم حمودي دخل إلى قاعة المؤتمر قائلًا: أنا عضو أصيل في المؤتمر، فلماذا لم تدعوني لحضوره؟ ولا أتذكر إذا سمح له أم لا؟

بعد إعلان أسماء القيادة الجديدة، انتقل الفائزون إلى غرفة صغيرة مجاورة، لعلها غرفة البكر الذي ترأس الاجتماع باعتباره أكبر الأعضاء سنًا، فقال: بدلاً من إبعاد عشرة، نقوم بإبعاد ثمانية، وبدلاً من ثمانية، ستة. وكلما قل عدد المبعدين يكون أفضل لنا، فنقرر إبعاد علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي وحدي عبد الحميد وهاني الفكيكي وأبو طالب عبد المطلب الهاشمي، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة البكر، وعدم إذاعة تفاصيل ما حدث في قاعة المؤتمر باعتباره شأنًا من شؤون الدولة وأسرارها. على أن يتم بعد ستة أشهر إجراء انتخابات حزبية جديدة في جميع أنحاء القطر، يشارك فيها المدنيون والعسكريون. عن فيهم الأعضاء المبعدون إلى خارج العراق^(١).

المقدم عبد الستار عبد اللطيف، العقيد الجوي حردان عبد الغفار التكريتي، الملازم احتياط بهاء حسين الشبيب. وكان بين الحاضرين عدد من المدنيين الممنوحين رتب الضباط كابو طالب الهاشمي ونجاد الصائي وأحمد الغزوي.

١ — يقول حسن وادي العطية: كان محمد المهدي الوحيد بين الضباط الداخلين يرتدي بدلة مدنية سوداء ومجمل حقيبة سوداء ويضع نظارة شمسية سوداء. وبدأ حديثه مشيرًا إلى حقيقته قائلًا: بهذه الجنطة أسرار تدين بعض أعضاء القيادة القطرية وبعض الوزراء[14].

أما د. تحسين معلقة فقال: احترق ١٧ ضابطاً قاعة المؤتمر بعد عشر دقائق من التثامه، ورددوا شعار الحزب "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" وكلهم عدا محمد المهدي يرتدون بزاتهم العسكرية. وكان الضباط حميد التكريتي يحمل غدارة (رشاشة) مصوبة وقالوا: نحن أعضاء في المؤتمر، ونرفض أن يكون الفكيكي رئيساً له. وطلبوا من طاهر يحيى رئاسته، وعندما اعترض الفكيكي هدده التكريتي فنزل من المنصة بنفس الوقت الذي تنقل فيه محمد المهدي بجميع أسلحة المؤتمرين الشخصية، وعندما وصل إلى المقدم أنور الحديشي، سحب الأخير مسدسه محاولاً الانتحار وصائحاً: لسنا خونة، نحن وطنيون. وتمكن خالد مكي الهاشمي من تلقف المسدس من يده، وحاول الآخرون تهدئته ومنعه من مغادرة القاعة وإعادته إلى مقعده. بعدها تحدث السعدي محاولاً دغدغة عواطف الضباط قائلًا: نحن رفاق والعلاقات الرفاقية لا تسمح بالجابية... فوق حازم جواد صائحاً: لا أسمع لك الآن أن تلبس مسوح القسس، فجلس علي بعد أن أدرك أن هناك ترتيباً وانقلاباً منظماً. وتم انتخاب قيادة جديدة بمشاركة الضباط، اجتمعت بغرفة جانبية ولم يسمح للأعضاء الاحتياط (عماش، معلقة، الوندلوي) حضور الجلسة التي دامت نصف ساعة، أبلغونا بعدها بانتخاب البكر أميناً للسر ورئيساً للوزارة وبقرارهم إبعاد علي ومحسن وحدي وهاني وأبو طالب. وفوراً أشار حميد التكريتي بغدارته للسعدي ورفاقه: تفضلوا معي... فصاح السعدي بصوت تعمد أن يكون مسموحاً: "تعال يا به أبو هيثم (البكر) إحنا شنو معتقلين؟" فرد البكر: لا تعال معي، فذهبوا إلى القصر الجمهوري مع أعضاء القيادة

←

ولم يخرج من اجتماع الغرفة الصغيرة الذي تلا جلسة المؤتمر أي بيان. وما تم تلاوته على أعضاء المؤتمر هو القرارات والتعليمات التي قررتها القيادة المنتخبة الجديدة. وكانت أكثرها معدة سلفاً، قبل إشراك الضباط. ولم يكن من بين جميع القرارات المتخذة سوى قرار واحد مهم ومقصود هو قرار إبعاد علي وجماعته خارج البلاد. أما بيان المؤتمر فقد صغته بنفسه بعد يوم واحد من انتهاء أعماله.

الجديدة وآخرون. وأضاف د. تحسين معلة يقول: أخبرني ستار الدوري فيما بعد، أنهم أبلغوا السعدي ورفاقه بإبعادهم لإسبانيا. فطلب السعدي اصطحاب زوجته، لكنهم أخبروه أنها ستصل بعده، فبكى السعدي بشدة، فاضطر الدوري مرة أخرى الطلب من عبد السلام الموافقة، وكان يجالسه حازم جواد وطالب شبيب، فرد عبد السلام قائلاً: يخرج "بالجلاجات" (أي ركلاً بالأقدام) [15].

ولا أرى أن عبد السلام بلغ من القوة ما يكفي ليقول ما قاله للسعدي، لكن تواطؤاً بينه وبين أحمد حسن البكر قد حصل وجعله يجرؤ على ذلك. فقام الجيش والحرس القومي كانت حتى تلك اللحظة موزعة بين البكر وأنصار السعدي وليس لعارف أية قوة فعلية غير خطة مرسومة بذهنه ومفاتيح أولية في نطاق ضيق تنتظر التنفيذ. وكان منطقياً أن يعثر عارف بين الفريق العسكري الحاكم على ضباط كثيرين مستعدين لحيانة قسم وفائهم للبعث وذلك لأن عدداً كبيراً منهم انتمى للحزب لتحقيق مصالح خاصة، فقد ألح ميشيل عفلق على قيادة قطر العراق قبل ٨ شباط على ضرورة كسب الضباط الكبار ومنحهم عضوية الحزب العاملة فوراً [16]. فعلى سبيل المثال انتمى طاهر يحيى للبعث قبل ٨ شباط بيوم أو يومين. فعين رئيساً لأركان الجيش وبعد تسعة أشهر نصب رئيساً للمؤتمر القطري الاستثنائي، وبعدها بأيام أصبح رئيساً لوزارة السلطة التي طاردت البعثيين في جميع أنحاء البلاد وملأت السجون بهم، وهذا ينطبق على رشيد مصليح التكريتي وسعيد صليبي.

وفي الحقيقة، فإن البكر كان مهتماً لرئاسة المؤتمر لكنه قرر في اللحظة الأخيرة تركها لطاهر يحيى، ليبقى داخل القاعة يحرك الأحداث دون أن يظهر في الصورة، بل الظهور بمظهر المحايد، المضطر إلى التدخل وكانت النتيجة أن كل المناصب (أمانة سر القطرية ورئاسة الوزارة) صارت له أما القيادة التي خرجت من المؤتمر فتكونت من: البكر، حازم جواد، طالب شبيب، طاهر يحيى، محمد المهدي، طارق عزيز، عدنان القصاب، علي عريم، عبد الستار الدوري، عبد الستار عبد اللطيف، حسن حاج وداي العطية، د. فائق البزاز، وفاز أعضاء احتياط حسب تسلسل الأصوات: صالح مهدي عمّاش، د. تحسين معلة، ومنذر الوندائي. وفي القصر الجمهوري، عندما أطلع عبد السلام على أسماء القيادة الجديدة، مسح بقلمه اسم تحسين معلة، وعندما سألت د. معلة عن ما يمكن أن يكون السبب في تصرف الرئيس عارف، قال: ليس بيننا شيء، وقد ساعدته عندما كان معي في نفس المعتقل، وزرته بداره بصورة سرية بعد إطلاق سراحه، وليس لديه معي غير "طائفته الموثورة" [17]. ويذكر أن القيادة المذكورة دامت ثلاثة أيام فقط، ثم حلت من قبل القيادة القومية في اجتماعها ببغداد في ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٣ واعتبرت للمؤتمر القطري الاستثنائي المنعقد في ١١/١١/١٩٦٣ غير شرعي. وضم اجتماع القومية: ميشيل عفلق وأمين الحافظ، وصالح جديد وجبران مجدلاني ود. عبد الخالق النقشبندى، واتخذت قراراتها تحت ضغط الحرس القومي الذي احتل مدينة بغداد بكاملها.

ونقل تحسين معلة: إن أسماء مرشحي القيادة قرأت من ورقة معدة سلفاً وعندما اعترض كل من د. فائق البزاز ود. تحسين معلة، وستار الدوري على ترشيح أنفسهم، ورفض اعتراضهم، وقام أحد الحاضرين ورشح صالح مهدي عمّاش الذي لم يرد اسمه في القائمة. فوقف منذر الوندائي وقال: أنا أيضاً من الضباط الثوار وأرشد نفسي للقيادة، ولم يعترض عليه أحد، فحُزرت الانتخابات في ظروف متوترة وغير طبيعية [18]. وعندما اعترض سعدون حمادي وحاول الخروج من القاعة معلناً أن ما يجري مؤامرة ولن يشارك فيها، قال له علي عريم "إخرس عبد الزهرة" [19].

انتقلنا، القيادة الجديدة وبعض أعضاء المؤتمر والمبعوثون الخمسة فوراً إلى القصر الجمهوري. وعند مدخله اقتربت سيارتي من السيارة التي استقلها علي صالح السعدي، فقال لي غاضباً: أهذا ما كنت تريده يا طالب؟ قلت: هذا عكس ما كنت أريده وأتمناه، ولكن أنت يا علي أوصلت الأمور إلى هذا الحد المؤسف.

مر يومان على قرارات المؤتمر التكميلي وترحيل علي ومجموعته إلى إسبانيا، خلالها حول الحرس القومي بغداد إلى ساحة حرب، ووصل الأمر أكثر من مرة إلى حافة مواجهة حقيقية مع الجيش. وحصلت أحداث استفزازية كثيرة، وانتشر السلاح محمولاً بيد الآلاف. وقد نجحنا في إيقاف خطط تصادية كثيرة. ولم يكن من السهل علينا أن نساهم بإزالة دماء البعثيين، على الرغم من محاولة الكثيرين تفسير تصفية الحرس القومي أنه يؤدي للاستقرار.

وفي يوم ١٣ تشرين الثاني أي قبل سفرنا بساعات جرت محاولات عديدة لكي نبقى على رأس السلطة السياسية بشرط إجازة الجيش في تصفية الحرس عسكرياً. وكانت إحدى تلك المحاولات صادرة عن عبد الكريم مصطفى نصرت قائد الفرقة الرابعة المدرعة التي تسيطر على بغداد، ولم يكن الرجل شاكراً، وكنا في مكتب عبد السلام عارف عندما قال: "ما دمتهم لا توافقون على أن يتحرك الجيش لإعادة الاستقرار، وتخافون على قطرة دم تسهلر. فاذهبوا أنتم، وسيتحمل الجيش مسؤوليته...".

أما عبد السلام عارف الذي اعترض على سفرنا، فقد أخبرناه بأن قرار سفرنا نهائي. فقال علي بركة الله، وفي أمان الله، وردد مازحاً "كلما قلت الشياطين ارتساحت الملائكة" لكنه عرض أن يكون سفرنا إلى الموصل حيث تأخذنا طائرة خاصة إلى معسكر الفرقة الأولى في ضيافة عبد الكريم فرحان، نقضي الوقت الكافي ليعيد الجيش الهدوء إلى مدينة بغداد. فأصررنا على بيروت، على أمل العودة قريباً.

سافرنا دون أن ندع أحداً يستفيد منّا بشيء، فلم نتفق أو نتفاهم مع عبد السلام عارف، لكنه استفاد بلا حدود من خروجنا من العراق، فبعد إخراج السعدي، خرجنا نحن، لكي تفرغ الساحة من الشرعية السياسية. فتهيأ الجو لانقلاب ضدنا. وما زلت أرى أن صالح مهدي عماش هو الذي أوحى لعبد السلام ولأحمد البكر بفكرة التخلص من المدنيين جميعاً. وقد سمعنا أنه كان يقول للمقربين منه، إن طالب وحازم تخلصا من علي السعدي وجماعته، فتعالوا نتخلص منهما لكي يستطيع الضباط وحدهم قيادة الثورة.

لذا أقول: اتخذنا قرار السفر مغاضبين، وكنا نشعر بأننا لما آلت إليه الأمور. ويدو أن عماش وحردان أحسّا في تلك اللحظة أن الوضع بدأ ينزلق ويفلت من أيديهم. وكانا بين حوالين ستين ضابطاً في توديعنا بمطار بغداد. فقال حردان التكريتي: إبقوا هنا ولا نحتاج منكم غير إعطائنا أوامر لكي نعيد البلاد إلى استقرارها.

أما صالح مهدي عماش ، فبدأ يتزلف كتعاطفه، وهدفه أن يسجل موقفاً لخط رجعة محتمل، فقال أمام الجميع: إذا سافرتم ستتتهي الثورة، وسمعه يقول ذلك كثيرون بينهم ستار الدوري وعبد الكريم نصرت، وحسن النقيب وبهاء شبيب ومدحت إبراهيم جمعة والبكر وعبد الستار عبد اللطيف وجميل صبري ومحمد المهداوي وحسن وداي وصلاح صلاح ومحبي محمود وعبد السلام عارف. وأعتقد أن عبد السلام حمل ما قاله عماش له، وبذلك يكون عماش قد نحسونا ونحسر السعدي ونحسر عبد السلام^(١).

ولم يكن غضبنا على عماش وغيره بسبب التنافس السياسي. بل لإدراكنا التام بأنهم سيتسببون في إخراجنا وإفراغ البلاد من الشرعية السياسية، دون أن يكونوا قادرين على مسك زمام الوضع. فليس بينهم من سيتفق الضباط على الخضوع له. ولذا اعتبرنا تصرفهم تخريباً مضراً وأشبهه بتصرف الحرامية. سرقوا الثورة غيلة وجبناً، ولم يحتفظوا بها حتى يوماً واحداً. وأعترف أننا ساعدناهم كثيراً بموافقتنا على إخراج السعدي ثم أقنعنا أنفسنا بقدرة البكر على الحزم، فغادرنا اعتماداً على تصرفه.

وأستطيع الآن التأكيد على أن ما جرى، كان مزيج من تسرع البعثيين في صراعهم الذاتي، وتآمر وفد القيادة القومية ممثلاً بميشيل عفلق وأمين الحافظ وجبران مجدلاي وصلاح جديد الذين عرضوا سلطة الحزب للضياع وأنفسهم للإهانة والاعتقال والتفسير، بعد أن وثقوا بعبد السلام عارف.

ولا أنسى بأنني وحازم جواد أدركنا خطورة الأمر، فأرسلنا برقية نشرتها جريدة النهار البيروتية إلى القيادة القومية، وإلى رئيس الجمهورية السورية، ورئيس الأركان ورئيس الوزراء، على شكل رسالة مفتوحة، نحثهم فيها بأن يحكم حزب البعث في العراق يشرف على السقوط. وكان ردهم علينا، أنهم فصلونا بواسطة جهاز الإذاعة.

١ — ربما لم يكن صالح مهدي عماش صادقاً مع حازم وطالب، لكن حردان الذي يقود القوة الجوية ويؤثر على اثنين من قادة كتائب الدبابات في بغداد كان صادقاً معهم. غير أن طالب وحازم كانا في مأزق محرج، فإما أن يوافقا على تحقيق رغبة الحرس القومي بإعادة علي السعدي ورفاقه وذلك يرفضه العسكر وسيؤدي حتماً إلى نفس النتيجة أي الاقتتال. أو التواطؤ مع القيادة العسكرية وإعطائها الأوامر لضرب قوات الحرس القومي وسحقها عسكرياً وذلك يعني سفك دماء بعثيه وتسجيل صفحة دموية سوداء أوقلت الرفاق والأصحاب وبذلك يتم القضاء على تنظيم الحزب الذي طالما استمدوا منه قوتهم. لذلك اتخذنا قرار السفر للتخلص من المأزق الخاص ومن أجل سحب أحد صواعق الأزمة المشرفة على الانفجار.

ورغم أن سفر طالب وحازم كان أهم شرط أعلن وضعته قيادة الحرس القومي النائرة للبدء بالمفاوضات أو للقبول ببدء وساطة القيادة القومية، فإن هناك أسباباً أخرى كثيرة غير معلنة أهمها أن العسكرين وصلوا إلى مأربهم وصار بإمكانهم الإفتراد بالسلطة فلماذا يسمحون لشبان مثل حازم جواد أو غيره مشاركتهم فيها.

سؤال: حسب ما فهمته منك، أنكما أنت وحازم، كنتمما حتى لحظة صعودكما الطائرة المغادرة إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣، تمسكون مع حليفكم أحمد حسن البكر بكافة الأوراق العسكرية في بغداد، بل كانت السلطة بين أيديكم وطوع أمركم. فلماذا تخليتكم عنها لعبد السلام عارف ؟ في حين كان بإمكانكم إيجاد حلول أفضل من تسليمها إلى المتربصين بجناحي الحزب. ألا يعني تخليكم ، أنكم لم تدركوا أهمية الآلة (الدولة والسلطة) التي استوليتم، بل وتصرفتتم بها وكأنها لعبة غير جادة ؟

طالب شبيب : أدرك فريقنا أهمية السلطة ودورها، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأهداف والمبادئ الاجتماعية وتطبيق السياسات. أما الفريق الآخر فقد انتهج سياسة فوضوية، وتطلع إلى تحقيق أفكاره الساذجة بالتجاوز على القوانين معتقداً بقدرته على تجاوزها بنفس السهولة التي أصبح معها قادراً على سنّها. وما كان يدري أن ذلك يقود إلى فوضى، ستهدم أول ما تهدم السلطة التي بين يديه.

لقد كنا قادرين على البقاء. ولكي نبقي كان الأمر يتطلب إجازة استخدام القوة ضد الحرس القومي وضد رفاق بعثيين وقد رفضنا إعطائهما. في حين ألح العسكريون علينا بتغطية الحل العسكري سياسياً، وعندما لم نفعل بحثوا عن تغطية أخرى، قدمها لهم عبد السلام عارف. وفي الحقيقة فقد كان موقفنا الرفض لإراقة الدماء ولأي اصطدام، بما في ذلك المجادلة ضد الوسائل غير الشرعية، يضعنا في موضع المشاكس، الذي يرفض دون أن يقدم حلاً أو مخرجاً. فالحرس القومي يسيطر على بغداد ومراكز المدن والجيش بكامله يقف مستعداً لأخذ المبادرة، ونحن مرفوضون من الحرس ورافضون للحل العسكري، بل رفضنا اتخاذ أي إجراء أممي احترازي ومنعنا الاحتكاك بالحرس القومي، وطالبنا بإفراغ بغداد له، ولم نضع حراسات أو حواجز (ما قيل)، ولم نطوق قاعة المؤتمر، بل استمرت الحراسات الاعتيادية في المجلس الوطني، وبينه وبين القصر الجمهوري، ولا أدري كيف تخيل الأستاذ هاني الفكيكي في كتابه أموراً غير ما قلت. وأعتقد أنه تصور وجود عساكر على جانبي الطريق بسبب هول المفاجأة والخوف من التصفية الذي، ربما، سيطر عليه. وقد علمت فيما بعد أن علي ومحسن وهاني وحسني تصوراً أننا سنرميهم بالرصاص فور احتجازهم. وكانوا من جانبهم لو سارت الأمور كما خططوا سينفلون فينا أحكاماً بالقتل. وقد أكد علي صالح السعدي وهاني الفكيكي وآخرون أنهم كانوا قد وضعوا خطة كاملة مضادة. فلم يكن علي صالح السعدي خبيثاً ولم يحتفظ بأسرار، وعندما سألته عام ١٩٦٨ في بغداد قائلاً: لو استمرت أعمال المؤتمر دون تدخل الضباط،

وفزتم بالانتخابات ماذا كنتم ستفعلون ؟ أجاب فوراً : سنستلم القيادة كاملة، وكنا سنعدمكم
أنث وحازم!!

كانت هناك أسباب كثيرة لمأزقنا وللفضوية والتطرف^(١) أهمها حالة الانتشاء التي سببها الانتصار السهل الذي تحقق على نظام عبد الكريم قاسم، فتملك بعضهم شعور بأنهم جاعوا "هبة الله للشعب" ولهم الحق كثر أن يفعلوا ما يشاءون ، لإيصال الشعب إلى ما يعتقدون أنه صواب. رغم أن القضية برمتها، بما في ذلك الأهداف المعلنة للأحزاب، كانت تفتقر إلى الوضوح، مما جعل تصرفات السلطة الرسمية ومنظماتها لا تجري وفق معايير دقيقة ومحسوبة. وعلى سبيل المثال، عرض وزير العمل والشؤون الاجتماعية حميد خلخال على مجلس الوزراء مشروع قانون جديد للضمان الاجتماعي، وطلب أن يلتزم فيه كل رب عمل يستخدم عاملاً واحداً أو أكثر، بحفظ دفاتر للضمان الاجتماعي ودفاتر أخرى لدفع الضمان، وشراء أختام وطابع وغيرها من المستلزمات. فتصور بائع الكباب الذي لديه "صانع" أو سائق الباص ومساعد الحداد وجميعهم ينطبق عليهم القانون.

ولم يكن مستوى العمل المهني والإنتاجي في العراق يحتمل مثل هذا التنظيم المقترح، كما أن الحكومة العراقية ذاتها لا تملك كوادراً قادرة أو كافية للإشراف على تطبيق عملية متشابكة واسعة للفصل بين العامل ورب العمل في طول البلاد وعرضها، وليس لدى الوزارة غير بضعة موظفين للرقابة. في حين يحتاج الأمر إلى عشرات الآلاف من الموظفين. ولو كانت الوزارة قد أقرت مشروع الوزير خلخال، لوجد طريقة للتنفيذ بواسطة الوسيلة الوحيدة الممكنة وهي عصا الحرس القومي الذي سيتدخل أفراداً بطريقة ثورية أو عاطفية بكيفية بعيدة عن القانون، وسيؤدي إلى كوارث اقتصادية تهدد بإيقاف كامل العجلة الانتاجية، وهي حالة متوقعة عندما تخرج القوانين التي تسنها الدولة من عقلانياتها فتتخطى روحها، وتتخطى الأهداف

١ - سبب لم يذكره الشبيب وهو أن حكم حزب البعث أتاح الفرصة لرجال من الوسط الشعبي البسيط إلى استلام مراكز مهمة في السلطة وفي تقرير سياستها العامة. فأزعج ذلك آخرين تعودوا الحكم (إذا سقط الآباء يحكم أبنائهم)، وأحسوا بالسلطة قلقة بين أيديهم، ينازعهم عليها ضباط شباب وكوادراً من الأحزاب السرية والحرس القومي، ولم تكن لهؤلاء ذهنية السلطة الباردة والمهذبة، بل تشبعوا بمشاعر المظلومية، وتصرفوا عندما أمسكوا بالسلطة بروحية متوردة وكمتردين.

فلم يكن السعدي وحازم ومحسن وحدي وشبيب والعزاوي يرغبون بالتعسف على الموظفين الكبار الوارثين سلطة العهد الملكي، لكنهم نظروا إليهم رموزاً للظلم الذي تعرض إليه الشعب العراقي عشرات السنين. أي لم تكن المزايدة الأيديولوجية والشعاراتية وحدها سبباً للتطرف، بل الصراع بين وراث لا يرغب أن يشاركه أحد بالتركة وبين راغب في المشاركة لكنه متور ومتطرف ولا يعرف الأساليب القانونية الباردة في المطالبة بالحق، لأن السلطة ذاتها تستخدم القانون لمصلحتها ولا تطبقه بعدالة.

التي جاءت من أجلها. ولحسن الحظ وقف ضد القانون وزراء محايدون بينهم ناجي طالب وزير العمل في عهد عبد الكريم قاسم فقال: " إن قانون حكومة قاسم رغم بساطته ليس بالامكان تطبيقه بسهولة، فكيف بقانون عسير كهذا، سيشل في حالة تطبيقه الحياة الاقتصادية تماماً ، ولا أرى أية فرصة لتطبيقه". وعلى إثر المناقشة سحب خلخال المشروع الذي لم يكن سوى مظاهرات يسارية مزيدة على قوانين قاسم، وعلى اشتراكية عبد الناصر، دون أن يدرك أن البرهان الوحيد على ثورية أكثر صدقاً من قاسم وناصر والشيوعيين تأتي بإعطاء حريات أكثر وإنجازات أفضل وباحترام إرادة المجتمع ورغباته^(١).

وبذلك أوقنا أنفسنا بمبالغات غير مطلوبة، في وقت كنا بأمس الحاجة للتداول الواقعي لمواجهة التحدي الحاسم خصوصاً في مجال اختيار شكل النظام السياسي ونوع الممارسة الديمقراطية ودراسة علاقة الدولة بالملكية الخاصة والاجتماعية. كان مهماً جداً الجلوس وبحث الموقف من الرأي الآخر، فالعراق لم يكن كله بعثياً. وكانت هناك أسباب وآفاق كثيرة تشجعنا على إعطاء هامش ممتاز للحريات السياسية والفردية والاقتصادية. فحزب البعث استطاع بالتعاون مع القوميين في زمن عبد الكريم قاسم أن يفوز بانتخابات حرة وديمقراطية بعدد من المؤسسات والجمعيات المهنية الكبيرة، ك نقابة المعلمين والمهندسين. فلماذا نتخلف ولا نقيم انتخابات حرة في مجالات اجتماعية مهنية كثيرة، ونحن نمسك بالسلطة بكل امكانياتها.

فشلت محاولتنا لإصلاح الوضع ، وانتهى الأمر إلى يد عبد السلام عارف. بسبب صراع البعثيين فيما بينهم حول مسائل غير واقعية، لعبت فيها دوراً أساسياً الإيديولوجيا اليسارية المتطرفة من جهة والتحالف مع أطراف من خارج نسيج الحزب كالضباط الكبار، من جهة أخرى. وحينما أردنا الخروج من الأزمة ، اتفقنا مع البكر وعبد الستار اللطيف ونحجي محمود

١ - جاءت سلطة ١٩٦٣ لتحكم شعباً له تاريخ طويل في السياسة في مجال المعارضة والاستقطاب. ويعرف كل مواطن يعيش على أرض العراق من يجب ومن يكره. ولم يكن سهلاً أخذ المواطنين العراقيين على حين غرة، وكسبهم بمزايدات أو بتصریحات شفوية.

وأمام واقع الحال الصعب، لم يتجهز قيادة الدولة سواء المتمثلة في القطرية أو بمجلس قيادة الثورة، في التقرب من سواد المواطنين، وحق من المثقفين، بل فرضت السلطة احترامها بين أبناء الشعب انطلاقاً من دعاية انتشرت بين الجميع بأن الحكام الجدد حازمون وقسا ويعاقبون خصومهم بشدة، وكان خطابهم للشعب يصدر بلغه الأوامر وينفذ بدوريات الحرس القومي. وذلك جعل الشعب يذعن ولا يتعاطف وجعل معركة الحرس القومي مع دبابات عبد السلام عارف تتم بمعزل عن المجتمع. فقد أفرغ الشعب شوارع بغداد للطرفين المتصارعين لیتقاتلوا. وحصل ذلك تقريباً في كل ميادين ومراكز المدن العراقية الأخرى، إذ تقابل الحراس القوميون مع الجنود والضباط دون متفرجين، وانتهت المقاتلة غالباً بتسليم الحرس لأسلحته بعد ورود أنباء عن انتهاء معركة بغداد لمصلحة الجيش .

(مدير الاستخبارات العسكرية) وحميل صبري (مدير الأمن العام)، على خطة متكاملة، كانت ستؤدي لو تم الالتزام بها إلى بقاء الحزب في السلطة مع استبعاد الممارسات الكيفية وإقامة حكم يحترم القانون. وبينما كنا نسير قدماً في تنفيذ الخطة، خطوة فآخرى، تدخل صالح مهدي عماش ليحطم أهم شروط نجاحها، فزرع في أحمد حسن البكر التردد. فصرنا في أخذ ورد أدى إلى فقدان الإقدام والحزم ثم الانهيار، لأن التردد أثناء التنفيذ يعني إعطاء الفرصة للآخر المتربص. وحينها اضطررنا للموافقة على أشياء كثيرة، منها سفرنا للخارج بحجة التخفيف من شدة الأزمة، في حين كنا نمثل الشرعية الحزبية الباقية بعد ترحيل علي السعدي وجماعته. فحصل فراغ تام ولم يبق للضباط البعثيين وهم قوتنا الضاربة ووحداتهم تقيط ببغداد، مرجعية حزبية يعودون إليها، فاضطروا للسكوت والمسايرة.

ومع ذلك فقد اتفقنا قبل سفرنا مع البكر والآخرين، عدا عماش، بحماية وضع الحزب خلال فترة غيابنا. لكن مفاجآت كثيرة حصلت ببغداد ومن المؤكد أن طمع الضباط بعود عبد السلام، وعدم حزم البكر وممارسة عماش لهوائته في تنييط العزائم، فضلاً عن تهديد الحرس القومي للضباط البعثيين دون غيرهم، أدى إلى الفشل وأتاح لعبد السلام الانقضاض واستلام السلطة صباح ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

حينها سافرت من بيروت إلى دمشق لدراسة الأمر مع قيادة الحزب، بناءً على دعوة من قبل ميشيل عفلق، وكان كل من البيطار وحمود الشوفي وصلاح جديد يتحكمون بالحزب، ووقفوا وراء إجراءات فصلنا غير النظامية. ولذلك كنا وما زلنا نعتبر أنفسنا أصحاب حق في عضوية الحزب، فلم نفعل شيئاً غير الكفاح والتضحية من أجل أهدافه ولم نحقق لأنفسنا أي شيء يتعلق بالمصالح الشخصية^(١).

فور وصولي إلى دمشق، حضرت اجتماعاً مع أعلى قيادة حزبية وحكومية في سوريا، حضره

١ — حينذاك اعتبرت أغلب قيادات وقواعد الحزب أن موافقة طالب وحازم على دخول الضباط البعثيين إلى المؤتمر القطري الاستثنائي في ١١/١١/١٩٦٣ في بغداد، بمثابة مخالفة صريحة للنظام الداخلي ودخول في تكتل ضد الحزب. وهو أمر يجرمه النظام الداخلي ويعاقب عليه بالفصل. لكن قرار دمشق جاء أسرع من الطريقة النظامية. فحازم وطالب عضوان في القيادة القطرية وفصلهما يتطلب إبلاغهما بالتهم والتحقيق معهما قبل أي قرار بشأنهما. وسيكون لهما حق الاعتراض والاستئناف بعد ذلك. ولم يكن هناك ما يمنع القيادة القومية من استدعاء طالب وحازم من بيروت لدمشق والتحقيق معهما.

حق فؤاد الركابي الذي نفذ عملية كبرى " محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم " دون موافقة القيادة القومية، وخرج من الحزب وأسس لنفسه حزباً آخر. لم يفصل أتوماتيكياً، بل استدعي للتحقيق وعندما لم يحضر فصلته القيادة القومية. وهناك من يعتقد أن صدور قرار سريع بفصل طالب وحازم ومحمد المهدي وغيرهم وإذاعتهم من الإذاعة، كان محاولة لتهدئة الحرس القومي الثائر في بغداد والتغلب على الأزمة.

إضافة إلى ميشيل عفلق ، صلاح الدين البيطار ، وحافظ الأسد ومحمد عمران وأمين الحافظ وصلاح جديد وحمود الشوفي، وقد عرضت عليهم خطة كنا درسناها أنا وحازم جواد للعودة إلى العراق فوراً واستعادة السلطة قبل أن يتمكن عبد السلام عارف من نقل الضباط البعثيين من مراكزهم العسكرية الخطيرة، ولم أطلب منهم أكثر من تسهيل عبورنا إلى العراق.

قلت لهم: إن صدام التكريتي جاءنا إلى بيروت (بعد اجتماعه بميشيل عفلق)، يحمل أخباراً من أحمد حسن البكر ويطلب عودتنا فوراً، لأن وجودنا في بغداد سيعطي شرعية حزبية لأي تحرك عسكري يجري الإعداد له. وإن أحمد البكر لا يمكنه لوحده تغطية ذلك، لأنه فقد في نظر كثير من الضباط والمندنيين مصداقيته، لما أظهره من تردد، بل يرى كثيرون أنه تواطأ مع عبد السلام عارف أو ذهب في تعاونه معه إلى الحد الذي أدى إلى إسقاط ثورة الحزب. وقلت: إن صدام التكريتي أخبرنا بأن بيوتاً سرية ستهدى لنا، وأنا متأكد بأننا بالتعاون مع البكر والآخرين سنضع خطة ميدانية سريعة لاستعادة السلطة، وهي إمكانية ما زالت قائمة. وقلت: أننا أبلغنا صدام التكريتي بموافقتنا أن يشكل أحمد حسن البكر قيادة قطرية مؤقتة يضم إليها صدام حسين نفسه.

أحسست وأنا أتحدث بمحو عدائي من قبل أعضاء مجلس الثورة السوري الحاضرين. وكان يحضر مهم صديقي العزيز عبد المحسن أبو ميزر الذي شغل منصب رئيس تحرير جريدة البعث عندئذ. ورغم الصداقة، نظر إليّ شراً. وكانت عينا حمود الشوفي تقذفان شرراً، رغم أنني سمعت قبلها أن بعض أعضاء مجلس الثورة يأملون أن نبقي أخوة ورفاقاً لهم، لتعاون على تخليص العراق من عبد السلام.

ولم يحقق اجتماعنا نتيجة فورية محددة، لكن ميشيل عفلق استدعاني بعد الاجتماع إلى لقاء منفرد فشرحت له تفاصيل ما نفكر به، وحاجتنا للتصرف بسرعة وإلا ستضيع الفرصة. لكنه قال لي: أرجو أن لا تنام الليلة بدمشق، لأنهم سيقتلونك (ويقصد حمود الشوفي وصلاح جديد وآخرين)، وقال: "لا تثق بهم وعُد إلى بيروت ومن هناك تابعوا ترتيبكم السري في العودة إلى العراق ولا تخبروا أحداً، لأنكم ستقتلون في طريق العودة".

شعرت بالحيرة عند سماعه، ولم أكن أثق به تماماً لكنه أربكني وأثار في شعوراً مريباً من الخوف من أساليب التآمر السائدة في هيئات الحزب العليا. وتساءلت مع نفسي إذا كان الأمر يصل إلى حد القتل؟ أم أن ميشيل يريد إبعادنا كي لا يستعيد الحزب دوره في السلطة؟ وبعد سنوات كنت كلما تذكرت ذلك الاجتماع أشعر بالندم لأنني لم أسعٍ للالتقاء مع الرئيس حافظ الأسد الذي أظهر بوضوح تميزاً في صبره ومثابرته، فضلاً عن مظهره النزيه وتعففه عن

الدخول في تكتلات ومؤامرات حزبية داخلية. ندمت لعدم استشارته، وأعتقد كنت سأسمع منه لو فعلت نصيحة مفيدة، خصوصاً أن الحياة أثبتت فيما بعد أن سكوتيه وتفضيليه الإستماع في ذلك الاجتماع كان تعبيراً عن عدم رضاه على أسلوب المناورة في إدارة العمل، كما أثبتت قدرته على التخطيط وإدارة المواجهة والصراع حتى مع دول أكبر من سوريا بكثير.

وكانت النتيجة أننا لم نستطع العودة^(١) وقضى علي صالح السعدي أوقاتاً عصيبة مشرداً بين دمشق وبيروت والقاهرة، ثم فقد إمكانية البقاء في دول عربية كثيرة بما في ذلك مصر وسوريا، خوفاً من تطرفه وأفكاره^(٢).

سؤال: ما وجه الحقيقة في تقسيم الضباط إلى كبار وصغار، وخلافاتهم وموالاتهم؟

طالب الشبيب: لم تكن هناك مشكلة حقيقية تحت هذا العنوان. وربما وجد أربعة أو خمسة

١ — تنكر عارف لكل شيء فاعتقل وطارد جميع البعثيين حتى أولئك الذين أحسنوا إليه، وعندما عُلِمَ أن حازم جواد وطالب شبيب في مطار بغداد، تردد كثيراً بل قرر للحظة اعتقالهما لولا اقتراح من أحد خاصته بتسفيرهما إلى دولة أخرى بشرط أن لا يغادرا مطار بغداد حتى سفرهما إلى تلك الدولة، فاختار مصر وأرسلهما مبعدين ومتحفظ عليهما ووافق عبد الناصر على إقامتهما المشروطة في القاهرة، لا يغادرانها إلا بموافقة. ولم يكن حال البعثيين الآخرين مع عارف بأفضل، فقد رأى يوماً المهندس عدنان القصاب الذي كان رابطة الاتصال بينه وبين علي صالح السعدي قبل حركة ٨ شباط والذي ذهب إلى داره فور إعلان الحركة وجلبه إلى أبو غريب ليتم تعيينه رئيساً للجمهورية. حتى عدنان القصاب عندما التقاه عارف صاح به: هل ما زلت طليقاً وإشار إلى معيته لاعتقاله فاعتقل. ويذكر أن عارف عين حسن النقيب في القيادة العربية المشتركة في القاهرة، فالتقى النقيب بعبد الرحمن البزاز — رئيس الوزارة — الذي كان في زيارة للقاهرة في نادي الجزيرة، وحدثه عن إمكانية العفو عن حازم وطالب، وذكره بفضل طالب الشبيب عليه، فوعده البزاز وفعلاً تمكن من استصدار عفو عن حازم وطالب وبهاء الشبيب، وعين طالب مديراً لمكتب الجامعة العربية بتركيا، بينما رفض الاهتمام بقضية عماش، وكان مبعداً في القاهرة أيضاً الذي لأنه عسكري، ولكن النقيب استمر بسعيه وحصل على دعوة رسمية لعماش لزيارة العراق فأتته أمر إبعاده أيضاً [20].

٢ — أخبرني الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي في دمشق عند حضوره حفل التكرم الذي أقامه الرئيس السوري حافظ الأسد للجواهري الكبير عام ١٩٩٦ فقال بحضور الدكتور محمود أمين العالم والأستاذ مهدي العبيدي والأستاذ وائل الهلالي والدكتور أحمد الموسوي، بأنه — أي البياتي — والأخضر الإبراهيمي، وإبراهيم طوبان وآخرين، كتبوا من دمشق برقية إلى جمال عبد الناصر طلبوا فيها السماح لعلي صالح السعدي الدخول إلى القاهرة التي منع منها، وأضاف الشاعر عبد الوهاب البياتي بأنه علم أن صحيفة الأهرام المصرية سجلت للسعدي حديثاً (مقابلة) بواسطة إنجي رشدي لها علاقة بالمباحث ومتخصصة في مقابلة كبار السياسيين المنفيين على "كاسيت" لمدة عشرة ساعات، تحدث فيها بصراحته الموهودة عن كل شيء. وقال البياتي: إن في تلك الكاسيتات معلومات هامة جداً، لكن الأشرطة احتفت ولم يعرف حتى الآن إذا ما كانت الأهرام أو أية جهة أمنية تحتفظ بها.

ضباط شباب يتحدثون بلغة تختلف عن زملائهم أو رفاقهم، وتأثروا أو أمكن تحريضهم، تمهيداً لإدخالهم في أوضاع حزبية ذات طبيعة تكتيكية، وحتى ذلك لم ينجح إلا بعد أشهر من ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان)، لكن فرقاً كبيراً بين الضباط البعثيين، وأولئك الذين جرى تبغيثهم على وجه السرعة. ودعني أصرحك، بأن العسكريين البعثيين وأغلبهم فزوي رتب صغيرة دخلوا الحزب وهم طلاب على مقاعد الدراسة الثانوية مثل أخي عماد الذي دخل الحزب تلميذاً في الإعدادية ثم أصبح مسؤول تنظيم القوة الجوية، وهناك ضباط شباب قتل بعضهم في الثورة مثل وجدي ناجي، كانوا بعثيين قبل رتبهم العسكرية. يقابلهم طبقة من الضباط الكبار كأحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وعبد الستار عبد اللطيف وحرمان التكريتي، لم يكونوا بعثيين بل أعضاء في منظمة الضباط الأحرار، ووجدوا في الحزب آلة قوية تُعينهم في صراعهم ضد نظام عبد الكريم قاسم.

وبين الفريق الشاب والكبير فارق زمني في دخول الحزب، وفي درجة الثقافة والعاطفة الحزبية، فالذي تربى منذ طفولته بحضن الحزب، يختلف عن ذاك الذي أتى إليه وهو قائد لوحدة عسكرية ويحمل رتبة مقدم أو عقيد. فأحمد البكر يختلف تماماً عن منذر الوندائي إذ جاء الأول في سن كبيرة وبعد أن شارك في ثورة تموز ودخل السجن مع طاهر يحيى التكريتي وذياب العلكاوي ورشيد مصلح التكريتي، في حين كان الوندائي حزبياً قبل دخوله الكلية الجوية.

ولذلك فعند أول أزمة مررنا بها، ذهب ضباط البعث الشباب إلى السجن، بينما تقاسم أصحاب الرتب الكبيرة المناصب مع المتأمرين على الحزب^(١).

١ - قبل ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ تعاون الضباط البكر وحرمان وطاهر يحيى وعماش والعلكاوي ورشيد مصلح ومحمد المهدياوي وستار عبد اللطيف مع عبد السلام عارف لإبعاد القيادة المدنية لحزب البعث، رغم الغزل الذي أظهره نحو حازم وطالب، لكن البعثيين فوجئوا باشتراك عدد كبير منهم في حركة عبد السلام عارف ضد حكم حزب البعث، فأصبح طاهر يحيى التكريتي رئيساً لوزراء الحكم الجديد ورشيد مصلح التكريتي حاكماً عسكرياً عاماً ووزيراً للدخالية، وحرمان التكريتي وزيراً للدفاع ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة، وعبد الستار عبد اللطيف وزيراً للمواصلات. والبكر نائباً لرئيس الجمهورية (وهؤلاء جميعاً كانوا أعضاء في المكتب العسكري لحزب البعث). أما صدام التكريتي، فقد صعد مع بعض زملائه المحسوبين على البكر وحرمان ظهر إحدى الناقلات المدرعة التابعة للسواء الآلي الثامن وساهم في ضرب مقرات الحرس القومي، وكوفيء بتوظيفه في قسم الاستعلامات في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون وطرد منها بعد مدة قصيرة، ولذلك سجل البعثيين الشباب عليه ذلك الموقف السلبي وقام زملاء لصدام التكريتي بأدوار مساعدة للسلطة فذهب ناظم كزار، مثلاً، إلى معتقل باب المعظم (مقر محكمة الشعب) لتشخيص السجناء وخصوصاً الشيوعيين منهم ليفرز بين الشيوعي الحقيقي والمشتبه به. أما عبد السلام ومحمد إحكام قبضته على السلطة أقصى منها الرجلين الأشد خطراً على حكومته وهما حرمان والبكر، وللتخفيف من غضب عبد السلام كتب البكر براءة نشرها في الصحف الرسمية يعلن فيها تخليه نهائياً عن العمل السياسي، وأحيل ٤١٢ ضابطاً

ولست أرى الآن أن تحالفنا معهم كان خاطئاً، لكن وضع مستقبلنا بين أيديهم هو الخطأ. لأنهم لم يكونوا ليتحالفوا معنا، إذا لم نكن أقوياء، إذا لم يكونوا بحاجة ماسة إلينا. وكان علينا استيعاب ذلك، وليس الخضوع والاستسلام إليه^(١).

وطالب ضابط أكثرهم بعثيون إلى التقاعد[21] وأبعد عشرات الضباط الآخرون إلى وحدات بعيدة، وفي وقت قياسي لا يتجاوز الثلاثة أشهر تمكن عارف من إبعاد البعثيين عن المراكز المهمة في الجيش والدولة. وخلاصة الأمر فإن الضباط ذوي الرتب الكبيرة، وضعوا مواليتهم موضع البيع والشراء، ومنحوها بحسب ميزان القوة وسحبوها بمجرد اهتزاز موقف حلفائهم. وقفوا مع البعث وهو قوي، ونسجوا مع عارف خيوطاً لتحالف جديد، بمجرد احتدام الصراع البعثي - البعثي، وفوجئنا بهم على رأس الانقلاب القادم فأسسوا بذلك للاتجاهية والضعف داخل الجيش.

١ - يرى طالب في أكثر من مكان من هذه الذاكرة بأن البكر لم يكن متورطاً في عملية سقوط حكم الحزب في العراق عام ١٩٦٣، لكننا نجد متورط فعلاً. وأن تورطه جاء بعد أن اضطر للمفاضلة بين الحرس القومي والتحالف مع عبد السلام، ففضل الأخير على رفاقه الحراس واختار طريق المؤامرة في مواجهتهم، فسقط حكم الحزب وانفرد عبد السلام بالسلطة، وبمكنا إيراد بعض المؤشرات التي تؤكد ما ذهبنا إليه:

أولاً: تخطيط البكر لعملية اختراق الضباط للمؤتمر القطري بصورة كاملة وبنفس الأشخاص الذين شكلوا رأس حربة للانقلاب الذي قام به عبد السلام عارف ضد الحزب في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، مما يؤكد أن احتلال المؤتمر كان الحلقة الأولى في خطة أوسع انتهت بالسلطة إلى يدي عبد السلام عارف. وهناك ما يؤكد بأن البكر الذي تحالف مع حازم وطالب وحاول إظهار حياديته إلى علي السعدي، كان في نفس الوقت يتآمر في الخفاء لإقصائهم واحداً بعد الآخر، بعد تحميل السعدي مسؤولية فوزى الحرس القومي، وحازم وطالب مسؤولية اختراق نظام الحزب الداخلي بالموافقة على إدخال الضباط للمؤتمر وإقرار إقصاء السعدي وقد نجح بشكل كامل. في حين يقول د. تحسين معلية أن عماس أخيره قبل ١٩٦٣/١١/١١ بأن حازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف يجرضون الضباط على ضرورة اختراق المؤتمر وفرض أنفسهم عليه. وهو تأمر صريح على حليفهم حازم جواد لتركيب القضية برأسه[22].

ثانياً: في ١٥/١١/١٩٦٣ التقى دكتور معلية مرة أخرى بعماس بمقره في وزارة الدفاع، فأخبره الأخير أن الوضع أصبح بين يديه ويدي أبا هيثم (البكر) تماماً، وخلال الجلسة أبلغ عماس سكرتيره المقدم علي عريم بأن يتصل بأمر معسكر الرشيد لتحضير الضباط لاجتماع سيحدثهم فيه حول تطورات الأزمة، وبعد دقائق رن جرس التلفون السري، وكان المتحدث أمر معسكر الرشيد، يرغب بالتأكد ما إذا كان الأمر صادراً فعلاً من عماس؟! وعندما استفسر الدكتور معلية أجابه عماس: إتفقنا أن لا تنفذ الوحدات العسكرية أية أوامر إلا إذا كانت صادرة من البكر أو من عماس نفسه باعتباره وزيراً للدفاع، وهذا يؤكد تحالف عماس والبكر، رغم محاولة البكر إظهار عدم ثقته بعماس أمام الآخرين، كما يظهر أنهما تخليا عن قوتيهما لمصلحة عبد السلام بعد أن اضطر للمفاضلة بينه وبين الحرس القومي.

ثالثاً: وافق البكر أن يجلس بداره شبه محتجز، لكنه يحمل لقب نائب رئيس الجمهورية، ليعطى لعبد السلام الفرصة الكافية لاستكمال لعبته، ولطمأنة العسكريين البعثيين من أن السلطة ليست ضدهم بل هي تعمل فقط لاحتواء الحرس القومي، كما أنه جنب عبد السلام عارف مسؤولية تقادي الخجل بعد الخدمات الجلى التي قدمها له قبل وبعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣.

رابعاً: ندم البكر بعد فقدانه خيوط المؤسسة العسكرية، وجاء ندمه متأخراً بعد أن فقد الضباط ثقتهم به، وكانت

القوات التي يؤثر فيها هو وخط حازم وطالب تكفي للسيطرة. فبعد الكرم نصرت قائد الفرقة الرابعة وحسن النقيب وزكريا السامرائي وعبد الله سلطان الملاح يقودون كتائب الدبابات الأربع وجميعهم بعثيون. لكن البكر كسر حلفه مع حازم وتردد كثيراً فاضطر الضباط البعثيون للمسايرة مفضلين النظام العسكري على الخضوع لشعارات الحرس المعادية لهم. ولم ينس البعثيون عسكريين ومدنيين خيانة البكر الذي خذل السعدي ثم حازم وفشل مع عبد السلام. وبعد سقوط حكم الحزب وصلت إلى دار أحمد حسن البكر في بغداد وفود شكلتها منظمات الحزب في كل أنحاء العراق لمعاتبته وإبلاغه بموقفها. وعبر أغلبية الوافدين عن القناعة بتورطه في ضياع السلطة وأبلغوه رغبة البعثيين في عدم وجوده على رأس القيادة، وربما شكلت تلك الزيارات بداية الاستقطاب الفعلي الكبير. فصنف كل عضو ميمناً أو يساراً بحسب موقفه في تلك المقابلات من أحمد البكر، وفي تلك اللقاءات ظهر صدام التكريتي لأول مرة في حياته الحزبية كرجل له قيمة ومستقبل سياسي إذ وقف دائماً إلى جانب أو خلف البكر بصورة التابع الخاص والمتميز له، وبعد هذه الأحداث لم تقم للبكر قائمة بين البعثيين ولم تكن عودته للسلطة بواسطةهم، بل بعملية استلام وتسليم سميت بثورة بيضاء، مازالت غوامضها لم تنحل لحد الآن. وقد يعود إلى تلك العملية تورط العراق بحروب داخلية وخارجية أدت إلى انهياره كلياً بين يدي حكومة الرئيس صدام حسين التكريتي، ولذلك اضطر البكر بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ بدلاً من بناء جهاز حزبي متين إلى بناء جهاز أمني سلم أمره إلى صدام حسين ووظيفته التغلغل بين الجماهير، فتم بناء جهاز أمن واسع الانتشار بدلاً من بناء حزب جماهيري وعزز ذلك الجهاز بالأموال والصلاحيات غير المحدودة. ورغم فشل سلطة البعث الذريع في عام ١٩٦٣ إلا أن البعثيين ظلوا طوال الفترة اللاحقة مقتنعين بأنهم لم يخسروا السلطة نتيجة ضعف فيهم، بل بسبب خلاف فوقي ليس له أساس واقعي بينهم، فشعروا بالمرارة لعدم أخذهم للفرصة وظلوا يتوقون لتكرار التجربة وكان يسارهم ويمينهم مقتنعاً تماماً بقدرته على الوصول مرة أخرى للسلطة. ولذلك شعروا وهم خارجها كأنهم في استراحة. وكان البعث قبل فقدانه السلطة قد أضعف بشدة الحزب الشيوعي وأخرجهم من المنافسة داخل القوات المسلحة، على الأقل بين صفوف الضباط الذين سيتحكمون لفترة طويلة في مصير البلاد السياسي، بينما ظلت تنظيمات الناصريين غير متماسكة، وتميزت حركة القوميين العرب بتماسك تنظيمها لكنها رومانسية، قليلة السياسة وكثيرة الأحلام، ولذلك فإن ابتعاد الشيوعيين وعدم عقلانية القوميين فتح الطريق مرة أخرى أمام البعث، فسبق يمينه يساره بتحالف مشبوه.

مراجع:

- [1] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [2] لقاء مع محسن الشيخ راضي في مدينة النجف عام ١٩٦٨ بحضور مهدي الشيخ علي وصدقي أبو طيخ ومهدي الشوكتي. تحدث عن التمثيلية التي مثلها أكثر العسكريين ذوي الرتب الكبيرة وبينهم طاهر مجي وورشيد مصلح بأنهم كانوا عندما يلتقون بأعضاء (القيادة القطرية) يتباكون بدموع خوفاً على مستقبل الحزب ويطلبوننا بإيقاف الخلافات في حين كانوا قد اتفقوا على الانقلاب علينا. ولم تكن نتصور تلك القدرة على التمثيل عندهم.
- [3] أكد ذلك أيضاً اللواء الركن حسن مصطفى النقيب في مقابلة معه بحضور هاشم الياسري عام ١٩٩٦ بدمشق، وقال: إن عبد السلام خطط لاستلام السلطة وانتظر حتى تتوفر الامكانية لذلك، فساعدته حزب البعث على تحقيق فكرته بسبب إصراره على الاختلاف الداخلي. ولتأكيد ذلك قال: لقد لقد عقدنا يوم ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ اجتماعاً في وزارة الدفاع بالاتفاق مع عبد السلام عارف وبحضور سعيد صليبي وعماش وعبد السلام وعلي عريم وصلاح الطبقجلي وحردان وصبحي عبد الحميد وآخرين وتحدث عبد السلام، وفهمنا منه مثل ذلك الأمر.
- [4] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١١.
- [5] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، ص ١١٢ — ١١٣.
- [6] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١١.
- [7] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [8] مجيد خندوري، العراق الجمهوري، ص ١٢٥ — ١٥٣. ومقابلات مع محمد صديق شنشل، وفائق السامرائي، ومحمد حديد.
- [9] مجيد خندوري، مقابلة مع الزعيم الكردي عبد العزيز العجلي الذي كان عضواً في الوفد العراقي المرافق لعبد السلام لمقابلة عبد الناصر بدمشق، ص ١٥٤.
- [10] د. حامد البياتي، الوثائق البريطانية المنشورة، وثيقة رقم ١٦١٥٨ / ١٠١٣ وتتضمن حديثاً دار بين شنشل وأحد أركان السفارة البريطانية في ٧ تشرين أول ١٩٥٨.
- [11] عبد الكريم فرحان — حصاد ثورة، مرجع سابق، ص ١٦٨ — ١٦٩.
- [12] باسل الكبيسي — حركة القوميين العرب — دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤، ص ٨٥.
- [13] الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، الفصل الخاص بالموتمر التكميلي.
- [14] حسن وداي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [15] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [16] محسن الشيخ راضي، مقابلة، النجف، ١٩٦٨.
- [17 و 18] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [19] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٣٤٩.
- [20] حسن مصطفى النقيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٧.
- [21] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١٤.
- [22] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

بين الشبيب والبكر، صدام، وعفلق

مع أحمد حسن البكر

سؤال : وماذا عن احمد حسن البكر؟

طالب شبيب : بدأ احمد حسن البكر حياته السياسية العامة لأول مرة في ١٩٦٣ بمؤامرة وسقط بمؤامرة، ثم عاد في ١٩٦٨ رئيساً للجمهورية بمؤامرة ايضاً^(١).

١ - انتمى احمد حسن البكر مبكراً إلى إحدى مجموعات الضباط الاحرار تحت قيادة عبد الكريم قاسم، الذي كان معلمه وأمره في الكلية العسكرية. وساهم معه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، حاملاً رسالة من قاسم عشية الثورة إلى فاضل عباس المهداوي مسؤول مجموعة الضباط الاحرار في اللواء الاول (لواء الامن) للبدء بالسيطرة عليه. وبعد نجاح الثورة اعتقل لإتهامه بالتخطيط لمؤامرة، ثم كان عضواً في اول لجنة عسكرية سرية لوضع ترتيبات إسقاط نظام قاسم ضمت البكر وعبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم فرحان، وهدفها تقديم خطة انقلابية إلى اجتماع موسع سيضم إضافة لهم كل من صبحي عبد الحميد وصالح مهدي عماش وخالد فريد وابراهيم التكريتي وعارف عبد الرزاق وحاسم العنواوي. كما نفذ البكر حركة ١٤ رمضان وكان قائداً عسكرياً فعلياً لها. وفي ١١/١١/١٩٦٣ قاد إنقلاباً عسكرياً ضد المؤتمر القطري التكميلي الاستثنائي لحزب البعث -قطر العراق- واعتقل أربعة من اعضاء قيادته بالإضافة إلى ابو طالب الهاشمي وابعدهم إلى الخارج، ثم عاد بعد يومين ليوافق على سفر حليفه حازم جواد وطالب شبيب إلى بيروت ممهداً لنزع الشرعية من سلطة البعث. ثم رتب مع عدد من الضباط البعثيين والقوميين عملية إخراج الحزب من السلطة دون ان يتمكن من ملئ الفراغ، فملأه عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وربما يكون قد فضل سلطة عبد السلام عارف على سلطة رفاقه من اعضاء الحرس القومي.

ويمكن البكر بعد فقدان السلطة بخمس سنوات من استردادها بأنقلاب عسكري شاركه فيه عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود وسعدون غيدان وحامد شهاب وحردان التكريتي وصالح مهدي عماش، لكنه وبعد ١٣ يوماً قاد إنقلاباً عسكرياً ليضع جناح السلطة الثاني في السجن ويلاحق جميع شركائه ويقتال النايف بلندن، وينجو ابراهيم عبد الرحمن الداوود بمساعدة اللواء الركن حسن مصطفى النقيب (قائد الفيلق العراقي في الاردن) ثم اللجوء إلى حماية المملكة العربية السعودية[١]. تلك وغيرها تؤكد ان البكر كان مغامراً وفضل البقاء في المعتزك السياسي حتى وفاته.

كان يقطاً في مجال المناورة فقط، في حين يتمتع بذكاء وقدرات وثقافة محدودة وشخصيته ضعيفة. لكنه يتميز مقابل ذلك بحصول يحتاج إليها كل قائد سياسي مثل امكانيته على كسب الاصدقاء المفيدون وترتيب التحالفات، وشخصية وبيت مفتوحين، يوحيان لكل زائر انه مرحب به، فيتجرأ الناس على زيارته دون تلكؤ. رغم ان زوجته طباحة غير ماهرة، فقد اكلت عنده، في كل المرات، كباب من الدرجة الثالثة، وكنت أفضل الأكل مع حُرَّاسِهِ حيث "الباجة والمشويات المتنوعة" ثم اعود اليه، ولم يكن عبد السلام عارف أفضل منه، والاثنان لم يمتلكا صفة الكرم وبسط اليد، الله يلعن طعامهما!

خوف لا يمكن تجنبه

يتخلّى البكر عن حلفائه، بحثاً عن حليف آخر، في نفس اللحظة التي يشعر انه اصبح ضعيفاً، او بضعف حليفه. ومازلت اتذكر كيف وقف وراء خطة دخول الضباط البعثيين إلى المؤتمر القطري الاستثنائي للبعث يوم ١١/١١/١٩٦٣، ثم تخلّى عنهم بمجرد شعوره بضعف موقفه وبقوة وحماس مؤسسة الحرس القومي التي طالبت باستبعادنا^(١).

ويمكن ضعف البكر في خضوعه لكل ما يخيفه، أكثر مما يندفع نحو مصلحته. وأفضل طريقة للتعامل معه هي تخويفه. وقد لجأنا نحن (القيادة القطرية) في ١٩٦٣ إلى ذلك، فقلنا له: "سيكون مصيرك مثل ناظم ورفعت اذا لم تُنفذ خطتنا في الانقلاب على قاسم، فسرعان ما يُكتشف امرنا، وحينها ستعدهم معنا ١١" وقلنا له انك متورط، فقل لنا "مَنْ سيضمن عدم اعتراف صالح عماش او بهاء شبيب؟". . . ولذلك سار معنا في تنفيذ الثورة وعدم التأجيل.

ومنذ البداية اكتشف صدام حسين خصال البكر واستجابته السريعة اذا ما شعر بالخوف، فأقرب منه بعد ان أقنعه انه ذراعه التي يضرب بها، وخوفه من المؤامرات المزعومة، وتدرجياً فرض السيطرة الكاملة عليه وأقنعه بتسليمه جهاز الامن السري الخاص (مكتب العلاقات العامة) وبواسطته استبعد و صفى اهم شخصيتين في نظام ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨ وهما حردان وعماش ليبقى امامه شخص واحد مهم هو البكر نفسه، الذي ابقاه اسير خوف دائم من دسائس و انقلابات وهمية إتهم بها مرة يسار حزب البعث واخرى جناحي الحزب الشيوعي (قيادة ولجنة) ثم حزب الدعوة الاسلامية وغيرهم بتدبيرها.

وكانت خطة صدام حسين هي نفس خطة صالح مهدي عماش في ١٩٦٣ عندما حاول عرقلة قيام الثورة بطرح المخاوف بوجه البكر من احتمالات الفشل، وعندما خوفه قبيل ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ من المدنيين البعثيين قائلاً "من اجل ضمان استقرار البلاد، علينا التخلص

١ - يمكن في هذا المجال مراجعة الملحق رقم واحد في نهاية الفصل. ويتضمن نماذج من وعود البكر.

من المدنيين جميعاً، فدعنا نتخلص من خطر حازم وطالب علينا بعد ان نخلصنا من علي وجماعته"^(١).

وكلما امعن صدام حسين في تخويف البكر من خصوم نظامه الداخليين، زاد البكر من اعتماده على الاجهزة الامنية وهي في قبضته مباشرة. وهكذا أدت خصال الخوف والحذر إلى تسليم الامن السري إلى رجل قاس، كما أدت به إلى تجنب المعارك العنيفة المباشرة سواء على الحدود مع ايران او ضد الاكراد أو في حسم الصراعات الداخلية بالعنف والدم، ولذلك سعى في حدود معينة للحد من نزوع صدام حسين إلى خوض المعارك قبل حساب الثمن!! لكن الخوف سرعان ما تطور عنده إلى استبداد الشعور بالضعف وعدم القدرة على حسم القرارات حتى عندما يكون مقتنعاً، فأضطر منذ عام ١٩٧٤ إلى تسليم الملف الايراني والكردي وملف المرجعية الاسلامية الشيعية وحركة المعارضة اليسارية إلى صدام حسين، وأعطاه الصلاحيات الكاملة في حضور مؤتمرات القمة وغيرها"^(٢).

١ — اذا عدنا لكتاب برزان التكريتي "سبع محاولات لاغتيال الرئيس . " والذي يروي فيه كيف قامت اجهزة الامن والاستخبارات العراقية بترتيب انقلابات وهمية، استدرجت اليها بالاقناع او بالقوة رجالاً تشكل السلطة بولائهم، ثم يجري إحراجهم ومواجهتهم بكشف تلك المحاولات بكثير من الاثارة والاعلام ومعاينة واعدام اولئك الذين جرى توريطهم!!

كما ذكر حسين كامل في مؤتمر صحفي مبثوث مباشرة بعد هروبه من العراق مع اخيه صدام كامل وابنتي صدام حسين، بأن الرئيس العراقي صدام حسين إعتاد قبل سنوات من تنحية البكر ثم وفاته على سقيه فنجان قهوة يومياً فيه مادة سمية قليلة جداً، تؤدي تدريجياً إلى انسهاق قواه ثم موته بعد سنوات دون ان يلاحظ ذلك الآخرون. وقد اخبرني شبيب انه لاحظ في آخر زيارة لاجد حسن البكر في القصر الجمهوري في منتصف السبعينات يدي البكر ترتعشان ويميل إلى حديث الموت.

٢ — دفعت اخلاق الشك المهيمنة على البكر إلى اضطرابه لاختيار شاب قريب له، ينفذ رغباته دون تردد، ولما كان اولاده في عمر غير مناسب وقع اختياره على صدام حسين وهو مدني مغمور بلا ثقافة او شهادة، ولا يمكنه ان ينازعه على السلطة، فليس له مستقبل سوى ظل للبكر الذي لم يشك ابداً بانه سينتزع منه السلطة التي ارادها واحبها، ويرمي به بعيداً معزولاً. ومن جانبه فان صدام نجح في ايهامه باخلاصه واحترام ارادته، فضلاً عن توسط خير الله طلفاح لتوطيد العلاقة بين البكر وابن اخته صدام حسين[2]. وساعدت تلك العلاقة صدام حسين على تأمين مركز قيادي حزبي قبل ١٩٦٨ وعلى التسلل إلى مراكز السلطة الحساسة بعدها، ليتمكن منذ ١٩٧٥ من السيطرة على مقدرات البلاد، ويجعل من البكر رئيساً مرصوداً من قبل طارق حمد العبد الله وكامل ياسين. ويقول د. جليل العطية : ان البكر اعترف له في تموز ١٩٧٧ بأن كل شيء إنتهى ا ونصحه بمغادرة العراق !! وانه رفض اعلان الحرب على ايران (لاسباب ذكرها في آخر اجتماع لمجلس قيادة الثورة بحضوره) و اضاف العطية : ان البكر اخبره بانه كان الوحيد الذي إعترض على اعدام عبد الكريم قاسم[3].

وكانت أهم أخطاء البكر في مواجهة صدام حسين هي موافقته على تقريب وتوظيف رجال دهم صدام حسين بعد أن مهد لهم بأساليب كثيرة بينها التصفية الجسدية للمحيطين بمكتب الرئاسة.

←

بين رغبة التقاعد وخشية القتل

يتحسس البكر بشدة من أي رد فعل شعبي تجاه أي تنازل إقليمي عراقي لمصلحة إيران، ويتذكر باستمرار إتفاق ١٩٣٧ والتظاهرات الشعبية التي خرجت ضده. ولذلك لم يكن في اعماقه راضياً على اتفاقية الجزائر ١٩٧٥ بين "الشاه - صدام". في حين نظر إليها صدام حسين على انها وصمة وخزي، إضطر لتوقيعها وهو يخفي الرغبة بالثأر منها. واستخدم في هذا الشأن اساليب وإستراتيجيات قومية وطائفية كي يبقى النار مشتعلة تحت طبقة رماد خفيفة، لكن البكر مال في نهاية المطاف إلى وجهة نظر الرئيس السوري بضرورة عدم خوض الحرب ضد ايران، اولاً: لكي لا يأتي مشروع الميثاق القومي بين العراق وسوريا عام ١٩٧٨ كأنه حلف عسكري لخوض الحرب، ثانياً: لأن الصحوه الاسلامية في ايران وغيرها من البلدان الاسلامية ستخدم حتماً الموقف العربي في مواجهة الأطماع الاسرائيلية، ولذلك لا بد من التعاون لإقامة حوار مجلد بين البلدين يضمن لكل طرف حقوقه.

لكن فكرة الحرب كانت قد بدأت تترتب في ذهن صدام حسين. وأعتقد ان موقف الاسد وتأثيره المرتقب على البكر وعلى بعض اعضاء القيادة العراقية، كان وراء تخريب صدام للميثاق القومي وعرقلة إمكانية قيام وحدة عراقية سورية، بعد ان فضحت خطوات التنسيق والتقارب بين البلدين.

وفي تقديره ان دور صدام حسين في تخريب التقارب السوري العراقي كان مماثلاً للدور الذي لعبه صلاح جديد وامين الحافظ خلال مفاوضات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣. فمثلاً عرقلت أحداث تموز ١٩٦٣ في سوريا تموز الوحدة الثلاثية قبل قيامها، ادت مجزرة قتل عدنان الحمداني ومحمد محجوب ومحمد عايش ورفاقهم إلى قتل الوحدة المحتملة بين سوريا والعراق، خصوصاً بعد ان ابدى عدد كبير من المفاوضين العراقيين ميلهم للاطروحات العقلانية المباشرة للرئيس السوري ومن منطلق بعثي. ولا اعتقد ان الاسد كان جاهلاً بوجود تيار عراقي يعلو

وما تقدم لا يعني بأي حال ان احمد حسن البكر كان مسالماً، بل ساهم مرات كثيرة في مهرجانات للقتل، كمقتل جابر حسن حداد وراهي آل عبد الواحد الحاج سكر واربعين شخصية مهمة بطريقة بشعة[4].

ونقل شبيب: ان علي هادي وتوت عندما كان يعمل في ديوان الرئاسة قدّم له عام ١٩٧٠ قائمة باسماء ٤٩ عراقياً للمصادقة على حكم الاعدام ضدهم فوقها فوراً، وعندما سأله وتوت الذي اشتهر بمحدثه: سيدي هذه قائمة احكام إعدام فهل قرأت الاسماء؟ رد البكر: "إذهب!!"، نقل الشبيب هذه الرواية في اوتيل برومانادا في مدينة لاهاي بمضوري وقاسم حول والرائد زيد جواد وتوت، وقال ان قائمة المحكوم عليهم كانت دفعة من السياسيين الاكراد البسطاء.

الوحدة ويقوده صدام حسين، وبوجود تيار آخر يقف ضد خطط صدام حسين الضالع في مخطط عالمي كبير^(١).

وأذكر اني إلتقيت في عام ١٩٧٩ على هامش إجتماع منظمة العمل الدولية بمجنيف بوزير الصناعة العراقي محمد عايش، ورئيس نقابات العمال بدن فاضل، فتحدثنا معي حديثاً إنقلابياً قائلين : ان صدام ديكتاتور ويجب ان نشترك جميعاً في معالجة الوضع الخطير الذي تسبب وسيتسبب به. وكنت وأنا استمع إليهم ادرك ان مشكلتهم تكمن في تصورهم انهم في حزب وليس في غابة^(٢).

والآن وبعد مرور كل تلك السنوات، أستطيع إعادة رسم الصورة، لاستبيان الجوهر الحقيقي وراء قيام تلك العلاقة التي ربطت صدام بالبكر، والتي جلبت نتائج تدميرية غريبة، تضرر بها العراق أرضاً وبشراً وتاريخاً. وارى بوضوح ان صدام هو صنعة احمد حسن البكر، منحها مناصب سياسية سامية أطل منها ولعب دور ظل الرئيس، واللاعب الغامض من الخلف. في حين ظل البكر أسير مخاوفه من خطر إطاحته. فهو وبسبب مساهمته في كل المؤامرات والمحاولات الانقلابية كان يعوزه الشعور بالاطمئنان والأمان. وتعود به ذاكرته دائماً إلى سرقة عبد السلام عارف منه ثورته في عام ١٩٦٣، واجباره على قبول منصب نائب رئيس جمهورية شكلي ومؤقت ريثما يتخلص من شركائه (بعض الضباط البعثيين مثل حردان وعماش وستار وزكريا السامرائي وحسن النقيب وغيرهم).

وزاد في عزله كتابته تعهداً خطياً إلى عبد السلام عارف بعدم ممارسة السياسة والتفرغ لشؤونه العائلية، بعد ان رماه في السجن بتاريخ ١٩٦٤/٩/٤ بتهمة مشاركته للبعث في مشروع محاولة انقلابية لاسترجاع السلطة^(٣). واعتقد ان البكر بعد سنوات من نجاحه في

١ — أخبرني أحد المسؤولين العراقيين الذين لجأوا إلى أوروبا بعد غزو الكويت والانتفاضة (رفض أن يذكر اسمه) أن احمد حسن البكر قد حاول وبذل كل الجهود الممكنة للقاء قرينه الرئيس حافظ الأسد بصورة منفردة ولو لفترة قصيرة، خلال زيارة الأخير إلى العراق والتي سبقت تنحية البكر، وقد تم ترتيب مثل ذلك اللقاء أكثر من مرة على عشاء أو بحضور البكر، عندما يكون مدعواً لدى الرئيس السوري قبل الوقت المخصص بقليل، لكنه يفاجأ في كل مرة بحضور صدام حسين، وانتهت الزيارة ولم يحقق البكر رغبته.

٢ — وبعد لقائهم بطالب توقف عدد من اعضاء الوفد العراقي في براغ، فإلتقيت هناك بيدن فاضل في الانتركونتننتال، وحينها كنت ذاهباً لزيارة د. فاضل الانصاري والوزير صفوان قدسي، فقدمه لي الاستاذ زيد النقيب، وتحدثنا في شؤون مختلفة لكن بدن فاضل تهرب من حديث السياسة ومال إلى حديث التسوق والكريستال، ربما خوفاً من زيد النقيب قريب عائلة صدام حسين. وعلى أية حال فقد أعدم الجميع وقضى القريين من الحدث في السجن ولم يبق منهم شهود.

٣ — في عام ١٩٦٤ أعلن البكر في الصحافة المحلية في رسالة موجهة لعارف انه سيعتزل السياسة الحزبية. ولم يسلك البكر وحده طريقاً ضعيفاً، وسط اجواء لم تكن قسوتها تفرض مثل ذلك التخاذل، فقد سبقه سعدون حمادي الذي

الاستيلاء على السلطة شعر بحاجته للتقاعد، لكن التقاعد السياسي في الأجواء التي خلقها صدام والبكر نفسه يعني القتل والموت الحتمي.

اذن فقد بقي هاجس البكر الاول، ان لا يقاد مرة اخرى اسيراً من مواقع السلطة. فقد أفتيد في عهد قاسم من وحدته في اللواء العشرين إلى المعتقل، وكان قبلها واحداً من الضباط الاحرار. وفي السجن تعرف على المرحوم علي صالح السعدي الذي إقترب منه وشاركه الصلاة، فأصبحا صديقين ثم نسبته السعدي إلى عضوية حزب البعث^(١).

كتب رسالة إلى قاسم بعد محاولة إغتياله، يعلن فيها اعتزاله العمل السياسي، فعفا عنه وعاد للعراق. وعثر الفكيكي على تلك الرسالة يوم ١٥ رمضان ١٩٦٣ في مكتب قاسم، فأخذها للاذاعة مقترحاً عدم تكليف حمادي بحقيبة وزارية، لكن القيادة رفضت وعينته بالاضافة للفكيكي عضواً مضافاً للقيادة القطرية في المجلس القطري الذي انعقد بدار جعفر قاسم حمودي بين ١٥ و ١٨ شباط ١٩٦٣ [5] وفعل مثل ذلك الوزير حكمت العزاوي الذي رفع في عام ١٩٥٩ أيام ما سمي بالمد الأحمر رسالة إلى الحزب الشيوعي يؤكد فيها رغبته الانفصال عن حزبه والانتماء للحزب الشيوعي. وكان ميشيل عفلق قد سبق البكر وحمادي في رسالة مماثلة وجهها إلى الرئيس السوري حسني الزعيم في ١٩٤٩ من السجن يقول فيها "اننا على استعداد لأتباع خط غير منحاز، ونكف لساننا إن كانت هذه رغبتمكم . . اما بالنسبة لي فقد قررت إعتزال السياسة نهائياً، اعتقد ان مهمتي وصلت إلى نهايتها، وان طريقي ليست ملائمة للعهد الجديد" [6]. ولأن إعطاء البراءة السياسية في العراق يعني السقوط السياسي، فقد عانى البكر باستمرار من عقدتها، وتجنب المواجهة المباشرة خوفاً من ان يتهمه البعثيون بالضعف. وكان ذلك احد اسباب وهنه في مواجهة صدام رغم هس بعض كوادر البعث الاوائل وإشعارهم له بإمكانية التعاون لتحرير السلطة من قبضة صدام حسين، لكنه كان يقلب الامر ويتركه على حاله خوفاً من يؤدي إلى صراع داخلي يعني - بعني وتضييع السلطة مرة اخرى.

١ - لأهمية احمد حسن البكر ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، اختلف المهتمون حول الشخص الذي كسبه إلى حزب البعث، فمنهم من يقول انه علي السعدي وآخرون قالوا انه بهجت شاكر. وإذا كان مصر السعدي معروفاً لكثيرين فإن بهجت شاكر دفع ثمناً كبيراً لعلاقته الحزبية المبكرة بأحمد حسن البكر. وكانت عائلة بهجت من العوائل التكريتية المحترمة، ولم يتسبب بأذى لأحد. فوالده كان باش كاتب تكريت. ولأنه متعلم أثار حفيظة المترفين، وأصبح هدفاً دائماً للبكر وصدام لأنه يذكرهما بماضييهما، ولأنه أفضل شأناً من حيث الريادة السياسية والانتماء للبعث ومن حيث دفعه الانساني والمستوى الاخلاقي العالي الذي تمتع به، فاختلقوا له قضية اجتماعية وسجن لأنه تزوج على زوجته، وتم ابعاده عن ادارة وكالة الانباء العراقية رغم تطويره لها. وفي عهد صدام حسين اعتقل لعدة اسابيع وفصل من الحزب، وطرد من وظيفته بطريقة مؤلمة، لكن ذلك عزز الاعجاب به من قبل معارفه، وحينها ادرك الرجل ضرورة الابتعاد وإلا سيقتل فأنطوى على نفسه.

والتصور ان السعدي هو الذي نظم البكر في حزب البعث، أما بهجت فكان اول مسؤول حزبي له خارج السجن. لأن بهجت شاكر الذي شارك في حركة ١٤ رمضان، كان قد عمل مدرساً في الفلوجة وبعد مرور الحزب بنكسة محاولة رأس القرية لاغتيال الزعيم هرب إلى سوريا وقابل قيادة الحزب، وعاد إلى العراق مكلفاً مؤقتاً بأعادة بناء الحزب، ريثما تتخذ القيادة القومية ترتيباتها وتعين قيادة قطرية جديدة، تعيد بناء الحزب، وفي تلك المرحلة كان علي السعدي قد خرج من السجن وسافر إلى سوريا، كما خرج البكر من السجن يحمل كلمة السر الخاصة، ولا بد ان يكون السعدي قد ابلغ بهجت بضرورة الاتصال والارتباط به واعطاه كلمة السر، فاستحق "لقب" أول مسؤول للبكر.

حسين ليموت بداره بطريقة او اخرى.

واتذكر تماماً انه أعاد عليّ قوله ثانية "لن أترك هذا الكرسي إلا محمولاً علي نعل، ولو كان ابني هيثم متأماً سأقضي عليه بكل سهولة، لأن التجربة السابقة علمتني ان لا أعيدها ثانية".

وكان البكر يتحدث واثقاً بأنه سيبقى رئيساً حتى وفاته وتشيعه إنطلاقاً من القصر الجمهوري. غير اني ادركت في زيارة اخرى له بعد مرور ثماني سنوات تقريباً انه اصبح جسداً يمكن حمله بأي تابوت. واعتقد ان تردّي صحته وإرتعاشه وخوفه وشكوكه المتزايدة بصورة عشوائية قد شجعت امكانية خداعه والتأمر عليه. وانتهى الامر فعلاً بتنحيته.

واذا كان هناك شيء يشفع لأحمد حسن البكر، فهو لجوء صدام حسين فوراً بعد إقصائه إلى إسقاط تجربة الميثاق القومي مع سوريا وتصعيد الموقف ضدها، ثم إعدام كوكبة من القادة البعثيين، والتورط السريع في صراع مدمر مع الجارة ايران، مما يوحي ان وجود البكر كان يقلل او يحد من عقلية التورط الجمعاء التي دمرت مستقبل الشعب العراقي^(١).

وكانت نهاية البكر نتيجة طبيعية لخصال الغدر ونكث العهود التي تَطَبَّعَ بها. وصدام حسين رفيقه وشريكه يعرف خصاله أكثر من غيره، فتحزّم للامر وخطط مبكراً لإقصائه. واعتقد ان البكر قضى ايامه الاخيرة متألماً، تحاصره ذكري عشرات الضحايا الذين تسبب في

١ — في البداية قص صدام حسين أجنحة البكر واحاطه بأشخاص متواطئين، واستبعد حردان بقتله وعماش بارساله سفيراً، ليظل البكر بلا أجنحة. ثم تمكن من إستبعاد شفيق الدراجي سفيراً للعربية السعودية لينصب محله طيارق حمد العبد الله جاسوساً له، مقابل السمكوت عن فضائحه الاخلاقية، وكوفئ بعد اتمام مهمته بتعيينه وزيراً تخديراً له قبل قتله بفترة قصيرة. ثم قتل عدنان شريف التكريتي (قائد الحرس الجمهوري) بعد إبعاده ملحقاً عسكرياً في موسكو. وتصفية الأخوين مظهر ومنذر المطلق زوجي بنتي البكر، الأول بإغراق سيارته في نهر دجلة وموته بداخلها، والثاني سفيراً إلى الارجننتين. واكد لي أحد الضباط الفواصين (ع.ع) الذي ساهم بإخراج سيارة مظهر والبحث عن جثته المفقودة بأن الحادث كان مذبراً. ونقل حاتم عبد الرشيد (ماجستير اقتصاد وزوج احدى بنات البكر) إلى القاهرة قبيل تنحية البكر بعد تعيينه رئيساً لاتحاد الصناعات العربية وهو الاخ الاكبر لماهر عبد الرشيد، وقتل محمد ابن البكر بعد ان كتب رسالة لأبيه يقول فيها "انك ستواجه ربك غداً، فماذا ستقول له ؟ وَمَنْ سيقف معك امام الله ؟ [7]"

ونتيجة لكل تلك التدابير السرية القاسية إنتشر الرعب في البلاد وتخوف رجال العهد وبقي البكر وحيداً يحيط به رجال كلهم تقريباً جواسيس لمصلحة صدام حسين. ولا بد ان البكر الذي تمتع بذاكرة قوية جداً ويحفظ جميع اسماء ضباط الجيش ورتبهم ان يكون قد استعاد شريط حياته السياسية العامة، ومن يدري فقد نقاجاً يوماً بأنه سجل مذكرات مسموعة، وحينها سيكون ما يقوله ابلغ من كل الاستنتاجات.

تدميرهم، لينتهي الأمر به محتجزاً ينتظر الموت في داره غريباً ليس حوله اصدقاء، ولا ذكرى طيبة في ذهن الآخرين من رفاق الطريق او من ابناء الشعب العراقي^(١).

١ — ولد البكر في ١٩١٤ وتوفي في ١٩٨٢ . بدأ حياته معلماً ثم دخل الكلية العسكرية في ١٩٣٨ بواسطة مولود مخلص دون ان يستوفي شروط القبول فيها. فلم يكن حاصلاً على البكالوريا، وتنقل خلال عمله في انحاء مختلفة من العراق، وبعد تخرجه من الكلية العسكرية لم يعين قائداً لوحدة عسكرية، بل عمل ضابط إعاشة وإدارة وتموين، وفي هذا السياق قال عنه عبد الكريم فرحان "لم يكن البكر ضابطاً لامعاً، فهو من درجة عسكرية أدنى، لكنه اعتُقل ورفعته صلته بمحزب البعث وعلي السعدي" [8] ويقول فرحان في كتابه حصاد ثورة : مع حكم البكر "إنفتح الباب على مصراعيه لتعيين الاقارب والاصهار وابناء العشيرة والبلدة والاصدقاء" و اضاف "لم اشاهده يفعل او يغضب، لكنه لا ينسى وعندما تحين الفرصة ينتقم بقسوة" و وصفه بالرجل الشجاع الذي يهيم بلوغ هدفه بصرف النظر عن الوسيلة" [9]. ويقول عنه حسن العلوي انه "نصف عسكري ونصف حزبي" و وصفه بعدم الجاذبية قائلاً "لا أظن ان عبد الكريم قاسم ومهما حاول ان يستحضر اسماء خصومه الذين سيخلفونه كان سيضع اسم البكر واحداً منهم" وقال عنه هاني الفكيكي: "البكر شخصية موهوبة القدرة على توظيف مظهره البسيط وقدراته الفكرية والسياسية المحدودة، وكثيرون هم اولئك الذين خلدوا به ووسموه بالسذاجة، لكنه يستيقظ مكرراً لا حدود له، وقدرة على خداع الخصم والغدر به" [10] ويقول عنه معاونوه انه محدود الكفاءة، كنوماً ويتركز كل نشاطه السياسي على ترتيب الوضع العسكري السري بهدف الانقلاب مرةً ولمكافحته حيناً آخر، او لتمرير مؤامرة. ولم يؤثر عنه المشاركة السياسية العلنية إلا نادراً. فتمكن من وضع نفسه خارج الانقسامات الحزبية العلنية، وفعل ذلك عام ١٩٦٣ حينما احتدم الصراع بين جناحي علي وحازم. ومن اجل إرضاء طموحاته السياسية غير من تحالفاته وحبث بوعوده، وإنسجم مع عقل المسيحي، رغم ما عُرف عنه من تعصب ديني، فقد روى حسن الذهب : انه كان جالساً بمكتبه، معيته واحمد عبد الستار الجوارى وطارق عزيز وشتتاف في عام ١٩٧٢ واراد بمجاملة "الذهب" اليساري الانتماء فنخاطبه : لماذا لا تضعون ايديكم بأيدينا ونتعاون ونتخلص من (التلكيفي ابن التلكيفي) ويقتصد ميشيل عقلق، ولم يكن يعرف ان طارق عزيز مسيحياً ومن تلكيف.

كان البكر من الذين يسهرون الليل ويعقلون الاجتماعات مساءً. وجاء إلى الوزارة عام ١٩٦٣ محدود الكفاءة لكنه اراد البناء. في حين طبعت سلوكه بعد ١٩٦٨ محلية تكرتية صرفة ومفروضة بسبب نمو عقله ويجيء كتلة تكرتية معه تعمل ضد الحزبيين، وتحاول إضعافهم، فحاصرت عماش والسلوم وعبد الخالق السامرائي ومرضى الحديشي وغيرهم. ولم يكن البكر مقداماً ليقف بوجه تلك الكتلة القوية بل تجنبهم بتأكيد شراكته لهم. واعتقد انه كان لئيماً ولا يحب العنف المباشر ومحاول قضاء حاجته بالالتفاف والمناورة وخلق الخصوم او قتلهم داخل السجون.

مع صدام حسين

الدولة ضد القانون

سؤال : قلت ان صدام حسين لم يكن عام ١٩٦٣ ملفتاً للنظر، ولم تتخلوا إن في ذهنه مخططاً من أي نوع كان، فكيف اذن تحول من عنصر تنفيذ إلى شخص يتحكم بكل مقدرات البلاد ؟

طالب الشبيب : اذا اردت، فأن اولى الخطوات او المصادفات التي افاد منها صدام حسين، كانت بسبب تسليم القيادة القومية الملف العراقي إلى حمود الشوفي وصلاح جديد، وكلاهما معارض للتوجهات التي سعيها إليها، فلم يرغباً التصديق اننا ونحن مبعدون إلى بيروت غلبت مفاتيح التغيير السياسي في العراق الكامنة في مسؤولي الوحدات العسكرية الفعالة من الضباط البعثيين قبل تصفيتهم وإحالتهم على التقاعد أو إرسالهم إلى السجون والوحدات البعيدة غير الفعالة، وبدلاً من التعاون معنا نظراً إلى شزراً، عند لقائي بهما وببقية اعضاء القيادة السورية. فأعطيا الفرصة للبكر وصدام وغيرهما للاستمرار والتحالف مع علفق.

في حين وجدت في شخص الرئيس الاسد، رغبة جادة للاستماع وتفهم القضايا، لكنه لم يقحم نفسه طرفاً في أمورنا، لأنشغاله بشؤون سوريا ومستقبل نظامها السياسي. وفي الحقيقة لم اعرف حينذاك ما كان يدور بذهنه وما يكتنزه من قدرات كبيرة كشفت عن نفسها خلال ٣٥ عاماً الماضية في إدارته لصراعات أكثر خطورة، والخروج منها بما يعود بالفائدة على سوريا والأمة العربية. ولو كنا ادركنا ذلك حينها، لأقتربنا منه وتعاوننا على إنقاذ الوضع في العراق. ولا أكتمك فقد وجدت فيما بعد ان حافظ الاسد يتمتع بقدره فائقة على إدارة الامور وتفهمها.

واعود لأقول، لم أكن مصدقاً إن واحداً من الكادر المتوسط المغمور مثل صدام حسين سيكون بديلاً للسلطة العراقية التقليدية، بل كنا عندما نراه او نخطبه نتصور اننا نتحدث مع احد انصار البكر او مع البكر نفسه بالواسطة.

ولكن بعد وصولهما سوية (البكر - صدام) إلى السلطة عام ١٩٦٨ ، ادركت يقيناً انه سيستلم السلطة ويطيح بخلفي البكر وجناحي السلطة، وزير الدفاع حردان التكريتي ووزير

الداخلية صالح مهدي عمّاش، وبعدها سيصبح أحمد حسن البكر فريسة سهلة يمكن تأجيل إفراسها إلى وقت آخر مناسب.

توقعت هذا الأمر تماماً وأخبرت رفاقي والقرييين مني وكل من يهمه الأمر من قيادي الصف الأول في حزب البعث بهذا التقدير. وكنت واحداً من قلة يهيمسون : ان صدام حسين سيرث السلطة من البكر^(١).

وفي عام ١٩٦٩ هُمس بأذني مسؤول المخابرات الأمريكية CIA في الشرق الأوسط (.....) وكنا في دعوة غداء في الأمم المتحدة في الركن الشرقي، وكنت ممثل العراق الدائم في الهيئة

١ - في البدء اكتسب صدام حسين قوته من علاقات خدمية مع أحمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح، إنطلاقاً من عصبية (تكريتي - عوجوية صرفة)، وبسبب استعداده للتنفيذ[11]. ومنذ ١٩٦٣ أصبح رجل البكر، يدخل عليه في مجلس الوزراء ويحتلي به بصورة أثارت استغراب موظفي المجلس[12]، إذ ليس هناك ما يسوغ قيام علاقة بين رئيس وزراء العراق وشاب بلا مؤهلات أو مركز حزبي أو حكومي. وما إن اشتد الخلاف بين السعدي ومناوئيه اقترح صدام على بعض الضباط تخليصهم من السعدي باغتياله "وتنتهي المشكلة ١١". ومنذ ذلك الحين اكتشف صدام أهمية أحمد حسن البكر فظل رفيقه وظّله حتى بعد سقوط تجربة البعث ١٩٦٣، ولاحظ ذلك "البعثيون العقائديون"[13] فحذروا منه لكن البكر حافظ عليه متميزاً. وفي عام ١٩٦٨ نجح صدام حسين في جعل شخصيته مدججة بالبكر، وحصل لنفسه على مقر خاص وميزانية خاصة غير خاضعة للمساءلة، وهو امر لم يتمتع به أحد في الدولة العراقية قبله. وبصير وكتمان لجم رغبته في الانقلاب ولم يقحم نفسه في عداوة مع البكر رغم تعدد المناسبات، فانتظر متربصاً ليوم مجد آخر، يصبح فيه عمره مناسباً ومقبولاً. وعندما حصلت صراعات واحتكاكات غير معلنة بين اجنحته واجنحة البكر (بعد عام ١٩٦٨) ابلى صدام حسين التنظيم الحزبي بأن كل شيء لا يصبح قانونياً بعد الآن، الا بموافقة القيادة القطرية، ما عدا ما يقرره الاب القائد أحمد حسن البكر ١١ ومع مرور سنوات الاخلاص الوهمي بين صدام واجهزة ضخمة هدفها الظاهر حماية دولة البكر، لكنها قامت تدريجياً وبهدوء بتقليل اظافره، إذ تم شراء أو قتل كل الطلائع التكريتي المحيط به، فهرب صلاح عمر وقتل حردان ورشيد مصلح وطاهر يحيى وعدنان شريف وحامد شهاب والعميد حميد التكريتي. وقتل ازواج بنات البكر وابنه محمد، وشراء طارق حمد العبد الله، ونصب كمائن اخلاقية وجنسية مصورة بأفلام فيديو ناطقة لعدد آخر من المقربين، وخلق لهيتم البكر مشاكل اتعسته. ودار آخر لقاء بين شبيب والبكر حول شكوك الأخير وخوفه على السلطة، وخرج باستنتاج بأن البكر اراد القوة وطلب شخصاً يقطاً يؤدب فيه الخصوم في السلطة والشارع، ويجيد اخراج التمثيليات الحزبية (حسب النظام الداخلي) فكان صدام حسين الذي تصوره طامحاً بمكانة الرجل الثاني فأعطاهما له، رغم معارضة رفاقه، وكان حردان اشجع المعارضين فصفاه قبل غيره. وقد وجد صدام دائماً رجالاً مستعدين للتعاون ليتحولوا بعد فترة إلى ضحاياه، فقد جرى له مرتضى الحديثي الاموال وادخلها في حسابات خاصة وأخرى موظفة في كسب الانتصار والوكلاء وتقوية المؤسسة السرية، وعندما سمع مظهر المطلقك (زوج بنت البكر) بالامر سعى لفضحه، فردّ صدام بأغراقه مع سيارته في نهر دجلة[14].

ومن جانبهم احتاج صدام إلى دعم البكر، ليخترق جهاز السلطة المتعلم والعريق نسبياً والذي لم يكن يعطي لمثل صدام غير منصب كاتب أو موظف بسيط. وتغلغل صدام، وكان صعوده السهل الذي كفله البكر، قد ادى فيما بعد إلى انفراد بالسلطة ليبدأ مستقبلاً سياسياً مجللاً بمطالب مستحيلة ومخاطباً بأصدقاء قساة وضحايا ودماء.

الدولية، قائلاً: "إن صدام حسين رجل وغد، انه وغد thug" فقلت له انه الرجل الذي سيكون حاكماً للعراق، وستعاملون معه وتخلون الجميع^(١).

مع الامير طلال بن عبد العزيز

وفي عام ١٩٨٤، خلال الحرب العراقية الايرانية، كنت مع صلاح عمر العلي بواشنطن في دار الامير طلال. قلنا للامير: هناك طريقة واحدة لوضع نهاية لمشاكل المنطقة هي إسقاط صدام حسين.

أخبرنا الامير: "ليس بإمكانني إبلاغ هذا الرأي إلى حكومة المملكة العربية السعودية، ولا إلى أية جهة عربية أخرى"، مؤكداً انه يخشى مقابلتنا أو إدارة مثل هذا الحديث معنا.

وادررنا بوضوح انه يخشى ذلك لئلا ينكشف الامر يوماً، وحينها سيتجه صدام حسين بتهوره المعهود للانتقام، خصوصاً وانه نجح في بناء دولة قوية تقيم حلفاً مع اهم دول العالم بسبب حاجتهم إليها في المواجهة الإيرانية، ويمتلك منظمات ومحطات أمنية فعالة منتشرة في جميع أنحاء العالم. ولن أكون مدعياً اذا قلت ان حكومة المملكة العربية السعودية كانت تعرف جيداً اهداف صدام حسين وتكوينه الشخصي، وتدرك إمتلاكه للقوة المستعدة للضرب والفكك واكثر من ذلك !! لكنها تتجنبه، وتعطي للزمن فرصة لعله يتغير أو يستقر، وبدلاً من مواجهته اهداه الملك خالد بن عبد العزيز خمسين من الجمال الحمراء.

ترتيبات صدام حسين السالفة سبباً كافياً لكي يخشى السعوديون ان يبحثوا معنا شؤون داخلية عراقية، فضلاً عن كوننا لا نمثل جهة رسمية بل معارضة، وهم (السعوديون) لم يكونوا مؤيدين أو معارضين للحكومة العراقية، ويرغبون بالتعامل معها كما يتعاملون مع أية حكومة عربية أخرى، وقد ترجم الامير طلال موقفهم النهائي والصريح عندما كرر: "ياطالب وياصلاح، انا لا استطيع حتى نقل كلامكم إلى حكومة المملكة ولا إلى أية جهة عربية أخرى".

اقسم امامي على الاخلاص للعراق والامة والحزب

سؤال : هل تعاملت مع صدام حسين مباشرة ؟

طالب شبيب : نعم، واهم لقاء كان في دمشق بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال عبد الكريم

١ — ومن جانب آخر فقد اعلن رئيس قسم الشرق في البيت الابيض في عهد ريغان (وبعد عدة سنوات) لجرميدة نيويورك تايمز بعد احتياح الكويت بأربعة ايام قائلاً : "لم يكن الامر اننا كنا نريد ان يكسب العراق الحرب، اننا لم نكن نريد ان ينحسر العراق. اننا حقاً لم نكن سذجاً. كنا نعرف ان صدام وغد، لكنه وغدنا"[15].

قاسم، وكان حينها نصيراً غير حائز على عضوية الحزب العاملة. فكلفت شخصياً بترديد قسم العضوية له، مكافأة على استعداده للتنفيذ، وفعلت ذلك بحضور فاضل الشاهر (عضو شعبة هارب) واعتقد فيصل حبيب الخيزران. وتكمن أهمية هذا في ان العضو الحزبي يظل يتذكر طوال حياته اليوم والشخص الذي ردد له القسم الحزبي وينظر إليهما باحترام وتقدير خاص.

وحين سافرنا انا وحازم جواد إلى بيروت بعد ١٨ تشرين الثاني، جاءنا صدام التكريتي حاملاً رسالة من البكر ومكلفاً بتوفير بيوت سرية لنا في بغداد، وطلب الينا العودة لتدبير إعادة السلطة من عبد السلام عارف.

ثم جاء إلى القاهرة، وكنا مبعدين إليها انا وحازم جواد، واتصل بي بواسطة المقدم علي عريم الذي كان هو والعقيد حسن النقيب والرائد صلاح الطبقجلي يشغلون عضوية القيادة العسكرية العربية الموحدة وهي وظيفة شكلية، تم إبعاد هؤلاء الضباط البعثيين إليها.

قال عريم : إن صدام يطلب منك بناء على رغبة من البكر، دراسة تحليلية عن تجربة ١٤ رمضان ١٩٦٣، النجاح والفشل والاختطاء المرتكبة. فكتبت حوالي ٢٠٠ صفحة، أرسلتها بيد علي عريم وسلمها بالضبط في يوم ١٩٦٤/٩/٤، وكان ذلك تاريخاً مشؤوماً، اذ اعتقلت السلطات العراقية فيه عدداً كبيراً من البعثيين المدنيين والعسكريين بينهم احمد حسن البكر وعبد الكريم مصطفى نصرت، وحصلت اعترافات كثيرة تحت التعذيب وإنهار عبد الكريم الشيعلي وآخرون بينما صمد الغالبية منهم، وضبطت الدراسة التي كتبتها.

وخلال وجودي، موظفاً في الخارجية، كنت اتصل بصدام حسين عندما يطلبني او تتطلب الوظيفة، فيستقبلني برحابة. وكثيراً ما دعانا للقائه انا ومدحت ابراهيم جمعة ويسألنا الرأي في ترتيبات الحزبية وتركيبه قيادته القطرية. وكنا نقدم النصيح بلطف وبالشكل الذي نعتقده صحيحاً. فقد اقترحت عليه ذات مرة ان تجرى انتخابات شعبية عامة للتخلص من مشاعر العزلة. وقلت : ان حزب البعث تمكن في ظروف صعبة، في عهد قاسم، من الفوز في انتخابات حرة ببعض الجمعيات والنقابات المهنية والعلمية والاجتماعية، وأرى انه مع شيء من الترتيب وبجهود معينة، وتوظيف امكانيات السلطة والدولة في بذل المكاسب الشعبية، وعندها سيكون ممكناً تحقيق الفوز بأكثرية المراكز الانتخابية. وذلك سيكون تحدياً لتنظيم حزب البعث، وسيكشف اولئك المستفيدون الذين لا يبذلون جهداً يتناسب مع أهمية المراكز الممنوحة لهم.

شيء آخر قدمه لي صدام حسين شخصياً. وحصل عندما كتبت له رسالة اطلب فيها نقلي إلى وظيفة مندوب العراق الدائم في الامم المتحدة. وكان وزير الخارجية حينذاك عبد الكريم الشيعلي يعارض بشدة مثل هذا القرار. وفوجئت فوراً بوصول برقية إلى السفارة العراقية

بالامن، او بأي شأن يعتقد انه يسيء اليه، ولا ادري كيف عمل على تعييني مندوباً دائماً في الامم المتحدة وهو يحمل حقلاً خاصاً ضدي، بسبب عدم مراسلتي له شخصياً، كما يفعل بقية السفراء العراقيين في الخارج، فقد تعاملت مع الدولة العراقية، وكانت إتصالاتي وتقاريري والكتب الرسمية تذهب مباشرة إلى وزارة الخارجية حسب الاصول.

وفي مطلع ١٩٩٣ وعلى خطى مدرسة اليكر ايضاً، وبعد ان تأكدت سلطات بغداد ان الصحفي سعد البزاز لن يعود إلى بغداد برغم رسائل التظلم والتهديد والترغيب، بما فيها الرسائل التي حلت توقيع صدام حسين نفسه والتي حملها السفير نوري الويس واوصلها بواسطة كاتب فلسطيني (صديق مشترك لهما)، وكانت آخرها تحمل مضموناً : ان الرئيس العراقي قد خول نوري الويس ان يضمن حياة الصحفي "الهارب من الجحيم" امام مثقفي الاردن بصورة علنية، ويرافقه بسيارته من عمان إلى مكتب رئاسة تحرير جريدة الجمهورية مردداً اغلظ "الأيمان" (لحو: بشرفي ومستر اخني وزوجتي!!). ولم يكن للبزاز وهو ابن لتلك المؤسسة إلا ان يتعامل مع الرسالة برية واحتقار، وقال لحاملها: "لست مدلول المحنة، وليبحث عن ضحية سواي". وكانت احدى الرسائل التي وصلتته تحمل توقيع عدي صدام حسين وتعد بمنحه وزارة الاعلام بدلاً من حامد حمادي الذي قاد الحملة ضد سعد البزاز الذي قال عن نفسه أنه "هارب من الجحيم".

ويقول سعد البزاز : بعد ستة اشهر من آخر رسالة وصلتني زار الدكتور راجي عباس التكريتي، وهو من اقارب نوري الويس، عماناً لإلقاء محاضرة في التراث في مؤسسة شومان، وبعد إنتهاء فترة الضيافة الرسمية، تنقل الدكتور راجي من مجلس لآخر ورحبت به شخصيات عراقية ثقافية وسياسية دون ان تنقطع صلاته اليومية مع السفير الذي استدعاه في احد الايام على العشاء في منزله، وابلغه انه مرشح لشغل منصب وزير في التشكيلة الجديدة التي ستعلن ببغداد بعد ايام، وعليه التوجه إلى هناك بسيارة السفير الديبلوماسية، وما كادت السيارة تعبر نقطة "طربيل" الحدودية حتى تسلمت اجهزة الامن راجي التكريتي من سيارة قريبه السفير ليواجه مصيره.

مع ميشيل عفلق

سؤال: وماذا عن ميشيل عفلق؟

طالب شبيب : هو واحد من أهم القادة المؤسسين لحزب البعث، كان في البداية نشيطاً ومواكباً واستطاع أن يساهم في صنع الموجة السياسية المعاصرة للنهضة والبعث العربي، لكنه بدأ يخبو سياسياً ثم يموت فكرياً منذ أن أقدم على حل الحزب في القطر العربي السوري، فلم يستطع بعد ذلك التاريخ كتابة بيان أو مقالة أو موضوع واحد متميز أو ذا أهمية.

فقد كتبنا نيابة عنه وثائق المؤتمر القومي الثالث وبيانه الختامي الذي نشرته جريدة "الصحافة" البيروتية الناطقة بلسان حزب البعث. وكنا قد تكلفنا أنا والمرحوم خالد اليشريطي عضو القيادة القومية ومسؤول التنظيم الفلسطيني وعبد الوهاب شبيطلي عضو القيادة القومية وعضو قيادة منظمة لبنان، وكتب كل واحد منا مسودة خاصة به، ثم اجتمعنا نحن الثلاثة وصنفنا أفكارها وربناها بلغة وصياغة سليمة، ووافق عليها دون إضافة كلمة واحدة، ونشرت ووزعت على شكل تصريح منه.

ولا بد من الإشارة إلى أن حاجتنا لعفلق مثقفاً ومفكراً كانت أكبر من حاجتنا إليه كرجل تنظيم، وذلك بسبب حل الحزب في سوريا وحرمان منظمات الحزب القومية من مثقفي البعث السوريين الذين كانوا في مستوى فكري وثقافي أعلى من رفاقهم في الأقطار العربية الأخرى وبشكل خاص من العراقيين، الذين أثرت على قراءاتهم شدة الرقابة ومنع الصحف والمنتديات الثقافية. وقد كانت تلك سياسة مستمرة منذ العهد الملكي حتى الوقت الحاضر. كان العراقي يحصل على فرصته عندما يسافر إلى سوريا أو لبنان فيطلع على الصحافة وعالم الفكر المتحرك ويقتني الكتب الممنوعة في بلاده^(١).

١ - اعترف عبد الناصر خلال محادثات الوحدة عام ١٩٦٣ بأن حل الأحزاب كان أحد أسباب نكسة الوحدة، لكنه قال "إن البعثيين هم المسؤولون عن حل حزبهم". وقال لعفلق والبيطار وكانا حاضرين "اللي حصل إن الحزب انحل وانتم اللي اقترحتم حل الحزب"، ورغم سكوتهما وعدم تعليقهما، فإنهما لم يعترفا بأنهما كانا وراء تلك الفكرة، ولم يعترف أحدهما بالخروجي بها أيضاً.

وفي نفس الجلسة قال عبد الناصر "لو كان حزب البعث مش موجود، أنا كان لازم أقول ضروري حزب البعث يكون موجود، لأن عدم وجود البعث كاتجاه قومي ييضعف الوحدة". وعندما كان عبد الناصر يتحدث عن رفض وضع مصر بين المطرقة السورية والسندان العراقي، استدرج قائلاً "وأرجو من إخواننا العراقيين أن لا يعتبروا هذا الكلام لهم، أنا

←

ولم نكن وحدنا الذين لاحظنا انطفاء ميشيل عقلق، وعدم وجود شيء هام عنده، بل لاحظ ذلك بوضوح جميع المقربين منه ومن القيادة القومية لحزب البعث.

لكنه استعاض عن الفكرة الذكية الصائبة وعن روح المبادرة في قراءة المستقبل، بتشجيع واستثمار ولاء الشباب الحزبي الحيوي المندفِع له، واستعان بهم لتحقيق أهدافه السياسية، والتخلص أو التخلي عن كل شخص يكتشف ضعفه^(١).

كما عجز عقلق منذ ذلك الحين عن القيام بأعمال تنظيمية جادة، بل لم يكن مستعداً للقيام بأي عمل لا يتلاءم مع بطئه ومزاجه الخاص. فأخذت أنا مسؤولية التنظيم القومي بكامله.

وكانت قيادات الأقطار كالعراق وفلسطين ولبنان تخطط وتفكر بنفسها على ضوء واقعها الملموس وذلك ينطبق على العراق أكثر من غيره.

وأشرف على إعلام الحزب وجريدته كل من جبران مجدلاي وشميطلي وشرطي، ولم

مستعد أن أعمل معهم الوحدة دلوقتي". لكن الوفد العراقي أصرَّ على إقحام عبد الناصر بأن البعث في سورية أكثر إصراراً على الوحدة وأن العراقيين تعلموا من أساتذتهم السوريين دروساً في الوحدة....

وفي العراق لم يتمكن البعثيون أو الشيوعيون التعمق بالفكر، بل أخذوا الفكرة جاهزة وناضلوا من أجل تطبيقها، فكان الشيوعيون من أقطار غربية مجاورة أكثر ثقافة من نظرائهم العراقيين. والبعثيون السوريون أكثر ثقافة من رفاقهم العراقيين. فقد أدت قسوة النضال السري والمظاهرات والإضرابات وبقية الصراعات العملية المشاريع الفكرية والعقائدية للأحزاب قبل اكتمالها. وأسقط الصراع الحزبي الذاتي والصراع ضد السلطة أعداداً هائلة من مثقفي الأحزاب الواعدين، كما قضى الكثيرون في السجون وأخذت منهم البراءات عنوة، فأصيبوا بالضعف، ولا يصلح الإبداع مع مشاعر الضعف. وبسبب شدة الصراع سادت بين المناضلين مقولات فاسدة مثل: "لسنا بحاجة لفلسفة بل إلى العمل المباشرة!!"، كما أدت الحياة الحزبية السرية المستديرة إلى تنفس هواء فاسد، وأسوأ من ذلك إن بعض الأحزاب فضلت السرية على العلنية حتى مع وجودها في السلطة أو مع وجود سلطة تسمح نسبياً بالعلنية.

١ - للخروج من التجزئة والضعف إلى الوحدة والقوة بواسطة استثمار حيوية واندفاع الشباب يشكل الجانب الأهم من النظرية العقلية التي لم تبدل أي جهد لدراسة مرحلة ما بعد قيام الوحدة وامتلاك القوة. فقد تصور ميشيل عقلق أن التأثير الحيوي بإمكانه أن ينجز كل شيء بغض النظر عن أهمية العلم والمعرفة، فالاندفاع يعوض العلم، وبأيدي ثائر يقود ميليشيا يمكن فعل أي شيء. وكان صدام حسين معجباً بالفكرة السالفة، فذهب إلى مراكز الثقافة والمعرفة العلمية العراقية ككلية الطب والهندسة والفلسفة زائراً من موقع السلطة والمسؤولية، وألقى محاضرات وخطباً سخر فيها من الأكاديميين ورفع من شأن الإدارة السياسية "المقتدرة"، فالسياسي الحيوي بإمكانه إدارة رئاسة الجمهورية أو معهد علمي أو نقابة وغيرها لا فرق.

وعلى خطى عقلق قام صدام حسين ودخل الكويت بمجرد شعوره أنه قادر على احتلالها ١١ فعل ذلك بعكس قاسم الذي ما أن لاحظ حجم ردود الفعل ضده حتى تراجع واستبدل فكرة العمل العسكري بشعار الالتحاق السلمي، لكن صدام حسين التأثير العقلي قرر تجاوز كل شيء بهستريا "وطنية" كرر فيها هتلر وموسوليني ونظر إلى المسألة وكأنها إرادة أو غاية التاريخ، وليس أمامنا جميعاً سوى الاندفاع دون تردد أو تفكير، وهكذا تماماً أراد ميشيل عقلق: قلة من الشباب وشدة في الحماس والعصبية المستيرية وتحقق القدرة على الاقتحام والفعل، أما لماذا الاقتحام ولماذا السلطة وبأي شكل فيأتي فيما بعد !!

نستطع بعد شراء جريدة "الصحافة" تغيير اسمها بما يتلاءم مع طروحاتنا ومصطلحاتنا، لأن القانون اللبناني لا يسمح بذلك، فأبقينا اسمها وكتبنا تحته ملاحظة صغيرة هي " جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي". وللتاريخ أقول أن الجمهورية العربية المتحدة كانت تمنحنا مبلغ آلاف الجنيهات شهرياً لاستمرار صدور الجريدة وشراء المطابع، لكن المساعدات قطعت بعد استقالة نائب الرئيس أكرم الحوراني والوزراء البيطار وقنوت وحمدون .

وما زلت حتى هذه اللحظة لا أدري لماذا استقال الحوراني والوزراء الآخرون، في حين بقي كل واحد منهم، فيما بعد، مجده وتفاخر استناداً إلى عمله إلى جانب عبد الناصر. وبعد سنوات التقيت في باريس بأكرم الحوراني، وعندما ذكرته بتوقيعه وثيقة الانفصال، تحدث بفخر عن عمله ومنصبه نائباً لجمال عبد الناصر وأسماء " عدو الاستعمار ورائد القومية والوطنية العربية..." وأعتقد أن ميشيل عفلق أّجج بصورة غير مباشرة الأجواء ضد ناصر دون أن يتورط هو نفسه بموقف مباشر ضد الوحدة القائمة. فقد كان ميشيل باستمرار غير مباشر ولا يملك الشجاعة والقوة للمواجهة عندما تشتد الأمور ويتطلب الأمر موقفاً حازماً ، وهو يخاف كثيراً على حياته، ورغم حيطة وحذره وقع أكثر من مرة بما لم يكن يرغب به حتى انتهى الأمر به بين يدي صدام حسين الذي تحفظ عليه وسلب منه حلمه في الهيمنة على البعث، كما اضطر أن يعيش في وسط عراقي لا يقدره ولا يحبه أبداً بسبب موقف الشعب العراقي ذاته من مضيئه^(١).

١ - قال لي سعد البزاز [18] " أتيج لي أن التقيته في نيسان ١٩٨٩ بعد أكثر من عشر سنوات على آخر مرة جلست فيها إليه، ويكتفي بالمقارنة بين الكلمات التي تحدث فيها في المرتين لأستنتج ملامح حالته الجديدة، ففي ١٩٧٩ قال أن تجربة الثورة في العراق ستفاجئ العالم والعرب كما تحمل مفاجأة لنا أيضاً. وكان يتحدث عن أحلام وطموحات يوم لم تكن الحروب قد وقعت بعد. أما في المرة الثانية أي بعد أقل من سنة على الحرب الإيرانية فقد كان الزمن قد أضعفه، وظهر صوته خافتاً وباتت كلماته متقطعة، إلا أنه قال أمامي "إن على جيلنا الجديد أن ينهض على الفدا بمسؤولية عجز عنها الجيل السابق وهي المباشرة بحوار ثلاثي الرؤوس بين القوميين والإسلاميين والماركسيين، لأن هذا الحوار هو المنفذ الوحيد لتجاوز الخلافات وتكتيل القدرات في مشروع النهضة". وكانت السلطة بعيدة تماماً عن تلك الدعوات، وكانت مجموعات كثيرة من العسكريين والمدنيين قد سبقت إلى معاقل الموت بدعوى التآمر رغم مشاركتهم لصدام حسين في الحرب الإيرانية. وأدركت يومها أن الحكم الذي يعجز عن استيعاب الموالين ويعاملهم بالشك والريبة هو عاجز عن إدارة حوار مع قوى واتجاهات أخرى، وأن كلمات عفلق كانت نوعاً من تبرة الضمير وكأنه شعر بدنو موته. ولم يكن لدى عفلق في أيامه الأخيرة أي دور سياسي في بغداد، وكان وجوده فيها ضرورة معنوية للسلطة في صراعها ضد جناح الحزب الآخر في سوريا . ولذلك أمضي معظم وقته في منتجع بفرنسا ويسترد على بغداد إشارة إلى رغبته في أن ينوء بنفسه عن المشهد الذي يجعله ضيلاً أمام الحاكم الذي صادر شرعية الحزب برضى عفلق نفسه يوم كان يقول "إن صدام حسين هو هدية البعث للعراق وهدية العراق للعرب!!" وإذا به يكشف أن دوره شكلي وشاحب ويستخدم لصالح فرض سلطة الرجل الواحد الذي اعتقد يوماً أنه معقد آماله... انتهى كلام البزاز ". وهكذا انتقل عفلق إلى مكان سيكون فيه شاهد زور على أكبر وأخطر الجرائم المرتكبة ضد الشعب العراقي المظلوم الذي تأسس حزب البعث أولاً تحت شعار نصرته.

كان أفضل ما لدى ميشيل عفلق هو إعطاؤه الزمن الفرصة الكافية ليدور دورته فتتضح القضايا التي لم تجد طريقها الفوري للوضوح أو التحقق ، ولم يستفد تلميذه صدام حسين من تلك الخصلة الحميدة، بل ظهر فاقداً للصبر وبجاذفاً بشؤون قومية عظيمة من أجل لاشيء تقريباً.

وكانت غزوة الكويت مثلاً قاسياً على تصرفه. فلم يكن إلحاقها بالعراق لو تحقق يعني أكثر من التحاق جزء عربي من مكان " مجلس التعاون الخليجي " إلى مكان آخر، وليس في ذلك أي إنجاز تاريخي أو جوهري يستحق المقامرة بكل شيء وبصورة أضرت بالأمة العربية ضرراً لا حدود له.

في حين وجدتُ في شخص حافظ الأسد قائداً بعثياً يمارس القيادة ويعطي الزمن أهميته في إنضاج الأمور ويدير السياسة بأستاذية تدرك أن ما للأمة العربية هو أمر لا يحق لأي شخص حتى لو كان حاكماً المقامرة به^(١).

أشخاص آخرون

تأثر بميشيل عفلق عدد من البعثيين بصورة مباشرة. ورغم اختلافه مع فؤاد الركابي بشدة لكن الأخير أدرك مثل عفلق أهمية السلطة ومعنى تسخيرها لخدمة الأهداف "العقائدية" والإيديولوجية، ولذلك اتجه في كل أعماله نحو السيطرة عليها مهما كان الثمن وحتى قبل

١ — نظر البعثيون إلى وحدة الأمة العربية على أنها لا تعبر فقط عن مصالح عملية ومنفعة، بل باعتبارها "حقيقة" تعلن عن نفسها كحق طبيعي وحتمي يشترطه أولاً وأخيراً الميل الذاتي الكامن في أعماق أبنائها، الذين يعيشون على أرضها، نحو الاتحاد. وإن كل الفوارق بين أجزاء الوطن إنما هي فوارق عرضية وستضمحل إذا ما استيقظ الوعي العربي الذي يربط روحياً بين أبنائه. إذ لا معنى للفرد بدون ذلك الربط الذي يخلق الأمة الحية ذات الرسالة الخالدة، والاستمرارية المتجددة. ولذلك وضع المنظمون البعثيون الأوائل أمامهم مهمة اختيار أشخاص أشداء أخلاقياً يتميزون بالجرأة والصدق والالتزام ليصبح الحزب بهم أداة فعالة لإيقاظ الأمة وتحويلها من الواقع المفكك إلى مخلوق حي متنوع ومتناغم وعظيم الشأن.

كما قرروا الاستفادة من الإسلام وتوظيف قدرته التحريضية لمصلحة توحيد الوطن العربي الكبير. وهتفوا للإسلام الذي نشأ وترعرع بين العرب وأعطى لإنسانية الإنسان قيمة أعلنته ودفعته إلى الأمام. وأدرك المنظمون الأوائل أن تحقيق أهدافهم ليس ممكناً بدون توفر الحرية الخاصة فوراً في دستور البعث "... حرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية الاعتقاد وحرية الفن أشياء مقدسة لا يمكن لأي سلطة أن تحد منها" لكن تلك النظرة غالباً ما تعذرت وتعثرت عملياً بسبب التأمر عليها وتحريفها قبل وبعد إقرارها، وكانت أول محاولة للإساءة إليها بدأت مع ميشيل عفلق في كتابه " في سبيل البعث " الذي يقول فيه " تكون الدولة مسؤولة عن حرية الكلام والنشر والاجتماع ضمن حدود مصلحة القومية العليا " وهو قول يخفي ديكتاتورية شديدة، لكنها مبطنة، يقرر فيها هيمنة الدولة أو الجماعة على الحريات الفردية الضرورية والأساسية وإخضاعها لحاجات سياسية ومادية عامة.. وكأننا بميشيل عفلق ينقل نصاً هيكلياً عن (الدولة — الفكرة) المتجسدة على الأرض والتي تلوب فيها كل الجزئيات والألوان ، ليطبقها على الواقع العربي، رغم أنها ظلت مجرد فكرة غير قابلة للتطبيق حتى في أوروبا حيث تفلسف هيكل مودجلاً للشمولية الكونية.

التفكير بخطة أو برنامج عمل للحكم، وكانت تلك هي نفسها طريقة عفلق في الاعتماد على الحيوية والاندفاع والقوة الاقتحامية بغض النظر عن العلم والمعرفة.

وكان فؤاد الركابي يفعل ذلك دون أن تكون له مطامح شخصية، وقد لاحظت عصاميته وعدم تغير أحواله عندما كان وزيراً ثم عندما صار مختفياً في وكر حزبي. وبصورة تختلف عن تلميذ عفلق الآخر " سعدون حمادي " الذي أخذ عنه التردد والخوف. وأتذكر أنني زرت حمادي قبل محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في مكتبه بجريدة الجمهورية وكان رئيساً لتحريرها، وبعد حديث قصير حول آفاق تطوير العمل الحزبي وأهمية استغلال جميع الطاقات المستعدة للتعاون مع البعث، وضرورة عدم ترك الساحة للشيوعيين وحدهم، لاحظت أنه ظل صامئاً متجهماً الوجه ثم خرج من غرفته وتركني دون توديعي. وبعد أيام سمعنا نبأ هربه إلى سورية، فكان صورة سيئة للتصرف الحزبي. ورغم كونه (خلال هروبه) عضواً في القيادة القطرية فقد تمكن حمادي من التخلص من العقاب بسبب الخلافات الحزبية الداخلية. وأعترف أنني ارتكبت خطأ عندما جادلت علي السعدي في أمر تعيينه وزيراً للإصلاح الزراعي بعد ثورة ١٤ رمضان، فقد كان علي يكرهه ووصفه بالجبان الذي لا يعتمد عليه.

وكان ردي: بأن مهمة الشجعان قد انتهت بعد نجاح الثورة، ونحتاج الآن إلى الفنيين والمتخصصين. ولم يكن لدينا حينذاك كفاءات كثيرة، وعلينا الجمع وليس التفریط. وكنا أننا والسعدي محقين في آن واحد، وللأسف كان سعدون حمادي خيبة أمل كبيرة لكل من اعتمد عليه واتكل على كفاءته.

أما حازم جواد فكان يعني الرجل التنظيمي الأول بالنسبة للبعث في العراق، ويقترن اسمه بذهني بإدارته لأمانة سر الحزب، فبعد اعتقال محسن الشيخ راضي، تركز الاعتماد تنظيمياً عليه وأصبح نائباً أو مساعداً لعلي صالح السعدي وعضواً في المكتب السياسي والعسكري، وقد عرفته وعرفت قدراته وعملت معه في نفس الميدان، فكنت بنفس الوقت عضواً في المكتب السياسي والعسكري ومشرفاً على الاتصال الخارجي بالإضافة إلى القيام بأعمال تحريرية في جريدة الاشتراكي السرية الناطقة باسم قيادة قطر العراق للبعث.

وفي السنوات الثلاث من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ تمكن حازم جواد من البروز تنظيمياً وقام بأكثر أعمال أمانة السر التي يرأسها السعدي، وكان وفياً ومكماً وليس خصماً أو منافساً له. وقد أصبح أميناً للسر بعد ثورة رمضان بسبب تقلد السعدي لمناصب حكومية خطيرة.

وأشوأ ما حصل لحازم جواد وعطله عن إنجاز مهماته بصورة محكمة هو إثقاله بمهام حزبية وحكومية خطيرة كوزارة شؤون رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية وأمانة سر الحزب

وعضوية مجلس الثورة في آن واحد. ولا بد أن أذكر بأن حازم كما السعدي والركابي تمتعوا بشجاعة مطلقة يمكن تلمسها في أكثر من موقعة وتجربة.

ولا أرغب في الحديث عن نفسي سوى انطلاقاً مما وصفني به هاني الفكيكي في كتابه "أوكار الهزيمة" بالانتهازي!

وحسب ما أفهم إن الانتهازي هو غثام الفرص للانتفاع الشخصي على حساب حقوق الآخرين. وعندما أعود إلى تاريخي منذ سني الشباب الأولى، أجد أنني قد أنفقت حياتي أحمل موقفاً وأتحمل من أجله التبعات، فشاركت بجميع المسؤوليات وقمت بجميع الواجبات. وسواء كان الأمر في ١٤ رمضان أو حركة حسن السريع، فقد كنت في قلب الخطر، ربطت نفسي وعائلي بمصير ما اقتنعت به، فبقينا في خط المواجهة وفي الصف الأول، وإخواني جميعهم مناضلون دخلوا السجون ولعبوا أدواراً هامة وعرضوا أنفسهم للأخطار.

ولم أستفد أو أنتفع من السلطة والمناصب، فقد عملت وزيراً للخارجية وسفيراً للجامعة العربية لبلادي أحد عشر عاماً ولكن لم أملك سكناً ولم أستطع إكمال بناء دار اعتيادية لنفسي في بغداد لولا تولي صديقي وأخي حازم جواد أمر إكمالها ودفع المبالغ الناقصة، ولم أستطع إيفاء ديونيه إلا بعد سنوات.

وقد وقفت أحياناً مواقف كنت أعرف مسبقاً أنها ستعود عليّ بالضرر، وذلك من أجل أن لا أبدو مزدوج الموقف وبمعياري. وعندما واجهني علي السعدي بما كنت قد اقترحتة قبل الثورة بأن لا يتولى أمين السر منصباً حكومياً مهماً، وافقته وتم سحب أمانة السر من حازم جواد وسُلِّمَتْ إلى حمدي عبد المجيد وذلك أعطى الجناح الآخر سلاحاً ضدنا وأزعج حازم جواد، ولكنني لم أستطع التصرف إلا كرجل ملتزم بالعهد.

ومن جانب آخر ورغم أنني أنحدر من عائلة ملاك الأراضي، فإن أرضنا لم تكن تدر مبالغ كافية بسبب إهمالها والانشغال بالشأن السياسي العام. وكانت كلفة زيارات الفلاحين ومراجعتهم لنا في بغداد أكثر من واردات الأرض نفسها، فاضطرت بعد عودتي من لندن في ١٩٥٨ إلى القيام بعمل إضافي كمترجم في "الشرق الأوسط للأنباء" بواسطة فؤاد الركابي.

وإذا كان ما قمت به في خدمة ما اعتقدت أنه يمثل مصلحة العراق وإرادة الأمة العربية، وإذا كان تحمل الأعباء والتعب يعتبر انتهازية فأنا أقبل بهذه الصفة. ولعل الوقائع الموضوعية والزمن يعطيان لكل حقه.

والشيء الوحيد الذي حصل بيننا هو أن هاني الفكيكي جاءنا ليعبر عن موقفه قائلاً: إن علي

السعدي لا يصلح للسلطة، فأعطونا مزيداً من الوقت لتحاشي الاصطدام وامتلاك الوسائل لمعالجة الأمر.

وشيء آخر تميزنا به، فقد التزمنا أنا وحازم، رغم أن عفلق وجديد قاما بفصلنا بواسطة الإذاعة دون إجراء تحقيق نظامي، بعدم الانتقال إلى تنظيم آخر أو تأسيس حزب جديد، فبقينا مخلصين للبعث ولم نزل ولم ننظر للبعث على أنه أوكار للهزيمة وأثبتت الحياة صحة التيار المعتدل فيه وما زال الشارع العربي والثقافة العربية يتأثر بأطروحاته في الوحدة والكرامة. في حين قام علي وهاني وغيرهما بتأسيس حزب العمال الثوري بعد تركهم الحزب بأيام رغم أننا جميعاً كنا محاطين بمثقفين وليس بعمال.

وأعتقد أن سبب فصلنا هو أن ميشيل عفلق أراد استثمار سقوط حكم البعث في العراق عام ١٩٦٣ من أجل إحكام سيطرته على الحزب تحت شعار مراجعة تجربة العراق. فتمكن من فصل علي ورفاقه وأنا وحازم، مما أتاح الفرصة له للهيمنة مجدداً واسترداد ما كان قد فقده من مواقع تنظيمية وفكرية في المؤتمر القومي السادس^(١).

كان عفلق غامضاً ودائم الارتباك، وأعتقد أن ذلك يعود إلى سعيه لتأسيس حركة متينة، تكون سلاحاً حاسماً في تحقيق آمال الأمة العربية في الوحدة والقوة، ولكن بشرط أن يبقى هو دون غيره على رأسها، مما اضطره إلى تبديل إجراءاته السياسية والتنظيمية بما يخدم موقعه ومصالحه.

والدرس الثاني: هو عدم تفهمه لطبيعة الدعم الذي حصل عليه من أمريكا وأوروبا في صراعه ضد إيران، فاعتقد خاطئاً أنه مآكر وتحدث عن الاقتدار. وعندما دخل الكويت واصطدم بالغرب، أراد استعادة نفس أساليب المناورة والخداع السياسي، ولكن هذه المرة تحول إلى أضحوكة، ولا أدري هل لديه حظ في إدراك الفرق بين الحالتين.

هؤلاء وغيرهم كثيرون جعلوا الصراع داخل السلطة فجاً ومملاً، وأظهروا أنفسهم محتكرين بآسسين لها، رغم احترامنا لهم ولتاريخهم كأشخاص، لكنهم أداروا صراعاً عبثياً بآسساً.

وأهم هؤلاء الرجال: عبد السلام وعبد الرحمن عارف وطاهر التكريتي وعبد الكريم فرحان

١ — بعد سقوط حكم البعث، حصل في العراق فراغ سياسي استمر منذ نهاية عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨، وكانت تلك أشبه بمرحلة انتقالية أو تمهيدية لقيام سلطة ١٧ — ٣٠ تموز ١٩٦٨، فتداول السلطة فيها، بين حكومات ومعارضة "شبه حكومية"، حوالي ثلاثين شخصاً وتناوبوا على مراكز السلطة أو السجن أكثر من مرة خلال خمس سنوات.

وصبحي عبد الحميد وأديب الجادر وخير الدين حسيب وناجي طالب وسعيد صليبي ومحسن
 حسين الحبيب وعارف عبد الرزاق وعبد الرحمن الداود ورشيد محسن وعبد العزيز العقيلي وعبد
 الغني الراوي ومحمد مجيد ورشيد مصلح التكريتي وبيديع شريف العاني وعبد الكريم هاني
 وإبراهيم الشلال وعبد الرحيم الأرحيم وعبد الرحمن البزاز ورجب عبد المجيد وعبد الهادي
 الراوي وأحمد الجبوي وشكري صالح زكي وشامل السامرائي وأحمد حسن البكر وأنور ثامر
 وعبد اللطيف الدراجي وسعدون غيدان وهادي خماس وصعب الحردان وشفيق الدراجي ونافع
 أحمد وبشير الطالب وعبد الستار عبد اللطيف وعزت مصطفى، وغيرهم.

ملحق رقم (١)

وعود البكر

خان البكر جميع زملائه الذين أقسم معهم على عدم الخيانة، مستخدماً مع كل منهم طريقة خاصة في القسم تتناسب مع مستوى وثقافة وميول الحليف (الضحية) مما يدل على مكره ودهائه. فأقسم مع حردان التكريتي (وزير الدفاع) في مرقد الحمزة ثم انتقل معه إلى مرقد العباس بن علي بن أبي طالب في كربلاء وأقسم معه على عدم الخيانة، لكنه في نفس الوقت تركه لصدام حسين يتآمر عليه ثم يقتاله في الكويت مستخدماً وسائل الدولة وموظفيها الكبار كوزير الخارجية عبد الكريم الشيخلي. وأقسم مع صالح مهدي عماش وغدر به. لكن عماش انقلد نفسه بأن أظهر الكثير من التذلل والصبر والتعفف عن مراكز الدولة، بل ورشح نفسه سفيراً في عواصم بعيدة عن مركز السلطة. وبالغ في الإيحاء عن تردّي صحته وإتساع مهنته في الحياة.

وسنأخذ نماذج أخرى من حوادث حث فيها البكر بوعوده مع بعض التفاصيل.

أولاً : قطع البكر عهداً للضباط البعثيين عام ١٩٦٣ بأنه سيقف معهم في المحافظة على سلطة الحزب إذا ما وقفوا ضد علي صالح السعدي وجماعته، لكنه كان في الوقت نفسه يحسب موازين القوة ليحسم أمره مع الأقوى. فخانهم بمجرد شعوره باحتمالات الفشل، وسلم كل شيء إلى عبد السلام عارف ووافق على منصب شكلي مؤقت، ريثما يتمكن عارف من احكام قبضته على الدولة وتصفية الحرس القومي وبذلك يكون قد خان ايضاً وعده للحزب الذي أقسم على الاخلاص له عند نيل عضويته.

ثانياً : في عام ١٩٦٣ وتحديدًا في بداية شهر نيسان كان الوفد العراقي إلى مفاوضات الوحدة يرافقه اكراد مثل جلال الطالباني وفؤاد عارف. وهؤلاء طالبوا عبد الناصر بالحصول على وعود من الحكومة العراقية باستمرار السلام وتحقيق المطالب الكردية البسيطة حينذاك. ومن اجل تجنب ما يثيره الاكراد أقسم لهم البكر على مصحف بعدم وجود اية نوايا للقتال، وعندما اندلعت الحرب دون مبرر كاف، أخذ فؤاد عارف الاوراق الخاصة بوزارته واعماله، وسلمها للبكر بمكتبه برئاسة مجلس الوزراء قائلاً له : تقسمون على القرآن ولا تلتزمون به. ولذلك استمر فؤاد عارف يصف البكر في مجالسه الخاصة "حقوداً وليس وفياً". ويُذكر ان فؤاد عارف هو الذي انتزع المسدس من يدي عبد السلام عارف عندما حاول الاخير إغتيال الزعيم في

غرفته، وقد عاتبه عارف على ذلك يوم ٩ شباط ١٩٦٣ عندما تم تعيينه وزيراً في الحكومة الجديدة، كما وقع بريقة تأييد الحركة الكردية لحركة ١٤ رمضان مع صالح اليوسفي.

ثالثاً : مع الحزب الشيوعي قبيل ١٧ تموز ١٩٦٨ وخلال تحضير عدد كبير من القوى للانقضاء على سلطة عبد الرحمن عارف الضعيفة والمفككة التي كانت تعصف بها الخلافات، إتصل احمد حسن البكر بمكرم الطالباني، وطلب منه إبلاغ قيادة الحزب الشيوعي بأن حزب البعث "كتلة البكر" قد أعدّ الترتيبات للقفز إلى السلطة ولا يفصل بينهما وبين السلطة سوى ترتيبات شكلية، والمسألة أصبحت مسألة وقت ليس إلا، لذلك فهو والمتعاونون معه يرغبون بإعلام قيادة الحزب الشيوعي بأهمية التعاون بينهما في قيادة السلطة القادمة. وحينذاك سأله مكرم اسئلة كثيرة من قبيل مَنْ معكم ؟ وماذا تنوون فعله ؟ فكانت ردود البكر غامضة ولم يعط مُحدّثه أي تصور عن كيفية التعاون المطلوب، لكنه كرر عليه : نريد سلاماً وتعاوناً مع الشيوعيين ولا نريد تكرار تجربة ١٩٦٣.

عرض مكرم الطالباني الامر على حزبه الذي كان يشتبك حينها في مفاوضات هامة مع حزب البعث (اليسار) والحركة الاشتراكية العربية والاكراد لإعلان جبهة وطنية تكون مقدمة لاستيلاء الائتلاف الوطني على السلطة. وحصل داخل الحزب الشيوعي نتيجة لذلك اجتماعات ونقاشات كثيرة، مال خلالها الشيوعيون إلى الحلف مع البعث اليسار والحركة والاكراد، لكنهم رأوا ايضاً : اذا كانت جماعة البكر قريبة من الانقلاب على السلطة فعلاً، فلا بأس من الانتظار قليلاً ورؤية النتيجة.

وبذلك استطاع البكر كسب حياد الحزب الشيوعي وتلكؤه في حسم امره داخل المفاوضات الجارية لإعلان الجبهة، بل ادى ذلك التباطؤ إلى تأخير اعلان الجبهة التي انتظرها الشارع السياسي العراقي بصبر نافذ لمدة اسابيع كانت كافية كي تُبرم الصفقة بين النايف والبكر في اجواء مطمئنة تغيب فيها المنافسة مؤقتاً.

وحصل فعلاً إنقلاب ١٧ تموز غير المفاجئ، وكان الشيوعيون حتى تلك اللحظة مرتبكين حول كيفية التعامل مع الاحداث وتقوم الموقف، خصوصاً بسبب إتصال البكر بمكرم ووعدده له. وفي اليوم التالي للانقلاب ذهب عزيز محمد السكرتير الاول للحزب إلى بيت عضو المكتب السياسي باقر ابراهيم الموسوي وبعد مناقشة إتفقا على عدم قطع الرأي، والاكتفاء بتقاسم مطالب وانتظار النتائج. ثم حضر المرحوم مهدي عبد الكريم عضو اللجنة المركزية الذي وافق على ما إتفقا عليه، وإلتحق بهم بهاء الدين نوري الذي رفض بشدة وحذر من مغبة عرض المطالب الاصلاحية ومن خطر إعطاء النظام الفرصة قائلاً : ان جماعة البكر "فاشست" ولا يستحسن ان تُترك لهم الفرصة للتريث والتنفس، ويجب علينا رفع شعار إسقاط السلطة فوراً. واخيراً إستقر الموقف على عرض المطالب والتمزام الهدوء والحذر.

وذهب مكرم الطالباني إلى البكر مكلفاً من قيادة الحزب ، وقال له : سيادة الرئيس كنا معارضة وإتفقنا على التعاون بعد استيلائكم على السلطة. فرد البكر متنكراً لوعده : "كنت اريد ان ادخل إلى القصر الجمهوري وعلى يميني بعثي وعلى يساري شيوعي، لكنكم لم تكونوا موجودين". ثم استدرك وتحدث مطولاً حول عدم قدرته تنفيذ ما وعد به متعكزاً على وجود تناقضات داخل السلطة، خاصة وان عبد الرزاق النايف وابراهيم الداود يشاركانه السلطة وهما عدوان للشيوعية[20].

رابعاً مع نعمة كاظم الرماحي : ونعمة (ابو جعفر) من قيادي البعث في النجف الاشرف، ومن منبت عمالي، إمتلك على طول الخط شعبية واسعة بين العمال، ميّزته عن اقرانه البعثيين في عدم تحوله بعد الانتماء إلى الحزب إلى "افندي"، وإنما ظل على سجيته الشعبية المتواضعة، مباشراً وليس فظاً، لكنه كان متحمساً ومبدئياً. وبعد سقوط سلطة حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ بفترة، ذهب مع وفد حزبي من منطقة النجف ومحيطها لمقابلة احمد حسن البكر في داره بعد ان إتفقوا فيما بينهم على مخالفة البكر وتحمله مسؤولية فقدان الحزب لسلطته. وخلال ذلك اللقاء الذي ضم صديقي ابو طيخ ومحمد الجصافي ومهدي الشوكتي وعبد الحسين الرفيعي ونعمة كاظم وغيرهم، استطاع البكر ان يغمز نعمة ويتقرب اليه ويعدّه خيراً ١١ ويذكره بقرابته له (يدعي البكر انه رماحي ايضاً، واتصل مرة بشيخ الرماحيين في النجف "نجم عبود خلف" خلف لتأكيد تلك القرابة، وله في هذا المجال قصة ليس هنا مجال ذكرها)، وأثر ذلك بنعمة كاظم الذي ترك رفاق طريقه ليلتحق بخط البكر (اليمين)، بل انه زاره مرات كثيرة وتفرغ لإدارة عمل تنظيمات حزب البكر في الفرات الاوسط، ومنح ٢٠٠ دينار اشترى بها سيارة لتسيير الشؤون الحزبية والتنقل بين المدن والأرياف. وبعد مرور فترة طويلة تعطلت السيارة وحاول اصلاحها او إرجاعها للحزب، فلم يجد من يهيمه الامر، لأن الظروف السياسية لم تكن مواتية، فتركها في مرآب للسكراب.

وتدور الايام ويصل حزب البكر ونعمة للسلطة، ويحصل الاخير على موقع حزبي محلي متميز، لكن احباب السلطة كثيرون ويتنافسون على كل شيء، وتكثر مؤامراتهم التي عانى منها نعمة، فيلجأ إلى صديقه احمد حسن البكر. بمعية وفد كبير ضم وجهاء وتجار مدينة النجف سافر بهم إلى بغداد واستقبلهم البكر. وبسبب حاجة نعمة إلى الظهور. عظمير الصديق الذي ترتفع التكاليف بينه وبين رئيس الجمهورية اخذ يناديه "ابو هيثم" ويضع يده على كتفه عند التصوير ويمارجه، وكان الرجل بحاجة لذلك لينقل النجفيون ما يشاهدونه من ود ورباط بين "ابو جعفر" و "ابو هيثم" إلى أهالي المدينة.

وعندما أُرِفَ وقت خروج الوفد أشار البكر إلى نعمة بالبقاء قليلاً، ففرح لهذه البادرة، وعندما خلاهما المكان، سأله البكر: اين السيارة الحزبية التي سلمها لك الحزب، فقد كلفتني

القيادة ان اسألك عنها ؟ فبهت نعمة من هول المفاجأة، لكنه شرح للبكر ما آلت اليه، وأضاف انه ليس بحاجة إلى ثمنها وانه كان دائماً ميسوراً ولم يكن بحاجة إلى مساعدة من احد (وكان صادقاً)، ثم اقترح ان يعيد للحزب قيمتها من جيبه الخاص. فرد البكر : ان ثمن السيارة السابق يعادل الآن بالنسبة الينا مليوني دينار، فقد كنا خارج السلطة والآن بيدنا العراق كله.

ويبدو ان البكر انزعج من تصرفات نعمة معه امام الوفد النجفي، فضلاً عن اخبار وتقارير وصلت ضده من مكتب العلاقات العامة لانه تورط واختلف مع رجالهم في النجف إضافة إلى فقدان البكر حاجته لنعمة. ولم يمض وقت طويل حتى وصل إلى منطقة الفرات الأوسط، وقد حزبي من القيادة القطرية برئاسة صلاح عمر العلي للتحقيق في الخلافات الحزبية المحلية في أكثر من قضية وكان من بعض نتائج فقدان نعمة كاظم لموقعه الحزبي وتجميده.

خامساً : مع جماعة بيروت التي تضم ناصر الحايي ولطفي العبيدي وعبد الرزاق الناييف وابراهيم الداوود. وهذه الجماعة اتصلت بواسطة الحايي والعبيدي وآخرين بعبد العزيز العقيلي ورجب عبد المجيد وعبد الستار عبد اللطيف واحمد حسن البكر، كل على حدة. وبصورة غير مباشرة بمنذر الوندائي وحركة القوميين العرب [21]. وكانت تفضل الاتفاق مع العقيلي، لكنها وجدت، بعد رفض الوندائي وحركة القوميين العرب، السهولة والشروط الميسرة لدى احمد حسن البكر. وكان لدى الجماعة مشروع انقلاب جاهز، وتحتاج "تمثيليتهم" إلى متعاون له سابقة سياسية، يعطي الانقلاب مبرراً وغطاء سياسياً. وكان البكر سخيًا وموافقا على كل الطلبات، لانه سينكت، ويسترد كل شيء بعد حين !! وفعلاً وبعد ايام من الانقلاب نفذ خطته وانقلب على حلفائه الجدد، الناييف (رئيس وزراء) وناصر الحايي (وزير خارجية) وعبد الرحمن الداوود (رئيس اركان الجيش). ونقل الي احد قادة السلطة (حينذاك) ان البكر همس في اذنه في ٢٥ تموز ١٩٦٨ قائلاً : اعطونا "مهلة" وستشهدون نهاية الناييف والداوود.

وقتل الحايي وهرب الداوود واغتيل الناييف وظل العبيدي خارج الوطن حتى الموت. وذكر لنا هلال بلاسم الياسين (شيخ ربيعة) وهو عديل عبد الرزاق الناييف، في دمشق بدار سهيل السهيل وبحضوري (علي كريم سعيد) ومظفر النواب والشيخ طالب السهيل وباقر ياسين، ان احمد حسن البكر ارسل اليه رسولا معتمداً إلى القاهرة يعرض عليه قتل عبد الرزاق الناييف بأية وسيلة يجدها مناسبة، ويفضل ترتيب الامر لشخص ثالث يدس له السم، مقابل تلبية جميع طلباته. ويدعي هلال الياسين انه ابلغ رسول البكر رفضه، قائلاً : اننا عرب وترفض طبيعتنا هذا النوع من الغدر. وادعى ايضاً انه كان حينذاك يمول الناييف ويساعده.

والغريب ان هلالاً عاد للعراق بعد أقل من عام واحد، فوراً إثر غزوة الكويت، وذلك يلقي ظلالاً وغموضاً عليه وعلى اساليب السلطة وعلى مقتل عبد الرزاق الناييف.

مراجع:

- [1] حسن مصطفى النقيب - لقاء في كردستان العراق ١٩٨٢.
- [2] د. جليل العطية، نقطة ضوء، جريدة الوفاق، ٥ حزيران ١٩٩٧.
- [3] د. جليل العطية، فندق السعادة ... وأكد ذلك الكاتب مير بصري في كتابه: اعلام السياسة في العراق.
- [4] احمد الحبوبي، ليلة المهري، مخطوط.
- [5] د. تحسين معلقة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [6] ميشيل عفلق، جريدة الاخبار، بيروت، ١٧ شباط ١٩٦٣، ونشرها بطاطو في كتابه (العراق) جزء ٣ صفحة ٣٤.
- [7] حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، مرجع سابق، صفحة ١٧١.
- [8] عبد الكريم فرحان، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [9] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، صفحة ٢٦٣.
- [10] هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مرجع سابق، صفحة ٣٤٤.
- [11] د. تحسين معلقة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
- [12] اسعد الفريخ، مدير مكتب رئيس الوزراء حينذاك، حديث مع احد كوادر حزب البعث في معتقل قصر النهاية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨.
- [13] صفاء الفلكي، مقابلة.
- [14] صفاء الفلكي، مقابلة.
- [15] حسن العلوي، اسوار الطين، مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠١.
- [16] مسعود البرزاني، لقاءات في ١٩٨٢ خلال "الثورة العراقية" بحضور اللواء الركن حسن مصطفى النقيب، وشناوة طاهر حسنين (ابو رياض).
- [17] مشعان الجبوري، حديث لتلفزيون MBC الشرق الاوسط.
- [18] سعد البزاز، مقابلة، لايدن هولندا، ١٩٩٧.
- [19] راجع حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
- [20] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
- [21] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق. ومقابلة مع بعثي رفض ذكر اسمه.

أوراق ورسائل شخصية

رسالة إلى جورج بوش

فخامة الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هجمة الشتاء القارس في الحدود العراقية ستكون شديدة بالنسبة إلى العراقيين لا سيما الأطفال وحديثي الولادة والمرضى، كما كان الصيف قاسياً أيضاً عليهم. وقد نتج عن النقص الحاد في التجهيزات الطبية والغذائية والطاقة الكهربائية في المستشفيات والعيادات الطبية وشحة مياه الشرب النظيفة وفاة الآلاف من الأطفال العراقيين تحت الخامسة. وقد أكدت ذلك دراسة أجراها فريق بحث طبي من جامعة هارفارد في باريس عام ١٩٩١. ومنذ ذلك الوقت أشارت جميع التقارير والتقديرات التي وضعها نفس الفريق وفرق أخرى كأطباء بلا حدود ومنظمات إنسانية ووسائل إعلام دولية، إلى هذه المأساة المروعة. وإن هذه التقارير على قوتها لا تمثل سوى القليل من أبعاد المأساة لأن سبل الحصول على معلومات من قبل وسائل الإعلام والمنظمات الإنسانية والأجهزة التابعة للأمم المتحدة تخضع لقيود شديدة جداً تمارسها السلطة العراقية في بغداد وفي بقية المدن العراقية الأخرى.

إن مئات الآلاف من الناس الذين هربوا من جحيم صدام حسين بعد قمع الانتفاضة الشعبية ولجأوا إلى الأهوار ومناطق نائية هناك دون أن يعلم العالم عنهم أي شيء. ومن نافلة القول أن نذكر أن حصص الغذاء كانت توزع من قبل النظام على أسس عشوائية تماماً، وهناك العديد من الانتفاضات غير المنظمة التي انطلقت في أجزاء من بغداد بسبب مشاكل غذائية وصحية، وقد تم إخمادها من قبل قوات الأمن. ولا يمكن بأي حال من الأحوال عقد الآمال على تلك الانتفاضات في إسقاط النظام. إن الوحشية والقسوة التي استخدمت في إخماد الانتفاضة الشعبية في العديد من مدن العراق حيث فقد النظام سيطرته، تشير إلى طبيعة النظام وازدراؤه وامتهانه للحياة الإنسانية.

ولعل المجموعة الدولية قد أصبحت على درجة كبيرة من الوعي بالنسبة لهذه المأساة المتفاقمة،

فالقرارات التي أصدرها وتبناها مجلس الأمن (٧٠٦ ، ٧١٢) في عام ١٩٩١ ، حول السماح للعراق ببيع كميات محدودة من النفط أخذت بعين الاعتبار الموقف المتردي السائد في العراق، وقد أبرز مجلس الأمن في تلك القرارات قلقه على الموقف الصحي والغذائي للعراقيين، والخطورة الناجمة عن تفاقم مثل هذا الموقف، وقد نصت هذه القرارات على استخدام مبيعات النفط لتمويل شراء مواد غذائية وطبية للشعب العراقي وتقديم مساعدة إنسانية مناسبة. وجاء رفض النظام العراقي لهذه القرارات على أساس أنها تنتهك سيادته الوطنية، في حين تشير الحقائق إلى أن النظام قد برهن مراراً وتكراراً على أنه لا يكثر إطلاقاً بحياة وصحة الشعب العراقي، وهم الوحيد أن يحافظ على سلطته الديكتاتورية الجائرة.

إن هذا النظام يعطي ويمنع الناس الغذاء والدواء ويستخدمه كنواب أو عقاب بهدف إخضاع لديكتاتوريته. إن هذه السلطة وزبائيتها تحاول أن تستثمر قلق المجتمع الدولي لا سيما في العالم العربي والإسلامي للتأثير في العقوبات التي تفرضها الأمم المتحدة.

إن فشل العقوبات الدولية في التخفيف من معاناة الشعب العراقي قد سمح لصدام حسين أن ينجح في تحقيق هدفه المذكور، وقد ساعده على ذلك إخفاق القرارات الدولية (٧٠٦ - ٧١٢) في تحقيق النتائج المرجوة لأنها لا تملك آلية تنفيذية فعالة بل ظل أمر تنفيذها مرهوناً بإرادة النظام العراقي.

لقد صرح قادة التحالف مرات عديدة أن جهودهم متوجهة ضد نظام صدام حسين وليس ضد الشعب العراقي. كما طلبوا من الشعب العراقي أن ينتفض ضد صدام، وقد قام الشعب بذلك واستلم زمام الأمور في العديد من المحافظات العراقية، لكن قوات صدام حسين قامت بإخماد الثورة (الانتفاضة) مستخدمة الدروع والمدفعية على نحو وحشي وعلى مرأى ومسمع من العالم الذي لم يحرك ساكناً، مما نتج عنه هذه المعاناة. إنها مأساة ومفارقة أخلاقية ساخرة تمثلت في موت أطفال العراق في حين صدام حسين ونظامه باقيان.

في ضوء هذا الموقف الذي لا يحتمل، على مجلس الأمن أن يتخذ إجراءات عاجلة وفعالة في التخفيف من وقع هذه المأساة الإنسانية ولذلك نقترح على الحكومات العضوة في مجلس الأمن عقد اجتماع عاجل لدراسة التدابير والإجراءات التالية:

١ - الإدانة القوية لسياسة عدم امتثال الحكومة العراقية لقرارات مجلس الأمن (٧٠٦، ٧١٢) وإعاقة الجهود التي تبذلها منظمات إنسانية متعددة للتخفيف من معاناة الشعب العراقي.

٢ - أن ينشئ المجلس لجنة خاصة ذات صلاحيات لتتولى أعمال التخفيف من معاناة

الشعب العراقي.

٣ — إنشاء صندوق دولي خاص لدعم هذا المجهود، على أن يبقى تحت إشراف وإدارة اللجنة الخاصة المنبثقة عن مجلس الأمن.

٤ — الطلب من الدول الأعضاء المالكة لأرصدة العراق المجمدة أن تفرج عنها بنسبة تصل إلى ٢ بليون دولار لتمويل جهود الإغاثة.

٥ — الطلب من الدول الأعضاء أن تساهم وتسلم اللجنة الخاصة أموالاً بقدر يتناسب مع قدراتها على الإقراض والمساعدة. وتحمل الحكومة العراقية مسؤولية تسديد هذه القروض مستقبلاً بطريقة مماثلة لتلك التي شرعت لتعويض ضحايا العدوان العراقي ضد الكويت.

٦ — الطلب من الدول التي فيها منصات لتحميل النفط العراقي والتي تقف فيها بواخر حاملة للنفط العراقي ببيعه بواسطة اللجنة الخاصة وتحويل الأموال إلى الصندوق الدولي الخاص.

٧ — الطلب من الدول المجاورة للعراق تسهيل عمليات شحن الغذاء والدواء والضروريات الأخرى بكل الوسائل الممكنة إلى داخل العراق.

٨ — تتولى اللجنة الخاصة تنسيق العمل مع الوكالات المختصة التابعة للأمم المتحدة ومع كافة المنظمات الإنسانية والخيرية باتجاه دعم جهود الإغاثة.

٩ — يطالب مجلس الأمن الحكومة العراقية بالتخلي عن التدخل أو إعاقة جهود لجنة الإغاثة الخاصة وتسهيل عملها بالسماح باستخدام الغذاء والدواء وتوزيعهما تحت إشراف الأمم المتحدة.

١٠ — يتولى مجلس الأمن تقديم الحماية والأمن لفرق ومراكز توزيع المساعدة التي تعتبرها اللجنة الخاصة ضرورية لتنفيذ هذا الأمر.

إن هذه المقترحات التي قدمت نوقشت من قبل فصائل المعارضة العراقية وحكومات معينة أخرى ولاقت تأييداً عاماً وستقدم إلى رئيس مجلس الأمن وأعضائه.

نلتزم من حكومة الولايات المتحدة والحكومات الأعضاء في مجلس الأمن والأمم المتحدة أن تبادر إلى اتخاذ إجراءات عاجلة وفعالة للتخفيف من هذه المأساة الإنسانية التي يعيشها الشعب العراقي.

إن مجلس الأمن وقوات التحالف التي شاركت في تحرير الكويت تتحمل مسؤولية خاصة تجاه دعم المجهودات الإنسانية الضرورية جداً للشعب العراقي.

إن الحماس والجهد الذي قدمه مجلس الأمن للبحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية

وتدميرها ومنع استخدامها، كان يجب أن يوزايه بمجهودات وحماس أكبر للحيلولة دون استمرار معاناة الشعب.

وإذا كنا نؤمن بحقيقة النظام العالمي الجديد وبأهدافه فإن هذا الإيمان يجب أن يتعزز بالعمل باتجاه أن تكون حقوق الإنسان وكرامته واحترامه مكفولة وواحدة لا تتجزأ.

طالب شبيب

واشنطن — ١٩ تشرين الثاني ١٩٩١

رسالة إلى عبد الله بشارة

معالي الشيخ عبد الله بشارة المحترم
أمين عام مجلس التعاون الخليجي
أخي الكريم

تحياتي لكم وللأسرة الكريمة وتحيات بهاء وأسرته حيث أنني معهم هذه الأيام والخص
لكم بعض الجهود والأمور التي تمت خلال الأيام القليلة الماضية:

١ — زرت واشنطن في الفترة من ١٧ — ٢٣ الجاري لتقدم المذكرة المرفقة إلى الرئيس
الأمريكي كما قدمت المرفق إلى رئيس مجلس الأمن الدولي لأن المجلس سيبحث في الثاني من
كانون أول (ديسمبر) قضية الحظر الاقتصادي على العراق — وأكون شاكرًا — لملاحظاتكم
حول مقترحائنا المتضمنة في الرسالة إلى الرئيس بوش حول عمليات إغاثة الشعب العراقي وذلك
لخبرتك العميقة والطويلة بأعمال مجلس الأمن ولما تقترحونه بهذا الشأن.

التقيت أثناء الزيارة بمسؤولين من كل الجهات الأمريكية التي لها شأن بقضية العراق
ووجدت للمرة الأولى بعد انتهاء الحرب أن الجو يتجه إلى تحرك سريع ينهي حالة الجمود
ويعالج استمرار صدام في السلطة بشكل جدي وإنني متفائل بجدية المسعى والعزم. وقد قلم الأخ
بهاء في ٢٥ الجاري بزيارة مكمله لاستكمال البحث والأمور التنفيذية والإجرائية.

قابلت سمو الأمير بندر لفترة طويلة وكان في غاية التفاؤل والعزم وأخبرني بمقابلته نفس
اليوم لكل من بيكر والرئيس بوش وغادر إلى المملكة في نفس الليلة لمتابعة الموضوع ذاته.

اعتقادي أن قرار العمل الجاد قد تم اتخاذه وما هو مطروح للمناقشة على أعلى المستويات هو
البحث في أنجع البدائل للعمل، ولا شك أنك مطلع على الأمور ومتابع لها، ولا بد أنك
لاحظت أن الصحف الغربية صعدت الحملة على صدام والصحافة العربية مليئة بالتوقعات.

٢ — بحثنا مع وزاري الخارجية الأمريكية والبريطانية مشاركة وفد شعبي عراقي يتواجد في
مؤتمر دكاكر للدول الإسلامية وأكدوا الفائدة الكبيرة من حضور وفد موحد يجابه دعايات
ونشاط الوفد الحكومي العراقي.

الأمر نفسه تم بحثه مع سمو الأمير بندر الذي إضافة إلى دعمه للمشروع أبدى الاستعداد
الكبير لتذليل العقبات أمام تواجده وتسهيل مهمته.

وإلى جانبنا نعمل مع المجموعات العراقية المتواجدة هنا ولندن ودمشق والسعودية وطهران وغيرها، ووجدنا توافقاً في الرأي وربما للمرة الأولى استعداداً للعمل المنسق والموحد بما في ذلك الأكراد. والصعوبة هي في الحصول على سمات الدخول إلى السنغال ولعل بإمكانكم العون، إضافة إلى جهود المملكة والأمير بندر.

أعتقد أنكم ستكونون متواجدين في المؤتمر ولا شك في دعمكم وإرشادكم للوفد ليتحسن أداء مهمته وسيكون في رئاسة الوفد اللواء حسن النقيب والسيد محمد باقر الحكيم أو أخوه عبد العزيز، عن الأكراد محسن دزة نبي أو شخص بمقامه إضافة إلى الأطراف العراقية الأخرى.

رجائي وأملّي بذل جهودكم الخيرة في دعم المسعى مع الأخوة أعضاء المؤتمر من دول الخليج وخصوصاً دولة الكويت لما سيكون لذلك من أهمية معنوية تؤثر في الآخرين.

ولك منا جميعاً ولأسرتكم تمنياتنا بالصحة والخير وتعبيرنا عن المحبة.

أخوكم

طالب الشيب

سان فرانسيسكو — ١٩٩١/١١/٢٩

رسالة إلى عبد الله الأحمر

الأستاذ الرفيق عبد الله الأحمر

الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي — القيادة القومية — دمشق

١٩٩٢/١/١٢

الأخ الكريم أبا جهاد،

لم تتح لي فرصة توديعكم عند مغادرتي دمشق ولكنني أبقى شاكراً ووفياً لما لقيته دائماً من الرعاية وحسن الاستقبال.

بعد عودتي أجريت اتصالات واسعة في الأوساط الغربية، رسمية، سياسية وإعلامية، فوجدت قناعات ومؤشرات أرى من واجبي إطلاعكم عليها وهي ليست أكيدة بالضرورة ولكنني مقتنع بصحة ما أعلمكم به إلا إذا لسوء التقدير أثبت العكس.

إن قضية العراق أصبحت، كما تستحق، أسبقية دولية من حيث سياسة الولايات المتحدة ومعها التحالف الغربي في ترتيب الوضع السياسي الجيوغرافي لوطننا وفقاً لمعطيات جديدة لا زالت غير واضحة أو معروفة بالكامل. لذا فإن ما أكتبه هو ملاحظات ومقترحات للنظر وفقاً لما تربطنا من أواصر.

١ — لقد مرت فترة كان الهدف فيها منذ مؤتمر بيروت هو تحديد وتحجيم دور سوريا وذلك عن طريق جر التيار الإسلامي ممثلاً بإيران والقيادة الكردية عبر هذا الطريق.

٢ — إن محل انعقاد المؤتمر هو قضية مركزية لا أحتاج لشرح أهميتها وإن قضية التمويل هي أرحص وأدنى أطروحة لحركة كفاح سياسي.

إن فكرة عقد المؤتمر في المنطقة الكردية أمر مبالغ في التفاؤل وفي قناعاتي غير قابل للتحقيق عملياً، وإن مثل هذا الأمر حتى لو قبل من طرف الأكراد سيساهم في تمزيق الحركة الكردية وهو ليس بصالحنا، كما أنه سترك الأمر لصدام وأجهزته بإنهاء المؤتمر قبل ابتداءه بعمليات لا يزال قادر عليها من شأنها أن تؤجل المؤتمر أو تدخله في تعقيدات جديدة مما قد يتبع بعض أفراد المعارضة إلى طرح فكرة اللجوء إلى المقر الذي لا ملاذ عنه وأعني بذلك السعودية.

٣ — إن اعتبار مؤتمر بيروت الأول فاشلاً هو أطروحة أعداء الخط العروبي لأنهم لم

يكونوا أصلاً لا مع الشعب العراقي ولا قضيته وعرويته، بل كانوا مع صدام ولأن سوريا التي ارتبط بها خط معارضة صدام طوال عشرين عاماً كانت معقل التحضير والتأمين والحماية نجحت في ذلك كل النجاح.

٤ — أما أطروحة مصر فهي كاذبة أصلاً، لأن مصر ليست رغبة واقعياً وحتى ولو وافقت فيامكانها أن تراجع في آخر لحظة وربما بضغط من السعودية لكي تكون بالنتيجة المكان الوحيد المؤهل. وفي هذه الحال يكون أمراً لا يمكن رفضه لأننا لم نعد البدائل والاحتمالات مسبقاً.

٥ — إنني أعتقد أن مكان المؤتمر المثالي هو لبنان وبالإمكان كما سبق أن تثبت قضية تأمين الحماية والإدانة والتنظيم. كل ما نحن بحاجة إليه وبدون حرج هو التواضع في العهد بالمسؤوليات، ولا زلت أتذكر ملاحظتكم القيمة في أول مقابلة معكم بعد المؤتمر بأن المهمة هي توحيد التيار القومي وإنعاشه وأعتقد أننا قمنا بما هو متاح لنا من إمكانيات بما يجب حيث سيطرت مبادرات التيار القومي في الأشهر الماضية على ساحة المعارضة العراقية ولكن يعوزنا الكثير من توافر الثقة والتنسيق في تقديرنا للعناصر التي قبلنا أن تكون محسوبة على التيار القومي وتقدير ثباتها وأهميتها وقدرتها على المواجهة عند الحاجة.

٦ — إن الاعتراض حول لبنان سيطرح ولكن ذلك يجب أن يكون متوقعاً من قبلنا وأن نتهياً مسبقاً بمكان أو مكانين على الأقل كبداية عملية مدروسة آخذين بالاعتبار قضية الأمن والتعامل مع الكلفة المالية ويجب أن تكون القضية المالية آخر اهتماماتنا لأن معارضة لا تستطيع جمع المال لعقد مؤتمر لن تتمكن من مواجهة نظام يملك كل الأموال. أعتقد أن بإمكاننا التعامل مع هذا الموضوع عن طريق التبرعات من العراقيين والعرب في أوروبا وأمريكا.

٧ — عروجاً على الذي اعتبرناه لحد الآن ضمن التيار القومي، اعتقد ضرورة إعادة البحث والتمحيص لنكون على أرض صلبة عند انعقاد المؤتمر. وإذا كنتم تقدررون له أهمية مصيرية يجب أن يسبق ذلك عقد لقاءات مشتركة يتفق فيها مسبقاً على المواقف الرئيسية الواجب اتخاذها وفي كل الأحوال يجب أن نحرص على أن لا يبدو وكأنه خصوصية سورية أو جناح للبعث أو من يحسب عليه.

٨ — أعتقد أننا حققنا كتيار قومي جهداً حسناً وأعتقد أننا أصبحنا بديلاً مقبولاً لنظام صدام على الصعيد الداخلي والعربي والدولي، المهم أن يكون موقف الدولة والحزب والمنظمات الحليفة متسماً بالموضوعية.

٩ — إن الدول الغربية وبما فيها أولاً أمريكا يهملها (حالياً) إزاحة صدام ويعولون كثيراً على الصورة التي تبرز أمام المجتمع الدولي وأنتم في الأمر أعرف. ولذلك فإن التواضع في إبراز الاتجاه

الإسلامي في المؤتمر سيكون له تأثير إيجابي في الساحة الدولية والأهم من ذلك التأثير داخل العراق من ناحية تطمين البعثيين والعسكريين، كما أن من أهم أهداف المؤتمر إبراز صيغة قيادية مقبولة داخل عراقنا وكذلك إقليمياً وعربياً ودولياً.

١٠ — إنني إذ أوجه هذه الرسالة إليكم مدركاً معرفتكم واطلاعتكم وتقديركم للأمور وأهميتها، إلا أنني واثق بأن هذا الموضوع يستحق القرار المباشر والسريع ولذا أرجو أن يتخذ قراراً سريعاً بعقد المؤتمر في بيروت وإعلان ذلك لتمكين من العمل في أوساط العراقيين في المهجر على تأمين الدعم المالي، وكذلك تهيئة الإعلام العالمي على أن نكون في نفس الوقت قد هيأنا البديل المعد والمدروس غير مصر والسعودية وذلك منعا للمناورة وأن نكون مستعدين لكل طارئ.

مع التحية والاحترام.

أخوكم

طالب الشبيب

رسالة إلى كمال خرازي ممثل إيران الدائم في الأمم المتحدة

الأستاذ كمال خرازي — الممثل الدائم للجمهورية الإسلامية الإيرانية في الأمم المتحدة

١٩٩١ / ١٢ / ٢

فخامتكم... لي الشرف أن أقدم لكم الرسالة الموجهة إلى رئيس مجلس الأمن والمؤرخة في ١٩٩١/١١/٢٨ والرسالة المقدمة للرئيس بوش في ١٩٩١/١١/١٩.

وقد بينا فيها الموقف المأساوي الذي يواجهه الشعب العراقي المسلم والمعاناة التي يزرع تحتها والتي هي بأمس الحاجة إلى علاج فوري.

نحن على ثقة أن فخامتكم وحكومة جمهورية إيران الإسلامية وشعبها سيستجيبون بالدعم والتأييد كما كانوا كذلك دائماً وسيقدمون كل مجهود ممكن في هذا السبيل.

طالب شبيب

رسالة إلى قاسم حوّل

الأستاذ قاسم حول

ملحمة الحسين بكربلاء تعكس في معانيها الإنسانية كل عوامل وملامح التراجيديا التاريخية. وهي لذلك ارتفعت عن المحلية لتعكس تراجيديا عالمية مميزة. تراجيديا كونية أثبتت قدرتها على التأثير المتواصل أكثر من التراجيديات التي سبقتها كاليونانية والرومانية. فمأساة الإمام الحسين بحكم الرواية والشهادة والتاريخ، ظلت حية ومحفزة لكل مسلم وعربي وعراقي على وجه الخصوص باعتبار وقوعها على أرض العراق. فلا زال دمها حاراً ومأساتها ماثلة، ونعيشها في ذاتنا الإسلامية والقومية على أنها جرح لم يندمل رغم مرور القرون.

ولهذا كان لا بد أن تحتل مكاناً مرموقاً في أعمالنا الفنية، فهي ملحمة تاريخية وجزء من التاريخ العربي، فمنذ أن سقط الإمام الحسين — أمير الشهداء — في طف كربلاء، لم تكف الأقلام والأفكار والمشاعر من تحسس تلك الذكرى وذلك المشهد ومن إقامة بحال العزاء والتأين. وإن محاولة تقديمها في عمل سينمائي باسترجاع ملحمة سيدنا الحسين في هذا الظرف هي أكثر ضرورة. فهو وقت يفرض على المخلصين استقراء الكينونة العربية والإسلامية لفهم عمقها وأسرارها. ولكي نستطيع بواسطتها أن نستعيد ذكرى أروع ثورة ضد الظلم، والحق ضد الباطل، والرجولة ضد الجبن. لذلك أرى أنها محاولة جريئة، يتعين لها كل مخلص التوفيق ويدعو أن لا تصيبها سهام التشكيك والخبث بأذى.

رسالة جوابية من آل غور^(١)

مجلس الشيوخ الأمريكي — واشنطن دي. سي. ٢٠٥١٠

في ١٠/٥/١٩٩١

عزيزي السيد شبيب،

شكراً لاتصالك بمكتبنا، ويسرنا الاستماع إليك، تقلقني كثيراً أخبار المأساة التي يعيشها العراق والاستجابة المتأخرة للرئيس بوش، وخلال الأزمة التي شهدتها الخليج "الفارسي" حث الرئيس (بوش) الشعب العراقي على الانتفاضة وإسقاط صدام حسين، والآن وبعد قمع الانتفاضة التي قام بها الشيعة والأكراد، فإن على الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة مسؤوليتها الإنسانية الضرورية، وعلينا أن نتعامل بسرعة وعلى نطاق واسع مع الأفواج الهائلة من اللاجئين الذين يعبرون الحدود الدولية إلى تركيا وإيران. وإني أساند بقوة تحذير الرئيس بوش الموجه إلى صدام حسين إذا ما قام بعمليات هجومية شمال خط عرض ٣٦، وأساند بقوة أيضاً إنشاء معسكرات لإيواء اللاجئين في شمال العراق. وأتمنى لو أننا نسرع كثيراً بهذا الاتجاه.

إن حالة اليأس التي يعيشها اللاجئون لا يمكن أن توصف وأن جهودنا يجب أن توازي ذلك كثافة وقوة، فهناك حاجة ماسة جداً لتحقيق ذلك إضافة إلى الإسراع في تقديم المساعدة إلى الأكراد على طول الحدود مع تركيا ومع إيران. وعندما يحين الوقت لانسحاب قوات التحالف من القسم المحتل من جنوب العراق، فإن مصير اللاجئين سيكون موضع تساؤل بسبب عدم تأكدنا ما إذا كانت الحماية التي ستقدمها القوات الدولية ستكون كافية أو أنها تمتلك السلطة أو التحويل لتقديمتها.

أعتقد أن على الأمم المتحدة أن توضح وتعزز سلطتها في هذا الجزء من العراق. وفي النهاية علينا أن لا ننسى أن العراقيين سواء منهم اللاجئين أو الذين ما زالوا يعيشون في المدن الكبيرة سيواجهون خطراً جديداً ويتمثل في الطقس الحار ونقص التجهيزات الصحية ومياه الشرب، الأمر الذي سيتسبب في انتشار بعض الأوبئة.

وكانت الولايات المتحدة قد تمكنت خلال تحريرها الكويت أن تقود هذه المحاولة قيادة عسكرية مرموقة. والآن عليها أن تستخدم تأثيرها في اتجاه التوصل إلى نتائج إيجابية بناءة. بالإضافة إلى الهدف المتمثل في التخفيف من معاناة الناس، فإن المطلوب من سياستنا على المدى البعيد أن تؤيد الجهود المبذولة باتجاه قيام حكومة في بغداد تحترم متطلبات وحاجات الشعب

١ — لم يكن قد أصبح نائباً للرئيس حينها.

العراقي.

ولمعلوماتك أرفق لك نسخة من البيان حول هذا الموضوع والذي وجهته مؤخراً إلى مجلس
الشيخ.

المخلص ألبرت غور

من الكونغرس الأمريكي — واشنطن دي. سي. ٢٠٥١٠

نحو طريق للعراق^(١)

يعجّ الجسم العراقي الجريح بالآلام والأمراض نتيجة جهالة وطغيان حاكمه وضياح وتعثر بدائله ومعارضيه.

ونحن عراقيون وعرب، والقلة معنا من الأصدقاء العارفين، يتعذبون وسط هذا الضياح والتضييع الكبير لبلد وشعب كانا أملاً للعرب والمسلمين، كللتهم أجداد عظيمة وأهلتهم كفءات كبيرة وأحاطت بهم تطلعات مشعة لم يبق منها، إلا رعشات نور شمعة.

هذه الشمعة المستهلكة تقريباً والمتبقي فيها بعض ضوء ليست إلا الصوت الخافت الأليم لصرخة الشعب المخنوقة خارجاً وداخلاً بأن لا بد لنا من الصوت القوي المسموع والرأي السديد المعقول وطريق العمل الذي يجمعنا يداً على يد لنكسر هذا الطوق الصديد المؤلم الذي أمسك برقبة الوطن وخنق المواطن. ولعله كذلك حمل آلامنا ووعينا لكل من له معنا صلة قربى في الدم أو الإيمان أو القلب.

لا نستطيع، كعراقيين، أن نعتذر عن ذنوبنا أو عيوبنا أمام أنفسنا أو الآخرين، لأننا منحنا الفرصة ولا نزال نملك مجملها ولكن لنقل أن هنالك خمول كبير ووهم بالعجز مصحوبين بتعب وطني شامل أصاب كل شريحة منا، شعباً وأمة، عقيدة ودين.

ولعل هذه الظاهرة من الإعياء الشامل، نصيب محتوم لما يكن أن تدفعه أمم وشعوب عالم سعى مستكشفاً لآفاقه ليرتطم بالبوابة الحديدية الثقيلة للنظام العالمي الجديد.

١ — ورد مشروع المقال المنشور أعلاه ضمن رسالة خاصة بي، وهذا نصها

عزيزي،

هذه مقدمة مقال آمل نشرها في جريدة "الحياة"، وستكون طويلة نسبياً، وأعتقد أن عليّ أمانة أن أكتب بوضوح وصراحة لتبيان الطريق الذي أعتقد به بعمق ودون رياء، لقد بلغت من العمر والتجربة ما يجعلني عاجزاً عن الكذب أو الخيانة، لذلك أرجو نصيحتك كأخ وصديق. هل أستمّر في الكتابة وإكمال المقال أو أن أسكت لأن في أمر الكتابة ألم ومعاناة وليس الأمر سهلاً.

أسف للإزعاج، آملاً في النصيحة.

ولك المحبة

طالب شبيب

دمشق ١٩٩٤

إنني أعتقد واثقاً دونما حاجة أن أقدم شروحاً أو مسيات بأن المسألة العراقية وليست الفلسطينية، هي حجر الأساس في كل ما يتم بقاءه أو انهياره فيما يسمى بخارطة الشرق الأوسط. ويستطيع من يشاء أن يتطلع ليعلم بأن السلم الإسرائيلي - الفلسطيني، والإسرائيلي السوري، وكذلك الأردني واللبناني لا يمكنه أن يتأكد أن يدوم، ما دام العراق، تلك القوة الكبيرة في الشرق الأوسط، لم تُقرر مصيراً حراً واعيّاً بعد، وبإمكانه أن يفجر كل شيء.

وبسبب ذلك فإن الأمر العراقي ليس حكراً على أبنائه وجيرانه ولا حتى الدول المؤثرة فيه، ولكنه أمر واسع وكبير يعم أمة العرب بكاملها وكافة من لهم تعاط حضاري في الفكر أو الثقافة أو في الجوار أو المصالح معه.

ليس في نظري، أي أمل للنظام القائم في التطبيع أو التعاطي مع النظام العالمي القائم. ومهما طال بقاء النظام وطال عمره فإنه آيل إلى الموت. هذه حقيقة يعرفها، رغم الخوف، بعض الأذكاء من أركان النظام وبعض المعارضة، كما تحاول تجاهلها للأسف بعض أطراف المعارضة لمعرفة منها بأنها ليست البديل الممكن حالياً.

في مقال لطبوعة "الملف العراقي" والذي جاء فيه: "أن المعارضة العراقية تفتقد القدرة على المبادرة عراقياً وعربياً ودولياً وستبقى تلهث وراء الأحداث أسيرة تبعيتها للإرادة الإقليمية أو الدولية، حيث أصبحت كورقة بيد تلك الأطراف الإقليمية أو الدولية".

الحركة القومية الكردية تعيش مأساة الاختناق بأحضان الغرب الذي شل إرادتها من خلال احتوائها بالحماية الجوية دون توفير مسببات العيش والنمو والمقاومة. تجد تركيا (التي تنطلق من قواعدها طائرات التحالف لحماية أكراد العراق) أن من حقها ضرب الأكراد بحجة القضاء على عناصر حزب العمال الكردستاني التركي، كما لجأت إيران لذات الأسلوب في شن الهجمات العسكرية داخل كردستان العراق، وتحت وطأة الضائقة المالية استطاعت تجنيد العديد من الأكراد العراقيين بإسم الإسلام وغيره من الشعارات لتكرس التدخل الإيراني، بما يزهق نمو الحركة القومية الكردية من سياسة اقتتال الأخوة.

وضع كردستان العراق الحالي لم يعد يهدد صدام حسين وأية محاولة أمريكية لاستخدام أكراد العراق للسيطرة مباشرة على بغداد ستعرض أمريكا لمواجهة مع تركيا وإيران، إضافة إلى مخاوف حرب أهلية بين العرب والأكراد.

إذ لم يكن بمقدور الأكراد لجم صدام حسين ومنعه من المغامرة خارج حدود العراق، فالأمر ينطبق كذلك وبحدة على التيار الإسلامي الشيعي، فأمریکا تخشى اتساع النفوذ الشيعي الإيراني بقدر خوفها من صدام حسين.

أعتقد أن ذلك بمجمله صحيح. فحرب الخليج بنتائجها العسكرية السريعة المذهلة لم تترك للنظام فترة للتفكير وقلما يفكر، ولا للمعارضة المهزوزة المنهكة ولا حتى للمتصيرين من الحلفاء لترتيب المستقبل. فكانت الانتفاضة المحكومة بكل عامل فيها وحولها بالاستشهاد، والموت الكردي في ثلوج الجبل ثم مناطق آمنة في الشمال ومنع الطيران في بعض الجنوب والوسط الخ.....

ومؤتمر بيروت للمعارضة العراقية عقد وسط هذه الأجواء وكان ثمة أمل في لقاء إقليمي يحتضن الجراح الراقية وتكون فيه القلوب السورية — السعودية والإيرانية حانية وكلها بمرحمة على الآلام العراقية، ولكن ذلك لم يحدث، والذنب كان فينا ولم يكن في غيرنا.

لقد تصورت المعارضة العراقية بأن المهم هو التقاط الغنائم ووراثه النظام. وبدأ كل يشحذ سهامه بحثاً عن داعم وإثبات لوجود وطعن كل المنافسين.

وفي ذلك خسروا وحدة الأيدي وفقدان المصداقية وما تبعها من تعب الأصدقاء وفقدان الثقة بيننا وبينهم ونكولنا عن التوجه إلى شعبنا في الداخل لأن التصور المحدود والاستقراء النفعي التجاري قادنا إلى الاعتماد الكلي على الخارج وعلى المنافسة في كسب الدعم منه.

لذلك لم يطرح الخطاب الوطني العراقي السليم حتى الآن وهو الأمر الأساسي المطلوب.

المطلوب ليس خطاب معارضة بل المطلوب هو خطاب الوطن.

خطاب الوطنية هو أن النظام أهان السيادة ليبقى وضحي بمقومات وحدة الوطن ووجوده ليبقى، وهدر ثرواته وآمال شعبه وأهان كرامته.

إن صدام كان وربما لا يزال يمتلك ترسانة متنوعة من الأسلحة الكيماوية منها أسلحة الخردل وغاز الثابون ومادة الثاليوم وهو السم المفضل لديه في اغتيال خصومه وكل من يشك في ولائه في داخل العراق وخارجه ولدى أجهزة مخابراته خبرة واسعة في استخدامها الفعلي وكذلك في استخدام أنواع الجراثيم التي يصعب تشخيصها.

أما الأخطار التي يتعرض لها الشعب في العراق من جراء تخزين هذه السموم وخصوصاً المواد الجرثومية التي قد يعم جميع المناطق المجاورة للعراق أيضاً، فلا يمكن المبالغة في جسامتها. وهنالك معلومات تشير إلى أن بعض المواد الكيماوية قد تسربت فعلاً إلى المياه وجميع من يعرفوا العراق يدركون سوء الصيانة والتخزين قبل الحرب، أما بعدها فالأمر أدهى وأخطر. ونعتقد أن صدام سيستمر في أسلوبه، ولذلك ستبقى الأخطار قائمة.

من هنا كانت المطالبة بخلق منطقة آمنة في وسط وجنوب العراق مسعى خائباً لأنه لن

يتحقق إلا بقوات أرضية. كلنا سمعنا عن وعود قليل أنها قطعت من قبل أمريكا بهذا الشأن. وفي اعتقادي أن أمريكا لم تعطي هذا الوعد لأحد ولا يمكن أن تعطيه.

إن إنشاء منطقة آمنة في الجنوب، خلافاً للنظر الشمالي يتطلب مشاركة قوات أرضية لإزاحة قوات صدام المتغلغلة والمنتشرة في تلك المناطق. والنظام لا بد له من القتال لأن البديل هو سقوطه المحتم.

أما عن التصور بأن أمر ما قد يدفع الولايات المتحدة لشن هجوم عسكري على النظام، فأستطيع القول باطمئنان بأن الجنرال شوارتزكوف هو أول وآخر قائد أمريكي يطمأ أرض العراق غازياً. وكذلك أستطيع القول معتمداً على المعطيات والأقوال بأن الولايات المتحدة ترغب في تغيير النظام القائم بنظام تستطيع تأييده وعلينا إيجاد البديل العراقي المقبول شعبياً وإقليمياً ودولياً ونضع جانباً الجدل حول نوايا الآخرين.

إن الاعتراف الأمريكي البريطاني بالمعارضة العراقية وشرعية سعيها لإزالة النظام أمر في غاية الأهمية والخطورة وعلينا الحفاظ عليه واستحسان استخدامه عوناً لنا في المعركة ومصدراً لشحن ثقة الشعب بهزيمة الديكتاتورية.

الحصار الاقتصادي

ليس من قضية تؤرق عراقيي الغربه بألم وإلحاح أكثر من مسألة تأييد إدامة الحصار الاقتصادي أو العمل لرفعه. وبالرغم من أن الأمر خارج عن إرادتنا وقرارنا، إلا أنه باق يختبر وجداننا ويؤثر في حياة ومصير شعبنا.

ما يعانيه الشعب من حرمان وحياة كفيفة وما يدايمه من أمراض لا حول له على دوائها تهيب بنا إلى العمل لرفع الحصار.

وكثر ما سمعت وقرأت من آراء احترام أصحابها تقول بأن الشعب هو الضحية الأولى، وشلة النظام لم يمسها السوء. وتقول أيضاً بأن الشعب المنهك بالبحث عن رغيته ودوائه وردائه طوال يومه وليله لن يجد للسياسة والتفكير بالعمل على مقاومة النظام وقتاً، كما أن حقه سيذهب على الحصار الاقتصادي والقائمين عليه بدلاً من مسيبيه. وتذهب بعض الآراء لأبعد من ذلك بالقول أن الحصار نابع عن حقد على الشعب العراقي ومحاولة لثيمة لتعذيبه والإمعان في إذلاله لا لتخليصه ولذلك يجب العمل لرفع الحصار.

وكما أسلفت عن احترامي لأصحاب تلك الآراء فإنني أرى أيضاً في الأطروحة جوانب صحيحة رغم أنني لن أذهب إلى نفس الاستنتاج.

لا جدل أبداً حول ما يعانيه الشعب وضرورة بذل كل مسعى وجهد لرفع الضيم والألم.

ولكنني لا أستطيع ولا أطيق أن أستمع لأصوات النظام الكريهة بدعاتها ومهرجاناتها رافعة قميص عثمان الجديد. النظام أولاً وآخره هو المسؤول عن فرض الحصار وإدامته، هذا النظام الذي أهدر مئات ألوف الأرواح في حروبه الجائرة وحملات القمع والتشريد والقتل الوحشية قبل الحصار وبعده، سيجر مأس أخرى لو دام له البقاء، وما يحتاجه الشعب ليس مسكناً وإنما دواء عاجلاً وشفافاً.

لقد انصب كل جهد النظام السياسي منذ وقف إطلاق النار في حرب الخليج لحد اليوم على رفع الحصار كما أن دعاواه وجهود مؤيديه تنصب جميعاً في هذا المسعى.

إننا نعلم جميعاً أن القضية الإنسانية لا مكان لها في حسابات النظام أو في تفكيره. والدليل الأكيد على ذلك هو رفضه للبيع المشروط والمحدد لكمية من النفط تصرف لشراء الدواء والغذاء وتوزع بإشراف عادل من قبل الأمم المتحدة.

وهذا الرفض لا ينبع من رفض للتدخل في الشأن الداخلي أو المساس بالسيادة. على العكس لم يبق تدخلاً إلا وأذعن له النظام وتسامح فيه كما لم يبق للسيادة معنى حيث امتثل النظام للتفتيش المستمر والمراقبة الدائمة، كما أنه مستعد لتنازلات أكثر وأكبر وفي كل شأن مقابل رفع الحصار.

رفض النظام بيع النفط المحدود نابع من أنه سيحرم من الهيمنة على البيع والتوزيع والسيطرة وبالتالي حرمانه من سلاح هام من أسلحة التحكم بحياة الشعب.

هل سيفسر رفع الحصار الاقتصادي من قبل شعبنا والعالم أجمع سوى بدء عودة الأمور إلى مجاريها بين النظام وبقية العالم؟

وهل ستصرف عوائد بيع النفط على إغاثة الشعب بشكل عادل أم أنها ستستخدم أداة للترغيب والترهيب في كبح المقاومة؟

وماذا بشأن ما سيصرف ويندخ على قوى القمع والأجهزة المنتفعة وفي شراء التأييد وكسب الولاء في الداخل والخارج، وماذا كذلك بشأن أجهزة الإرهاب والتجسس والدعاية في الخارج والتي بدأت تشكو ضيق ذات اليد وسوء الحال.

إننا لا نعلم بالضبط ما تبقى من الأموال المسروقة في حوزة صدام، ولكننا نستطيع أن نقول بأنها آخذة في النضوب. إن أجهزة الأمن والحماية لن توفر حاجاتها بدنانير مفقودة القيمة وإنما تتطلب زخ عملة صعبة كل يوم والحال ذاته لسفاراته ومنطويته وأجهزته في الخارج.

لا شك أن الشعب سيتحمل مزيداً من المعاناة في حالة استمرار الحصار الاقتصادي. ولكن

صدام سيستعيد المال الذي هو عصب الحياة لنظامه وسيسترجع القبول الدولي والتعامل معه فيما لو رفع الحصار.

لا أدري ما هو الرأي في قدرة الشعب على مقاومة النظام إن كان شعباً أو جائعاً، ولم أستخلص ترجيحاً لأيهما من تأريخ الثورات الفرنسية والروسية والصينية وغيرها، لكنني أدري أن صوت المعارضة لن يُسمع لدى دول وأوساط طُبعت علاقاتها مع النظام وكانت المعارضة جسراً لهذا التطبيع.

أيوب السوري مقابل نتنياهو

في سياق اهتمام شبيب في الشؤون العربية، وبشكل خاص الصراع العربي الاسرائيلي. خلال الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة ، اكدّ على أهمية أن لا يتصرف العرب تحت ضغط ذاكرة مجزرة قانا ومعاناة أبناء الجنوب اللبناني مع حزب العمل ويساعدوا الليكود على إسقاط شمعون بيريز لصالح نتنياهو، وكان واثقاً أن الأخير سيبدد الجهود التي بذلت حتى الآن في إستعادة الأراضي العربية السليبة الضفة، الجولان، الجنوب اللبناني، وكلها أراض عربية عزيزة. وعندما سألته عن سبب ثقته بآرائه خصوصاً وإن المصريين وقعوا مع الليكود إتفاق استعادة سيناء. أجاب فوراً إن أكثر قادة اسرائيل من حزبي العمل والليكود سابقاً كانوا سياسيين، يقبلون الرأي ويستغلون الفرص، لكن نتينياهو ليس سياسياً بل ايدولوجيست أعمى لا يرى غير الصورة التي رسمتها له ايدولوجيا تستفيد من عقد ومعاناة اليهود عبر التاريخ. وبعد فوز نتينياهو بأشهر حمل شبيب فكرته تلك الى بلاد الشام وعرضها على الاستاذ عبد الحليم خدام قائلاً: عليكم بصير أيوب ! فرد خدام فوراً : إن أيوب منا نحن السوريين.

وربما يكون كلام خدام قد صدر عن وجهة نظر الرئيس السوري الذي عرف بقوته وصبره.

مصائر مجموعة من المساهمين في ٨ شباط ١٩٦٣

— اللواء الركن ابراهيم فيصل الأنصاري، قائد فرقة ومعاون رئيس أركان ومساهم في قيادة دبابه في ٨ شباط. نفي خارج العراق ثم عاد مستغلاً عفواً خاصاً بحقه. قتله النظام بعد أن نسب الجريمة إلى أسباب جنسية، ويذكر أن الأنصاري هو خال رئيس الأركان السابق نزار الخزرجي وقريب لعبد الكريم مصطفى نصرت.

— أحمد حسن البكر، رئيس وزراء ورئيس جمهورية وعضو القيادتين، قتله صدام حسين بعد عزله من مناصبه بسقيه السم تدريجياً مع الشاي (راجع اعترافات حسين كامل).

— أحمد العزاوي (أبو سلام) قتل في ١٩٧٥ بعد عدة محاولات فاشلة لاغتياله من قبل أجهزة الأمن العراقية، أهمها كانت عام ١٩٧٤ عندما فجرت سيارته. كان عضواً في قيادة فرع بغداد والقيادة العامة للحرس القومي عام ١٩٦٣، ثم عضو القيادتين القومية والقطرية ومسؤولاً للمكتب العسكري لحزب البعث، لعب دوراً كبيراً في التحضير وتنفيذ معركة ٨ شباط ١٩٦٣ في بغداد.

— باسل الكبيسي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وكان ناشطاً ضد نظام قاسم وأحد أبرز قادة حركة القوميين العرب عربياً وعراقياً، اضطر لمغادرة العراق بسبب الملاحقة، فاعتاله الموساد في أوروبا، ولا يشك أحد بأن الثائر الكبيسي لو بقي داخل العراق لقتلته قيادة (البكر — صدام).

— بدن فاضل، مساهم في ٨ شباط، رئيس اتحاد نقابات العمال في العراق قتل مع وجبة عدنان حسين.

— بهجت شاكر (تكريتي) تكلف مؤقتاً بإعادة بناء تنظيم حزب البعث في العراق بعد محاولة اغتيال قاسم في رأس القرية. طرد ركلاً من وكالة الأنباء العراقية واعتقل وفصل من الحزب وقضى بقية عمره خائفاً ومتخفياً يبحث بدأب عن ملاذ آمن وعن حياد لا يثير أخطاراً.

— اللواء بشير الطالب قتله نظام صدام حسين مع ابنه، وكان آمراً للحرس الجمهوري في عهد عارف، وساهم في ٨ شباط بعد إعلانها.

— تركي سعيد عبد الباقي الحديثي قيادي في الحزب الحاكم قتل في سجن أبو غريب حوالي عام ١٩٨٢ أخوه مرتضى الحديثي وزير خارجية.

— جاسم هجول، قتل بحادث سيارة مدبر سنة ١٩٧٠ .

— جاسم مخلص التكريتي، ساهم بحركة ٨ شباط بعد إعلانها، وهو شخصية تكريمية مهمة قتل في التسعينات بعد اتهمته بتدبير مؤامرة ضد الحكم. وقد كان أخوه مولود مخلص وراء تهمة الفرص المؤاتية لشباب تكريت من أجل التوظيف ودخول الكلية العسكرية حتى بدون شهادات ثانوية.

— جعفر محمد رضا الذهب، أعدم في قضية عدنان حسين، مدير مصرف ومحافظ. — جعفر العبد، عضو قيادة قطرية احتياط وسفير في موريتانيا قتل مسموماً بالثاليوم مباشرة بعد إعلان الحرب العراقية — الإيرانية. اشتهر بدمائة أخلاقه.

— جبار كردي، وعدد من أشقائه قتلهم حكومة البكر — صدام بعد تكليفهم باغتيال عدد كبير من مناضلي الحركة الوطنية. وكان جبار صديقاً شخصياً مقرباً للرئيس صدام حسين.

— العميد جابر حسن حداد، ساهم في ٨ شباط بعد إخراجه من المعتقل وكان من أبرز الناشطين ضد حكومة قاسم، محافظ كربلاء، قتل في ١٩٧٠ بتهمة الاشتراك بمؤامرة رجعية ونفذ فيه الإعدام مع ٤٠ شخصية سياسية وعسكرية وأعدمت السلطات معه الشيخ راهي آل سكر زعيم آل فتلة، وجاء قتله تذكيراً للعراقيين بأن ما لم يستطعه الإنكليز ضد أبناء الفرات الأوسط فعله صدام حسين وانتقم لهم من الحاج عبد الواحد بإبنته، كما انتقم من شعلان أبو الجون بقتل ابنه.

— المقدم داود الجنابي، أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قام بالسيطرة على اللواء الثامن وتحضيره للعقيد عبد الغني الراوي، وزحف بأحد أفواجه على بغداد، أصبح أمراً للكلية العسكرية ثم قائداً للفرقة العاشرة المدرعة وقائداً لقوات بغداد. طرد من الجيش بعد أن وجهت له تهمة أخلاقية (جنسية) إثر خلاف نشب بينه وبين حسين كامل.

— حامد الدليمي (ضابط) ساهم في ٨ شباط، سجنه حكومة ١٧ تموز في سجن أبو غريب واشعل المحققون النار تحته وبعد أن أصبح الجزء الأسفل من جسده مشوياً قطعته عنه الماء وترك ليموت، كان عضواً في المكتب العسكري بعد عام ١٩٦٣ ثم أصبح سفيراً في نيجيريا، استدعي واعتقل في المطار بعد أن اعتدى عليه أمام المسافرين. ويذكر أنه أصبح لفترة قصيرة معاون مدير الاستخبارات وشارك في مهرجانات القتل.

— اللواء الركن حامد الورد، أعدم في نيسان ١٩٨٩ .

— حبيب جاسم، عضو قيادة فرع بابل، قتل في السبعينات بتهمة التآمر.

— حسن محمد رضا الذهب، عضو قيادة قطرية وقومية، قضى سنوات في سجن النظام ثم مات نفيًا ومتأثرًا بأمراض سببها التعذيب الذي لاقاه خلال فترة الاعتقال.

— الفريق الركن حردان عبد الغفار التكريتي عضو مجلس ثورة وقائدًا للقوى الجوية ومساهم في حركة ٨ شباط، قتل اغتيالاً في الكويت وبعد إبعاده بأيام سَفَر النظام زوجته مع أولاده فماتت في الطائرة بصورة غامضة وكانت حاملاً.

— حسين سيد جبر، أول رئيس للجمعيات الفلاحية في حكومة البعث عام ١٩٦٨. مات قتلاً.

— الفريق الركن حماد شهاب التكريتي رئيس أركان ووزير دفاع وعضو مجلس ثورة قتل في مؤامرة بوليسية مدبرة.

— العميد حميد التكريتي كان ضمن ضباط الصدمة الأولى وانجذبت دبابته إلى إذاعة الصالحية، عمل سكرتيراً لأحمد حسن البكر قتل عام ١٩٧٩ قبل إبعاد البكر وتمهيداً للسيطرة صدام على السلطة، عثرت عليه زوجته متكئاً على طاولة الطعام وقد اخترقت ثلاثة رصاصات جسده وجاءت من النافذة المفتوحة.

— د. حقي اسماعيل الراوي ضابط طبيب قتل عام ١٩٩٥ بتهمة المساهمة بمؤامرة أمريكية.

— حمدان الراوي وأخته فوزية الراوي.

— خالد عبد الله سرية ساهم في إنشاء جهاز حنين عام ١٩٦٨ وفي قتل الآلاف من المواطنين خلال أكثر من ربع قرن، يقبع الآن في السجن مؤقتاً، ريثما يقرر نظام صدام حسين التخلي عنه فيوضع في تابوت ممتاز.

— فليح حسن جاسم الشمري عضو قيادة قطرية ووزير صناعة، طرد من مناصبه بسبب عدم موافقته على عضوية المحكمة الخاصة للمصادقة على مقتل ثوار انتفاضة صفر التي قام بها زوار العتبات المقدسة خلال مسيرتهم السنوية من مدينة النجف إلى كربلاء.

— فواد الركابي، أول أمين قطري لحزب البعث في العراق وأول وزير بعثي في العراق، ثم أصبح أمين عام حركة الوجدوين الاشتراكيين، وخطط وأمر بتنفيذ خطة اغتيال قاسم برأس القرية، وشكلت تلك المحاولة أول خطوة لصدام حسين للوصول الى قمة السلطة. اعتقل بعد اتهامه بالتجسس ثم قتل بطعنة سكين غادرة من أحد عناصر المخابرات المندسين بين السجناء مدعياً أنه فعل ذلك لأسباب أخلاقية (جنسية) ولم يتقدم أحد لإسعافه فمات بتأثير الطعنة

والنزيف. ادعت السلطة أنها أعدمته المجرم، لكنه شوهد يعمل موظفاً محلياً في السفارة العراقية بصوفيا.

— العقيد الركن فاضل مصطفى، قومي ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها وأصبح ملحقاً عسكرياً وعضواً في القيادة العسكرية السورية الأردنية العراقية في السويداء، وقبلها كان ضابطاً لركن الحرس الجمهوري قتل في عام ١٩٧٠ بتهمة الاشتراك في مؤامرة.

— راجي عباس التكريتي، وزير وقائد سياسي معروف، قتل بطريقة بشعة بتهمة الضلوع في مؤامرة أمريكية لإسقاط حكومة صدام حسين. ويعتقد البعض أن السفير العراقي في الأردن أعطاه مخدراً ونقله إلى بغداد بسيارته، وكان آخر منصب له مديراً لمستشفى الرشيد العسكري.

— رشيد مصلح التكريتي، حاكم عسكري وزير داخلية، قتل من قبل حكومة البكر — صدام بتهمة العمالة للـ CIA وعلق بمشقة في السجن المركزي بعد أن أخذ منه اعتراف بأن الذي جنده هو شخص يهودي ويعمل عميلاً مزدوجاً، وذكر لهم اسماً ربما ليس له وجود كي يتخلص من التعذيب. أعدم فوراً بعد وساطة نخبة من وجهاء مدينة تكريت لإطلاق سراحه.

— العميد رياض القلوي، منفذ أساسي لحركة ٨ شباط من عائلة بغدادية بسيطة تعمل في تجارة المصارين والجلود، دخل الكلية العسكرية ضمن وجبة شباب البعث عام ١٩٥٩ لتعزيز عدد البعثيين داخل القوات المسلحة، وأصبح قائد فرقة، قتل في سجن أبو غريب بطريقة بشعة عام ١٩٨٢ مع مرتضى الحديثي وثمانية عشرة آخرين من قادة الدولة والجيش، تزوجت أخته (منال) من محمد محبوب الذي قتل أيضاً.

— د. رياض الحاج حسين، وزير صحة وقائد بعثي، قتل بعد زيارته لمستشفى بتكريت وسؤاله أطبائها سبب عدم الاهتمام وحاسبهم. بالإضافة إلى الأثر السيئ الذي تركه التقرير الذي رفعه ضده د. صادق علوش إلى مكتب صدام حسين، فأحيل على التقاعد في نفس الوقت الذي كان فيه تلفزيون بغداد يعرض وقائع زيارته لمستشفى تكريت، وأعدم بعدها بفترة قصيرة.

— زكي الخالي — بعثي — قتل بعد عام ١٩٦٨ .

— خاشع الحديثي ، أعدم بعد ١٩٦٨ .

— قاسم السماوي، وكيل وزير خارجية وسفير، أعدم.

— اللواء الركن صلاح القاضي، قتل لأنه أمر قوات الفيلق الثالث بالانسحاب من قاطع الـ ؟؟ بعد أ، علم أن المدينة آيلة للسقوط.

— العميد الركن صالح عبد المجيد السامرائي، متآمر ضد نظام قاسم وتعاون مع مخبرات دول عربية مجاورة للعراق وكان ملحقاً عسكرياً قتله نظام البكر — صدام.

— طاهر محمد أمين الربيعي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، نقيب الصيادلة في العراق، قتل بالمؤامرة المزعومة لعبدان حسين.

— العميد طارق حمد العبد الله، مدير مكتب البكر ووزير الصناعة الخفيفة وأمين سر مجلس قيادة الثورة، قتل لينتهي معه سر عزل وتسميم أحمد حسن البكر، وأشاعت السلطة موته بالسكتة القلبية وكان صدام يستخدمه بعد أن سجل له فيلماً أخلاقياً ساقطاً.

— طاهر يحيى التكريتي، رئيس وزراء ورئيس أركان جيش وأول مدير شرطة عام بعد ثورة ١٤ تموز، ساهم أساسي في حركة ٨ شباط اعتقل وعذب ومات بعد إطلاق سراحه بأيام بعد ١٩٦٨.

— طاهر حسين علي الربيعي قتل في السجن بعد اتهمه بالمشاركة مع عبدان حسين.

— صلاح أسود قتل بتهمة المساهمة مع عبدان حسين.

— اللواء الركن صلاح عبود التكريتي، قتل بحادث سيارة مدبر.

— اللواء الركن سعدون غيدان، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وزير داخلية وعضو مجلس ثورة، عمل كل ما بوسعه لتجنب القتل، ثم مات في ظروف غامضة.

— سعد عبد الجليل الدلي، قتل في حادث سيارة مدبر مع عائلته على طريق بغداد — الكويت في طريقه للناصرية.

— سعدون البيرماني، شارك في محاولة اغتيال الزعيم، قتل مع عائلته بحادث سيارة مدبر وكان معارضاً لنظام صدام حسين.

— شكري الحديشي، سفير استدعي مع أخيه السفير صبري الحديشي إلى اجتماع السفراء في بغداد إثر مؤامرة عبدان حسين ومحمد عايش فقتل صبري في السجن بين يديه، ثم خرج من السجن كائناً ذليلاً كئيباً في عام ١٩٨٣، فعينه طارق حمد العبد الله مديراً عاماً في التنمية الصناعية. أشرف على تعذيبه وتعذيب بقية الـ ٣٦ مسؤولاً الذين اعتقلوا معه مدير المخابرات الحالي دحام الألوسي، ثم طرد من وظيفته مرة أخرى بعد أن شمله قانون الترشيح،

فأراحوا شخصه المعذب وأعطوه فرصة للجلوس بداره بعد تعيينه شكلياً في مكتب المنظمات الشعبية برئاسة الجمهورية بدرجة مستشار في ديوان الرئاسة مع بقية المبعدين أمثال محمد حمدان وفارس عبد الكريم وهي وظيفة ينفي إليها المعاقبون وهو الآن جليس داره يشك بكل ما يحيط به.

— شفيق الكمالي، مساهم، وزير وعضو قيادة قطرية وقومية، يحمل ماجستير فلسفة قتل مع ابنه بعد أن استولى عدي على زوج ابنه في ليلة الدخلة.

— عامر الدجيلي، بعثي، شارك في ٨ شباط بعد إعلانها، قتله النظام عام ١٩٧٠.

— اللواء عبد مطلق الجبوري، كان سجين مع شيخ الجبور ابراهيم العطا الله في أبو غريب ويقال أنه قتل فيما بعد.

— عبد الوهاب البكاء، بعثي ساهم في ٨ شباط، مات في عام ١٩٦٨ بسبب آثار التعذيب الذي مارسه سلطة عبد السلام عارف ضد البعثيين. وكان من أبرز القادة البعثيين المنظمين.

— د. عبد الكريم هاني، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وزير، قتله النظام ١٩٩٣ بزعم مساهمته في مؤامرة.

— عبد الرحمن البزاز، مساهم أساسي في ٨ شباط، رئيس وزراء، قومي إسلامي معروف، سجن وعذب حتى شارف على الموت فأطلق سراحه ليموت بعد أيام.

— عدنان حسين الحمداني، ساهم في شباط ٦٣ في السيطرة على الطريق المؤدي لمعسكر الرشيد، نائب رئيس وزراء وعضو قيادة قطرية ووزير للتخطيط، أعدم بتهمة مشاركته في مؤامرة مزعومة.

— العميد الركن عدنان شريف التكريتي، من أوائل الضباط المنفيين في ٨ شباط ١٩٦٣، قائد قوات الحرس الجمهوري وملحق عسكري، قتل بإسقاط طائرته مع ١٤ ضابط بعد أربعة أيام من الحرب ضد إيران قرب خانقين، وقد ضربها صاروخ من قبل قوات الحرس الجمهوري، وتعرف عائلة حماد شهاب ملاسقات قتله ويقال أن السبب هو الخلاف الذي حصل بينه وبين برزان إبراهيم التكريتي حول ابنة نحاله (حماد شهاب التكريتي وزير للدفاع).

— الفريق الركن عدنان خير الله طلفاح، مساهم منفذ في ٨ شباط ضمن رتل الدبابات المتجهة إلى معسكر الرشيد، وزير دفاع، قتل بإسقاط طائرته الهليكوبتر بعد انتشار دعاية حول ترشيحه من قبل دولة كبرى لقيادة انقلاب ضد صدام حسين.

— د. عزت مصطفى، وزير وعضو قيادة ونقيب للأطباء وممول للحزب، طرد من جميع مناصبه وأصبح عندما يتحدث يهمس خوفاً من آذان كالحيطان. طرد بسبب رفضه عضوية محكمة شكلية للمصادقة على قتل رجال انتفاضة صفر للزوار بين النجف و كربلاء. بمناسبة أربعينية الإمام الحسين بن علي (ع).

— العميد الركن عبد الواحد الحاج معيدي، أعدم في آب ١٩٧٩ .

— اللواء الركن عبد العزيز العقيلي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، قائد فرقة ووزير دفاع، قتل بالتعذيب حتى الموت وكان موقفه صلباً وهو من الضباط الأحرار، اشتهر بمحلمته العسكرية ضد الأكراد عام ١٩٦٤ وسميت باسمه.

— عبد الله فاضل السامرائي، وزير أوقاف وعضو قيادة، قتل في منتصف التسعينات اغتيالاً في أحد شوارع بغداد.

— عبد العزيز ابراهيم الحديشي (قائد الفيلق الخامس) طرد من الجيش ثم أعيد ليسقط بطائرته الهليكوبتر مع عدد كبير من ضباطه في شباط ١٩٨٨.

— عبد الكريم فرحان، منفذ ومخطط ضد نظام قاسم في ٨ شباط وقبلها، وزير، هرب إلى خارج العراق وهو يقضي منفاه منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

— علي هادي وتوت، أحيل للتقاعد وقتل عدد كبير من أقربائه، وأحيل أخوه العقيد جعفر على التقاعد بعد خمسة أيام من الحرب الإيرانية بتهمة الميول الطائفية، ثم قتلته المخابرات خلال انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١ وقتل معه عدنان سالم الزياتي وحيدر جواد وتوت وجرح العميد توفيق الياسري وذلك خلال التحضير لإعادة تحرير مدينة الحلة من أيدي القوات الحكومية.

— العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، قائد معركة وزارة الدفاع في ٨ شباط ١٩٦٣ وعضو مجلس الثورة والمكتب العسكري، قتل بتمثيلية بائسة وعرض قاتله على التلفاز ليدعي أنه قتله لأسباب أخلاقية.

— عبد الرزاق الناييف، ساهم بعد إعلان ٨ شباط، رئيس وزراء بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ اغتيال غداً بلندن من قبل المخابرات العراقية بمساهمة أحد أفراد عائلة الخربيط .

— عبد الكريم الشخيلي، ساهم نشيط ضد نظام قاسم ومنفذ لعملية رأس القرية، وزير خارجية، قتل اغتيالاً في بغداد، من قبل نظام صدام حسين أمام زوجته.

— غازي أيوب، بعثي ساهم في ٨ شباط مدير معمل اسمنت السدة، ومعاون وزير التنمية الصناعية قتل مع مجموعة عدنان حسين ومحمد عايش ومحمد محجوب.

— عبد السلام عارف، رئيس جمهورية، شارك في ٨ شباط بعد إعلانها بعشرة دقائق ، قتل في عملية مدبرة بإسقاط طائرته في جنوب العراق.

— عبد الواحد زكي، ضابط قتل بعد ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨ وكان قبلها مديراً لشركة كوكا كولا.

— عبد القادر حسين الحياي، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها (بعثي) أعدمه نظام صدام حسين مع مجموعة من رفاقه بتهمة المعارضة في عام ١٩٧٣ .

— علي عجم، مساهم في ٨ شباط، قتله نظام صدام حسين.

— عبد الله السلوم السامرائي، ساهم في ٨ شباط ، عضو قيادة قطرية ووزير ثقافة وإعلام، مات في ١٩٩٨/٥/٢٠ بعد معاناة من مرض القلب أصيب به داخل قبو سجن المختبرات (الأمن الخاص)، راجع د. جليل العطية، جريدة الوفاق (عمود أسبوعي، نقطة ضوء) تحت عنوان(الشاهد).

— عبد الخالق السامرائي، ساهم في ٨ شباط، عضو القيادة القطرية والقومية ونائب لرئيس الجبهة العربية المساندة للثورة الفلسطينية. حكم بالإعدام مع ناظم كزاز وجماعته وتدخل البكر فأجل إعدامه، فقتله صدام حسين بعد سنوات على أيدي أقربائه ورفاقه.

— علي الدرويش من شيوخ شمر ينتمي للتيار القومي لعب دوراً ضد حكومة قاسم خصوصاً فيما يتعلق بتسهيلات المرور التي كان يوفرها في الذهاب والعودة عبر الحدود السورية، قتله نظام صدام — البكر في عام ١٩٧٠ .

— العميد عزيز السامرائي، ساهم في ٨ شباط برتبة ملازم شرطة، قال وفيق السامرائي في عام ١٩٩٧ أن السلطة قتلتها.

— علي عبد السلام، تاجر وشيخ وسياسي، ارتبط بصداقة خاصة مع عبد السلام عارف وساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، ومنهم من قبل الكثيرين بصلاته المشبوهة، شارك في الكواليس بصنع أحداث كثيرة بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٨ ومنحه عبد السلام رتبة رائد، قتل اغتيالاً في عهد البكر — صدام، وكان هو وعجيل الياور يجنلون الفلاحين والرعاة من أبناء عشيرتيهما لقتال الأكراد في شمال العراق.

— غانم عبد الجليل سعودي، وزير وعضو قيادة قطرية ومساهم أساسي في ٨ شباط، قتل مع عدنان حسين ومحمد عايش ومجموعتهما.

— د. غالب عبد الحميد، بعثي اختصاصه زراعة، اشترك ضد قاسم قتل من قبل حكومة البكر — صدام بحادث سيارة مدبر عام ١٩٦٨ .

- الرائد نشأة عسكر، قتل مع العميد جابر حسن حداد ١٩٧٠. بما سمي بمؤامرة رجعية.
- العقيد الركن نزار النقشبندي، أعدم في جبهات الحرب مع إيران بتهمة التخاذل.
- الفريق الركن نزار الخزرجي، مساهم أساسي في ٨ شباط، رئيس أركان الجيش، الآن منفي إلى الأردن.
- ناصر الحائي، وزير خارجية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وتم خطفه من داره وهو على رأس وزارته وقتل بتقطيعه فثر عليه في كيس تحت واحد من جسور بغداد.
- ناظم كزاز، مديراً للأمن العام، قتله نظام البكر — صدام عام ١٩٧٣ بتهمة القيام بمؤامرة.
- العقيد نافع الكبيسي، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها أعدم في عام ١٩٧٩ .
- نوري حمادي حسين، مساهم في ٨ شباط، عضو هيئة التحقيق الخاصة عام ١٩٦٣ قتل من قبل حكومة صدام حسين بحادث سير مدبر.
- العميد مدحت حاج سري قتل عام ١٩٧٠ وهو أخو رفعت الحاج سري، حاول اغتيال قاسم ثم هرب إلى سوريا، عفا قاسم عنه وأرسل إليه أخوه اللواء فائق الحاج سري فعاد إلى العراق ليعدم بعد سنوات في عهد البكر — صدام بتهمة التجسس لأمریکا وأجبر على الظهور على الشاشة الصغيرة والاعتراف بعمله جاسوساً لصالح المخابرات الأمريكية.
- محمد عبد الطائي، مساهم في ٨ شباط ١٩٦٣، بعثي عضو قيادة قطرية، قتل عام ١٩٩٣ بعد محاكمة شكلية وسلمت جثته وعليها آثار التعذيب الوحشي، وكان موقفه أمام الحاكم صلباً إذ قال للحاكم الذي حكم بتجريمه وإعدامه: لست أنا مجرم ولا أنت بل أن المجرم هو صدام حسين الذي تسبب بكل ما يحصل للعراق.
- د. منيف الرزاز أحد قادة البعث وواحد من إثنين وضعوا برنامج حكومة البكر في شباط ١٩٦٣ حكم عليه بالإعدام إثر محاولة عدنان حسين ومحمد عايش بتهمة تحول مكتبه إلى مكان للمناقشات والشكوى من ممارسات السلطة. كان هناك شخص بعثي أردني مطلع على أجواء العراق اسمه د. عبد الكريم الكرازة وكان هذا قد قرر لإنهاء إقامته في العراق وذهب لمقابلة الملك حسين وعرض له أمر د. منيف فسافر الملك إلى بغداد وتوسط عند صدام حسين فأوقف أمر تنفيذ الإعدام به وتم نقله إلى داره ليظل محتجزاً فيها وأدى الضغط والتوتر إلى حصول نزيف دماغي عنده ولم تصل سيارة الإسعاف لنقله إلى المستشفى إلا بعد سبع ساعات من إبلاغ المسؤولين بحالته الصحية وذلك أدى إلى موته ونقل جثمانه إلى الأردن

وكانت أول باقة ورد تصل إلى أهل المتوفي الدكتور منيف الرزاز هي من الرئيس السوري حافظ الأسد نقلها سفير سوريا بعمان. (رواية د. فواز صياغ).

— محمد أيوب — بعثي — ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، أعدم من قبل حكومة صدام حسين عام ١٩٩٣ مع مجموعة الشهيد محمد عبد الطائي.

— مدلول ناجي الحنا، قائد الحرس القومي في النجف، منح رتبة ملازم، مدير عام مصرف الرهون في العراق ثم محافظ وسفير، مرشح قيادة قطرية، قتل غدرًا أو خديعة.

— معتصم سعيد البدري، بعثي مساهم في ٨ شباط، قتل بداره نهاية عام ١٩٦٩ وحينها قالت السلطة أن قاتله "حرامي"، كان معتصم من البعثيين المتنورين وتربطه برفاقه وبناشطي الحركة الوطنية علاقة طيبة بغض النظر عن اختلاف الرأي السياسي. وكان قريباً جداً من علي صالح السعدي وعضواً في يسار البعث.

— اللواء الركن وليد محمود سيرت أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قائد فيلق وسفير، أعدم في تموز ١٩٧٩ بتهمة الاشتراك بمؤامرة وقتل معه أكثر من أربعين ضابطاً كلهم من فيلقه، وكانت له سمعة طيبة أخلاقية وفنية بين ضباط الجيش العراقي.

— محيي عبد الحسين الشمري، قتل بعد اتهامه بمؤامرة مزعومة في ١٩٧٩ وكان عضواً في القطرية ومجلس الثورة، أحضره صدام حسين أمام عبد الحليم خدام كشاهد على تعاونه مع الملحق العسكري السوري، وعندما سأله خدام أن يصف الملحق السوري وصفه بأوصاف معاكسة للحقيقة، فنهره صدام وطلب إبعاده وكان جاثياً.

— مجدي جهاد صالح، بعثي، عضو قيادة قطرية، كان أول سياسي عراقي يكتشف مقتولاً بالثأل يوم.

— الضابط محمد فرج، قتله نظام صدام — البكر بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ وكان من كتلة عبد الهادي الراوي القومية الإسلامية.

— محسن الشعلان، رئيساً للجمعيات الفلاحية بعد سيد حسين سيد جبر، قتله نظام البكر — صدام.

— محمد فاضل، عضو قطرية ومدير مكتب العلاقات العامة (المخابرات الخاصة) أعدم مع ناظم كزاز.

— مرتضى الحديثي، وزير خارجية بغداد الشيعي وهو ثالث وزير خارجية بعثي يقتل

عضو قطرية) مساهم في ٨ شباط قتل في السجن مسموماً وسلمت جثته لزوجته وكان وزنها ٣٠ كيلو غرام. تفاوض مع شركات النفط، أبلغ بعدم ترشيحه لقيادة الحزب الحاكم واعتقل عام ١٩٧٩ وسلمت جثته عام ١٩٨١ .

— مأمون كشمولة، رجل دين من الموصل اشتهر بخطاباته وتأجيجه العلني ضد نظام قاسم، اعدم عام ١٩٧٠ من قبل حكومة البكر — صدام في قصر النهاية بعد التعذيب.

— ممتاز قصيرة ، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، قتله نظام عبد السلام عارف أمام مبنى كلية الطب في الموصل وكان طالباً فيها.

— العميد محمد حسن وتوت، بعثي قائد فرقة، قتله نظام صدام حسين اثر انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١ بعد هدم داره بالشفلات.

— محمد محجوب، عضو قطرية، وزير، مساهم في ٨ شباط وكان عضواً في المؤتمر القطري للحزب عام ١٩٦٣، قتله صدام حسين فوراً بعد انقلابه على البكر مع عدنان حسين ومحمد عايش وغانم عبد الجليل.

— مدحت محمد جميل، مساهم في ١٤ رمضان على جبهة الكاظمية، قتل متهماً بالجنون من قبل حكومة البكر. صدام بعد سجنه وتعذيبه في قصر النهاية بتهمته ارتباطه بتنظيم اليسار، فأصيب برأسه ومات عام ١٩٧٦ .

— محمد رضا الجيلاوي، بعثي، اعتقل في قصر النهاية ومورس التعذيب ضده أربعة سنوات متواصلة، وأطلق سراحه ناسياً اسمه يدور في الشوارع، وذلك بسبب اتهمه لصدام حسين وجهاً لوجه بأنه هرب من السجن المركزي باتفاق مدبر مع مدير الأمن العام رشيد محسن.

— العقيد محمد حسين المهناوي، مساهم ومنفذ أساسي في ٨ شباط، اعتقل في عهد البكر — صدام من سنة ٧٠ حتى ١٩٧٣. معتقل انفرادي مدمر وأسيء له وعذب ومات بعد إطلاق سراحه.

— محسن محمد رضا الذهب، ناشط بعثي ضد نظام قاسم، قتل بعد اتهمه بالمساهمة في مؤامرة عدنان حسين ومحمد عايش ومحمد محجوب.

— محمد عايش، عضو قيادة قطرية ووزير ومساهم في ٨ شباط ورئيس اتحاد نقابات العمال، قال عنه أحد المدراء العامين أنه قاد وزارة الصناعة بعقلية عامل، أعدم بعد اتهمه بمؤامرة مزعومة وكان البكر يكرهه، ولكنه أظهر شجاعة في حوار مع صدام قبل

إعدامه، وسلمت جثته بلا لسان بعد قتله في غرفة التعذيب أمام زوجته التي كانت شجاعة أيضاً.

— العميد الركن محمد علي سعيد، ساهم في ٨ شباط وكان من الضباط الأحرار وأصبح بعد ١٩٦٨ سكرتيراً للمكتب العسكري، أعدم في نيسان ١٩٧٩ مع مجموعة كبيرة من الضباط البعثيين السامريين في سجن أبو غريب.

— العميد الركن محمد رشدي الجنابي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، أعدم في شباط ١٩٧٠.

— محمد صبري الحديشي، وكيل وزارة الخارجية، أعدم من قبل نظام صدام حسين إثر محاولة عدنان حسين ومحمد عايش.

— هاني الفكيكي، عضو قيادة قطرية ومجلس قيادة ثورة وأحد قادة ٨ شباط تخطيطاً وتنفيذاً، قضى حياته حتى الموت منفيًا.

— وهاب كريم، عضو قيادة قطرية ومجلس ثورة، ساهم في ٨ شباط قتل بمحادث مدير بعد أن كلف هو بقتل أشخاص كثيرين على رأسهم أول وزير خارجية بعد ١٩٦٨ الدكتور ناصر الحاني.

— وليد محمد صالح الجنابي ساهم في ٨ شباط، وكانت تربطه صلة طيبة بالبكر، اشترك بتعذيب عبد الرحمن البزاز واشتهر بقسوته في التحقيق، أعدم مع جماعة عدنان حسين.

— وليد إبراهيم الأعظمي بعثي، قتل في ١٩٧٩ وكان حينها مديراً عاماً لمعمل شهرزاد للبيئة.

فهرس الأسماء

أبو القاسم الخوئي (السيد، آية الله): ٣١٠
 احسان البياي: ١٩٥
 احسان شيرزاد: ٢٥٣
 أحمد أمين محمود: ٣٢٨، ١٤٥
 أحمد بن ييلا: ٤٩، ١٠٩، ٢٢٥، ٢٦١
 ٢٩١
 أحمد الجلي: ٦٨
 أحمد الجبوي: ٧٧، ٩٤، ٢١٥، ٢٢٨
 ٣٦٥، ٢٧٠، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٧٠
 أحمد الحديثي: ٩٦
 أحمد حسن البكر: ١٣، ٣٤، ٤٦ — ٤٩
 ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٥
 ٦٩، ٧١ — ٧٥، ٨٠ — ٨٢
 ٨٦، ٩٢، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢
 ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١١٤
 ١١٨ — ١٢٠، ١٢٢، ١٣٠
 ١٣٤، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩
 ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧
 ١٦٦، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧
 ١٧٨، ١٩٠ — ١٩٢، ١٩٥
 ٢١٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٦
 ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩
 ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٧٣ — ٢٧٥
 ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٩ — ٢٩١
 ٣٠١، ٣٠٣ — ٣٠٥، ٣١١ —
 ٣١٤، ٣٢٠ — ٣٢٢، ٣٢٤ —
 ٣٣٣، ٣٣٦ — ٣٤١، ٣٤٣ —
 ٣٥٣، ٣٥٥ — ٣٥٧، ٣٦٥
 ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٩١، ٣٩٥
 ٣٩٨ — ٤٠٢
 أحمد رائف: ٢٠٤
 أحمد الزياي: ٩٤

حرف الألف

آرا خاجادور: ٢٠١
 أغري: ٢٦٤
 آل غور: ٣٨٣، ٣٨٢
 إبراهيم أحمد: ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٢
 إبراهيم التكريتي: ٨٨، ١٠٠، ٣٤٣
 إبراهيم التميمي: ١٢٤
 إبراهيم جمعة: ٣٠
 إبراهيم حسن الجبوري: ٣١، ٣٠٣
 إبراهيم حسيب المفتي: ٢٢٧
 إبراهيم الحكاك: ١٢٦
 إبراهيم الداود (الداود): ٢١٩، ٣٤٣
 ٣٦٨، ٣٦٩
 إبراهيم الشلال: ٣٦٥
 إبراهيم الشيخ: ٢١٥
 إبراهيم عباس الدليمي: ٦١، ٦٤
 إبراهيم العطا الله: ٣٩٦
 إبراهيم علاوي: ٢٤٥
 إبراهيم غانم: ٥١
 إبراهيم طوبان: ٣٣٨
 إبراهيم فيصل الانصاري: ٢٦٢، ٣٩١
 إبراهيم كاظم الموسوي: ١٩١، ١٩٥
 إبراهيم محمد علي: ٢٩٧
 إبراهيم موسى: ٣٠٣
 إبراهيم الموسوي: ١٢٤، ٣١٥
 أبو أيوب: ٢١
 أبو بكر الصديق (رض): ٨١
 أبو حنيفة (الإمام): ٣٥٦
 أبو رغال: ١١٢
 أبو طالب الهاشمي: ١٦٥، ١٧٥، ٣٠٤
 ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٤٣

- أحمد سعيد: ٢٨٤
أحمد شبوط: ١٢٤
أحمد بن شوقي: ٦٨
أحمد صالح العبيدي: ٢٤، ٢٧، ٣١، ٥٤،
٧٧، ٨٦، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١١٨،
١٢٢، ١٨٢
أحمد طه العزوز: ٢٧، ٣٠، ٣٣
أحمد عاشور: ٢٥
أحمد عبد الجبار الجبوري: ٦١، ٦٤
أحمد عبد الستار الجوارى: ٢٤، ١٥٦،
١٥٨، ٢١٦، ٢٧٩، ٣٥١
أحمد عبد الغفور التكريتي: ٣٥٦
أحمد العزاوي: ٣٥، ٥٦، ١٢٢، ١٣٨،
١٦٥، ١٧٣ — ١٧٥، ١٧٩،
١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٩٣، ٣٠٦،
٣٠٨، ٣٢٦، ٣٥٦، ٣٩١
أحمد عليوي الناصر: ٦٨
أحمد فوزي: ٢٨٠
أحمد كرتينه: ٥٦
أحمد مرعي: ٣٠
أحمد الموسوي: ٢١، ١٢٧، ٣٣٨
الأخضر الابراهيمى: ٣٣٨
أديب الجادر: ١٦٢، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٧٠
أديب خليل: ٥٥
أديب الشيشكلي: ٢٧٧
أديبة شبيب: ٥٢، ٥٣
أسامة أيوب صبري: ٧٦
أسعد الفريح: ٣٧٠
الاسكندر المقدوني: ٢٤٧
اسماعيل الصدر: ٣١٢
اسماعيل العارف: ٢٩١
اسماعيل هرمز: ٢٥
اسامة وهي: ٦٢
أكرم الحوراني: ٣٤، ٤٠، ٤٢ — ٤٣، ١٨٣،
٢١٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٧٠، ٢٨٢
- ٣٥٨ — ٣٦٠
أكرم العاني: ٥٦
أكرم عبد الكريم أسود: ٨٤
أمل الشرقي: ٢٩١
أمين الحافظ: ١٥٨، ١٥٩، ٢٢١، ٢٢٢،
٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٦
أمين شاهين: ٧٥
أمين هويدي: ٢١٠، ٢٢٨، ٢٩٢
انتوني كوردسمان: ٢٤٤
انجي رشدي: ٣٣٨
انعام العبايجي: ١١١، ٢٠١
أنور ثامر: ٣٦٥
أنور عبد القادر الحديشي: ٤٧، ٥٧، ٦١،
٦٤، ٧١، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٩٨،
١٧٧، ٢١٦، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٨،
اياد سعيد ثلث: ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣٢،
٣٣، ١٢٢، ٢١٥
اياد علاوي: ٥١
ايزنهاور: ٢١٧
ايليا زغيب: ٢٦٩ — ٢٧٢
أيوب (ع): ٣٩٠
- حرف الباء
بابا علي: ٢٤، ١٢٩، ٢١٦، ٢٥٣،
باسل الكيسي: ٢١٥، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٩١
باقر ابراهيم الموسوي: ١٧٩، ١٨٣، ١٨٩،
٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٣٠١، ٣٠٥،
٣٠٦، ٣٦٦، ٣٧٠
باقر ياسين: ٣٥٦، ٣٦٩
بدن فاضل: ٣٤٧، ٣٩١
بديع شريف العاني: ٣٦٥
برتراند رسل: ٢٨٦
برزان التكريتي: ٣٤٥، ٣٩٦
برسي كوكس: ٦٩
بشير الطالب: ٣٦٥، ٣٩١

ثامر الوندلاوي: ٦٢، ٧٣

حرف الجيم

جابر حسن حلاذ: ٨٠، ٨١، ١٠٧، ٢٠٥،

٣٩٩، ٣٩٢، ٣٤٦

جابر الصباح: ٢٤٣

جاسم شبوط: ٦١، ٦٤، ٨٣

جاسم العزاوي: ٧٨، ٧٩، ٨٦، ٢٨٠،

٣٤٣

جاسم علوان: ٢٢١

جاسم قره علي: ٣٠، ٥٦

جاسم مخلص التكريتي: ٣٩٢

جاسم هجول: ٣٩٢

جبار خضير: ١٩٥

جبار السوداني: ٦٢، ٧٣

جبار كردي: ٣٩٣

جبران مجدلاني: ٤٣، ١٥٩، ٢٨٢، ٣٣٠،

٣٥٩، ٣٣٢

جعفر أبو التمن: ١٧، ٩٢

جعفر العيد: ٣٩٢

جعفر قاسم حمودي: ١٥٨، ٢٧١، ٣٢٩،

٣٤٨

جعفر محمد رضا الذهب: ٣٩٢

جعفر هادي وتوت: ٣٩٧

جلال جعفر الأوقاتي: ٣١، ٣٨، ٥٥، ٨٤،

١٩٦، ١٩٥، ١٩٢، ١٦٦

جلال الطالبياني: ٢٠٩، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٤٩،

٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨،

٢٨٦، ٣٥٦، ٣٦٦

جليل العطية: ٣٤٥، ٣٧٠، ٣٩٨

جمال الحيدري: ٢٠٠، ٢٠١، ٣٠٥

جمال عبد الناصر: ٢٠، ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٣٨،

٤٠، ٤٢ — ٤٤، ٤٧، ٤٩،

٧٧، ٩١، ١٠٨، ١١٢، ١١٣،

١٢٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٥٣، ١٥٥،

بكر صدقي: ١٧، ٦٩، ٨٩، ٩٠، ٩٢،

٢٨٥، ١١٠

بلند الحيدري: ١٢٢، ٢٠٥

بنذر بن سعود: ٣٧٥

هـاء شبيب: ٤٣، ٤٧، ٥٢، ٥٤ — ٥٦،

٦٠، ٦٢، ٧٣، ٧٧، ٩٤، ١٥٥،

١٧٥، ١٧٧، ٢٨١، ٢٩٤، ٢٩٦،

٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٤٤،

٣٧٥

هـاء الدين نوري: ١٧٥، ١٨٧، ١٩٦،

٢٠١، ٢٠٤، ٣٦٦

هـاجت أبو غربية: ٣٩، ٤٣

هـاجت شاكر: ٣٤٨، ٣٩١

هـاجت العطية: ١١٠، ١٧٧

بورقية (الحبيب): ١٩٧

بيترسون: ٢٢٩

بيكر: ٣٧٥

بيل ليكلاند: ٢٧٣، ٢٧٦ — ٢٧٨

حرف التاء

تحسين محمد علي: ٧٦

تحسين معلّة: ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٤٣، ١٢٢،

١٢٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣،

٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٨، ٣١٣،

٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٢،

٣٧٠

توفيق السويدي: ٦٨، ٩٢، ١١١، ٢٢٩

توفيق منير العاني: ٢٠٠، ٢٠٢

توفيق الياسري: ٣٩٧

حرف الثاء

ثائر عبد القائد: ٣٥٦

ثابت الألوسي: ١٢٥

ثابت حبيب العاني: ٣١، ٣٦، ١٧٥، ١٧٩،

١٨٨، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤

— ١٥٨، ١٥٦ — ١٥٤، ١٥٢
١٧١، ١٧٠، ١٦٧، ١٦٦، ١٦١
١٩٢، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٤، ١٧٣
— ٢١٦، ٢٠٢، ١٩٨، ١٩٥ —
٢٢٨، ٢٢٦، ٢٢٢، ٢١٩، ٢١٧
٢٤٩، ٢٤٠، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٣
٢٨٢، ٢٧٧، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٥٧
٣٠٤، ٣٠١، ٢٩٦، ٢٩٤، ٢٨٣
— ٣٢٩، ٣٢٧ — ٣١٧، ٣٠٨
٣٤٣، ٣٤١ — ٣٣٦، ٣٣٤
— ٣٦٢، ٣٥٥، ٣٥١، ٣٤٥

٣٦٤

حازم خطاب: ٢٥

حازم السعدي: ١٢٣

حازم سعيد: ١٦٥، ٥٥

حازم الصباغ: ٢٩٨

حازم علوان: ٧٩

حازم النعيمي: ١٣٤

حافظ الأسعد: ١٩١، ١٧٣، ١١٧، ٤١، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٣٨، ٣٣٧، ٢٢٢

٤٠٠، ٣٦١، ٣٥٢

حافظ علوان: ١١٨، ١١٦، ٧٩، ٧٨

حامد أيوب العاني: ٣٠٥، ٢٠٤، ١٨٩

حامد البياتي: ٣٤٢، ٢٦٧، ١٣٥، ١٢٧

حامد الجبوري: ٢٣

حامد جواد: ٢٩٦، ٢٩٤، ٧٦، ٦٢، ٥٧

٢٩٨

حامد حمادي: ٣٥٧

حامد الدليمي: ٣٩٢، ٢٩٨ — ٢٩٦

حامد سالم الزيايدي: ٩٤، ٩٠

حامد السعدي: ٢٧٤

حامد الضاحي: ٧٥

حامد الورد: ٣٩٢

حبيب جاسم: ٣٩٢

حبيب محمد كريم: ٣١٣، ٢٥٣

٢٠٧، ١٩١، ١٨٣، ١٨١، ١٦٠

— ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٢٨، ٢٢٦

٢٥٣، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٢، ٢٣٨

٢٦٦، ٢٦٠ — ٢٥٨، ٢٥٥

٢٨٧، ٢٨٤ — ٢٨٠، ٢٧٧

٣٤٢، ٣٣٨، ٣٣٦، ٣٢٧، ٣٢٣

٣٦٦، ٣٦٠ — ٣٥٨

جميل السعودي: ٢١٥، ٨١

جميل صبري البيلقي: ٦٥ — ٦٣، ٦١، ٥٧

٣٢٠، ٢٧٥، ٢٧٤، ١٧٤، ١٤٥

٣٣٦، ٣٣٢، ٣٢٨، ٣٢٦

جميل منير العاني: ٢٠٤، ١٨٩، ٩٤، ٦٠

٣٠٣

جهاد ضاحي: ٣٠٨

جواهر لال نهرو: ١٠٧

جون كيللي: ٢٤٤

جورج بوش: ٣٨٢، ٣٨٠، ٣٧٥، ٣٧٠

جورج تللو: ٢٠١

جورج حبش: ٣٠٨، ٤٠

جوليو كوري: ٢٠٠

جون فوستر دالاس: ٢٤٤، ٢٢٩

جيفري ارونس: ٢٩٢

حرف الحاء

حاتم حمدان العزاوي: ٣٠، ٢٧

حاتم عبد الرشيد: ٣٤٩

حاتم قدوري: ٥٦

حازم البكري: ٣٠، ٢٩، ٢٧

حازم جواد: ٤٣، ٣٥ — ٣٣، ٢٠، ١٣

٤٥ — ٥٢، ٤٩، ٤٧

٥٧، ٥٦ — ٦١، ٦٧، ٧١، ٧٢

٨٠، ٨٨، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩

١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٩

١٢٩، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠

١٤١، ١٤٣ — ١٤٦، ١٤٩

- حبيب الخيزران: ١٤٤، ٤٣
- حبيب الدوري: ١٣٨، ١٣٤، ٤٣
- حردان التكريتي: ٧٧، ٦٢، ٤٩، ٤٧، ٢٨، ١٠٦، ١١٩، ١٧١، ٨١، ١٧٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٣٩، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢١٩، ٢١٦، ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٨٩، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٢ — ٣٦٦، ٣٩٣
- حسان عاكف حمودي: ٩٤، ٩٢، ٨٩، ٦٩، ٢٤٥
- الحسن الثاني (الملك): ٢٢٧
- حسن الذهب: ٣٩٣، ٣٥٦، ٣٥١، ٤٧
- حسن رفعت: ٢٣٩
- حسن السريع: ٢٩٩، ٢٩٧، ٢٩٥، ٢٩٤
- حسن السعدي: ١٢٦
- حسن شعلان ماضي: ٣٠٥
- حسن عبود: ٣٠٣، ١٩٥، ١٨٨
- حسن العلوي: ٢٤٥، ٢٣٠، ١٢٣، ٩٢، ٣٥١، ٣١٥، ٢٩٢
- حسن عريضة: ٢٠٢ — ١٩٩
- حسن غافل: ٥٦
- حسن مصطفى النقيب: ٩٣، ٤٧، ٢٤، ١٩٥، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٧٠، ٣٧٦
- حسن حياوي التكريتي: ٣٢٨
- حسن وداي العطية: ١٣١، ١٠٥، ٤٧، ٤٣، ١٣٥، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٣، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٢
- حسون عبد المهدي: ٢٧٥
- حسين جميل: ٢٠٥، ٢٠٤، ١٨٥، ١٢٩
- ٢٥٥، ٢٤٩
- حسين خضر الدوري: ١٩٥، ١٩١، ١٨٨
- حسين الزكم: ١٢٤
- حسين سلطان: ٢٠١
- حسين سيد جبر: ٣٩٣
- حسين الشافعي: ٢٢٠
- حسين طه: ١٧٧
- الإمام الحسين بن علي (ع): ٩٢، ٦٩، ١٤٤، ١٤٥، ٣١٠، ٣٨١، ٣٩٧
- حسين كامل: ٣٩٢، ٣٩١، ٣٥٦، ٣٤٥
- حسين محمد الشبيبي: ٢٠٤
- حقي اسماعيل الراوي: ٣٩٣
- حكمت سليمان: ٨٩، ٦٩
- حكمت الطائي: ١٢٤
- حكمت العزاوي: ٣٤٨
- حماد شهاب: ٣٩٦، ٣٩٣، ٣٥٣، ٣٤٣
- حمدان الراوي: ٣٩٣
- حمزون: ٣٦٠، ٢٧٠
- حمدي أيوب: ٣٠٣، ٢٠٢، ٢٠٠، ١٢٤
- حمدي عبد المجيد: ١٠٦، ٤٩، ٤٧، ٤٦، ١٤٢، ١٤٩ — ١٥١، ١٥٧
- ١٧٧، ١٧٠، ٢٠٢، ٢١٦
- ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤ — ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٦٣
- الحمزة (ع) الامام: ٣٦٦
- حمزة الباهلي: ١٢٤
- حمزة سليمان الجبوري: ٢٠٠
- حمود الشوفي: ٣٥٢، ٣٣٧، ٣٣٦، ١٥٩
- حمود العزاوي: ٢٣٦، ٥٦
- حمودي الكلجكي: ٢٣٦
- حميد أمين: ٣١
- حميد جمعة: ١٣٤
- حميد خلخال: ١٥٠، ١٤٤، ٤٩، ٤٧، ٤٦
- ١٧٠، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٢، ٢١٦
- ٣٠٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٥

خليل ابراهيم حسن: ٤٦، ٧٢، ٩١، ٩٤،
١٢٠، ١٢٧، ١٧٥، ١٧٩، ١٩٥،

٢٩٢، ٢٨٠، ٢٦٧، ٢٤٥

خير الله طلفاح: ٣٤٥

خير الدين حسيب: ١٥٩ — ١٦١، ٢٠٩،
٢١٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٢، ٣٦٥

خيري حميد: ٧٣، ٧٦

حرف الدال

دانا شميدت: ٢٥٠

داود الجنائي: ٦٢، ٧٣ — ٧٥، ١٢٥،
٣٩٢، ١٩٥، ١٩١

داود سيد خليل: ٢٥

داود عبد المجيد: ٧٢، ١١٨

دحام الألويسي: ٣٩٥

درع ظاهر السعد: ٥٦، ١٣٤

حرف الذال

ذنون أيوب: ٢٨٦

ذياب العلكلوي: ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٦١، ٦٤،
٧٢، ٧٤، ٩٤، ١٠٨، ١٦٦،

١٧٧، ١٧٩، ٢١٦، ٣٢٨، ٣٣٩

حرف الراء

راجي عباس التكريتي: ١٨٨، ٣٥٦، ٣٥٧،
٣٩٤

رافد صبحي: ٣٠٣

راهي آل عبد الواحد الحاج سكر: ٣٤٦،
٣٩٢

رايح العطية: ١١١

رجب عبد الحميد: ٢٥٩

رجب عبد المجيد: ٣٦٥، ٣٦٩

رحيم شريف العاني: ٢٠١

رشاد سعيد: ١٩٥

رشدي العامل: ٨٦

رشيد عالي الكيلاني: ٤٨، ٦٩، ٩٠، ١٢٠

حميد شعبان التكريتي: ٢٧٤

حميد عبد الله التكريتي: ٥٨، ٦١، ٦٤، ٧٢،
١٠٨، ٣٢٨، ٣٥٣، ٣٩٣

حميد مرعي: ٣٣

حنا بطاطو: ٣٦، ١٤٣، ٢٠٤، ٣٧٠

حيدر جواد وتوت: ٣٩٧

حرف الحاء

حاشم الحديثي: ٣٩٤

خالد أحمد زكي: ٢٨٩

خالد الحسن: ٣٥٦

خالد حكيم: ٢١٤

خالد رشيد: ٢٧٥

خالد سارة: ٧٦

خالد طيرة: ١٩٢، ٢٠٠، ٣٠٠

خالد عبد الله سرية: ٣٩٣

خالد عبد العزيز: ٣٥٤

خالد علي السري: ٢٩

خالد علي الصالح: ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٢،
٢٨٢

خالد فريد: ٢٨٠، ٣٤٣

خالد محمد نوري: ٢٨

خالد مكّي الهاشمي: ٤٦، ٤٧، ٤٩ — ٥١،
٦٠، ٦٢، ١٩٥، ١٠٧، ١١٠،

١٥٧، ١٧٠، ١٧٧، ٢١٦، ٣٢٦،

٣٢٩

خالد النقشبندى: ٢٤، ٤٨

خالد يشرطي: ٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩

خالد درويش لطفي: ٢٧

خروشوف: ٤٢، ١٤٦، ٢٨٦

خزعل علي السعدي: ١٢٤، ١٧٥، ١٩٥

خلف الجنائي: ٣٨، ٥٣

خلف شلتاغ: ٢٩٥

خلف عبد الاخوة: ٥٦

خليفة خالد الغنيم: ٢٤١

زيد النقيب: ٣٤٧

حرف السين

- ساطع اسماعيل: ١٩٤
ساطع الحصري: ٣١٥، ٣٠٨
سافرة جميل حافظ: ٢٠١
سالم حسين: ٢٥
سامي سلطان: ٤٧، ٦١
سامي مهدي: ٥٦
سبحاوي ابراهيم: ٢٤٣
ستار الباي: ١٢٤
سعاد اديب: ٥٥، ٥٦
سعد بن أبي وقاص: ١٦
سعد السباز: ٢٢٨، ٢٤٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٧٠
سعد جبر: ٢٨٩
سعد العبد الله: ٢٣٣، ٢٤١
سعد عبد الجليل غيدان: ٣٩٥
سعد قاسم حمودي: ٥٣ — ٥٥
سعد وهيب السامرائي: ٦١، ٦٤
سعدون البيرماني: ٣٠، ٣٩٥
سعدون التكريتي: ٢٠١
سعدون حمادي: ٢٦، ٤٣، ٤٧، ١٤٩
١٥٨، ١٧٧، ٢١٢، ٢١٦، ٣٢٤
٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٢
سعدون شاكر: ٥٥، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٣٦، ٣٠٠
سعدون العزاوي: ٥٦
سعدون غيدان: ١٠٨، ٢٠١، ٣٤٣، ٣٦٥
٣٩٥
سعدون فليح العاني: ٤٦، ٦١
سعدون المدفعي: ٨٦
سعدني اضلان: ١٢٤
سعدني طعمة الجبوري: ٤٦، ٦١، ١٢٤
سعيد الدوري: ٧٨، ٧٩

رشيد محسن: ٣٦٥، ٤٠١

- رشيد مصلح التكريتي: ٤٧، ٦١، ٦٤
١٠٦، ١٥٤، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٣
١٩٥، ٢٥٤، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣١٢
٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٤٢
٣٥٣، ٣٦٥، ٣٩٤
رضوان الكليدار: ٢١
رفعت الجادرجي: ٢٨٣
رفعت الحاج السري: ٢٥، ٢٧، ٩٦، ١٠٤
١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٩٥، ٣٩٩
رفيق عارف: ١٢٠
رفيق الملا: ٣٥٦
رتن: ٢٤٩
رؤوف ديبس: ٢٩٥
روزفلت: ٢٧٧
رياض الياور: ٢١٥
رياض الحاج حسين: ١٩٩، ٣٩٤
رياض الريس: ٣٠٦
رياض طه: ١٨٣، ٢٠٤، ٢٢٨
رياض قلدو: ٤٦، ٥٧، ٦١ — ٦٧، ٣٩٤
رياض القيسي: ١٢٤
ريغان: ٣٥٤

حرف الزاء

- زكريا السامرائي: ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٤٧
زكريا محي الدين: ٢٢٠
زكي جميل حافظ: ٢٠١
زكي الخالي: ٣٩٤
زكي خيري: ١٧٥، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧
١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٦٧، ٢٨٥
٢٩٢، ٢٩٥
زكي مبارك: ٣٠٥
الزهاوي (الشيخ): ٩٤، ٣١٠
زهر اللوري: ٥٥، ١٢٤
زيد جواد وتوت: ٣٤٦

شفيق الكمالي: ٣٩٦، ٣٥
شكري الحديثي: ٣٩٥، ٣٥
شكري صالح زكي: ٢٤، ٨١، ١٢٩، ٢١٦،
٢٦٥، ٢٣٣
شمران الياسري: ٢٩٥
شمس الدين كاظم: ٢٦
شمس الدين المفتي: ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤،
٢٦٧، ٢٥٨
شمعون بيريز: ٣٩٠
شناوة طاهر حنين: ٣٧٠
شهاب أحمد ليث: ١٨٨
شوارتزكوف: ٣٨٧
شوكت عقراوي: ٢٥٨

حرف الصاد

صادق جعفر الفلاح: ٢٩٧
صادق حميد علوش: ١٩٩ — ٢٠١، ٣٩٤
صادق القهوجي: ١٢٢، ١٢٥
صالح حسين الجبوري: ٣٦، ٩٤، ٢٢٨،
٣١٥، ٢٩٢
صالح دكلة: ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤
صالح الرازقي: ٢٠١، ٢٩٥
صالح زكي توفيق: ٨٠، ٣٦٥
صالح الشرع: ٣١٥
صالح شعبان: ٢٦
صالح عبد المجيد السامرائي: ٣٩٥
صالح العبيدي: ١١١
صالح كبة: ٢١٦، ٢١٧
صالح معلقة: ٣١٣
صالح مهدي عماش: ٢٤، ٢٧، ٤٥، ٤٧ —
٥٠، ٥٥، ٥٨، ٦٢، ٧٣، ٧٧،
٨٦، ٨٨، ٩٦، ٩٨، ١٠٢،
١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١١٨،
١٣٤، ١٣٨، ١٤١، ١٤٩، ١٧٠،
— ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧

سعيد الرهيمي: ١٣٤
سعيد صليبي: ٤٧، ٦١، ٦٤، ٧٧، ٣٢٢،
٣٢٨، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٦٥
سعيد عبد الباقي: ٣٩١
سعيد قزاز: ٤٨
سعيد متروك: ١٢٦
سعيد مطر: ٥٥، ٥٦، ٨٦، ١٢٢، ١٩٢،
١٩٥
سلام أحمد: ٢١٥
سلام عادل (حسين أحمد الرضوي): ١٧٥،
١٩٥، ٢٠٠ — ٢٠٢، ٢٥٠
سلام الناصري: ٢٠١
سلطان ملا علي: ٢٠١
سلمان عبد المجيد الحصان: ١٩٥، ٣٠٣
سليم الامامي: ٦١
سليم عيسى الزبيق: ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٣،
١٢٢
سليمان حديدي: ٤٣
سليمان العيسى: ٢١٤
سمير عبد الكريم: ٢٠٤
سمير عزيز النجم: ٢٧، ٣٠، ٣٣
سمير الكتيبي: ١٢٤
سهيل السهيل: ١٢٤، ٣٦٩
سيد حسين سيد جبر: ٤٠

حرف الشين

شاكر حليوة: ٣١
شاكر لهبي: ١٩٤
شامل السامرائي: ٣٦٥
شاه ايران: ٢٤٣، ٣١٣، ٣١٤، ٣٤٦،
٣٥٦
شريف الراس: ١٨٣
شريف الشيخ: ٢٠١
شعلان أبو الجون: ٣٩٢
شفيق الدراجي: ١٩٥، ٣٤٩، ٣٦٥

٣١٤ — ٣١٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٠
— ٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٣٩ ، ٣٣٧
٣٦٦ ، ٣٦١ — ٣٥٢ ، ٣٤٩
٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧١
٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٢
٣٩١ — ٤٠٢

صدام كامل: ٣٤٥

صديقي أبو طيخ: ٤٧ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨
الشيخ الصدوق: ٣١١
صديق عبد العزيز: ١٢٦
صديق علي: ٢٥

صديق مصطفى: ٩١ ، ٢٦٥

صعب الحردان: ٣٦٥

صفاء صادق: ١٣٤

صفاء الفلكي: ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٣٧٠

صفوان قدسي: ٣٤٧

صلاح أسود: ٣٩٥

صلاح جديد: ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٣٣٠

٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢

صلاح صلاح: ٣٣٢

صلاح الدين البيطار: ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤

٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢

٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٦ ، ٣٦٠

صلاح الدين رؤوف قزاز: ٣٠٣

صلاح الدين الصباغ: ١١٠

صلاح شبيب: ٣٠١

صلاح صالح: ٥٥

صلاح الطيقجلي: ٤٦ ، ٦١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢

٣٥٥

صلاح عبود التكريتي: ٣٩٥

صلاح عمر العلي: ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٩

صلاح القاضي: ٣٩٥

صلاح مكّي: ٥٦

١٨٧ ، ١٩٢ — ١٩٥ ، ٢٠٨
٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
٢٥٨ — ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠
٣١٣ ، ٣١٧ — ٣٢١ ، ٣٢٣
٣٢٥ — ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢
٣٣٦ ، ٣٣٨ — ٣٤٠ ، ٣٤٢
٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣
٣٦٦

صالح اليوسفي: ٢٠٢ ، ٢٤٨ — ٢٥٠

٢٥٦ ، ٣٦٦

صباح الأحمد: ٢٣٢ — ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢

صباح رحيم: ١٢٤

صباح السالم: ٦٢ ، ٢٣٨ — ٢٤١

صباح عبد القادر: ٧٦

صباح ليليه: ٢٩٦

صباح محمد علي: ٢٦ ، ١٢٤

صباح المدني: ٥٦ ، ١٦٥

صباح نعمو: ١٣٤

صباح نوري السعيد: ٢٦٠

صبحي عبد الحميد: ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢

١٢٠ ، ١٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ، ٣٠١

٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٦٥

صبري الحديشي: ٣٩٥

صدام حسين: ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥

٩٢ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٣٣

١٣٤ ، ١٥٦ — ١٥٨ ، ١٦٥

١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٠

١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٨

٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤

٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩

٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ — ٢٩٠

٣٤٣، ٣٤١ — ٣٣٨، ٣٣٦
٣٥٤ — ٣٥٢، ٣٤٧ — ٣٤٥
٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٦، ٣٧٤، ٣٥٨
٣٩٠، ٣٨٤، ٣٨٢

طالب عيسى القاجبي: ٣٦

طاهر حسين علي الربيعي: ٣٩٥

طاهر محمد أمين الربيعي: ٣٩٥

طاهر يحيى التكريتي: ٤٧، ٦١، ٦٢، ٦٤،
٦٩، ٧١، ٧٣، ٨٢، ٨٣، ٩٦،
٩٨، ١١٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٧،
١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٧٠، ١٧١،
١٧٧، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٥، ٢٥٣،
٢٥٤، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٤، ٣٢٠،
٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٨ — ٣٣٠،
٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٩٥

طلال بن عبد العزيز: ٣٥٤

طلعت صدقي: ٢٨١

طه سلطان: ١٩٥

طه الشكرجي: ٦٢، ٧٣، ٨٢، ٩٨، ١١٧،
٢٦٢

طه الشيخ أحمد: ٨٦، ٩٥، ١٠٠ — ١٠٢،
١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٦ —

١٩٥، ١٩٣، ١٢٠

طه الشيخ راضي: ١٣٨

طه ياسين رمضان: ٣٠

الطوسي (الشيخ): ٣١١

الطبي بن هيمة: ٢٣٥، ٢٣٧

حرف العين

عادل الجراح: ٢٣٣

عادل جلال: ١١٩

عادل حمودي: ٢٣٦

عادل عبد المهدي المتفحي: ٥٣، ٧٣

عارف عبد الرزاق: ٢٨، ٣٦، ٤٧، ٥٧،

٦٩، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٥

حرف الضاد

ضياء الحلي: ٥٥

ضياء الفلكي: ٥٥

حرف الطاء

طارق أبو الخليل: ٢٣٦

طارق حمد العبد الله: ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٣،
٣٩٥

طارق الدليمي: ١٣٤

طارق الراوي: ٥١

طارق صادق: ٦١، ٦٤، ٨٣

طارق عزيز: ٥٦، ١٣٨، ٣٣٠، ٣٥١

طالب السهيل: ٢١٥، ٣٦٩

طالب الداود: ٢١

طالب شبيب: ١١ — ١٨، ١٤ — ٢١،

٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣٥، ٤٣، ٤٦،

٤٧، ٤٩، ٥١ — ٥٨، ٥٧، ٥٥

٦٠ — ٦٤، ٧٢، ٨٠، ٨٨، ٩٦،

٩٨، ١٠٢، ١٠٤ — ١٠٧،

١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١٢٠، ١٢٣،

١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٣٨ —

١٤٠، ١٤٢، ١٤٤ — ١٤٦،

١٥٠ — ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨،

١٦٠ — ١٦٢، ١٧٠، ١٧١،

١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١ —

١٨٣، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٢،

٢١٢، ٢١٥ — ٢١٩، ٢٢٣،

٢٢٧ — ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٨ —

٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٩،

٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١،

٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٠،

٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠ — ٢٩٣،

٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٨ —

٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤

عبد الجبار حمزة: ٥٤
 عبد الجبار السعدي: ٧٥، ٥٠
 عبد الجبار شطب: ٤٣
 عبد الجبار الصالح: ٣٢١، ٣٢٠
 عبد الجبار علي حسين: ٨١، ٧٥
 عبد الجبار محسن: ٢٩١، ١٣٤، ١٢٢
 عبد الجبار وهي: ٣٠٥، ٢٠٠
 عبد الحسن: ٢١٥
 عبد الحسين الرفيعي: ٣٦٨
 عبد الحسين شمعان: ٢٠٤، ١٩٦، ١٨٣
 ٢٩١
 عبد الحسين القطيفي: ٢٣٩
 عبد الحسين مسلم: ١٢٤
 عبد الحسين وداي العطية: ٢١٢، ٢١١
 عبد الحكيم عامر (المشير): ٢٠، ١٣٨
 ٢٥١، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٢
 ٢٨٣
 عبد الحليم خدام: ٤١٠، ٣٩٠
 عبد الحمداني: ١٣٤
 عبد الحميد السراج: ٢٩، ٤٠، ٤٣، ٨٢
 ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٧٠، ٢١٥، ١١٤
 ٣٢٨
 عبد الخالق السامرائي: ٣٩٨، ٣٥١
 عبد الخالق النقشبندي: ٣٣٠
 عبد الدائم: ١٦٣
 عبد الرحمن السباز: ١٠٢، ١٦١، ٢٠٥
 ٣٩٦، ٣٦٥، ٣٣٨، ٢٩٢، ٢١٢
 عبد الرحمن الداود: ٣٦٥
 عبد الرحمن سالم العتيقي: ٢٤١
 عبد الرحمن عارف: ٩١، ١١٤، ٢١٨
 ٣٦٤، ٣٤٩، ٣٢٢، ٢٨٩، ٢٢٩
 ٣٦٦
 عبد الرحيم الأرحيم: ٣٦٥، ٣٢٢
 عبد الرحيم الزاوي: ١٢٠
 عبد الرحيم شريف: ٢٠١، ٢٠٠

٣٦٥، ٣٤٩، ٣٤٣، ٢٨٤، ٩٤
 عامر الدجيلي: ٣٩٦
 عامر خالد حمدان: ٨١
 عامر عبد الله: ١٧٥، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٩
 ٢٠٥، ٢٠٢، ٢٠١، ١٩٦
 عباس أحمد: ٥٦
 عباس البلداوي: ١١١
 عباس حاج حنظل: ١٢٦
 عباس الخفاجي: ١٧٧
 عباس الدجيلي: ١٩٥
 العباس بن علي (ع): ٣٦٦
 عباس محمد كرم: ٣١٢
 عباس النصراري: ١٦٣
 عبد الله الأحمر: ٣٧٧
 عبد الله بشارة: ٣٧٥
 عبد الله الجابر: ٢٣٨
 عبد الله الركابي: ٢٦، ٣٠، ٣٥، ٨١، ٢٨٢
 عبد الله الرماوي: ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٤
 عبد الله السالم: ٢٣٠
 عبد الله السلال: ٢٢٧، ٢٦٠
 عبد الله سلطان الملاح: ٣٤١
 عبد الله سلوم السامرائي: ٣٩٨
 عبد الله بن طلال: ٣١٠
 عبد الله عبد الدائم: ١٥٣
 عبد الله فاضل السامرائي: ٣٩٧
 عبد الله مجيد: ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٨
 عبد الله مريوش: ١١٧
 عبد الله ناجي: ٢٥
 عبد الإله (الوصي): ٢٢٩
 عبد الإله البياتي: ١١٤
 عبد الإله النصراري: ١٣٤، ٢١٥
 عبد الأمير الخالك: ١٢٦
 عبد الأمير الشريفي: ١٣٤
 عبد الأمير معل: ١٣٤
 عبد الجبار نجومرد: ٢٠٥

٢٢٦، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٧، ٢١٦
٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٢٩
٢٨٣، ٢٦٦، ٢٥٧، ٢٥٤، ٢٥١
٣٠٣، ٣٠١، ٣٠٠، ٢٩٤، ٢٨٦
٣١٤، ٣١١، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٤
٣٢٧، ٣٢٣ — ٣٢١، ٣١٨
— ٣٣٧، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠
٣٤٤ — ٣٤٢، ٣٤٠، ٣٣٩
٣٦٦، ٣٦٤، ٣٥٥، ٣٤٩، ٣٤٧
٤٠١، ٣٩٨، ٣٩٦، ٣٩١

عبد السلام الناصري: ١٧٥
عبد الشهيد الياسري: ١١١
عبد عباس المفرجي: ٣٠٢
عبد العزيز ابراهيم الحديثي: ٣٩٧
عبد العزيز البدري: ٩٤
عبد العزيز بوتفليقة: ٢٧٩، ٢٢٥
عبد العزيز الحكيم: ٣٧٦
عبد العزيز العقيلي: ٣٦٥، ٣٤٢، ٢٩٢
٣٩٧، ٣٦٩
عبد الغني السراوي: ٧٣، ٦٢، ٥٧، ٤٧، ٤٠
١٠٦، ١٠٥، ٨١، ٧٧، ٧٥
٢١٦، ١٧٨، ١٧٧، ١١٥، ١١٠
٣٩٢، ٣٦٥، ٣١٣، ٣٠٤، ٣٠٣

عبد الغني قنوت: ٣٤
عبد الغني الملاح: ٩٤، ٩٠
عبد الفتاح ابراهيم: ٢٠٥
عبد القادر اسماعيل: ٢٠٠
عبد القادر حاتم: ٢٣٢
عبد القادر حسين الحياتي: ٣٩٨
عبد القادر الشكساي: ٨٢
عبد القادر الشيخ: ٣٠٣
عبد القادر الكيلاني: ٢٢٩، ٩٠، ٨٩
عبد الكريم الجله: ٨٥، ٨٤، ٧٧، ٥٥، ٥٣
١٩٥، ١١٦، ٩٥، ٨٨
عبد الكريم زهور: ٢٠٩

عبد الرزاق الزبيدي: ١٩٥
عبد الرزاق الصافي: ٢٠٤، ١٨٩
عبد الرزاق عصيه: ١٩٥
عبد الرزاق لفته: ١٢٤
عبد الرزاق الناييف: ٢٨٩، ٢١٩، ٨١
٣٩٧، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٤٣، ٣١٣
عبد الرضا عبيد: ١٩٥، ٣١
عبد الرضا القصاب: ١٢٤
عبد الزهره مسعد: ٢٧٥
عبد الستار الدوري: ٦٠، ٥٨، ٤٣، ٣٥
١١٠، ١٠٤، ١٠٢، ٧١، ٦٢
٣١٠، ١٨٨، ١٤٨، ١٣٩، ١٢٧
٣٣٢، ٣٣٠، ٣٢٩
عبد الستار رشيد: ١٧٤
عبد الستار عبد اللطيف: ٤٨، ٤٧، ٤٥
٦٣، ٦١، ٥٧، ٥٤، ٥١، ٥٠
١٠٣، ١٠٢، ٨٠، ٦٥، ٦٤
١١٩، ١١٨، ١١٠، ١٠٦، ١٠٥
١٧٤، ١٧١، ١٧٠، ١٤٩، ١٢٣
٢٨٠، ٢٤٠، ٢١٦، ١٩٥، ١٧٧
٣٢٩، ٣٢٦، ٣٢٤، ٣٢٠، ٢٨٨
٣٤٧، ٣٤٣، ٣٣٩، ٣٣٦، ٣٣٢
٣٦٩، ٣٦٥

عبد الستار مهدي: ٢٠١
عبد الستار ناجي: ١٨٨
عبد السلام عارف: ٤٧، ٣٦، ٢٣، ١٣
٧٧، ٧٢، ٧١، ٦٢، ٥٧، ٤٨
٩٦، ٩١، ٨٨، ٨٢، ٨١، ٨٠
١٠٧، ١٠٢، ١٠٠، ٩٨، ٩٧
١١٨، ١١٦، ١١٤، ١١٢، ١١٠
١٣٤، ١٢٧، ١٢٣، ١٢٢، ١١٩
١٥٣، ١٤٩، ١٤١، ١٣٨، ١٣٧
١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٥
١٩٤، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٤، ١٧١
٢١٥، ٢١٣، ٢١٠، ٢٠٨، ١٩٥

- عبد الكريم الشيعلي: ٢٧، ٣٠، ٣٥، ١٦٥،
١٧٥، ١٧٧، ١٩٢، ٢٠٨، ٢٣٦،
٣٩٧، ٣٦٦، ٣٥٥
- عبد الكريم العلي: ٢١٦
- عبد الكريم فرحان: ٢٣، ٢٨، ٨٠، ٨١،
٩٨، ١٤٢، ١٤٨، ٢٢٨، ٢٤٠،
٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٨٠، ٢٩٢،
٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٤٢،
٣٤٣، ٣٥٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٩٧
- عبد الكريم قاسم: ١٣، ٢٣، ٢٤، ٢٦ —
٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٥ —
٥٤، ٥٨، ٦٢ — ٨٢، ٨٠ —
٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣ — ٩٩، ١٠١ —
١١٥، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٣،
١٣٧، ١٤١، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٣،
١٥٥، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩،
١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١ —
١٨٩، ١٩٢ — ١٩٦، ١٩٨ —
٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣،
٢١٦، ٢١٧، ٢٢٧ — ٢٣٠،
٢٣٢ — ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٥،
٢٤٧ — ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦،
٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣،
٢٦٥ — ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٤،
٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣ —
٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٠،
٣٠٢، ٣٠٧ — ٣٠٩، ٣١٨،
٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٣،
٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٩،
٣٦٢، ٣٩١ — ٣٩٣، ٣٩٥،
٣٩٧ — ٣٩٩، ٤٠١
- عبد الكريم مصطفى نصرت: ٤٧، ٥٧، ٦١،
٦٤، ٨٤، ٩٨، ١٦٥، ١٧٢،
١٧٧، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٢،
٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤١
- ٣٥٥، ٣٩١، ٣٩٧
- عبد الكريم الكرازة: ٣٩٩
- عبد الكريم هاني: ٣٦٥، ٣٩٦
- عبد اللطيف البدرى: ٢٧
- عبد اللطيف البغدادى: ٢٢٠
- عبد اللطيف الحديشي: ٤٧، ٤٩، ٥٦، ٥٧،
٦١، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٨
- عبد اللطيف الدراجي: ٣٦٥
- عبد اللطيف الراوي: ٢٠٤
- عبد اللطيف الشواف: ٢٠٥
- عبد اللطيف عبد الرزاق: ٦٢، ٧٦
- عبد اللطيف عبد الرضا: ٩٨، ١٢٧
- عبد المجيد جليل: ١١٨، ١٩١، ٢٨١، ٣٢٠
- عبد المجيد فريد: ٢٨١ — ٢٨٣
- عبد المجيد فهمي: ٢٨٣
- عبد المحسن أبو ميزر: ٣٣٧
- عبد المطلب أمين: ٩٠
- عبد المطلب الجبوري: ٣٩٦
- عبد المنعم حميد: ١٠١، ١١٩
- عبد المنعم الخطيب: ١٠٧، ١٢٧
- عبد المنعم المصروف: ٨٠، ٨١، ٢١٥
- عبد الهادي الراوي: ٨٠، ٢٠٠، ٢٠٥،
٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٣٦٥، ٤٠٠
- عبد الواحد زكي: ٣٩٨
- عبد الواحد حاج مهدي: ٣٩٧
- عبد الوهاب الأمين: ١٩٥
- عبد الوهاب البكاء: ٣٩٦
- عبد الوهاب البياتي: ١٢٢، ٢٠٥، ٣٣٨
- عبد الوهاب الشواف: ٢٣ — ٢٦، ٢٩،
٣٨، ٤٣، ٩١، ١١٢، ١٢١،
٢٠٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٨٢
- عبد الوهاب شيطلي: ٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩
- عبد الوهاب عبد الرزاق: ١٧٧
- عبد الوهاب الغريزي: ٢٧، ٣٠
- عبدو الخالصي: ١٢٤

- عبد معة: ٢٠٠
عثمان بن عفان (رض): ٣٨٨
عجيل الياود: ٣٩٨
عدنان آل طعمة: ٣١٥
عدنان الادلي: ٣١١، ١٢٤
عدنان الامير: ٣١٥
عدنان الباججي: ٢٣٥
عدنان البدر اوي: ٥٤
عدنان حسين: ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥ —
٤٠٢، ٤٠١، ٣٩٨
عدنان الحمداني: ٣٤٦
عدنان نعيم الله: ٦١، ٦٤، ٣٩٦
عدنان الخيال: ٣٠٣
عدنان داود القيسي: ٨٤
عدنان دحام الجبوري: ٦١، ٣١٤
عدنان دحام العزاوي: ٤٦، ٦١
عدنان الراوي: ٢٤
عدنان سالم الزيايدي: ٣٩٧
عدنان شريف التكريتي: ٦١، ٦٤، ٣٤٩
٣٥٣، ٣٥٦
عدنان عباس: ٢٩٥
عدنان عبد القادر: ٣٠٥
عدنان القصاب: ٥٧، ٦٢، ٧١، ٢٢٦
٢٢٧، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣٨
عدي صدام حسين: ٣٥٧، ٣٩٦
عرفان عبد القادر وحدي: ١٠٦، ١٠٧
١١٩، ١١٨
عز الدين الراوي: ٢٦
عزت مصطفى: ٢٤، ٢٧، ١٥٦، ١٥٨
٢١٦، ٣٦٥، ٣٩٧
عزيز أمين: ٧٣، ٧٦
عزيز جعفر الصندوق: ١١٦
عزيز الحاج: ٢٠١، ٢٠٤، ٢٤٥، ٢٦٧
٢٨٦
عزيز خطيب العاني: ٦١، ٨٢
- عزيز السامرائي: ٣٩٨
عزيز شريف: ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١
عزيز شهاب: ٢٥، ١٠١، ٣٢٨
عزيز الشيخ: ١٧٥، ٢٠١، ٢٠٢
عزيز محمد: ١٨٦، ٢٠١، ٣٦٦
عصام الراوي: ٥٦
عطا الخطيب: ٢٠٠، ٣٠٥
عطا محي الدين: ١٦٥
عطشان ضيول الأيرجاري: ١٨٨
عطية الخطيب: ٢٠٠
عفيف البرزي: ١١٤، ٢٧٧
علاء الحيدري: ٨٠، ٨١، ٩٤
علاء الدين البكري: ١٤٥، ١٤٦
علاء الدين الجنابي: ٤٧، ٦١، ١٤٤، ١٩٥
علاء الدين حسين: ٢٣٤
علي بن أبي طالب (ع): ١٤٥، ٢٧١، ٣٠١، ٣١١
علي توفيق: ٢٥
علي حسن العامري: ١٥٧
علي حسن الجيد: ٢٤٣
علي حسون: ٢٧، ٣٠
علي حيدر سليمان: ٢٥٥
علي خالد: ٣١
علي الدرويشي: ٣٩٨
علي شريف: ١٩٥
علي الشوك: ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٤٥
علي صالح السعدي: ١٣، ٢٠، ٢٦، ٣٢ —
٣٥، ٤٣، ٤٥ — ٥٥، ٥٨، ٦٢
٧٧، ٨٨، ٩٦، ١٠٢، ١٠٥ —
١٠٧، ١١٠، ١١٩، ١٢٣، ١٣٠ —
١٣٣، ١٣٧ — ١٤٦، ١٤٩
١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧ —
١٦٠، ١٦٢، ١٦٦ — ١٦٨
١٧٠ — ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦
١٧٧، ١٨٣، ١٩٢ — ١٩٥
١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١

غسان عبد القادر: ٨٤

غسان مرهون: ٥٥

غضبان السعد: ١٩٥، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٦

غونتر: ١٢٢

حرف الفاء

فائز ضياء: ٥٦

فائق السباز: ١٤٩، ١٧١، ٣٢٦، ٣٢٩

٣٣٠

فائق السامرائي: ٢١٦، ٣٤٢

فاتح الجبوري: ١٩٥

فاتك الصافي: ٣٥

فارس حسين: ٦١

فارس عبد الكريم: ٣٩٦

فاضل الانصاري: ٣٤٧

فاضل البراك: ١٧، ٢٦٧

فاضل جاسم: ٦١

فاضل الجمالي: ٢٢٩

فاضل الخطيب: ٢٠٠

فاضل الحيدري: ٢٠٠

فاضل الشاهر: ٣٥، ٣٥٥

فاضل الشكرة: ٢٥

فاضل عباس حلمي: ٢٦، ٨٢

فاضل عباس المهدياوي: ٢٥، ٣٠، ٣٢

٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٧٩

٨٦، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢

١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٤، ١١٦

١١٨ — ١٢٣، ١٨٢، ١٩٢

١٩٣، ١٩٥، ٢٨٣، ٣٤٣

فاضل عبد الغفور: ٣٠

فاضل محمود العموري: ٦٨

فاضل مصطفى: ٣٩٤

فاضل معلقة: ٢٧

فاضل الناصر: ٢٥

فالخ عبد الجبار: ١٣٤

٢١٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١

٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٤

٢٣٦ — ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٨

٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦١

٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨١

٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٨

٣١٠، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩

٣٢٢ — ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨

٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣

٣٦٢ — ٣٦٦، ٣٦٨، ٤٠٠

علي صبري: ٢٢٠، ٢٨١

علي عبد السلام: ٢٨٩، ٣٩٨

علي عبد الكريم: ٧٥، ١٢٦

علي عجم: ٣٩٨

علي عريم: ٦١، ٢٧١، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٠

٣٥٥، ٣٤٢

علي كرم سعيد: ٢١، ٢٦٧، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٦٩

علي العطية "المحامي": ١١١

علي هادي وتوت: ٣٤٦، ٣٩٧

عماد شبيب: ٥٣، ٦٢، ٧٣، ٧٧، ٢٨١

٣٣٩، ٣٢٤

عماد نعمة عزيز: ٨١

عمار علوش: ١٦٥، ١٧٥، ١٩٢، ٣٠٠

عمانويل سليمان: ٦٢

عمر بن الخطاب (رض): ٨١

عمر دبابه: ٢٦٤

عمر الشيخ: ٢٠١

عمرو آل ياسين: ١٢٤

حرف الغين

غازي (الملك): ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٤٤

غازي أيوب: ٣٩٧

غازي دخيل: ٣١

غالب عبد الحميد: ٣٩٨

غانم عبد الجليل: ٢٧، ٣٠، ٣٩٨، ٤٠١

قاسم حسن: ١٢٤، ٢٣٩

قاسم حول: ٣٤٦، ٣٨١

قاسم السماوي: ٣٩٤

قاسم العزاوي: ٢٥

قحطان خلف: ١٣٤

قحطان السامرائي: ٥٦، ٥٨

قحطان العاني: ٥٦

قيس السامرائي: ١٣٤

قيس وثاب: ١٣٤

حرف الكاف

كازانتاكس: ٢٠٢

كاسترو: ١٤٦

كاظم السماوي: ١٢١، ١٢٢، ١٢٧

٣٠٦، ٣٠١

كاظم شير: ٣١٣

كاظم عبد الكريم: ١٩٥

كافري: ٢٧٨

كافل حسين: ١٦١

كامل الجادرجي: ١٧، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٥

كامل مدحت: ١٣٤

كامل نعمة: ٤٦، ٦١

كامل ياسين: ٣٤٥

كريم أحمد: ٢٠١

كريم شنتاف: ٣٠، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٤

٦٢، ٧٧، ٨٨، ١٠٢، ١٠٦

١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٠، ١٧٧

٢١٦، ٢٨١، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٥١

كريم قرني: ٢٥٤

كمال جنبلاط: ١٤٣

كمال خرازي: ٣٨٠

كمال ناصر: ٤٣

كمال الدين حسين: ٢٢٠

كنعان خليل حداد: ٨٨، ٩٨، ١٠٠، ١١٠

كنعان علي: ٨٦

فالخ المجول: ٣٥

فالي: ٢٠٥، ٢٠٦

فرات الزهاوي: ٥٦

فراس علي كريم سعيد: ٢١

فراس الهنداوي: ٧٩

فرانس همفريز: ٢٤٢

فلك الدين كاكائي: ٢٦٤

فليح حسن جاسم الشمري: ٣٩٣

فليح الساعدي: ٦٢، ٧٣

فليح عبد الجبار خريط: ٦١

فهد جواد الميرة: ٣٢٨

فهد السعدون: ٥٧، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٦

١٩٨، ٩١

فهد الشاعر: ١٥٩

فؤاد الركابي: ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩

٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٨ — ٤٠

٤٣، ٤٤، ٤٧، ١٤٧، ١٩٨

٢١٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٣٣٦، ٣٦١

— ٣٦٣، ٣٩٣

فؤاد صادق: ٣٢٢

فؤاد عارف: ٩٠، ١٢٩، ٢٠٩، ٢١٦

٢٥٠، ٢٥٣، ٣٦٦

فواز صياغ: ٤٠٠

فوزي الراوي: ٥١، ٣٤٩

فوزية الراوي: ٣٩٣

فيصل الأول (الملوك): ٦٨، ٦٩، ٨٩، ٩٣

٣٤٩

فيصل حبيب الخيزران: ٢٠، ٢٤، ٣٠، ٣٥

٤٧، ٧٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٥٥

فيصل السامر: ٢٨٦

حرف القاف

قاسم الجنابي: ٢٧، ٣٠، ٣٨، ٥٤، ٨٦

٩٨، ١٠٣، ١٠٦، ١١٢، ١١٦

١١٩، ١٢٢، ١٢٧

كنعان مكية (سمير خليل): ٩٤، ٩٣، ٩٠، ١٠٢، ١٣١، ١٣٥

حرف اللام

ليبد عباوي: ١٨٩، ٢٠٤

لطفي طاهر: ٣٠٣

لطفي العبيدي: ٢١٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٦٩

لطيف الحديشي: ١٠٨

لقمان البارزاني: ٢٤٩

لويس الرابع عشر: ٢٢٣

حرف الميم

مأمون كشمولة: ٤٠١

ماجد أمين: ٣١، ٤٣، ١٩٢، ١٩٥

مازن المفتي: ٢٧، ٥٥

ماكميلان: ٢١٧

مالك سيف: ١٩٨

ماهر الجعفري: ٨٤

مبارك (الشيخ): ٢٣١، ٢٣٨

مبدر الويس: ٨١

محيي الشيخ: ٨٦، ٢٠٠

مثنى الراوي: ١٨٨

مجددي جهاد صالح: ٤٠٠

مجيد الجلبي: ٢٥

مجيد الحاج حمود: ١١١، ١٢٧

مجيد رجب حمدان: ٨٤

مجيد السعيد: ١٣٤

مجيد العبد الله: ٣٢٠، ٣٢١

مجيد قلدوري: ٣٤٢

محسن (الحاج): ٥١

محسن اسماعيل: ٢٥

محسن حسين الحبيب: ٣٦٥

محسن الجصاني: ٣١٢

محسن الحكيم (السيد، آية الله): ١١٥، ١٩١

٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠ — ٣١٥

محسن الرفيعي: ٨٦، ١٢٢، ١٩٥

محسن دزه ئي: ٣٧٦

محسن الشعلان: ٤٠٠

محسن الشيخ راضي: ٤٦، ٤٧، ٤٩، ١٠٢

١٠٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩

١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٠

١٧٣، ١٧٦ — ١٧٨، ١٩٢

١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٦

٢٢٨، ٢٥٧، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٨

٣٢٠، ٣٢٤ — ٣٢٦، ٣٢٩

٣٣٣، ٣٤٢، ٣٦٢

محسن العيني: ٢٢٧

محمد أحمد حسن البكر: ٣٤٩، ٣٥٣

محمد اسماعيل الويس: ٤٦، ٦١

محمد أمين محمود: ١٢٥

محمد أيوب: ٤٠٠

محمد باقر الحكيم (السيد، آية الله): ٣٧٦

محمد باقر الصلبر (السيد، آية الله): ٣١٢

محمد باقر صولاغ الزبيدي: ٣١٢

محمد ثامر: ٨٤

محمد جاسم الجبوري: ٨٥

محمد الجصاني: ٣٦٨

محمد الجلبي: ٢٠٠

محمد حبيب: ٢٩٧

محمد حديد: ١٠٣، ١١١، ١١٢، ١٢٧

١٨٥، ٢٠٥، ٣٤٢

محمد حسن الزيات: ٢٣٩

محمد حسن وتوت: ٤٠١

محمد حسنين هيكل: ١٣٨، ١٤٨، ٢٢١

٢٥١، ٢٨٤، ٢٩٢

محمد حسين أبو العيس: ٢٠١

محمد حسين رؤوف: ١٣٤

محمد حسين الشيبني: ١٩٨

محمد حسين المهدي: ٤٠١

محمد حمدان: ٣٩٦

محمد كباره: ٢٤١
 محمد كبول: ٢٨١
 محمد مجيد: ٨١، ١١٨، ٣٦٥
 محمد محبوب: ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠١
 محمد مظلوم: ٢١
 محمد المهداوي: ٥٧، ٦١، ٦٣ - ٦٥
 ١٧٤، ٢٦٩، ٢٧٦، ٣٢٦، ٣٢٨
 - ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٩
 محمد مهدي الجواهري: ١٨، ٥٣، ١٢٢
 ٢٠٥، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٩٢، ٣٣٨
 محمد مهدي كبة: ٤٨، ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٦
 ٢٢٨، ٢٩٢
 محمد نادر: ٣٠٣
 محمد نجيب: ٣٢٢، ٣٢٣
 محمد الوردي: ١٢٦
 محمد يوسف طه: ٧٥، ٨١، ٢٧١، ٢٨٠
 محمود أمين شسمة: ٢١، ٢٥
 محمود أمين العالم: ٣٣٨
 محمود البريكاني: ١٢٢
 محمود حياوي: ١٣٤
 محمود شيت خطاب: ١٢٣، ١٦٧، ١٦٨
 ٢١٦
 محمود صبري: ٢٨٦
 محمود عثمان: ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٧
 محمود محمد صبحي: ٢٤١
 محمود ناصر تركي: ٥٦
 محسن محمد رضا الذهب: ٤٠١
 محيي جاسم السامرائي: ١٣٤
 محيي الخطيب: ٥١، ١٢٤
 محيي عبد الحسين الشمري: ٤٠٠
 محيي الدين عبد الحميد: ١٢٠، ١٩٥
 محيي محمود: ١١٤، ١٧٠، ٣٢٨، ٣٣٢
 ملحت ابراهيم جمعة: ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٩
 ٣٥، ٤٤، ١١١، ١٧٥، ٢٣٦
 ٣٥٥، ٣٣٢

محمد الخالصي: ١٢٦، ٣١٠، ٣١١
 محمد خميسي: ٢٢٥، ٢٨٠
 محمد رشاد الشيخ راضي: ٢١، ١٥٤، ١٦٣
 ٣٥٦
 محمد رشدي الجنابي: ٤٠٢
 محمد رضا الجيلاني: ٤٠١
 محمد رضا الحكيم: ٣١٣
 محمد زكي يونس: ١٣١، ١٥٦، ١٥٨
 محمد الزبيدي: ١٣٤
 محمد سعيد قاسم: ٢٥
 محمد سعيد النقيب: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩
 ٢٤٠
 محمد سلمان حسن: ٢٤٩
 محمد سليمان: ٣٠
 محمد صالح العلي: ٢٠٠، ٢٠١، ٣٠٥
 محمد صبري الحديثي: ٤٠٢
 محمد صديق شنشيل: ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٤٦
 ٤٨، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٨
 ٢٩٢، ٣٢٣، ٣٤٢
 محمد عايش: ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٩٥، ٣٩٧
 ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٢
 محمد بن عبد الله رسول الله (ص): ٢١٢
 ٣٠٩، ٣٠١، ٣١١
 محمد عبد الطائي: ١٣٤، ٣٥٦، ٣٩٩
 ٤٠٠
 محمد عبد اللطيف: ١٩٤
 محمد العيسى: ٢١٧
 محمد علوان: ١٠٠، ١٠١
 محمد علي جواد: ٢٨٥
 محمد علي حمزة: ٧٦
 محمد علي السباهي: ٤٧، ٨٢، ١٩٥
 محمد علي سعيد: ٦٢، ١٩٥، ٤٠٢
 محمد عمران: ١٥٨
 محمد فاضل: ٤٠٠
 محمد فرج: ٤٠٠

- منذر المطلق: ٣٤٩
- منذر الوندلاوي: ٢٨، ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٥٧، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٨٢، ١٠٦، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٦، ٢٥٧، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٠ — ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٦٩
- منعم حميد: ١٠٥، ٣٢٨
- منور المهلاوي: ٧٩، ١٢٧
- منيف الرزاز: ٣٩، ١٥٣، ١٦٣، ٣٩٩، ٤٠٠
- المهدي بن بركة: ٢٢٦
- مهدي الحكيم (السيد): ٣١٢
- مهدي حميد: ١٩٥، ٢٠٠
- مهدي الخالصي (الشيخ): ١٢٦، ٢٨١، ٣١٥، ٢٩٢
- مهدي الشوكي: ٣٤٢، ٣٦٨
- مهدي الشيخ علي: ٣٤٢
- مهدي عبد الكريم: ٣٢٦
- مهدي العبيدي: ٥٦، ٣٣٨
- مهدي نجم: ٥٦
- مؤيد ابراهيم الوندلاوي: ٢٢٨
- موسى أسد الكريم: ٢٩١، ٢٩٥
- موسى علاوي: ٢٣٩
- موسى يعقوبي: ٣١٥
- موفق مصطفى العمري: ١٨٣
- مولود مخلص: ٣٥٠، ٣٩٢
- مونتسكيو: ٢١٣
- مي الاوقاتي: ٥٨، ٦٠، ٩٤
- مير البصري: ٣٧٠
- ميشيل بابلو: ١٣٤
- ميشيل عفلق: ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤١ — ٤٤، ٤٦، ٤٨
- مدحت الحاج سري: ٢٨، ٣٩٩
- مدحت محمد جميل: ١٢٤، ١٢٦، ٤٠١
- مدلول ناجي الحنا: ٣٥٦، ٤٠٠
- مرتضى الحديثي: ٣٥١، ٣٥٣، ٣٩٤، ٤٠٠
- مزه جواد: ٧٥، ٨١
- مزه الشاوي: ١١١
- مسارح السراوي: ٥٣، ٧٣، ١٢٩، ١٥٦، ١٥٨، ١٧٠، ٢١٧، ٣٠٨
- مسعود البارزاني: ٢٥١، ٣٥٦، ٣٧٠
- مسعود محمد: ٢٥٣
- مسلم الجبوري: ٥٥
- مسلم بن عقيل (ع): ١٤٥
- مسليمة الكذاب: ١١٢
- مشتاق طالب: ٢٠
- مشعان الجبوري: ٣٧٠، ٣٥٦
- مصطفى البارزاني (الملا): ١٢٩، ٢٠٢، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣ — ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٦، ٣٥٦
- مصطفى حمدون: ٣٤
- مصطفى عبد الله: ١٩٥
- مصطفى عزيز: ٢٥٣
- مصطفى علي: ١١٦
- مصطفى الفكيكي: ٣٠٤
- مظفر صالح: ٢٥
- مظفر النواب: ٥١، ٦٠، ٨٦، ٩٤، ١٢٢، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٦٩
- مظفر يونس الدبوني: ٦١
- مظهر حبيب الخيزران: ٥٥
- مظهر عبد عباس: ٣٠٦
- مظهر المطلق: ٣٤٩، ٣٥٣
- معتمد سعيد البدري: ٤٠٠
- معز الخطيب: ١٢٤
- مكرم الطالباي: ٨١، ٣٦٦، ٣٦٨
- ممتاز قصيرة: ٤٠١
- منذر أبو العيس: ٣٣

نصيف جاسم العاني: ٦١
 نعمة فارس: ٤٦، ٦١، ١٠٥
 نعمة كاظم الرماحي: ٨١، ٣٦٨، ٣٦٩
 نور الدين محمود: ٦٩، ٩٠
 نوري البحرائي: ١٢٧
 نوري حمادي حسين: ٣٩٩
 نوري الزكم: ١٢٤
 نوري السعيد: ٩١، ٩٢، ١١١، ١٢٠
 ١٥٧، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٢٩
 ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٦، ٢٧٧
 نوري عبد الرزاق: ١٨٢، ١٨٣
 نوري الونة: ١٨٨
 نوري الويس: ٣٥٦، ٣٥٧

حرف الهاء

هادي خليفة السامرائي: ٣٠٤
 هادي خماس: ١١٨، ١٢٢، ٣٢٢، ٣٢٦
 ٣٦٥
 هادي الرياحي: ١٢٤
 هادي هاشم الاعظمي: ١٢٤، ٢٠١
 هاشم الألويسي: ٢٩٥، ٣٠٥
 هاشم اسماعيل: ٤٦، ٦١
 هاشم جواد: ٤٩، ٥٨، ١٠٣، ٢٠٠، ٢٢٧
 ٢٣٠
 هاشم حسين: ١٧٧
 هاشم الرفاعي: ٢٣٦
 هاشم زيدان: ١٢٤
 هاشم السامرائي: ١١٩
 هاشم عبد الجبار: ٤٦، ١٨٨، ١٩٥
 هاشم عبد القادر: ٢٠٠
 هاشم عقراوي: ٢٥٩
 هاشم قدوري: ٥٦، ٧٧
 هاشم المشاط: ٦٠
 هاشم الياسري: ٨٨، ٩٤، ١٢٤، ٣٤٢
 هاني الفكيكي: ٢٥، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٤٣

١٥٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٨٨
 ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٥٤
 ٢٧٠ — ٢٧٢، ٣٢٥، ٣٣٠
 ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥١
 ٣٥٢، ٣٥٨ — ٣٦٢، ٣٦٤
 ٣٧٠

حرف النون

نابليون: ٢٢٣
 ناجي طالب: ٢٤، ٨١، ١٢٩، ١٤٠
 ٢٠٥، ٢١٦، ٣٣٥، ٣٦٥
 ناجي يوسف: ١١١
 ناصر الحساني: ٢١٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٦٩
 ٣٩٩، ٤٠٢
 ناصر عبود: ٢٠١
 ناظم جودي: ١٢٦
 ناظم الطبقجلي: ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٩٦، ١٠٤
 ١٢١
 ناظم القدسي: ٢٨، ٤٩
 ناظم كزار: ١٦٥، ١٧٥، ١٩٢، ٣٠٠
 ٣٣٩، ٣٥٦، ٣٩٨ — ٤٠٠
 نافع أحمد: ٣٦٥
 نافع داور: ٢٥
 نافع الكبيسي: ٣٩٩
 نافع يونس: ٢٠٠، ٢٠١
 نتيهاو (بنيامين): ٣٩٠
 نجاد الصافي: ٥٥، ٥٦، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٤
 ١٧٥، ٣٢٦، ٣٢٩
 نجيب الربيعي: ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١
 ٤٨، ٣٢٢
 نرجس الصفار: ٢٠٠
 نزار الخزرجي: ٣٩١، ٣٩٩
 نزار النقشبندى: ٣٩٩
 نزيهة الدليمي: ٢٠١
 نشأة عسكر: ٣٩٩

وفيق السامرائي: ٣٩٨
وفيق عارف: ١٢٠
وليد ابراهيم الاعظمي: ٤٠٢
وليد الخشالي: ١٢٤
وليد الغزالي: ٥٥
وليد محمد صالح الجنابي: ٤٠٢
وليد محمود سيرت: ٤٠٠، ٦١
وهاب كريم: ٤٠٢

حرف الياء

ياسين الحافظ: ١٣٣
ياسين عبد الجبار السامرائي: ٣٠
ياسين الهاشمي: ٢٢٩، ٩٢، ٩٠، ٨٩، ٦٩
يحيى الجدة: ١١٦
يحيى طاهر: ١٩٥
يحيى نادر: ٣٠٣
يسرى سعيد ثابت: ٣٢، ٣٠
يعقوب الحمداني: ١٥٨، ٥٥
يوسف اسماعيل البستاني: ١٩٧
يوسف كشمولة: ٢٥
يونس بحري: ٢٢٨
يونس الطلحي: ٩٦، ٩٤، ٨٧، ٨٦، ٧٨ —
١٠٠، ١٠٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٧
٢٩٢، ٢٩١، ١٨٨، ١٨٥
يونس العاني: ٧٦
يونس محمد صالح: ٧٦، ٦٢

٤٧، ٥٦، ٦٢، ٧١، ١٠٢
١٥٦، ١٤٩، ١٤٨، ١٣٨، ١٣١
— ١٥٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧
١٧٩، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١
٢١٦، ٢٢٨، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧١
٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠١
٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٢٤
٣٢٦ — ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٤٢
٣٤٨، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠
٤٠٢

هاني الهندي: ٤٠
هديب الحاج حمود: ٢٠٥، ١٨٥، ١١١
هشام الشاوي: ٢٣
هشام صفوت: ١٨٣، ٢٦
هشام عطا عجاج: ٢٧٤
هناء الشيباني: ٢٩١، ١٣٤
هلال بلاسم الياسين: ٣٦٩
هوارى بومدين: ٣٥٦، ٢٢٦، ٢٢٥
هيثم أحمد حسن البكر: ٣٥٣، ٣٥٠، ٣٤٩

حرف الواو

وائل الهلالي: ٣٣٨
وائل عبد الله: ٧٦، ٦٩، ٦٨، ٦٢، ٢٨
وداي العطية: ١٠٥
وثاب السعدي: ١٣٤
وجدي ناجي: ٣٣٩، ٨٣، ٦١، ٤٢
وصفي طاهر: ١٩٥، ١٢٠، ٩٥، ٨٦، ٨٤

ملحق الصور



رشيد عالي الكيلاني مع هتلر



الملك المغدور فيصل الثاني

عبد الكريم قاسم،
مدير الأمن العام عبد المجيد جليل،
مدير الاستخبارات محسن الرفيعي،
يونس الطائي
ويظهر قاسم الجنابي خلف قاسم





من اليمين الأستاذ محمد حديد
والأستاذ هديب الحاج حمود



أديب الجادر يستقبل الزعيم في حفل نقابة المهندسين



كامل الجادر جي
وهديب الحاج حمود



المهداوي وزوجته في براغ مع رسميين تشيك وطلبة عراقيين

منطقة الصالحية، قرب الإذاعة،
بغداد يوم ٨ شباط ١٩٦٣ →





طالب شبيب يتوسط عبد الكريم نصرت وخالد مكّي الهاشمي
ويظهر طارق عزيز نائب رئيس الوزراء الحالي خلف الهاشمي إلى اليسار



المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الخارجية طالب شبيب
مباشرة بعد نجاح حركة ٨ شباط ١٩٦٣



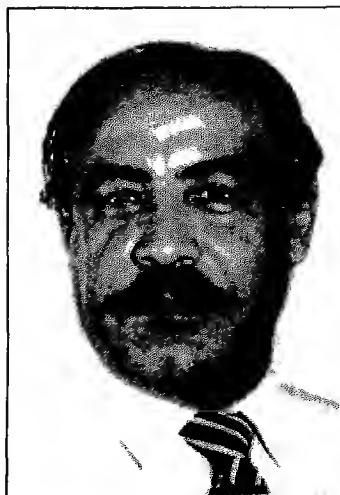
طالب شبيب يدلي بحدّث
ويظهر في الصورة عمّاش وحرّدان وحازم جواد



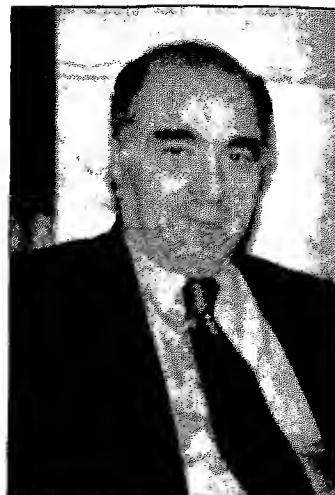
ميشيل عفلق،
حازم جواد وطالب شبيب



العميد عبد الهادي الراوي



عبد الستار الدوري



هاني الفكيكي



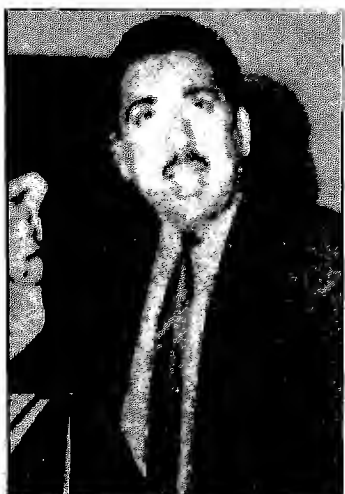
أحمد العزاوي ٤٢٩



المهندس بهاء شبيب



فائق السامرائي



الحامي محسن العزاوي



ناظم جواد



العقيد الركن حامد سالم الزبيدي



هديب الحاج حمود



شكر صالح زكي



هاشم الياسري



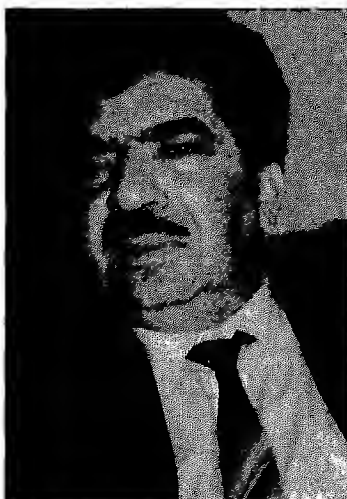
محمد رشاد الشيخ راضي



فؤاد عارف



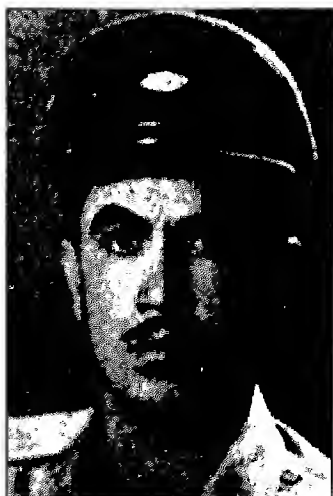
أحمد الجبوري ٤٣٠



عبد الإله النصراوي



هناء العمري زوجة علي السعدي



الملازم طارق صادق



الملازم كامل حسين النعمة



فؤاد الركابي



المقدم إبراهيم التكريتي



باقر إبراهيم الموسوي



مهدي العبيدي



طالب شبيب وعبد الرزاق الصافي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي



٤٣١ عبد الرزاق شبيب

جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف
وخلفهم فؤاد الركابي
ويظهر حازم جواد وطالب شبيب



عبد الناصر، السعدي، شبيب، البزاز، نهاد القاسم وآخرون



المشير عبد الحكيم عامر، علي صالح السعدي، عبد الرحمن البزاز، نهاد القاسم، ويقف شبيب خلف السعدي



في مفاوضات الوحدة: شبيب، السعدي، عماش مع أعضاء الوفد السوري



علي صالح السعدي
يشعل سيكارة عبد الناصر



من اليمين: السعدي، البكر، بومدين، ويظهر خلفهم طاهر يحيى وصالح مهدي عماش وآخرون



ضباط وجنود معسكر سعد: أعدموا في ٨ شباط بتهمة التمرد
(أعدم منهم ٢٤ عسكرياً ومدنياً واحداً)



حسن السريع



سلام عادل وجمال الحيدري
ومحمد صالح العبلي



٤٣٤ جنود حسن السريع في المحكمة التي تشكلت هيئتها من شاكر مدحت السعود وحسن مصطفى النقيب



حسن عبود يعترف على التلفزيون مع قاسم نعمان السعدي



عبد القادر إسماعيل البستاني يحيط به شفيق الكعالي
وضياء حسن في جلسة استجواب على التلفزيون



جمال عبد الناصر والملا مصطفى البارزاني



من اليمين: علي صالح السعدي، أبو طالب الهاشمي، محسن الشيخ راضي،
هاني الفكيكي بعد ترحيلهم إلى إسبانيا



اللواء حسن النقيب في شمال العراق



الأستاذ جلال الطالباي مع المؤلف



من اليمين : هياء شبيب، رجاء غيدان،
عبد الستار الدوري،
عارف عبد الرزاق وطالب شبيب
في كردستان العراق



الأستاذ هاني الفكيكي
والدكتور علي كريم



محمد رشاد الشيخ راضي
والشهيد محمد عبد الطائي (أبو يوسف)

↓ حسن العلوي وطالب شبيب



صفاء الفلكي،
علي كريم سعيد
وطالب شبيب

من اليمين:
أحمد الموسوي،
حامد أيوب العاني
طالب شبيب
وعلي كريم سعيد



↑
الدكتور محمود شمسه، محمد عبد الطائي،
والدكتور علي كريم سعيد

تحسين معله، محمد علي غني،
وعلي كريم سعيد



↓
ثلاثة وزراء خارجية عراقيون:
شبيب، الشيخلي وعبد الباقي





وزير خارجية الكويت صباح الأحمد
إلى اليسار ويظهر خلفه
وزير الخارجية الأسبق طالب شبيب



طالب شبيب يترأس الوفد العراقي في الأمم المتحدة



مع الرئيس التركي
يقدم أوراق اعتماده كسفير للعراق

طالب شبيب والأمين العام الأسبق
للأمم المتحدة كورت فالدهايم



طالب شبيب مع العاهل الأردني

طالب شبيب مع محمود رياض





عبد الكريم الشيكلي وطالب شبيب



على منصة الأمم المتحدة
عندما كان رئيساً لمجلس الأمن الدولي



من اليمين: الباججي، طالب شبيب،
عبد الرحمن البزاز، ومحمد حسن الزيات



صدام حسين وطه ياسين رمضان
ورئيس الجمهورية الأسبق عبد الرحمن عارف



في اليمين: طالب شبيب والباججي والشيكلي ونيل نجم
ويظهر في الصورة الأستاذ عبد الحليم خدام



علاء الدين حسين الرجل الذي
نصبه صدام حسين زعيماً
على الكويت خلال فترة الغزو



← طالب شبيب
في سنواته الأخيرة



طالب شبيب مع عائلة
أخيه الأستاذ بهاء شبيب



General Organization of the Department of Education

مازن طالب شبيب وعائلته

عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

هذا الكتاب، نوع من كشف التجربة المرة، ودعوة حيادية لصدق الرواية التاريخية، بعد أن أوصل تزوير الوقائع العراق برمته إلى طريق مسدود، وبرهنت المقدمات المزيفة أن ما يخفيه الساكتون في صدورهم سرعان ما يندفع إلى الخارج عشوائياً عند أول فرصة للانفلات فيدور دولا ب النار وتتجدد الأهوال وتنتعش السجون والمنايا وتتوسع المقابر، ويمكن الآن، ولو متأخراً، استعادة صورة ذلك العدد المائل من الشباب الواعد يتسابق في صراع عبثي لدخول السجون بحثاً عن حرية مفقودة، ولكنهم جميعاً حملوا فكراً يفتزل الحرية التي يطالبون بها إلى حرية الدولة التي زعمت عند استلامهم لسلطتها تمثيل الشعب بكامله غضباً عنه حرية العقل الجمعي المقيد لحساسية العقل الفردي الحر المتنافس.

تعمدنا الإقلال من التحليل في المتن والهوامش، لترك للقارئ أن يحلل ويركب بعيداً عن ميولنا وعواطفنا.

المؤلف